

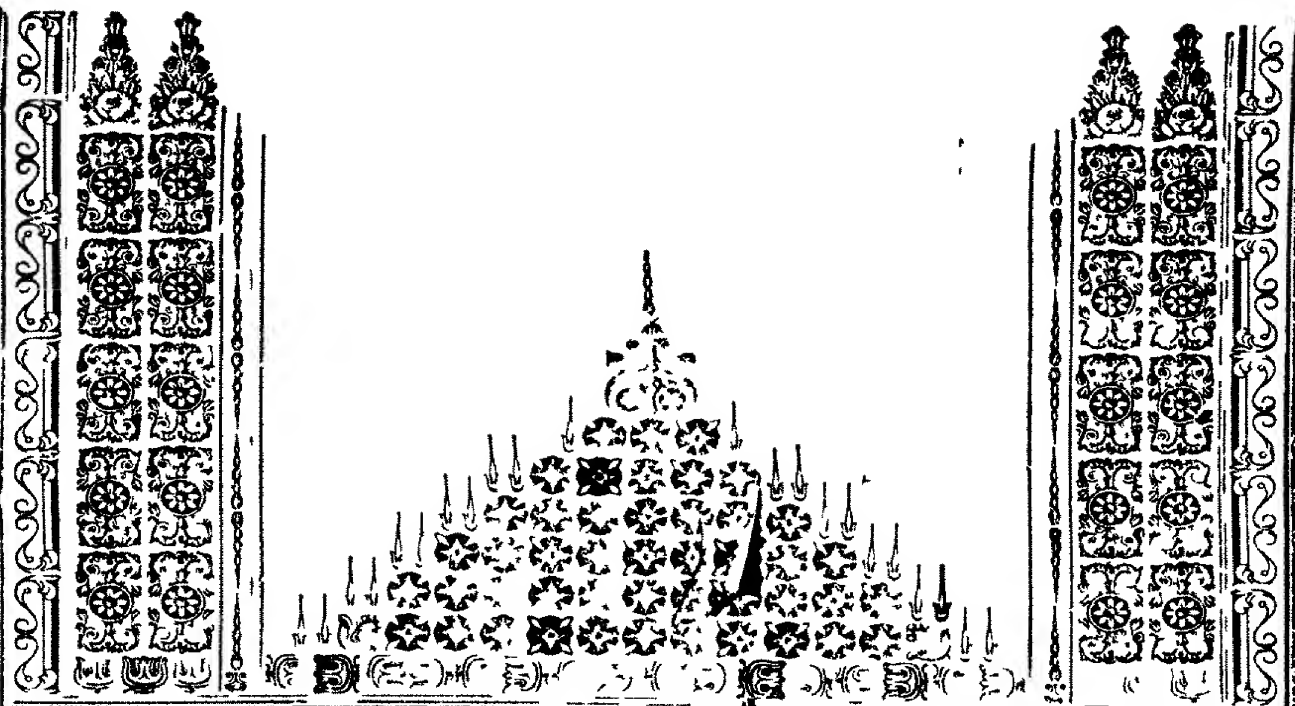
الطبعة الاولى

الجزء الثاني

من التفسير المنير لعالم
التنزيل المسفر عن - ارمحاسن
التأويل المسمى طبع المعاهد مراح لميد
لكشف معنى قرآن مجيد - لجامه العالم التحرير
وعلم الفضل الشاهر المسمى بكهيم الشيم ومهابة
الاعزاز العلامة اشبح محمد نويس من علماء
الحجاز نفع الله تعالى بعلومه المسلمين
وجعلناواياهم من خيار
أحبيه المقبولين

١٣٥٠

بالطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية و كلماتها تسعمائة وا ثمان وسنون و حرفها
ثلاثة آلاف وثلاثمائة و حرفان

(بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص) وهو من المتشابه الذي انفرده الله تعالى بعلمه وقيل هو ثناء من الله على نفسه وهو وصفه تعالى بأنه كاف لحلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بأمرهم صادق في وعده (ذكر رحمت ربك) فان جعلت كهيعص اسما للسورة على ما عليه اتفاق أكثر العلماء فهي مبتدأ وخبره ذكر أي المسمى بكهيعص ذكر رحمت ربك (عبده زكريا) أي اصابة الله رحمته عبده زكريا (اذنادي ربه ندا خفيا) فانه أدخل في الاخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص عن لوم الناس على طلب الولد في زمان الشيخوخة (قال رب اني وهن العظم مني) أي ضعف بدني وانما أسند الضعف إلى العظم لانه دعاء الجسد فادضعف كان غيره أضعف (واشتعل الرأس شيبا) أي أخذ رأسي شعثا وقد صار مثل شواطئ النار (ولم أكن بدعا لرب شفيا) أي ولم أكن بدعا لياك يارب خائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي وقد توسل سيدنا زكريا عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة بعد ذلك بما يتسبب للرافقة من كبار السن وضعف الحال (واني خفت المولى) أي الذين يخلفوني في السياسة وفي القيام بأمر الدين (من ورائي) أي بعدهم وني وهم بنو عمه عليه السلام وكانوا أشرار بني اسرائيل فخاف عليه السلام أن لا يحسنوا خلافة في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائي متعلق بمحذوف أي فعل الموالى أو جورا الموالى لا بخفت لفساد المعنى (وكانت امرأتى

عاقرا) أى لا تلد من حين شبابها (فهب لى من لدنك) أى اعطني من محض فضلك الواسع وقد رثك
الباهرة (وليا) أى ولدا من صلبى (يرثنى) من حيث العلم والدين والنبوة (ويرث الملك) من آل
يعقوب) بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام لان زوجة زكريا هى أخت مريم وكانت من ولد سليمان بن
داود من ولدهم وذن يعقوب أما زكريا فهو من ولد هرون أخى موسى وهما من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحق
وقرأ أبو عمرو والكسافى يرث فى الكلمةين بالجزم على جواب الامر والماقون بارفع على صفة (واجعله
ربرضيا) أى مرضيا عندك قولاً وفعلًا قال تعالى بواسطة الملك جبريل (يا زكريا انا نبشرك بغلام) أى ولد
يرث العلم والنبوة فى حياته فإنه قتل قبل موت أبيه (اسم يحيى) لحياته رحم أمه بعد موته بالعقم
(لم نجعل له من قبل سميا) أى شريكاً له فى الاسم حيث لم يكن قبل يحيى أحد يسمى يحيى وقيل أى شبيهها
فى الفضل والكمال فإنه لم يبعث من قبلهم بمعصية من حال الصغروا صار سيد الشهداء على الإطلاق (قال)
زكريا (رب أنى يكون لى غلام) أى من أين يكون لى ولد (وكانت امرأتى عاقرا) أى والحال أنه قد
صارت امرأتى لم تلد قط (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يئوسا وقرأ أبى بن كعب وابن عباس عسيا
بالسين غير المجمة (قال) أى الله تعالى (كذلك) أى الا ذلك الوعد من خلق غلام منكما وأنما
على حالكما (قال ربك هو) أى خلق يحيى منكما على حالكما (على) خاصة (هين) وان
كان فى العادة مستحيلا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) أى وقد أوجدت ياك زكريا من قبل يحيى
والحال أنك اذ ذاك عدم بحيث وقرأ حمزة والكسافى خلقتك (قال رب اجعل لى آية) أى علامة تدلنى
على حصول حمل امرأتى (قال) أى الله تعالى (آيتك) على تحقق المسؤل (أن لا تكلم الناس)
أى أن لا تعدر على أن تكلم الناس (ثلاث ليال) مع أيامهن (سويا) أى حال كونك سليم الجوارح
لم يحدث بك مرض ولا خرس (فخرج على قومه من المحراب) أى من المصلى وهم اجتمعوا بئذ نظررون ففتح
الباب ليصلوا فيه بآذنه على العادة فخرج اليهم للاذن وهو لا يتكلم متغيرا لونه أنه كروه فقالوا مالك يانى
الله (فأوحى اليهم) أى أشار اليهم (أن سبحوا بكرة وعشيا) أى صلوا صلاة الفجر وصلاة العصر قال
الله تعالى ليحيى بعدما بلغ (يحيى خذ الكتاب بقوة) أى اعمل بما فى التوراة بجد (وآتيناه الحكم)
أى الفهم فى التوراة والنه فى الدين (صبيبا) أى فى صغره وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل أن
يبلغ فهو من أوتى الحكم صبيبا روى الله عليه السلام دعاء الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا (رحمنا
من لدنا وزكاة) أى وأعطينا ناعظيما من عندنا على بح حيث جعلناه نبيا وهو صغير وتشريفاته ويقال
وأعطينا يحيى رحمة من لدنا على ذكر ياوتر كية له عن أن يصير مردودا للدعاء ويقال وأعطينا يحيى
تعطفا منا على أمته لعظم انتفاعهم بإرشاده وتوفيقا للتصدق عليهم وتطهير أماننا عن الالتفات بغيرنا
وكان تقيا) بطبعه ومن حيلة نقواه أنه كان يتغوث بالعشب وكان كثيرا البكاء فكان لدمعه مجارى على
خده (وبرا بالديه) أى لطيفاً بهما محسنا اليهما (ولم يكن جبارا) أى متكبرا فى دينه (عصيا)
أى عاصيا لربه عاقبا بالديه (وسلام عليه) أى أمان من الله تعالى يحيى (يوم ولد) من أن يناله
الشیطان (ويوم يموت) من فتنة الفبر (ويوم يبعث) من القبر (حيا) من هول القيامة وهذا
تنبيه على كونه عليه السلام من الشهداء (واذكر) يا أكرم الرسل للناس (فى الكتاب) أى
هذه السورة (مريم) أى قصتها (اذنقبت) أى اعزلت (مأهلها ما كانا شرقيا) أى شرقى
بيت المقدس وشرق دارها لتختل هناك للعبادة (ناخذت من دونهم حجابا) أى فأرخت لاجل منع

رؤية أهلها سترًا لتغتسل من حيضها (فأرسلنا إليها روحنا) رسولنا جبريل (فغُثِّلَ لها) بعد فراغها من الاغتسال وبعد لبسها ثيابها (بشراسوياً) أي لم ينقص من الصورة البشرية شيئاً وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها وإذا طهرت عادت إلى المسجد فلما طهرت وهي في مقتبلها أتاها جبريل بعد لبسها ثيابها في صورة آدمي شاب أمره وضيء الوجه جعل الشعر كامل البدن لم ينقص من حسان نعوت آدمية شيئاً وقيل تمثل في صورة ترب لها اسم يوسف من خدم بيت المقدس لتستأنس بكلامه وتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى (قالت) أي مريم (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أي مطيعاً لله يرجي منك أن تتقي الله ويحصل ذلك بالاستعاذة به فإني عائدة به منك وقيل كان في ذلك الزمان رجل فاجراً معه تقي يتبع النساء فظنت مريم أن ذلك المشاهد هو ذلك التقي فن ذلك تعوذت منه وخصت الرحمن بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه (قال) لها جبريل (اغما أنا رسول ربك) الذي استعذت به (لا هب لك غملاً مازيكاً) أي لا كون سبباً في هبة ولد طاهر من الذنوب بالنفع في الدرع قرأ نافع وأبو عمر وليهب بيا مفتوحة بعد اللام أي ليهب الرب لك ولداً ذكراً متريماً من سن إلى سن على الخير (قالت) مريم لجبريل (أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر) أي من أين يكون لي ولد كما وصفت والحال أنه لم يباشرنى رجل بنسكاح (ولم ألبغياً) أي فاجرة تبغى الرجال (قال) لها جبريل (كذلك) أي الأمر كما قلت لك (قال ربك) الذي أرسلني إليك (هو) أي هبة الولد من غير أن يمسك بشراً أصلاً (على) خاصة (هين) وإن كان مستحياً لإعادة لاني لا أحتاج إلى الوسائط (ولجعلله) أي وهب الولد من غير أب (آية للناس) أي برهاناً لهم يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك وبهذا تمام الأنواع الأربعة في خلق البشر فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر وأنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية البشر من ذكر وأنثى معا (ورحمته) عظيمة كائنة (منا) عليهم يهتدون بهدايته (وكان) أي خلق الولد بلا أب (أمرامقضيها) أي لا يتغير فلو لم يقع لا تقلب علم الله جهلاً وهو محال وجميع المحكمات المنتهية في سلسلة القضاء إلى واجب الوجود وإذا كان الأمر كذلك فلا فائدة في الحزن وهو ذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب (لحملة) أي فنفع جبريل في طوق قيمتها نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها لحملة في الحال (فانتبذت به) أي فاعتزلت وهو في بطنها (مكاناً قصياً) أي بعيداً من الناس قال وهب إن مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان يوسف ومريم يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم في أهل زمانهما أحد أشد عبادة منهما وأول من علم حمل مريم هو يوسف فتخبر في أمرها فكما أراد أن ينمها ذلك كرمها وادعائها لم تغب عنه ساعة قط وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانها فغلبني ذلك فرأيت أن أتكلم فيه أشقى لصدرى فقالت قل قولاً جميلاً قال أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذور وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذور وهذا البذر أعما حصل من الزرع الذي أنبت من غير بذور ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعدما خلق كل واحد منهما على حدة أو تقول إن الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على أنباتها فقال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول إن الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون

فقال له مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وأمر أنه من غير ذكرك ولا أنثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فخرجت أقصى الدار (فأجاءها المخاض) أي فالحاء واجمع الولادة (إلى جذع النخلة) أي إلى أصل نخلة يابسة لا رأس لها وكان الوقت شتاء شديدا بالبرد فلما اعتمدت عليه بصدرها اخضر وأطلع الجريد والحوص والنمر رطباً في وقت واحد كما أن حمل عيسى وتصويره وولادته في وقت واحد وكان الله أرشد ها إلى النخلة ليريهام من آياته ما يسكن روعتها ولا يطعمها الرطب الذي هو أشد الأشياء موافقة لنفسه فهو خرسة لها ولأن النخلة من أقل الأشجار صبراً على البرد ولأنها لا تنفر إلا عند اللقاح من ذكر النخل وإذا قطعت رأسها ماتت فكأنه تعالى قال كما أن الانثى لا تلد إلا مع الذكر فكذا النخلة لا تنثر إلا عند اللقاح ثم إنى أظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر فحملها بمجردها أنسب شيء باتيانها بولد من غير والد (قالت) لما خافت أن يظن بها السوء في دينها فيقع في المعصية من يتكلم فيها وهي راضية بما بشرها به جبريل (يا) أي أنبهك يا مخاطب (ليتني) متقبل (هذا) الوقت الذي فيه الأمر العظيم وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي مت بكسر الميم والباقون بالضم (وكنتم نسياً) أي شيئاً فها لا يعتد به أصلاً نكرة الطمث ونحوها وقرأ حفص وحزرة وابن وثاب والاعمش بفتح النون والباقون بالكسر وقرأ محمد بن كعب القرظي نساء بالهمز مزوبهم ما وهو الحليب المخلوط بالماء الكثير ينسأ أهله لقلته واستهلاكه في الماء (منسياً) أي متروكاً لم يذكربالبال وهو نعت للبالغه وهذا جرى على عادة الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم فانهم يقولون مثل ذلك كما روى عن أبي بكر أنه نظر إلى طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجرة وتأكل من الثمر وددت أني غرة ينقرها الطائر وعن عمر أنه أخذ تبنة من الأرض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم أك شيئاً وعن علي أنه قال يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال أنه قال ليت بلال لم تلده أمه وقرأ الاعمش منسياً بكسر الميم اتباعاً للسین (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك مرياً) وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي عن الجارة أي فناداها جبريل من مكان أسفل منها تحت الأكمة أي لا تحزني يا مريم على ولادة عيسى قد جعل ربك مكان أسفل منك أو قريب منك نهر صغيراً أو انساناً صغيراً حليماً لا ويدل على ذلك قراءة ابن عيسى فناداها ملك من تحتها ويقال فناداها المولود كأنهما من تحت ذيلها أي لا تحزني يا أمي قد جعل ربك تحتك جد ولا يجري ويسلك بأمرك أو نبيا من تفع القدر وقرأ الباقر عن الموصولة وقرأ زر وعلقمة نحاطبها من تحتها بفتح الميم أي فناداها عيسى الذي كان تحت ذيلها أي لا تحزني قد جعل ربك تحتك رئيساً عزيزاً لا يكاد يوحده ذليلاً أو جدولاً بضرب جبريل الأرض برجله ويقال فناداها جبريل من تحتها يقبل الولد كالتقابلة أو من تحت النخلة بأن لا تحزني قد جعل ربك قربك عين ماء عذب تعظيماً لشأنك فار الله تعالى أرسل جبريل إليهم ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل إليها في أول الأمر ليكون ذلك تذكرة لها ما تقدم من أصناف البشارات أو يقال إن الله تعالى أنطق عيسى لها حين وضعته تطمينا لقلبها وإزالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الأمر ما بشرها به جبريل من علوش أن ذلك الولد كما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما إن عيسى عليه السلام لولم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق فما كانت تشير إلى عيسى بالكلام وحمل فاعل نادى إلى عيسى أقرب (وهزى اليك بجذع النخلة) أي حركي أصل النخلة تحريكاً عنيفاً إلى جهتك (تساقط عليه) أي تسقط النخلة عليه لانهقاط متواتراً بحسب تواتر الهزى

(رطباً جنياً) أي طرياً استحق أن يجنى وقرأ حمزة بفتح التاء والسين مخففة وفتح القاف وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف والباقون بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف (فكلى واشرب) أي فكلى من الرطب واشرب من النهر أو كلى من الرطب واشرب من عصيره (وقرى عيناً) أي طيبي نفساً بولدك عيسى فالعين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره وإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال للمحبوب قرة العين وللمكرور مخنة العين) فأما ترين من البشر أحدًا فقولي إنى نذرت لرحمن صوما فلن أكلم اليوم أنبياء) أي فإن ترى يا مريم أحدًا من الآدميين فيسألك عن ولدك فقولي له إن استنطقك إنى نذرت للرحمن صمتاً فلن أكلم اليوم آدمياً بعد أن أخبرتك بنذري راغماً كالملائكة وأناجي ربي وأغما منعت مريم من الكلام ليكون عيسى المتكلم عنها فيكون أقوى لجهتها في إزالة التهمة عنها ولما كراهته بمجادلة السفهاء (فأتت به قومها تحمله) أي فجاءتهم مع ولدها عيسى حاملة له وهو ابن أربعين يوماً روى عن ابن عباس أن يوسف انتهى بريم إلى غار فأدخلها فيه أربعين يوماً حتى طهرت من النفاس ثم حملته إلى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماء أبشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعهما الصبي بكرهوا حزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا) مؤذنين (لها يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) أي لقد فعلت شيئاً منكراً عظيماً (يا أخت هرون) أي يا شقيقة هرون في العباداة وكان هرون هذار جلاص الحامن أفضل الناس من بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح ربه ذالمات تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسهون هرون تبركابه وباسمه والمراد أنك يا مريم كنت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا (ما كان أبوك أسوأ) أي ما كان أبوك عمران رجلاً زانياً (وما كانت أمك أحسن امرأة فاجرة) فأشارت (بريم) إليه) أي إلى عيسى أن كلموه (قالوا) منكرين لجوابها (كيف نكلم من كان في المهد) أي في الجحر أو في السرير (صبياً) أي صغيراً ابن أربعين يوماً روى) أن عيسى كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وانكأ على يساره وأشار بسبابه عيمه فتكلم عيسى (قال إنني عبد الله) وإنما نص عيسى على إثبات عبودية نفسه لأن إزالة التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم لأن الله تعالى لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية أما التكم بأزالة التهمة عن الأم لا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى وقد وصف عيسى عليه السلام نفسه بصفات ثمانية أولها العبودية فاعترف بها لا يتخذوها لها ولا آخرها تأمين الله في أخوف المقامات وكل هذه الصفات تقتضي تبرقاً أمه (آتاني الكتاب) أي علمني التوراة والإنجيل في بطن أمي (وجعلني نبياً) بعد الخروج من بطن أمي (وجعلني مباركاً) أي نفاعاً مع علم الفير (أي كما كنت) أي في أي مكان كنت روى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت مريم عيسى إلى الكتاب فقالت للعالم أدفعه عليك على أن لا تضربه فقال له المعلم اكتب فقال أي شيء أكتب فقال اكتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري ما أبجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني إن كنت لا تدري فأسألك فإني أعلمك (الآل من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من آداء الحق إلى الله) (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني بأقامة العبودية وتطهير النفس عن الصفات الذميمة (مادت حياً) في الدنيا ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه عليه السلام لأنه لا شأن في أن من يعبد الهاليس باله والله تعالى صيره حين انفصل عن أمه عاقلاً (وبرأوا الذي) أي وكافني برأىي وهذا إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأموراً بتعظيمها (ولم يجعلني جباراً) أي متعظماً (شقياً)

أى عاصي الله عن مبداه لفرط التكبر بل جعلني متواضعا وكان من تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر
 ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا وروى أن عيسى عليه السلام قال قلابي لين وأنا صغير في نفسي
 (والسلام على) أى الامان من الله على (يوم ولدت) أى حين ولدت من لمزة الشيطان (ويوم أموت)
 أى حين أموت من ضغطة القبر (ويوم أبعث) من القبر (حيا) وأغاص هذه المواضع لتكونها
 أخوف من غيرها (ذلك عيسى بن مريم قول الحق) أى عيسى بن مريم كلمة الله فالحق اسم الله أو المعنى
 خبر عيسى ابن مريم خبر الحق فعيسى عطف ببيان وقرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب على المدح ان
 فسر بكلمة الله حينئذ الوقوف في مريم وقف كاف وان فسر بانقول الصدق كان مصدرا مؤكدا لقال اني
 عبد الله فعيسى خبر المبتدأ وعلى قراءة النصب كان اسم الإشارة راجعا لمن بينت نعوته الجميلة (الذي
 فيه) أى في عيسى (يعترون) أى يتنازعون فيقول اليهود هو ساحر ويقول بعض النصارى هو ابن الله
 ويقول بعضهم هو الله ويقول بعضهم هو شريكه (ما كان الله) أى ما صح له تعالى (أن يتخذ من ولد)
 لانه يلزم من اتخاذه ولدا الحاجة وهونقص (سبحانه) أى تنزه الله عن ذلك (اذ قضى أمرا فاعا
 يقول له كن فيكون) أى اذا أراد الله أن يحدث أمرا من الامور فاعاير يده ويلحق قدرته به فيكون
 حينئذ بلا تأخير وقرأ ابن عامر بنصب يكون على الجواب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) قرأ ابن
 عامر والكوفيون بكسر ان عطف على قوله اني عبد الله أو على الاستثنا في ويؤيده ما قرأه أبى ان الله
 بالكسر يغيروا وقرأ أبو عمرو والمدنيون بالفتح على حذف حرف الجر متعلقا بما بعده أى ولان الله
 أو بسبب انه تعالى ربى وربكم فاعبدوه (هذا) التوحيد ونفى الولد والوجه الذى أمر تكلم به (صراط
 مستقيم) يوصل الى الجنة ورضا الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف النصارى في
 شأن عيسى عليه السلام بعد رفعه الى السماء فخرج كل قوم عالمهم فخرج منهم أربعة نفر فقال أحدهم
 هو الله تعالى هبط الى الارض فأحيانا من أحياء وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعاقبية
 فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان
 كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله وهو اله وأمه اله وهم الاسرائيلية
 ملوك النصارى ولذلك هو امل كانية فقال الرابع كذبت بل هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمة فخصمهم
 وقال أما تعلمون أن عيسى كان يطعم وينام وأن الله تعالى لا يجوز عليه ذلك وهم المسلمون وكان لكل
 رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا وغلوا على المسلمين فذلك قول الله تعالى ويقتلون الذين يأمرون
 بالقسط من الناس فصاروا أحزابا وذلك قوله تعالى فاختلف الأحزاب من بينهم فاختلفوا فيه وهذا معنى
 قوله تعالى الذى فيه يعترون (فويل) أى فشدّة عذاب (للذين كفروا) أى اختلفوا في شأن عيسى
 (من مشهد يوم عظيم) أى من حضور هول الحساب والجزاء يوم القيامة أو من مكان الحضور في الحساب
 وهو الموقف أو من وقت حضوره أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو شهادة الملائكة والانبياء وشهادة
 ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاحمال أو من وقت شهادة يوم عظيم الهول أو من مكانها (أسمع
 بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى أن أسمعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء جدير بأن يتعجب منهما
 بعدما كانوا صاهيا وهما في الدنيا (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أى لكن الكافرون في
 الدنيا في ضلال مبين حيث تركوا النظر بالكلية وهم في الآخرة يعرفون الحق (وانذرهم) أى خوف
 يا أشرف الخلق كفار مكة (يوم الحسرة) أى يوم الندامة (اذ قضى الامر) أى فرغ من الحساب

ببيان أمر الثواب والعقاب فيندم في ذلك اليوم الناس المسمى على اساءته في الدنيا والمحسن على قلة
 احسانه فيها روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى اذ قضى الأمر فقال حين يجاء
 بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظران فينادى المنادى يا أهل الجنة خلود فلاموت
 ويا أهل النار خلود فلاموت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرح وأهل النار غم إلى غم واذ بدل من يوم الحسرة
 أو ظرف الحسرة ويوم الحسرة مفعول به أي خوفهم نفس ذلك اليوم (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) أي
 أنذرهم في حال كونهم في جهلة عن ذلك اليوم وفي حال كونهم لا يصدقون به (انا نحن نرتل الأرض ومن
 عليها) أي انا لان دع في الأرض شيئاً من عاقل وغيره ونسلب جميع ما في أيديهم (والينا يرجعون) أي
 والى حكمنا يردون للجزاء وهذا تخويف عظيم للعصاة (واذ كرفى الكتاب ابراهيم) أي وائل على كفار
 مكة قصة ابراهيم في هذه السورة فانهم ينتسبون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يتركون ما هم
 فيه من القبائح (انه كان صديقاً) أي بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله (نبيا) رفيع القدر
 عند الله وعند الناس فلا رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لا ييه) آزر
 متلطفاً في الدعوة (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) تناءك عليه (ولا يبصر) خشوعك بين يديه (ولا يغنى
 عنك شيئاً) أي ولا يقدر على أن يكفيل شيئاً من جلب نفع أو دفع ضرر (يا أبت اني قد جاءني من الله
 من العلم) أي علم الوحي (مالم يأتك) منه (فاتبعني) بالتوجه الى الله (أهدك صراطاً سوياً)
 أي طريقاً موصلاً الى أسنى المطالب منجياً عن المعاطب (يا أبت لا تعبد الشيطان) فان عبادتك
 للأصنام عبادة له اذ هو الذي يرزئها لك بوسوسته (ان الشيطان كان للرحمن عصياً) فطاعة العاصي
 عصيان والعصيان يوجب العذاب (يا أبت اني أخاف أن يسلك عذاب من الرحمن) ان لم تؤمن به
 (فتكون للشيطان ولياً) أي قريناً في العذاب روى عن أبي هريرة أنه قال قال صلى الله
 عليه وسلم لم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليف لي لحسن خلقك ولومع الكبر اترد خيل
 مداخل الاربار فان كلتي سمعت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشى وأن أسكنه حظيرة
 قدمي وان أدنيه من جوارى (قال) آزر (أراغب أنت عن آلهتي) أي أمعرض أنت عن آلهتي
 (يا ابراهيم) انكر آزر نفس الانصراف عن الأصنام مع نوع من التهيب كأن الانصراف عنها مما
 لا يصدر من العاقل (ان لم تنته) عن مقاتلتك هذا (لأرحمك) أي لا قتلتك أي لاظهرن أمرك
 للناس ليقتلوك وهذا تهديد مما كان ابراهيم عليه من العظة (واهجري ملياً) أي تباعد عني لكي
 لا أراك زماناً طويلاً (قال) ابراهيم (سلام عليك) وهذا نودع ومشاركة أي لا أشافهك بما يؤذي بعد
 (سأستغفر لك رب) أي أدعوك ربك أن يهديك الى الايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر طلب التوفيق
 للايمان المؤدى للغفرة (انه كان نبياً حقياً) أي بليغاً في البر والالطاف (وأعترلكم وما تدعون من دون
 الله) أي وأترككم وما تعبدون من الأصنام بالارتحال من بلادكم (وأدعوربي) أي أعبد ووحده
 (عسى أن لا أكون بدعاً رب) أي بعبادته (شقياً) أي ضائع العمل كما ضاع عملكم بعبادة
 الاوثان فأرتحل سيدنا ابراهيم من كوثنا الى الأرض المقدسة (فلما اعترلهم وما يعبدون من دون الله) أي
 فلما فارقه ابراهيم في المكان في طريقتهم من عبادة الاوثان وأبعد عنهم الى الأرض المقدسة
 والتشاغل بالعبادة (وهبنا له اسحق ويعقوب) يأنس به - ما لانه عاش حتى رأى يعقوب (وكللاً)
 أي كل واحد منهم (جعلنا نبياً) ينبئهم الله تعالى به - لوم المعارف وهم ينبؤن الخلق بالله وبالاسلام

(ووهبنا)

(وهبناهم من رحمتنا) المال والجواهر والاتباع والذرية الطيبة (وجعلناهم لسان صدق عليا) أي جعلناهم ثناء صادقاً يفتخر بهم الناس واثنون عليهم ويذكرونهم الامم كلها الى يوم القيامة بما لهم من الخصال المرضية وتقول هذه الامة في الصلوات الخمس كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم الى قيام الساعة (واذ كرفي الكتاب موسى انه كان مخلصاً) قرأه عاصم وحزق والكسائي بفتح اللام أي معصوماً من الانسان اخذ الله تعالى والباقون بالكسر أي مخلصاً للعبادة عن الرياء وانفسه مما سوى الله (وكان رسولاً) الى بني اسرائيل والقبط (نبيا) يخبرهم عن الله تعالى (ونادى نادم من جانب الطور الايمن) أي الذي يلي عين موسى والطور جبل بين مصر ومدين وذلك حين توجه من مدين الى مصر أي تمثل له الكلام من تلك الجهة يقول يا موسى اني أنا الله (وقربنا نجيا) أي مناجيا أي رفعنا قدره وشرفناه بالمناجاة بأن اسمعه الله تعالى كلامه بلا واسطة وقيل دفعناه مكانا طائفا فوق السموات حتى هم صرير القلم حيث كتبت التوراة في الألواح (وهبنا له من رحمتنا) أخاه (هرون نبيا) أي وجعلنا أخاه هرون نبيا من أجل رأفته له ليعرف وزيره ومعينه في تبليغ الرسالة وهذا إشارة الى أن النبوة ليست كسبية بل هي من مواهب الله تعالى يجب لمن يشاء النبوة والرسالة وإشارة الى أن موسى اختصا بالقرية والقبول عند الله تعالى حتى يجب أخاه هرون النبوة والرسالة بشفاعته كما يجب الانبياء والرسول بشفاعته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابراهيم عليه السلام (واذ كرفي الكتاب اسمعيل انه كان صادقا الوعد) فكان اذا وعد الناس بشيء أنجز وعده روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام وعد صاحباه أن ينتظرا في مكان فانتظرا سنة وقد وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفي به (وكان رسولاً) الى جرحهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا في وادي مكة بشريعة أبيه فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعته (نبيا) يخبر عن الله (وكان يأمر أهله) أي قومه (بالصلاة والزكاة) أي الصدقات الواجبة (وكان عند ربه مرضيا) أي فائزا في كل طاعته بأعلى الدرجات (واذ كرفي الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد أبي نوح (انه كان صديقا) أي ملازما للصدق في جميع أحواله (نبيا) وهذا مخصص للخبر الأول اذ ليس كل صديق نبيا (ورفعناه مكانا عليا) وهو السماء الرابعة وكان سبب رفعه اليها أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقاى ارب اني قدم شيت فيها يوما فأصابني منها ما أصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدی ادريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبتة قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فأذن الله تعالى له حتى أتى ادريس ورفعته الى السماء (أولئك) العشرة المذكورون في هذه السورة (الذين أنعم الله عليهم) بفنون النعم الدينية والدنيوية (من النبيين من ذرية آدم) وهو ادريس (وعن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من مع نوح في السفينة وهو ابراهيم فانه من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية يعقوب وهم يوسف واخوته رموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (وعن هدينا) أي ومن جملة من هديناهم الى الحق (واجتبينا) أي اصطفينا هم للاسلام كعبدان بن سلام وأصحابه واسم الموصول خبر اسم الإشارة ومن النبيين بيان للوصول ومن ذرية بدل باعادة الجار ومن للتبعض (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن) وهي ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم (خروا سجدا وبكيا) من مخافة الله تعالى

قال العلماء ينبغي أن يدعو الساجد للتلاوة في مجده بما يليق بآياتها فهو هنا يقول اللهم اجعلني من عبادك
المذموم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من
الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل العجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك
المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك (تخلف من بعدهم خلف) أي حدث
من بعد النبيين جماعة سوء ويقال لعقب الحبر خلفه ففتح الهمزة ولعقب الشر خلف بالسكون (أضاعوا
الصلاة) أي تركوها (واتبعوا الشهوات) قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة
المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الأب وعن علي رضي الله عنه هم من بنى المشيد
وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) أي وادي في جهنم بعيد قعره تستعبد منه أوديتها عدد
للزناة وشربة الخمر وشهاد الزور وأكلت الريار العاقين لو لديهم (الامن تاب وآمن وعمل صالحا أولئك)
أي من اتصف بهذه الامور الثلاثة (يدخلون الجنة ولا يظلمون) أي لا ينقصون من جزاء أعمالهم (شيئا)
وتوقف الاجر على العمل الصالح هو الغالب لانه لا تتناط الاحكام الا بالاعم الاغلب ولا تتناط بالنادرة كمن
تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو وجد الحيض فانه لا يجب عليه العمل قبل وجود سببه وشرطه
فلومات في ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع انه لم يصدر عنه عمل صالح من صلاة وزكاة وصوم وعلى هذا
لا يتوقف الاجر على وجود العمل الصالح (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) حال من المفعول
أي وهم غائبون عنها الا برزها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه تعالى أي وعدهم بها وهم في الدنيا ومن في
الدنيا لا يشاهدونها (انه) تعالى أو ان الشأن (كان وعده) تعالى (مأتيا) أي مفعولا بجزاء أي الوعد منه
تعالى لا بد من وقوعه فهو وان كان بامر غائب فكأنه حاضرا مشاهدا (لا يسمعون فيها) أي الجنة (لغوا) أي
فضول كلام لا فائدة فيه (الاسلاما) من بعضهم على بعض أو من الملائكة عليهم فان معنى السلام هو الدعاء
بالسلامة فأهل الجنة لا يحتاجون الى هذا الدعاء لانهم في دار السلام فهذا من فضول الحديث لولا ما فيه من
فائدة لا كرام (ولهم رزقهم فيها) أي طعامهم في الجنة (بكرة وعشيا) أي لهم رزق واسع ودائم فلمهم
ما يشتهون متى شاؤا اذ لا ليل فيها ولا بكرة ولا عشي وانما ذكرهما بالبرغب كل قوم بما أحبه لانه لا شيء
أحب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك ولذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولباس الحرير التي
كانت عادة النعم والارائك التي هي المجال المضروبة على الاسرة وهي كانت من عادة أشرف العرب في
اليمن (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) من الكفراى هذه الجنة التي عظم شأنها تعطى لها من
أطاعنا عطاء لا يرد كاليراث الذي يأخذ الوارث فلا يرجع فيه المورث (وما ننزل الا بأمر ربك)
قيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله في أمر الروح وأصحاب الكهف
وذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل
بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساءني واشتقت اليك فقال له جبريل
اني كنت أشوق ولكنني عبيد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وما ننزل
الا بأمر ربك حكاية قول جبريل أمره الله تعالى أن يقول له الحمد جوابا لسؤاله بقوله يا جبريل ما يمنعك
أن تزورنا أكثر مما تزورنا المعنى وما ننزل من السماء وقتنا غيب وقت الا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه
حكمته (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي لربك ما قد آمننا وما خلفنا من الجهات وما نحن فيه
فلا تنتقل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان الا بأمره ومشيتته فليس لنا أن ننتقل من السماء الى

الارض الابامره (وما كان ربك نسيا) اى تاركالا بتاخير الوحي عنك فعدم النزول لعدم الامر به الحكمة
بالغة فيه وقال أبو مسلم ويجوز ان يكون قوله تعالى وما تنتزل الابامر ربك حكاية قول أهل الجنة حين
يدخلونها والمعنى وما تنتزل الجنة الابامر الله تعالى واطفئه ما بين أيدينا فى الجنة عما يكون مستقبلا وما
خلقناهما كان فى الدنيا وما بين ذلك فيما نحن فيه عما بين الوقتين وقوله تعالى وما كان ربك نسيا ابتداء كلام
من الله تعالى تقرير لقولهم اى وما كان الله ناسيا لاهمال العاملين وللثواب عليها بما وعدهم لانه عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة (رب السموات والارض وما بينهما) فلا يجوز زعمه النسيان وهو يدل من ربك أو
خير مبتداه ضمراى هو (فاعبدوه) يا أكرم الرسل (واصطبر لعبادته) وعدى الاصطبار باللام لان العبادة
جعلت بمعنى القرن ففيه معنى الثبات لان العبادة ذات شدة دائمة ومشاق فكأنه قيل أثبت لعبادة الرب ولا
يضق صدرك من قول الكافرين لك (هل تعلمه) اى للرب (سميا) اى نظيرا فيما يقتضى العبادة من كونه
منعما باصول النعم وقروها وشربك فى الاسم الخاص كرب السموات والارض وما بينهما ما وكاله وعن ابن
عباس رضى الله عنه ما لا يسمى بالرحمن غيره تعالى (ويقول الانسان) أبى بن خلف الجمعى بطريق
الانكار والاستبعاد فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمدانا نبعت بعد ما غوت ونصير الى هذه الحال
أو وليد بن المغيرة أو أمية بن خلف (أنذا مات لسوف آخر حيا) اى أبعث من الارض (أولا يذكر
الانسان) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب بسكون المذال وضم الكافى اى يقول المجترئ
بهذا الانكار على ربه ولا يتفكر (أنا خلقناه من قبل) اى من قبل الحالة التى هو فيها من نطقة منتنة ولم يك
شيا) اى والحال انه لم يكن حينئذ شيا أصلا اى أولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل أحد يعلم أنه لم يكن حيا
فى الدنيا ثم صار حيا فيها (فوربك لنحشرنهم) اى لنجمعن القائلين بعدم البعث بالسوق الى المحشر بعد
ما أخرجناهم من الارض أحياء (والشياطين) روى ان كل كافر يحشر مع شيطانه الذى يضل فى سلكه
(ثم لنحشرنهم) بعد طول الوقوف فى المحشر (حول جهنم جثيا) اى باركن على الركب لما يداهمهم
من شدة الامر الذى لا يطيقون معه القيام على أرجلهم (ثم لننزعن من كل شيعة) اى من كل
أمة تبعت ديننا من الاديان (أيهم أشد على الرحمن عتيا) اى جراءة اى فمن كان أشد هم تمرداى
كفره خص بعذاب أعظم لان عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق من يضل تبعالغيره وليس
عذاب من يتجبر كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبهة فى الباطل كعذاب من يقتدى به مع
الفطنة (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) اى أحق بجهنم (صليا) اى دخولا فنبتأهم (وان منكم الا
واردها) اى ما منكم أيها الانسان أحد الا حاضر قرب جهنم ويعربها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم
وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قدر ودتها وهى خامدة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
لا يدخل النار أحد شهد بدر او الحديبية فقال حفصة أليس الله يقول وان منكم الا واردها فقال صلى
الله عليه وسلم فممن نخبي الذين اتقوا اى نبعدهم عن عذاب جهنم وقيل وروى وجهنم هو الجواز على
الصراط المدود عليها وقيل الورد والدخول فالمؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر البتة بل مع
الغبطة والسرور (كان على ربك حتما مقضيا) اى كان وروى وروى اياها أمر محتوما أرجبه الله تعالى
على ذاته (ثم نخبي الذين اتقوا) من الكفر والمعاصى اى نخرجهم منها فلا يخلدون بعد أن أدخلوا فيها
واغادخلوا لهم فيها ليشاهدوا العذاب ليعصروا ذلك سببا للمزيد التذادهم بنعيم الجنة (وقر الظالمين)

بالكفر والمعاصي (فيها) أي جهنم (جنيا) أي منها رايهم (وإذا تتلى عليهم) أي المشركون (آياتنا) لناطقة
 بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة (بينات) أي مرئيات الالفاظ مبيّنات المعاني (قال الذين كفروا)
 أي مردوا منهم على الكفر ومرتوا على العناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه الفجرة (للذين آمنوا) أي
 لفقراء المؤمنين الذين هم في خشونة عيش ورثاة ثياب وضيق منزل واللام للتبليغ لأنهم شافوها المؤمنين
 وناطبوهم بقره ولهم (أي الفريقين) أي المؤمنين والكافرين (خير مقاما) أي منزلا وقرأ ابن كثير بضم الميم
 (وأحسن نديا) أي مجلسا أي أنتم أو أنتم روى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون
 ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يدعون فقراء المؤمنين ويقولون مفتخرين عليهم انظروا إلى منازلنا فتروها
 أحسن من منازلكم وانظروا إلى مجلسنا عند التحدث ومجلسكم فتر وانجلس في صدر المجلس وأنتم في
 طرفه الحقير فإذا كناه هذه المثابة وأنتم بتلك فحق عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لا كرمكم هذه
 الامور كما كرمناهم والمعنى أنهم لما هموا بالآيات بينات الإعجاز وعجزوا عن معارضتها شرعوا في
 الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي كثيرا
 أهلكنا بقنون العذاب قبل هؤلاء القريش من أمم عاتية كعاد وثمود وأمثالهم (هم أحسن) من هؤلاء
 (ثامنا) أي أمتعة (ورثيا) أي منظر أي فهم أفضل من هؤلاء فيما يغفرون به ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم
 علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا أي لأن ما أنتم أيها الكفار فيه من النعم محض استدراج لم ينفعكم الترفه شيئا
 عند نزول البلاء بكم كما وقع للامم الماضية حيث كانوا في رفاهية أكثر منكم ومع ذلك أهلكهم الله بكفرهم
 ولم ينفعهم الترفه شيئا (قل) يا أشرف الرسل هؤلاء المفتخرين بما لهم من حظوظ (من كان في الضلالة
 فليمدده الرحمن مدا) وهذا الأمر يعني الخبير أي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل
 والغفلة عن عواقب الأمور فيمهلها الله بطول العمر وبسط المال وانفاقه فيما يستلذه من الأوزار
 ولا يزال يعدله استدراجا وقطعا للعاذير يوم القيامة (حتى إذا رآوا ما يوعدون) من الله تعالى (أما
 العذاب) الذي يلقى بغلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأمرأ (وأما الساعة) أي ما نالهم
 يوم القيامة من الخزي والنكال (فسيعلمون) حيثئذ (من هو شرمكانا) أي منزلا من الفريقين
 (وأضعف جندا) أي أقل ناصرا أنهم أم المؤمنين وهذا لما كانوا يزعمون أن لهم أنصارا
 من الأخيار ويفتخرون بذلك في المحافل (ويزي الله الذين اعتدوا) بالآيمان (هدى) أي
 بالاخلاص وبالعبادات المتفرعة على الآيمان وبالثواب على ذلك الآيمان (والباقيات الصالحات) أي
 الطاعات التي تبقى فوائدها (خير عند ربك ثوابا) أي فائدة مما يقتضيه الكفرة من النعم الفانية التي
 يفخرون بها (وخير مردا) أي عاقبة (أفرايت الذي كفر بآياتنا) الناطقة بالبعث وهو العاص
 ابن وائل السهمي (وقال) لحباب بن الارت (لأوتين) في الآخرة (مالا وولدا) نزلت هذه الآية في شأن
 العاص بن وائل عن حباب قال كان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أقتضيه فقال لي لن أقتضيك حتى
 تكفر بمحمد فقلت لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث قال واني لمبعوث من بعد الموت قلت نعم قال اني اذا بعثت
 وجئتني فسيكون لي ثم مال وولدا فأعطيت وقرأ حمزة والكسائي وولدا بضم الواو وسكون اللام وقيل صاغ
 حباب للعاص حليا فطلب الأجر فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وان في الجنة ذهباً وفضة وحريرا فأنا
 أقتضيك ثم فاني أوت مالا وولدا حيثئذ فأجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى (أطلع الغيب) أي
 أعلم الغيب وأن يعطى ما قاله أو أقدر بلغ من عظمة الشأن إلى ان ارتقى إلى علم الغيب الذي انفرد الله به حتى

ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) بأن يؤتى ما قاله وقيل
المعنى أنظر في اللوح المحفوظ أن له ما يقول أم اعتقد وحده الله بكلمة الشهادة فيكون له ما يقول وعن قتادة
هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول (كلا) ردع له عن التفوه بتلك الكلمة الشنيعة وتنبية
على خطئه أي لا يكون له ما يقول (سنكتب ما تقول) أي سنظهر له أنا كتبنا قوله ونؤاخذ به (وغدله
من العذاب مدا) أي نطوّل له من العذاب ما يستحقه ونضاعف له لكفره واقتراه على الله تعالى
واستهزائه بآياته (ونرثه ما يقول) أي ننزع ما أتينا به بعونه وفخره ما عناه في الآخرة من مال وولد ونجعل له
لغيره من المسلمين (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا يصحبه مال ولا ولد ولا عشيرة ولا خير (واتخذوا
من دون الله آلهة) أي اتخذ كفار قريش الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزا) أي
ليكون الأصنام مانعين لهم من عذاب الله (كلا) أي لا مانع من عذابهم فلا يعتقدوا أن الأصنام شفعا
لهم عنده تعالى (سيكفرون بعبادتهم) أي سيجحد الأصنام بعبادتهم لها بأن ينطقها الله تعالى
وتقول ما عبدتمونا (ويكونون عليهم) أي تكون الأوثان التي كانوا يرجون أن تكون لهم منعة
من العذاب (ضدا) أي أعداء وأعوانا بالعذاب فانهم وقود النار ولا نهم عذبوا بسبب عبادتها (ألم
ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) أي ألم تنظر يا أشرف الرسل أناسا طنا الشياطين على
الكافرين تهيجهم على المعاصي تهيجها شديدا بأنواع الوسوس (فلا تهمل عليهم) بطلب هلاكهم
حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم (انما نعد لهم عدا) فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم
الأيام محصورة وأنفاس معدودة فنضبط عليهم ما يقع منهم حتى نؤاخذهم به ولا نهم له (يوم نقهر
المتقين) بإيمانهم (إلى الرحمن) أي إلى محل كرامتهم الذي يغفرهم برحمته الواسعة (وفدا) أي
وافدين على ربهم منتظرين لكرامتهم وانعامهم فبعضهم كانوا ركبنا على نجائب سرجهما من ياقوت وعلى
نوق رحالهما من ذهب وأزمتها من زبرجد من أذل خروجهما من القبور أو من منصرفهم من الموقف حتى
يقرعون باب الجنة (ونسوق المجرمين) بكفرهم ومعاصيهم (إلى جهنم وردا) أي عطاياها بانه
كانهم نعم عطايا تساق إلى الماء (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أي لا يستحق
هؤلاء المجرمين أن يشفع لهم غيرهم إلا من اتخذ كلمة الشهادة بالتوحيد والنبوة ولو كانوا أهل الكبار
وروى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيهزأ أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء
عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب
والشهادة إني أعهد إليك بأنني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وإن محمدا عبدك ورسولك فأنك
إن تسكنني إلى نفسي تقر بنبي من الشر وتبعدني من الخير وإني لا أفق إلا برحمتك فأجعل لي عهدا توفيني به
يوم القيامة إنك لا تتخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم
القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهدا فدخلوا الجنة (وقالوا) أي الكافرون (اتخذ
الرحمن ولدا) عزيزا والمسبح والملائكة (لقد جئتم شيئا أدا) أي لقد قلتم قولاً منكم أعظيما (تكاد
السموات يتفطرن) أي يتشققن (منه) أي من قولهم (وتنشق الأرض) أي ستخسف بهم (وتنخر
الجبال هدا) أي تسقط الجبال منطبقة عليهم (أن دعوا للرحمن ولدا) أي من نسبهم ولدا للرحمن
وهذا يدل من الهاء في منه قال ابن عباس فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين
وغضبت الملائكة حين قالوا لله ولد أي استعظما لكلمة وتهويلها من قضاعتها وتصويرها لآثرها في

الدين (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) لان الولد لا بد وأن يكون شبيها بالوالد ولا مشبهه الله تعالى ولأن اتخاذ الولد انما يكون لأجل سرور والديه واستعانتهم به وذك كرجيل به وكل ذلك لا يليق به تعالى محال عليه وهذه الجملة حال من فاعل قالوا ودعوا (ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا) أى ما من أحد فيهما الا مملوك له مقرله بالعبودية مطيع له غير الكافر (لقد أحصاهم) فلا يكاد يخرج منهم أحد من حيطه علمه وقبضة قدرته وما يكونه (وعدهم عدا) أى عدا شخصاهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شئ عنده بتقدير (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أى كل واحد منهم يحى الى الله وحيدا بلا مال ولا اتباع (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى سيحدث لهم في القلوب محبة من غير تعرض للأسباب من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك تخصيصا لا وليا فيهم هذه الكرامة كما قد في قلوب أعدائهم الرعب اعظاما لهم أى ان الله تعالى وعدهم أن يؤلف بين قلوبهم في الدنيا اذا ظهر الاسلام وان يحبهم الى خلقه يوم القيامة بما يظهر من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم على رؤس الاشهاد (فانما يسرناه) أى القرآن (بلسانك) أى أنزلنا بميسر بالغة (لتبشر به المتقين) بامتثال ما فيه من الأمر والنهي (وتنذره قوما لا) أى الذين يجادلون فيه بالباطل وهم كفار مكة (وكم أهلكتنا قبلهم من قرن) أى ترنا كثيرا أهلكتنا قبل هؤلاء المعاندين (قل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أى هل كوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر فلا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفي أى فكنا أهلكتنا أولئك نهلك هؤلاء وختم الله تعالى هذه السورة بعظة بليغة لانهم اذا تأملوا وعلموا انه لا بد من زوال الدنيا ومن الانتها الى الموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا أقرب الى الحذر من المعاصي

سورة طه مكية آياتها مائة وخمس وثلاثون وكلماتها ألف وثلاثمائة وأحد وأربعون
وحرفها خمسة آلاف ومائتان وثمان وأربعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعب بالمباغاة في محاور الطغاة وفورط التأسف على كفرهم أولئك نفسك بالعبادة وبكثرة الرياضة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الا تذكرة لمن يخشى) أى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولك أن تذكر لمن يسلم (تنزيلنا ممن خلق الارض والسموات العلى) منصوب على المدح والاختصاص أو منصوب بخشى مفعولا به أى أمدح تكليما من الله أو أنزل الله القرآن تذكرة لمن يخشى تكليم الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) أى الرحمن أوجد الكائنات ودبر أمرها فالاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك ويراد به ذا القول صار فلان ملكا وان لم يقد على السرير أصلا والمراد هنا بيان تعلق ارادته تعالى بإيجاد الكائنات وتدبير أمرها (له ما في السموات وما في الارض) سواء كان ما فيهما جزءا منهما أو حالا فيهما (وما بينهما) من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب أو كثيرا كالطير (وما تحت الثرى) أى والذي تحت الارض السابعة السفلى لان الارضين على ظهر الحوت والحوت على الماء والماء على صخرة خضرا لخضرة السماء منها والصخرة على قرني ثور والثور على الثرى وهو التراب الندى ولا يعلم ما تحته الا الله أى انه تعالى مالك لهذه الأقسام الاربعة تصرفا يحداد واعداد واهيا وامانة (وان تجهر بالقول) أى وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك (فانه يعلم السر وأخفى) أى

لانه يعلم ما أسرته الى غيرك في خفاء وما أخطرت به بالك من غير ان تتفوه به أصلا وهذا امانه
 عن الجهر واما ارشاد العباد الى أن الجهر ليس لاسماعه تعالى بل لغرض آخر كحضور القلب ودفع
 الشواغل والوسوسة (الله) أي ذلك الموصوف بصفات الكمال هو الله لا اله الا هو (لا اله الا هو)
 قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ملائكة قبل أن يخلق السموات والارض وهو يقول
 أشهد أن لا اله الا الله ما دأبها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فإذا أعياها أمرا ساقيل بالنفخ في
 الصور و قامت القيامة تعظيما لله عز وجل اه وينبغي لأهل لا اله الا الله أن يحصلوا أربعة أشياء حتى
 يكونوا من أهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم والخلاوة والحرية فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن
 ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الخلاوة فهو مرء ومن ليس له الحرية فهو فاجر (له الاسماء
 الحسنى) تحسن الاسماء لحسن معانيها (وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا) أي أليس قد أتاك
 خبر موسى حين رأى نارا روى أن موسى عليه السلام استاذن شعيبا في الرجوع الى والدته فأذن له
 فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما راى وادى طوى وهو بالجانب الغربي
 من الطور ولد له ابن في الطريق في ليلة شاتية مثلية وكانت ليلة الجمعة وقد حاد عن الطريق فقدح عليه
 السلام النار فلم تور المقدحة شيئا فيينما هو في فراولة ذلك اذ رأى نارا من بعيد على يسار الطريق من جانب
 الطور (فقال لاهله امكثوا) في مكانكم أي لا تتبعوني في الذهاب الى النار (اني آنست نارا) أي
 أبصرتها ابصارا بينا (لعل أنيكم منها بقبس) أي لعل أجيتكم من النار بشعلة مقتبسة من معظم
 النار (أو أجد على النار هدى) أي عند النار من يدلني على الطريق (فلما أتى النار رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء فوق متعجبين شدة ضوء تلك النار
 وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تعير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة
 ورأى نورا عظيما ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرت ساطعة في السماء واذا نور بين السماء
 والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودي (يا موسى اني أنا
 ربك) أي فلما نودي يا موسى أجاب مريعا فقال لبيك من المتكلم اني اسمع صوتك ولا أراك فأين أنت
 فقال تعالى أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغي ولا يكون الا من الله
 فأيقن به وسمع اليك بكل أجزائه حتى ان كل جارية منه كانت أذنا وسمعه من جميع الجهات (فاخبر
 نعليك) أمر عليه الصلاة والسلام بالخلع لان الحفوة تواضع لله وحسن أدب معه تعالى (انزل بالواد
 المقدس) أي المبارك (طوى) اسم الوادى أو اسم ثرى قد طويت بالحجر في ذلك الوادى الذى كانت
 فيه الشجرة قال أهل الإشارة والمراد بخلع النعلين ترك الالتفات الى الدنيا والآخرة كأنه تعالى أمره عليه
 السلام بأن يصير مستغرق القلب بالكلمة في معرفة الله تعالى ولا يلتفت بخاطره الى ما سواه تعالى والمراد
 من الوادى المقدس طهارة عزة الله تعالى وجلاله والمعنى أنك لما وصلت الى بحر المعرفة فلا تلتفت الى
 المخلوقات اه ويقال معنى طوى قد طوته الانبياء قبلك قال ابن عباس انه عليه السلام مر بذلك الوادى
 ليلافطوا فكان المعنى انك بالوادى المقدس الذى طويته طيما أى جاوزته حتى ارتفعت الى أعلاه وعلى
 هذا ان طوى مصدر خرج عن لفظه (وأنا اخترتك) للرسالة والكلام الذى خصصتك به وقرأ حمزة وأنا
 اخترناك بنون العظمة وبتشديد النون من أنا وبفتح الهمزة والكسر وقرأ أبي بن كعب واني اخترتك
 (فاستمع لما يوحى) أي فاستمع للذى يوحى اليك منى وقوله تعالى وأنا اخترتك يفيد نهاية اللطف
 والرحمة وقوله تعالى فاستمع يفيد نهاية الهيبة فكأنه تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له

واجعل كل خاطرك ممر و قال له فارسله الله تعالى في ذلك الوقت في ذلك المكان وكان عمره حينئذ أربعين سنة (اننى أنا الله) بدل ياموسى (لا اله الا أنا) وهذا اشارة للعقائد العقلية (فاعبدنى و قم الصلاة لذكرى) أى لتذكرنى في الصلاة لاشتغالها على كلامى أريد كرى اياك بالمدح والثناء أو لاخلص ذكرى لا تقصد بالصلاة غرضاً آخر وهذا اشارة للاعمال الفرعية (ان الساعة آتية) أى كائنة لا بد (أ كاد أخفيها) أى أكاد أظهرها أى قرب أظهارها ويؤيده قراءة فقع الهمزة أو المعنى أ كاد أنزل عنها الخفاء لان أ فعل قديم أى معنى السلب كقولك أشككت الكتاب أى أزلت أشكاله وهذا اشارة الى انعقائد السمعية وهذه الثلاثة جملة الدين فان أصول هذا الباب ترجع الى ثلاثة علم المبدأ وعلم الوسط وعلم الميعاد فعلم المبدأ هو معرفة الله تعالى وهو المراد بقوله تعالى اننى أنا الله لا اله الا أنا وعلم الوسط هو علم العبودية فقوله تعالى فاعبدنى اشارة الى الاعمال الجسمانية وقوله لذكرى بمعنى لتكون ذا كرى الى غير ناس اشارة الى الاعمال الروحانية فالعبودية أولها الاعمال الجسمانية وآخرها الاعمال الروحانية وعلم الميعاد هو قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها (لتجزى كل نفس) برة أو فاجرة (بما تسعى) أى بما تعمل من خير أو شر فقوله لتجزى متعلق بآتية أو بأخفيها (فلا يصدنك) أى فلا يصدنك يا موسى (عنها) أى عن ذكر الساعة (من لا يؤمن بها واتبع هواه) أى ميل نفسه الى انكار الساعة فان منكر البعث انما أنكره اتباعاً للهوى لا للدليل (فتردى) أى فتهلك بالنار فالتعالى راعى هذا الترتيب الحسن في هذا الباب لانه قال لموسى أولاً فاخلع نعليك وهو اشارة الى الامر بتطهير السر عما سوى الله تعالى ثم أمره بتحصيل ما يجب تحصيله من التكليف وافتتحها بمحض اللطف وهو قوله تعالى انى أنا الله واختتمها بمحض القهر وهو قوله تعالى فلا يصدنك عنها الآية تنبيه على أن رحمته سبقت غضبه و اشارة الى أن العبد لا بد له في العبودية من الرغبة والرغبة والرهبة والرجاء والخوف (وما تلك يمينك) أى وما تلك مأخوذة بيمينك (يا موسى) فقوله وما تلك اشارة الى العصا وقوله بيمينك اشارة الى اليد أراد الله تعالى بالسؤال أن يثبت قلب موسى ويرداده عليه حتى اذا قلب الله تعالى العصا ثعباناً يخافه ولا يعتريه شك وكذا اذا أخرج الله من يد موسى شعاعاً فيعرف أن ذلك بقدرة الله تعالى والتمسك به ذلك السؤال أنه لما غلبت الدهشة على موسى في الحضرة أراد رب العزة ازالها فسأله عن أمر لا يغلط فيه وهي العصا كذلك المؤمن اذا مات ووصل الى حضرة ذى الجلال فالدهشة تغلبه والحياء يمنعه عن الكلام فيسأله الملائكة عن الامر الذى لم يقع الغلط فيه في الدنيا وهو التوحيد فاذا ذكره زالت الدهشة والوحشة عنه (قال هى) أى التى قارة بيمينى (عصاى أتوكأ عليها) أى أعتمد عليها عند النهوض الى القيام أو عند الاعياء أو عند المشى (وأهش بها على غفى) أى أخبطها ورق الشجر لغفى وقرأتكم واهش بالسين غير المنقوطة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتمعن معنى الانحاء والاقبال أى أزرع الغنم بما منحها ومقبلاً عليها (ولى فيها) أى العصا (مأرب أخرى) أى حاجات شتى وأجل موسى عليه السلام رحاه أن يسأله ربه عن تلك المأرب فيسمع كلام الله مرة أخرى ويطول أمر المسكامة بسبب ذلك ثم أراد الله أن يعرفه عليه السلام ان فيها أعظم من مأربه التى هى حمل الزاد والقور وعرض الزند والقاء القساء للاستقلال وطرد السباع وغير ذلك فأمر الله بالقائها (قال ألقها) من يدك (يا موسى فالتقاها) من يده على الارض (فاذا هى حية تسعى) قيل كانت العصا أولاً انقلباً حية صفراء صغيرة فى غلظ العصا ثم انتفخت وتزايد جرمها حتى صارت ثعباناً فأول حالها جان ومأربها ثعبان وقيل انها كانت من أول

الامر في شخص الشعبان وسرعة حركة الجبان وكان لها عرف كعرف القرس وكان بين فكيفها أربعون ذراعا وابتلعت كل ما مرت به من الصخور والاشجار حتى سمع موسى صرير الحجر في فها وجوفها وعينها تتقدان كالنار وهي تشتد رافعة رأسها فلما عاين موسى ذلك وليها ربا منها (قال) تعالى له (خذها) يا موسى يمينك (ولا تخف) منها (سنعيد هاسيرتها الاولى) أي سنعيد هاسيرتها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العنقودية فلما قال له ربه لا تخف ذهب خوفه حتى أدخل يده في فها وأخذ بلهيمها فعادت عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) أي أدخل كفلك اليه في ابطك الايسر وخرجها (تخرج بيضاء) أي متبرقة مثل البرق أو مشرقة تضيء كشعاع الشمس تغطي البصر عن الادراك ثم اذاردها الى كفه صارت الى لونها الاول بلانور (من غير سوء) أي من غير برص (آية أخرى) أي معجزة أخرى غير العصا فقله تعالى بيضاء حال من الضمير في تخرج ومن غير سوء متعلق ببيضاء لما فيها معنى الفعل وهو ابيضت وآية أخرى حال من ضمير تخرج (لنريك من آياتنا الكبرى) في الاعجاز وهي اليد فانها كبر آيات موسى لانهم تعارض أصلا أما العصا فقد عارضها السحرة فقله لنريك متعلق بقوله تعالى واضمم أو بقوله تخرج وقوله من آياتنا حال من الكبرى فالكبرى مفعول ثان لنريك والتقدير لنريك الآية الكبرى حال كونها بعض آياتنا الدالة على قدرتنا (اذهب الى فرعون) بما رأيته من الآيتين العظيمتين وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي (انه طغى) أي جاوز الحد في الكبر حتى تجامر على دعوى الربوبية (قال) مستعينا بالله تعالى (رب اشرح لي صدري) أي لين لي قلبي لاجترأ على مخاطبة فرعون وكان موسى يخاف فرعون لشدة شوكة وكثرة جنوده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه ليكون حولا لما يستقبل من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات (ويسر لي أمري) أي هون علي تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لساني) متعلق باحلل روي انه عليه السلام كان في لسانه رقة لانه حال صباه أخذ الحمية فرعون واتفها لما كان فيها من الجوهر فغضب فرعون وأمر بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده وقالت آسية انه صبي لا يعقل وعلامته أن تقرب منه التمرة والجرة فقربا انيه فأخذ الجرة فجعلها في فيه (يفقهوا) أي يفهموا (قولي) عند تبليغ الرسالة (راجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى) فوزير مفعول ثان لانه نكرة وهرون مفعول أول لانه معرفة وقدم الثاني اعتناءه بشأن الوزارة وأخى عطف بيان ولي متعلق بمحذوف على انه حال من وزير او من أهلي متعلق باجعل والمعنى واجعل من أهلي هرون أخى متحملا على الاعباء الى ومعينا على أمري يقوى أمري وأثق برأيه (أشد به أزرى) أي قويه هرون ظهري وأعني به (وأشركه في أمري) أي أجعله شريكى في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي وقرأ العامة على صيغة الطلب وهي ضم الهمزة من اشددوهى همزة وصل وقع الهمزة من أشركه وهي همزة قطع وقرأ ابن عامر وحده على صيغة الجواب وهو فتح همزة اشدد وضم همزة أشركه وكلاهما همزة قطع للتسكيم فيهما ويجوز لمن قرأ على لفظ الامر أن يجعل أخى مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويؤتى على هرون (كئى نسجل كثيرا ونذكر كثيرا) أي كئى ننزلهم عما يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه جماعته الباغية من ادعاء الشريعة في الالهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال والجمال والجلال زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون وأوان الحاجة معه وهذا اشارة الى ان للجليس الصالح والعديد الاصدقاء أثر عظيم فى المعونة على كثرة الطاعات والمراقبة فى اقتحام عقبات السملوك وقطع مغاوره

(انك كنت بنا بصيرا) أى عالما بان ما دعوتك به مما يفيدنا فى تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة
وبان هرون نهم الردء فى اداء ما أمرت به (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤالك يا موسى) أى قد أردت
اعطائك سؤالك البتة (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أى فى وقت غير هذا الوقت من غير سابقة دعاء منك
وطلب فلان أنعم عليك بمثل تلك النعم النامة وأنت طالب له أولى (اذا وحينا الى أمك ما يوحى) أى
ألهنا أمك الذى يلهم أو أرينا فى منامها الذى يرى لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون (أن اقذفه فى
التابوت) أى بان تضعى الصبى فى الصندوق (فاقذفه) أى فألقى الصبى (فى اليم) أى فى بحر
النيل (فليلقه اليم بالساحل) أى فيلقى بحر النيل هذا الصبى على الشط والامر يعنى الخبر وحكمة صورة
الامر لوجوب وقوع ذلك لتعلق الارادة الربانية به * روى أن أم موسى اتخذت تابوتا جعلت فيه
قطنا مخلوجا ووضعت فيه موسى عليه السلام فقبرت رأس التابوت وشقوقه بالقار ثم ألقت به فى نيل مصر
وكان يشرع منه نهر كبير الى دار فرعون فرفعه الماء اليه فأتى به الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا
على رأس البركة مع امرأته آسية بنت مزاحم اذ بتابوت يجى به الماء فلما رآه فرعون أمر الغلمان
والجوارى باخراج ما فيه ففتحو ا رأس التابوت فاذا صبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه حبا
شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه (ياخذ عذولى وعدوله) وهو فرعون فالاول باعتبار الواقع لكفره وعتموه
والثانى باعتبار ما يؤول اليه وما لو ظهر لفرعون حال موسى لقتله وفى هذا الامر بقذفه فى البحر وفى وقوعه
فى يد العدو لطف خفى من درج تحت قهر صورى (وألقيت عليك محبة منى) أى وألقيت عليك محبة
عظيمة حاصلة منى واقعة بخلقى فلذلك أحبتك امرأت فرعون حتى قالت لفرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه
ويرى أنه عليه السلام كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحاة لا يكاد يصبر عنه من رآه (ولتصنع
على عيسى) معطوف على علة مقدرة متعلقة بالقيت والتقدير وألقيت عليك المحبة ليعطف عليك
ولترى بالشفقة بحفظى وقرأ العامة لتصنع بالبناء للمجهول باضمار ان بعد لام كي وقرئ بكسر اللام
وسكونها وبالجزم بالام الامر بقرأ الحسن وأبونيهك بفتح الناء بالبناء للفاء ل أى ليكون تصرفك على
رعايتى منى (اذ عشي أختك) مريم وكانت شقيقته وهى غير أم عيسى وهذا الظرف متعلق بالقيت أى
ألقيت عليك محبة منى فى وقت مشى أختك أو بتصنع أى لترى ويحسن اليك فى هذا الوقت (فتقول)
فرعون وآسية (هل أدلكم على من يكفله) أى ربيه ويرضه ويرى أنه لما فشا الخبر مصر أن آل
فرعون أخذوا غلاما فى النيل وكان لا يرتضع من ثدى كل امرأه يؤتى بها واغطروا الى تتبع النساء
فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فدخلت قصر فرعون فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ثم
جاءت بلام فقبل ثديها فرجع الى أمه بما لطف الله تعالى له من هذا التدبير فذلك قوله تعالى (فارجعناك
الى أمك) معطوف على محذوف أى فقاوادلينا على من تكفله فجاءت بأمك فرددناك الى أمك (كي
تقر عينها) فتطيب نفسها بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أى ليزول عنها الحزن بسبب عدم وصول
لبن غيرها الى باطنك هو كي لا تحزن أنت بفراقها وكانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر وأربعة قبل لقائه فى
اليم (وقتلت نفسها) قبطيا طبائحا لفرعون اسمه قاب قان وكان عمره اذ ذاك ثلاثين سنة (فنجيناك
من الغم) أى من غم اقتصاص فرعون منه بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين ومن غم عقاب الله تعالى
حيث قتله لأمر الله بالمغفرة وكان قتله لا كافر خطأ (وفتناك فتونا) أى أوقعناك فى محنة بعد محنة
وخلصناك منها فانه ولد فى عام يقتل فيه الولدان وألقت أمه فى البحر والنقطة آل فرعون وامتنع من

ارتضاع الاجانب وهم فرعون بقتله ووضع الجمره في فيه وقتل قبطيا ثم هرب الى مدين (فلبثت سنين)
 أي مكثت عشرين سنين (في أهل مدين) وهي بلدة شبيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر
 (ثم جئت على قدر ياموسى) أي ثم جئت الى المكان الذى أونس فيه النار ووقع فيه النداء كائن على
 مقدار معين من الزمان وهو أربعون سنة فنبأته وأرسلته حينئذ (واصططعتك) أي اصطفتك
 (لنفسى) بالرسالة وبالكلام (اذهب أنت وأخوك) أي وليه ذهب أخوك الى فرعون وقومه
 وبني اسرائيل (بآياتى) أي مع آياتى التى هى العصا واليد فى كل منهما آيات شتى فانه لاب العسا
 حيوانا آية وكونها تعبانا عظيما آية أخرى وسرعة حركته مع عظيم جرمه آية أخرى ثم انه عليه السلام
 يدخل يده في فيه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابه عصا آية أخرى وكذلك اليد فان بياضها آية وشعاعها آية
 أخرى ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية أخرى (ولاتبيا في ذكرى) أي لاتضعفان قبلي بغير رسالتى
 فان الذكر يطلق على كل عبادة والتبليغ من أعظم العبادات (اذهب الى فرعون) روى أن الله
 تعالى أوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليه السلام (انه طمى) أي تكبر بادعائه الربوبية
 (فقولا له قولنا) فان تليسين القول عما يكسر سورة عناد العتاة وبلين عريكة الطغاة وان فرعون كان
 قد رياه عليه السلام فأمره أن يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق (لعله يتذكر أو يخشى) أي قولنا
 قولنا علينا على أن تكون ناراجين لان يقبل وعظيما كما أو يخشى الله فيرجع من الانكار الى الاقرار بالحق
 فان لم ينتقل من الانكار الى الاقرار لكانه اذا حصل في قلبه الخوف ترك الانكار وان لم ينتقل الى الاقرار
 فان ترك الانكار خسر من الاصرار على الانكار وفائدة ارسالهما مع علم الله بأن فرعون لا يؤمن الزام
 الحجة من الله وقطع العذرة عن فرعون واظهار الآيات وروى عن كعب انه كتب في التوراة فقولا له
 قولنا ليسا وسأقضى قلبه فلا يبر من (فالاربنا ان نخاف أن يفرط علينا) أي أن يهمل علينا بالعقوبة
 بأن لا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المهزلة أي اننا نخاف فوات القيام لتبليغ الرسالة كما أمرتنا اذا قلنا
 وقرئ يفرط بضم الياء وكسر الراء أي نخاف ان يحمله حامل من ادعاء الربوبية أو حبه للرباسة والمملكة
 أو قومه المتمردين على المعالجة بالعقاب (أو أن يطغى) أي يزاد تكبرا الى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي
 لجراته عليك وقساوة قلبه (قال) الله تعالى (لاتخافا) مما عرض في قلبكما من أذية فرعون لكم ومن
 ازدياد كفره (انتم معكم أجمع وأرى) أي اننى حافظكم كما سمعوا بصيرا قال القفال يحتمل قوله تعالى أجمع
 وأرى مقابلا لقولهم ما ان يفرط علينا أي أن يعدد علينا بأن لا يسمع منا أو أن يطغى أي يغلب علينا بأن
 يقتلنا فقال الله تعالى اننى معكم أي معينكم وعالم بما يليق من حالكم معه أجمع كلامه معكم فأخبره
 للاستماع منكما وأرى أفعاله فلا تركه يفعل بكم ما تكرهانه (فأتياه) أي فلتسكونا واصلين الى فرعون
 (فقولا انارسلوك اليك) (فأرسل معنابني اسرائيل) تذهب بهم الى أرضهم وفي ذلك ادخال
 النقص على ملكه لانه كان محتاجا اليهم فيما يريد من الاعمال من بناء أو غيره (ولاتعذبهم) بالامور
 الشاقة كالخفرونقل الاجار وقتل ذكور أولادهم عامادون عام واستخدام نسائهم (قد جئناك بآية
 من ربك) أي بآيات الدعوى ببرهانها فهو بيان من عند الله (والسلام على من اتبع الهدى) أي
 السلامة في الدارين من عذاب الله لمن صدق آيات الله الهادية الى الحق وهذا من جملة قول الله تعالى الذى
 أمرهما أن يقولاه لفرعون أي وقولاه والسلام الخ (انا قد أوحى اليك) من جهة ربنا (أن العذاب
 الدنيوى والآخروى) (على من كذب) بآياته تعالى (وقولى) أي أعرض عن قبولها (قال) أي

فرعون بعدما أتياه وبلغا ما أمر به (فمن ربكما موسى) لم يقل فن رب مع أن حق الجواب كذلك لغاية عتوه أي إذا كنتما رسول ربكما فأخبر من ربكما الذي أرسلكما وتخصيص النداء بموسى بعد مخاطبتهما معالانه الأصل في الرسالة وهرون وزيره (قال) أي موسى بحبيبه (ربنا الذي أعطى كل شيء) من أنواع المخلوقات (خلقه) أي صورته اللاتق بمانيطيه من الخواص والمنافع أو أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ويتفعلون به وتقديم المفعول الثاني للاعتناء به (ثم هدى) إلى طريق الانتفاع من الأكل والشرب والجماع (قال) أي فرعون لموسى (فبال أقرون الأولى) أي ما حال الأمم الماضية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة أي فلما ذكر موسى عليه السلام برهانا نرا على هذا المطلوب خاف فرعون أن يزيد موسى في تصوير تلك الحجة فيظهر للناس صدقه عليه السلام وحقيقة مقالته ويتبين عندهم بطلان خرافات نفسه فأراد فرعون أن يصرف موسى عليه السلام عن ذلك الكلام الذي يتعلق بالرسالة إلى الحكايات فعسى يظهر منه نوع غفلة فيرتقى فرعون إلى أن يدعي قدام قومه نوع معرفة فقال ما حال الأقرون الخالية (قال) موسى (عالمها) أي علم حالهم (عند ربى) فلا يعلمها إلا الله وأما أنا عبد لا أعلم منها إلا ما علمني (في كتاب) أي ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ يكون المكتوب فيه يظهر لللائكة فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال على أنه تعالى عالم بكل المعلومات منزوع عن السهو والغفلة أو المعنى أن بقاء المعلومات في علمه تعالى ك بقاء المكتوب في الكتاب فلا يزول شيء منها عن علمه تعالى (لا يضل ربى) أي لا يخطئ عن معرفة الأشياء ولا يخفى شيء عن علمه (ولا ينسى) شيئا علمه (الذي جعل لكم الأرض مهذا) أي فراشا وقرأ عاصم وحزرة بفتح الميم وسكون الهاء والباقيون بكسر الميم وفتح الهاء مع الالف (وسلك لكم فيها سبلا) أي جعل لكم في الأرض طرقا تذهبون وتجيئون فيها (وأنزله من السماء ماء) هذا تمام كلام موسى عليه السلام ثم بعد ذلك أخبر الله تعالى عن صفة نفسه فقيم الكلام موسى لخطاب أهل مكة فقال (فأخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي أصنافا (من نبات شتى) أي مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس وبعضها للبهائم على اختلاف وجوه الصلاح وقيل هذا من تمام كلام موسى عليه السلام كأنه يقول ربى الذي جعل لكم كذا وكذا فأخرجنا نحن معشر عباده بذلك الماء بالحرارة أزواجا من نبات شتى وقال صاحب الكشف أن كلام موسى عليه السلام ثم عند قوله ولا ينسى ثم ابتداء كلام الله من قوله الذي جعل فهو خير مبتدأ محذوف والتقدير هو الذي جعل ويكون الانتقال من الغيبة إلى التكلم التفتا للدلالة على كمال القدرة والحكمة ولا إعلام بأن ذلك لا يتأتى إلا من قادره مطاع عظيم الشأن (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من ضمير أخرجنا على إرادة القول أي فأخرجنا أصناف النبات قائلين لكم كلوا وارعوا أنعامكم أي مبينين لكم الأكل وعلف الأنعام آذنين في الانتفاع بها (أن في ذلك) أي في اختلاف النبات في الشكل والطبع (آيات) واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله (الأولى النهى) أي لذوى العقول الناهية عن الإبطيل (منها) أي الأرض (خلقناكم) وذلك إذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المسكن الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله الولد من النطفة ومن التراب وأيضا أن قوله الإنسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الأغذية وهى تنتهى إلى النبات وهى انما تحدث من امتزاج الماء والتراب (وفيها نعيدكم) إلى الموضع الذى أخذت أباكم منه مدفونين فيه (ومننا نخرجكم تارة أخرى) يوم البعث على الهيئة السابقة

(ولقد أريناه) أي والله لقد بصرنا فرعون (آياتنا كلها) روى أن موسى لما ألقاه عصاه انقلبت ثعبانا
 أشعر فاغراه بين لحبيه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والاعلى على سور القصر وتوجه
 نحو فرعون فهرب وأحدث وانهمز الناس من دحرجات منهم خمسة وعشرون ألقا من قومه فصاح
 فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا وروى أنها انقلبت حية ارتفعت في
 السماء قد رميل ثم المحطت مقابلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرفى عاشرت ويقول فرعون يا موسى
 أنشدك الخ وزرع موسى يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضانو رانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب
 شعاعه شعاع الشمس ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة ولذلك أكدت بكلمها (فكذب) موسى
 عليه السلام (وأبي) أن يؤمن ويطيع لعتوه (قال) لموسى خوفا من أن يتبعه الناس (أجستنا)
 من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا (لتخرجنا من أرضنا) مصر (بصرك) أي الذي هو
 العصا واليد البيضاء (يا موسى) وليكون لك الملك فيها (فلنأتيك بسحرملة) أي مثل سحرك في
 الغرابة (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي وعدا لا تياننا بالسحر (لا تخلفه) أي ذلك الوعد (نحن
 ولا أنت) فوعدا مفعول أول والنظر مفعول ثان (مكانا) مفعول فيه منصوب باجعل (سوى)
 قرأ عاصم وحمزة وابن عامر بضم السين أي تستوى مسافة المكان على الفريقين والباقيون بكسر هاء أي
 غير هذا المكان الذي نحن فيه الآن (قال) موسى (موعدكم) أي أجلكم (يوم الزينة) وهو
 يوم النبر وزأو يوم عيد لهم وكان يوم عاشوراء واتفق أنه في هذه الواقعة يوم سبب وقرأ الحسن والاعشى
 وعيسى وعاصم وغيرهم يوم بالنصب أي موعدكم يقع يوم الزينة (وأن يحضر الناس فحى) عطف على
 الزينة أو على يوم (فتولى فرعون) أي انصرف عن المجلس وفارق موسى (لجمع كيده) أي ما يكاد
 به من السحرة وأدواتهم (ثم أتى) بهم الموعد وأتى موسى أيضا (قال لهم) أي لاهل الكيد (موسى)
 بطريق النصيحة (ويلكم) أي الزمكم الله ضيقا في الدنيا (لا تفتروا على الله كذبا) باتيان السحرة
 في معارضة آيات الله وبادعائكم ان الآيات التي ستظهر على يدي سحر (فيسحسكم) قرأ حفص وحمزة
 والكسائي بضم الياء وكسر الحاء والباقيون بفتحهما أي فيهلككم (بعذاب) في الدنيا بالاستئصال
 أو في الآخرة بالنار (وقد خاب) أي حرم عن المقصود (من افترى) على الله (فتنازعوا) أي السحرة
 (أمرهم بينهم) أي تشاوروا ليستقروا على شيء واحد حين سمعوا كلام موسى عليه السلام (وأمروا
 النجوى) من فرعون وملائه فقالوا في نجواهم ان غلب علينا موسى آمننا به ثم (قالوا) بطريق
 العلانية أي قال السحرة وقيل قال لهم فرعون ومن معه (ان هذان لساحران) قرأ ابن كثير وحفص
 بسكون النون من ان وشددها الباقيون وشددا بن كثير نون هذان وقرأ أبو عمرو وهذين بالياء (يريدان)
 أي موسى وهرون (أن يخرجاك من أرضك) أي أرض مصر (بسحرهما) الذي أظهره لكما
 (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أي يذهبا دينكما الذي هو أفضل الأديان بأعلاء دينهما أو يقال ويذهبا
 بأشراف قومكم بيلهم اليهم ما غلبتهم ما وهم بنو إسرائيل فانهم ذوو عالم ومال (فاجمعوا كيدكم) وقرأ أبو
 عمرو بفتح الميم ويوصل الهمزة أي فاجمعوا أدراك سحركم فلا تتركوا شيئا منها وقرأ الباقيون بكسر الميم
 وقطع الهمزة أي ليكن عزمكم مجمعا عليه لا تختلفوا (ثم ائتوا) للقاء موسى وهرون (صفا) أي
 مصطفىين مجتمعين لكي يكون الصف أنظم لا مركب وأشد لهيبا لكم قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين
 ساحرا مع كل واحد منهم جبل وعصا (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي وقد فاز بالمطلوب من غلب

مرادهم بالمطلوب الاجر والتقريب من فرعون على ما وعدهم بذلك ومرادهم عن غلب أنفسهم جميعاً أو من غلب منهم حثا لهم على بذل الجهد وفي المغالبة (قالوا) أي السحرة لموسى (يا موسى أمان تلقى وأمان نكون أول من ألقى) أي اختر ما للقائه ما معك قبلنا وما للقائه نأمننا قبلك وهذا التخيير حسن أدب منهم وتواضع لموسى عليه السلام لأن لين القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضر بل نفعهم ولذلك رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم ان موسى عليه السلام قابل أدبهم بأدب أحسن من أدبهم حيث ثبت القول بالقائم أولاً لانه فهم أن مرادهم الابتداء (قال بل ألقوا) أي قال لهم موسى لا ألقى أنا أولاً بل ألقوا وأنتم أولاً ان كنتم محقين فآلقوا ما معهم من الحبال والعصى ميلا من هذا الجانب وميلا من هذا الجانب (فإذا حبأ لهم وعصيتهم تخيل اليه) أي موسى (من سحرهم أنها) حيات (تسعى) فإذا ظرفية تطلب متعلقاً بنصيها من فعل المفاجأة وبجملة ابتدائية تضاف إليها أي ففاجأ موسى إذا حبأ لهم وعصيتهم تخيلة إلى موسى السحرة كسبي ما يكون حيا من الحيات من أجل سحرهم وذلك أنهم كانوا يطغوها بالزبيب فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت تخيل اليه أنها تتحرك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أي أضمر موسى في قلبه بعض خوف من ان لا يظفر بهم فيقتلون من آمن به عليه السلام (قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) أي الغالب عليهم وقيل ان موسى خاف من مفاجأته بمقتضى طبع البشرية من النفرة من الحيات ومن الاحتراس من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه فان خوف البشرية مركوزة في جبلة الانسان وذلك مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك ولذلك قال تعالى انك أنت الاعلى أي أعلى درجة من أن تخاف من المخلوقات دون الخالق (والقى) على الارض (ما في يمينك) يا موسى وانما لم يقل وألقى عصاك تعظيماً لاشانها أي لا تحتفل بهذه الاجرام فان في يمينك شيئاً أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء عنده فألقه (تلقف ما صنعوا) أي تلقف ما طرحوا من الحبال والعصى الذي خيل اليك سعيها وخفتها وقرأ ابن عامر تلقف بتشديد القاف وبازرفع والعامه بالجزم وحفص بسكون اللام وبالجزم (انما صنعوا كيد ساحر) أي لان الذي صنعوه عمل ساحر وقرأ حمزة والكسائي كيد سحر بكسر فسكون على أن الاضافة للبيان وقرأ مجاهد وحيدوزيد ابن علي بنصب كيد ساحر على أنه مفعول به وما كافة مزيدة (ولا يفلح الساحر) أي لا يحصل له مقصوده بالسحر خيراً كان أو شراً (حيث أتى) أي أينما كان وهذا من تمام التعليل (فألقى السحرة سجداً) أي قال في موسى عصاه فتلقفت حبال السحرة وعصيتهم فسجدوا فانهم من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبأ لهم وعصيتهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم للشكر والسجود روى أنهم في سجودهم رأوا الجنة ومنازلهم التي يصيرون اليها ثم دفعوا رؤسهم (قالوا آمناب هرون وموسى) قال رؤسهم كما تغالب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى عليهمنا وغلبنا فلو كان هذا سحر فإين ما ألقيناه (قال) لهم فرعون (آمنتم له) أي لموسى (قبل أن آذن لكم) أي من غير أن آذن لكم في الايمان له (انه) أي موسى (الكبيركم) أي استأذككم (الذي علمكم السحر) وانكم تلامذه في السحر فتوافقتم على أن تظهروا الهزم من أنفسكم تروى بالشأنه وتغنيها لأمره (فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي في حال كونها مختلفات والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين فان هذا يد وذلك رجل وهذا يمين وذلك شمال (ولا صلبنكم في جذوع النخل) أي عليها وأتى بكلمة في اللامالة على ابقائهم عليها زماناً مديد تشبيهاً بالاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف (ولتعلمن أيننا) أي أنا وموسى (أشد عذاباً وأبقى) وهذا القصد توضيح

موسى عليه السلام والمزبلة لانه عليه السلام لم يكن من التهذيب في شيء اولاراءة أن ايمانهم كان على خوف
 من موسى حيث رأوا ابتلاع عصاه لجبالهم وعصبيهم فخافوا على أنفسهم أيضا وفي ذلك تجرح فرعون بما
 ألغى من تعذيب الناس بأنواع العذاب (قالوا) أي السحرة لفرعون غير مكترئين بوعيده (لن نؤثر)
 أي لن نمختار اتباعك (على ما جاءنا) من الله تعالى على يد موسى عليه السلام (من البنات) أي
 المجهزات الظاهرة الدانة على صدق موسى (والذي فطرنا) أي ولا على عبادة الذي خلقنا (فأقضى ما أنت
 قاض) أي فاصنع ما أنت صانعه (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أي لأنك انما تحكم علينا في الدنيا فقط
 وليس لك علينا سلطان في الآخرة وأنت تجزي على حكمك في الآخرة وما لنا من رغبة في حلاوة الدنيا ولا
 رهبة من عذابها (انا آمنابنا ليغفر لنا خطايانا) أي شركنا ومعاصينا (وما أكرهتنا عليه من
 السحر) أي وليغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى رغبة في خيرك ورهبة من شرك باكرهك
 علينا في الحضور اليك من المدائن القاصية (والله خير وأبقي) أي نغفره تعالى أبقي من خيرك لمن
 أطاعه وعذابه أبقي من عذابك لمن عصاه (انه) أي لانه الشأن (من يأت ربه) يوم القيامة (محجرا)
 بأن مات على الكفر (فان له جهنم لا يموت فيها) فينتهي عذابه ويستريح (ولا يحيي) حياة ينتفع بها (ومن
 يأت يوم القيامة مؤمنا) بما وعد من الثواب وأوعد من العقاب على لسان أنبيائه (قد عمل الصالحات) التي
 جاؤ بها (فأولئك لهم الدرجات العلى) أي المنازل الرفيعة في الجنان (جنات عدن) وهي في وسط الجنان
 (تجري من تحته الانهار خالدين فيها وذلك) أي الدرجات العلى (جزاء من تركي) أي تطهر من الذنوب
 (واقصد أوحينا الى موسى أن أمر بعبادي) قرأنا فاع وابن كثير بكسر النون وهزة وصل أي سر بيني
 اسرائيل أول الليل من أرض مصر الى البحر (فأضرب لهم طريقا في البحر يبسا) أي اجعل لهم بالضرب
 بعصاك طريقا في البحر يابس ليس فيه وحل ولا نفاذ (ولا تخاف دركا) أي ادراك فرعون (ولا تخشى) من
 الغرق وقرأ حمزة لا تخف بالجزم جوابا للامر (فأتبعهم فرعون بجنوده) أي فلهتهم فرعون مع جموعه
 (فغشيهم من اليم ما غشيهم) أي فسترهم ما سترهم من البحر (وأضل فرعون قومه) أي سلك بهم مسلكا
 أداهم الى الهلاك في الدين والدنيا معا حيث ما واعد على الكفر بالعذاب الدنيوي المتصل بالعذاب الاخرى
 (وما هدى) أي ما أرشدهم الى طريق موصل الى مطلب دنيوي واخرى قال ابن عباس رضي الله عنهما
 لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع بقومه البحر وكان موسى وبنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الخيل
 والدواب لعبيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف ونيف ليس فيهم ابن ستمين
 ولا عشرين وخرج فرعون في طلب موسى وعلى مقدمته ألف وخمسمائة ألف سوى الجنبيين والقلب
 فلما انتهى موسى الى البحر قال ههنا أمرت فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فاضرب فأنقلب فقال
 لهم موسى عليه السلام ادخلوا فيه فقالوا كيف وأرضه رطبة فدعا الله تعالى فهبت عليها الصبا لحفت
 ففعلوا تخاف الغرق في بعضنا جعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاؤوا البحر فأقبل
 فرعون الى تلك الطرق فقال قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل
 جبريل على فرس أبيض في ثلاثة وثلاثين من الملائكة فصار جبريل بين يدي فرعون فأبصر الحصان البحر
 فاقتم بهم فرعون على أثره فاصاحت الملائكة في الناس ألحقوا الملك حتى اذا دخل آخرهم وكادوا ولهم أن
 يخرج التقي البحر عليهم ففرقوا فسمع بنو اسرائيل خفقة البحر عليهم فقالوا ما هذا يا موسى قال قد أغرق
 الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فدعا

فلفظهم البحر الى الساحل وأصابوا من سلاحهم (يا بني اسرائيل) اى وقتلنا يا اولاد يعقوب (قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه باغراقهم (وواعدناكم جانب الطور الالعين) اى واعدناكم ايمان جانب الجبل الالعين لمن انطلق من مصر الى الشام فان الله أمر أن يأتي منهم سبعون مع موسى الى طور سيناء لاخذ التوراة ففيه صلاح دينهم ودينهم وأخراهم (ونزلنا) في التيه (عليكم المن والسلوى) فالمن هوشى حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع والسلوى هو السهام يبعثه الجنوب عليهم فيذبح الرجل منهم ما يكفى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) اى من لذائذه وقرأ حمزة والتكسافى قد أنجيتكم ووعدتكم ورزقناكم بآياتنا المتكلم والبالقون بنون العظيمة واتفقوا على ونزلنا بانون وأسقط ابو عمر وألف واعدنا (ولا تطفوا فيه) اى فيمار رزقناكم بأن لم تشكروا قال ابن عباس اى لا ينظم بعضكم بعضا فيأخذه من صاحبه (فيحل عليكم غضبي) بكسر الحاء اى يجب عليكم عقوبة يقرأ الاحمش والتكسافى بضم الحاء اى ينزل (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) اى هلك وقرأ التكسافى بضم اللام الاولى (وانى لغار لمن تاب) من الشرك والمعاصي (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا) اى مستقيما عند الشرع والعقل (ثم اعتدى) اى استمر على الهدى من غير تقصير ومات على ذلك فلما ذهب موسى عليه السلام مع السبعين الى الميقات جهل الى الميعاد قبلهم قال الله له (وما أنجلك عن قومك يا موسى) اى وقتلناه اى شئ أنجلك منفردا عن النقباء (فألهم أولا على اثرى) اى همم به وانما سبقتهم بخطا يسيرة ظننت انها لا تنحل بالمعية ولا تقدر في الاستصحاب (وبجملت المنسوب لترضى) عني بمسارعتي الى الامتثال بأمرى واعتنائى بأوفاء بعهديك (قال) تعالى يا موسى (فانا قد قمنا قومك من بعدك) اى ابطيناهم بعبادة الجبل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم موسى مع هرون وكانوا اسمائة ألف ما تنجما منهم من عبادة الجبل الاثنا عشر ألفا (وأضلهم السامرى) حيث كان هو المديبر في الفتنة واسمعه موسى ابن ظفر وكان موافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر وكان قدر باه جبريل فيمكن يغذيه من أصابعه الثلاثة فيخرج له من أحدها لبن ومن الاخرى سم ومن الاخرى عسل وذلك لان فرعون لما شرع في ذبح الولدان كانت المرأة من بنى اسرائيل تأخذ ولدها وتلقيه في حفرة أو كهف من جبل أو غير ذلك وكانت الملائكة تتعاهد هذه الاطفال بالتربية حتى يكبروا فيدخلوا بين الناس وقرى وأضلهم السامرى على صيغة التفضيل اى أشدهم ضلالا السامرى وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة (فرجع موسى الى قومه) بعدما استوفى الاربعين ليلة وأخذ التوراة (غضبنا أسفا) اى حزينا روى أنه لما رجع موسى مع الصباح وكانوا يرقصون حول الجبل فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قال يا قوم ألم بعدكم ربكم وعدا حسنا) بأن يعطيكم التوراة نيها ما فيهما من الهدى (أطفال عليكم العهد) اى أوعدكم ذلك فطال عليكم مدة الانجاز ومدة نعم الله تعالى عليكم من انجائهم اياكم من فرعون أفسيتم ذلك العهد وتعهدتم المعصية (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) بسبب عبادة الجبل (فأخلفتم موعدى) بالاقامة على طاعة الله تعالى (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) قرأ حمزة والتكسافى بضم الميم اى بسلطاننا وقوتنا ونافع وطاعهم بفتح الميم وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالكسر اى بأمر كنا نملكه وفريده (ولكننا حاننا أوزارنا من زينة القوم) قرأ ابن كثير ونافع وحفص وابن عامر بضم الحاء وكسر الميم مشددة اى أمرنا أن نحمل أحمالا من حلى القبط التي استعزناهم حين همنا بالخروج من مصر باسم العرس وفي الواقع ليس للعرس اى فان موسى أمرهم باستعارة الحلى والخروج بها وقرأ حمزة والتكسافى

وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر بفتح الحاء والميم مخففة أي حملنا مع أنفسنا ما كنا نستعزنا من حلي آل فرعون (فقد فناها) أي فطرحنا الحلي في النار بأمر السامري روي أنه قال لهم اغتاتوا عنكم محي موسى عليه السلام لما معكم من الاوزار أي فهو محبوس عقوبة بالحلي فالرأي أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقدفوها فيها التخلصوا من ذنوبها (فكذلك) أي فمثل ذلك القذف (ألقى السامري) ما كان معه منها (فأخرج) أي السامري (لهم عجلا) أي صورة عجول من تلك الحلي المذابة أي فصاغ لهم السامري من الذهب الذي ألقوا في النار في ثلاثة أيام (جسدا) أي حال كون العجل جسدا صغيرا من ذهب بلاروح (له خوار) أي صوت يسمع أي أن السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيها منافذ ومخارج بحيث تدخل فيها الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط واغما كان الريح يدخل في دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك (فقالوا) أي السامري ومن تبعه في بادئ الرأي لمن توقف من بني إسرائيل (هذا الحكم واله موسى فنسى) أي موسى إن الله هنا في طلبه في الطور وفي موضع آخر أرفنسي السامري الاستدلال على حدوث الاجسام وإن الاله لا يحل في شيء لا يحل فيه شيء (أفلا يرون أن لا يرجع) أي العجل (اليهم قولا) أي ألا يتفكر السامري وأصحابه فلا يعلمون أنه لا يرجع اليهم كلاما وقرى يرجع بالنصب أي ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الأقوال وأن الناصبة لا يقع بعدها أفعال اليقين (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أي ولا يقدر العجل على أن يدفع عنهم ضرا ولا أن يجرحهم نفعا فيخافوا كما يخافون فرعون ويرجوا منه كما يرجون من فرعون فكيف يقولون ذلك (ولقد قال لهم هرون من قبل) أي من قبل محي موسى عليه السلام (يا قوم اغتافنتم به) أي أوقعتم في الفتنة بالعجل (وان ربكم الرحمن) أي أن ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير (فاتبعوني) في الثبات على الدين (وأطيعوا أمري) هذا واطر كواعبادة غير الرحمن واغما قال هرون ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق كما قال صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم ويروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حالس ومعه أصحابه اذ نظر إلى شاب على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا فسمع الشاب ذلك فولى فقال الهى وسيدى هذا رسولك يشهد على باني من أهل النار وأنا أعلم أنه صادق فإذا كان الامر كذلك فأسألك أن تجعلني فداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشعل النار بي حتى تبرئ عينته ولا تشعل النار بأحد آخر فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد بشر الشاب باني قد أنقذته من النار بتصدد يده لك وفدائه أمثلك بنفسه وشفقتة على الخلق (قالوا) في جواب هرون عليه السلام (لن نبرح عليه عاكفين) أي لن نزال مقيمين على عبادة العجل (حتى يرجع اليك موسى) جعلوا رجوع موسى عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل بطريق التعلل والتسويق وقد سدوا تحت ذلك أن موسى لا يرجع بشيء مبين اعتمادا على مقالة السامري واعلم أن هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الطرق لانه زجرهم عن الباطل أولا بقوله اغتافنتم به وهو أزالة الشبهات لانه لا بد قبل كل شيء من إمامة الأذى عن الطريق ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى ثانياً بقوله وان ربكم الرحمن لانها الأصل واغما خص هذا الموضع بأمر الرحمن لانه عليه السلام كان ينبئهم بأنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن كما خلدتهم من أفات فرعون برحمته ثم دعاهم ثالثاً إلى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم رابعا إلى الشريعة بقوله وأطيعوا أمري ثم انهم لجهلهم وتقليدهم قابلو هذا الترتيب الحسن في الاستدلال بقولهم لن نبرح

عليه ما كفي حتى يرجع اليه موسى لجدوا قول هرون كما هو عادة المقلد فكتبتهم قالوا لا نقبل حجتك
ولكن نقبل قول موسى روى أنهم لما قالوا ذلك اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر ألفاً وهم الذين
لم يعبدوا العجل (قال) موسى لهرون حين مع جوابهم له وهو مقتاظ (ما منعك اذ رأيتهم ضلوا)
بعبادة العجل (أن لا تتبعن) في حال الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به أي أي شيء دعاك إلى
أن لا تتبعني في سرتي من الاخذ على يد الظالم طوعاً أو كرها فلم تترك قتالهم وتأديبهم وترك وصيتي
وأنت نبي الله وأخي ووزيرى وخليفتي في قومي وأثبت الياء بعد النون ابن كثير وقفار وصلأ وأثبتها نافع
وأبو عمرو وصلأ ووقفا وحذفها الباقون وصلأ ووقفا (أفصيت أمري) أي ألم تتبعني وعصيت
أمري وأمره عليه السلام هو ما حكاه الله تعالى عنه في قوته تعالى وقال موسى ل أخيه هرون اخلفني في
قومي وأصلح ولا تتبع سبيل الفسدين فلما أقام هرون معهم ولم يبالغ في منعهم نسبه إلى مخالفة أمره (قال)
هرون لموسى (يا ابن أم) ذكر هرون أمه مع أن موسى أخوه الشقيق ترقياً للقلب قرأ حمزة والسكسائي
بكسر الميم (لا تأخذ بلحيتي ولا برأمي) أي ولا تبشع رأمي روى أن موسى عليه السلام أخذ شعر رأس
هرون بيمينه وبلحيتيه بشماله من فرط غضبه لله (أنى خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) برأيك بسبب
القتال تغريقالا يرجي بعده الاجتماع (ولم ترقب قولي) أي ولم تنتظر قدومي فن ذلك تركت القتال معهم
وانى رأيت أن الأصلح في المداواة معهم إلى أن ترجع اليهم لتسكون أنت المتدارك للامر حسب ما رأيت
(قال) موسى عليه السلام للسامري موبخانه بعد معاراة الاعتذارين (فما خطبك يا سامري) أي فاشأئك
الداعي إلى ما صنعت وما مطلوبك مما فعلت من عبادة العجل (قال) أي السامري محبب إليه عليه السلام
(بصرت بمالم يبصر وابه) بضم الصاد فيهما وقرأ حمزة والسكسائي بالتاء على خطاب موسى وقومه أي
رأيت مالم يره بنو إسرائيل قال له موسى وما رأيت دونهم قال رأيت جبريل لما نزل على دابة الحياة (فقبضت
قبضة من أثر الرسول) أي حفنة من تربة موطى فرس الملك الذي أرسل اليك ليذهب بك إلى الطور
لما جاء وأخذ التوراة وقرأ الحسن قبضة بضم القاف وقرئ قبضت قبضة بالصاد المهملة فالصاد المهملة
للاخذ بجميع الكف والمهملة للاخذ بأطراف الأصابع (فقبضتها) أي فطرحتها المأخوذ في قم العجل
المصوغ ودبره فخار أوى الحلى المذابة قال أبو مسلم الأصمغاني أن موسى عليه السلام لما أقبل السامري
باللوم عن الأمر الذي دعاه إلى الضلال القوم في باب العجل فقال بصرت بمالم يبصر وابه الخ أي عرفت أن
الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت أخذت شيئاً من سنتك أي الرسول فطرحتها وعلى هذا المراد بالآثر
الدين وبالرسول سيدنا موسى عليه السلام قال الرازي وهذا القول أقرب إلى التحقيق لأن جبريل لم يجز
له فيما تقدم ذكره وليس بمشهور عندهم باسم الرسول ولأن ضمائر الكلام خلاف الأصل ولأن جبريل
ربا السامري حال طفوليته فلا يعرفه ولو عرفه بعد البلوغ لعرف قطعاً أن موسى عليه السلام نبي صادق
ولأنه لو جاز اطلاع بعض الكفرة أن تراب فرس جبريل له خاصية الحياة لا طلع موسى عليه السلام على
شيء آخر يشبه ذلك فلا جله أتى بالمجهزات (وكذلك سولت لي نفسي) أي وزينت لي نفسي تزينا كأننا
مثل ذلك التزيين الذي فعلته من القبض والنبد فالعني لم يدعني إلى ما فعلته أحد غيري بل اتبعت هواي
فيه (قال) له موسى (فأذهب) يا سامري من بين الناس (فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) أي فإن
قولك لا مساس ثابت لك في مدة حياتك لا ينفك عنك فكان يصح بأعلى صوته لا مساس أي انى لا أمس
ولا أمس وإذا مسه أحد هم المساس والمسوس فكان إذا أراد أحد أن يعسه صاح خوفاً من الحى وقال

لا مساس وحرم موسى عليهم مكانته ومبايعته وغيرهما باعتاد جريانه فيما بين الناس فكان يميم في البرية
 مع السباع والوحوش ويقال ان موسى هم يقتل السامري فقال الله تعالى لا تقتله فانه مخنى (وان لك
 موعد) لعذابك في الآخرة (ان تخلفه) قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام أى لن يخلفك الله ذلك
 الوعد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والحسن بكسر اللام أى لن تجد الوعد خلفه ولن يتركه عندك (وانظر الى
 الهلك الذى ظلت عليه ~~ها~~ كفا) أى الذى أقت عابدا على الهلك ثم (لنحرقنه) بالنار ويؤيده
 قراءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء أوله بربده بالمبرد وبعضه قراءة أبى جعفر وابن محيص
 لنحرقنه بفتح النون يضم الراء أى لن يبرده بعد أن أحسبه بالنار حتى لان فهان على المبارد (ثم لنذنه
 فى اليم نسا) أى لنذرينه فى هواه البحر ذروا اذا صار رمادا أو مبرودا كأنه هباء ولقد فعل موسى
 عليه السلام ذلك كله حينئذ فلما فرغ موسى من ابطال ما ذهب اليه السامري عاد الى بيان الدين الحق
 فقال (انما الحكم الله) أى انما معبودكم المستحق للعبادة الله (الذى لا اله) أى لا معبود لشي من الاشياء
 موجود (الاهو) وحده من غير أن يشاركه شيء من الاشياء رقرى الله لا اله الا هو والحق رب العرش (وسمع
 كل شيء علما) أى وسع علمه كل شيء فاعلم من يعبد ومن لا يعبد (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق)
 أى نقص عليك يا أشرف الخلق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الحالية قصا مثل ذلك القص المار
 زيادة فى معجزاتك وليكثر الاعتبار للكافرين بها فى الدين (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى ولقد أعطيناك
 من عندنا قرآنا مشتقلا على هذه الاخبار (من أعرض عنه) أى عن ذلك الذكر (فانه) أى المعرض عنه
 (يحمل يوم القيامة وزرا) أى عقوبة ثقيلة (خالدين فيه) أى فى حمل العقوبة (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى
 بشس لهم حملا عقوبتهم أو بشس ما حملوا على أنفسهم من الاثم كقرا بالقرآن (يوم ينفخ فى الصور) النفخة
 الثانية قرأ الجمهور بالياء المضمومة وفتح الفاء وقرأ أبو عمرو وبنون مفتوحة وضم الفاء على اسناد النفخ الى
 الأمر به تعظيمه وقرى بالياء المفتوحة والضمير لله تعالى أولا سرا فيل وان لم يجرد ذكره شهرته (ونحشر
 المجرمين) أى المشركين (يومئذ) أى يوم اذ ينفخ فى الصور (زرقا) أى زرق العيون سودا لوجود لان زرقة
 العيون أبغض ألوان العين الى العرب أو عيالا لحدقة الاغمى تزرق أو عطاشا لانهم من شدة العطش
 يتغير سواد عيونهم حتى تزرق أو طامعين فيما لا ينالونه (يتخافتون بينهم) أى يقول بعضهم لبعض
 بطريق المخالفة لما يصدورهم من الرعب (ان لبئس الاثم) أى ما مكثتم فى القبور الا عشرة أيام
 لا هم يرون من شدة أهوال ذلك اليوم ما يقلل فى أعينهم فهم يحسبون انهم ما لبثوا فى القبور الا عشرة
 أيام وهم حين يشاهدون البعث الذين كانوا ينكرون فى الدنيا لا يتمايكون من أن يقولوا ذلك اعترافا
 به وتحقير السريعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم فى القبور الا مدة يسيرة (نحن أعلم بما يقولون) فى ذلك
 اليوم أى ليس كما قالوا (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أصوبهم رأيا (ان لبئس الاثم) أى ما مكثتم فى القبور (الا يوما)
 رفقة هذا القول الى أفضلهم عقلا لكونه أدل على شدة الهول (ويسألونك) أى يسألك يا أشرف الخلق
 مشركوا مكة على سبيل الاستهزاء أو بنو ثقيف (عن الجبال) أى عن أمر الجبال كيف تكون يوم القيامة
 (قل ينسفها ربي نسفا) أى يصير الجبال كالرمل ثم يرسل عليها الرياح (فيذرها) أى فيترك الارض
 بعد قلع الجبال (قاعا) أى مستويا (صفصفا) أى ملسا لا نبات فيها (لا ترى فيها) أى الارض (عوجا) أى
 لا تترك فيها انخفاض (ولا أمثا) أى نتوا يسيرا (يومئذ يتبعون الداهى) أى يوم اذ نسفت الجبال يتبع الناس
 صوت الداهى الى المحشر بعد القيام من القبور فيقبلون من كل أوب الى جهنم والراجح أن الداهى جبريل

والنافع اسرافيل (لا عوج له) اى لا يعدل الداعي عن أحد بدعائه بل يحشر الكل (وخشعت الأصوات) اى سكنت (لرحمن) اى لهيبة الرحمن (فلا تسمع) يا أشرف الخلق (الاهمسا) اى وطاخفيا كوطه الابل وهو خفق أقدامهم في مشيها الى المحشر وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة وابن زيد (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) أى يوم اذ يتبعون الداعي لا تنفع الشفاعة أحد من الخلق الا شخصاً أذن لاجله الرحمن فى أن يشفع له وقبل منه قولا واحداً من أقواله وهو شهادة أن لا اله الا الله بأن ملت على الاسلام وان عمل السيئات وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة فى حق الفساق وهى نافعة لهم (يعلم) اى الرحمن (ما بين أيديهم) أى المتبعين للداعي وهم الخلق جميعهم (وما خلفهم) أى يعلم ماضى من أحوالهم وما بقى منها (ولا يحيطون به) أى بما بين أيديهم وما خلفهم (علموا عنيت الوجوه للحي القيوم) أى ذلت المكفون لله تعالى ذل الاسارى فى يد الملاك القهار (وقد خاب من حمل ظملاً) أى خسر من أشرك بالله ولم يتب (ومن يعمل من الصالحات) أى بعضاً من الصالحات وهو الفرائض (وهو مؤمن) فان الايمان شرط فى الصحة او القبول (فلا يخاف ظملاً) أى منعاً من الثواب (ولا هضم) أى نقصاً من ثوابه وقال أبو مسلم الظلم نقص من الثواب والهضم عدم تمام حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من الذات لا يكون ثواباً الا اذا قارنه التعظيم فنفى الله تعالى عن المؤمنين كلا الأمرين وقرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم على النهى أى فليأمن فالتنهي عن الخوف والامر بالامن (وكذلك) ومثل ازال هذه الآيات (أترنأه) أى القرآن كله (قرأنا عربياً) ليفهمه العرب (وصرفنا فيه من الوعيد) أى وكرنا فى القرآن نوعاً من الوعيد (لعلهم يتقون) أى لكي يتقوا الكفر والفواحش (أو يحدث) أى القرآن (لهم ذكر) أى اتعظا يدعوهم الى الطاعات وفعل ما ينبغي فان لم يحصل التقوى فأقل ما يحصل أن يحدث القرآن لهم شرفاً وصيتاً حسناً (فتعالى الله) أى تنزه عن مماثلة المخلوقات فى ذاته وصفاته وأفعاله (الملاك) النافذ أمره ونهيه (الحق) أى الثابت فى ملكه (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه) أى ولا تستعجل يا أشرف الخلق بقراءة القرآن من قبل أن يفرغ جبريل من قراءة القرآن عليك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى اليه جبريل الوحي يتبعه عند تنقظ كل حرف وكل كلمة لكامل اعتناؤه بالحفظ فنهى عن ذلك وأمر باستزادة العلم من الله تعالى فقبل (وقل رب زدنى علماً) أى فهما لا دراك حقائقها غير متناهية روى الترمذى عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علماً والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علماً وبقينا (ولقد عهدنا الى آدم) أى وصينا أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أى من قبل أكله منها (فنسى) عهدنا وأكل منها وقرئ فنسى بالبناء للمجهول وبتشديد السين أى ففساد الشيطان (ولم نجد له عزماً) أى تصميمه على الاحتماط فى كيفية الاجتهاد فهو اغما أخطأ فى الاجتهاد ولم نجد له عزماً على الذنب فانه أخطأ ولم يتعمد وهذا أقرب الى المدح فعزما مفعول به وله حال منه أو متعلق بنجد أو بعزماً (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أى واذا كرموا وقع فى ذلك لوقت منازعته حتى يتبين لك نسيانه وفقدان صبره عما نهىناه عنه (فسجدوا الا ابليس) رئيسهم (ابى) أى أظهر الالباب (فقلنا) عقب ذلك (يا آدم ان هذا) الذى تكبر عليك (عدوك ولزوجك) حواء لان ابليس رأى آثار نعم الله تعالى فى حق آدم عليه السلام فانه كان شاباً عالماً وابلis كان شيخاً جاهلاً فاقبت فضله بفضيلة أصله وهو النار وبينها وبين أصل آدم وهو

الماء والتراب عداوة فثبتت تلك العداوة (فلا يخرج جنك) بوسوسة (من الجنة فتشقى) أى فتتعذب فى طلب
القوت فذلك على الرجل دون المرأة روى أنه أهبط إلى آدم ثورا أحمر وكان يحرك عليه ويسمى العرق عن
جبينه (إن لك أن لا تجوع فيها) أى الجنة (ولا تعرى وأنك لا تنظم) أى لا تعطش (فيها ولا تفشى) أى
لا يصيبك حر الشمس أو تعرق فالجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر والظما حر الباطن والضمحور
الظاهر فنفى الله عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وقرأ نافع وأبو بكر وأنك
بكسر الهمزة استثناف أو عطف على أن الأولى والباقيون بفتحها عطف على أن لا تجوع (فوسوس إليه
الشیطان) أى انتهى إليه وسوسته ثم بين الله صورة الوسوسة بقوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى) أى لا يزول ولا يختل أى هل أدلك على الشجرة التى من أكل منها خلد ولا يموت
أصلا ودام ملكه أما على حاله أو على أن يصير ملكا (فأكل منها) أى الشجرة (فبذت لهما سوآتهما)
أى ظهرت فروجهما لكل منهما ما بسبب تساقط حلل الجنة عنهما الماء كلام من الشجرة (وطفقا يخفضان
عليهما من ورق الجنة) أى شرعا يلزقان ورق التين بعضه ببعض لاجل ستر عوراتهما كلما ألزقا بعضه
ببعض تساقط (وعصى آدم ربه) بأكله من الشجرة أى خالف آدم نهي ربه لأنه اعتقد أن النهى
عن شجرة معينة وإن غيرها ليس منها عنه (فغوى) أى خاب من نعيم الجنة فلم يصب بأكله من
الشجرة ما أراد لأنه اغتا كل منها ليصير ملكه دائما فلما أكل زال ملكه وخاب سعيه (ثم اجتباها ربه)
أى قربه بالتوفيق للتوبة (فتاب عليه) أى قبل توبته حين تاب هو وزوجته (وهدى) إلى الثبات
على التوبة والتمسك بأسباب العصمة (قال أهبطا منها جميعا) أى انزلا يا آدم وحواء من الجنة إلى
الأرض (بعضكم لبعض عدو) فالخطاب لآدم وحواء ولا بل يس وقيل مع آدم ذريته قابيل وأقيلما
(فأما يأتينكم منى هدى) أى فإن يأتكم يا ذرية آدم منى دلالة من كتاب ورسول (فمن اتبع
هدى) أى دلالتى (فلا يضل) فى الدين والدنيا (ولا يشقى) بسبب الدين فيها وفى الآخرة (ومن
أعرض عن ذكرى) أى عن الهدى الداعى إلى (فأنله) فى الدنيا (معيشة ضنكا) أى ضيقة
وهى معيشة الكافر فإنه يكون حريصا على الدنيا طالبا للزيادة أبدأ حالته مظلمة لأن مطامح نظره مقصورة
على أمتعة الدنيا وهو خائف من انتقاصها أما المسلم فهو يعيش فى الدنيا عيشا طيبا لتوكله على الله تعالى
فإن المؤمن الطالب للآخر يوسع ببركة الإيمان (ونحشره) أى المعرض عن الأدلة (يوم القيامة أعمى)
أى فاقد البصر أى فاذا خرج هو من القبر خرج بصيرا فاذا سبق إلى المحشر عمى فاذا دخل النار زال عماه
ليرى محله وحاله (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) فى الدنيا وعند البعث (قال كذلك)
أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر به قوله تعالى (أتأتى آياتنا) أى دلالتنا فى الدنيا واخضع بحيث لا تخفى
على أحد (فنسيتها) أى تركتها (وكذلك) أى مثل ترك آياتنا فى الدنيا (اليوم تنسى) أى
تترك فى العذاب جزاء وفاقا (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء الموافق للجنابة (نجزى من أمره)
بالإنهاء فى الشهوات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) من عذاب
الدنيا وعذاب القبر (أفلم يهدلهم كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم كثرة
أهلا كئنا للقرون الأولى وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى أفلم يهد بالنون أى أفلم يبين لأهل مكة بيانا يهتدون
به كثرة من أهلكنا من القرون الماضية من أصحاب الحجر ونمود وقرىات قوم لوط (يمشون فى مساكنهم)
حال من ضمير لهم أى حال كون هؤلاء القرىش ماشين فى منازل تلك القرون إذا سافروا إلى الشام

مشاهدين لا تارها لاهلهم (ان في ذلك) أي الاهلاك (آيات) ظاهرة الدلالة على الحق (الاولى
 النهى) أي لاهل العقول الناهية عن القبائح (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي عدة بتأخير عذاب
 هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه (لكان) أي الاهلاك بجناياتهم (لزما) أي لازمالهم بحيث
 لا يتأخر عن جناياتهم ساعة (وأجل مسمى) عطف على كلمة أي ولولا أجل مسمى لعذابهم يوم القيامة
 لما تأخر عذابهم أصلا (فأصبر على ما يقولون) أي لا يضطرب قلبك يا كرم الرسل لما صدر منهم من
 الاذية بالشتم والتكذيب فيما تدعيه من النبوة فقالوا ان محمد ساحر أو مجنون أو شاعر أو غير ذلك فهذه
 الآية غير منسوخة (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل) أي ساعاته
 (فسبح وأطراف النهار) عطف على محل من آناء المنصوب بسبح المقرون بالغاء الزائدة أو عطف على قبل
 أي في طرفي نصفه أي في الوقت الذي يجمع الطرفين وهو وقت الزوال فهو نهاية للنصف الاول وبداية
 للنصف الثاني أي اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الاوقات عما ينسبونه اليه تعالى عما يليق به حامدا له على
 ما ميزك بالهدى أو المعنى صل وأنت حامد لربك على كمال هدايته اياك صلاة الصبح وصلاة العصر وصلاة
 المغرب والعشاء وصلاة الظهر (لعلك ترضى) رجاء أن تنتفع بذلك وترضى به نفسك وقرأ الكسائي وأبو بكر
 عن عاصم بضم التاء أي لعلك تعطى ما يرضيك (ولا تمدن عينيك) أي لا تطل نظرها (الى ما متعنا) أي
 الدنيا (به أزواجا) أي أصنافا (منهم) أي الكفرة من بين قريظة والنضير (زهرة الحياة الدنيا) أي زينتها
 بدل من أزواجا أو حال من ما الموصولة أو من الهاء في به (لنفقتهم فيه) أي لنعذبهم في الآخرة بسببه أولنجعل
 ذلك فتنة لهم بأن يزيدوا بذلك طغيانا (ورزق ربك خير وأبقى) أي ما أوتيته من يسر الدنيا إذا قرنته
 بالطاعة خير لك من حيث العاقبة وأبقى لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة فالحلال خير وأبقى
 قال أبو رافع نزل ضيق بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودى لبيع أو سلف فقال والله لا أفعل
 ذلك إلا برهن فأخبرته صلى الله عليه وسلم لم يقوله فأمرني أن أذهب بدرعه الحديد اليه فنزل قوله تعالى ولا
 تمدن عينيك وقال أبو موسى لم أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا فالذي نهى عنه الأسف
 لا النظر (وأمرأهالك) أي أهل دينك (بالصلاة) لثلاثهم وادأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب
 الثروة (واصطبر عليها) أي على مشاقها وثابر عليها غير مشغول بأمر المعاش (لأنسألك رزقا) أي
 لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك (فمن رزقك) واياهم ففرغ بالاك بأمر الآخرة (والعاقبة
 للتعوى) أي العاقبة الجميلة لاهل تقوى الله تعالى (وقالوا) أي مشركو امكة (لولا يأتينا بآية من ربه) أي
 هلا يأتينا محمد بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة وبآية عما افترحناها قال تعالى رداعليهم (أولم تأتوهم
 بينة ما في الصحف الاولى) أي ألم يكفهم اشتغال القرآن على بيان ما في التوراة والانجيل وسائر الكتب
 السماوية في كونه آية دالة على صدق محمد حتى طلبوا غير هاتين في الصحف الاولى بشارة بصفة محمد
 ونبوته وبعثته وانباء الأمم الماضية واهلاكم بتكذيب الرسل وبجود الآيات (ولوأنا أهلكم
 بعذاب من قبله) أي ولوأنا أهلكم أهل مكة في الدنيا بعذاب مستأصل من قبل محي محمد اليهم بالقرآن
 (لقاوا) يوم القيامة (ربنا لولا أرسلناك إلينا) أي لم ترسل إلينا في الدنيا (رسولا) مع كتاب (فنتبعم
 آياتك) أي فنطيع رسولا ونؤمن بكتابك (من قبل أن نذل) أي أن يحصل لنا الذل بالعذاب في الدنيا
 (ونفخري) أي أن يحصل لنا الفضيحة بدخول النار اليوم ولكننا لم نهلكهم قبل اتيان البينات فأنقطعت
 معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء روى أن أباسعيد الخدري

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول والا كنت أطوع ذلقت لك والمقلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلاً أنتفع به ويقول الصبي كنت صغيراً لا أعقل فترفع لهم نار ويقال لهم ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه شقي ويبقى من في علمه انه سعيد فيقول الله تعالى لهم عصيتهم اليوم فكيف برسلي لو أتوكم (قل) لا ولئلا الكفرة المتمردين (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) أي منتظر لما يؤول اليه أمرنا وأمركم اما قبل الموت بسبب الأمر بالجهاد أو بسبب ظهور القوة واما بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت بظهور أمر الثواب والعقاب فيظهر على المحق أنواع كرامة الله تعالى وعلى المبطل أنواع اهانة (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستمعون) عن قريب بوعدهم من الله لا خلف فيه (من أصحاب الصراط السوي) أي العدل وقرئ السواء أي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوي والسوي تصغير السوء (ومن اعتدى) اليه أنحن أم أنتم وهذا تهديد للكفار

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثناعشرة آية وآل ومائة وثمان وثلاثون كلمة وأربعة آلاف وثمان ومائة وستون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اقرب للناس حسابهم) أي قرب من كفار قريش وقت حساب أعمالهم الموجبة للعقاب فان كل آت قريب وان طالت أوقات ترقبه (وهم في غفلة) أي والحال انهم منكرون للحساب لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسي (معرضون) عن الآيات المنبهة لهم عن سنة الغفلة (ما يأتهم من ذكر) أي من جزاء نازل من القرآن ينبههم عن الغفلة أتم تنبيه (من ربهم) متعلق بآياتهم (تحدث) أي متجدد تنزه بآية بعد آية وسورة بعد سورة بحسب اقتضاء الحكمة قرأ ابن أبي عملة يحدث بالرفع صفة لحل ذكر (الا اسمعوه وهم يلعبون) أي والحال انهم يهزون (لا هية قلوبهم) حال من واو يلعبون والمعنى ما يأتهم ذكر من ربهم يحدث في حال من الاحوال الاحال استماعهم ايام مستهزئين به حال كون قلوبهم غافلة عن معناه لغرط اعراضهم عن النظر في الامور وعن التفكير في العواقب وقرأ ابن أبي عملة لاهية بالرفع خبر ثان أو خبر مقدم (وأمروا النجوى) أي بالغوا في اخفاء التناسخ وجعلوا بحيث لا يظن أحد لتناجيه (الذين ظلموا) بدل من واو أمر واو مبتدا وخبر أمروا النجوى والمعنى وهم أمروا النجوى فوضع المظهر موضع المظهر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتاتون السحر وأنتم تبصرون) فهل يعني النفي والهزيمة لانكار والفاء للعطف على مقدريقتضيه المقام وأنتم حال من فاعل تاتون مؤكدة للاستبعاد فالجملتان الاستفهاميتان في محل نصب على انهما محكييتان للنجوى لانها في معنى القول والمعنى ما محمد الا بشر من جنسكم فكيف يختص عنكم بالرسالة وما أتى به سحراً تعلمون ذلك فتحضرونه على وجه القبول والحال انكم تبصرون بأعينكم انه آدمي مثلكم وان ما ظهر منه من نوع السحر (قال) أي محمد وهو حكاية من الله لقول رسوله وهذا اقراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وقرأ الباقر بن قل على الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم (ربي يعلم القول) السكائن (في السماء والارض) سواء كان سرا أم جهراً (وهو السميع العليم) فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل هو شاعر فليأتنا بآية) وهذا متصل بقوله تعالى هل هذا الا بشر فان الظالمين لم يقتصر على قولهم في حقه صلى الله عليه وسلم هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن انه سحربل قالوا ما آتانا به محمد اباطيل أحلام

كاذبة رآها في النوم بل اختلق محمد ما أتانا به من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل بل محمد هو
 شاعر فأتى به كلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها فترتيب كلامهم كأنهم قالوا ندعي
 أن كون محمد بشرا مانع من كونه رسولا لله فإن سلمنا أنه غير مانع فلا نسلم أن هذا القرآن بهجزان ساعده
 على أن فصاحته خارجة عن مقدور البشر قلنا لم لا يجوز أن يكون ذلك هجرا وإن لم تساعده فصاحته عليه
 فإن ادعينا كونه في غاية الركاكة قلنا أنه أضغاث أحلام وإن ادعينا أنه متوسط بين الركاكة
 والفصاحة قلنا أنه افتراء وإن ادعينا أنه كلام فصيح قلنا أنه من جنس فصاحته سائر الشعراء وعلى جميع
 هذه التقديرات فإنه لا يثبت كونه هجرا ولا يثبت كون محمد رسولا لله تعالى وإن لم يكن كما قلنا بل كان
 رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية (كما أرسل الأولون) أي بآية كاثنة مثل الآية التي أرسل بها الأولون
 كالسيد والعصا والناقصة ونظائرهما حتى نؤمن به قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل
 مشركي مكة (من قرية أهل كذاها) باهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجي ما اقترحوه من الآيات
 (افهم يؤمنون) أي أن الأمم المهلكة لم يؤمنوا عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أنهم لم يؤمنوا فهاؤلا
 يؤمنون لو أعطوا ما اقترحوا مع كونهم أشد عتوا من أوائلكم (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) أي وما أرسلنا
 إلى الأمم قبل إرسالك إلى أممك إلا رجالا مخصوصين من أفراد جنسك متأهلين للدراسة ولم يكونوا أملاكة
 (نوحى إليهم) بواسطة الملك كما نوحى إليك من غير فرق وقرئ نوحى إليهم بالياء على صيغة المبني للفعل
 (فاسألوا) أيها الجاهلة (أهل الذكر) أي أهل الكتاب التوراة والإنجيل فانهم يخبرونكم بحقيقة
 الحال ليزول شككم (ان كنتم لا تعلمون) أن الرسل بشر فأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديقكم
 للذين آمنوا محمد صلى الله عليه وسلم (وما جعلناهم) أي الرسل (جسد الايا كلون الطعام) أي وما
 جعلناهم جسدا مستغنيا عن الأكل والشرب بل محتاجا إلى ذلك لتحصيل بدل ما يخرج منه (وما كانوا)
 أي الرسل (خالدين) في الدنيا بل يموتون كغيرهم لأن عاقبة التحلل هو الفناء (ثم صدقناهم الوعد) أي ثم
 صدقناهم الوعد الذي وعدناهم باهلاك من كذبهم (فأنجيناهم ومن نساء) ممن يصدقونهم (وأهلكنا
 المسرفين) أي المجاوزين للحدود في الكفر بعذاب الاستئصال في الدنيا (لقد أنزلنا إليكم) يا معشر قريش
 (كتوبا) أي قرآنا (فيه ذكركم) أي فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه بلسانكم وفيه موعظتكم (أفلا
 تعقلون) أي ألا تتفكرون فلا تعقلون أن ذلك الكتاب شرفكم وسبب اشتراككم لكونه نازلا بينكم على
 لسان رسول منكم (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة) أي وكثيرا كسرنا من أهل قرية كانوا كافرين
 بآيات الله بأن قتلوا بالسيوف (وأنشأنا بعدها) أي بعدها هلاك أهلها (قوما آخرين) أي ليسوا منهم نسبوا
 ديننا فسكنوا ديارهم (فلما أحسوا بأسنا) أي أدركوا عذابنا الشديد (إذا هم منها) أي القرية (يركضون)
 أي يهربون مسرعين فقبل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال (لا تتركضوا) أي لا تهربوا (وارجعوا إلى
 ما أترفتم) أي أنعمتم (فيه) من العيش والحال الناعمة (ومساكنكم) التي كنتم تفتخرون بها (لعلكم
 تسألون) أي لكي يسألكم الوافدون عطاياكم أمالانهم كانوا أمخيا ينفقون أموالهم رثاء الناس
 أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تم كما إلى تمكم (قالوا) لما يقنوا بنزول العذاب (يا ويلنا) أي هلاكنا (أنا كنا
 ظالمين) أي بقتل نبينا (فما زالت تلك دعواهم) أي قولهم أي فلم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك
 (حتى جعلناهم حصيدا) أي مثل الزرع المحصود بالمناجل في استئصالهم (خامدين) أي ميتين
 لا يتحركون أي أنهم أهل كوا بالعذاب حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كالجف الحصيد وخذوا كما

تخذ النار وهذه قصة أهل قرية في جهة اليمن يقال لها حضور بفتح الحاء وباضاد المجهمة بعث الله لهم
نبينا وهو موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب وكان قبل موسى بن عمران فقتلوا ذلك النبي عليه السلام
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه الله على أهل بيت المقدس فلما علموا أنهم مدركون خرجوا هاربين فقالت
لهم الملائكة استهزأوا لا تركضوا الخ فرجعوا فقتلهم جميعا ولم يترك فيهم عينا تطرف فلما رأوا القتل
فيهم أقروا بذنبهم وندموا وقالوا يا ويلنا أي يا ويل احضر فهذا وقتك ولم ينفعهم هذا الندم كقوله تعالى فلم
يك ينفعهم إيمانهم (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما الا عجين) أي وما سوى بنا هذا السقف المرفوع
وهذا المهاد الموضوع وما بينهما مما من الجباب التي لا تحصر أنواعها خالية عن الحكم كما تسوى الجبابة
موقوفهم وفروشهم للعب وانما سوى بناها لغوا في دينية ودينية ليتكفرا المتكفرون فيها ويستدلوا بها الى
معرفتنا وللنافع التي لا تحصى (لو أردنا أن نتخذ لهم) أي ما يلعب به (لا نتخذنا من لدنا) أي من جهة قدرتنا
على يليق بشأننا من المجرىات لا من الاجسام المرفوعة والاحرام الموضوعة لكن يستحيل ارادتنا له لما فاته
الحكمة فيستحيل اتخاذه قطعا (ان كنا فاعلين) اتخاذا لله هو أردناه لئلا نلزمه فم نتخذه ويجوز أن تكون
ان نافية أي ما كنا فاعلين اتخاذا لله ولعدم ارادتنا به (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) أي يذهب
بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية (فأذا هو) أي الباطل (زاهق) أي ذاهب بالكلية وهذا انتقال من
ارادة اتخاذا لله - تنزيه ذاته تعالى كانه تعالى قال سبحانه ان نريد اتخاذا لله بل شأننا بتضي حكمتنا
ان تغلب اللب بالجود ونقض الباطل بالحق والمقصود من هذه الآية تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وردد على منكريهم الا انه تعالى أظهر المجزة عليه صلى الله عليه وسلم فان كان محمد كاذبا كان أظهر الله
المعجزة عليه من باب اللب وذلك منفي عنه تعالى وان كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل
ما ذكره من المطاعن (ولكم الويل) أي ولكم يا كفار مكة شدة العذاب (عما تصفون) أي من أجل
قولاتكم بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ونسب القرآن الى انه محر وأضغاث أحلام الى غير ذلك من
الباطيل وهذه الآية دالة على أن أهلا الله أهل القرى لتكذيبهم الرسل عدل منه تعالى ومجازاة على
ما فعلوا (وله من في السموات والأرض) فهو تعالى منزوع عن طاعتهم - لأنه تعالى هو المالك لجميع المحدثات
(ومن عنده) أي والملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالهم لا يسكبون عن عبادته) أي لا يتعظمون
عن طاعته تعالى ولا يعدون أنفسهم كبير ا فكيف يليق بالبشر مع نهاية الضعف التردد عن طاعته
(ولا يستحسرون) أي لا يسمون ولا يتعبون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي ينزهونه تعالى في
جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بشغل آخر قال كعب الاحبار والتسبيح لهم كالنفس لنا فهو متصل دائم
في جميع الاوقات فكما ان اشتغائنا بالتنفس لا يمنعنا من الكلام فكذا اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم من
سائر الاعمال (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) فأم بمعنى بل والهمزة ومعناها انكار انشار الاسماء
للوقى لانكار نفس الاتخاذ فادامهم على عبادتها يوجب عليهم الاقرار بكون الآلهة قادرين على الحشر
والنشر والثواب فاذا كانوا غير قادرين على ان يحبوا ويمتوا ويضروا وينفعوا فأى عقل يجوز اتخاذهم
آلهة فقوله من الأرض كقولك فلان من مكة أي فلان مكى فعنى نسبة الاصنام الى الأرض اعلام بأن
الاصنام التي تعبد ما ان تكون منحوتة من بعض الحجارة أو معمولة من بعض جواهر الأرض وفي قوله
نعالى هم ينشرون معنى الخصوصية وحاصل المعنى بل أعبد أهل مكة آلهة أرضية لا يقدر على احياء
الوقى من القبور الا هم وحدهم فذكر ذلك على سبيل التهكم بهم والتجهيل (لو كان فيهم ما آلهة الا الله

(فسدتا) أى لتولى أمور السموات والارض الى غير الواحد الذى هو فاطرهما المطلبنا بما فيهما جميعا وحيث
 نتقى فسادهما علم انتفاء تدبير الهين ويدل العقل على ذلك لانا لو قدرنا الهين لكان أحدهما اذا انفرد صرح
 منه بتحريك الجسم واذا انفردا الثاني صرح منه بتسكينه فاذا اجتمعا وجب أن يبقيا على ما كانا عليه وقت
 الانفرد فيصح أن يحاول أحدهما التحريك والآخر التسكين فالأمر أن يحصل المرادان وهو محال لاجتماع
 الضدين واما ان يمتنعوا وهو محال أيضا لكون كل واحد منهما عاجزا فثبت فساد نظام العالم فكان القول
 بوجود الهين باطلا فثبت ان مدبر العالم الواحد هو الذى اعرفت حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما فى العالم
 السفلى والعالى دليل على وحدانية الله تعالى (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أى تزهوا الله عما
 يقول الكفار بوجود آلهة غير الله لاجل هذه الأدلة فالاشتغال بالتنزيه انما ينفع بعد إقامة الأدلة على
 كون الله تعالى منزها فثبت الله تعالى على نكتة خاصة بعبدة الاصنام وهى كيف يجوز للعاقل أن
 يجعل الجهاد الذى لا يعقل شريكا فى الألوهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين والالواح
 والقلم ومدبر الخلائق من النور والظلمة والنباتات وأنواع الحيوانات والذات والصفات (لا يستل هما
 بفعل) أى عما يحكم فى عبادته من اعزاز واذلال وهدى وضلal واسعاد واشقاء لانه المالك القاهر (وهم)
 أى العباد (يسئلون) سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر
 مولاهم والله تعالى ليس له شريك فى الألوهية يقول له لم فعلت كذا (أم اتخذوا من دونه آلهة) أى بل
 أوصفوا الله تعالى بأن له شريكا وهذا استعجاب أمرهم واظهار جهلهم (قل) يا أكرم الرسل (هاؤنا
 برهانكم) على اثبات الآلهة امان جهة العقل أو من جهة النقل كما أثبت أنا ببرهان النقل
 المؤيد بالعقل (هنا ذكر من معنى وذكر من قبلى) أى هذا اثبات وحدانية الله عظمة أمى
 وعظمة الأهم الماضية فهم متمسكون على التوحيد فاقيموا أنتم برهانكم على تعدد الآله ولا يمكن اثبات
 التعدد بالبرهان (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يعيزون بين الحق والباطل (فهم معرضون) عن
 استماع الحق أى ان وقوعهم فى المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل ذلك لان عندهم ما هو
 أصل الفساد وهو عدم العلم ثم تفرع منه الأعراض عن طلب الحق (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا
 نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) أى فوحدوني فالحكمة فى بعث الرسل مقصورة على المصلحة
 اثبات وحدانية الله تعالى وعبادته بالاخلاص وقرأ حفص وحزق والكسائى بالنون والباقون على صيغة
 الغائب مبنيا للفعول (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى وقال فرق من أجناس العرب وهم خزاعة
 وجهينة وبنو سلمة وبنو ملح الملائكة بنات الله (سبحانه) أى تنزه الله تعالى تنزيهه بالاثبات لله تعالى
 (بل عباد) أى ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد الله تعالى فالعبودية تنافى الولدية كما ان الولد
 للانسان لا يكون ولده (مكرمون) أى مقربون عنده تعالى ومفضلون على سائر العباد بالعصمة
 (لا يسبقونه بالقول) فانهم يتبعونه فى قوله تعالى ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله (وهم
 بأمره يعملون) أى فلا يعملون هم الا لما لم يؤمر به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما قدموا وما
 أخرؤا من أعمالهم أى لما عملوا كونه تعالى عالما بكل شئ علما كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم
 فكان ذلك داعيا لهم الى نهاية الخضوع وكمال العبودية (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن هو مرضى
 عند الله وهو من قال لا اله الا الله ولا يشفعون لمن لم يأذن الله شفاعته مهابة من الله تعالى (وهم من
 خشيته) تعالى (مشفقون) أى مرتعدون فلا يأمنون من مكره تعالى وهم خائفون أى يؤاخذهم الله

بما قالوا أو بما عملوا وهذه المذكورات صفات للعبيد لاصفات الاولاد (ومن يقل منهم) أي الملائكة
 (أنى انه من دونه) أي من غير الله (فذلك نجزيه جهنم) فلا ينفعهم ما ذكروا من صفاتهم السنية وأفعالهم
 المرضية وهذا على سبيل التقدير اذ لم يقع من واحد من الملائكة انه قال ما ذكروا في ذلك دلالة على قوة
 ملكوته تعالى وعزة جبروته (كذلك نجزي الظالمين) أي مثل ذلك الجزاء نجزي الذين يضعون
 الاشياء في غير مواضعها (أو لم ير الذين كفروا) أي ألم يتفكروا ولم يعلموا (أن السهوات والارض
 كانتا رقعا) أي مستوية صلبة ملتصقا ببعضها على بعض لم تنزل من السماء قطرة من مطر ولم ينبت على
 الارض شيء من النبات (ففتقناهما) أي شققنا السماء بنزول المطر منها وشققنا الارض بظهور رانبات
 عليها قرأ ابن كثير ألم ير غير واو بين الهمزة ولم (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلفنا من ماء الذكروا
 والانثى كل حيوان أو صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بدله من ذلك وقرئ حيا بالنصب مفعول ثان
 (أفلا يؤمنون) أي ألا يتدبرون هذه الأدلة فلا يؤمنون بتوحيدي (وجعلنا في الارض رواسي)
 أي جبالا ثوابت أو تدالها (أن تعبدوهم) أي كراهة ان تتحرك بهم قار ابن عباس ان الارض
 بسطت على الماء فكانت تتكفأ باهلها كما تنكفأ السفينة فأرسلها الله تعالى بالجبال الثقال (وجعلنا
 فيها) أي في الجبال (فججا) أي مسالك واسعة (سبلا لعلهم يهتدون) أي لكي يهتدوا الى
 منافعهم والى وحدانية الله بالاستدلال (وجعلنا السماء سقفا) على الارض (محفوظا) من السقوط
 ومن الشياطين بالشهب (وهم عن آياتها) أي عن الآيات السكاثة فيها الدالة على وحدانية الله تعالى
 وعلمه وقدرته واراادته (معرضون) لا يتفكرون فييقنون على الكفر والضلال (وهو الذي خلق الليل
 والنهار والشمس والقمر كل) أي كل واحد منهما (في فلك) أي طاحونة مستديرة كهيمته فلك المغزل
 (يسبحون) أي يسبحون في سطح الفلك كالسبح في الماء والجملة حال من الشمس والقمر والجمع باعتبار
 المطالع (وما جعلنا البشر من قبلك الخلد) أي البقاء في الدنيا (أفان من) يا شرف الخلق (فهم
 الخالدون) في الدنيا أي ان مات أنت يا خاتم الرسل أبقى هؤلاء حتى يشهدوا بعونك نزلت هذه الآية في
 قولهم نتظر محمد حتى يموت فنستريح ويحتمل انه لما ظهر انه صلى الله عليه وسلم حاتم الانبياء جاز أن يقدر
 مقدرا له لا يموت اذ لمات لتغير شرعه فنبه الله تعالى على ان حاله كحال غيره من الانبياء عليهم السلام في
 الموت (كل نفس ذائقة الموت) أي ذائقة مرارة مفارقتها جسد ها في الدنيا (ونبلوكم بالشر
 والخير فتنة) أي نعاملكم بالشر والخير معاملة المختبر باختبار الغنظر أتصبرون عند الشر وتشكرون
 عند الخير أم لا فالشر هو المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة على المكلفين والخير
 هو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من المراتب (والينار جعون) أي الى حكمنا ترجعون
 بعد الموت فنجزىكم بأعمالكم (واذ أرك الذين كفروا ان يتخذوا ذلك الاهزوا) يقولون في حال اهز
 (أهذا الذي يدكر آلهم) بعيب ونقصان فأن نافية وهي وما في حيزها جواب اذا ولا يجب ان يمان الغاء
 في جواب اذا منفي بان أو بما والمعنى واذا أرك الذين كفروا كافي جهل وأبي سفيمان ما يفهمون بل لا
 اتخاذ اهزوا قائلين هذا الذي الخ ويحتمل ان جواب اذا محذوف وهو القول وتكون الجملة المنفية
 معترضة بين الشرط وجوابه المقدر والتقدير يقول بعضهم لبعض في حال السخرية هذا الذي الخ (وهم
 يدكر الرحمن هم كفرون) وهم الاول مبتدا وخبره كفرون وبذكر متعلق بالخبر وهم الثاني تأكيد
 لفظي الاول وهذه الجملة حال من فاعل القول المقدر والمعنى انهم يعيبون على النبي صلى الله عليه وسلم

أن يدكر بالسوء آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع والحال أنهم جاحدون بذكر الرحمن بما يليق به من التوحيد
 وهو المنعم عليهم -م الخالق المحي المميت فانهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمة اليامة وهو -ميلة
 الكذاب (خلق الانسان من عجل) أى خلق الانسان عجولا روى ان هذه الآية نزلت في النضر بن
 الحرث حين استجبل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر الآية (سأريكم آياتي)
 نى نعماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره وفي الدنيا كوقعة بدر فانما استأنى في وقتها (فلا تستجبلون) في
 طلب العذاب قبل الاجل (ويقولون) أى كفار مكة بطريق الاستهزاء والانكار لا بطريق الالتزام
 في تعسير وقت العذاب (متى هذا الوعد) أى وعدازاة الآيات التي تعدنا يا محمد (ان كنتم صادقين) في
 وعدكم بان العذاب يأيننا (لويعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أى لا يدفعون (عن وجوههم
 النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) في دفع العذاب أى لويعلمون الوقت الذي يسئلون عنه
 بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط النار بهم فيه من كل جانب لا يقدررون على دفعها
 عن أنفسهم بأنفسهم ولا يجدون ناصر ينصرهم في دفعها لما استجبلوا العذاب ولما قاموا على انكارهم
 ولرجعوا الى طلب الحق فقوله حين مفعول به ليعلم (بل نأتينهم) أى النار (بغتة فنبهتهم) أى
 فتحيرهم (فلا يستطيعون) بقوتهم (ردها) أى دفع النار عنهم بالسكينة (ولا هم ينظرون) أى يهلون
 ليستر يحوا طرفة عين بشؤم الانكار والاستهزاء (ولقد استهزئ برسلى من قبلك) أى وبالله لقد
 استهزئ برسلى أولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك (لحاق) أى أحاط عقب
 ذلك (بالذين سخروا منهم) أى من أولئك الرسل عليهم السلام وهو متعلق بحق (ما كانوا به
 يستهزون) أى جزاء الذى كانوا يستهزون فكذلك يحيق بعن استهزؤا بل واستهزأهم (قل)
 يا أشرف الخلق للمستهزئين بل بطريق التقريع (من يكأؤكم بالليل والنهار) أى من يحفظكم في
 الليل اذا غتم وفي النهار اذا انصرفتم الى معاشكم (من الرحمن) أى من عذاب الرحمن اذى تستحقونه
 ان تزل بكم (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أى بل هم لا يخطررون ببالهم ذكره تعالى مع انعامه عليهم
 ايلانهارا بالحراسة فضلا ان يخافوا عدايه تعالى فلولا ما لوى انه لا حافظ لهم سواه تعالى لتركوا عبادة
 الأصنام التي لاحظ لها في حفظهم ولا في الانعام عليهم (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أى بل آلهة
 تمنعهم من ما يحزنهم كائنة من غيرنا فن دوننا صفة لآلهة (لا يستطيعون) أى آلهتهم (نصرأنفسهم)
 أى حمايتهم عن الآفات فكيف تقدر على حمايتهم غيرها (ولا هم منا) أى من عذابنا (يذهبون) أى
 يذهبون فكيف يمنعون غيرهم من العذاب (بل متعنا هؤلاء وآباؤهم حتى طال عليهم العمر) فحسبوا
 ان لا يزالوا كذلك وان ذلك بسبب ما هم عليه أى دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلام آلهتهم بل ما هم
 فيه من الحفظ اغما هو منا حفظناهم من البأساء ومتم ما هم بأنواع السراء لكونهم من أهل الاستدراج
 والانهماك فيما يؤدبهم الى العذاب (أفلا يرون أنا أنزلنا من الأرض تنقصوا من أطرافها) أى ألا ينظر
 هؤلاء المشركون بالله المستجبلون بالعذاب فلا يرون أنا أنزلنا من أرض الكفرة واحدا بعد واحد وفتت
 له بلاد القرى عما حول مكة لمحمد وغيت رؤساء المنكرين المتنعين بالدنيا ونقص من الشرك باهلاك
 أهله (أفهم الغالبون) على محمد وأصحابه أما كان لهم عبرة في ذلك فكيف يتوهمون انهم ناجون من
 بأسنا (قل) لهم (انما أنذركم بالوحى) الذى هو كلام ربكم فلا تظنوا ان ذلك من قبلى بل الله أمرنى
 بأنذاركم (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) قرأ ابن عامر ولا تسمع بالثناء المضمومة وكسر ايم

وبنصب الامهين اى ولا تقدر يا اشرف الرسل ان تسمع الدعاء من يتصامم (واثن مستهمة فحة) اى
وبالله اثن اصابهم شئ قليل (من عذاب ربك ليقوان يا ويلنا) اى ياهلاكنا (انا كنا ظالمين)
على انفسنا (ونضع الموازين القسط) اى نقيم المرازين العادلة التى توزن بها صحائف الاعمال
(ليوم القيامة) اى فيه اول اجل اهل (فلا تظلم نفس شيئا) اى حقا من حقه وقها بار يوفى كل
ذى حق حقه ان خيرا خيرا وان شرا شرا (وان كان) اى العمل (مثقلا حبة) اى وزن
حبة (من خردل اتيانها) اى احضرنا ذلك العمل للوزن وقرأنا فرفع مثقال على ان كان تامة
(وكفى بناس حسبين) اى محصين فى كل شئ (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضيانه وذكرا
للنقتين) اى وبالله اقد آتينا هما كتابا جامعين كونه فارقا بين الحق والباطل وضيانه يستضاء
به فى ظلمات الجهل لافيه من الشرائع وذكريات تعظ به الناس (الذين يخشون ربهم بالغيب) حال من
الفاعل اى يخشون عذاب ربهم حال كونهم فى الخسوفات منفردين عن الناس لخشيته من عقاب
الله لازم لعلو ربهم لان ذلك مما يظهر وانه فى الملاء وحال من المفعول اى يخشون عذابه تعالى وهو غائب
عنهم غير مشاهد لهم فيعملون له تعالى (وهم من الساعة) اى ما جرى فى يوم القيامة من الحساب
والسؤال والميزان (مشفقون) اى خائفون فيعدون بسبب ذلك الخوف عن معصية الله تعالى (وهذا)
اى القرآن (ذكر مبارك) اى كثير النفع غزير العلم (أزلناه) على اشرف الرسل محمد صلى الله
عليه وسلم (أفانتم له منكرون) اى ابعد ان علمتم ان شأن القرآن كشأن التوراة فى كونه منزلا
من عندنا فانتم يا اهل مكة جاحدون للقرآن خاصة دون كتاب اليهود فانهم كانوا يرجعون اليهود فيما عن
لهم من المشكلات (ولقد آتينا ابراهيم رسده) اى اهتداه لوجوه الصلاح فى الدين والدينار نبوته (من
قبل) اى من قبل ايتاه موسى وهرون التوراة (وكتابه عالمين) اى بأنه لا تثنى بما آتينا به قوم بحقه
ويجتنب ما ينفر قومه من العبوات (اذ قال) ابراهيم (لاييه) آزر (وقومه) غروذن كنعان
وأصحابه (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) اى ما هذه الصور التى أنتم عابدون لها وكانت تلك
الاصنام اثنين وسبعين صنما بعضهما من ذهب وبعضهما من فضة وبعضهما من حديد وبعضهما من رصاص
وبعضهما من نحاس وبعضهما من حجر وبعضهما من خشب وكان كبيرها من ذهب مكللا من جواهر فى
عينيه ياقوتتان متقدان تضئان فى الليل (قالوا وجدنا آباءنا له عاكفين) فنحن نعبد ما اقتدا بهم فلم
يجدوا فى جوابه الا طريقة التقليد فأجابهم ابراهيم وأبطله على طريقة التوكيد القسم بقوله (قال) اهم
ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم) الذى سنوا لكم هذه السنة الباطلة (فى ضلال مبين) اى فى خطأ
بين بحيث لا يخفى على أحد من العتلاء ذلك والتقليد اغما جاز لمن علم فى الجملة انه على الحق (قالوا أجئتنا
يا ابراهيم فى قولك هذا (بالحق) اى بالجد (أم أنت من اللاعبين) اى من الممازحين بنا فيه
(قال) ابراهيم (بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اى خلقهن على غير مثال سبق وهو
الذى خلقها لمنازع الابد وهو الذى يستحق ان يعبد لان من يقدر على ذلك يقدر على ان يضر وينفع فى
الدار الآخرة بالعقاب والثواب (وانا على ذلكم) اى كون ربكم رب السموات والارض فقط (من
الشاهدين) بذلك فأنا قادر على اثبات الحق فى ذلك وانى لست مثلكم أقول بغير اثبات الحق كالم قدروا
على الاحجاج لذهبكم ولم تزيدوا على مجرد التقليد بآباءكم (ونالته لا كيدن) اى لا كسرن
(أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) اى بعد ان تنطلقوا ذاهبين الى العيد روى أب آزر خرج فى يوم عيد

لهم فبدوا ببيت الاصنام فدخلوا فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خروا به معهم وذهب معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم أشتكى رجلى فتر كوه ومضوا ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس حيث قال وتالله لا كيدن أصنامكم فسمع قوله الضعفاء فرجع ابراهيم الى بيت الاصنام (لعلهم) أى الاصنام (جذاذا) أى قطاعا (الا كبيرهم) لم يكسره (لعلهم اليه) أى الى مقالة ابراهيم (يرجعون) فيمكنهم فيعدلون عن الباطل أى ان ابراهيم عليه السلام لما دخل بيت الاصنام وجد قبالة الباب صنما عظيما والى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذى يليه وكانوا يضعوا عند الاصنام طعاما ياكلون منه اذا رجعوا من عيدهم اليهم فقال لهم ابراهيم ألا تأكلون فكسرها كلها باس في يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفأس فى عنقه (قالوا) حين رجعوا من عيدهم ورواها مارأوا (من فعل هذا) أى التكسير (بألهتانه) أى من فعل (المن الظالمين) اما الجراءة على اهانة الآلهة أولا فراطه في الكسر أو لتعريض نفسه للهلكة فانهم كانوا يعتقدون في الاصنام انها تعاقب الكواكب وانها تلمس موضوعة بحيث ان كل من عبدها انتفع بها وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد (قالوا) أى الذين معوا وحلف ابراهيم وأخبروا كبرهم (معنا فتى يذكرهم) أى يعيب الاصنام ويسبها ففعله هو الذى فعل بها هذا الفعل (يقال له ابراهيم) أى يطلق عليه هذا الاسم وهذه صفة ثانية لفتى (قالوا) أى فيما بينهم والقائل لذلك القول هو النمرود (فأتوا به) أى بابراهيم (على أعين الناس) أى حال كونه ظاهرا للناس (لعلهم) أى بعض الناس (يشهدون) عليه بفعله فكل حاكم يحكم على جماعته بالجناية من غير بينة أسوء حالا فلا يحكم بعض الكفار على أهل الجيانة الا بمحضور عدول (قالوا) أى قال له غرود بعد اتيانه (أأنت فعلت هذا) أى الكسر (بألهتنا يا ابراهيم) قال ابراهيم متسكبا بهم ولم يلزم بالحجة (بل فعله كبيرهم هذا) أى الذى الفأس على عنقه وهو مشير الى الذى لم يكسره وسلك عليه السلام مسلكا تعريضا يؤديه الى مقصده الذى هو الزامهم بالحجة على اللطف وجهه بحملهم على التأمل فى شأن آلهتهم فهذا يستلزم نفي فعل الصنم الكبير للكسر وإثباته لنفسه عليه السلام وهو اشارة لنفسه على الوجه الا ببلغ مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل اذا القاعدة انه اذا دار فعل بين قادر عليه وعاجز عنه وثبت للعاجز بطريق التهكم به لم يضر منه انحصاره فى القادر فهذا نعت لكبيرهم أو يدل منه وقيل هو خبر لكبيرهم وتم الكلام عند قوله بل فعله وفاعل الفعل محذوف أى فعله من فعله ويروى عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يستبدى كبيرهم هذا وقرأ محمد بن السميع فعله كبيرهم بتشديد اللام أى فاعل الفاعل كبيرهم هذا (فأسألوهم) أى الاصنام على كسرهم (ان كانوا ينطقون) حتى يخبروكم من كسرهم وجواب الشرط هو ما قبله وهذا أمر يتبع بقوله بل فعله كبيرهم فيكون اسناد الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكون الكبير فاعلا والمعنى بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فأسألوهم وهذه التاويلات لفتى كذب سيدنا ابراهيم والاولى هو الاول فان التعريض لا يسمى كذبا أو أيضا يجوز أن يكون الله تعالى قد أذن له فى ذلك الكلام لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف عليه السلام حين نادى مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا (فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكير فلاموها (فقالوا) أى قال بعضهم لبعض فيما بينهم أو قال لهم ما لكم غرود (انكم أنتم الظالمون) بعبادة الاصنام لا من كسرها ومن قلتم فى حقها انه لمن الظالمين فانهم علموا بعد التفكر ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على غرور

في ذلك أو أنتم الظالمون لأنفسكم حيث سألتهم من إبراهيم عن كاسر الاصنام حتى أخذ يستهزئ بكم في
الجواب (ثم نكسوا على رؤوسهم) أي انه لبواعن الفكرة الصالحة الى الحالة الاولى فأخذوا المجادلة
بالباطل قائلين والله (لقد علمت) يا إبراهيم (ما هؤلاء) الاصنام (ينطقون) أي لقد علمت انه ليس من
شأنهم النطق فكيف تأمر نابسوا لهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا بالبناء للفاعل أي نكسوا
أنفسهم على رؤوسهم وهي قراءة رضوان بن عبد المعبود (قال) إبراهيم مبعكأ لهم (أفتعبدون من دون
الله) أي أنتم تعلمون ذلك فتعبدون متجاوزين عبادة الله تعالى (مالا ينفعكم شيأ) أي نفعاً قليلاً (ولا
يضركم أف لكم) أي قد زاروا بحالكم (ولما تعبدون من دون الله) أي غيره واللام لبيان المتفجر لاجله
وعائد الموصول محذوف وهذا تفجير من سيدنا إبراهيم من اسرارهم على الباطل الذين (أفلا تعقلون)
أي ألا تتفكفرون فلا تعقلون فبح صنيعكم من عبادة ما لا يضر في ترك عبادة ولا ينفع في عبادة (قالوا)
أي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المجادلة وضاعت عليهم الحيل والقائل لهم ملأكمهم غر وذن كنعان
وقيل القائل رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف الله به الارض (حرقوه) أي إبراهيم بالنار
(وانصروا آلهمكم) أي انتقموا منه لآلهتمكم (ان كنتم فاعلين) لنصرتها فاختراروا أشد العقوبات
وهي الاحراق وروى انهم لما اجتمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة في قرية كوثي فجمعوا
له أصناف الحطب شهراً وأوقدوا ناراً سبعة أيام حتى لومر الطير في أقصى الهواء لا تحرق ثم أخذوا
إبراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فرموا به في النار فجعل الله
الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى (قلنا يا نازكوني برداً وسلاماً على إبراهيم) أي ابردي برداً غير ضار
ومكث إبراهيم في النار سبعة أيام وكان عنده عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس وأثناء جبريل بقميص
من حرير الجنة وقال يا إبراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ولم تحرق النار منه
الا وثاقه فان الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والاحراق وأبقى ما فيها من الاضاءة والاشراق وروى
انهم أوقدوا عليه النار سبعة أيام بعد القائه في ذلك البنيان ثم أطبقوا عليه ثم فتحوا عليه من الغد فاذا
هو غير محترق ويعرق عرقاً فقال لهم هارن أبو لوط عليه السلام ان النار لا تحرقه لانه بحر النار
ولكن اجعلوه على شيء وأوقدوا النار تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بر وأوقدوا النار تحته فطارت
شرارة فوقعت في حية أبي لوط فأحرقته (وأرادوا به) أي إبراهيم (كيدا) أي مكر أعظم ما في الضرار به
(فجعلناهم الاخيرين) فانهم خسروا السعي والنفقة فلم يحصل لهم مرادهم وهلكوا بإرسال الله عليهم
البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغ غر وذب عوضة فأهلكته (ونجينا) أي إبراهيم
من النار (ولوطاً) ابن أخيه هارن الأصغر من الخسف وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر
وأما هارن الأكبر فكان عم إبراهيم وكانت سارة بنت عم إبراهيم الذي هو هارن الأكبر (الى الارض التي
باركنا فيها للعالمين) في الدين والدنيا أي بلغناهم من العراق الى الشام فنزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط
بالموتفكة وبينهم مسيرة يوم وليسلة وسبب بركة الشام في الدين لان أكثر الانبياء بعثوا منها فانتشرت
شرائعهم فيها وفي الدنيا لان الله تعالى بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثر (وهبناله) أي لإبراهيم
عليه السلام (امحق ويعقوب) أي وهبناهما لإبراهيم (نافلة) أي عطية وفضلاً من غير أن يكون جزاء
مستحقاً فنافلة منصوب على المصدر (وكلاً) أي كل واحد من هؤلاء الاربعة (جعلنا صالحين) في الدين
والدنيا فصاروا كاملين (وجعلناهم أمّة) يقتدى بهم في امور الدين (يهودون) أي يدعون الناس الى الخيرات

(بأمرنا) واذا (وأوحينا إليهم فعل الخيرات) أى أن يعملوا الشرائع هم وأتباعهم (واقام الصلاة وإيتاء الزكاة) وهذان من عطف الخاص على العام دلالة على انافتهم ما ذان الصلاة أفصل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات البدنية (وكانوا ناسا عابدين) أى مخلصين في العبادة لا يخطر ببالهم غير عبادتنا (ولوطا آتيناه حكما) أى فصلا بين الخصوص قال الزجاج أى هذه الجملة عطف على قوله وأوحينا إليهم وقال أبو مسلم عطف على قوله آتيناه إبراهيم رشده أى وآتيناه لوطا (وعلمنا) لا ثقباه (ونجيناه من القرية) أى من أهل قرية سدوم (التي كانت تعمل الجباث) أى التي كان أهلها قبل انجائنا له منها يعمل الاعمال الجباث من المواط ورعى المارة بالبندق واللعب بالطيور والتضارط في أنديتهم وغير ذلك (انهم كانوا قوم سوء) أى قوم يحرزون الناس بأفعالهم (فاسقين) أى خارجين من كل خير (وأدخلناه) أى لوطا (في رحمتنا) بأن فتحت عليه أبواب المكاشفات وتجلت له أنوار الالهية (انهم الصالحين) أى من المستعدين لقبول ذلك وللدخول فيه (ونوحا) عطف على قوله ولوطا أى ونوحا آتيناه حكما (اذنادى) أى دعا على قومه بالعذاب بدل اشتغال من نوحا (من قبل) أى من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجناؤه) الدعاء (فنجيناه وأهلكه) أى أهل دينه (من الكبر العظيم) وهو الغرق وأدية قومه (ونصرناه من القوم) أى عصمناه من مكروه القوم كما قاله المبرد وقال أبو عبيدة من بمعنى على كقراءة أنبى بن كعب ونصرناه على القوم (الذين كذبوا بآياتنا) الدالة على رسالته عليه السلام (انهم كانوا قوم سوء) لاجل تكذيبهم له (فأغرقناهم أجمعين) بالطوفان لاصرارهم على تكذيب الحق ولأنهم ما كهم في الشر وهذا بيان للوجه الذي خلصه الله منهم به (وداود وسليمان) أى آتيناهما حكما (اذيحمكان في الحرث) أى في حق الزرع (اذنغشت فيه غنم العوم) أى انتشرت في الزرع غنم القوم في الليل ترعى بلاراع (وكنا الحكمهم) أى داود وسليمان (شاعدين) أى اغماحكما بإرشادنا لهما ووقع الجمع موقع التثنية مجازا ويدل على ذلك قراءة ابن عباس الحكمهما بصيغة التثنية (فقهمناهما) أى الغنم (سليمان وكلا) أى كل واحد منهما (آتيناهما حكما وعلمنا) كثيرا روى أنه دخل على داود عليه السلام رجلا فقال أحدهما ان غنم هذا دخلت في حرق ليلا فأفسدته وما أبقيت منه شيئا فقال داود عليه السلام اذهب فان الغنم لك وقدر روى أنه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فأخبراه بذلك فقال لو كنت أنا القاضي اقضيت بغير هذا وهو أرفق بالفرقة فأخبر بذلك داود عليه السلام فدعا وقال كيف تقضى بينهما فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له منافعهما من الدر والنسل والصوف وادفع الحرث الى أرباب الغنم ليعوموا عليه حتى يعود كهيفته يوم أكل ثم دفعت الغنم الى أهلها وقبض صاحب الحرث حرثه فقال داود القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك ورأى داود قياص كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى المجنى عليه أو يفديه عند أبي حنيفة ببيعه في ذلك أو يفديه عند الشافعي ورأى سليمان استحسان كما قال أصحاب الشافعي فمن غصب عبدا فأبق منه أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغموب منه بآزاه ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادوا وحكم هذه المسئلة في مذهب الشافعي ان الغنم ان كانت وحدها ولو بعهره فأتلفت شيئا كزرع ليس لا أو نهرا ضمنه ذو يدان فرط في ربطها وأرسالها كان ربطها بطريق ولو واسعا وكان أرسلها ولو في نهار لم رعى بوسط مزارع فأتلفتها فان لم يفرط كان أرسلها لم رعى لم تتوسطها مزارع لم يضمن ومذهب أبي حنيفة وأصحابه عدم الضمان بالليل والنهار الا ان يكون

معها سائق أو قائد (ومخزنا) أي ذلنا (مع داود الجبال يسبحن) أي ينطقن بالتسبيح وكان داود يسبح وحده فأن الله تعالى خلق فيها الكلام كسبح المحصى في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك (والطير) أي إذا ذكر داود عليه السلام به ذكرت الجبال والطير بهامعه (وكنافا علين) أي أناقادرون على أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم أي مستغرباً في اعتقادكم (وعلمناه صنعة لبوس) أي درع (لكم) أي لاجلكم يا أهل مكة فإن الله تعالى ألان الحديد لداود فكان يعمل منه بغير نار كأنه طين (لتحصنكم من بأسكم) أي لتحصنكم من الجرح والسيوف والسهم والرمح فقرأ أشعياً بالنون وابن عامر وحفص بالتاء فالضمير لللبوس والباءقون بالياء التحية فالضمير لداود وألبوس وهذا يدل اشتغال من لكم مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة (فهل أنتم شاكرون) أي أشكروا الله يا أهل مكة على ما يسر عليكم من هذه الصنعة بتصديق الرسل (ولسليمان الریح عاصفة) أي شديدة المهبوب فإذا مرت بكرسيه عليه السلام أبعدت به في مدة يسيرة أي جعلنا الریح طائفة لسليمان فإن أرادها عاصفة كانت عاصفة وإن أرادها لينه كانت لينه (تجری بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر إلى الشام وإلى حيث شاء ثم يعود إلى منزله قال وهب كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج إلى مجلته معكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حين يجلس على سريره وكان امرأ غزياً قماً كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض إلا آتاه حتى يذله وروى أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللاً بلاد الترك ثم جاوزهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها إلى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياماً وغدا منها فقال بكسكرك ثم راح إلى الشام وكان مستقره بمدينة يومر (وكنابكل شيء عالين) فتجربى ما مخزنا له بحسب ما تفضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) أي ومخزنا سليمان من الشياطين الكافرين من يدخلون في البحار ويخرجون الجواهر منها (ويهلون عملاً دون ذلك) أي غير ذلك من بناء المدن والقصور وصنع النورة والطاحون والقوارير والصابون والحمام لأن ذلك من استخراجاتهم (وكلهم حافظين) حتى لا يخرجوا من أمره وحافظين من أن يفسدوا ما عملوا فكان دأبهم أنهم يعملون بالنهار ثم يفسدون في الليل ومن أن يهيجوا أحداً على أحد في زمانه عليه السلام (وأيوب) أي آتينا حكماً (إذا نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وكان أيوب عليه السلام وميماً ولد عيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط وكان الله تعالى قد جعله نبياً وقد أعطاه من الدنيا حظاً وافراً من النعم والدواب والبساتين وأعطاه ولداً من رجال ونساء وكان رحيماً بالمساكين وكان يكفل الأيتام والأرامل ويكرم الضيف فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة فإنه خرج من فرقه إلى قدمه ثأيل وقد وقعت في جسده حكة لا يملكها وكان يحك بأظفاره حتى سقطت أظفاره ثم حكها بالسوح الحشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وأنت فآخريه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشاً وروى أن امرأته ما خير بنت ميثابن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت افرام بن يوسف قالت له يومالودعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رختي وروى أن إبليس أتاه على هيئة عظيمة فقال أنا له الأرض فعلت بزوجك ما فعلت لانه

تركني وعبداله السهاء لو سجدت لي مهيبة لرجعت المال واؤلد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسه لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول المعين اثن عافاني الله تعالى لا ضرب بك مائه سوط وحرام علي أن ذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشربك فطردها ذهبت فبقي طريقا في الكناسه لا يحوم حوله أحد من الناس فلما نظر ايوب في شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خرسا جدا فقال رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقال تعالى ارفع رأسك فقد استجيت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت من تحته عيين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت منه ولا جراحة الا برئت ثم ركض برجله مرة أخرى بعد ان مشى أربعين خطوة فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله حتى صار أحسن ثم كسى حلة فلما قام جعل يلثغ فلا يرى شيأ عما كان له من الاهل والولد والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى حتى روى ان الماء الذي اغتسل منه قطار على صدره جراد من ذهب فخرج حتى جلس على مكان مشرق ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني أفأتركه حتى يموت جوعا ويا كله السباع لا رجعت اليه فلا رجعت ما رأت تلك الكناسه ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسه وتبكي وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسأله عنه فأرسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريد يا أمة الله فبكيت وقالت أردت ذلك المثل الذي كان ملقى على الكناسه فقال لها ايوب عليه السلام ما كان منك فبكيت وقالت بعلي فقال أنعرفينه اذ ارايتيه قالت وهل يخفى علي فتبسم وقال أنا هو فعرفته بضحك فاعتنقته ثم قال انك أمرني أن أذبح سحلة لا بليس واني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله تعالى فرد علي ما ترين وذلك قوله تعالى (فاستجبنا له) الدعاء (فكشفنا ما به من ضر) أي مرض وهزال (وأتينا أهله ومثلهم معهم) روى ان امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا قال ابن عباس أبدل بكل شيء ذهب منه ضعفاء وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكا فقال ان ربك يترؤك السلام بصبرك فاخرج الى أندرك وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام فخرج اليه فأرسل عليه جراد من ذهب (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) أي آتينا ما ذكر رحمتنا ايوب وتذكر لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فينا بوا كما أتيب (واسماعيل) ابن ابراهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (رذا الكفل) واسمه بشر أي أعطيناهم ثواب الصابرين (كل من الصابرين) على أمر الله والمرآزي (وأدخلناهم في رحمتنا) أي في النبوة (انهم من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح فصلاحهم معصوم من كدر الفساد فاسماعيل قد صبر عند ذبحه وعلى الإقامة في بلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء البيت فأخرج منه خاتم النبيين وادريس قد صبر على دراسة الكتب وسمى ادريس لكثرة دراسته وبعث الى قومه داعيا لهم الى الله تعالى فأبوا فأهلكهم الله ورفع الى السهاء الاربعة وذو الكفل قد صبر على قيام الليل وصيام النهار وأذى الناس في الحكومة بينهم بأن لا يفض ومعى الكفل هو النصيب وانما هي ذو الكفل بذلك على سبيل التعظيم فيكون الكفل كفل الثواب لانه كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقد كان في زمانه أنبياء عليهم السلام (وذا النون) أي واذا كرسا صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (اذ ذهب مغاضبا) أي غضبان على قومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيتهم وتمادى اصرارهم مهاجرة عنهم قبل أن يؤمروا لانهم لما لم يؤمروا وعدهم بالعذاب فلما كشف العذاب عنهم بتوبتهم وهو لم يعرف الحال خرج منهم غضبان من ذلك (فظن أن لن نقدر عليه) أي ظن انه لن نضيق عليه أي فانه ظن أنه مخير ان شاء أقام

وان شاء خرج وانه تعالى لا يضيق عليه في اختياره فأتى بجرار وم فوجد قوما هيوا سفينة فركب معهم فلما
تلمحت السفينة تكفأت بهم وكادوا ان يغرقوا فقال الملا حون ههنا رجل طاص أو عبد آبق لأن السفينة
لا تكون هكذا من غير ربح الا وفيها رجل طاص فلا بد من أن نقترع ليظهر فن وقعت عليه القرعة
القيناه في البحر فان غرق واحد خير من أن تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقع القرعة فيها على
يونس عليه السلام فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق وألقى نفسه في البحر فجاوت فابتلعه فأتى
الله تعالى الى ذلك الحوت لانا كل له لحما ولا تمشم له عظما فانه ليس رزقا لك وانما جعلتك له سجننا
(فنادى في الظلمات) أي في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت آخر خصل في
ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر والليل (ان لا اله الا انت) أي بانه فان مخافة من أن المشددة أو بمعنى
أي (سجنانك) أي أنزهك تنزيها لا نقابك من ان يهزك شيء (اني كنت من الظالمين) بفرارى
من قومي بغير اذنك فكان ذلك ظلما فعوقب على ترك الافضل الذي هو المكث فيهم صابرا على أداهم فانه
خرج لا على تعمد المعصية بل لظنه ان خروجه موسع يجوز أن يقدم ويؤخر فتد وصف يونس عليه السلام
ربه بكال الربوبية ووصف نفسه بضعف البشرية والنقص في أدا حق الربوبية وهذا القدر يكفي في
السؤال ولذا قال تعالى (فاستجبنا له) دعاه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو
بدعوة ذي النون في بطن الحوت الا استجب له (ونجينا من الغم) بسبب كونه في بطن الحوت
وبسبب خطيئته فالقاء الحوت في الساحل من يومه أربع وثلاثه أيام (وكذلك) أي كما أنجينا يونس من
كرب الحبس اذ دعانا (ننجي المؤمنين) من كبرهم اذا استغاثوا بنا داعين بهذا الدعاء (وزكريا)
أي واذ كثر خبره (اذ نادى ربه) بقوله (رب لا تدني فردا) أي وحيدا بلا ولي يرثي اراث نبوة وعلم
وحكمة (وأنت خير الوارثين) أثني عليه السلام على ربه لانه ينكشف عن علمه أن طاعة الامور راجعة الى
الله تعالى فانه تعالى الباقي بعد فناء الخلق (فاستجبنا له) دعاه (ووهبنا له يحيى) نبيا حكيما عظيما
(وأصلحناه زوجه) للولادة بعد انتهائهما الى اليأس منها بحكم العادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان
سزكريا مائة وسن زوجته تسع وتسعين (انهم) أي زكريا وولده وأهله (كانوا يسارعون في
الخيرات) أي في طاعة الله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي يفزعون الينا رغبة في ثوابنا ورهبة
من عقابنا (وكانوا لنا خاشعين) أي خائفين متواضعين في عبادتهم حذرين عن الانبساط في الامور
(والتي أحصنت فرجها) أي واذ كثر خبر مريم التي أحصنت فرجها احصانا كليما ان يصل اليه أحد
بجلال وحرام جميعا (فنفخنا فيها من روحنا) أي فنفخنا الروح في عيسى فيها أي أحيينا في جوفها أي
أجرينا فيه اجراء الهواء بالنفخ من جهة روحنا جبريل (وجعلنا من آية لالعالمين) أما آيات مريم
فظهر الحمل فيها لا من ذكر ورزقها كان يأتيها به الملائكة من الجنة وانهم تلتقم ثديا يوما قط وتكلمت
في صباها كما تكلم عيسى في صباه فجعل الله آية للناس فيستدلون بما خص به من الآيات على قدرته
تعالى وحكمته (ان هذه أمتكم أمة واحدة) أي ان ملّة الاسلام وهي التوحيد هي ملتكم أي الناس
حال كونها غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام أي يجب عليكم أن تكونوا عليها لا تخفروا عنها
وقرأ الحسن أمتكم بالنصب على البدل من هذه أو عطف ببيان وأمة بالرفع خبران ورفعهما معا خبرين
(وأنا ربكم فاعبدون) أي وحدوني واعرفوني أيها الكفار أو دوما على عبادتي أي المؤمنون (وتقطعوا
أسرهم بينهم) أي تغرقوا في أمرهم بأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض (كل) من الثابت على الدين

الحق والواجب عنه الى غيره (اليناراجعون) فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) أي القرائض والنوافل (وهو مؤمن) بالله ورسوله (فلا كفران لسيئه) أي لا حرمان لثواب عمله (واناله) أي اسعيه (كاتبون) أي مثبتون في صحائف أعمالهم (وحرام على قرية أنها كنهاها أنهم لا يرجعون) أي تمتنع على أهل قرية قدرنا هلاكهم بالموت عدم رجوعهم اليها للجزاء بأن يذهبوا تحت التراب باطلا من غير احساس بالنعمة أو بالعذاب أو المعنى واجب على أهل قرية أنها كنهاها بالموت عدم رجوعهم عن الشرك وعن الدنيا فان الحرام قد يجبي بمعنى الواجب كقوله تعالى قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيء أو ترك الشرك واجب وليس بمعزم (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أي يستقرون على الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون اليها ويتولون يا ويلنا الخ أو لا يرجعون عن الكفر حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس والمراد حتى اذا فتحت سد مأوذلك بعد نزول عيسى الى الارض وبين موت عيسى والنفخة الاولى قدر ثنتي عشرة سنة من السنين المعتادة وقرأ ابن عامر بـ شديدا التاء (وهم من كل حذب ينسلون) أي والحال أن يأجوج ومأجوج من كل مكان مرتفع يخرجون وقرأ ابن عباس من كل جدث أي والناس يخرجون من قبورهم فيحشرون الى موقف الحساب (واقرب الوعد الحق) أي وهو البعث والحساب والجزاء (فاذا هي) واذا للفاجأة تسد مسد الفاء فاذا دخلتها الفاء تعاونت على وصل الجزاء بالشرط وتأكدت والضمير للقصة وما بعده خبر مقدم أي فالقصة (شاخصة أبصار الذين كفروا) أي ان القيامة اذا قامت اذ فتحت أبصار هؤلاء من شدة الاهوال فلا تكاد تطرف من شدة ما يخافونه قائلين (يا ويلنا) أي ياهللا كنا تعال فهذا أو ان حضورك (قد كرا) في الدنيا (في غفلة) تامة (من هذا) أي الذي أصابنا من البعث والجزاء ولم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) أي لم نكن غافلين عنه بل كنا ظالمين أنفسنا بتعمد الكفر والاعراض عن الايمان حيث كذبنا الرسل وعبدنا الاوثان (انكم) يا أهل مكة (وما تعبدون من دون الله) أي من غير الله من الاوثان وغيرها (حصب جهنم) أي حطب جهنم يرمون فيها (أنتم لها واردون) أي داخلون فيها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا هذه الآية وقال له ابن الزبيري والد عبد الله القرشي خضعتك ورب الكعبة ليست اليهود عبدوا عذرا والنصارى المسيح وبنو ملج الملائكة رد صلى الله عليه وسلم بقوله ما اجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لمالا يعقل وقد أسلم الزبيري بهذه القصة (لو كان هؤلاء) أي أصنامهم (آلهة) كما يزعمون (ما وردوها) أي ما دخلوا النار (وكل) من العبد والمعبودين (فيها خالدون) أي لا خلاص لهم عنها (لهم) أي للعبد (فيها زفير) أي أنين وتنفس شديد (وهم فيها لا يسمعون) أصوات المعذبين لشدة الهول وظاعة العذاب وقد جرت عادة الله تعالى انه متى شرح عقاب الكفار أورد فيه بشرح ثواب الابرار فقال (ان الذين سبقتمنا الحسنى) أي الذين سبقتم سبقتمنا بالبشرى بالثواب على الطاعة (واثلث عنها) أي جهنم (مبعدون) عن المهافاتهم في الجنة وشتان بينهما وبين النار (لا يسمعون حسيبها) أي صوت جهنم وحركة تلويها اذا تزلوا منازلهم في الجنة وهذه الجملة بدل من مبعدون أو حال من ضميره وخبر ثان وهي مذكرة للبالغة في انقاذهم منها (وهم) أي من تقدم لهم الوعد بالثواب (فيما اشتبهت أنفسهم) أي تمتنع نعيم الجنة (خالدون) أي دائمون في غاية النعم (لا يحزنهم الفزع الأكبر) حين تغلق النار على أهلها ويبأسون من الخروج منها وحين يذبح الموت في صورة كبش أملح بين الجنة والنار وينادي يا أهل النار خلود بلا

موت فييأس أهل النار من الخروج منها حين يؤمر بالكفر إلى الذهاب إلى النار (وتتلقاهم الملائكة)
 أي الحفظة الذين كتبوا أعمالهم وأقوالهم على أبواب الجنة بالبشرى قائلين (هذا يومكم الذي كنتم
 توعدون) أي هذا الوقت وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم به في الدنيا فأبشروا بفنون المثوبات وبجميع
 ما يسركم بإيمانكم وطاعتكم (يوم نطوى السماء) بنون العظمة وقرى يطوى بالياء والتاء على
 البناء للمفعول فالظرف منصوب بإذ كراو بتلقاهم (كطى السجل للكتب) أي يوم نطوى السماء
 طيا كطى الطومار للكتب وقرى أحفص وحزمة والكساف بصيغة الجمع والباقون بصيغة لافراد
 واللام متعلقة بمحذوف وهو حال من السجل ومعنى طى الطومار للكتب كون الطومار سارا لتلك
 الكتابة ومحذوفها لان الطى ضد النشر الذي يكشف (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي نعيد ما خلقناه
 أولا إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجادا بعد عدم أو جعلنا الأجزاء المتبددة فهو تشبيه لإعادة بالابتداء
 في تناول قدرة الله تعالى لهم على السواء (وعدا علينا) أي وعدنا بالعادة وعدا حقنا لنجاز بسبب
 الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه (انا كنا فاعلين) أي انا سنفعل ذلك لا بد فوقع ما علم الله وقوعه
 واجب (ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك) أي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في
 التوراة أولقد كتبنا في جميع كتب الانبياء بعد ما أثبتنا في اللوح المحفوظ (أن الأرض يرثها عبادي
 الصالحون) أي أن أرض الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين واعزاز المسلمين (ان
 في هذا) أي في المذكور في هذه السورة من البراهين الدالة على التوحيد وصحة النبوة (لبلاغا) أي
 لكتاية (لقوم عابدين) أي عاملين بعلومهم وهم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان (وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين) أي وما أرسلناك يا أشرف الخلق بالشرائع الا رحمة للعالمين أي الا لاجل رحمتنا
 للعالمين قاطبة في الدين والدنيا فان الناس في ضلالة وحيرة فبعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فينبين
 صلى الله عليه وسلم سبيل الثواب وأظهر الاحكام وميز الحلال من الحرام وأن كل نبي قبل نبينا اذا كذبه
 قومه أهل كهم الله بالحسف والمسح والغرق والله تعالى أخرج عذاب من كذب نبينا إلى الموت ورفع عذاب
 الاستئصال عنهم به صلى الله عليه وسلم (قل) يا أكرم الرسل (انما يوحى إلى أنما الحكم اله واحد) أي
 انما يوحى إلى وحدانية الحكم (فهل أنتم مسلمون) أي يا أهل مكة خصصوا العبادة بالحكم الواحد وهو
 الله تعالى فالاستفهام بمعنى الامر (فان قولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقرب أم بعيد
 ما توعدون) أي فان أعرضوا عن توحيد المعبود فقل يا سيد الرسل اني أعلمتكم بأنى محارب لكم على
 اعلان ولكن لا أدري متى يأذن الله لي في محاربة بكم فتبين بهذا ان السورة مكية فان الامر بالجهاد كان
 بعد الهجرة (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) أي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام (ويعلم
 ما تكتُمون) من الاحقاد للمسلمين ومن النفاق فيجازيكم عليه (وان أدري لعلة فتنة لكم ومنازع إلى
 حين) أي ما أدري لعل تأخير الجهاد استدراج وضرر لكم وتمتع لكم إلى انقضاء آجالكم (قل)
 اي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حفص بصيغة الماضي والباقون بصيغة الامر (رب احكم بالحق)
 أي احكم بيننا وبين أهل مكة بالعدل المستلزم لتجويل العذاب وقد استجيب دعاء صلى الله عليه وسلم
 حيث عذبوا في بدر وأحد والخندق وحنين (وربنا الرحمن) أي كثير الرحمة على عباده (المستعان)
 أي المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) أي تقولون ان الشوكة تكون لهم وان داية الاسلام تحقق

ثم ترك فكذب الله ظنوتهم - ثم وخذلهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

﴿سورة الحج مختلطة بين مكى ومدنى وهى ست وسبعون آية وألف ومائتان واحد وتسعون كلمة وخمسة آلاف ومائة وخمسة وثلاثون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم) بأن تطيعوه بفعل المأمورات واجتناب المنهيات (إن زلزلة الساعة شئ عظيم) أى إن شدة حركة الأرض في قرب الساعة في نصف رمضان معها طلوع الشمس من مغربها أمر حادث جليل هائل لا تدرك العقول كنهه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الصور أنه قرن عظيم ينفع فيه ثلاث نفحات نفخة الفزع ونفخة الصعقة ونفخة القيام لرب العالمين وإن عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الأرض كالسفينة تضربها الأمواج أو كالقنديل المعلق ترجرجه الريح (يوم ترونها) منصوب بتذهل أو بدل اشتغال من زلزلة أى وقت رؤيتكم الزلزلة (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أى تغفل مع دهشة عن طفلها الذى ألقمته نديها بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تلقى الحوامل جنينها لغير تمام (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) فالحطاب لكل أحد أى يراهم كل أحد برؤية الزلزلة كأنهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة وقال ابن عباس والحسن أى وراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وقرأ حمزة والكسائي سكارى بفتح السين وسكون الكاف وقرئ ترى الناس بالبناء للجھول والضمير للمخاطب والناس بالنصب أى تظنهم سكارى وبالرفع نائب الفاعل على تأويله بالجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء أى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى (ولكن عذاب الله شديد) أى ولكن ما أزهقهم من هول عذاب الله تعالى هو الذى أذهب عقولهم وطير عييزهم (ومن الناس) أى وبعض الناس كالنضر بن الحرث وأبي جهل وأبي بن خلف (من يجادل في الله) أى فى دين الله وكتابه وقدرته (بغير علم) أى ملتبساً بغير علم فانهم ينكرون البعث وقالوا إن الله لا يقدر على إحياء من صارت أباؤهم يكذبون القرآن ويقولون ما يأتىكم به محمد كما كنت أحدثكم به عن القرون الماضية فهو أساطير الأولين (ويتبع) فى جداله (كل شيطان مرید) أى عات متجرد للفساد والمراد أما شياطين الانس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وأما إبليس وجنوده (كتب عليه) مبنى للفعول صفة ثانية أى قد كتب على الشيطان فى أم الكتاب لظهور ذلك من حاله (أنه) أى الشأن (من قولا) أى من اتخذه وإياها وأطاعه (فأنه يضله) بفتح الهمزة على أنه خبر مبتدأ محذوف أى من يقبل الشيطان بقوله فأنه أن الشيطان يضله عن طريق الجنة (ويهديه) أى يدعو (إلى عذاب السعير) أى إلى ما يؤدى إلى عذاب النار الوقود من السيئات (يا أيها الناس) أى يا أهل مكة (إن كنتم فى ريب من البعث) فانظروا إلى مبدء خلقكم ليزول ريبكم (فإننا خلقناكم) أى خلقنا كل فرد منكم (من تراب) لأن المني ودم الطمث يتولدان من الأغذية وهى من النبات وهو يتولد من الأرض والماء (ثم) خلقناكم (من نطفة) أى منى (ثم من علقة) أى دم جامدة (ثم من مضغة) أى لحم صغير قد مر ما يعضم (مخلقة) أى تامة الصور والحواس والتخاطيط (وغير مخلقة) أى وناقصة فى هذه الأمور (لنبين لكم) أى أخبرناكم فى القرآن بدء خلقكم لنبين لكم ما يزيل عنكم ذلك الريب فى أمر بعثكم فإن القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزاً عن

الاعادة (وتقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى) أى ونحن نقر بعد ذلك في الارحام ما نشاء أن نقره فيها
 من الولد الى وقت الوضع (ثم نخرجكم) من بطون أمهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الوقت المقدر
 بالارادة القديعة والحكمة الازليسة (طفلا) أى حال كونكم صغارا (ثم لتبلغوا أشدكم) أى ثم
 نسهل في تربيتكم أمور التبليغوا كما لكم في القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) على كماله
 في ذلك (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى الى أخسه وهو الهرم والحرف (الكيلا يعلم من بعد علم
 شيئا) أى ليعود كهيئته الاولى في أرذل الطفولية من ضعف البدن ومخافة العقل وقلة الفهم فينسى
 ما علمه وينسى ما عرفه ويجهز عما قدر عليه (وترى) أيها المجادل (الارض هامة) أى يابسة
 خالية من النبات (فإذا أنزلنا عليها الماء) أى ماء المطر والعيون والانهار (اهتزت) أى تحركت
 في رأى العين بسبب حركة النبات (وربت) أى افتتحت للنبات (وأنبئت من كل زوج زوج) أى
 وأخرجت بالماء كل نوع من أنواع النبات حسن يسرناظره (ذلك) أى الصنع البديع في الانسان
 والارض حاصل (بأن الله هو الحق) أى الموجود الثابت المحقق في الآلية فهذه الموجودات دالة على
 وجود الصنائع (وأنة يحيى الموتى) أى شأنه احياء الموتى كما أحيى الارض الميتة (وأنة على كل شىء قدير)
 فإذا دلت المشاهدة على قدرته تعالى على احياء بعض الاموات لزم اقتداره تعالى على احياء جميع الاموات
 فلا بد وان يكون قادرا على اعادة الموتى الى الحياة (وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى
 القبور) وهذا كناية عن كونه تعالى حكيم لانه من روادف الحكمة فالمعنى ذلك أى خلق الانسان
 واحياء النبات حاصل بسبب أنه تعالى قادر على احياء الموتى وأنه تعالى حكيم لا يخلف وعده وقد وعد
 بانين الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد (ومن الناس) وهو أبو جهل بن هشام (من يجادل
 فى الله) أى فى شأنه تعالى (بغير علم) أى كائنا بغير علم ضرورى (ولا هدى) أى نظر صحيح هاد
 الى المعرفة (ولا كتاب منير) أى وحى مظهر للعق أى يجادل فى شأنه تعالى من غير تمسك بقياس
 ضرورى ولا بجمعة نظرية ولا ببرهان معي (ثانى عطفه) حال ثانية من فاعل يجادل أى معرضا
 بجانبه عن الحق متكبيرا وقرأ الحسن بفتح العين أى ما نعال تعطفه قاسميا (ليضل عن سبيل الله)
 متعلق بجادل أى فان المجادل أظهر التكبر لى يتبعه غيره فيضله عن طريق الحق بالتمويهات لجمع
 بين الضلال والكفر واضلال الغير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فتكون اللام للعاقبة أى فان
 المجادل أظهر التكبر يستمر ضلاله عن دين الله أو يزيد ضلاله عنه فى عاقبة أمره فلا هداية له بعده (له
 فى الدنيا خزي) وهو ما أصابه يوم يدر من القتل والاهانة (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أى
 عذاب النار المحرقة (ذلك) أى العذاب الدنيوى والاخرى (بما قدمت يدك) أى بسبب ما عملته
 من الكفر والمعاصي (وأن الله ليس بظلام للعبيد) ومحمل ان رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى والامر
 أنه تعالى ليس بعذاب لعبيد بغير ذنب من جهتهم (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى على طرف
 من الدين لا فى وسطه وعلى ضعف يقين والجار والمجرور حال من فاعل يعبد أى مترزلا (فان أصابه
 خير) دنيوى وهو ما وافق الطبع (اطمأن به) أى ثبت على ذلك الدين بسبب ذلك الخير الذى يوافق
 هواه (وان أصابته فتنة) وهو ما ينقل على طبعه (انقلب على وجهه) أى رجع الى دينه الاول وهو
 الشرك بالله ولما كانت الشدة ليست بقميحة لم يقل تعالى وان أصابه شر لان ما ينفر عنه الطبع ليس شرا

في نفسه بل هو سبب القرب بشرط التسليم والرضا بالقضاء نزلت هذه الآية في أعراب كانوا يقدمون على
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا صبح في المدينة جسمه وتحت
فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكرماله قال هذا دين حسن واطمان إليه وان أصابه مرض
وبلغت امرأته جارية أو أجهضت رماكه ولم تلد فرسه وذعب ماله وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان
وقال له ما جاءك هذه الشرور إلا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير
والحسن ومجاهد وقتادة والكافي رضي الله عنهم (خسر الدنيا والآخرة) قرأ العامة خسر فعلا ماضيا
وهو استثناف أو حال من فاعل انقلب أو بدل من انقلب وقرأ مجاهد خاسر بصيغة اسم الفاعل منصوبا
على الحال وقرئ بالرفع على الفاعلية أو على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك لانه يذهب في الدنيا الكرامة
وإصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وعصمة ماله ودمه ويفوت في الآخرة الثواب الدائم
ويحصل له العقاب الدائم (ذلك هو الخسران المبين) أي الواضح اذا خسران مثله (يدعو من دون
الله ما لا يضره وما لا ينفعه) استثناف مبين لعظم الخسران وهي واردة في المشركين الذين قدموا الى
النبي صلى الله عليه وسلم على وجه النفاق وهو بنو الحلاف منافقو بني أسد وغطفان أي أي بعد من
ذكورهم بنو الحلاف متجاوزا عبادة الله تعالى جمادا لا يضره اذا لم يعبدوه ولا ينفعه ان يعبدوه (ذلك)
العبادة (هو الضلال البعيد) عن الصواب وهو الكفر العظيم (يدعو) بالقول (لن ضره أقرب
من نفعه) استثناف مذكور لبيان عاقبة عبادته المذكورة فالدعاء بمعنى القول واللام داخل على الجملة
لواقعة مقولاله ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجسملة صلة للمبتدأ الاول أي يقول ذلك
الكافري يوم القيامة بصراخ حين يرى ضره بجعبوده ودخوله النار بسببه لمن ضره أقرب من نفعه والله
(لبئس المولى) أي الناصر هو (ولبئس العشير) أي صاحب هو (ان الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) لان عبادتهم حقيقة ومعبودهم يعطيهم أعظم
المنافع وهو الجنة (ان الله يفعل ما يريد) بهم من أنواع الفضل والاحسان زيادة على أجورهم (من كان
يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليمنظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ) أي من ظن أن لن ينصره الله فليمدد الى الله عليه وسلم في الدنيا بأعلاء كلمته واظهار دينه وفي
الآخرة بأعلاء درجته والانتقام عن كذبه فليطلب سبيها يصل به الى السماء الدنيا فليقطع نصر الله لنبيه
وليمنظر هل يتهيه الواصل الى السماء بحيلة وهل يتهيه أنه يقطع بذلك نصر الله عن رسوله فإذا كان ذلك
ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وهذا جزاء الكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه فان أعداءه صلى الله عليه وسلم
كانوا يفتنون أن لا ينصره الله وأن لا يعليه على أعدائه فتى شاهدوا ان الله نصره فآظهم ذلك (وكذلك)
أي مثل ذلك الانزال (انزلناه) أي القرآن (آيات بينات) أي واضححات الدلالة على معانيها الرائقة
فآيات حال من الهاء (وأن الله يهدي من يريد) هدايته بأن يخلق له المعرفة ومحل الجسملة اما الجر على
حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أي ولان الله يهدي من يريد أنزله كذلك أو الرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف والامر أن الله يهدي من يريد هدايته ثم بين من يهديه ومن لا يهديه فقال (ان الذين آمنوا)
بكل ما يجب أن يؤمن به (والذين هادوا) أي تدينوا بدين اليهودية (والصابئين) وهم شعبة من
النصارى قيل سميت بذلك لتسببها الى صابي عم نوح عليه السلام (والنصارى) وهم الذين اتكلموا
دين النصرانية (والمجوس) عبدة الشمس والنيران (والذين أشركوا) هم عبدة الاوثان (ان

يفصل بينهم يوم القيامة) في الاحوال والاما كن فيظهر الحق من المبطل فلا يجازيهم جزاء واحد بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد (ان الله على كل شيء شهيد) أي فهو عالم بما يستحقه كل منهم فلا يجري في ذلك انفصل حيف ولا يغيب عن علمه شيء والاديان المتماثلة بسبب الاختلافات في الانبياء ستة فمن الناس من يعترفون بوجود الانبياء ومن لا فلا يعترفون بذلك فاما ان يكونوا اتباعا ان كان نبيا أو لم يكن كان متنبيا فاتباع الانبياء هم المسلمون واليهود والنصارى وفرقة أخرى بين اليهود والنصارى وهم الصابئون فهم مختلفون في نبوة محمد وموسى وعيسى فاليهود نفوانبوة محمد وعيسى والنصارى نفوانبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والصابئون تارة يوافقون النصارى في أصول دينهم فتحمل لنا منا كتحتمهم وتارة يخالفونهم فلا تحمل منا كتحتمهم ويطلق الصابئون أيضا على قوم أقدم من النصارى يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الآثار إليها وينفون الصانع المختار فهو لا لا تحمل منا كتحتمهم واتباع المتنبى هم المجوس قيل هم قوم يستعملون النجاسات والمنكرات لانبياء على الاطلاق هم عبدة الاصنام وهم المسمون بالمشركين ويدخل فيهم البراهمة على اختلاف طبقاتهم وقال قتادة ومقاتل الاديان ستة واحد الله تعالى وهو الاسلام وخسة للشيطان وهي ماعداه وقرأنا نافع الصابئين بالياء التحية بعد الباء الموحدة وقال الزجاج قوله تعالى ان الله يفصل خبر لقوله تعالى ان الذين آمنوا كما يقول ان اهلك ان الذين عليه لكثير وأدخلت ان على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التأكيد (الم تر) أي ألم تعلم يا مشرف الخلق بخبر الله تعالى لك (ان الله يسجد) أي ينقاد (له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) فهو لا ينقادون لتدبيره تعالى انقياد تاما يقبلون لما أحده الله تعالى فيهم من غير امتناع (و) يسجد له تعالى (كثير من الناس) سجدوا طاعة وعبادة وهم المؤمنون (وكثير حق عليه العذاب) بامتناعه من السجود وهو من لا يؤحد الله تعالى وقرئ حق بالرفع وحقا بالنصب أي حق عليه العذاب حقا (ومن ين الله) بالشقاوة (فقاله من مكرم) بالسعادة أي ان الذين وجب عليهم العذاب ليس لهم أحد يقدر على ازالة ذلك الهوان عنهم بطريق الشفاعة لهم وقرأ ابن أبي عمير بكرم بفتح الراء على أنه مصدر بمعنى أي فماله من اكرام (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام بالثواب والالاهانة بالعقاب (هذان خصمان) أي طائفة المؤمنين وطائفة الكفار انقسمت الى الفرق الخمس فريقان مختصمان وقرأ ابن كثير هذان بتشديد النون وروى عن الكسائي خه عمن بكسر الحاء (اختصموا في ربهم) أي في شأنه قال ابن عباس نزلت هذه الآية في المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب نحن أول بائنه وأقدم منكم كتابا ونبيننا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمننا بنبيهنا محمد صلى الله عليه وسلم وآمننا بنبيكم وبعما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبيننا ثم تركوه وكفرتهم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فحكم الله بينهم فقال (فالقين كفر) واقطعت لهم ثياب من نار) أي قدرت على مقادير جنتهم نيران تحيط بهم احاطة الثياب بلا بسها فالمراد بالثياب احاطة النار بهم أي جعلت النار محيطه بهم كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش كما روى عن أنس وقال سعيد بن جبير أي قطعت قص وجباب من نحاس أذيب بالنار كقوله تعالى مراييلهم من قطران فليس شيء يحمي بالنار أشد حرارة منه (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أي الماء الحار (يصهر به ما في بطونهم والجلود) أي يذاب بالماء الحار اذ يصب على رؤسهم ظاهرهم وباطنهم من الجلد والامعاء وفي الحديث الذي رواه الترمذي ان الحميم ليصب من فوق رؤسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص الى جوفه فيسلب ما في

جوفه حتى يبرق من قدميه وهو الصهور ثم يعاد كما كان (والهم) أى للكفرة (مقامع من حديد) أى
مطارق من حديد فالام للاستحقاق (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى من النار (من غم) شدة
(أعبدوا فيها) بالمقامع روى عن الحسن ان النار تضر بهم بلهبها ترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها
ضربوا بالمقامع فهو وافيها سبعين خريفا (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى عذاب الغليظ من النار
العظيم الاهلاك (ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون
فيها) بالبناء للفعول وينشد الامام اى بن يونس وقرئ يسكون الحاء أى يلبسون فى الجنة أى تحلبهم
الملائكة بأمره تعالى وقرئ يحلون بفتح اليا وسكون الحاء أى يلبسون حليتهم (من أساور من ذهب
ولؤلؤا) بالجر فى قراءة الجمهور عطف على ذهب بناء على أن الاساور مركبة منهما بأن يرصع الذهب باللؤلؤ
وفى سورة الكهف ليس فيها ذكر لؤلؤ وفى سورة غافر لم يذكر فيها اللؤلؤ ولا الذهب وهما قد ذكرا
فيجمع لهم التزين بهذه الامور بالذهب رحد وبالفضة وحدها وبالذهب واللؤلؤ بالنصب فى قراءة نافع
وعاصم عطف على محل من أساور لانه بقدر و يحلون حلين من أساور و يحلون لؤلؤا فن ذهب ببيان للاساور
(واباسهم فيها) أى الجنة (حرير) أى ان الحرير ثيابهم المعتادة فى الجنة فلا يمكن عراؤهم منه (وهذا
الى الطبيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعدنا وأورثنا الارض نتبوا من الجنة الآية كما
قاله ابن عباس فى رواية عطاء (وهذا الى صراط الحميد) أى أرشدوا الى الطريق الى الله تعالى وهو دين
الاسلام فالحميد هو الله فهو محمود فى أفعاله (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أى يصرفون
الناس عن دين الله (والمسجد الحرام) أى وعن دخوله (الذى جعلناه للناس سواء العاكف) أى المقيم
(فيه والباد) أى الطائر وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب سواء بالنصب مفعول ثان لجعلناه والعاكف
مرفوع به على الفاعلية وللناس متعلق بسواء طريق له والباقون سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف
مبتدأ والجملة مفعول ثان لجعلناه وقرئ لعاكف بالجر على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذره من عذاب أليم) فبالحاد وبظلم حالان مترادفان ومفعولان يرد متروك ليتناول كل متناول
أى ومن يرد فى مكة مراد اماما مثالا عن الاعتدال ظاهرا أحد نذره من عذاب أليم فان الواجب على من كان
فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق العدل فى جميع ما يقصده وقرئ يرد بفتح اليا أى من أتى فيه بالحاد
كاحتكار الطعام وكدخول مكة بغير احرام (واذ بنا ابراهيم مكان البيت) أى واذا ذكر حين جعلنا
لابراهيم مكان البيت مرجعنا له بأن يكون موحد بقلبه لرب البيت عن الشريك ومشتغلا بعبادته بتنظيف
البيت عن الاوثان (أن لا تشرك بى شيئا) فان مفسرنا لبنا أى لا تشرك بى غرضا آخر فى بناء البيت
ولا تجعل فى العبادة الى شريكنا وكان البيت قد رفع الى السماء أيام الطوفان وكان من اقوته حمرا فأعلم الله
تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح زوالها فكشفت ما حوله فبناه على اسمه الاول (وطهر بيته) من
الاوثان راقدار (للطائفين) حوله (والعائمين والركع السجود) أى المصلين الجامعين بين القيام والركوع
والسجود (وأذن فى الناس بالبحر) أى نادى بهم بالامر بالبحر روى أن سيدنا ابراهيم صعدا بأقيس فعاد يا أيها
الناس هو ابيت ربكم فأجابوه يومئذ بالتلبية من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وأول من أجابه أهل
اليمن فليس حاج يحج من يومئذ الى يوم تقوم الساعة الا من كان أجاب ابراهيم يومئذ لى مرة حج مرة
ومن لى مرتين حج مرتين ومن لى أكثر حج بقدر تلبيةه (يا قوك) أى يا أبا البيت الذى بنيت به (رجالا)
أى مشاة على أرجلهم وقرئ بضم ازا وتخفيف الجيم وتشديد مرقى رجالي كجالي عن ابن عباس

(وعلى كل ضامر) أى وربنا على كل ابل مهزول لطول سفره (يأتين من كل فج عميق) أى تأتي جماعة الابل من كل طريق بعيد وقرى يأتون أى الناس (ليشهدوا منافع لهم) أى ليحضروا منافع مختصة بهذه العبادة كائنة لهم دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة كحصول المغفرة والاموال وقوله تعالى ليشهدوا متعلق بياقوتك (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) وهى أيام عاشوراء الحجة كما اختاره الشافعى وأبو حنيفة لأنه معلوم عند الناس لحرصهم على عمله من أجل ان وقت الحج آخره وقال ابن عباس فى رواية عطاء بن أيا م معلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده كما اختاره أبو مسلم وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى والمراد بالذكور ما وقع عند الذبح كأن يقول الذابح باسم الله والله أكبر اللهم منك واليل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين (على ما رزقهم من رحمة الانعام) أى لاجل ما رزقهم من الابل والبقر والغنم قال القفال وكان المتقرب بها وبارقة دما ثم تصور بصورة من يفدى نفسه بيا عا دلها فكانه يذل تلك الشاة بدل مهجته طلبا لرضا الله تعالى راعيا فإبان تقصيره كاد يستحق مهجته (فكلاوا منها) أى فاذكروا اسم الله على فخماياكم فكلوا من لحومها (وأطعموا البائس الفقير) قال ابن عباس البائس الذى ظهوره رؤسه فى ثيابه وفى وجهه والفقير الذى تكون ثيابه نقية ووجهه وجهه غناه قال الشافعى لا يأكل من الواجب شيئا وذلك مثل دم التمتع والقران وجزء الصيد والنذر وغير ذلك وقال ابن عمر وأحمد واسحق لا يأكل من جزء الصيد والنذر يأكل كل مما سوا ذلك وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الامن فدية الاذى وجزء الصيد والنذر وعن أصحاب أبي حنيفة انه يأكل من دم التمتع ودم القران ولا يأكل من واجب سواهما (ثم ليقضوا تنههم) أى ثم بعد ذبح وجههم من الاحرام ليقطعوا أدرانهم كالشارب والاطفار والابطط والعانة (وليوفوا نذرهم) أى ما أوجبوه على أنفسهم ما لم يكن الحج يقتضى وجوب ذلك من الضحايا وغيرها وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء أى ليقضوا ذلك (وليطوفوا) الطواف الذى يتم به التحلل (بالبيت العتيق) أى القديم لانه أول بيت بنى وقد أعتق من غرة الطوفان زمن نوح ومن تسلط كل جبار دخل فيه ليهدمه وهو بيت كريم لم يملك قط وفى قراءة ابن عمر وتحريك الالامات الثلاثة بالكسر وفى قراءة ابن ذكوان بكسر الالامين الاخيرين وفى قراءة الباقرين باسكان الكل (ذلك) خبر مبتدأ محذوف ويذكر للفصل بين كلامين أى الشأن ذلك المذكور من قوله تعالى واذبوا أنا الى هنا أو مبتدأ خبره محذوف أى ذلك الامر لازم لكم أو مفعول محذوف أى احفظوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) أى ومن يعظم جميع تكاليف الله تعالى من مناسك الحج وغيرها بالعمل بوجبه فتعظيمه قربة عند الله يثاب عليها فى الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أى رخصت لكم حال الاحرام ذبيحة الانعام وأكل لحومها (الا ما يتلى عليكم) أى الاما يتلى عليكم آية تحريمه مما حرم منها العارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أى فاجتنبوا الفذر الذى هو الاوثان فعبادة الاوثان قد ردمعنوى (واجتنبوا قول الزور) أى القول المحرف عن الواقع كما فى قراءة على الله تعالى بأنه حكم بتحريم البحار والسواحب ونحوها (حنفاء لله) أى مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق (غير مشركين به) شيا من الاشياء وهذان حالان من واد فاجتنبوا فالاولى مؤسسه والثانية مؤكدة (ومن يشرك بالله فكأنما غامر من السماء فتحطفه الطير أرتهموى به الريح فى مكان محيق) أى ان بعد من أشرك بالله عن الحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير حيث يشاء فان الاهواء المردية توزع أفكاره أو قد ذفت به الريح فى

مكان بعيد فان الشيطان قد طرحه في وادي الضلالة أو المعنى من أشرك بالله فقد هلكت نفسه علا كما
شبهها باستلاب الطير لحمه وتفرق أجزائه في حواصلها أو بسقوطه في المكان البعيد بعصف الرياح به
(ذات) أي الأمر ذلك التباعدين أشرك بالله أو امتثلوا ذلك أمر الله (ومن يعظم شعائر الله) أي معالم
المرجوه الهدايا (فإنهم من تقوى القلوب) أي فإن تعظيمهما من أفعال ذوى تقوى القلوب وتعظيمهما اعتقاد
أن التقرب بهما من أجل القربات وإن يختارها حسنا ماعنا غالية الأثمان روى أنه صلى الله عليه وسلم
أهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في أنفه برة من ذهب وإن عمر أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار
ومعيت الهدايا شعائر لتعليمها بعلامه يعرف بها الهدايا كطعن حديد في سنامها وتعليق النعال في
أعناقها وتعليق آذان القرب في آذان الغنم (لكم فيها) أي الشعائر واجبة أو مندوبة (منافع) مع
تسمية الانعام هدايا بأن تركبوها ان احتجتم اليها تركبوها لغيركم بلا أجره فإن كان أركابها بأجرة حرم
وإن تشربوا ألبانها الفاضلة عن ولدها إذا اضطررتم اليها (إلى أجل مسمى) أي إلى أن تنحروها ولا
تسمى الانعام شعائر قبل أن تسمى هدايا كما اختاره الشافعي وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم
رجل يسوق بدنة وهو في جهد فقال صلى الله عليه وسلم أركبها أو يلك (ثم حملها إلى البيت العتيق) أي ثم
أعظم هذه المنافع وقت وجوب نحر الهدايا منتهية إلى الحرم كله قال صلى الله عليه وسلم كل الحاج مني مكر
(ولكل أمة) من الأمم السالفة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى من بعده (جعلنا منسكا) أي قربانا
يتقربون به إلى الله تعالى وقرأ أهل الكوفة الأعمام منسكا بكسر السين أي مذبحا وهو موضع ذبح
القربان وقرأ الباقون بالفتح وهو أراقه الدم لوجه الله تعالى وهو ذبح القربان (ليذكروا اسم الله على
ما رزقهم من جملة الانعام) أي عند ذبحها وفي هذا تنبيه على أن المقصود الأصلي من طلب الذبايح تذكرة
المعبود وعلى أن القربان يجب أن يكون من الانعام (قال الحكم الواحد) فلا تذكروا على ذبايحكم غير اسم
الله وفي هذا بيان أن الله تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في الهيئته لكل الخلق (فله أسلموا) أي إذا
كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له الذكركم بحيث لا يشوبه إشراك البتة وانقادوا له تعالى في جميع
تكاليفه (وبشر المحبتين) أي المتواضعين فالحاج من صفات المتواضعين كالتجرد عن اللباس
وكشف الرأس والغربة من الأوطان (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) من
مشاق التكليف والمصائب فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك
لزمه الدفع ولو بالمقاتلة (والمتيمم الصلاة) في أوقانها وقرأ الحسن والتميمي الصلاة بنصب الصلاة
على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيم الصلاة على الأصل (وعمار رزقناهم ينفقون) في رجوع الخيرات
وأمر الله تعالى رسوله أن يبشر بالجنة المتواضعين المتصفيين بوجيل القلوب إذا أمروا بأمر من الله
تعالى وبالصبر إذا أصابهم البلاء من الله تعالى وباقامة الصلاة في وقت السفر للرجوع وبصدقة التطوع أي
لذلك أوجب أن الصبر على البلاء التي من قبل الله تعالى والاشتغال بالخدمة بالنفس وبالمال وبهما
اعز الأشياء عند الإنسان فالخدمة بالنفس هي الصلاة والخدمة بالمال هي انفاقه في رجوع الخيرات
(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) أي أعلام دينه وهو مفعول ثان ولكم متعلق به والبدن عند
الشافعي خاصة بالأبل وعند أبي حنيفة الأبل والبقر (لكم فيها) أي البدن (خير) أي منافع دينية
ودنيوية هي درها ونسلها وصوفها وظهرها (فأذكروا اسم الله عليها) أي على ضررها (صواف) أي قياما
على ثلاث قوائم قد صفت رجلها ويدها اليمنى ويد أخرى معقولة في ضررها كذا بأن تقولوا عند الذبح بسم

الله والله أكبر اللهم منك واليك وقرئ صوافن بضم النون وقرئ صوافي اي خواص لوجه الله تعالى
 لا تشركوا بالله في التسمية أحد على فخرها وخواص من العيوب وعن عمر بن عبيد صافيا بالتبوين
 عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف (فاذا رجبت جنوبها) أي سقطت على الارض وذلك عند خروج
 الروح منها (فكلوا منها) ان شئتم اذا كانت الاضاحي تطوعا (وأطعموا القانع) أي الراضي بما يدفع اليه من
 غير سؤال (والعتر) أي الذي يعتر بالسلام ولا يسأل بل يرى نفسه للناس كالزائر (كذلك) أي مثل ذلك
 التخيير (مخزناها لكم) مع كمال عظمها رنهاية قوتها أي فأنه تعالى جعل الابل والبقر بالصفة التي يمكننا
 تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدنيا والدين (لعلكم تشكرون) أي لتشكروا
 انعامنا عليكم بالاخلاص (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي لن يصل الى الله
 تعالى أي الى مرضاته لحوم القرابين ولا دماؤها ولكن يقبل الله الاعمال الطاهرة منكم فها بالتصدق باللحم
 وهو من عمل العبد فيرفع الى الله وأمان نفس اللحم المتصدق به فلا يرفع الى الله والمعنى ان الله لا يشبهكم على
 لحمها الا اذا وقع موقعان وجوه الخير وهو امتثال أمره تعالى وتعظيمه والا خلاص له تعالى وروى انهم
 كانوا في الجاهلية يضربون لحم الاضاحي على حائط الكعبة ويلطخونها به ما فإراد المسلمون أن يفعلوا فعل
 المشركين من الذبح وتشریح اللحم منصوب باحول الكعبة وتضمج الكعبة بالدم تقر بالي الله تعالى فترلت
 هذه الآية (كذلك مخزها لكم لتكبروا الله على ما ندرككم أي انما مخزها الله تعالى البدن لكم هكذا
 لتشكروا الله تعالى على ارشادكم الى اعلام دينكم الى كيفية التقرب بها الى طريق تذليلها ولتقولوا
 الله أكبر على ما هدانا الى الحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) أي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في
 أمور دينهم (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويدفع الياء وسكون الدال وفتح الفاء
 والباقون بضم الياء وفتح الدال مع الالف وكسر الفاء أي يدفع عن الذين آمنوا (الذين آمنوا
 ان الله لا يحب كل خوان) في أمانات الله تعالى وهي أوامره ونواهيه (كفور) لنعمته وهم
 المشركون فانهم أقروا بالصانع وعبدوا غيره فأى خيانة أعظم من هذا (أذن للذين يقاتلون) قرأ أهل
 المدينة والبصرة وعاصم في رواية حفص أذن بالبناء للمجهول والباقون بالبناء للفاعل وقرأ أهل المدينة
 وعاصم يقاتلون بالبناء للفعول وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي ببناء الفاعل للفاعل وأبو عمرو وأبو بكر
 ببناء الأول للفعول والثاني للفاعل وابن عامر عكس هذا أي أذن الله بعد الهجرة للذين يريدون قتال
 المشركين في ان يقاتلوا (بأنهم ظلموا) قيل نزلت هذه الآية في قوم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة
 فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بسبب انهم مظلومون
 بالأيذاء وقيل كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذى شديدا وكانوا يأتون
 صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يشكون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال حتى
 هاجر فانزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية (وان
 الله على نصرهم) أي نصر المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون عليهم (لتقدير) وعد الله للمؤمنين بالنصر
 على طريق الكناية كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم (الذين أخرجوا من ديارهم) مكة المعظمة فالموصول
 امانعت للوصول الأول أو الثاني أو يمان له أو بدل منه واما منصوب على المدح أو مرفوع باضمار مبتدا
 على المدح (بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) وهذا بدل من حق أي انهم أخرجوا من مكة بغير سبب الا
 بقولهم ربنا الله وحده ومحمد رسوله الينا فالتوحيد هو الذي ينبغي ان يكون سبب التمكن في مكة لا سبب

الانحراج فالانحراج به انحراج بغير حق (ولو ادفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين على
 الكافرين في كل زمان (لهدمت صوامع) للربانية (وبمع) للنصارى (وصلوات) أى كنائس
 اليهود (ومساجد) للمسلمين (بذكر فيها) أى في هذه المواضع الاربعة (اسم الله كثيرا) قال
 الزجاج أى ونولادفاع الله أهل الشرك بالمؤمنين بالاذن لهم في جهادهم لاستولى أهل الشرك على أهل
 الأديان وعطوا مواضع عبادات المؤمنين منهم فهدم في شرع كل نبي المكان الذي يصلى فيه فنولاد ذلك
 الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلىون فيها في شرعه وهى المسماة بالصلوات وهى كلمة
 معربة أصلها بالعبرانية صلواتا بفتح الصاد والثاء المثناة والقصر وبه قرئ في الشواذ ومعناه في لغتهم مصلى
 وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وهما للنصارى لكن الصوامع هى التي يبنونها في الصحارى والبيع هى
 التي يبنونها في البلدان وفي زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح
 الفاء مع الالف وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال (ولينصرن الله من ينصره) أى من ينصره
 دينه وأوليائه بأن يظفرهم بأعدائهم بالتخلف في القتال وبياضح الأدلة وبالأهانة على الطاعات (أن الله
 لقوى) على هذه المنصرة التي وعد بها المؤمنين (عزيز) أى لا ينعته شئ وقد أنجز الله وعده بأن سلط
 المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكسرة الجهم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (الذين ان
 مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهوا عن المنكر) أى المأذون لهم في
 القتال المخرجون من ديارهم هم الذين ان أعطيتناهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق أتوا بالامور الاربعة
 وهى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا دليل على صحة امامة الخلفاء
 الاربعة لان الله تعالى لم يعط نفاذا لغيرهم من المهاجرين أما الانصار فلم يخرجوا من ديارهم وفي هذه
 الآية اخبار من الله تعالى بالغيب عما تكون عليه سيرة المهاجرين ان أعطاهم السلطنة على الأرض
 وثناؤه منه تعالى عليهم قبل أحداثهم الخير (والى الله عاقبة الامور) وفي هذا اشارة الى حضور سلطنة
 من أخرجهم كفار مكة ووقع ملكه مع السيرة العادلة وهم الخلفاء الراشدون ثم ان الامور ترجع الى الله
 تعالى في العاقبة فانه تعالى هو الذى لا يزول ملكه أبدا وفي هذا تأكيدهم للوعده بالدينه تعالى واظهار
 أوليائه (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين
 وكذب موسى) أى وان تحزن يا أشرف الخلق على تكذيب قومك اياك فانت يا أكرم الرسل لست
 يا وحدي في التكذيب فتسل بهم فانه قد كذب سائر الامم انبياءهم قبل تكذيب قومك اياك كذب قوم نوح
 الذين هم من أشد الناس نوحا عليه السلام وكذب قوم هود الذين هم ذوو الايدان الشداد هودا عليه
 السلام وكذب قوم صالح الذين هم أولوا الابنية الطوال في الجبال والسهول صالحا عليه السلام وكذب قوم
 ابراهيم المتكبرون ابراهيم عليه السلام وكذب قوم زط الانجاس لوطا عليه السلام وكذب قوم شعيب
 أرباب الاموال المجموعة شعيبا عليه السلام وكذب أهل مصر وهم القبط موسى عليه السلام (فأملت
 للكافرين) أى أهملتهم حتى انصرفت حبال آجالهم (ثم أخذتهم) بعذاب الاستئصال (فكيف
 كان نكير) أى فانظر يا سيد الرسل كيف كان تغييري عليهم فان الله غيّر حياتهم باهلا كههم بعذاب
 الاستئصال وعمارتهم بالحرب (فكأن من قرية أهلكناها) وقرأ أبو عمرو ويعقوب أهلكتها على
 وفق فأملت ثم أخذتهم أى فأهلكنا كثيرا من القرى باهلاك أهلها (وهى ظالمة) أى كافرة أهلها
 وهذه جملة حالية من مفعول أهلكنا (نهى خاوية على عروشها) أى فهى ساقطة حيطانها على

سقفها بان خرت سقفوها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو هوى خالية عن
الناس مع بقاء عروشها وهذه معطوفة على أهل كنها فلا محل لها من الأعراب ان جعلت أهل كنها مفسرة
المضمر ناصب لكأين ويجعلها رفع ان جعل خبر الكأين (وبئر معطلة) أي وكبئر عامرة كثيرة الماء
متروكة لا يستقي منها الهلاك أهلها (وقصر مشيد) أي مرفوع البنيان أو مخصص أخليناه عن ساكنه
روي أبو هريرة ان هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر من آمن به ونجاهم الله تعالى من
العذاب وهم بحضرموت وأغامة ميت بذلك لان صالحا حين حضره مات ثم وثم بلدة عند البئر اسمها
حضورا بناها قوم صالح وأمر وأعليها حام بن جالاس وجعلوا وزيره سنجاريب وأقاموا بها زمانا ثم
كفروا وعبدوا أصغارا رسل الله تعالى اليهم خنظلة بن صفوان نبيا نقتلوه في السوق فأهلكهم الله تعالى
وعطل بئره وخرب قصرهم وعلى هذا فالمراد بالبئر بئر وسمي جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف
على قلته (أنلم يسير وافي الارض) أي أغفل أهل مكة فلم يسافروا في تجارتهم (فتكون لحم قلوب
يعقلون بها) ما يجب أن يعقل من التوحيد بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار (أو أذان يسمعون بها)
ما يجب أن يسمع من أخبار الرسول (فانها) الضمير للقصة يقسم ما بعده (لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور) أي ليس الخلل في مشاعرهم وأغما عوفي عقولهم باتباع الهوى والانهمالك
في الغفلة والاعتماد في التقليد (ويستجهلونك بالعذاب) أي تطلب قريش كأنضربن الحرث أن
تأتيهم بالعذاب عاجلا لا آجلا وتجهيزالك على زعمهم وكان رسول الله يهددهم بنقمات الله دنيا
وأخرى وهم يقولون ان ما حذرتنا به لا يقع وانه لا بعث نذير الله تعالى نزول العذاب بهم في الدنيا
والآخرة بقوله تعالى (وان يخلف الله وعده) في انزال العذاب بهم في الدنيا وقد أنجز الله وعده يوم بدر
فقتل منهم سبعون وأمر منهم سبعون (وان يمانعندرك كآلف سنة مما تعدون) أي وان يوما من أيام
عذابكم في الآخرة كآلف سنة من سبي الدنيا في كثرة الآلام وشدها فلو عرفوا حال عذاب الآخرة انه
بهذا الوصف لما استجهلوه وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي بالياء التحتية فيكون مناسبا لقوله ويستجهلونك
وقرأ الباقر بالتاء فيكون التقاء (وكأين من قرية أهلكنا بها وهي ظالمة) أي وكمن أهل قرية أخرت
أهلها عنهم مع استمرارهم على ظلمهم فأغتروا بذلك التأخر (ثم أخذتها إلى المصير) أي ثم عاقبت أهل
تلك القرية في الدنيا بأن أنزلت العذاب بهم ومع ذلك فعذابهم مدخر في الآخرة فاذا رجعوا إلى أفعالهم
ما يليق بأعمالهم (قل يا أيها الناس) أي يا أهل مكة (انما أنا لكم نذير مبين) أي انما أنا نذيركم انذارا
بينابما أوحى إلى من أنباء الأمم المهلكة وليس بي تهويل للعذاب ولا تأخير وانما بعثت للانداز فاستهزؤكم
بذلك لا يعنى منه (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الذنوب الصغار والكبائر (ورزق كريم)
أي ثواب حسن في الجنة (والذين سعوا في آياتنا أي الذين اجتهدوا في ابطال آياتنا حيث قالوا القرآن
شعرا وسجرا وأناسطير الاولين) معاجزين أي معارضين المؤمنين فكما طلب المؤمنون اظهار الحق طلب
هؤلاء ابطاله أو طائنين عجزنا عنهم بأن لا يدركهم عذابنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بهجزيين بتشديد الجيم بعد
العين المفتوحة أي مشبطين الناس عن الايمان أو طامعين بحجز الرسول بالمسكايد طائنين ذلك (أو لئلا
الموصوف بالسعي في ابطال القرآن واعتقاد العجز عن الله أو للرسول أو للمؤمنين) أصحاب الجحيم أي ملازموا
النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى) أي اذا قرأ النبي أو الرسول (ألقي
الشیطان في أمنيه) أي في قراءة ذلك النبي أو الرسول وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل قراءته للقرآن

فارتعد الشيطان سكنته ونطق بقوله تلك القران في العلا * وان شفاعتهن لترجي كما نعمة النبي
صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه فظنهما من قول النبي وأشاعها وفي هذا اخبار من الله تعالى بأن
رسوله اذا قالوا ولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه كما صوتهم فهذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا
صلى الله عليه وسلم لان نبينا قاله لانه معصوم وفي هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد حزن
بذلك وشبهت الاصنام بالقران في التي هي طيور الماء التي تعلو في السماء وترتفع لاعتقاد الكفار انها
تقرهم من الله تعالى وتشفع لهم وانما هي القراءات منية لان القارئ اذا انتهى الى آية رحمة غنى حصولها
واذا انتهى الى آية عذاب غنى أن لا يبتلى به (فينسخ الله) أي يزيل (ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) أي
يثبت الله القرآن انبياءه لكي يعمل بها (والله عليم) بمصالح عباده المخلصين (حكيم) فيما يجري عليهم من
الأعمال والأحوال ومن حكمته تعالى فيما يلقي الشيطان (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض) أي شك وهم المنافقون (والقاسية قلوبهم) وهم المشركون المصرون على جهلهم - مظاهر اوباط
فيرين الباطل حقاً فاثبتوه ونفوا الحق فأبعدهم الله بهذا الامتحان عن حضرته (وان الظالمين) أي
هؤلاء المنافقين والمشركين (لن يشفاع بعبد) أي عداوة شديدة قالت قريش ندم محمد على ذكر منزلة
آلهتنا عند الله فغير ذلك وكانت الكلمتان اللتان زادهما الشيطان في قول نبينا صلى الله عليه وسلم قد
وقعنا في فم كل مشرك فازدادوا شراً على ما كانوا عليه وشدة على من أسلم (وليعلم الذين أوتوا العلم) أي
الذين رزقوا حسن بصيرة الذين يميزون بين الحق والباطل (أنه الحق من ربك) أي أن القرآن هو
الحق النازل من عند ربك (فيؤمنوا به) أي فيثبتوا على الايمان بالقرآن (فتخبت له قلوبهم) أي
فتنقاد قلوبهم بالقبول لما في القرآن من الاوامر والنواهي (وان الله لهادى الذين آمنوا) في الأمور
الدينية (الى صراط مستقيم) أي الى نظر صحيح موصل الى الحق الصريح (ولا يزال الذين كفروا في
مرية منه) أي في شك من القرآن (حتى تأتيهم الساعة) أي القيامة نفسها (بغثة) أي فجأة من
دون أن يشعروا (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا يوم بعده فيستمر ذلك اليوم كاستمرار
المرأة على تعطل اولادة (الملك يومئذ) أي في يوم عقيم (الله) وحده فلا يكون فيه لاحد تصرف من
التصرفات في أمر من الأمور ولا حقيقة ولا مجاز ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فانه تعالى ملك فيها الأمور
غيره صورة (يحكم بينهم) أي بين المؤمنين بالقرآن والممارين فيه (فوالذين آمنوا) بالقرآن ولم يماروا
فيه (وعملوا الصالحات) امثالاً لعبادهم وافية (في جنات النعيم) يكرمون بالتحف فضلاً من الله
(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي أصروا على ذلك (فأولئك لهم عذاب مهين) أي شديد بسبب
معاصيهم أما إعطاء الثواب فيفضل الله لأبائهم كما هو حكمته ذكر الفاء وتركة في الجانبين (والذين
هاجروا في سبيل الله) أي هاجروا الى المدينة لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وللتقرب الى الله تعالى
(ثم قتلوا) أي قتلهم العدو وقرأ ابن عامر بتشديد التاء (أو ماتوا) في سفر أو حضر من غير قتل
(ليرزقهم الله رزقاً حسناً) لا ينقطع أبداً من نعيم الجنة لاستواء النوعين في القصد وأصل العمل وروى
أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا
ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فإنا لان متنا معك فنزلت هذه الآية (وان
الله هو خير الرازقين) فان ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والرزق الصادر منه لمحض الاحسان وان غيره
انما يدفع الرزق من يده ليد غيره ولا يفعل نفس الرزق ويرزق لا انتفاعه اما لاجل خروجه عن الواجب أو

لاجل أن يستحق بالاعطاء ثناء أو عوضاً أو لاجل الرقة الجنسية وأما الله تعالى فإن كماله صفة ذاتية له
 فلا يستفيد من أحد كما لا زائد فهو يرزق بغير حساب (ليدخلهم مدخله يرضونه) بأن يدخلهم الجنة من
 غير مكره وتقدم ادخاله فوق ما يتمونه ومدخله فوق الذي يهونه وقيل هو خيمة من درة بيضاء لا قسم فيها
 ولا وصم لها سبعون ألف مصراع وقال ابن عباس انهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
 خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغيون عنها حولا وقرأنا نافع مدخلا بفتح الميم أي مكانا (وان الله اعلم)
 بما يرضونه وبما يستحقونه فيعطيه ذلك في الجنة ويزيدهم (حليم) فلا يجهل من عصاه بالعقوبة لتتبع
 التوبة منه فيستحق الجنة (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصناه عليك من انجاز الوعد للمهاجرين الذين
 قتلوا أو ماتوا (ومن عاقب بمنزل ما عوقب به ثم يفي عليه لينصره الله) أي والذي قاتل من كان يقاتله
 من الكفار ثم ان القاتل ظلم عليه بأن ألجى الى مفارقة الوطن وابتدى بالقتال لينصرن الله المظلوم على
 الظالم قوله بمنزل ما عوقب به الباء الاولى للآلة والثانية للسببية والعقاب مأخوذ من التعاقب وهو محي
 الشي بعد غيره قال مقاتل زلت هذه الآية في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من الحرم
 فقال بعضهم لبعض ان أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناداهم المسلمون
 أن يكفوا عن قتالهم حرمة الشهر فأبوا وقتلوه ووثبت المسلمون لهم فنصر واعلهم فحصل في أنفس
 المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء فأنزل الله تعالى هذه الآية (ان الله لعفو) عن هذه الاساءة
 (غفور) لهم ما صدر عنهم من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المطلوب اليهما وانما عفا عنهم ذلك مع
 كونه محرما اذ ذلك لانهم فعلوه دفعا للصائل فكان من نوع الواجب عليهم وهذا تنبيه على أنه تعالى قادر
 على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أي النصر بسبب انه تعالى قادر ومن آيات
 قدرته كونه خالق الليل والنهار فذلك قوله تعالى (بأن الله) تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار
 في الليل) أي بسبب ان الله تعالى يزيد في آخر المولود ما ينقص عن الآخر من الساعات أو يحصل ظلمة
 أحدهما في مكان ضياء الآخر وعكسه (وأن الله سميع) بكل المسموعات (بصير) بجميع المبصرات
 أي ان الله كما يقدر على ما لا يقدر عليه غيره فكذلك يدبر الاتصاف بالسمع والبصر فلا يحتاج لسمعه الى
 سكون الليل ولا لبصره الى ضياء النهار (ذلك) أي الاتصاف بكل الكمال القدرة والعلم (بأن الله هو الحق)
 أي الثابت الذي يعتنع عليه التغير في ذاته وصفاته فعبادته هو الحق (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل)
 أي وان ما يعبدونه المشركون من غير الله هو الباطل ألوهيته وانه معدوم في حد ذاته وقرأنا نافع وابن كثير
 وابن عامر وشعبة بالتاء على خطاب المشركين وقرئ بالبناء للمفعول على أن الواو عائد لما فانه كناية عن
 الآلهة (وأن الله هو العلي الكبير) أي وان الله هو القاهر الذي لا يغلب القادر على الضر والنفع العظيم
 في سلطانه الذي لا تدرك حقيقته (ألم تر) أي ألم تعلم أيها المخاطب (أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح
 الارض مخضرة) أي فتصير الارض نامية بما فيه رزق العباد ومعامرة البلاد (ان الله لطيف) أي رحيم
 بعباده في اخراج النبات (خبير) أي عالم بمقادير مصالحهم وبما في قلوبهم (له ما في السموات
 وما في الارض) فكل ذلك منقاد له وهو تعالى غير محتج من التصرف فيه (وان الله لهو الغني الحميد) أي الغني
 عن الاشياء كلها لانه كامل لذاته والسكامل لذاته غني عن كل ما عداه في كل الامور ولكنه لما خلق
 الحيوان خلق الاشياء رحمة للحيوانات لا الحاجة الى ذلك وكان انعامه تعالى خاليا عن غرض عائد اليه
 فكان مستحقا للحمد فوجب أن يكون حميدا (ألم تر) أيها المخاطب (أن الله) تعالى (هو رزقكم ما في الارض)

أى جعل ما فيها معدة لمنافعكم فلا أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهى مذلة لكم
وذلل لكم الحيوانات حتى تنتفعوا بها من حيث الاكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها
فلولا تسخيرها تعالى الابل والبقر والخيول لما انتفع بها أحد (والفلك) معطوف على ما أو على اسم أن
(تجربى فى البحر) حال من الفلك أو خبر (بأمره) أى بأذنه فلولا أن الله سخر السفن بالماء والرياح
لجربها لكانت تغوص أو تقف (ويسلك السماء أن تقع على الارض) أى ويمنع السماء من أن تقع على
الارض (الاباذنه) أى الابغشيته وذلك يوم القيامة لان النعم المتقدمة لا تكمل الا بامساك السماء من
السقوط لانه جرم ثقيل مسكن الملائكة لا بد له من السقوط لولا ما منع يمنع منه وهو القدرة فأمسكها الله
بقدرته لثلاث تقع (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع
وأوضح لهم منهاج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية (وهو الذى أحياكم) بعد ان كنتم
نظفا بعد ان كنتم معدومين (ثم يعيتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يوم البعث للثواب والعقاب
(ان الانسان) أى المشرك كبديل بن ورقاء الخزاعي والاسود بن عبد الاسد وأبى جهل والعاص بن
واثل وأبى بن خلف (لكفور) أى مجردين الله مع ظهورها حيث ترك توحيدته تعالى (لكل أمة
جعلنا منسكاهم ناسكوه) أى لكل أمة معينة وضعنا شريعة خاصة تلك الامة المعينة عاملون بها فالا مة
التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى منسكهم التوراة هم عاملون بها لا غيرهم والى كانت من
مبعث عيسى الى مبعث نبينا منسكهم الانجيل هم عاملون به لا غيرهم وأما الامة الموجودة عند مبعث النبي
ومن بعدهم الى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا (فلا ينزعك فى الأمر) أى
يجب على أرباب الملأ أن يتبعوك وأن يتركوا مخالفتك فى أمر الدين وقد استقر الأمر الآن على شرعك
(وادع الى ربك) أى ادعهم الى شريعتك ولا تخص بالدعاء الى توحيد ربك أمة دون أمة فكلهم أمتك
(انك لعلى هدى مستقيم) أى على أدلة دين واضحة موصلة الى الله تعالى (وان جادلوك) أى ان عدلوا
عن النظر فى هذه الأدلة الى طريق المجادلة والقسس بالعادة (فقل) لهم على سبيل التحذير من حكم
يوم القيامة الذى يتردد بين جنّة لمن قبل و نار لمن أنكر (الله أعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة
وغيرها (الله يحكم بينكم) أى يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين (يوم القيامة) بالثواب
والعقاب (فما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين فتعرفون حينئذ الحق من الباطل (ألم تعلم) أى
قد علمت يا أشرف الخلق (أن الله يعلم ما فى السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ مما يقول الكفرة وما
يعملونه (ان ذلك) أى ما فى السماء والارض (فى كتاب) أى لوح محفوظ (ان ذلك) أى ان علم
ما فى السماء والارض بغير الكتاب جملة وتفصيلا (على الله يسير) أى هين وان تعذر على الخلق
(ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم) أى ويعبد كفار مكة متمجوا زين عبادة
الله مالم ينزل الله بجواز عبادة هجة من جهة الوحى وما ليس لهم بجواز عبادة علم من دليل عقلى أى ان
عبادتهم لغير الله من الاصنام ليست مأخوذة من دليل سمعى ولا من دليل عقلى بل هو من تقليد أو جهل
أو شبهة فوجب أن يكون ذلك باطلا (وما للظالمين) أى المشركين (من نصير) أى ليس لهم ناصر فى
مذهبهم بالحجة ولا فى دفع عذاب الله عنهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (بينات) أى واضحات
فى الدلالة على العقائد الحقّة والاحكام الصادقة (تعرف) يا أشرف الخلق (فى وجوه الذين كفروا)
بالقرآن (المنكر) أى الكراهية للقرآن وأثر الغضب (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا)

أى يكادون يشبّون على من يقرؤن القرآن عليهم بالبطش من فرط الغضب (قل) رداعليهم
 (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أى أخطبكم فأخبركم بأمر من غيظكم على التآلن وقهركم عليهم ومن
 الضجر بسبب ما تلى عليكم (النار وعدّها الله الذين كفروا) إذا ما توا على الكفر فالنار ما مبتدأ وخبره
 ما بعده أو خبر مبتدأ مقدر وقرأه زيد بن علي وابن أبي عبلة بالنصب على الاختصاص أو على أنه منصوب
 بفعل مقدر يفسره ما بعده وقرأه ابن أبي اسحق وإبراهيم بن فوح بالجرب لا من شر (وبئس المصير)
 النار (يا أيها الناس) أى يا أهل مكة (ضرب مثل) أى بين لكم حال عجيب غريبة (فاستمعوا له)
 أى تدبروا المثل حق تدبره (ان الذين تدعون من دون الله أن يخلقوا ذبابا) أى ان الأصنام الذين
 تعبدونهم لن يقدروا على خلق الذباب مع صغره (ولو اجتمعوا له) أى لخلقته أى تعاونوا على خلقه فكيف
 يليق بالعقل جعل الأصنام معبودا (وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) أى وان يأخذ الذباب
 من الأصنام شيئا من الطيب والعسل الذى لطخوا عليها لا تسترده من الذباب قال ابن عباس انهم كانوا
 يطلون الأصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى
 فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس أى ضعف الذباب والصنم فالذباب طالب ما يأخذه
 من الذى على الصنم وقال الضحّاك أى ضعف العابد والمعبود ولو حققت وجدت الصنم أضعف من
 الذباب وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوا الله
 حق معرفته حيث أشركوا به وسماوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق
 السمكات بأسرها وافناء الموجودات عن آخرها (عزيز) أى غالب على جميع الأشياء (الله يصطفى
 من الملائكة رسلا) الى بنى آدم كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والحفظة (ومن الناس)
 أى ويختار من الناس رسلا مختصين بالنفوس الزكية كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم
 نزلت هذه الآية لما قال الوليد بن المغيرة مع موافقة الباقي لم ينزل على محمد القرآن لأنه ليس بأكبرنا ولا
 بأشرفنا (ان الله مهيمن) لما قالهم (بصير) بأفعالهم وعن يستحق الرسالة (يعلم ما بين أيديهم وما
 خلفهم) أى يعلم الله ما عملوه وما سيعملونه من أمور الدنيا (والى الله ترجع الامور) وهذا إشارة
 الى التفرد بالالهية والحكم والى الزجر عن مباشرة المعصية (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا)
 أى ارجعوا من تكبر قيام الانسانية الى تواضع الحيوانية واذلة النبائية قال ابن عباس ان الناس كانوا
 فى أول الاسلام يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الآية (واعبدوا ربكم) بسائر ما كلفكم به
 خالصا لوجهه (وافعلوا الخير) واجبا ومندوبا وتوجهوا الى الله تعالى فى جميع أحوالكم (اعلمكم
 تفهون) أى لتظفروا بنعيم الجنة أى افعلوا هذه كلها وأنتم راجعون بها الفلاح غير متيقنين انها مقبولة عند
 الله تعالى والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له (وجاهدوا فى الله) أى الله أعداء دينه الظاهرة
 والباطنة من أهل الضلال والهوى والنفس (حق جهاده) أى جهاد من أجل الله حقا لا رغبة فى
 الدنيا من حيث الاسم أو الغنمة (هو احتباككم) أى اختاركم للاشتغال بطاعته من بين سائر البريات
 (وما جعل عليكم فى الدين) أى فى أمر الدين (من حرج) أى ضيق بته كليف ما يشق عليكم أقامته
 (ملة أبيكم إبراهيم) أى سهل الله عليكم الدين مثل ملة أبيكم إبراهيم فانه أبو رسول الله وهو كالأب لأمته
 ولان أكثر العرب كانوا من ذرية إبراهيم فغلبوا على غيرهم (هو) أى الله كما قرأ أبى بن كعب (سماكم
 المسلمين من قبل) أى قبل هذا القرآن فى كتب الانبياء (وفى هذا) أى القرآن بقوله تعالى ورضيت لكم

الاسلام ديناً وقيل الله سها كم المسلمين في الازل من قبل أن خلقكم وبعد أن خلقكم (ليكون الرسول شهيداً عليكم) يوم القيامة بأنه بلغكم (وتسكنوا شهداء على الناس) أي الامم الماضية بتبليغ الرسل اليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي فلما خضعكم الله بهذه الكرامة فاعبدوه وتقربوا الى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهم بما بالذكر لفضلهم (واعتصموا بالله) قال القفال أي اجعلوا الله عصمة لكم مما تحذرون وقال ابن عباس أي سلوا الله العصمة عن كل المحرمات أي ولا تطلبوا الاطاعة في كل الامور الا منه تعالى (هو مولاكم) أي حافظكم (فتم المولى) أي الحافظ (ونعم النصير) بل فلا حافظ ولا ناصر في الحقيقة سواء تعالى

سورة المؤمنون مكية مائة وثمان عشرة آية عند الكوفيين وتسع عشرة عند البصريين
وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون) أي فازوا بالمراد وقرأ طه بن مصرف أفلح على البناء للمفعول أي قد أدخلوا في الفلاح الذي هو الوصول الى الله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) أي خاضعون للعبود بالقلب غير ملتفتين بالخواطر الى شيء سوى التعظيم ساكنون بالجوارح مطرِقون ناظرون الى مواضع سجودهم لا يلتفتون عينا ولا شهلا ولا يرفعون أيديهم والخشوع من فروض الصلاة عند الغزاة والحضور عند ناليس شرط الا لاجزاء بل شرط للقبول كما قاله الرازي (والذين هم عن اللغو معرضون) أي الذين هم تاركون لما لا حاجة اليه في أمور الدين والدينامن الاقوال والافعال في عامة أوقاتهم (والذين هم للزكاة فاعلون) أي مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) أي يحسبون فلا يرسلونها على أحد (الاعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أي سراريهم (فانهم غير ملومين) على عدم حفظها منهم اذا كان أتيانهم على وجه الحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) أي فمن طلب غير ذلك المستثنى كاتيان بهيمة أو زناً أو لواط أو استناء بيد (فأولئك هم العادون) أي الكاملون في مجاوزة الحدود (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أي قائمون بحفظ واصلاح فكل ما يكون تركه داخل في الحيانة فهو أمانة والعهد هو ما عهده العبد على نفسه فيما يقربه الى الله تعالى وما أمر الله تعالى به وذلك كالوضوء والاغتسال من الجنابة والصلاة والصوم والودائع والاسرار وغير ذلك وقرأ نافع وابن كثير لاماناتهم بالافراد (والذين هم على صلواتهم يحافظون) لشروطها من وقت وطهارة وغيرهما ولا ركانها وقرأ حمزة والكسائي صلواتهم بالافراد (أولئك) أي المؤمنون المتصفون بتلك الصفات (هم الوارثون الذين يرثون الفردوس) روى أن الله تعالى بنى جنة الفردوس لبننة من ذهب ولبننة من فضة وجعل خلافتها المسلك الاذفر وغرس فيها من حيد الفاكهة وجيد الریحان وروى أبو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سلوا الله الفردوس فانها على الجنان وان أهل الفردوس يسهعون أطيب العرش وسمى استحقاقهم الفردوس بأعمالهم بحسب وعده تعالى لان انتقال الجنة اليهم بدون محاسبة ومعرفة بقاديرها (هم فيها) أي الفردوس (خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً (ولقد خلقنا الانسان) أي جنس الانسان (من سلاله من طين) أي من خلاصة كائنه من طين (ثم جعلناه) أي السلاله (نطفه) أي منياً أربعين يوماً (في قرار مكين) أي مكان حرير فان الله تعالى خلق جوهر الانسان أولاً طيناً ثم جعل جهره بعد ذلك نطفه في صلب الاب فقذفه الصلب بالجماع الى رحم الام فصار الرحم مستقراً حصيناً لهذه النطفة (ثم خلقنا النطفة علقه) أي

ثم صبرنا المني الأبيض دما جامدا أربعين يوما (ثم خلقنا العلقة مضغعة) أي ثم صبرنا الدم الجامدا الأحمر لحما صغيرا مقدارا ما يعضغ أربعين يوما (فلخلقنا المضغعة عظاما) أي فصبرنا اللحم الصغير عظاما بلا لحم بأن صلبناها وجعلناها عودا للبدن على هيئات مخصوصة من رأس ورجلين وما بينهما (فكسونا العظام لحما) وشددناها بالأعصاب والعروق فاللحم يستر العظام كالأكسوة وقرأ ابن عامر وأبو بكر عظاما والعظم بالافراد في الموضعين (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي حولنا العظام المستورة باللحم عن صفاتها إلى صفة لا يحيط بها شرح الشارحين فإن الله جعلها حيوانا ناطقا مهيأ بصيرا عاقلا وأودع كل جزء من أجزائه عجائب وغرائب لا يحيط بها وصف الواصفين (فتبارك الله أحسن الخالقين) أي فتعالى شأن الله تعالى أتقن المحولين (ثم أنكم بعد ذلك) أي التركيب بالأمور الهيبة (لميتون) أي لصائر ون إلى الموت وقرأ ابن أبي عملة وابن محيص لما تتون (ثم أنكم يوم القيامة) أي عند النفخة الثانية (تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالشواب والعقاب (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات طوارق بعضها فوق بعض وأنما قيل للسموات طرائق لتطارقها أي لتكون بعضها موضوعا فوق بعض طاقا فوق طاق كطارقة النعل لجعل الله في السموات موضع الارزاق تبارزا للماء منها وكان نزول الوحى ومقر الملائكة (وما كنا عن الخلق غافلين) بل كنا حافظين لهم عن أن تسقط عليهم الطباق السبع فتهلكهم ولسنا تاركين لهم بلا أمر ولا نهى ولا غافلين عن أعمالهم ومصالحهم (وأزلفنا من السماء ماء بقدر) أي بتقدير لا ثقل لاستحباب منافعهم ودفع مضارهم قال الرازى إن الله تعالى أصدع الأجزاء المائية من قعر الارض إلى البحار ومن البحار إلى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التعصيد ثم ينزلها الله على قدر الحاجة إليها وفي الأحاديث إن الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض ثم جعل الله منه في السماء ماء وفي الارض ماء (فأسكنناه في الارض) أي جعلناه قارا فيها بعضه في بطنها وبعضه على ظهرها كالأنهار والغدران والعيون (وانا على ذهابه) أي على ازالته بالافساد أو بالتصعيد أو بالتغوير في الارض (لقادرون) كما كنا قادرين على ازاله (فأنشأنا لكم به) أي بذلك الماء (جنات من نخيل وأعناب) وأنما ذكرهما الله تعالى لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الايام ومقام الفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) أي البساتين (فواكه كثيرة) من ألوان شتى (ومنها تأكلون) أي ترزقون وتحصلون معاشكم أي تنعمون بفوائد البستان وتعيشون بها (وشجرة) أي وأنشأنا لكم زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو جبل نودى منه موسى عليه السلام بين مصر وابلة وقيل في فلسطين ومن قرأ بفتح السين منع الصرف لآل التائيد الممدودة ومن قرأ بكسر هاء وهو نافع وابن كثير وأبو عمر وقفه منع الصرف للعلمية والاهمية فإن الهزمة ليست للتائيد بل للحاق بقرطاس قيل إن الزيتون أول شجرة تنبت بعد الطوفان (تنبت بالدهن) أي تخرج الدهن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء أي تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت (وصبغ للأكسين) معطوف على الدهن أي تنبت الشجرة بالشئ الجامع بين كونه دهن يدن به ويسرج منه وكونه ادا ما يغرس الخبز فيه للائتدام (وان لكم في الأنعام) أي الابل (لعبرة) يستدلون بأحوالها على عظيم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته وتشكره (نسقيكم ماء في بطونها) أي تنتفعون بلبنها في الشرب وغيره ووجه الاعتبار في اللبن انه يجتمع في الضرع ويتخلص من بين الغرث والدم باذن الله تعالى فيستحيل إلى طهارة ولون وطعم موافق للشهوة ويصير غذاء لهذا اللبن الذي يخرج من بطونها إلى ضرعها تجمدا ثم ياطيبها ناعما

للبدن واذا بجنهم تجده أترافن استدل بذلك على قدرة الله تعالى وحكمته كان ذلك معدودا من النعم
الدينية ومن انتفع به كان معدودا من النعم الدنيوية (ولكم فيها) أى الانعام (منافع كثيرة) كالانتفاع
بشئها وأجزائها (ومنها) أى الانعام بعد ذبحها (تأكلون) فتنفعون بأعيانها كما تنفعون بما يحصل
منها (وعليها) أى الانعام (وعلى الفلك تحملون) فإن الانتفاع بالابل في الحملات على البر بمنزلة
الانتفاع بالسفن في البحر ولذلك جمع الله بينهما في انعامه لكي يشكر على ذلك ويستدل به (واقعد أرسلنا
نوحا الى قومه) وهم جميع أهل الارض (فقال) متعظا عليهم (يا قوم اعبدوا الله) وحده فلا تعبدوا سواه
(ما لكم من اله غيره) بالرفع صفة لاله باعتبار محله على أنه فاعل أو مبتدأ مؤخر أو محذوف الخبر ولكم للتبيين
أى ما لكم في العالم اله غيره تعالى وقرأ الكسائي بجر غيره صفة لاله على الاحتساليين الأولين باعتبار
لفظه (أفلا تتقون) أى أتعرفون انتقاء اله غيره تعالى فلا تقون أنفسكم عذابه تعالى بسبب إشرارككم به
في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا إيجاد الله تعالى إياه (فقال الملائكة) أى الرؤساء (الذين كفروا من
قومه) لعوامهم (ما هذا) أى نوح (الابشر مثلكم) في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه
(يريد أن يتفضل عليكم) أى يريد أن يطلب الفضل عليكم بادعاء الرسالة لتسكنوا أتباعا له (ولو شاء
الله لأزل ملائكة) أى لو شاء الله إرسال الرسول اليه لأزل ملائكة (ما سمعنا بهذا) أى
بالامر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ما سواه (في آياتنا الأولى) أى الماضين قبل بعث نوح عليه
السلام وذلك لكون آياتهم في زمان فترة متطاولة وما لغلوهم في التكذيب وانهما كهم في الضلال
ويقال ما سمعنا بنوح أنه نبي في الذين مضوا قبلنا في زمنه عليه السلام (إن هو إلا رجل به جنة) أى
ماتوح الارجل فيه جنون ومن كان مجنونا فكيف يجوز أن يكون رسولا (فتر بصوابه حتى حين) أى
انتظروه الى زمن موته أو المراد أنه مجنون فاصبروا الى زمان تظهر عاقبة أمره فيسه فان افاق فذاك واضح
والا فاقتلوه (قال) نوح لما رآهم قد أصروا على التكذيب حتى يثس من إيمانهم بالسكية (رب
انصرني بما كذبون) بالرسالة أى أبدلني من غير تكذيبهم سلوة النصر عليهم أو أهلكهم بسبب
تكذيبهم إياي (فأوحينا اليه) عند ذلك (أن اصنع الفلك) فأن مفسرة لوقوعها بعد فعل فيه معنى
القول (باعتينا) أى بحفظنا لك عن أن تخطئ في صنعها أو يفسدها عليك غيرك فان جبريل
عمله عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (ووحينا) أى وتعليمنا فأوحى الله اليه جبريل فعلمه
صناعة السفينة وصنعها في عامين وجعل طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وارفعها ثلاثين وجعلها
ثلاث طبقات السفلى للسمك والهوام والوسطى للدواب والانعام والعليا للانس (فاذا جاء أمرنا) أى
وقت عذابنا عقب تمام الفلك (وفار التنور) لآدم عليه السلام عند طلوع الفجر وكان في موضع مسجد
الكوفة عن عين الداخل من باب كنده اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام (فأسلك فيهما من كل
زوجين اثنين) أى فأدخل في الفلك من كل حيوان حشر في هذا الوقت فردين مزدوجين ذكرًا وأنثى
لكي لا ينقطع نسل ذلك الحيوان وقرأ حفص بتنوين كل فزوجين مفعول به واثنين تأكيد أى من كل
نوع وقرأ الباقر بغير تنوين فاثنتين مفعول به (وأهلك) أى وأدخل في الفلك أهل بيتك من زوجك
وأولادك (الامن سبق عليه القول منهم) أى الوعد الازلي من الله تعالى بالهلاك وهو ولده كنعان
وأم كنعان فهي كافرة (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لانجائهم (انهم مفرقون) أى انهم
محكوم عليهم بالفرق بالطوفان (فاذا استويت أنت) أى ركبت (ومن معك) من المؤمنين والدواب

وغيرها

وغيرها (على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) ومن الغرق بالالتجاء الى السفينة (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) أى مكان نزول فيه خير كثير وهو نفس السفينة لان من ركبها خلصته من الغرق
 وقرأ أبو بكر منزلا بفتح الميم وكسر الراءى والباقون بضم الميم وفتح الراءى (وأنت خير المنزلين) فى الدنيا
 والآخرة (ان فى ذلك) أى فى قصة نوح وقومه (لآيات) جلية فان اظهرتلك المياه العظيمة ثم
 الاذهاب بها لا يقدر عليه الا القادر على كل المقدرات وظهور تلك الواقعة على وفق قول نوح عليه السلام
 يدل على المعجز العظيم وافناء الكفار وبقاء الارض لاهل الدين من أعظم أنواع العبر فى الدعاء الى الايمان
 والزجر عن الكفر (وان كنا لمبتلين) أى وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم مختبرين به
 عبادنا فيما بعد لننظر من يتذكر (ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعدهم اهل الكهف (قرنا آخرين) هم
 عاد (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود عليه السلام (أن اعبدوا الله) أى وقلنا لهم على لسان الرسول
 اعبدوا الله وحده (مالكم من اله غيره أفلا تتقون) عذابه (وقال الملأ) أى الرؤساء (من قومه)
 أى الرسول (الذين كفروا ~~وكذبوا~~ بلبقاء الآخرة) أى بلبقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب
 (وأترفناهم) أى نعمناهم بالاموال والاولاد (فى الحياة الدنيا) يخاطبون أتباعهم مضلين لهم (ما هذا) أى
 الرسول (الابشر مثلكم) فى الصفات والاحوال (يا كل عاقل منا كلون منه ويشرب مما تشربون)
 فكيف يكون رسولا (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أى ان امتثلتم آدميا مثلكم فى الخلق والحال بأوامره
 (أنكم اذا) أى ان أطعتموه (الخاسرون) أى مغلوبون فى عقولكم جاهلون (أيعدكم أنكم اذا متم
 وكنتم ترابا) أى وصارت أجسامكم ترابا (وعظاما) نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب (أنكم
 مخرجون) من القبور أحياء كما كنتم (هيئات هيئات لما تعدون) أى بعد حصول ما تعدون من
 خروجكم من القبور فلا يقع هذا (ان هى الا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا حياتنا فى الدنيا (غوت
 ونفخي) أى يموت بعضنا ويحيى بعضنا (وما نحن بعبهوثين) بعد الموت (ان هو الا رجل افترى على الله
 كذبا) أى ما مدعى الرسالة الا رجل تعد على الله ~~كذبا~~ فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من
 أن الله يبعثنا (وما نحن له بؤمنين) أى بصدقين فيما يقوله من البعث بعد الموت ومن دعوى الرسالة
 (قال) أى هود بعد يأسه من ايمانهم (رب انصرني بما كذبون) أى انتقم لى منهم بسبب تكذيبهم
 اياى (قال) تعالى عدة بالقبول (هما فليس ليصحبنا نادمين) أى بعد زمان قليل ليصيرنا نادمين
 على التكذيب وذلك عند معابنتهم للعذاب (فأخذتهم الصيحة بالحق) أى دمرهم الله تعالى بالصيحة
 العظيمة وبالريح العقيم بالعدل من الله تعالى وقدرى أن شدا بن عاد حين أتم بناء ارم سار بأهله اليها
 فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا (فجعلناهم غثاء) أى جعلناهم بعد موتهم مثل
 ورق يابس يحمل على السيل فى عدم المبالاة بهم (فبعدا للقوم الظالمين) فبعدا صدر منه صوب بفعل
 لا يستعمل اظهاره لانه يعنى الدعاء عليهم والقوم متعلق بمعدوف واللام للبيان فالله تعالى ذكر ذلك على
 وجه الالهانة لهم وهو التباعد من الخير وقد نزل بهم العذاب دالا على ذلك مع ان الذى ينزل بهم فى الآخرة
 من العذاب أعظم مما نزل بهم ليكون ذلك عبرة لمن يحيى بعدهم والمعنى أهلكوا وخابوا من رحمة الله تعالى
 دنيا وأخرى (ثم أنشأنا من بعدهم) أى بعدهم اهل الكهف (قرنا آخرين) هم قوم صالح ولوط وشعيب
 ويونس وأيوب فالله تعالى ما أخلى الارض من مكلفين بل أوجد لهم وبلغهم حدا التكليف حتى قاموا مقام
 من كان قبلهم فى عمارة الدنيا (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) فلان هلك أمة قبل مجئ أجلها

ولا يستأخرون عنه بساعة فإنه تعالى عالم بالاشياء قبل كونها فلا توجد الا على وفق العلم والمقتول ميت
بأجله اذ لو قتل قبل أجله لكان قد تقدم الاجل أو تأخر وذلك ينافيه هذا النص (ثم أرسلنا رسلكنا) أى
أرسلنا الى كل قرن من القرون رسولا خاصا به (تترى) أى واحد بعد واحد بينهما زمان طويل وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو وهى قراءة الشافعى تترى بالتنوين فالله للالحاق بجعفر فلما نزلت ذهبت ألقه لالتقاء
الساكنين وباقي السبعة تترى بالالف صريحة دون تنوين والالف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة والتاء
يدل من الواو فإنه مأخوذ من الوتر وهو الفرد وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل وقع حالا أى متواترة أى
متتابعة فرادى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) وسلوكوا فى تكذيب أنبيائهم مسلك من أهللكوا
(فأتبعنا بعضهم بعضا) أى بالهلاك (وجعلناهم أحاديث) أى ما يتحدث به الناس تلهيا وتهمييا فيعتبر
منهم أهل السعادة ويتغافل منهم أهل الشقاوة (فبعد القوم لا يؤمنون) أى بعدوا من رحمة الله تعالى
بعدا اذ لم يؤمنوا ولم يعتبروا منهم (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) التسع (وسلطان مبین) أى حجة
واضحة ملزمة للنصم فى الاستدلال على وجود الصانع وإثبات النبوة (الى فرعون وملائه) أى أشرف
قومه (فاستكبروا) عن الانقياد لهما (وكلنا قوما عالىن) فى أمور الدنيا قاهرين بنى اسرائيل
بالظلم (فقالوا) فيما بينهم بطريق المناجعة (أنؤمن) أى أننقاد (لبشرين) موسى وهرون
(مثلنا) فى البشرية (وقومهم لنا عابدون) أى والحال أن قومهم ما بنى اسرائيل خاضعون لنا
خادمون كالعبيد لنا (فكذبوها) بالرسالة (فكانوا من المهلكين) أى فصاروا من المفرقين
فى بحر قلزم (ولقد آتينا) بعداهلاكهم وانجاء بنى اسرائيل (موسى الكتاب) أى التوراة (لعلهم
يهتدون) أى لى يهتدوا الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الاحكام (وجعلنا ابن مريم)
عيسى (وأمة آية) دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشرو ونطقه فى الصغر (وآتيناهما
الى ربوة) أى أسكناهما فى أرض مرتفعة فقال عطاء عن ابن عباس هى بيت المقدس فهو أقرب بقاع
الأرض الى السماء ويريد على غيره فى الارتفاع ثمانية عشر ميلا وقال عبد الله بن سلام هى دمشق
وعليه الاكثرون وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بالضم (ذات قرار) أى مستوية مبسوطة
ذات نعيم (ومعین) أى ما ظهر جار على وجه الأرض (يا أيها الرسل) نودى بهذا المعنى كل رسول فى
زمانه ليعتقد السامع ان أمر انودى له جميع الرسل وأمر وابه حقيق أن يعمل به والمعنى فخيرك يا محمد
انا أمرنا الرسل المتقدمين وقلنا لهم الخ دال على بطلان ما عليه الرهبان من رفض الطيبات أى وقلنا لكل
رسول (كلوا من الطيبات) أى الحلالات سواء كانت مستلذة أولا (واعملوا الصالحات) أى عملا صالحا
من فرض ونفل والاكل اذا كان بامر الشرع لا بامر الطبع يكون من نتائجه الاعمال الصالحة (انى
بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والباطنة (عليم) فأجاز بكم عليه وهذا تحذير لهم من الله تعالى من
مخالفة ما أمرهم به واذا كان هذا تحذير للرسل مع علوشأنهم فبان يكون تحذير الغير هم أولى (وان هذه)
أى العقائد (أمتكم) أى دينكم أيها المخاطبون (أمة واحدة) أى ديننا واحد والاختلاف فى
الشرائع لا يسمى اختلافا فى الدين وقرأ الكوفيون بكسر همزة ان على الاسنة ثنائى الداخل فيما خوطب
به الرسل والباقون بفتح همزة على حذف اللام أى ولان وقيل على العطف على ما أى انى علم بان هذه
أمتكم وقرأ ابن عامر وان باسكان النون فاسمها ضمير الشأن وهذه مبتدأ أو أمتكم خبر وأمة حال لازمة
(وأنا ربكم) من غير أن يكون لى شريك فى الربوبية (فاتقون) أى فأطيعونى (فتقطعوا أمرهم بينهم)

(زبرا) اى لجعل اتباع الانبياء امر دينهم مع اتحاد قطع امتفرقة وأدياناً مختلفة بينهم فزبر اجمع زبرة
 بمعنى قطعة كغرفة وغرفة فهو حال من امرهم أو من واو تقطعوا (كل حزب بما لديهم فرحون) اى كل
 فريق منهم مهيجون بما اتخذوه ديناً فيرى كل منهم انه الحق الراجح وان غيره المبطل الخاسر (فذرهم في
 غمرتهم حتى حين) اى اترك يا أشرف الخلق كفار مكة في جهلهم الى موتهم على الكفر والى مجي
 عذابهم بالقتل وغيره (أيحسبون أنما نعدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات) اى أيتظنون ان
 الذى نعطيهما اياه من المال والبنين نسارع به لهم فى اكرامهم ليكونوا فارغى البال من غير اشتغال
 بالتكاليف (بل لا يشعرون) حتى يتفكروا فى ذلك الامداد اهاواستدراج أم مسارعة فى الخيرات فهم
 اشياء البهائم لا فطنة لهم (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) اى ان الذين هم من خوف عذاب ربهم
 حذرون من أسباب العذاب دائمون فى طاعته جادون فى طلب مرضاته (والذين هم بآيات ربهم المنصوبة
 والمنزلة (يؤمنون) اى يصدقون بأن يستدلوا بهذه المخلوقات على وجود الصانع ويصدقوا بان ما فى
 القرآن حق من ربهم (والذين هم بربهم لا يشركون) بأن يكون العبد مخلصاً فى العبادة لا يقدم عليها الا
 لطلب رضاوان الله تعالى ومن الشرك ملاحظة الخلق فى الرد والقبول والفرح بمدحهم والانكسار
 بذمهم وقصور النظر فى المسار والمضار على الاسباب عند انقطاع النظر عن المسبب الذى هو الله تعالى كنظر
 حصول الشفاء من الدواء والشبع من الطعام وليس المراد من عدم الاشارة هنا فى الشريك لله تعالى لان
 ذلك داخل فى ما تقدم (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم ورجلة) اى والذين يعطون ما أعطوه من الصدقات
 والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف (أنهم الى ربهم راجعون) وقرأت عائشة وابن عباس والحسن
 والاعمش يأتون ما أتوا من الايمان اى يفعلون ما فعلوه من الطاعات والحال أن قلوبهم خائفة من رجوعهم
 الى ربهم فلا يقبل منهم ذلك ولا يقع على الوجه اللائق فيه واخذوا به حينئذ وهذا مناط الوجع وقرأ
 الاعمش انهم بكسر الهاء مرة على الاستئناف (أولئك) اى أهل هذه الصفات الاربعة (يسارعون فى
 الخيرات) اى ينالون فى الدنيا أنواع النفع ووجوه الاكرام (وهم لها سابقون) اى هم فاعلون السابق
 لاجل الخيرات اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها وتفيد معنى
 الثبوت بعد ما تقدم معنى التجدد وقوله أولئك خبر عن ان الذين الخ وقرئ يسرعون فى الخيرات (ولا
 نسكف نفساً الاوسعها) اى عادتنا جارية على أن لا نسكف نفساً من النفوس الا ما فى طاقتها اى فان الله
 تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن
 يبذلوا طاقتهم (ولدينا كتاب) اى مصنفات الاعمال التى يقرؤها عند الحساب (ينطق بالحق) اى يظهر
 المطابق لواقع فاعمال العباد كلها مثبتة فى مصنفهم فلا يضيع لعامل جزاء عمله ان خيرا فخير وان شرا
 فشر (وهم لا يظلمون) فى الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عقاب (بل قلوبهم) اى الكفرة (فى غمرة) اى
 غفلة (من هذا) الذى بيناه فى القرآن من أن لدينا ديوان الحفظ الذى يظهر لهم أعمالهم انسيئة على رؤس
 الاشهاد فيحزون بها (ولهم) اى الكفار (أعمال من دون ذلك) أى أعمال سيئة غير كون قلوبهم فى غفلة
 عظيمة عما ذكر وهى فنون معاصيهم كطعنهم فى القرآن واقامة امامتهم فى الزنا (هم لها عاملون) هم
 مستمرون على اعمال سيئة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى اكبرهم الذين أمدهم الله تعالى بالمال والبنين
 (بالعذاب) أى الاخرى (اذا هم بجارون) أى يرتفع صوتهم بالاستغاثة فى كشف العذاب عنهم لشدة ما هم
 عليه ويقال لهم على وجه التبكيت (لا تجأروا اليوم) أن لا تتجأروا اليوم اليانا (انكم مثلاً تنصرون)

أى لانه لا يطقكم من جهتنا نصره تنحيكم عما نزل بكم (قد كانت آياتى تنلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى فكنتم تعرضون عن تلك الآيات وتنفرون عن يتلوها وهذا مثل يضرب حين تباعد عن الحق كل التباعد وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه على أدياركم بدل على أمة بكم (مستكبرين به سامرا) فالجار والمجرور متعلق بقوله مستكبرين والباء سببية والضمير يعود الى الحرم أى متعظمين بالحرم أو متعلق بسامرا أو الباء بمعنى فى والضمير يعود الى البيت الحرم أى ساهرين فى الليل المظلم يتحدثون حول البيت العتيق والذي يسوغ هذا الاظهار شهرتهم بالاستكبار بالبيت ويجوز ان يكون متعلقا بتهمجرون والضمير يعود الى القرآن (تسجرون) قرأه نافع وابن محيصن بضم التاء وكسر الجيم أى تسبون القرآن وتسمونه سجرا وشعرا والباقون بفتح التاء وضم الجيم أى تترك كون القرآن وتعرضون عنه وكانوا يجتمعون حول الكعبة فى الليل يتحدثون وكان أكثر حديثهم ذكر القرآن واللعن فيه وتسميته سجرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يقولون لا يعلو علينا أحدا لنا أهل الحرم وقوله مستكبرين وقوله سامرا وقوله تسجرون أحوال من الواو فى تنكصون أو كل واحدة حال من ضمير ما قبلها وسامرا اسم جمع كحاج وراكب وحاضر وغائب فالكل يطلق على الجمع (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم) أى افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا عاقبه من أعجاز النظم والاخبار بالغيب انه الحق من ربهم بل أجاءهم من الكتاب وبعثة الرسل ما لم يات آباءهم الأولين كما ساءل عليه السلام وأعقابهم من عدنان ولخبطان ومضرو وربيعة وقس والحارث بن كعب وأسدي بن خزيمه وتميم بن مرة وتبع وضبة بن ادفكلهم آمنوا بالله تعالى وكتبه ورسله فان جئى السكتب من الله تعالى الى الرسل مادة قد علة تعالى وان جئى القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه بل ألم يعرفوا رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حاز من الكالات الاثقة بالانبياء عليهم السلام (فهم له منكرون) أى فهم جاحدون برسالة رسولهم أى انهم عرفوا منه صلى الله عليه وسلم قبل ادعاء الرسالة كونه فى غاية الفرار من الكذب فكيف كذبه بعد اتفاق كلمتهم على تسميته صلى الله عليه وسلم بالامين (أم يقولون به جنه) أى بل يقولون فى رسولهم جنون ويقولون اغا حمله على ادعائه الرسالة جنونه مع انه أرحم الناس عقلا وافرهم ذرأته (بل جاءهم بالحق) أى جاءهم رسولهم عليه الصلاة والسلام بالصدق الثابت الذى لا محيد عنه أصلا (وأكثرهم للحق) أى أى حق كان (كارهون) من حيث تمسكوا بالتقليد ومن حيث علموا انهم لو أقروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لالت مناصبهم واختلت رياستهم فلذلك كرهوه وكان منهم من ترك الايمان استنكافا من قوبخ قومه أو لعدم فكرته لالكراهة الحق (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أى لو كان الحق الذى كرهوه موافقا لأهوائهم الباطلة لخرجت السموات والارض ومن فيهن عن الصلاح والانتظام بالكيفية (بل أتيناهم بذكرهم) أى بل جئناهم بالقرآن الذى فيه شرفهم وقرأ أبو عمرو فى رواية أتيناهم بعد الهزيمة أى أعطيناهم نخرهم فالباء مزيدة فى بذكرهم وقرأ ابن أبى اسحق وعيسى بن عمرو وأبو عمرو أيضا أتيتهم بتاء المتكلم وحده وقرأ الطهردى وأبو رجا أتيتهم بالتاء على خطاب الرسول عليه السلام وقرأ عيسى بذكرهم بالالف التانيث أى بوعظهم وقرأ أبو قتادة بذكرهم بنون المتكلم مضارع ذكرا مشددا لكاف وهى جملة حالبة (فهم عن ذكرهم) أى نخرهم وشرفهم (معروضون)

وكان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكل اقبال (أم تسألهم خراجا) وقرأ حمزة والكسائي بنفع
 الراء وبالالف والباقون بسكونها (نخراج ربك خير) وقرأ ابن طامر يسكون الراء والباقون بنفعها
 وبالالف أي أم تسألهم على هدايتهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء ربك خير فلا يجوز
 أن ينفروا عن قبول قوله صلى الله عليه وسلم لأجل هذه التهمة البعيدة وهم غير معذورين بالتسمة
 وهم محجوجون من جميع الوجوه فهذا قوي يوجب وجه آخر كأنه قيل أم يزعمون أنك تسألهم على
 أداء الرسالة جعلنا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك ولا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا
 والآخرة خير لك من ذلك (وهو خير الرازقين) أي أفضل المعطين في الدنيا والآخرة خير لك من ذلك (وانك
 لتدعوهم إلى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة باستقامته (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي
 بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) أي عن جنس الصراط (لنا كبون) أي منحرفون فلا يطلق
 على ما ذهبوا إليه اسم الصراط لغاية ضلالهم (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم
 يعمهون) أي ولو كشفنا عنهم ما أصابهم من جوع وسائر مضار الدنيا لتمادوا في ضلالهم وهم متحيرون عن
 الهدى لا يصررون الحق وقد كان الأمر كذلك روى انه لما أسلم نعامه بن اقال الحنفى ولحق بالجماعة
 منع الميرة عن أهل مكة فأخذهم الله تعالى بالسنين سبع سنين حتى أكلوا الجلود والجيف والعلهز فجاء أبو
 سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أأستترعهم أنك بعثت رحمة للعالمين ثم قتلت الأباة بالسيف
 والأبناء بالجوع فادع الله يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية وذلك بسبب
 دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم بقوله اللهم اشد دوطأ تل على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني
 يوسف (ولقد أخذناهم بالعذاب) وهو ما نالههم يوم بدر من القتل والاسر (فما استكانوا إليهم) أي فما
 خضعوا إليهم بالتوحيد (وما يتضرعون) أي فما يؤمنون أي يحناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع
 الذي هو أشد منهم ما نأروى منهم لين مقادة وتوجه إلى الاسلام قط واما ما أظهره أبو سفيان فليس من
 الاستكانة لله تعالى والتضرع إليه تعالى في شيء وانما هو نوع خشوع إلى أن يتم غرضه فجاء كقيل إذا جاع
 ضغوا إذا شبع طغوا أكثرهم مستمررون على ذلك (حتى إذا فتحنا عليهم بابا إذا عذاب شديد) هو عذاب
 الآخرة (إذا هم فيه) أي في ذلك العذاب (مبلسون) أي آيسون من كل خير (وهو الذي أنشأ لكم
 السمع والابصار والافئدة) وخص الله هذه الثلاثة بالذكور لان الاستدلال موقوف عليها (قليلا
 ما تشكرون) أي شكر اقل لا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة يا أهل مكة (وهو الذي ذرأكم
 في الارض) أي هو الذي جعلكم في الارض متناسلين (واليه تحشرون) أي تجتمعون يوم القيامة
 إلى موضع لا حاكم فيها سواه وجعل حشرهم إلى ذلك الموضع حشر اليه (وهو الذي يحيي ويميت)
 وينقل من نعمة الحياة إلى دار الثواب والعقاب (وله اختلاف الليل والنهار) أي هو المؤثر في
 تعاقبهما واختلافهما ازديادا وانتقاصا (أفلا تعقلون) أي أتفكرون فلا تعقلون بالنظر ان الكل
 مناف ان قدرتنا تم المسكنات التي من جملتها البعث بعد الموت (بل قالوا) أي فلم تعقل كفار مكة بل
 قالوا (مثل ما قال الأولون) من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم في انكار البعث مع وضوح الدلائل
 (قالوا) مقلدين للأولين (أئذ امتنا وكناتر ابار عظاما أئنا لبعوثون) بعد ذلك (لقد وعدنا نحن
 وآباؤنا هذا) أي البعث (من قبل) أي من قبل محبي محمد أي لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث فلم نر هذا الوعد
 صدقا أي قلالم يوجد البعث مع طول الزمان ظنوا أنه يكون في دار الدنيا ثم قالوا (ان هذا) أي ما هذا

الذي تقول يا محمد (الأساطير الأولين) أي الأكاذيبهم التي كتبوها (قل) يا أشرف الرسل لكفار مكة (لن الأرض ومن فيها) من المخلوقات (ان كنتم تعلمون) فأخبروني بخالقهما (سيقولون الله قل) لهم بعد أن يجيبوا بما ذكرتم ويخالفهم (أفلاتدكرون) أي أنتم تعلمون ذلك فلا تتذكرون أن من قدر على خلق الأرض وما فيها ابتداء قادر على إحادته ثانيا (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل) الخما لهم (أفلاتتقون) أي أنتم تعلمون ذلك ولا تتقون أنفسكم عقابه حيث تكفرون به وتذكرون البعث وتثبتون له شريكاً في الربوبية (قل من بيده ملكوت كل شيء) أي من تحت قدرته ملك كل شيء من انس وجن وغيرهما (وهو يجبر) أي يغيث غيره إذا شاء (ولا يجار عليه) أي لا يغاث أحد منه إذا أراد هلاكه (ان كنتم تعلمون) ذلك فأجيبوني (سيقولون الله) وقرأ أبو عمرو سيقولون الله في الأخيرتين من غير لام حرم رفع الجلالة جواباً على اللفظ لقوله من لأن المسؤول به مرفوع المحل وهو من لجاء جوابه مرفوعاً والباقيون لله باللام في الأخيرين وهو جواب على المعنى لأن التقدير في الموضع الأول منهما قل من له السموات السبع والعرش وفي الثاني قل من له ملكوت كل شيء فلام الجر مقدرة في السؤال فظهرت في الجواب نظراً للمعنى وأما جواب السؤال الأول فهو الله باللام باتفاق السبعة لأنها قد صرح بها في السؤال (قل) لهم يا أشرف المخلوق (فأني نسبحون) أي فن أيّن تصرفون عن الرشد إلى الغي (بل أتيناهم بالحق) الذي هو التوحيد والوعد بالبعث (وانهم لكاذبون) في ادعاء الشرك وانكار البعث (ما اتخذ الله من ولد) لأم الملائكة ولا من غيرهم كما قال الكفار (وما كان معه من اله) يشاركه في الألوهية كما يقوله الثنوية (إذا ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض) فإذا بعني لوالامتناعية أي لو كان معه آلهة كما يقولون لا تفرد كل واحد من الآلهة بخلق الذي خلقه وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ولغلب بعضهم على بعض كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده تعالى حينئذ ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط (سبحان الله عما يصفون) من إثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة) وقرأ نافع وشعبة وحزرة والكسائي بالرفع خبر مبتدأ محذوف والباقيون بالجر بدل من الجلالة وهذا دليل آخر على انتفاء الشريك بناءً على توافقه في تفرد تعالى بذلك كأنه قيل الله عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلمهم أو غيره ليس باله (فتعالى عما يشركون) فإل تفرد تعالى بذلك موجب لتفردّه عن أن يكون له شريك وشبيهه (قل رب اما ترى بني ما يعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي ان كان لا بد من أن ترى ما تعدّهم من العذاب الدنيوي المستأصل فلا تجعلني قريناً لهم فيما هم فيه من العذاب وأعيد لفظ الرب بمبالغة في التضرع وفي معنى مع (وانا على أن ترى ما تعدّهم) من العذاب المستأصل (لقد ارون) ولا كما نؤخره للملكة الداعية إلى التأخير وهذا يدل على صحة قدرته تعالى لا على خلاف علمه فإنه تعالى أخبر أنه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك لحكمة فصححة القدرة غير المعلوم والكافرون ينكرون التهديد بالعذاب ويضحكون به (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) أي قابل إساءتهم بما أمكن من الاحسان وتكذيبهم بالكلام الجميل وبيان الأدلة على أحسن الوجوه قيل هذه الآية محكمة لأن المداراة محثوث عليها ما لم تزد إلى وهن في الدين أو نقصان في المروءة (نحن أعلم بما يصفون) أي بما يصفونك به على خلاف ما أنت عليه (وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين) أي وسأوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي من أن يحوموا حولي في حال من الأحوال لأنهم انما يحضرون بقصد سوء (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلى

أعمل صالحا فيما تركت) وحتى متعلقة بيصفون أى هي معمولة لمخدوف يدل عليه ذلك أى يستمر كفار مكة
على الوصف المذكور حتى اذا جاء أحدهم الموت وظهرت له أحوال الآخرة قال رب رددنى الى الدنيا لىكى أعمل
صالحا فيما قصرت فى الايمان وفى العبادات البدنية والمالية والحقوق وقوله ارجعون خطاب لله وجمع
الضمير تعظيم الله أو لتكرير قوله ارجعنى كأنه قال ارجعنى ارجعنى ثلاث مرات كما قالوا فى قوله
ألقيا فى جهنم أنه يعنى ألق ألقى فثنى الفعل للدلالة على ذلك وقوله رب منادى وقيل الخطاب للملائكة
الذين يقبضون الارواح وهم جماعة ورب لا قسم فكانه عند معاناة مقبضه من النار وملك الموت وأعوانه
قال بحق الرب ارجعون الى الدنيا لىكى أصلح ما أفسدت وأطيع فى كل ما عصيت ومكنونى من التدارك
لعلى أتدارك فيما خلفت من المال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضر الانسان الموت جمع كل
شئ مكان ينعه من حقه بين يديه فعند ذلك يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت أى لىكى
أصير عند الرجعة مؤد بالحق الله تعالى فيما تركت التركة (كلا) أى لا يرد الى الدنيا وهذا كالجواب
لهم فى المنع مما طلبوا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا ان جعل الى دار الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان لا بل قدوماء الى الله تعالى وأما الكافر فيقال له
ترجعك فيقول ارجعون فيقال له الى أى شئ ترغب الى جمع المال أو غرس الغراس أو بناء البنين أو
شق الأنهار فيقول لعلى أعمل صالحا فيما تركت فيقول الجبار كلا (انها) أى قوله رب ارجعون الى
آخرة (كلمة هو قائلها) لا محالة لتسلط الحسرة عليه ولكنها لا تفيد (ومن ورائهم) أى أمامهم
(برزخ) أى حائل مانع لهم عن الرجوع الى الدنيا وهو مدة بين الموت والبعث وذلك قوله تعالى (الى يوم
يبعثون) من قبورهم (فإذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها البعث
(فلا أنساب بينهم يومئذ) أى فلا يتفاخرون بأنسابهم ولا يترحمون بها فى ذلك اليوم (ولا يتساءلون)
عنها الاشتغال كل منهم بنفسه قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤخذ العبد والامة يوم القيامة على رؤس
الشهاد وينادى مناد ألا ان هذا فلان فمن له عليه حق فليأت الى حقه فتقرح المرأة حينئذ أن يثبت لها
حق على أمها أو اختها أو أبيها أو أخيها أو ابنها أو زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وعن قتادة
لأشئ أبغض الى الانسان يوم القيامة من أن يراهم من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شئ والصورة آلة ينفع
فيه وقال الحسن الصور مجموع الصورة وكان يقرأ بفتح الواو وقرأ بورزين بفتح الواو وكسر الصاد والمعنى فاذا
نفخ فى الاجساد أو واحها فلا قرابة تنفعهم وال التعاطف من فرط الحيرة وأما قوله تعالى فأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون فبعد ذلك (فمن ثقلت موازينه) أى فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها
قدر عند الله تعالى (فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مرهوب (ومن خفت
موازينه) أى ومن لم يكن قدر عنده تعالى من العقائد والأعمال وهم الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم)
بأن صارت منازلهم من الجنان للمؤمنين (فى جهنم خالدون) بدل من الصلوة (تلفح وجوههم النار) أى
أضربها وتأكل لحومها وتحرق جلودها (وهم فيها كالحون) أى متعلقوا الشفتين عن الاسنان من شدة
الاحتراق ويقال لهم (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) فى الدنيا تبين لكم بالدلائل الواضحة كيفية سلوك
الطريق الحق (فكنتم بها) أى بآياتى (تمكذبون) فصرتم مستحقين للعذاب الاليم (قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا) بسوء اختيارنا وفى قراءة سبعة شقاوتنا بفتح الشين وقرأ قتادة بالكسر (وكنا)
بسبب ذلك (قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنها من هنا فانا طالمون) أى ياربنا أخرجننا

من النار ومن هذه الدار الى دار الدنيا فان عدنا الى الاعمال السيئة فانا ظالمون على أنفسنا (قال) الله لهم بلسان مالك (اخسؤا فيها) أى ذلوا في النار (ولا تكلمون) بطلب الانحراج من النار وهذا آخر كلامهم في النار فلا يسمع لهم بعد ذلك الا الرفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وبعثنا فارجعنا فيجيبون حق القول مني فينادون ألف سنة ثانية ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فيجيبون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا ثلاثة يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبون انكم ما كنتم فينادون ألفا أربعة ربنا أخرجنا منها فيجيبون أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال فينادون ألفا خامسة أخرجنا نعمل صالحا فيجيبون أو لم نعمركم فينادون ألفا سادسة رب ارجعونا فيجيبون اخسؤا فيها (انه) أى الشأن وقرأ أبى يفتح الهمزة أى لأنه (كان فريق من عباده يقولون) في الدنيا ربنا آمنا فأنقزلنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) أى أنت أرحم علينا من الوالدين (فألتخذوهم صفريا) وقرأنا فع وأهل المدينة وأهل الكوفة عن عاصم بضم السين في جميع القرآن وقرأ الباقر بالكسر ههنا وفي ص وقال الخليل وسيبويه هما لغتان وقال الكسائي والفراء الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى السخرية والعبودية (حتى أنسوكم ذكرى) أى طاعنى (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء والمعنى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا أخرجنا الى آخره لانكم كنتم تستهزون بالدعاءين يقولهم ربنا آمنا الى آخره وتتشاغلون باستهزائهم حتى أنساكم الاستهزاء بهم عن توحيدى وطاعنى قال مقاتل ان رؤساء قريش مثل أبى جهل وعتبة وأبى بن خلف كانوا يستهزون بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضحكون بالفقراء منهم مثل بلال وخباب وعمار وصهيب (انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) وقرأ حمزة والكسائي أنهم بكسر الهمزة تعليل للجزء والباقر بالفتح ثانى مفعولى جزيت فعنى الاول فانهم قد فازوا بسبب صبرهم على أذيتكم اياهم فجزوا وأحسن الجزاء ومعنى الثانى أنهم انتفعوا بأذيتكم اياهم بسبب صبرهم على أذيتكم فانى جزيتهم اليوم بفوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به (قال) أى الله لهم بلسان مالك توبيحنا (كم لبثتم في الأرض) أى في الدنيا التى تطلبون ان ترجعوا اليها (عدد سنين) تميز لكم والغرض من هذا السؤال التبكيت لانهم كانوا لا يعدون اللبث الا في دار الدنيا ويطنون ان الفناء يدوم بعد الموت ولاعادة فلما حصلوا في النار وأيقنوا انهم مخلدون فيها سألهم الله كم لبثتم في الارض فانهم فيها تمكنوا من العلم والعمل تذكير لهم بأن الذى ظنوه طويلا فهو قليل بالنسبة الى ما أنكره وخيبتهم تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث أيقنوا خلافه (قالوا البتة ياوما أو بعض يوم) يشكون في ذلك لكثرة ما هم فيه من الالهوال وقد اعترفوا بالنسيان حيث قالوا (فاسأل العادين) أى الذين يحصون الاعمال وأوقات الحياة والمات أو الذين يعدون أيام الدنيا وساعاتها فاننا قد نسيناه وقرئ العادين بتخفيف الدال أى الظلمة رؤساءنا الذين أضلونا وقرئ العادين أى القدماء المعمرين (قال) الله لهم بلسان مالك (ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أى ما لبثتم في الدنيا الا زماما قليلا لو علمتم البعث فان الدنيا قليل أيامها في مقابلة أيام الآخرة ولكنكم لم أنكرتم ذلك كنتم تعدون الدنيا طويلا ولو علمتم أن لبثكم في الآخرة لا نهاية له لألحتم أعمالكم في الدنيا واتقربتم بها الى الله تعالى وقرأ الاخوان قل كم لبثتم قل ان لبثتم بالا مرفى الموضعين خطاب للملك وابن كثير كالاخوين في الموضع الاول فقط والباقر قال بالماضى في الموضعين

(ألحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) أي ألم تعلموا يا أهل مكة شيئاً لحسبتم أنما خلقناكم لاجل العبث بل الحكمة بالغة فخلقناكم بلامعنى يضركم أو ينفعكم حتى عشتم كما تعيش البهائم فأتقربتم إلينا بالاعمال الصالحة حتى أنكرتم البعث (وأنكم إلينا لا ترجعون) فلولوا القيامة لما تمز المطيع من العاصي والصديق من الزنديق فخلقكم بغير بعث من نوع العبث وأنما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرأ حمزة والكسائي: ففتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله) أي تبارك الله عن العبث وعن خلوا أفعاله عن المصالح والغايات الحميدة (الملك) أي المتصرف في كل شيء (الحق) أي الثابت الذي لا يزول ملكه (لا اله الا هو) فان كل ما عدا عبيده (رب العرش الكريم) أي مالك السرير الحسن وقرئ الكريم بالرفع صفة لرب أي الجامع لصفات الكمال (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عندربه) وقوله لا برهان صفة لازمة لالهها وقوله فانما جواب الشرط أي ومن يعبد الها آخر لا محتملة بعبادته فهو تعالى مجازله في الآخرة بقدر ما يستحقه ويبلغ عقابه الى حيث لا يقدر أحد على حسابه الا الله تعالى (انه لا يفلح الكافرون) والجمهور على كسره حمزة انه على الاستثنا في المقيد للعلة وقرأ الحسن وقتادة بفتح الهمزة فيكون خبر حسابه المعنى حسابه في الآخرة عدم الفلاح (وقل) يا أكرم الرسل (رب اغفر) أي تجاوز عني وعن أمتي (وارحم) أمتي فلا تعذبهم (وأنت خير الراحمين) أي أرحم الراحمين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجوا وأفلح

سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية وألف وثلاثمائة وستة عشر كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وثمانون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم سورة) قرأ العامة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هذه الآيات الآتي ذكرها سورة وقرأ الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفي وعيسى الكوفي ومجاهد وأبو حيوة بالنصب بفعل يفسره ما بعده أو بفعل آخر فقرأوا أو اتبعوا (أنزلناها) أي أعطيناها الرسول (وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء لكثرة المفروض عليهم (وأنزلنا فيها) أي في أثناء السورة (آيات) نيطت بها الأحكام المفروضة (بينات) أي واضحة دلالتها على أحكامها كبراءة الصديقة ابنت الصديق (عليكم تذكرون) أي تتذكرونها فاعملوا بها وقرأ حفص وحمزة والكسائي بضعيف الذال وحذف إحدى التاءين والباقيون بالتشديد (الزانية) أي المرأة المطاوعة للزنا المكنة منه (والزاني) وهما بكران (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أي ضربة وجملة فاجلدوا خبر المبتدأ والغاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى وقرأ عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وعمرو بن قائد وأبو جعفر وأبو شيبة بنصيب اليمين على اضماعه فاعل يفسره الظاهر وقرئ والزاني بلاياء (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحمة (في دين الله) أي في طاعة الله وإقامة حده فتهطلوه أو تسامحوه وقرأ العامة رأفة هنا وفي الحديد بسكون الهمزة وابن كثير يفتحها وقرأ ابن جرير وكباروى عن ابن كثير وهما صمد الهمزة على وزن محاباة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد ودسوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى عن زادسوطا فيقول لينتهوا عن معاصيل فيؤمر به الى النار وعن أبي هريرة

اقامة حد بارض خير من مطر أربعين ليلة (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أى وليحضر قديما
 حدهما جمع يحصل به التشهير والرجوع عن ابن عباس هم أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله تعالى
 (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) وهذا كما قال القفال المراد منه
 الاعم الاغلب وذلك لان الفاسق الخبيث الذى من عادته الزنا والفسق لا يرغب فى نكاح الصالح
 من النساء وانما يرغب فى فاسقة أو فى مشركة والفاسقة الخبيثة لا يرغب فى نكاحها الصالحاء من الرجال
 وانما يرغب فيها الفسقة والمشركون فهذا على الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا لرجل التقى
 وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى فكذا ههنا (وحرم ذلك على المؤمنين) أى ان صرف الرغبة بالكلية
 الى الزواني وترك الرغبة فى الصالحات محرم على المؤمنين أى الحصر المذكور وهوان الزانى لا يرغب الا فى
 الزانية محرم عليهم ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية وهذا هو المعتمد فى تفسير هذه الآية
 قال مجاهد وعطاب بن أبى رباح وقتادة قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء ليس لهم أموال ولا عشائر
 وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذاً خصب أهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة على بابها
 كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية وكان لا يدخل عليها الا زان أو مشرك فرغب فى كسبهن ناس من فقراء
 المشركين وقالوا تزوج بهن الى ان يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه
 الآية فتعديرا لآية أولئك الزناة لا ينكحون الا تلك الزواني وتلك الزواني لا ينكحهن الا أولئك الزناة وحرم
 نكاحهن بأعيانهم على المؤمنين فالآلاف واللام فى قوله الزانى وفى قوله المؤمنين وان كانت للعموم ظاهرا
 لكنه ههنا مخصوص بالاقيام الذين نزلت فى حتمهم هذه الآية ودليل جواز نكاح الزانية ما روى عن جابر
 ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لا تمنع يد لامس قال طلقها قال فأنى
 أحبها وهى جميلة قال استمتع بها (والذين يرمون المحصنات) أى يقذفون الحرائر المسلمات المكافئات
 العفاف بالزنا (ثم لم يأتوا) الى المحاكم (بأربعة شهداء) ذكور يشهدون على صحة ما رموه به
 (فاجلدوهم) أيها المحاكم (ثمانين جلدة) لظهور كذبهم بهزهم عن الاتيان بالشهداء (ولا تقبلوا
 لهم شهادة) أى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمى (أبدا) أى مدة
 حياتهم وان تابوا وأصلحوا لان رد الشهادة منهم تقية للعدا فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد
 مؤلم للبدن فان القاذف قد آذى المقتوف بلسانه فعوقب باهدار منافع وفائدة قوله تعالى لهم تخصيص الرد
 بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمى وهو السرفى قبول شهادة الكافر المحذور وفى
 القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد اسلامه فلا
 يتناولها الرد (وأولئك هم الفاسقون) أى المحكوم عليهم بالفسق (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أى من بعد
 اقترافهم ذلك الذنب العظيم (وأصلحوا) أعمالهم بعد التوبة (فان الله غفور رحيم) حينئذ لا ينظمهم
 فى سلك الفاسقين ومحل المستثنى نصب لانه عن مثبت وهو راجع الى الفسق فقط كما قال أبو حنيفة ان
 الفاسق لا تقبل توبته وان تاب وهذا الاستثناء راجع الى رد الشهادة والى الفسق كما هو مذهب مالك
 والشافعى وكما روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجمع من الصحابة فعلى المستثنى حينئذ الجسر على
 البدلية من الضمير فى لهم فعند الشافعى ان التائب تقبل شهادته ويرزق فسقه ومعنى الابد عنده مدة كونه
 قاذفا فتتهى بالتوبة قال الشافعى التوبة من القذف اكذابه نفسه كما روى عن عمر بن الخطاب انه ضرب
 الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكر ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته

ومن لا يفعل لم أجز شهادته فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وأباو كان عمر يقبل شهادتهما وأما أبو بكر
فكان لا يقبل شهادته وما أنكر على عمر أحد من الصحابة واتفق الأئمة الأربعة على عدم رجوع الاستثناء
إلى قوله تعالى فأجلدوهم فالقاذف يجلد عند الجميع سواء تاب أو لم يتب (والذين يرمون أزواجهن)
بالزنا (ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) بدل من شهداء أو صفة لها على أن الابعنى غير أو وجدت البينة
ولكن لم يريدوا اظهارها (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين) وقرأ حفص وحزرة
والكسائي برفع أربع خبر لشهادة وبالله متعلق بشهادات أو بشهادات والباقون بنصب أربع على أنه
مفعول مطلق والعامل فيه شهادة وهو خبر لمبتدأ محذوف أي قالوا يجب شهادة أو مبتدأ محذوف الخبر أي
فشهادة كل واحد منهم واجبة (والخامسة أن لعنت الله عليه أن كان من الكاذبين) فيمارها به من
الزنا وقرأ نافع يسكون نون أن ورفع لعنة والباقون بتشديد النون ونصب لعنة وهو خبر والخامسة أو بدل
منها أو على تقدير حرف الجر أي بأن لعنة الله ويجوز أن تكون الخامسة معطوفة على المبتدأ والخبر المحذوف
خبر عن المعطوف والمعطوف عليه وجملة والخامسة أن لعنت الله الخ معترضة بين المبتدأ وخبره المحذوف
وقرى والخامسة بالنصب على معنى ويشهد الخامسة كما قاله الرازي (ويدروا عنها العذاب) أي يدفع عن
المقدوفة حد الزنا الذي ثبت بين القاذف (أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين) فيمارها
به من الزنا (والخامسة أن غضب الله عليها أن كان) أي زوجها (من الصادقين) فيما قال عليها وقرأ
حفص والخامسة بالنصب أي وتشهد الشهادة الخامسة وما بعدها بدل منها أو على تقدير حرف الجر
والباقون بالرفع وما بعدها خبرها وقرأ نافع أن بالسكون وغضب الله بكسر الصاد وضم الجلالة على أنه فعل
وفاعل والباقون بتشديد أن وقرى غضب بالرفع مع تخفيف أن روى أن هلال بن أمية قذف امرأته بالزنا
عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سمج فقال صلى الله عليه وسلم أما البينة وأما إقامة الحد عليك
فقال هلال والذي بعثك بالحق أني لصديق ولينزل الله ما يبيري ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه
والذين يرمون أزواجهن حتى بلغ أن كان من الصادقين فلما سرى عنه قال صلى الله عليه وسلم أبشريا هلال
فقد جعل الله لك فرجا قال قد كنت أرجو ذلك من الله تعالى فقرأ عليهم هذه الآيات فقال صلى الله عليه
وسلم ادعوا هادئ عيت فكذبت هلالا فقال صلى الله عليه وسلم والله يعلم أن أحدكما كاذب فهل من كاتئب
وأمر بالملاعنة فشهد هلال أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين فقال صلى الله عليه وسلم عند الخامسة
اتق الله يا هلال فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد الخامسة ثم قال رسول الله أشهد من فشهدت أربع شهادات بالله
أنه لمن الكاذبين فلما أخذت في الخامسة قال لها اتقي الله فإن الخامسة هي الموجبة فتفكرت ساعة وهمت
بالاعتراف ثم قالت والله لا أقضع قومي وشهدت الخامسة أن غضب الله عليها أن كان من الصادقين ففرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ثم قال انظروها فإن جاءت به أنبيج أصهب أحسن الساقين فهو لهلال
وإن جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خديج الساقين فهو لشريك بن سمجاء فجاءت به كذلك (ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لكان ما كان أي لو لم يشرع الله لهم اللعان لوجب على
الزوج حد القذف مع أن الظاهر أنه لا يفترى عليها لا اشتراكهما في الفضاحة ولأنه أعرف بحال زوجته
وأنما أوجب الله لهم أربعة شهداء للاستعانة على من اقترف الكبائر وبعد ما شرع لهم ذلك لوجع عمل أيمانهم
موجبة لحد الزنا عليها لئلا ينظر له ولو جعل أيمانها موجبة لحد القذف عاياه لقات النظر له فجعل أيمان

كل منهم إدارة للغائلة الدنيوية مع كذب أحدهما حتموا في ذلك آثار التفضل والرحمة أما على الصادق
 فظاهر وأما على الكاذب فهو أماله في الدنيا بذر الحذنه لعله يتوب في الدنيا فيغفر له وكما ستر الله عليهم في
 الدنيا ولم يفضحهم باظهار صدقهم وكذبهم وأجلهم بالعقوبة إلى الآخرة لدرك التوبة في الدنيا كذلك جعل
 سنة اللعان باقية بين المسلمين ليكون الحكمة باقية بينهم سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته
 (ان الذين جاؤا بالافك) أي بأبلغ الكذب (عصبة منكم) أي جماعة من المؤمنين وهم زيد بن رفاعه
 وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وهب بن المطلب وخمسة بنت جهش وهي زوجة طلحة بن عبيد الله
 وعصبة خبران وهي من العشرة إلى الأربعين (لا تحسبوه) الافك (شر لكم) والخطاب للنبي صلى الله
 عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصغوان (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم
 على الله تعالى ثمانى عشر آية في براءتكم وتعظيم شأنكم فان قصة الافك كانت في حق النبي صلى الله
 عليه وسلم وفي حق عائشة وأبيها وفي حق جميع الصحابة امتحاناً لهم وتم ذبيبا فان البلاء لا وليا كاللهب
 للذهب كما قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالمثل وقال صلى الله عليه وسلم
 يتلى الرجل على قدر دينه أي وذلك لان الله غيور على قلوب خواص عباده المحبوبين فاذا حملت
 مساكنة بعضهم إلى بعض أجرى الله تعالى ما يرد كل واحد منهم عن صاحبه ويرده إلى حضرة وان النبي
 صلى الله عليه وسلم لما قيل له أي الناس أحب إليك قال عائشة فساكنها وقال يا عائشة حبك في قلبي
 كالعقدة وفي بعض الاخبار ان عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله اني أحب وأحب قربك اه
 فأجرى الله تعالى حديث أهل الافك حتى رد الله رسوله عن عائشة إلى الله تعالى بالفحلال عقدها عن
 قلبه ورد عائشة عنه صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى حتى قالت لما ظهرت براءه فساكنها بحمد الله
 لا بحمدك وقصة الافك ان عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين
 نسائه فأيتن خرج اسمها خرج بهامعه فأقرع بيننا في غزوة قبل غزوة بني المصطلق فخرج فيها اسمي
 فخرجت معه صلى الله عليه وسلم وذلك بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فميرنا حتى اذار جعنا
 وقربنا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمتم ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني
 أقبلت إلى رحلي فلمست صدرى فاذا عقدى من جذع اظفار قد انقطع فرجعت والتستت وحبسني طلبه
 وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فظنوا اني في الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت
 عقدى فلما رجعت لم أجده في المكان أحد فافتت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما
 رأي عرفتني فاستيقظت باسترجاعه فحمرت وجهي بجلباني والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة
 غير استرجاعه فنزل حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقامت إليها فركبتهم ثم قاد البعير حتى أتينا الجيش
 فتفقدني الناس حين نزلوا وما جوا في ذكرى فبينما الناس كذلك اذا هجمت عليهم نخاض الناس في
 حديثي والذي بدأ بالافك وأذاعه بين الناس عبد الله بن أبي فهد منا المدينة فلحقني وجع ولم أر من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أعرفه منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تبيكم
 ثم ينصرف فلا أشعر بما جرى من الافك حتى نهت فخرجت في بعض الليالي مع أم مسطح جهة المناصع
 وكان متبرزا ثم أقبلت أنا وهي قبل بيتي فعثرت أم مسطح في مرتها فقالت تعس مسطح فقلت لها بش
 ما قلت أتسبين رجلا شهيد بدار فقالت أو ما بلغ الخبير فقلت وما هو فقالت أشهد أنك من المؤمنات الغافلات
 ثم أخبرني بقول أهل الافك فازدت مرضا على مرضي ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

كيف تبيكم فقلت له ائذن لي ان آتي أبوي فأذن لي فأتيب أبوي فقلت لا هي يا أمه ماذا يتجسد الناس
 فقالت يا بنية هوني عليك فوالله ما كانت امرأة وضيفة عند رجل يحبها ولها ضراثر الا أكثرن عليها ثم
 قالت ألم تكوني علمت ما قيل فيك حتى الآن فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت فدخل علي أبي وأنا أبكي
 فقال لا هي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل فيها حتى الآن فاقبل بيكي ثم قال اسكتي يا بنية فكنكت
 يومئذ ذلك لا يرقأ لي دمع وأبواي يظنن ان البكاء فالحق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي اذ
 دخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل في ما قيل ثم قال أما بعد
 يا عائشة بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوب
 اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته
 فاض دمي ثم قلت لا بي أجب عن رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول فقلت لا هي أجبي عن رسول الله
 فقالت والله ما أدري ما أقول فقلت والله لقد علمت أنكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استغفري نفوسكم
 وصدقتم به فان قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني وان اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني بريئة منه
 لا تصدقوني والله لا أجدي ولكم مثالا ما قال العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله
 المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله أنا أعلم ان الله يبرئني وكنت أرجو
 أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما قام رسول الله من مجلسه ولا خرج من أهل
 البيت أحد حتى أنزل الله الوحي على نبيه فوالله ما مرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
 ظننت ان نفس أبوي ستخرجان فرقامن أن يأتي الله بتحقيق ما قال الناس فلما سرى عنه وهو
 يضحك فكان أول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عائشة قد برأك الله فقلت بحمد الله لا بحمدك ولا
 بحمد أصحابك فقالت أمي قومي ليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحد أحد الا الله الذي أنزل براهتي
 قالت ولما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل
 ضرب الحد على عبد الله بن أبي ومسطع وحننة وحسان (لكل امرئ منهم) أي على كل امرئ من
 أولئك العصبة (ما اكتسب من الاثم) أي جزاؤه فقد راعى العقاب يكون مثل قدر الخوض في الاثم
 وصار حسان أمي أشل اليدين في آخر عمره ومسطع بن أثانة وابن خالة أبي بكر الصديق مكفوف البصر
 وجلدت معها امرأة من قريش (والذي تولى كبره منهم) أي الذي تحمل أكثر الافك من أولئك
 العصبة فابتدأ به ورغب في اشاعته وهو عبد الله بن أبي (له عذاب عظيم) في الآخرة بالنار وفي الدنيا
 بالحد وبالطرد وبأنه مشهود عليه بالنفاق (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا
 هذا افك مبین) أي هلا ظننتم بأمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم خيرا حين سمعتم الافك ولم لم
 يقولوا حينئذ هذا افك ظاهر فكيف بالصدقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمته رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كما روى ان أبا أيوب الانصاري قال لام أيوب الاترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أ كنت
 تظن بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (لولا جازا عليه بأربعة شهداء) أي هلا أتوا على
 ما قالوا بأربعة شهداء عاينوا الزنا (فأذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) أي الذين لم
 يقيموا بينة على ما قالوا فأولئك الخائضون في حكمه تعالى هم الكاذبون في الكذب (ولولا فضل الله
 عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيها أفضتم فيه عذاب عظيم) أي ولولا فضل الله عليكم أيها

السامعون والمستمعون ورحمته في الدنيا بالامهال للتوبة وفي الآخرة بالمغفرة بعد التوبة لاصابكم عاجلا
 بسبب حديث الافك الذي خضتم فيه عذاب عظيم (اذ تلقونه بالسنتكم) أي وقت أخذكم حديث
 الافك من المخترعين حتى اشتهر بسبب افاضتكم (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي
 تقولون بأفواهكم كلاما ليس تفسيره عن علم في قلوبكم (وتحسبونه) أي حديث الافك (هينا) أي
 ذنبا صغيرا أولا ثم فيه حيث سكتكم عن انكاره (وهو عند الله) أي والحال ان حديث الافك عنده
 تعالى (عظيم) في الوزر واستمرار العذاب (ولو اذ معتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا) أي
 وهلا قلتم تكذيبا للمخترعين والمشييعين حين سمعتم حديث الافك ما يليق لنا ان نتكلم بهذا القول وان
 يصدر عن ذلك بوجه من الوجوه (سبحانك) أي أتجهب عن تقوه بهذا الكلام فانه امر عظيم وأمر الله
 تعالى عن أن تكون زوجة نبيه فاجرة (هذاهتان عظيم) أي كذب عظيم عند الله لعظمة المتقول
 عليه ولا استحالة صدق هذا القول (يعظكم الله) بهذه المواعظ التي تعرفون بها عظم هذا الذنب كراهة
 (أن تعودوا والمثله أبدا) أي مدة حياتكم (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان وازع عنه (ويبين الله
 لكم الآيات) أي لاجلكم الآيات الدالة على محاسن الآداب دالة واضحة لتأدبوا بها (والله عليم)
 بجميع أحوال عباده (حكيم) في جميع تدابير وأفعاله (ان الذين يحبون أن تشرع الفاحشة في الذين
 آمنوا) أي ان الذين يريدون انتشارا لحصلة المفردة في القبح فيما بين الناس فالجأ متعلق بتشييع أو متعلق
 بمصير هو حال من الفاحشة أي ان العصابة الذين يقصدون شيوع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين هائشة
 وصفوان (لهم عذاب أليم في الدنيا) من الحد واللعن والعداوة من الله والمؤمنين ولقد ضرب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي فظهر كفره بعد ان كتبه وضرب رسول الله حسانا ومسطحا حد القذف
 وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيوف فكف بصره (والآخرة) من عذاب القبر وعذاب النار
 وما يعلمه الله تعالى فالحدود جوارب للذنوب المحدود به كالقذف وأما ذنب الاقدام فلا يكفره الا التوبة وعذاب
 الآخرة لعبد الله بن أبي خاصة (والله يعلم) جميع الامور ومن حملتها محبة ظهور الفاحشة (وأنتم
 تعلمون) ما يعلمه الله تعالى لان محبة القلب كامنة فانه تعالى لا يخفي عليه شيء وان بالغ العبد في اخفاء
 تلك المحبة فهو يعلم ذلك منه ويعلم قدر الجزاء منه أما نحن فلان علم محبة القلب بالاشارات (ولولا فضل الله
 عليكم ورحمته) بكم (وأن الله رؤوف رحيم) لهلكتم (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان)
 أي لا تتبعوا آثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه في الاصغاء الى الافك واشاعة الفاحشة في المؤمنين
 (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) أي ومن يتبع طرق تزدين الشيطان فقد
 فعل القبيح وما لا يعرف في شريعته ولا في سنة لان عادته يأمر بهما (ولولا فضل الله عليكم ورحمته)
 بالتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وبشرع الحدود المكفرة لها (مازكى منكم من أحد ابدا) أي
 ما طهر أحد منكم من دنس الذنوب الى آخر الدهر فان العصابة قد تابوا وطهروا غير عبد الله بن أبي فانه
 استمر على الشقاوة حتى مات وقرأ يعقوب وابن محيص مازكى بتشديد الكاف أي ما طهر الله تعالى أحدا
 من أولئك العصابة من تلك الذنوب أبدا (ولكن الله يزكى من يشاء) أي يطهره من الذنوب بحمله على
 التوبة وبقبولها (والله مهيم) لما أظهره من التوبة ولا قوالكم في القذف وفي اثبات البراءة لعائشة
 (عليه السلام) باخلاصكم في التوبة ومجبة اشاعة الفاحشة وبكراهيتها (ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة
 أن يؤثروا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أي ولا يقصر أولوا الفضل في الدين والسعة

في المال في أن يحسنوا إليهم كذا قاله أبو مسلم كابر وي عن أبي عبيدة والمعنى عند أكثر المفسرين ولا يحلف أولوا الفضل منكم في الدين وبالبذل والغنى بالمال على أن لا ينفقوا عليهم وعلى أن لا يعطوهم وقرأ الحسن ولا يبال (وليصفوا) أي وليتجاوزوا عن الخائضين في الأفك بالظاهر (وليصفوا) أي ليعرضوا عن لومهم بالقلب بأن يتناسوا جرمهم وقرئ الأفعال الثلاثة بقاء الخطاب (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) قال المفسرون نزلت هذه الآية في أبي بكر حيث حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين وقد كان يتيسر ما في حجره وكان ينفق عليه وأن لا ينفق على ذوي قرابته لما خاضوا في أمر عائشة فلما نزلت الآيات التي أبرأت عائشة من الأفك قال لهم أبو بكر قوما موافلستم مني ولست منكم ولا يدخلن أحد منكم هلي فقال مسطح ننشدك الله والاسلام والقرابة أن لا تحوجنا الى أحد فإنا كان لنا في أول الامر من ذنب وانما كنت أغشى مجلس حسان واسمع ولا أقول فقال مسطح ان لم تتكلم فقد خفكت وشاركت فيما قيل فقال قد كان ذلك تعجبا من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذرا ولا فرجا فخرجوا لا يدرون أين يذهبون واین يتوجهون من الارض وبعض الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تسكلم بشئ من الأفك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال بلى يارب اني أحب أن تغفر لي فذهب أبو بكر الى بيته وأرسل الى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله تعالى على الرأس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت أذ مضط الله عليكم اما اذ هفأ عنكم فرجبا بكم فرجع الى مسطح نفته وحلف أن لا ينزعها منه أبدا وألطف بقرابته وأحسن اليهم وهذا من أعظم أنواع المجاهدات فإن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة الكفار (ان الذين يرمون المحصنات) أي العفاف من الفاحشة (الغافلات) أي النقيات القلوب (المؤمنات) أي المتصفات بالايان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيمانا حقيقيا تفصيليا وهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعنوا في الدنيا والاخرة) أي عذبوا في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهو عذاب الكفر فإن كان القذف مؤمنا فذلك الابعاد عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبة العدالة وضرب الحد (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) فإن الله تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارية منها بما صدر عنها من أفعال صاحبها (يومئذ) أي يوم اذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة (يوفيهم الله دينهم الحق) أي يعطيهم الله جزاء عملهم المقطوع بحصوله لهم (ويعلمون) عند معاينتهم الاحوال (أن الله هو الحق المبين) أي الثابت في ذاته وصفاته وكمالاته المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها المظهر للاشياء كما هي في أنفسها (الخبيثات للخبيثين) أي النساء الخبيثات مختصات بالرجال الخبيثين (والخبيثون للخبيثات) أي والخبيثون لا ثقة بالنساء الخبيثات ويقال المقالات الخبيثة من القذف مختصة بالخبيثين من أهل الأفك من الرجال والنساء ويقال المقالات الخبيثة من اللعن والذم ونحو ذلك مختصة بهم (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أي والنساء الطيبات للرجال الطيبين وبالعكس أو المعنى والكلمات الطيبات من قول منكرى الأفك للطيبين من الرجال والنساء ويقال والطيبون من الفريقين لا ثقة بالكلمات الحسنة وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيّب الطيبين وأفضل الاولين والآخرين تبين كون زوجاته أطيّب الطيبات بالضرورة (وأولئك) أي أهل البيت (مبرون عايق ولون) أي عا

يقول الحبشون من خبيثات الكلمات فأنه تعالى برأ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من الأكاذيب الباطلة لكي لا يقدح فيهن أحد كما أقدموا على عائشة وزه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمثال هذا الأمر فلا أحد أظهر منه فآزواجه إذا لا يجوز أن يكن الاطيمات (لهم مغفرة) أي براءة من الله (ورزق كريم) في الآخرة وهذه الجملة خبر ثان لا ولئلك ويجوز أن يكون لهم خبر أولئك ومغفرة فأعله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت غير بيوتكم) أي التي تسكنونها (حتى تستأنسوا) أي تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا وحتى يؤذن لكم (وتسلموا على أهلها) عند الاستئذان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان التسليم ان يقول السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل والارجع (ذلك خير لكم) أي التسليم مع الاستئذان خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر (لعلكم تذكرون) أي أمرتم بهذا التأديب بذلك لكي تتذكروا به وتعملوا به وقرأ حمزة والسكاساني وحفص بتخفيف الذال والباءون بالتشديد وسبب نزول هذه الآية أن امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني أكون في بيتي على حال لا أحب ان يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الاب فيدخل على وانه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فنزلت هذه الآية فقال أبو بكر يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن أفلا تدخلها الا باذن فأذن الله ليس عليكم جناح الآية (فان لم تجدوا فيها) أي البيوت (أحدا) ممن يملك الاذن (فلا تدخلوها) واصبروا (حتى يؤذن لكم) من جهة من يملك الاذن عند اتيانها واستئذني ما اذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ومخوء (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أي ان أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع فارجعوا سواء كان الامر عن يملك الاذن أو لا ولا تلجوا بتكرير الاستئذان ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن (ذلكم) أي الرجوع (أزكى لكم) أي أصح لكم من الوقوف على أبواب الناس لانه قد يكرهه صاحب الدار (والله بما تعملون) من الدخول باذن وبغيره (عليم) فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح) أي اثم (أن تدخلوا) بغير استئذان (بيوت غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس (فيها منافع لكم) أي حق انتفاع لكم كالاستئذان من الحر والبرد واياه الامتعة والشراء والبيع والاعتسال وغير ذلك (والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) من قصد صلاح أو فساد أو اطلاع على عورات في دخول هذه المواضع (قل للمؤمنين) ومقول القول أمر قد حذف دلالة جوابه عليه أي قل لهم غصوا (يغصوا من أبصارهم) أي يكفوا أبصارهم عن الحرام ومن زائدة أو للتبعيض لأن الغالب ان الاحترار عن النظرة الاولى لا يمكن فوقع غفوق قصد أو لم يقصد ولا يجوز ان يكرر النظر الى الاجنبية لقوله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة (ويحفظوا فروجهم) عن الحرام (ذلك) أي نقص البصر من عمله وحفظ الفرج (أزكى لهم) أي أبعد لهم عن دنس الريبة وأصلح من كل شيء نافع (ان الله خبير بما يصنعون) من اجالة النظر وتحويل الجوارح للخطوط واللقوق وقدم الامر بمنع البصر على الامر بحفظ الفرج لان النظر يريد الزنا وزائد الفجور والبلوى فيه أكثر (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل لمن النظر اليه (ويحفظن فروجهن) بالنصون عن الزنا (ولا يبدين زينتهن) وهي ثلاثة أمور أحدها الثياب وثانيها الحللى كالحاتم والسوار والخطمال والدمالج والقدلادة والا كليل والوشاح والقرط وثالثها الاصباغ كاللحم والحضاب بالوسمة في حاجبيها والغمزة في خديها والحناء في كفيها وقدميها

(الاماظهر منها) عند مراولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والحضاب في البدن والغمزة والشياب والسبب في تجويز النظر اليها ان في سترها حرجا يبين لان المرأة لا بد لها من مناولة الاشياء بيديها والحاجة الى كشف وجهها في الشهادة والمحكمة والنسكاح وفي ذلك مبالغته في النهي عن ابداء مواضعها كما لا يخفى (وليضر بن بخمرهن على جيوبهن) أي وليرخين قناعهن على صدورهن وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدن خمرهن من خلفهن فتظهر فحورهن وقلاندن من جيوبهن فأمرن بارسال مقانعهن على الجيوب ليتغطي بذلك أعناقهن وفحورهن (ولا يبدن زينتهن) الحفية المنهية عن ابدائها للاجانب (الا بعولتهن) فانهن المقصودون بالرينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود ولكنه يكره نظره (أو آبائهن) وان علون من جهة الذكران والاناث (أو آباهن بعولتهن أو آبائهن) في النسب أو اللابن (أو آبائهن) من غيرهن وان سفلوا (أو اخوانهن) في النسب أو اللابن (أو بني اخوانهن) كذلك (أو بني اخواتهن) كذلك اكثر المخالطة الضرورية بينهم وبينهن فلهن ان ينظروا منهن ما يبدو عند الخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوان لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا من ان يصفوهن لابنائهن (أو نساكنهن) المختصة بهن من جهة الاشتراك في الدين وهي حرائر المؤمنات (أو ماملكت أيمانهن) من الاماء دون العبيد فانهم بمنزلة الاجانب من ساداتهم وقيل من الاماء والعبيد فيجوز لهن ان يكشفن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة وينظروا له وكذا العكس وذلك بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين (أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال) أي الذين يتبعون الناس لينالوا من فضل طعامهم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من أمورهن أو شيوخ صغارهم قد ذهبت شهوتهم اذا كانوا معهم غصوا أبصارهم أو المـوحون وهم ذاهبوا الذكروا الانثيين وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر غير بالنصب على الاستئناء والحال (أو الطفل الذين لم يظهر وأعلى عورات النساء) أي الطفل الذين لم يتصوروا عورات لنساء ولم يدر واما هي لعدم تمييزهم كما قاله ابن قتيبة أو الذين لم يبلغوا ان يطبقوا آتيان النساء كما قاله الفراء والزجاج فيجوز ان يبدن للتابعين والاطفال ما عدا ما بين السرة والركبة (ولا يضر بن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي لا يضر بن الأرض بأرجلهن ليعلم ما تخفين من زينتهن فيعلمهن ذوات خلخال ومن فعل ذلك منهن فربما يجلبهن فهو مكرره ومن فعل ذلك منهن تبرج الرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب بنعله الأرض من الرجال ان فعل ذلك عجباً حرم فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرجاً لم يحرم (وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلمكم تفهون) أي توبوا من نوع تغريط في اقامة مواجب التكليف كما ينبغي وقال ابن عباس رضي الله عنهما توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلمكم تسعدون في الدنيا والآخرة أي فانه وان جب بالاسلام لكن بحب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله كما قال بعض العلماء من أذن ذنباً ثم تاب عنه لم يزد له ذنباً لأنه لا يجره ان يجدد التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه الى ان يلقي ربه وقرأ ابن عامر أيه هنا وفي الزخرف وفي الرحمن بضم الهاء وصلوا وجهه ان الهاء كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين استقلت الفتحة على حرف خفي فضمت الهاء اتباعاً للرسم واتباعاً للحركة ما قبلها وقد رسمت هذه الثلاثة دون ألف فوق أبو عمرو والكسائي بالفاء والباقون بدونها اتباعاً للرسم فالرسم سنة متبعة (وأنسكحوا الايامي منكم) أي زوجوا أيها الاولياء والسادات من لا زوج له من الاحرار والحرار (والصالحين) لاسر النسكاح (من عبادكم وامائكم) ليحصن دينهم وهم الذين تنزلونهم منزلة الاولاد في المودة وفي بذل المال والمنافع وعدم اعتبار الصلاح في

الاحرار والحرث لان الغالب فيهم الصلاح لمساعدة الاولياء لهم ولا نهم مستقلون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم (ان يكونوا) أي الاحرار (فقراء يغنيهم الله من فضله) أي لا تنظروا الى فقر أحد الجانبين الخاطب والمخطوبة ففي فضل الله ما يغني عن المال فانه قادر ان يفتح رزق من يشاء من حيث لا يحتسب (والله واسم) أي ذو سعة خلقه (عليم) بمقادير ما يصلحهم من الرزق ببسطه لمن يشاء ويضيق (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي وليجتهد في قمع الشهوة من لا يتمكنون من الوصول الى النكاح (حتى يغنيهم الله من فضله) أي فمن لا يتمكن من المال فليطلب العفة عن الحرام ولينتظر ان يوصله الله الى بغيته من النكاح (والذين يبتغون الكتاب عما ملكت ايمانكم) أي والذين يطلبون المكاتبنة من هيبدكم وامائكم ليصيروا احرارا (فكاتبوهم) أي فصيروهم احرارا بعقد الكتابة والاسم الموصول منصوب بفعل مقدر يفسره المذكور (ان علمتم فيهم خيرا) أي وفاء بأداء مال الكتابة وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق وهذا ندرت الكتابة وليس لشرط الصحة (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أي حطوا أيها السادة عن المكاتبين جزأ من مال الكتابة أو ادفعوا اليهم جزأ مما أخذ منهم وذلك للندب عند مالك وأبي حنيفة قالوا وجوب عند الشافعي وقيل هو أمر باعطاء سهمهم من الزكوات فالامر للوجوب حتما وقيل هو أمر ندرت لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم وروى ان غلاما لحويط بن عبد العزى يقال له صبيح سأل أن يكاتبه فأبى عليه فنزلت هذه الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا (ولا تكرر هو افتياتكم على البغاء) أي ولا تجبروا اماءكم على الزنا (ان أردن تحصنا) أي تعفوا عن الزنا فالتعبيد بهذا الشرط لاجل تحقق الاكراه المنهي عنه لانه لا يتحقق الا عند ارادة التحصن اما عند ميلهن للزنا فهو باختيار هن فلا يتصور الاكراه حينئذ وفائدة الشرط المبالغ في النهي عن الاكراه أي انهن اذا أردن العفة فالسيد أحق بارادتها وفي ذلك اشارة على ان للسادة كراههن على النكاح فليس للامة ان تمتنع على السيد اذا زوجها (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتطلبوا بالاكراه الاموال بكسبهن وأولادهن (ومن يكرههن) على الزنا (فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم) لهن لانهن آثمت لان الزنا لا يباح باكراهه وروى انه كان لعبد الله بن أبي ريثس المناققين ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعجرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل ان عبد الله بن أبي أسير رجلا فراهود الاسير جارية عبد الله وكانت الجارية مسلمة فامتنت لاسلامها واكراهها ابن أبي على ذلك رجاء ان تحمل من الاسير فيطلب فداءه ولده فنزلت هذه الآية (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) قرأ ابن حاتم وحفص عن عاصم وحزمة والكسائي بكسر الباء أي مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك والباقيون يفتحونها أي موضحات في هذه السورة من معاني الاحكام والحدود (ومثال من الذين خلوا من قبلكم) أي وأنزلنا مثلا كأننا من نوع أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص المحيية والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمة الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فتنظم قصة عائشة لقصة يوسف وقصة مريم وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما وافهما ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأيوسف بلسان الشاهد وبرأيومى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بشوبه وبرأيومى بانطاق ولدها وبرأ عائشة بتلك الآيات العظام (وموعظة) تنزجرون عما ينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يحل بمعاسن الآداب (للمتقين) وهذا حديث

للمخاطبين على الاغتنام بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتصمون لا آثار الموعظة المقتبسون من
 أنوارها ثم ذكر الله تعالى مثلين أحدهما في بيان ان دلائل الايمان في غاية الظهور والثاني في بيان ان
 أديان الكفرة في غاية الظلمة أما المثل الاول فقوله تعالى (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس
 أي الله هادي أهل السموات والارض فهم بنورهم تزدون ويهداهم من حيرة الضلالة ينجون فمعنى النور
 هو الهداية أي ذو نور أي دونه داية (مثل نوره) أي صفة النور الفاضل من الله تعالى على الاشياء
 المستنيرة به وهو القرآن (كنسكة) أي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الاضاءة والتنوير (فيها
 مصباح) أي سراج ضخم ناقب (المصباح في زجاجة) أي قنديل من الزجاج الصافي الازهر (الزجاجة
 كأنها كوكب دري) أي متألؤ وقادسيه بالدر في صفائه ورهزه (توقد من شجرة مباركة زيتونة
 لا شرقية ولا غربية) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو بتشديد القاف على صيغة الماضي وقرأ
 أبو بكر وحزمة والكسائي بضم الفاء الفوقية وسكون الواو على المضارع المبني للفعل وعن نافع وحفص
 كذلك عن عاصم بياء مضمومة وفتح الواو وتشديد القاف وزيتونة بدل من شجرة ولا شرقية صفة لها أي
 يبتدىء ايقاد المصباح وفتيلة الزجاجة من زيت شجرة كثيرة المنافع تبرز على جبل عال أو صحراء واسعة
 فتطلع الشمس عليها حالي الطلوع والغروب أي تقع الشمس عليها طول النهار لا شرقية وحدها ولا
 غربية وحدها ولكنها شرقية وغربية وكان زيتها في نهاية الصفاة وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير
 وقتادة واختيار الفراء والزجاج وقال ابن عباس في الزيتون منافع يسر جزيته وهو ادم ودهان ودباغ
 ووقود يوقد محطبه ونقله وليس فيه شيء الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريس وهو أول شجرة نبتت
 في الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت في منازل الانبياء والارض المقدسة ودعاه سبعون نبيا
 بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال مرتين اللهم بارك في الزيت والزيتون (يكاد
 زيتها يضيء ولو لم تمسه نار) وهذه الجملة صفة لشجرة أي يقرب زيت تلك الشجرة يضيء بنفسه من غير
 مساس نار اصل الاضاءة قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء
 قبل ان تمسه النار فان الزيت اذا كان خالصا روى من بعيد كأنه شعاعا فاذا مسته النار ازداد ضوءا على
 ضوئه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم فاذا احاط العلم ازداد نور الهدى
 على هدى كقلب ابراهيم عليه السلام من قبل ان تجيئه المعرفة أي قبل ان يخبره أحد بأن له ربا فانه
 قال هذاربي فلما أخبره الله بانه ربه وقال له أسلم زاد هدى وقال أسلمت رب العالمين (نور على نور) أي
 نور حاصل بالزيت كائن مع نور بالنار في قنديل فالزيت نور والقنديل نور والمصباح نور فالمشكاة
 التي هي الطاقة غير النافذة أجمع للنور فيكون فيها أقوى حالو كانت نافذة فان المصباح اذا كان في
 مكان متضايق كان أضواؤه أجمع لنوره بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينتشر فيه فالقنديل أعون على
 زيادة الانارة وكذلك ضوء الزيت والمعنى ذلك القرآن نور عظيم كائن على نور عظيم متضاعف من غير
 تحديد كتضاعف نور المشكاة بما ذكر (يهدى الله لنوره من يشاء) أي يهدي الله لنوره المتضاعف
 وهو القرآن من يشاء هدايته من عباده هداية موصلة الى المطلوب بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته
 من الاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان فانه تعالى بين الدلائل حتى بلغت في الوضوح الى
 الحد الذي لا يمكن الزيادة عليه فوضوح الدلائل لا ينفع ما لم يخلق الله الايمان والعلم (ويضرب الله
 الامثال للناس) كافة تقريبا للعقول من المحسوس (والله بكل شيء عليم) معقولا كان ومحسوسا ظاهرا

كان أَوْخْفِيَا (في بيوت) صفة لشكاة أى كشكاة فيها مصباح في بيت من بيوت الله أو صفة لزجاجة والمعنى ذلك القنديل معلق في مساجد (أذن الله أن ترفع) أى أمر الله أن تبنى رفيعاً وتطهر عن الانجاس والاقذار وقد كره بعض العلماء تعليم الصبيان في المساجد ورأى أنه من باب البيع وهذا إذا كان بأجرة فلو كان بغير أجرة منع أيضاً من وجه آخر وهو أن الصبيان لا يتحرزون عن الاقذار والافساد فيؤذى ذلك إلى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطيبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وجمروها في الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر (ويذكر فيها الله) بجمع اذ كره تعالى وقال ابن عباس يتلى في المساجد كتابه تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم بالبناء للمفعول ونائب الفاعل لفظ له ورجال فاعل الفعل مقدر أو خبر مبتدأ محذوف أى يسبح له رجال أو المسبحر رجال والوقوف على الآصال حسن والباقون بالبناء للفاعل ورجال فاعل ولا يوقف على الآصال لعدم تمام الكلام والصلاة التي تؤدى في الغداة صلاة الصبح وفي العشي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقرئ والايصال أى الدخول في الاصيل (لاتلهمهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله واقام الصلاة) أى لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة ولا فرد من افراد البياعات عن حضور المساجد لطاعة الله وعن أداء الصلاة في وقتها جماعة روى سالم عن ابن عمر رضى الله عنهم أنه كان في السوق فاقمت الصلاة فقام الناس وأغلقت أحواليتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر زلت هذه الآية في شأنهم وروى عن أبي امامة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الفحى لا يقصد الا ذلك كان أجره كأجر المعتمر وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يغدو ويروح إلى المسجد يؤثره على ماسواه الا رله عند الله نزل يعدله في الجنة وفي رواية سهل بن سعد مر فوعا من غدا إلى المسجد وراح ليعلم خيراً وليتعلّم كان كمثل المجاهد في سبيل الله يرجع خانماً (وايتاء الزكاة) أى وعن اعطاء المال الذي فرض آخر اجسه للمستحقين قال ابن عباس اذا حضر وقت اداء الزكاة لم يجسوها (يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والابصار) أى يخافون يوماً تنقلب في ذلك اليوم القلوب بين طمع في النجاة وخوف من الهلاك وتنقلب الابصار من أى ناحية يؤمرهم أمن ناحية اليمن أمن من ناحية الشمال ومن أى ناحية يعطون كتابهم أمن قبل اليمن أمن من قبل الشمال أى فانهم وان بالغوا في ذكر الله تعالى والطاعات خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته فيخافون صفة ثانية لرجال أحوال من مفعول لاتلهمهم ويوما مفعول به وتنقلب صفة له (ليجزئهم الله أحسن ما عملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم بحسب وعده لهم من أن حسنة واحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وقوله ليجزئهم الله متعلق بمحذوف أى يفعلون هذه القربات ليجزئهم الله فاللام لام العاقبة والصبر ورة (ويريدهم من فضله) مالم يستحقوه بأعمالهم ومالم يخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أى فأن الله يعطيهم غير جزاء أعمالهم مما لا يفي به الحساب ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أن مناط الرزق محض مشيئته تعالى ولا علام بأنهم عن شاء الله تعالى أن يرزقهم كما انهم عن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره فان جميع ما ذكر من أعمالهم الحسنة مقتبس من القرآن الذي هو المراد بالنور وبذلك يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه (والذين كفروا أعمالهم) أى من أنواع البر كصدقة وعتق ووقف ونحو ذلك من كل ما لا يتوقف على نيته (كسراب بقيعة) أى في أرض منبسطة والسراب ما يترأى في الغلوات شبيهاً بالماء الجاري وليس بماء ولكن الذي ينظر اليه من

جميع الموجودات في تصرفه تعالى ايجادا واعداما لانه خالق لها (والى الله المصير) أى رجوع الكل بالغناء والبعث (ألم تر أن الله يريجي) أى يسوق (سحابا) متفرقا (ثم يؤولف بينه) أى يجمع بين قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا (ثم يجعله رماكا) أى شجعة بعضها فوق بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من فتوق السحاب (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) فمن الاولى ابتدائية وكذا الثانية بدل اشتمال من من الاولى ومن الثالثة تبعيضية أى وينزل مبتدئا من السماء من جبال كائن في السماء بعض برد في السماء جبال من برد كما ان في الارض جبالا من بحارة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون والباءون بفتحها وتشديد الزاى (فيصيب به) أى بالبرد (من يشاء) ان يصيبه فيضر ما يقع عليه من حيوان ونبات (ويصرفه عن يشاء) صرفه عنه فلا يسقط عليه (يكاد سنابرقه) أى يقرب ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أى يسلب الابصار الناظرة له لشدة الاضاء وسرعة ورودها (يقرب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما وبتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما (ان في ذلك) أى فيما تقدم ذكره (لعبرة) أى لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وعلمه (لاولى الابصار) أى لكل من له بصير يرجع الى بصيرة وهذا يدل ان الواجب على المرء ان يتفكر في هذه الامور ويدل على فساد التقليد (والله خلق كل دابة من ماء) أى كل حيوان يدب على الارض من ماء فمن صلة كل دابة لاصلة خلق فكل دابة متولدة من الماء فهى مخلوقة لله تعالى وقيل أصل جميع المخلوقات من الماء على ما روى ان أول ما خلق الله تعالى جوهره فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق منه النار والهواء والتراب والنور والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة سكان أصل الخلقة الماء وقرأ أحزمة والكسافى خالق بصيغة اسم الفاعل وبالإضافة (فمنهم) أى الدواب (من يعيش على بطنه) كالحية والحيتان والديدان (ومنهم من يعيش على رجلين) كالانس والطيور (ومنهم من يعيش على أربع) كالنمل والوحش (يخلق الله ما يشاء) كما يشاء (ان الله على كل شئ قدير) فلا ينعى مانع (لقد أنزلنا آيات مبينات) لكل ما يليق ببيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية (والله يهدي من يشاء) هدايته بتوفيقه للنظر الصحيح فيها (الى صراط مستقيم) موصل الى الفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبآزسول وأطعنا) هم فى الامر والنهى (ثم يتولى) أى يعرض عن طاعتهم (فريق منهم من بعد ذلك) أى من بعد ما قالوا هذه الكلمة (وما أولئك) أى الذين يدعون الايمان والطاعة (بالمؤمنين) حقيقة وقال الحسن نزلت هذه الآية فى المنافقين الذين كانوا يظهرن الايمان ويسرون الكفر (واذا دعوا) أى الذين ادعوا الايمان والطاعة (الى الله) أى الى كتاب الله (ورسوله ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب الله (اذا فريق منهم معرضون) عن كتاب الله وحكم الرسول ان كان الحكم عليهم (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه) أى الى الرسول (مذعنين) أى طائعين لجزمهم بأنه صلى الله عليه وسلم يحكم لهم فقوله اليه متعلق بياتوا لانه متعدي الى أو بعد ذعنين لانه بمعنى مسرعين فى الطاعة (أفى قلوبهم مرض) أى أ اعراضهم لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم (أم ارتابوا) أى أم لانهم شكوا فى أمر نبوته صلى الله عليه وسلم بعد تقرير الاسلام فى القلب (أم) لانهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أى يجوز اعليهم فى الحكم فانهم بلغوا فى حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه كما قال تعالى (بل أولئك) أى المعرضون عن حكم الله (هم الظالمون) أى ليس اعراضهم عن الحكم لواحد من هذه الثلاثة بل لانهم هم الظالمون أى يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ومو يتم لهم جهوده فيأبون المحاكاة اليه صلى الله

عليه وسلم لعلمهم بأنه عليه الصلاة والسلام يقضى عليهم بالحق قال الضحالك نزلت هذه الآية في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسمها فوقع إلى علي منها ما لا يصيبه الماء إلا بمسقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها أياما وتقا بضا فقبل للمغيرة أخذت مسجة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبط أرضك فأغما اشتريتها ان رضيتها لم أرضها لانه لا ينالها الماء فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبلتها وعرفت حالها لا أقبلها منك ودعاه إلى ان يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلا آتية ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي فنزلت تلك الآيات (أغما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله (إلى الله) أي إلى كتابه (ورسوله) أي وإلى سنة رسوله (ليحكم) أي الرسول صلى الله عليه وسلم (بينهم) يحكم الله (أن يقولوا معنا) أي أجبننا الدعاء (وأطعنا) لأحكامهم ما قرأ الجمهور قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان يقولوا اسمها وهذا أقوى صناعة لان الأولى جعل الاعرف الاسم وان يقولوا أو غل في التعريف لان الفعل المبتدأ بأن لا سبيل اليه للتفكير بخلاف قول المؤمنين فانه يجوز تنكيره بعزل الاضافة عنه والمعنى أغما كان قول المؤمنين المخلصين عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم وقرأ الحسن قول المؤمنين بالرفع على العكس وهذا أفيد بحسب المعنى لان مصب الفائدة هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر فائدة وأظهر دلالة على الحديث والمعنى أغما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولاً آخر أصلاً وهذا تعليم أدب الشرع بمعنى ان ما يجب ان يسلك المؤمنون هكذا (وأولئك) المؤمنون القائلون بذلك (هم المفهون) أي الفائزون بكل مطلب والناجون من كل غضب (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمر وأبه من الأحكام الشرعية فيما سرهم وساءهم (ويخشى الله) على ماضى من ذنوبه (ويتقه) فيما بقى من عمره (وأولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الفائزون) بالنعيم الدائم في الجنة وهذه الآية على إيجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين ان يفعلوه وقرأ أبو عمر وشعبة وخلا دويته بسكون الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وحفص بسكون القاف وقصر كسرة الهاء والباقون وخلا دويته بسكون الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي أقسم المنافقون به تعالى أقصى مراتب اليمين في الوكادة (لئن أمرتهم بالخروج إلى الغزو (ليخرجن) نزلت هذه الآية لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيها كنت نكنا معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقت أقتنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قل) لهم اظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين في تلك اليمين (لا تقسموا طاعة معروفة) وهذا خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير موافقة للقلب وهي معروفة لكل أحد وقرأ البرزاي بالنصب على معنى تطيعون طاعة معروفة لكل أحد مشهورة في ذلك والمعنى ان الطاعة وان اجتهد العبد في اخفائها لا بد ان تظهر مخايلها على شمائله وكذا المعصية لانه ما أمر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها كإراء الطبراني عن عثمان وعن سعيد لو ان أحدكم يعمل في حفرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنهم كان وعن عثمان بن عفان قال لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت فأدى هناك عملاً أو شئ الناس أن يتحدثوا به وما من عامل عمل عملاً الا كساه الله رداء عمله ان كان خيراً نخير وان كان شراً فشر (ان الله خبير بما تعملون) من ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايان الفاجرة وما تضره في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيم على مخادعة المؤمنين وغيرها وهو مجاز يكتم على ذلك (قل أطيعوا الله) في ما يدعوكم اليه (وأطيعوا الرسول) في مسلكه إلى الله تعالى (فان تولوا فاعما

عليه ما حمل) أى فان تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فاعلموا أن ما على الرسول ما أمر به من تبليغ الرسالة وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (وعليكم ما حملتم) أى ما أمرتم به من الطاعة وعن نافع أنه قرأ ما حمل بفتح الحاء والميم مع التخفيف أى عليه ما حمل من أعباء الرسالة (وان تطيعوه) فيما أمركم به من الطاعة (تمتدوا) أى تصيبوا الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى ما على الرسول الا التبليغ عن الله الموضع لكل ما يحتاج الى الايضاح (وعدا الله الذين آمنوا منكم) يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) أى أقسم الله على من جمعوا بين الايمان والعمل الصالح من أصحاب محمد ليجمعنهم بدلا عن الكفار متصرفين فى أرض العرب واليهزم تصرف الملوك فى عيالكمهم (كما استخلف الذين من قبلهم) أى كما استخلف الله تعالى بنى اسرائيل فى مصر والشام بعد هلاك فرعون والجبارة وكما استخلف هرون ويوشع وداود وسليمان وقرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم بضم التاء وكسر اللام فالموصل مرفوع بخلاف قراءة الجمهور ومن فتح التاء واللام فان الموصل منصوب (ولم يكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) أى وليقبلن الله لهم دينهم الذى اختار لهم وهو الاسلام (وليبذلنهم من بعد خولهم) من الاعداء (أمننا) لانه كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى مكة قبل الهجرة خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا فيها يصحبون فى السلاح ويمسكون فيه حتى قال رجل منهم ما أتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تعبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملاء العظيم تحت بيابليس معه حديدة فأترل الله تعالى هذه الآية وأنجز وعده وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وقرأ ابن كثير وعاصم ويعقوب بسكون الباء الموحدة (يعبدوننى) حال من الوصول الاول للذى هو مفعول وعد أو استثناف بيان لجواب سؤال مقدر كانه قيل ما بالهم يستخلفون وينتسبون فى دين الاسلام ويأمنون فقبل يعبدوننى (لا يشركون بى شيئا) حال من الفاعل أى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيئا من الاوثان (ومن كفر) أى جحد حق هذه النعم بأن لا يعقوا حقها (بعد ذلك) أى بعد الاستخلاف والتمكين والتبديل (فأوأملهم الفاسقون) أى العاصون الخارجون عن حريم الامن وأول من كفر بتلك النعم قتلة عثمان رضى الله عنه (وأقوا الصلاة) عطف على مقدر يطلبه نظام الكلام تقديره فلا تكفروا وأقيموا الصلاة فانها مواصلة بينكم وبين ربكم (وأقوا الزكاة) فانها مواصلة بينكم وبين اخوانكم (وأطيعوا الرسول) فى كل ما يأمركم به وينهاكم عنه (لعلكم ترحمون) أى راجين ان ترحموا (لا تحسبن الذين كفروا هم مهززين فى الارض) والخطاب لكل أحد ممن يصلح له والموصول مفعول أول ومهززين مفعول ثان وفى الارض ظرف له لافادة شهول عدم الاعجاز لجميع أجزاء الارض أى لا تحسبنهم مهززين الله تعالى عن ادراكهم بالاهلاك فى قطر من أقطار الارض وان هربوا كل مهرب وقرأ ابن عامر وحزمة بالياء على الغيبة والفاعل ضمير يعود على ما دل عليه شأن الكلام أى لا يحسبن حاسب الخ فانهم مدركون (رماؤهم النار) فى الآخرة (ولبئس المصير) أى والله لبئس المرجع هى (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أى العبيد الصغار فى الدخول وعن ابن عباس ليس للكبير من المماليك ان ينظر الا الى ما يجوز للحر ان ينظر اليه وقال ابن المسيب لا ينبغي للمرأة ان ينظر عبدها الى قرطها وشعرها وشئ من محاسنها وقال الآخرون بل للبالغ من المماليك أن ينظر الى شعرها لكتفه وما شابهه (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى من الاحرار وهم الصبيان الذين حكوا عورات النساء وميزوا بين الجميلة وغيرها وظاهر الآية أمر المماليك والاطفال الاحرار

بالاستئذان وفي الحقيقة أمر الأولياء بتأديبهم فان المقصود أمر المؤمنين بأن ينعوا هؤلاء من الدخول
 عليهم في هذه الاوقات الثلاث من غير اذن اذ لو كان المقصود أمرهم للزم تكليفهم ولما كان لتخصيص
 النداء والخطاب بالمؤمنين وجه (ثلاث مرات) أي ثلاثة اوقات في اليوم واليلة فيكفيهم ان يستأذنوا
 في كل واحد من هذه الاوقات مرة واحدة فثلاث مرات منصوب على الطرف الزماني أو على المصدرية
 أي ثلاثة استئذانات ثم بين الاوقات فقال (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت للقيام من المضاجع وطرح
 ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة وهذا في محل نصب على انه بدل من ثلاث مرات أو في محل رفع على انه خبر
 مبتدأ محذوف أي أحدهما من قبل الخ (وحيث تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وحيث تخلعون ثيابكم
 التي تلبسونها بين الناس لأجل القيلولة وهي شدة الحر عند انقضاء النهار فن بيان لحيث أو تعليل
 لتضعون أي من أجل حر وقت الاستواء (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن ثياب اليقظة
 والالتحاف بالحناف (ثلاث عورات لكم) بالرفع خبر مبتدأ مقدر ولكم صفة أي هي ثلاثة انكشافات
 كائنة لكم أو مبتدأ وخبر أي ثلاث عورات مخصوصة لكم بالاستئذان وعلى هذا فالوقوف على العشاء
 هو وقف كاف وقرأ أهل الكوفة بالنصب على البدل من ثلاث مرات وكأنه قيل في اوقات ثلاث عورات
 لكم وعلى هذا فالوقوف على لكم وهو وقف تام (ليس عليكم) في تمكينهم من الدخول عليكم (ولا
 عليهم) في ترك الاستئذان في الدخول (جناح) أي أثم (بعدهن) أي بعد كل واحدة من تلك
 العورات الثلاث وانما أباح الله تعالى ذلك في الاوقات المتخللة بين كل اثنين منهن لما في العادة أنه لا تكشف
 العورة فيها (طوافون عليكم) أي لانهم يكثر من التردد عليكم بالدخول والخروج للخدمة فلو كلفتم
 الاستئذان في كل طوفة لضاق الامر عليكم (بعضكم على بعض) أي كما ان بعضكم طائف على بعض
 طوافا كثيرا للحاجة يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدبج بن عمرو
 الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدفق الغلام عليه
 الباب وحركه ورده ودفعه فنشأ ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عمر وددت ان الله
 تعالى ينهي أباءنا وأبناءنا ونساءنا ونساءنا وخدمتنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعات الا باذن ثم انطلق
 معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية الحمد لله تعالى وخر ساجدا
 شكر الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم وما ذاك يا عمر فأخبره بما فعل الغلام فتعجب رسول الله من
 صنعه وقال ان الله يحب الحليم الخفي العفيف المتعفف ويغض البذي الجريء السائل المخفي
 (كذلك) أي مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام (والله عليم) بأحوالكم
 (حكيم) في شرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشا ومعادا (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أي اذا
 بلغ الاطفال الاحرار الاجانب سن تزول المني سواء رأى منيا أم لا (فليستأذنوا) اذا أرادوا الدخول
 عليكم في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي استئذانا كما استئذان الذين ذكروا
 من قبلهم في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية (كذلك
 يبين الله لكم آياته) أي هكذا ينزل الله لكم آياته واضحة الدلالة على الاحكام (والله عليم) بأمور
 خلقه (حكيم) فيما دبر لهم (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا) أي والجماعات الكائنة
 من النساء اللاتي لا يتجهن الى الزوج لكبرهن بحيث اذا رآهن الرجل استقدرن (فليس عليهن جناح
 أن يضعن ثيابهن) أي أن ينزعن بحضرة الرجال عنهن ثيابهن الظاهرة فوق الثياب الساترة كالمحفة

وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيهن وعن السدي عن شيوخه أنه قرأ أن يضعن خمرهن عن
 رؤسهن وعن بعضهم أنه قرأ أن يضعن من ثيابهن (غير متبرجات بزينة) أي غير مظهرات لمحاسنها
 ولزيتها الخفية (وأن يستعففن خيرهن) أي استعففن بعدد القاء الجلباب خيرهن من الالتقاء
 لبعدهن من المظنة فعند المظنة يلزمهن أن لا يلقين ذلك كما يلزم مثله في الشابة (والله مهيح) لما يجري
 بينهن وبين الرجال من المقالوة (علم) بمقاصدهن (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا
 على المريض حرج) أي ليس على هؤلاء الطوائف مأثم في أكلهم مع السالمين من هذه النقائص الثلاثة
 فانهم تركوا مؤاكلة الأصحاء فقال الأعمى اني لا أرى شيئا فربما أخذوا أجودوا وتركوا الأردأ وخاف
 الأعرج والمريض أن يفسد الطعام على الأصحاء وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان
 والعيمان والمريض يتبعدون عن مؤاكلة الأصحاء لان الناس يستقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم
 (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أي ليس عليكم مأثم في أن تأكلوا من بيوت أولادكم بغير إذن
 بالعدل لقوله صلى الله عليه وسلم أنت وما لك لا يبك وقوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل المرء من
 كسبه وان ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخواتكم) من الأب أو
 الأم أو منها بالنسب أو الرضاع (أو بيوت أخواتكم) قال السدي كان الرجل يدخل بيت أبيه أو بيت
 أخيه أو أخته فتخفف المرأة بشيء من الطعام فيتخرج لانه ليس ثم رب البيت فانزل الله تعالى هذه الرخصة
 (أو بيوت أمهاتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتيحه) روى
 الزهري عن سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله في هذه الآية ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم
 وكانوا يسلمون اليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون لهم قدأ حللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يخرجون
 من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم فائثون فنزلت هذه الآية رخصة لهم وهذا قول عائشة رضي الله عنها (أو
 صديقكم) أي بيت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية ونزل هذا في حق مالك بن زيد
 والحرب بن همار وكانا صديقين ونقل عن ابن عباس ومقاتل بن حبان نزلت هذه الآية في الحرب بن عمرو
 وذلك أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجد به مجهودا
 فسأله عن حاله فقال تخرجت أن أكل من طعامك بغير إذنك فانزل الله هذه الآية والمعنى يجوز ألا تكل من
 بيوت من ذكر اذا علم رضاه بصريح الاذن أو بقرينة داله عليه وان كانت ضعيفة كما علم بالعادة في طيب
 أنفسهم فان العادة كالإذن في ذلك والمقصود من هذه الآية اثبات الإباحة في الجملة لا اثبات الإباحة في
 جميع الاوقات (ليس عليكم جناح) أي مأثم في (أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) قيل نزلت هذه الآية في
 قوم تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكسين في كثرة الأكل وقلته وقال أكثر المفسرين
 نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة حيث كانوا يخرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان
 الرجل منهم لا يأكل وحده يكث يومه حتى يجذضه فإذا كل معه فان لم يجد من يواكله لم يأكل شيئا وربما
 قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الراح وربما كانت معه الأبل الحافلات فلا
 يشرب من ألبانها حتى يجذضه من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل فأعلم الله تعالى ان الرجل اذا أكل
 وحده لا حرج عليه هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أي اذا
 دخلتم بيوتا من البيوت المذكورة فسلموا على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة
 الدينية والنسبية فآله تعالى جعل أنفس المسلمين كالنفس الواحدة على مثال قوله تعالى ولا تقتلوا

أنفسكم وقال ابن عباس ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام عليه: امن قبل ربنا واذا دخل المسجد فليقل السلام على رسول الله وعليه امن ربنا وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق بالسلام عن سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وحدثنا ابن الملائكة ترد عليه وقال القفال وان كان في البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى (تحية من عند الله) منصوب على المصدر من معنى فسلموا أى خفيوا تحية ثابتة بأمره مطلوبة من عنده (مباركة) أى مضاعفة في الثواب كما قاله الضحاك (طيبة) أى تطيب بالتحية نفس المستمع وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل بمركك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار والاوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) أى يفصل شرائعكم (لعلكم تعقلون) أى اتقهم واعن الله أمره ونهيته (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أى الرسول (على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أى انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الاحكام كما اذا كانوا معه صلى الله عليه وسلم على أمره وجب الاجتماع في شأنه لم يتفرقوا عنه حتى يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم قال الكوفي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة يعرض في خطبته بالمناقين ويعيهم في نظرون عينا وشعلا فاذا لم يرهم أحد خرجوا ولم يصلوا وان أبصرهم أحد لبثوا وصلوا خوفا فكان المؤمن اذا أراد أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر قام بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (ان الذين يستأذنونك) رعاية للادب معك وتعظيمهم لهذا الامر (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أى يعملون بمقتضى الايمان قال الضحاك ومقاتل المراد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاستأذنه في الرجوع الى أهله لعله كانت به فاذن له وقال ارجع الى المدينة فليست بمنافق (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أى أمرهم المهم (فاذن لمن شئت منهم) لما علمت في ذلك من مصلحة قال ابن عباس ان عمر استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له ثم قال يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك وهذه الآية تدل على أنه تعالى فوض الى رسوله بعض أمر الدين ليحتمد فيه برأيه (واستغفر لهم الله) فان الاستئذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة وان الاستغفار في مقابلة تمسكهم بأداب الله تعالى في الاستئذان (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتسهيل عليهم (لا تجعلوا دماء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لا تجعلوا دعاءكم لكم في الاعتقاد وغيره وأمره أياكم في أمر من الأمور كدعوة بعضكم لبعض فستبطلون عنه بل أجيبوه فورا وان كنتم في الصلاة اذ كان أمره فرضا لازما وهذا قول المبرد والتغال ومختار أبي العباس وأقرب الى نظم الآية كما قاله ابن عادل الرازي وغيره وقيل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعوا صغيركم كبيركم فإنه قد يجاب وقد يرد فان دعوات الرسول مستجابة فاحذروا مخطئه فان دعاءه محباب ليس كدعاء غيره وهذا كما قاله ابن عباس وروى عنه أيضا لا تجعلوا دعاءه صلى الله عليه وسلم كدعاء بعضكم لبعض بأمره ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات بل نادوه بغاية التوقير وبلقبه المعظم وذلك بمثل قولك يا رسول الله يا نبي الله مع التواضع وخفض الصوت فلا تنادوا بأمره ولا بكنيته بل أنقولوا يا محمد يا أبا القاسم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أى قد علم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية

مستترين ببعض فلو اذا حال أو مصدر فاعل مضمرة هو الحال في الحقيقة أي يلوذون لو اذا أي يستتر بعضهم عن يخرج بالاذن اراه أنه من اتباعه (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمره (أن تصيبهم فتنة) أي محنة في الدين من تسليط جائر عليهم واسباغ نعمه استدر اجابهم (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والسكناية ترجع الى الله لأنه لا أمر حقيقة أول للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه المقصود بالذكر (ألا ان الله ما في السموات والارض) من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا وهذا دليل على قدرته تعالى على المجازاة بشواب وعقاب وعلى علمه تعالى بما يخفيه المكلف ويعلمه (قد يعلم ما أنتم أيها المكلفون عليه) من المخالفة في الدين والفاق (ويوم يرجعون اليه) أي ويعلم يوم يرجع المنافقون اليه تعالى للجزاء (فينبئهم بعملهم) في الدين من الأعمال كخباثة الأمر فلا يعاقبهم إلا بعد أخبارهم بعملهم (والله بكل شيء عليم) لا يعزب عنه مثله لذررة في الارض ولا في السماء

﴿سورة الفرقان مكية سبع وسبعون آية وثلاثمائة واثنتان وسبعون كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة وثلاث وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) أي تعالى الله الذي نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في ذاته وصفاته وأفعاله فتعالى ذاته عن جوارز التغير والغناء وعن مشابهة شيء من الممكنات وتعالى صفاته عن حدوث وتعالى أفعاله عن عبث ومن جملة أفعاله تنزيل القرآن المنطوي على جميع الحركات الدينية والدنيوية والاثبات بعنوان العبد اعلام بكون سيدنا محمد في أقصى مراتب العبودية (ليكون) أي ذلك العبد الذي نزل الفرقان (للعالمين) أي المكلفين من الثقلين (نذيرا) أي مخوفا من عذاب الله بالقرآن (الذي له ملك السموات والارض) بدل من الموصول الأول أو خبر مبتدأ محذوف (ولم يتخذ ولدا) عطف على الصلة وهذا رد على النصارى واليهود وبعض مشركي العرب (ولم يكن له شريك في الملك) أي في ملك السموات والارض فهو المنفرد بالالهية وهذا معطوف على الصلة أيضا وهو رد على الثنوية وعباد الأصنام والجموم (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) أي أحدث كل موجودا حاديا على طريق التقدير بحسب ما اقتضته ارادته وهياها ارادته بما يصلح له مثاله أنه تعالى خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المستوي الذي تراه في قدر للتكاليف والمصالح المنوطة به في باب الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلبة المستوية المقدره بأمثلة الحكمة فقدره لامر ما ومصلة ما موافقا لما قدره غير متأخر عنه (واتخذوا) أي المنذرين من كفار مكة كآبي جهل ونصابه (من دونه آلهة لا يخلقون شيئا) أي جعلوا لانفسهم تتجاوزين الله غيره آلهة لا يقدرن على خلق شيء أصلا (وهم يخلقون) كسائر الخلق لوقات (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) أي لا يقدرن لانفسهم على دفع ضرر ما وعلى جلب نفع ما فن لا ينفع نفسه لا ينفع غيره (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أي لا يقدرن على اماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم فالله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك (وقال الذين كفروا ان هذا الاقل افترأوأعانه عليه قوم آخرون) أي قال النضر بن أبي الحرث ما القرآن الا كذب مصروف عن وجهه اختلقه محمد من تلقاء نفسه وأعانه على اختلاقه غير قومه وهم اليهود جبر ويسار وأبو فكيهة الرومي قال الكلبي ومقاتل نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث فهو الذي قال هذا القول وأعانه عليه عداس مولى

حويط بن عبد العزى ويسار مولى العلاء عامر بن الحضرمي وجبر مولى عامر وهؤلاء كانوا من أهل
 الكتاب وكانوا يقرؤون التوراة ويحدثون أحاديث منها في مكة فلما أسلموا كان النبي صلى الله عليه وسلم
 يتعهدهم فزعم النضر أنهم يلقون إليه صلى الله عليه وسلم أخبار الأهم الماضية وهو صلى الله عليه وسلم يعبر
 عنها بعبارات من عنده فهذا معنى إعادتهم له فن أجبل ذلك قال النضر ما قال فرد الله تعالى ذلك بقوله تعالى
 (فقد جاؤا) أى قائلوا هذه المقالة (ظلمنا) عظيما حيث جعلوا الحق البحت افكما مفترى من قبل
 البشر (وزورا) أى كذبا كبيرا حيث نسبوا إليه صلى الله عليه وسلم ما هو بربى منه (وقالوا) أى
 النضر وأصحابه (أساطير الأولين) أى هذا القرآن ما سطره المتقدمون من الحرفات انسخها
 محمد من عابس ويسار وجبر أى أمرهم بكتابته له وقراءتها عليه لانه أمى (فهى على عليه بكرة وأصيلا)
 أى فتلك الاساطير تقرأ على محمد بعد طلبه منهم كتابتها غداة وعشيا ليحفظها من أفواههم من ذلك
 المكتتب لكونه أميا لا يدر على ان يتلقاها منه بالقراءة وهذا على قول جمهور المفسرين فان قوله تعالى الى
 آخره من كلام القوم الكافرين وقال الضحاك معنى قولهم ذلك وما على على محمد بكرة يقرؤه عليكم عشية
 وما على عليه عشية يقرؤه عليكم بكرة خـ لا فاللحسن حيث قال ان ذلك من محض كلام الله تعالى ذكره
 جوابا عن قولهم كأنه تعالى قال ان هذه الآيات تلقى عليه صلى الله عليه وسلم بالوحي منى حالا بعد حال
 فكيف ينسب الى أنه أساطير الأولين (قل) لهم رد عليهم (أنزله الذى يعلم السر فى السموات
 والارض) أى ليس ذلك القرآن عما يفعله باعانة قوم وكتابتهم من الأحاديث الملقاة بل هو أمر ماوى
 أنزله الله الذى لا يعذب عن علمه شئ من الاشياء فيعلم ما تسرونه من كيدكم لرأسوله مع علمكم بأن ما يقوله
 حق وما تقولونه زور ويعلم براءة رسوله عما اتهم به وهو محراز يكمل على ما علم منكم وما علم منه (انه كان
 غفورا رحيمًا) أى انما أنزل القرآن لاجل الانذار فوجب أن يكون غير مستعجل فى العقوبة وهذا تنبيه
 على أنهم استحقوا عكايدهم هذه ان يصب الله عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم كونه غفورا
 رحيمًا فيمهلهم ولا يجهل عليهم العذاب (وقالوا) أى أبوجهل وأصحابه والنضر وأصحابه وأمية بن خلف
 وأصحابه (مال هذا الرسول يأكل الطعام ويعشى فى الاسواق) أى سبب حصل لهذا الذى يدعى
 الرسالة حال كونه يأكل الطعام كإننا كل ويعشى فى الاسواق لا بتقاء الارزاق كما نفعله فن أين له الفضل
 علينا وهو مثلنا فى هذه الامور (لولا أنزل اليه) أى هلا ينزل على صورته (ملك) لا يأكل ولا يشرب
 (فيكون معه نذيرا) أى فيكون معينا له فى الانذار يشهد له ويرد من خالفه (أويلق اليه كنز) من السماء
 فينفقه فلا يحتاج الى التردد لطلب المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) وقرأ الامش وقتادة يكون
 بالياء التحتية وقرأ حمزة والسكاسى تأكل بالنون (وقال الظالمون) أى المشركون أبوجهل والنضر
 وأمية وأصحابهم (ان تتبعون) أى ما تتبعون أيها المؤمنون (الارجلا مسكورا) أى مختل
 النظر والعقل (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أى انظريا أفضل الخلق كيف اشتغل القوم بضرب
 هذه التى لا فائدة فيها من الاقوال العجيسة الخارجة عن العقول (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أى
 فأرادوا القدح فى نبوتك فضلو عن طريق المحاجة فلم يجدوا سبيلا الى القدح فى نبوتك وفى ههنا تك
 وضلو عن الحق فلا يجدون طريقا موصلا اليه (تبارك الذى ان شاء) أى تكاثر خير من الذى ان
 شاء (جعل لك) فى الدنيا شيئا (خيرا) لك (من ذلك) الذى قالوه (جنات) أى بساكن كثيرة
 (تجربى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أى بيوتا مشيدة رفيعة فى الدنيا فاقوله تعالى جنات بدل من

خير أقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن طاهر وأبو بكر رفع يجعل على أنه معطوف على جواب الشرط لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جوابه الجزم والرفع أو مستأنف بوعده ما يكون له صلى الله عليه وسلم في الآخرة وأقرأ الباقون بادغام لام يجعل في لام لك إمابة تقدير الجزم على أنه معطوف على محل جواب الشرط وهو جزم أو بتقدير الرفع وانما سكن اللام لأجل الادغام فعلى الرفع حسن الوقف على الانهافاً - المعنى وسيجعل لك عسوراً في الآخرة وعلى الجزم لا يحسن الوقف على الانهافاً - المعنى إن شاء يجعل لك قصوراً في الدنيا روى عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عليه السلام عنده قال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلاً حتى جاءه الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله بخيرك بين أن يعطيك مغاتيح كل شيء لم يعطها أحدا قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير أن ينقصك مما ادخر لك شياً وبين أن يجمعها لك في الآخرة فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها جميعاً في الآخرة فنزل قوله تعالى تبارك الذي أنشأ الساعة (بل كذبوا بالساعة) وهذا جواب ثالث كأنه تعالى قال ليس ما تعلقوا به شبهة عليه في نفس المسئلة لأنهم لا يعتقدون فيك كذباً بل الذي حملهم على تكذيبك تكذيبهم بوجود وقت الجزاء استثقالاً للاستعداد له فانهم لا يحملون مشقة النظر لهذا لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) أي جعلنا ناراً عظيمة شديدة الاشتعال معدة لمن كذب بوجود القيامة (إذا رآهم من مكان بعيد) أي من مسيرة عام كما قاله السكبي والسدي (سمعوا لها) أي النار (تغيظاً) أي صوت غليانها (وزفيراً) أي صوت تشديد كصوت الحمار (وإذا ألقوا منها) أي النار (مكناً ضيقاً) وقرأ ابن كثير بسكون الياء (مقرنين) في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم (دعوا ههنا لك) أي في ذلك المكان (نبورا) بأن يقولوا نبور هذا زمانك وية واموتنا وقال السكبي الاسفلون يرفعهم اللهيب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحجون في تلك الابواب الضيقة وقال ابن عمر إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق أزج على الرمح وتقول لهم خزنة جهنم (لا تدعوا اليوم نبورا واحداً) أي لا تدعوا نبورا واحداً (وادعوا نبورا كثيراً) فان ما أنتم فيه من العذاب مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن لغاية شدته وطول مدته (قل) لهم تحسيرا على ما فاتهم (أذلك) السعير التي هيئت لمن كذب بوجود القيامة (خير أم جنة الخلد) التي لا ينقطع نعيمها (التي وعد المتقون) أي التي وعدهم أن يجتنبون الكفر وهذا يحسن في مقام التقرير كما إذا أعطى السيد عبده ما لا فاني واستكبر فضر به ضرراً وجيعاً وقال له على سبيل التوبيخ هذا أحب إليك أم ذاك (كانت) أي تلك الجنة (لهم جزاء ومصيراً) أي مسكناً فإوعد الله به فهو كأن لا بد من وقوعه فكانه قد كان ولا نه كان مكتوباً بالالواح المحفوظ قبل أن يخلقهم الله بأزمان متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومستقرهم (لهم فيها ما يشاؤون) فكل فريق منهم مشتغل بما فيه من اللذات فلا يلتفتون إلى ما فوق ذلك من المراتب العالية وفي هذا تنبيه على أن حصول المرادات بأمرها لا يكون الا في الجنة (خالدين) حال من الهاء في لهم فإن من شرط نعيم الجنة أن يكون دائماً اذ لو انقطع لمكان مخلوطاً بنوع من النعم كنعيم الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فليل يما هو يارسل الله فقال سرور يوم (كان) أي ما يشاؤه (على ربك) يا أفضل الخلق (وعدا مسؤولاً) أي موعوداً مطلقاً بالكونه عما يتنافس فيه المتنافسون فان المكلفين سألوه بلسان الحال لأنهم لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعته تعالى كان ذلك

فإنما مقام السؤال وما في على من معنى الوجوب لاستحالة الخلف في وعدة تعالى فان تعلق ارادته تعالى بالوعدو متقدم على الوعد الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) وقرأ ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالنون (وما يعبدون من دون الله) أى من غيره أى يوم القيامة يحشر الله العابدن لغير الله ومعبودهم (فيقول) قرأ ابن عامر بالنون والباقون بالياء كأن يخلق في الاصنام الحياة فينطقها أو كأن جوابها بلسان الحال كما ذكره بعضهم في تسبيح الموات وفي شهادة الايدي والارجل أى يقول الله للمعبودين تقرى بالعابدن (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) بأن دعوتهم لعبادتكهم (أم هم ضلوا السبيل) أى أم هم ضلوا عن السبيل بأنفسهم يتركهم النظرا الصحيح واعراضهم عن المرشد وعبدوكم سوى أنفسهم (قالوا) أى المعبودون متبرئين عن العابدن (سبحانك) أى قالوا تعجبنا بما قيل لهم أو اشعرا بأنهم منزّهون الله تعالى عما لا يليق به فكيف يليق بحالهم أن يضلوا لعباده أو قصدا للتنزيه تعالى عن الانداد (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) فتخذتمعدوا واحدا ومن أولياء مفعول ومن زائدة ومن دونك حال لان نعت النكرة اذا تقدم عليها صار حالا وعن أبي جعفر وابن عامر انه ما قرأ يتخذ بالبناء للمفعول فهو متعد لمفعولين والمفعول الاول نائب الفاعل ومن أولياء مفعول ثان ومن للتبعية ونسب كبر أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون بهم الجن والاصنام ومعنى الآية لا يستحق لنا أن يتخذ بعضهم أولياء والحاصل ان كان معبودهم ملائكة قالت نحن عبيدك فلا يستقيم اعبيدك ان يتخذوا من غيرك أعباء يعبدونهم فاذا كنا نعتقد أن غيرك لا يجوز أن يكون معبودا فكيف ندعوا غيرنا الى عبادتنا وان كان أصناما قالت لا يصح من ان نكون من العابدن فكيف يمكن ان ندعى أننا من المعبودين فإضللتناهم (ولكن متعتهم وآباءهم) أى ولكن يا الهنا كثرت عليهم وعلى آباءهم من النعم فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم (حتى نسوا الذكر) أى تركوا الايمان باقرآن (وكانوا قوم ابورا) أى وصاروا قوما هالكين فاسدة العلوب (فقد كذبواكم بما تقولون) أى فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم أيها الكفرة معبودكم وفي قولكم انهم آلهة فالباء بمعنى فى أو هى صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب أى فقد كذبوا قولكم انهم آلهة وان ذلك كيف أظهر الله صدق الاصنام وكذب الكفار وتقولون بالتاء الفوقانية باتفاق العشرة وقرئ شاذة بالياء أى كذبواكم بقولهم سبحانك الآية (فلا يستطيعون صرفا ولا نصرا) وقرأ حفص بالتاء على الخطاب أى فاستطيعون أيها الكفار صرف الاصنام والملائكة عن شهادتهم عليكم ولا نصرا أنفسكم فى اضافة الصدق الى أنفسكم ولا تستطيعون دفع العذاب عنكم ولا منعه عنكم بأنفسكم ولا بغيركم وقرأ الباقر بالياء على الغيبة أى فاستطيع آلهتكم أن يصفروا عنكم العذاب ويحتالوا اليكم ولا أن ينصروكم بوجه من الوجوه (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) أى ومن يكفر منكم يامعشر المؤمنين أو ومن يستمر منكم يامعشر الكفار على ما أنتم عليه من الكفر والعناد نذقه عذابا كبيرا فى الدنيا والآخرة والعامرة قرأ نذقه بنون العظمة وقرئ بالياء الضمير عائذ الله تعالى أول الظلم المهوم من الفعل على سبيل المجاز باسناد اذا ذاق العذاب الى السبب (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم إما كانوا الطعام ويمشون فى الاسواق) وان مكسورة باتفاق العشرة واللام الالة داه زيدت فى الخبر والجملة الواقعة بعد الالهية أى وما أرسلنا قبلك يا أشرف الخلق أحدا من المرسلين الا وحاهم آكارن وماشون فأنت مثلهم فى ذلك وقرئ يمشون على البناء للمفعول أى يمشيهم حوايجهم (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) أى وجعلنا كل أمة كافرة فتنة لرسولها المبعوث اليها كان يقول بعض الكفار لبعض

الانبياء آتيناهم هجرة كهمزة بنى فلان (أتصبرون) يا معشر الانبياء على ما تسمعون من أقاويلهم
الخارجة من حدود الإنصاف فالعنى جرت سنتنا على ابتلاء المرسلين بأعمالهم بايضا ثم لهم لنعلم صبرهم
(وكان ربك بصيرا) بأعمال كلهم وجزاؤهم وهذا وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالأجر الجزيل
لصبره الجليل (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يؤملون وعدنا على الطاعة من الثواب فلا يخافون
العقاب لكفرهم بالبعث وهذه الجنة معطوفة على قوله تعالى وقاراهما هذا الرسول الى آخره (ولو أنزل
علينا الملائكة) أى هـ لا أنزلوا علينا بطريق الرسالة (أو نرى ربنا) فيخبرنا بصدق محمد في رسالته
(لقد استكبروا في أنفسهم) أى أنهم أضمرُوا الاستكبار في قلوبهم واعتقدوه (وعدتوا كبيرا)
أى تجاوزوا الحد في الظلم حتى اجتروا على هذا القول العظيم الشنيع (يوم يرون الملائكة)
منصوب بعامل دا عليه لا بشرى أى يبعثون البشرى يوم يرون ملائكة العذاب قائلين (لا بشرى
يومئذ للكافرين) أى الكافرين في كل الأوقات فانهم يشافهون في أول الامر تجايدل على نهاية اليأس
والحسبة فذلك هو النهاية في الايلام (ويقولون حجرا محجورا) أى يقول الكافرون الذين طلبوا نزول
الملائكة اذاروا الملائكة وفزعوا منهم عند الموت ويوم القيامة حجرا محجورا وهى كلمة كانوا يقولونها عند
لقاء العدو ونزول شدة و يضعونها موضع الاستعانة والمعنى نساء الله تعالى ان يمنع ذلك منا وقيل يقول
الحفظة للكفار اذ انهم حجروا من قبورهم حجرا محجورا ومعناه جعل الله الغفران والجنة والبشرى حراما محرما
عليكم وقال الكلى ان الملائكة على باب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقوزن للمشركين حجرا محجورا
وقرأ الغمام الحسن وبورجاء على ضعها وقرئ بفتحها (وقدمنا الى ما عملوا من عمل أى وقصدنا الى أعمالهم
التي ظنوا انها تقرهم الى الله تعالى (لجعلناه هباء منثورا) أى أبطلناها وجعلناه مثل الهباء المنثور الذي
لا يمكن القبض عليه في عدم امكان الانتفاع به بالكسبية والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من
الكوة (أصحاب الجنة) هم المؤمنون (يومئذ) أى يوم القيامة (خير مستقرا وأحسن مقيلا) أى
موضع استراحة نصف النهار في الحر وقد أشارت الآية الى ان كلا من أهل الجنة وأهل النار قد استقروا
في وقت القيلولة وان كان استقرار المؤمنين في راحة واستقرار الكافرين في عذاب فيكون الحساب
لجميع الخلائق قد انقضى في هذا الوقت لان القائلة تكون في نصف النهار والحساب يكون من أوله
والمراد من ذلك بيان ان ذلك الموضع أطيب المواضع كما ان موضع القيلولة يكون كذلك وإشارة الى انه مزين
بغزون الزخارف (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) أى يوم القيامة تنفتح كل سماء
بسبب طلوع الغمام منها وهو سحاب أبيض فوق السهوات السبع مخضيه كثفن السهوات السبع ومخضيه
كذلك فينزل على السماء السابعة فيخترقها بثقله وهكذا حتى ينزل الى الارض وفيه ملائكة كل سماء
فيتمزل أولا ملائكة السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الارض من انسوجن ثم ينزل ملائكة السماء
الثانية وهم أزيد من ملائكة السماء الدنيا وهكذا ثم ينزل الكرمي بيون وحمل العرش فذا نزل ملائكة
سماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع في المحشر صفا واذ نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف
هذا الصف صفا آخر وهكذا أى يحيطون به من بعدهم حتى يصيروا سبع صفوف حول العالم (الملك
يومئذ الحق للرحمن) أى السلطنة القاهرة الثابتة نباتا لا يمكن زواله صورة ومعنى ثابتة للرحمن يوم اذ
تشقق الغمام لا يشركه فيها أحد (وكان يوما) أى ذلك اليوم (على الكافرين عسيرا) أى شديدا
بخلاف المؤمنين فقد جاء في الحديث انه يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أحف من صلاة

مكتوبة صلاها في الدنيا (ويوم يعرض الظالم على يديه) أي يوم القيامة يأكل الكافر يديه إلى المرفق ثم
ينبتان ثم يأكلهما وهكذا فلا يزال كذلك كما قاله الضحاك وعطاء وقال أهل التحقيق هذه اللفظة كناية
عن الندامة والغم (يقول) حال من فاعل يعرض (يا) لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه
(ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) أي ليتني صاحبت رسول الله في اتخاذ سبيل الهدى واستقيمت على دين
الرسول (يا ويلتي) أي يا هلاكي تعالى فهذا أوائل (ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) أي صديقا وافقته في
أعماله (لقد أضلني عن الذكر) أي والله لقد صرفني عن القرآن وموعظة الرسول (بعد أذجاءني)
قال ابن عباس والمراد بالظالم عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر إلا صنع
طعاما يدعو إليه جيرانه من أهل مكة ويكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ويحبه حديثه فصنع
طعاما ودعا الرسول فلما قرب إليه الطعام قال صلى الله عليه وسلم ما آكل من طعامك حتى تأني
بالشهادتين فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم
من طعامه وكان أبي بن خلف الجمعي صديقه فعاتبه فقال له يا عقبة قدمت إلى دين محمد فقال عقبة والله
ما ملت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن شهدت له فاستحييت أن يخرج من بيتي
ولم يطعم فشهدت له فطم فقال أبي لا أرضى عنك أبدا حتى تأتبه فتطأ قفاه وتبرق في وجهه فأثاء
فوجدته ساجدا في داره اندودة ففعل عقبة ذلك فعاد براقه على وجهه فخرقه فقال صلى الله عليه وسلم
له لا لقالك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فنزل قوله تعالى ويوم يعرض الظالم إلى آخره فأمر
عقبة يوم بدر فقتل صبيرا ولم يقتل يومئذ من الأسارى غيره وغير النضر بن الحرث وأما أبي بن خلف
فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده طعنه في أحد فرجع إلى مكة ومات وقال الشعبي كان عقبة
خليل أمية فأسلم عقبة وقال أمية وجهي من وجهك حرام أن يابعت محمد أفارتد فأرسل الله تعالى ويوم
يعرض الظالم وعلم من ذلك أن المراد بفلا بن أبي أوامية (وكان الشيطان) أي البليس (للإنسان) أي
الكافر (خذولا) أي مبالغا في ترك النصرة بعد المعاونة وكان بعد الإنسان في الدنيا بانه ينفعه في
الآخرة وهذا من كلام الله تعالى فإن آخر كلام الظالم بعد أذجاءني فالوقوف عليه تام (وقال الرسول) محمد
صلى الله عليه وسلم شكايته لله عما صنع قومه وفي هذا تخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله تعالى
قومهم عجل الله لهم العذاب وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجعون لقاءنا (يا رب انقضي
اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أي متروكا بالسكينة ولم يؤمنوا به ولم يتأثروا بتخويفه وفي هذا تلويح بأن من
حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فإنه روى عنه صلى
الله عليه وسلم أنه قال من تعلم القرآن وعلم مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول
يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين)
أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون جعلنا لكل نبي من الأنبياء
الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر بكاء صبرا (وكفى بربك هاديا
ونصيرا) أي كفاك مبلغا إلى الكمال ومالك أمرك هاديا لك إلى مصالح الدين والدنيا وناصرا لك على
جميع من يعاديك (وقال الذين كفروا) من أهل مكة كأبي جهل وأصحابه (لولا أنزل عليه القرآن جملة
واحدة) أي هلا أنزل القرآن كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والزبور (كذلك
لنثبت به فؤادك) أي مثل ذلك التنزيل المنفرد نزلناه لتقوى بذلك فؤادك فإن فيه تيسيرا لحفظ وفهم

المعاني وهذا كلام الله ذكره جواباً لهم رداً لهذه الشبهة (ورتلناه ترتيلاً) معطوف على الفعل المقدر الذي تعلق به كذلك أي كذلك نزلناه وأتينا بعضه بعد بعض على تودة وتعمل في ثلاث وعشرين سنة (ولا يا قوتك بمثل الاجتنالك بالحق) أي لا يأتي المشركون أياك يا أشرف الخلق بسؤال عجيب يريدون به القرح في نبوتك الاجتنالك بالجواب الحق الذي يدفع قولهم (وأحسن تفسيراً) ويأنا وبأقوى حجة (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) أي يحشرون يوم القيامة كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجحرون إلى جهنم وهذا الموصول صفة للموصول الأول أو بدل منه (أولئك) أي الذين أوردوا هذه الاستئلة على سبيل التعنت (شركائنا) أي منزلاً في الآخرة وعملنا في الدنيا (وأضل سبيلاً) عن الحق (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي أنزلنا التوراة على موسى بعد غرق فرعون وقومه (وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً) يعينه في الدعوة وإعلاء الكلمة (فقلنا اذهب إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي آيات الالهية وهي مصنوعات الله تعالى الدالة على انفراده بالملك والعبادة أي فذهب إليهم فأرآهم الآيات التسع كلها وهي آيات النبوة فكذبوها كما كذبوا الآيات الالهية (فدمرناهم تدميراً) أي أهلكتهم عقب ذلك التكذيب اهلاً كالعجيبين (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أي نوحاً ومن قبله فأنهم اشتركوا في الجحيم بالتوحيد (أغرقناهم) فقال السكبي أمطر الله عليهم السماء أربعين يوماً وأخرج ماء الأرض أيضاً في تلك الأربعين فصارت الأرض بحراً واحداً (وجعلناهم) أي وجعلنا أغرقناهم (للناس آية) أي عبرة لمن معهم قصتهم لكي لا يقتدوا بهم (وأعتدنا للظالمين) أي قوم نوح ومن سلك سبيلهم في تكذيب الرسل (عذاباً أليماً) هو عذاب الآخرة (وعادا) عطف على المفعول ولجعلنا (رغوداً أصحاب الرس) وهي بئر غير مطوية ولهم وجوه أحدها هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله إليهم شعيباً فكذبوه فبينما هم حول البئر خسف الله بهم وبديارهم وثانيها ان الرس قرية ببلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث الله إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وثالثها هم أصحاب النبي حنظلة بن مسعود ان ابتلاههم بطير عظيم فيها من كل لون سمى بالنعناء فتخطف صبيانهم عرو وسافداً عليه حنظلة فأصابته الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة عليه السلام فأهلكوا ورابعها ان الرس بئر في انطاكية كذبوا فيها النجار وقتلوه فسدسوه في البئر وخامسها عن علي رضي الله عنه انهم كانوا قوماً يعبدون شجر الصنوبر واغماهم أصحاب الرس لانهم رسوه في الأرض بينهم وسادسها هم قوم كانت لهم قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله إليهم نبياً من ولد يهودا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمناً فاشكى إلى الله تعالى منهم فخرسوا وبتر أورسوه فيها فأرسل الله تعالى ريحاً عاصفة شديدة الحمة فصارت الأرض من تحتهم حجر كبير يتموتون وأظلمت لهم محابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص (وقرونا بين ذلك كثيراً) أي أقواماً كثيراً بين الطوائف المذكورة (وكلاضربنا له الامثال) أي كل قرن يمتناه القصة العجيبة الزاجرة عن الكفر والمعاصي بواسطة الرسل (وكلا تبرزنا تنبيهاً) أي كل واحد منهم فتننا فتيتاً لما كذبوا الرسل فانالم نهلكهم الا بعد الانذار وجواب ما أوردوه من شبهة حتى وضع له السبيل (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطراً السوء) أي وبأنه لقد مر قرش على قرية تسدوم من قرى قوم لوط التي أهلكت بالجماعة من السماء في اسفارهم إلى الشام للتجارة (أفلم يكونوا يرونها) أي أفلم يكونوا في مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشورا) أي بل كانوا قوماً ينكرون البعث ولا يؤمنون بالجزاء الاخرى فلا يرجون ثواب الآخرة خيفة من ذلك لا يتحملون متاعب التكليف ومشاق الاستدلال

(واذا رأوك ان يتخذونك الالهزو) أى اذا رأوك يا أشرف الخلق كفار مكة قصر معاملتهم معك على اتخاذهم اياك هزوا فتولة ان يتخذونك جواب اذا واختصت اذا يكون جوابها لا يحتاج الى الفاء اذا كان منفيًا عما أو ان أو لا بخلاف غيرهما من أدوات الشرط (أهذا الذى بعث الله رسولا) وهذا محكى لقول مضر هو حال من فاعل يتخذونك أى اذا رأوك يستهزون بك قائلين أبعث الله هذا رسولا اليانا وهذا على سبيل الاستهزاء والمعنى أهذا الذى يزعم انه بعثه الله رسولا (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا ولا أن صبرنا عليها) وبروى ان هذا من قول أبي جهل وان محففة من ان الثقيلة وضعير الشأن مخدوف أى ان الشأن كاد هذا الرجل ليصرفنا عن عبادة آلهتنا صرفا كليا لولا ان ثبتنا عليها وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد فى الدعوة الى التوحيد واقامة الحجج واظهار المعجزات الى حيث قاربوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاحهم وغاية عنادهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الذى يستحقه كفرهم وعنادهم عما نافي لآخره (من أضل سبيلا) أى من أخطأ هجته فهذا وعيد شديد لهم على الاعراض عن الاستدلال والنظر (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) وهذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعجب من شناعة حالهم أى أرأيت يا أشرف الخلق الذى جعل معبوده ما يهواه وهو النضر وأصحابه أفأنت تكون عليه حفيظا تحفظه من اتباع هواه أى لست كذلك وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الصنم فإذا رأى أحسن منه رماء واتخذ الآخر عبده (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) أى بل أنتحسب ان أكثرهم يسمعون مانقول عليهم من الآيات سمع تفكر أو يفهمون ما فيها من المواعظ الزاجرة عن القبايح الداعية الى المحاسن وهذا انتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانهم صلى الله عليه وسلم لهم عن يسمع أو يعقل فأم بمعنى بل والهمزة التى للاستعانة بهم الانكارى وانما ذكر لا كثيرا لأنه كان فيهم من يعرف الله تعالى ويعقل الحق الا أنه ترك الاسلام لمجرد حب الرياسة للجهل (انهم الاكلا نعام) فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات واتبعوا لهم على الذات الحاضرة (بل هم أضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يهدوا وتعين من يحسن اليها من يسى اليها وتطلب ما ينفعها وتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لهم ولا يعرفون احسانه تعالى من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب ولا يتقون العقاب ولا نجا جارية الى ما خلقت هي له فلا تقصير منها فى طلب الكمال لانه غير ممكن منها وهؤلاء معطلون لعقولهم مستحقون بتقصيرهم أعظم العقاب (ألم ترالى ربك) أى ألم تعلم يا أشرف الخلق الى حسن صنع ربك (كيف مد الظل) أى كيف بسطه فالظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأقنية الجدران وهو أطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وتسد النظر والضوء الخالص من شعاع الشمس يهر البصر ويسخن الجو وهي مؤذية (ولو شاء لجعلها ساكنا) أى دائما غير زائل بأن لا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) أى اظل (دليلا) فالناظر الى الجسم المألون وقت الظل لا يشاهد شيئا سوى الجسم واللون ولا يعرف شيئا ثالثا فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ذلك الظل فعرف أن الظل وجود الان الاشياء انما تعرف باضدادها فلو لا الشمس لما عرف الظل ولو لا الظلمة لما عرف النور قاله تعالى لما أطلع الشمس على الارض وزال الظل ظهر للعقول أن الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا أى خلقنا

الظل أولا بالمنافع والذات ثم اناهد بنا القول الى معرفة وجوده باطلاع الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود هذه النعمة والخطاب في ألم تر عام وان كان ظاهره للرسول لان المقصود بيان انعام الله تعالى بالظل وجميع المكافين مشتركون في تنبيههم على هذه النعمة وتوجيه الرؤية الى الله تعالى اشارة الى أن الذي ينبغي للعاقل أن يكون مطمع نظره معرفة شؤون الصانع الحكيم وأن يكون نظره غير مقصور على الآثار والصنائع (ثم قبضناه اليها قبضاً يسيراً) أي ثم أزلنا الظل يسيراً فكم ما ازداد ارتفاع الشمس ازداً نقصان الظل وقبض الظل لو حصل دفعة لاختلت المصالح فأذا غربت الشمس فليس هناك ظل اغما ذلك بقية نور النهار وقوله تعالى اينالنا صريح على كون مرجع الظل اليه تعالى كما ان حدوثه منه تعالى (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) أي مثل اللباس يستريحكم بظلامه كما يستريحكم اللباس (والنوم سباتاً) أي جعل النوم الواقع في الليل قطعاً عن الافعال المختصة بحال اليقظة (وجعل النهار نشوراً) أي زمان بعث من ذلك النوم وفي هذا اشارة الى أن النوم واليقظة اغوج للوثة والنشور وعن لقمان يا بني كما انام فتوقظ كذلك تموت وتنشر (وهو الذي أرسل الرياح بضم النون والشين أي قدام المطر وقرأ ابن كثير الريح بالافراد وقرأ نشرنا نافع وابن كثير وأبو عمرو وبضم النون والشين أي ناشرات للسحاب وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين وقرأ حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل أي متفرقة وقرأ عاصم بالباء الموحدة المضمومة وسكون الشين أي مبشرات فالرياح المبشرات هي الصبا والجنوب والشمال أما الدبور فهي ريح العذاب التي أهلكت بها عاد (وأنزلمان السماء ماء طهوراً) أي بليغاً في الطهارة (لنحيي به بلدة ميتة) أي مكاناً لا نبات فيه أي ليصير ذانبات (ونسقيه) أي ذلك الماء (فما خلقنا أنعاماً) أي بهائم (وأنامي) جمع انسان أصله أناسين (كثيراً) وهذا اما راجع لا داسي وذلك لان أكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الانهار ومنابع المياه فهم غنية في شرب الماء عن المطر وكثير منهم نازلون في البوادي فلا يجدون المياه للشرب الا عند نزول المطر واما راجع الى ونسقيه وذلك لان الحيوان يحتاج الى الماء حالاً بعد حال مادام حياً وهو مخالف للنبات الذي يكفيه من الماء قدر معين حتى لو زيد عليه بعد ذلك لكان أقرب الى الضرر (ولقد صرفناه بينهم) أي وبالله لقد أجرينا المطر في البلد المختلفة والاقوات المتغيرة والصفات المتفاوتة حتى انتفعوا بالزراعات وأنواع المعاش به كجروى مرفوعاً عن ابن مسعود قال ليس من سنة بأمر من أخرى ولكن الله تعالى قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ورزق معلوم واذ عمل قوم بالمعاصي حول الله تعالى ذلك الى غيرهم فإز يد لبعض نقص من غيرهم واذ اعصوا جميعاً صرف الله ذلك المطر الى القياقي والبحار (ليذكروا) وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف أي ليدذكروا نعمة الله به ويقوموا بشكره والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين أي ليعتبروا بالصرف اليهم وعنهم (فأبى أكثر الناس الا كفوراً) أي بحجود النعمة من حيث لا يتفكرون فيها ولا يستدلون بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه وقيل المعنى وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر بين الناس المتقدمين والمتأخرين في القرآن وسائر الكتب المنزلة على الرسل ليستدلوا به على الصانع فأبى أكثر الناس الا كفوراً النعمة القرآن والكتب ولنعمة المطر حيث أسندوها لغير خالقها (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً) أي نبياً ينذر أهلها فيخفف عليهم اعباء الرسالة ولكنا قصرتنا الامر عليك وفضلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) أي فلا توافقهم فيما يأمرونك (وجاهدهم به

جهادا كبيرا) أى جاهدهم بسبب كونك نذيرا كافة القرى جهادا جامع الكل مجاهدة أو جاهدهم
 ملا بسبب ترك طاعتهم بل بالشدة لا بالمدارة جهادا كبيرا وذلك بتلاوة ما فى القرآن من الزواجر والنواذر
 وتذكير أحوال الامم المكذبة فان مجاهدة السفهاء بالجمع أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف (وهو الذى
 مرج البحرين) أى أرسلهما فى مجاريهما متلاصقين (هذا عذب) أى سائق (فراة) أى بالغ فى
 العذوبة حتى يصير الى الحلاوة (وهذا ملح) أى مر (أجاج) أى زعاق (وجعل بينهما) أى الطيب
 والمالح (برزخا) أى حائلا غير مرقى بقدرته الله تعالى (وحجرا محجورا) أى ستر اغنوه طابه تغيير أحدهما
 طعم الآخر فالعذوبة أو الملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض أو الماء فلا بد من الاستواء وان لم يكن
 كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة خاصة (وهو الذى خلق من الماء) أى من
 ماء الذكور والانثى (بشرا) أى خلقا كثيرا (لجعلهن سبا وصهرا) أى فقسم البشر قسمين ذكورا
 ينسب اليهم وانا يا ايها هربهن أى يقارب ويخالط بهن وقيل النسب ما لا يحل تزويجه من القرابة والصهر
 ما يحل التزويج من القرابة وغيرها (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشر مختلفا ألوانه
 وأعضاؤه وطباعه وربما خلق من نقطة واحدة توأمين فأكثر (ويعبدون) أى كفار مكة من (دون الله
 ما لا ينفعهم) بعبادته فى الدنيا والآخرة (ولا يضرهم) بترك عبادته فيهما وهو الاوثان (وكان
 الكافر على ربه ظهيرا) أى وكان الكافر جماعة بعضهم معاون لبعض على اطفاء نور دين الله
 أو وكان الكافر معاونا للشيطان على عصيان ربه بالعداوة والشرك (وما أرسلناك الا مبشرا)
 للمؤمنين على الطاعة (ونذيرا) للكافرين على المعصية (قل) يا أكرم الرسل لاهل مكة (ما أسألكم
 عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أى لا اطلب على تبليغ الرسالة من أموالكم أجر الا
 فعل من أراد أن يطلب المنزلة عند الله تعالى بالايمان والطاعة كما أدعوك اليها ما وقيل لا اطلب من أموالكم
 جعل لانفسى عن التبليغ لكن من شاء ان ينفق أمواله لاتخاذ السبل الى ربه بالصدقة وغيرها فليفعل
 فالاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع (وتوكل على الحى الذى لا يموت) أى اعتمد بقلبك فى
 كل الامور على الله تعالى والاسباب وسائط أمرهم من غير اعتماد عليها (رسح بحمده) أى تزهه
 تعالى عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا المزيد الانعام بالشكر على كثير نعمه (وكفى به
 بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله مطاعا على ذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن (الذى خلق السموات
 والارض وما بينهما فى ستة أيام) أى فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا خلق الارض فى يومين الاحد
 والاثنين وما بينهما ما فى يومين الثلاثاء والاربعاء والسهوات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من
 يوم الجمعة ومحل الموصول هو على انه صفة ثانية للحي (ثم استوى على العرش الرحمن) فالوقوف على العرش
 تام ان أعرب الرحمن على المدح خبر مبتدأ محذوف أى هو الرحمن الذى لا ينبغي السجود لاله وهو فى
 الحقيقة صفة ثالثة للحي كما قرأ يزيد بن على بالجر لان المنصوب والمرفوع على سبيل المدح وان خرجا عن
 التبعية لما قبلها صورة تابعا له حقيقة ولا يوقف على العرش ان أعرب الرحمن بدلا من الضمير المستكن
 فى استوى فينبىء ذلك الوقف على الرحمن وهو وقف كاف ومعنى استوى على العرش أى ارتفع خالق السهوات
 والارض ارتفاعا يليق بجلاله وتصرف فى ملكه تصرفا تاما (فأسألكم خبيرا) أى فأسألكم أيها الانسان
 عنه تعالى عائنا بصفاته من الراسخين فى العلم (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) أى واذا قيل لكفار مكة
 اخضعوا للرحمن بالتوحيد والصلاة وغير ذلك (قالوا وما الرحمن) وما نعرف الرحمن الا مسميه الكذاب أى

فانهم اعترفوا بالله لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى (أنسجد لم تأمرنا) أى للذى تأمرنا
بمسجوده من غير أن نعرف المسجود له ماذا قرأ حمزة والكسائي بالياء أى أنسجد لما يأمرنا المسمى
بالرحمن ولا نعرف ما هو هل هو مسيما الكذاب أو غيره أو كان الضمير راجعا للسيدنا محمد على أن بعضهم
قال لبعض أنسجد لما أمر محمد أيانا بالسجود من غير معرفتنا للمسجود له (وزادهم) أى الأمر بالسجود
الرحمن (نفورا) أى تباعدا عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً) أى منازل الكواكب
السبعة السيارة المنظومة فى قول بعضهم

زحل شرى مريخ من شمس * فتزاهرت لعطارد الاقمار

وأسماء البروج منظومة فى قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان • ورعى الليث سنبل الميزان

ورعى عقرب بقوس الجدى * نزع الدلو بركة الحيتان

وهذه البروج الاثنا عشر مقسومة على الطبائع الاربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى
المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان
والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة هوائية (وجعل فيها) أى البروج (سراجا)
وهو الشمس وقرأ حمزة والكسائي مر جابضم السين والراء وهى الشمس والكواكب السكار (وقرأ
منيرا) أى مضيئا بالليل وقرأ الحسن والاعشى وقرا وهى جمع قراء لان اللبى تكون قراء بالقمر (وهو
الذى جعل الليل والنهار خلفه) أى يعتقبان يأتى أحدهما بعد الآخر (لمن أراد أن يذكر) قرأ حمزة
بسكون الذال وضم الكاف والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين رعن أبى ابن كعب ليتذكر رأى
لينظر الناظر فى اختلافهما فيعلم انه لا بد فى انتقالهما من حال الى حال من صانع رحيم للعباد (أو أراد
شكورا) أى ليشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف فى النهار وقال عمر بن
الخطاب وابن عباس والحسن معنى الآية من فاته شئ من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار
أدركه بالليل (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أى هينين أى ان مشى عباد الله
المقبولين فى اين وسكينة وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يتجثرون لاجل الخيلاء وعن زيد بن أسلم
قال التمسست تفسيره هو نأفلم أجد فرأيت فى النوم فقبل لى هم الذين لا يريدون الفساد فى الارض وعبادهم مبتدا
خبره الموصول وما عطف عليه (واذا خاطبهم الجاهلون) بالسوء (قاوا اسلاما) أى ردوا معروفا
كان يقولوا لا خير بيننا وبينكم ولا شرف هو سلام قوديع لالتحية كقول سيدنا ابراهيم عليه السلام لآبيه
سلام عليك (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) أى يحبون الليل بالصلاة ومجدا خبر يبيتون
(والذين يقولون) فى دعائهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كار غراما) أى هلاكا
لازما أى فانهم مع اجتهادهم فى العبادة خائفون من عذاب الله (انها سمات مستقرا ومقاما) وهذا يمكن
أن يكون من كلام الله تعالى فهو مستأنف وان يكون حكاية لقولهم تعلييل بسوء حالها فى نفسها عقب
تعليل بسوء حال عذابها والمعنى ان جهنم بدت جهنم هى حال كونها مستقرة للعصاة من أهل الايمان
فانهم غير مقيمين فيها وحال كونها مقاما للكافرين فانهم يخلدون ويقال ان جهنم أحرزت داخلها من
جهة موضع استقرار ومن جهة موضع اقامة (والذين اذا أنذروا لم يسرفوا) أى لم يجاوزوا حد الكرم
(ولم يقرروا) أى ولم يضيقوا تضيق الشحيح (وكان بين ذلك قواما) أى وكان اتفاقهم بين الاسراف

والاقتار وسطا وقرأ بافع وابن عامر يقر وابقض التختية وكسر الفوقية وابن كثير وأبو عمرو بفتح التختية وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التختية رضم الفوقية والقراءة السبعة ثلاثة والقاف على كل ساكنة وقرى قواما بكسر القاف أى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكلون طعاما للثمن واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولا يكن كلوايا كلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويصونهم من الحر والبرد وروى ابن جرير صنع طعاما فى أملاك فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حق فأجيبوا ثم صنع الثانية فأرسل اليه فقال خلق فى شاء فليجب والا فليعد ثم صنع الثالثة فأرسل اليه فقال رياء ولا خير فيه (والذين لا يدعون) أى لا يعبدون (مع الله الها آخر) والمقصود من هذا تنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار (ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بالردة وبالقتل قودا وبالزنا بعد الاحصان فالمقتضى لحرمة القتل قائم أبدا وجواز القتل انما ثبت بالمعارض فقوله تعالى حرم الله اشارة الى المقتضى وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض (ولا يزنون) وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال أن ترزى بحليلة جارك فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يفعل ذلك) أى ما ذكر من الثلاثة كما هو دأب الكفرة المذكورين (يلقى أثاما) أى جزاء الله وقال الحسن الآثام اسم من أسماء جهنم وقال مجاهد الآثام وادى جهنم وقرأ ابن مسعود أى شدا ثلثا لأنه يقال لليوم الصعيب يوم ذو أيام (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف بتشديد العين واستقاط الالف (ويخلف فيه) أى فى ذلك العذاب (مهانا) أى مقرونا بالاذلال كما كان الثواب مقرون بالتعظيم وقرأ ابن عامر وشعبة يضاعف ويخلف كلاهما بالرفع على الاستثناف أو على الحال وقرأ حفص مع ابن كثير فيه بصلته الها بالياء (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلنكسر الله سيئاتهم حسنات) أى يغفر الله لهم تلك السيئات ويكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاص مطيع ولا يعذب كرم الله تعالى اذا صحت توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (وكان الله غفورا رحيمًا) روى البخارى عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى أهل الشرك فلما نزل صدرها قال أهل مكة قد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وآتيناهم الفواحش فأنزل الله الامن تاب الى رحيم (ومن تاب) عن المعاصى بتركها واندم عليها (وعمل صالحا) يتدارك به ما فرط ولو كان نيته وعمله كلاهما ضعيفا (فانه يتوب) أى يرجع (الى الله متابا) أى رجوعا مرضيا عند الله أى ومن تاب عن المعاصى الى الطاعة فإن التوبة منه فى الحقيقة توبة الى الله أى فانه قد أتى بتوبة مرضية لله مكفرة للذنوب محصلة للثواب وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليتمنين أقوام انهم أكثر وأمن السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات (والذين لا يشهدون الزور) أى لا يحضرون مواضع الكذب فان حضور مجامع الفساق مشارك لهم فى تلك المعصية ولان النظر دليل الرضا بها ولا يشهدون بالكذب وقول محمد بن الحنفية الزور والغناء (واذا مروا باللغو) أى بأهل اللغو على سبيل الاتفاق من غير قصد (مروا كراما) أى مكرمين أنفسهم عن مثل حال اللغو وهو كل ما يجب أن يتركوا كرامهم لا نفسم لا يكون الا بالأعراض وبالنسكار وبترك المعاشرة (والذين اذا ذكروا بأيات ربهم لم ينخروا عليها وهم يهانوا)

أى والذين اذا وعظوا بالآيات المشتبهة على الاحكام والمواعظ اكبروا على تلك الآيات حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها واهم في اكلها عليها سامعون بأذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يظهر من الحرص الشديد على استماعها واهم كاهم والعميان كالمنافقين والكفرة كأبى جهل والخنس ابن شريق فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل وهو الخرو وكقولك لا يلقا في زيد مسلما فهو نفي للاسلام لا للقاء وذلك تعريض بما يفعله الكفرة والمنافقون (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) أى اجعل لنا ما يحصل به سرور أعين من أزواجنا وذرياتنا بأن نراهم صالحين مطيعين لك وعن محمد بن كعب ليس شئ أقرب لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله وقرآننا عن وابن كثير وابن عاصم عن عاصم ذر ياتنا بألف على الجمع والباقون بغير ألف على الافراد (واجعلنا للمتقين إماما) أى يقتدون بنا في أمر الدين بأفاضة العلم وبالتوفيق للعمل (أولئك) أى المتصفون بتلك الصفات الثمانية (يجزون الغرفة) أى يثابون أعلى منازل الجنة (بما صبروا) أى بسبب صبرهم على طاعة الله والفقر والمرأى (ويلقون فيها تحية وسلاما) قرأ حمزة والكسائي وشعبة يلقون بفتح الياء وسكون اللام أى يجدون في الغرفة أكرام الله تعالى لهم بالهدايا وسلامه عليهم بالقول والباقون بضم الياء وقص اللام وتشديد القاف أى يجعلهم الله تعالى في العرفة لا قبل ذلك (خالدين فيها) أى في العرفة لا يموتون ولا يخرجون (حسننت مستقرا ومقاما) أى حسننت العرفة من حيث موضع الاستقرار وموضع الإقامة هي (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (ما يعبادكم ربى لولا دعاؤكم) أى أى اعتداد يعتد بكم ربكم بكم لولا عبادتكم له تعالى فانكم وسائر البهايم سواء أولا يبالى بكم ربكم لولا دعاؤكم اياكم الى طاعته فان مبالاة الله بشأن عباده حيث خلق السموات والارض وما بينهما انما هو ليعرفوا حق الذم ويطيعوه فيما كلفهم به (فقد كذبتم) بما أخبرتكم به (ف سوف يكون) أى جزاء التكذيب (لزاما) أى ملازما لكم وهو عقاب الآخرة

﴿سورة الشعراء مكية الا اربع آيات من قوله والشعراء الى آخر السورة فنية وهي مائتان وسبع وعشر ون آية وألف ومائتان وسبع وستون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة واثنتان وأربعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم طسم) ومحله رفع على انه خبر مبتدأ محذوف ان كان اسم للسورة وأما ان كان مسرودا على غط التعديد بطريق التحدى فلا محل له من الاعراب وقيل قسم أقسم الله تعالى به وقال أهل الإشارة هو إشارة الى طاء طوله تعالى في كل عظمتة والى سين سلامته عن كل عيب ونقص وهو منفرد في تنزهه عنه والى ميم مجده في عزة كرم لانهاية لها وإشارة أيضا الى طاء طهارة قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الكونين والى سين سيادته على الانبياء والمرسلين والى ميم مشاهدته لجمال رب العالمين وإشارة أيضا الى طاء طيران الطائرين بالله والى سين سير السائرين الى الله والى ميم مشى الماشين لله مشى العبودية لا مشى التفر والتكبر قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون كالجمال الانف ان قيد انقاد وان أنفج على صخرة استنخا وعن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المص مكان الانجيل وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلاني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلى (تلك) أى هذه السورة (آيات الكتاب المبين) أى آيات

القرآن الظاهر أعجازه والمبين لأحكام فالفاظ القرآن من حيث تعذر عليهم أن يتوابع مثله يمكن أن يستدل به على فاعل مخالف لهم كما يستدل بسائر مالا يقدّر العباد على مثله فهو دليل التوحيد من هذا الوجه ودليل النبوة من حيث الإعجاز ويعلم به بعد ذلك أنه إذا كان من عند الله تعالى فهو دلالة الأحكام أجمع وإذا ثبت هذا صارت آيات القرآن كافية في كل الأصول والفروع أجمع (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) فلمعل للاشفاق وهو بمعنى الأمر أي اشفق على نفسك أن تقتلها لعدم إيمان قريش بذلك الكتاب الفاصل بين الحق والباطل أو لا تبلغ في الحزن على ما فاتك من اسلام قومك لأنك يا أكرم الرسل أن بالغت فيه كنت بمنزلة من يقتل نفسه ثم لا ينتفع بذلك أصلا والله تعالى نبيه رسوله أن غمه على ذلك لا نفع فيه كما أن وجود الكتاب على وضوحه لا نفع لهم في الايمان لما أنه سبق حكم الله بخلافه (ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي ان نشأ نزل عليهم من السماء علامة مخوفة لهم قاصرة على الايمان كرفع الجبل فوق رؤسهم كواقع لبني اسرائيل فيصير والملك العلامة منقادين في قبول الايمان وذكر الاعناق واميان موضع الخضوع واكتسبت اضافتها الى العقلاء حكمهم كما اكتسبت الاضافة الى المؤنث التأنيث كعكسه ولذلك كان الخبر مجموعا لجميع سلاسلهم كرماعيل (وما يأتهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) أي ما يأتي أهل مكة من موعظة من الموعظة القرآنية تنبههم عن الغفلة من جهة الله تعالى مجددت تنزيله بحسب المصلحة الا وقد حددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب (فقد كذبوا) أي بلغوا النهاية في رد الذكر الذي يأتهم رد امة قارنا للاستهزاء به حيث جعلوه تارة محمرا وأخرى أسنطيرا وأخرى شعرا (فسيأتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) أي سيأتهم مصداق استهزائهم من العقوبات العاجلة والآجلة (أولم يروا الى الارض) أي أفعل كفار مكة الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى عجائب الارض الزاجرة مما فعلوا الداعية الى الايمان بالآيات (كم أنبتنا فيهما من كل زوج كريم) أي كثيرا من كل صنف مرضي في جماله وفي فوائده أنبتنا في الارض (ان في ذلك) الانبات (آية) عظيمة دالة على كمال قدرة المنبت وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي وما أكثر قومه صلى الله عليه وسلم مؤمنين أي مع ذلك يستمر أكثرهم على كفرهم وكان صلة عند سيبويه (وان ربك اهو العزيز الرحيم) أي ان ربك غالب على الامور ومع ذلك رحيم بعباده ولذلك يهلهم ولا يؤاخذهم بفتنة بما اجترأوا عليه من العظام الموجهة لغز العقوبات (واذا نادى ربك موسى) أي واذا كريا أكرم الرسل أولئك المعرضين المكذبين وقت نداءه تعالى موسى عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرالهم عن التكذيب قال أبو الحسن الاشعري المسموع هو الكلام القديم فكان ذاته تعالى لا تشبه الذوات مع انها مرئية في الآخرة من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزوع عن مشابهة الحروف والاصوات مع انه مسموع وقال أبو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام كان نداء من جنس الحروف والاصوات لانا حكمتنا بأن كل موجود يصح أن يرى ولم يثبت ان نسمع الاجسام فلم يلزم محبة كون ~~كل~~ موجود مسموعا (أن انت القوم الظالمين) أي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح آبائهم وكان بنو اسرائيل في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا (قوم فرعون) عطف ببيان (ألا يتقون) وهذا كلام مستأنف جي به حمل موسى على التهجيب من حالهم في الظلم والعسف ومن عدم خوفهم أي تهجيب يا موسى من عدم تقواهم وقرى بكسر النون

والاصل ألا يتقونني لحذفت النون لاجتماع النونين والياء لاكتفاء بالكسرة وقرئ بناء الخطاب على طريقة الالتفات الدال على زيادة الغضب عليهم أي قل لهم ألا تخافون عقاب الله ألا للتنبيه والاعرض (قال) أي موسى اظهار الهزيمة وطلب الامونة (رب اني أخاف ان يكذبون) من أول الامر (ويضيق صدرى) بتكذيبهم أي اياي (ولا ينطق لساني) بسبب غيق القلب هذان الفعلان مر فوعان معطوفان على أخاف وقرأ زيد بن علي وطه وعيسى والاعمش بالنصب فيهما معطوفان على صلة ان والاعرج بنصب الاول ورفع الثاني (فأرسل الى هرون) أي فأرسل جبريل الى أخى هرون ليكون رسولا مصاحبا الى دعوة فرعون وقومه وكان هرون اذذاك بمصر وموسى في المناجاة في الطور (ولهم على ذنب) أي تبعه قتل القبطى (فأخاف ان يقتلوني) به قبل أداء الرسالة كما ينبغي ان أتيتهم يحدى فيفوت المقصود من الرسالة (قال) الله (كلا) أي ارتدع يا موسى عما تظن أو حقا لا أسلطهم عليك بالقتل (فأذهب) أي اذهب أنت ومن طلبته وهو هرون (بآياتنا) الدالة على صدقنا أي فانها تدفع خوفنا (انامعكم مستمعون) أي انالكبار لعدونا كما امر لكنا عليه وسامع لما يجرى بينك وبينه فاعليكنا عليه وأكسر شوكتهم عنك (فأتيا فرعون فقولا انارسل رب العالمين) اليك رالى قومك وافراد الرسول لاتحادهما بسبب الاخوة واتفاقهما على شريعة واحدة أولان المعنى ان كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) وان مفسرة أي أطلقهم وخلصهم وشأنهم ليذهبوا معنا الى الشام فانطلقا الى فرعون وقال انه ما امر ايه وروى وهب وغيره أنهم لما دخلوا على فرعون وجداه وقد أخرج سباعا من أسد يدغور وفهود يتفرج عليها الخاف خدامها أن تبطش عوسى وهرون فأمرعوا اليهما وأسرت السباع الى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتبصص اليهما باذناها وتلصق خدودها بغنذيهما فحب فرعون من ذلك فقال ما أنتما فالانارسل رب العالمين فعرف هو موسى عليه السلام (قال) عند ذلك لموسى عليه السلام (لم تربك فينا) أي في منازلنا (وليدا) أي صغيرا (ولدت فينا من همك سنين) ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين وأقام بها عشرين سنة ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بقى بعد ان فرق خمسين سنة وقيل مكث عليه السلام عند فرعون خمس عشرة سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) وهى وكز القبطى حتى مات (وأنت من الكافرين) أي الجاحدين لنعمتى عليك بالتربية وعدم اتخاذك عبدا الى كبنى اسرائيل أو من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة (قال) موسى (فعلتها) أي تلك الفعلة (إذا) أي حين اذ كنت لا بشافيكم (وأنا من الضالين) أي الناسين عن معرفة ما يؤول اليه القتل لانه فعل أو كزة على وجه التأديب وقرئ من الجاهلين أي بأن ذلك الفعل يؤدى الى القتل (فغرت منكم) الى ربى (لما خفتكم) أن تؤاخذونى بما لا أستحقه بجنايتى لاني قتلت القتييل خطأ وأنا ابن اثنتى عشرة سنة مع كونه كافرا وروى عن حمزة لما خفتكم بكسر اللام وبما المصدرية أي لتخوفى منكم (فوهب لى ربى حكما) أي علما وفهما فى الدين (وجعلنى من المرسلين) بعد تلك الفعلة (وتلك) أي التربية (نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل) ومحل ان عبدت رفوع عطف بيان لتلك أو بدل من نعمة أي ذلك جعلك بنى اسرائيل عبيدك وقصدك اياهم بذبح أبنائهم هو السبب فى وقوعى عندك وانفاقك على مما أخذت من أموالهم فلم يكن منك ذلك الظلم لكنك مستغنيا عن تربيتك فعلا نعمة لك على التربية ولا فضيلة لك فى عدم استعبادى الذى مننت به على لان استعبادك لغيرى ظلم كما ان عدم قتلك اياى لا بعد انعاما لان قتلك غيرى ظلم وقال الزحاج ويجوز أن يكون أن عبدت فى محل

نصب مفعولا لاجله والمعنى انما صارت التربية نعمة على لاجل أن عبدت بني اسرائيل فلولم تفعل ذلك
 لكفاني أهلى (قال فرعون) لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة (ومارب العالمين) أى
 أى شئ رب العالمين الذى ادعيت انك رسوله (قال) موسى بحجيبه بالباطال دعواه انه اله (رب السموات
 والارض وما بينهما) أى خالق هذه الثلاثة (ان كنتم موقنين) باستناد هذه المحسوسات الى موجود
 هو واجب الوجود فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الابعاذ كرتنه فالسؤال عن الحقيقة سفيه (قال) أى
 فرعون (لمن حوله) من أشرف قومه كانوا خمسة لا بسين للاساورة ولم يلبسها الا السلاطين (ألا
 تستمعون) جوابه فقد سألته عن حقيقة توهو يدكر أفعاله (قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين)
 جاء موسى عليه السلام بدليل يفهمونه لانهم يعلمون انهم قد كان لهم آباء فنوا وانهم كانوا بعد أن لم يكونوا
 وانهم لا بد لهم من مكنون ومفن (قال) فرعون لخلاصته وعليهم أقبية الديباج مخصوصة بالذهب وقد خاف
 من تأثرهم من جواب سيدنا موسى عليه السلام (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) لا يفهم
 السؤال لاني أسأله عن شئ وهو يجيبني عن آخر وأسند فرعون الرسول الى من حوله تكسبراعن ان يكون
 مرسل الى نفسه وسماه رسولا بطريق الاستهزاء (قال) موسى (رب المشرق والمغرب وما بينهما) أى
 هو خالق موضع طلوع الشمس وغروبها ووقتها وما بينهما ما فتشاهدون في كل يوم انه يأتي بالشمس من
 المشرق الى المغرب على وجه نافع تنظم به أمور الكائنات وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم
 حكيم (ان كنتم تعقلون) أى ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب فوق ذلك وان الامر كما قلته (قال)
 فرعون لموسى عليه السلام لما عجز عن الطبع (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) أى
 لاجعلنك واحدا من من عرفت حالهم في سجون وكان من عادة اللعين ان يأخذ من يريد أن يسجنه
 فيطره في بئر عميقة فردا لا يبصر فيها ولا يسمع حتى يموت فكان ذلك أشد من القتل ولذلك لم يقل تعالى
 لا سجننك لانه لا يفيد الا صيرته معجونا وروى ان اللعين يفرغ من موسى فزعاشد يدا حتى كان لا يعسك
 بوله (قال) موسى له (أولو جنتك بشئ مبين) أى أتفعل بي ذلك ولو جنتك بأمرين في باب الدلالة
 على وجود الله تعالى وعلى انى رسوله أى وهل تستحيز أن تسجننى مع اقتدارى على أن آتيك بالمعجزات
 الدالة على صدق دعواى (قال) فرعون له (فأتبه) أى بذلك الشئ (ان كنت من الصادقين)
 في دعوى الرسالة وفي ان لك برها ناو اغما أمره عليه السلام فرعون بالاثبات بالشئ الموضح لصدق دعواه
 عليه السلام لظنه انه يقدر على معارضته ولطمعه في ان يجمده موضعا للافكار (فألقى عصاه) قال ابن عباس
 عصا موسى ابها ما شاو قيل نبعة (فاذا هى ثعبان ممين) أى حية عظيمة صفراء ذكر تبين للناظرين انه
 ثعبان بحركاته وبسائر العلامات وليس يتمويه كما يفعل السحرة (وزع يده) من ابطه (فاذا هى
 بيضاء للناظرين) تضي الوادى من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس تعجب
 الناظرين اليها قيل لما رأى فرعون الآية الاولى قال هل لك غير هذا فأخرج موسى يده فقال لفرعون ما هذه
 فقال فرعون يدك فافيهما فادخلها في ابطه ثم زعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق فعند
 هذا أراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر أمور ثلاثة (قال) للأحوله ان هذا الرسول (لساحر
 عليم) أى حاذق بالسحر فان الزمان كان زمن السحرة وكان عند كثير منهم ان الساحر قد يجوز ان ينتهى
 بسحره الى هذا الحد فلهذا روج فرعون عليهم هذا القول (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) أى يريد هذا
 الرجل ان يخرجكم من مصر بما يلقيه بينكم من العداوات فيفرق جمعكم وهذا يجرى مجرى التنفير عن

موسى عليه السلام فان مفارقة الوطن أصعب الامور فنفروهم عنه بذلك (فماذا تأمرون) أى فأى شئ
 تأمروننى به فى شأنه فأتى متبع لرايكم ومنقاد لقولكم ومثل هذا الكلام يوجب انصراف القلوب عن
 العدو فعنده هذه الكلمات اتفقوا على جواب واحد (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر مناظرتهما لوقت
 اجتماع السحرة وقيل احبسهما ولا تقتلها لما روى أن فرعون أراد قتلها ما ولم يصل اليهما فقالوا له
 لا تفعل فانك ان قتلتهما ما أدخلت على الناس شبهة فى الدين ولكن أخر أمرهما الى ان تجمع السحرة
 ليقاوموهما فلا يثبت لهما حجة عليك وقرأ قالون أرجه بغير همز وباختلاس كسرة الهاء وورش والكسائي
 بأشباع كسرة الهاء وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وبصلة الهاء المضمومة وأبو عمرو وبضم
 الهاء مع الاختلاس وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء مع الاختلاس وعاصم وحزرة بغير همز واسكان
 الهاء (وابعث فى المدائن حائرين) أى أنفذ الى مدائن الساحرين شرطاً يحشرهم وذلك لظنهم اذا كثرت
 السحرة غلبوا موسى عليه السلام وكشفوا حاله (يا قول) أى الحائشرون (بكل سمحار عليم) أى
 فائق فى فن السحر على موسى (فجمع السحرة لىقات يوم معلوم) أى فى زمان يوم معروف وفى مكان
 معروف وعن ابن عباس وافق يوم السبت من أول يوم النسيرو زوهو أول سنتهم وعن ابن عباس قال
 كانت السحرة سبعين رجلاً ومعهم ابن اسحق رؤساهم سبأورا وفادور وخطط ومصفى وشمعون وعن
 ابن جرير كان اجتماعهم بالاسكندرية (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا تتبع السحرة ان كانوا هم
 الغالبين) والاستتغهام للعث للناس على المبادرة الى الاجتماع والترجى للغلبة لالاتباع السحرة لانه
 مقطوع به عندهم أى أحضروا وتشاهدوا ما يكون من الجانبين فاننا ترجوا أن يكون الغلبة للسحرة فنتبعهم
 لا نتبع موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لاجراً) أى جزءاً من المال والجاه (ان كنا
 نحن الغالبين) على موسى فبذل فرعون لهم البذل والمنزلة (قال) فرعون (نعم) أى لكم الاجرة على
 حملكم السحر (وانكم اذا) أى اذ كنتم غالبين (لن المقربين) عندي فى الدخول على تكونون
 أول من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرأ الكسائي نعم بكسر العين (قال لهم موسى) مرید الابطال
 سحرهم لانه لا يمكن منه الا بالقائمهم (ألقوا ما أنتم ملقون) وهذاتهم ديد أى ان فعلتم ذلك أتينا بما
 نبطله (ألقوا حب الهم وعصيتهم) اثنين وسبعين حبلاً واثنين وسبعين عصاً (وقالوا) أى السحرة
 عند الالتقاء نقسم (بعزة فرعون اننا نحن الغالبون) على موسى (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف
 ما يأتون) أى تبتلع بسرعة ما يغيرونه عن حاله الاول من الجمادية الى كونه حية تسعى روءى عن
 ابن عباس كانت حب الهم مطلية بالزئبق وعصيتهم مجوفة مملوءة من الزئبق فلما حيت اشتدت حركتها
 فصارت كأنها حيات تدب من كل جانب من الارض فألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ثم فتحت
 فاهها فابتلعت كل مارموه من حب الهم وعصيتهم حتى أكلت الكل ثم أخذ موسى عصاه فاذا هى كما كانت فلما
 رأت السحرة ذلك قالوا لفرعون كننا ساحر الناس فاذا غلبناهم بقيت الحبال والعصى وكذلك ان غلبونا
 ولكن هذا حق (فألقى السحرة ساجدين) أى سقطوا على الارض ساجدين عقب ما شاهدوا ذلك من
 غير تلغثم اعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهى قد ظهر على يد موسى عليه الصلاة
 والسلام لتصديقه (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) عطف ببيان لرب العالمين لان فرعون
 كان يدعى الربوبية فأرادوا عزله وانما أسندوا الرب الى موسى وهرون لانهم اللذان دعواهم اليه (قال)
 أى فرعون للسحرة (آمنتكم قبل أن آذن لكم) أى آمنتكم لموسى بغير أن آذن لكم (انه لكبيركم

الذي علمكم السحر) أي ان موسى علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم فانكم فعلتم ذلك عن موافقة بينكم وبين موسى وقصرتم في السحر لتظهروا أمر موسى والافق قوة السحرة أن يفعلوا مثل ما فعل موسى عليه السلام وهذه شبهة قوية في تنفير من يقبل قوله عليه السلام (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولا صلبنكم أجمعين) على شاطئ نهر مصر وهذا تهديد شديد وليس في الا هلاك أقوى من ذلك وليس في الآية ان فرعون فعل ذلك أو لم يفعل (قالوا) أي السحرة (لا ضير) أي لا ضرر في ذلك علينا (انا إلى ربنا منقلبون) ومقصودهم بالايمان محض الوصول الى مرضاته تعالى والاستغراق في أنوار معرفته وهذا أعلى درجات الصديقين (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) فانا إلى ربنا وانا نطمع كلاهما تعليل لعدم الضرر وان كنا تعليل لطمع غفران الخطايا أي لا ضرر علينا في قتلك ايانا لاننا نرجو أن يغفر لنا ربنا شر كنا لكوننا أول المؤمنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف من رعية فرعون وقرئ ان كنا بالاكسر على الشرط على طريقة قول المدل كقول العامل لمستأجر يؤخر أجرته ان كنت عملت لك فوفني حق (وأوحينا إلى موسى) بعد ثلاثين سنة (أن أمر بعبادي) من آمن بك من بني اسرائيل وقرأنا فاع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة والباقيون بسكون النون وقطع الهمزة وقرئ أن سرفان حرف تفسير (انكم متبعون) تعليل للأمر بالا سرا أي لانه يتبعكم فرعون وجنوده فلا يدركوكم قبل وصولكم الى البحر ثم ان قوم موسى قالوا القوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر قال القرطبي نخرج موسى عليه الصلاة والسلام ببني اسرائيل محمرا فترك الطريق الى الشام على يساره وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بني اسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول هكذا أمرت فلما أصبح فرعون وعلم يسرى موسى ببني اسرائيل خرج في أثرهم وبعث الى مدائن مصر لتلقه العساكر وقوى نفسه ونفس أصحابه بأن وصف قوم موسى بوصفين من أوصاف الذم ووصف قوم نفسه بصفة المدح وذلك قوله تعالى (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) أي شرطا جامعين للعساكر لية تبعوهم قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية وقال لهم (ان هؤلاء) أي بني اسرائيل (لشرذمة قليلون) أي لطائفة قليلة وكانوا ستمائة ألف مقاتل ليس فيهم من دون عشرين ولا من يبلغ ستين سوى الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه أولا رادة ذلتهم اذ روى أنه أرسل في أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور ومع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث وروى ان فرعون خرج على حصان أدهم وفي عسكره على لون فرسه ثلاثمائة ألف (وانهم لنا الغاثظون) أي لفاعلون أفعالا تضيق صدورنا حيث خالفوا ديننا وذهبوا باموالنا التي استعاروها وخرجوا من أرضنا بغير اذتنا (وانا الجياع حاذرون) أي لجماعة يستعملون الحزم في الامور وقرأ ابن ذكوان والكوفيون بألف بعد الحاء أي شاكون السلاح وقرئ حاذرون بالذال المهملة أي أقوياء أشداء (فأخرجناهم) أي جعلنا في قلوب فرعون وقومه داعية الخروج (من جنات) أي بساتين من اسوان الى رشيد (وعيون) أي أنهار جارية في البساتين والدور (وكنوز) أي أموال وسميت كنوز لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب (ومقام كريم) أي منازل

حسنة قيل كان فرعون اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها
 الاشراف من قومه والامراء وعليهم اقبية الديباج مرصعة بالذهب (كذلك) وهو مصدر تشبيهي
 أي أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه أو وصف لمقام أي وأخرجناهم من مقام كريم مثل ذلك
 المقام الذي كان لهم أو خبر مبتدأ محذوف أي أخرجنا كما وصفنا (وأورثناها بني اسرائيل) أي جعلناهم
 متملكين لتلك النعم بعد هلاك فرعون وقومه (فأتبعوهم مشرقين) أي جعلوا أنفسهم تابعة لبني
 اسرائيل وقت طلوع الشمس وقرى فأتبعوهم أي فلقوهم داخلين في وقت الشروق (فلما تراءى
 الجمعان) أي رأى كل واحد من جمع موسى وجمع فرعون الآخر وقرى تراءت الفئتان (قال أصحاب
 موسى) بنو اسرائيل وغيرهم (اننا لمدركون) أي المحققون وقرى لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء أي
 لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد (قال) موسى لهم (كلا) أي اردعوا عن ذلك التوهم
 أو حقايدركونا لان الله وعدنا الخلاص منهم (ان معي ربي) بالنصرة (سيهدين) أي يدلني على
 طريق النجاة منهم البتة روى ان رجلا مؤمنا من آل فرعون يكتن ايمانه كان بين يدي موسى عليه السلام
 فقال يا كلم الله أين أمرت قال ههنا فرك فرسه بلجامة حتى طار الزبد من شدقه ثم أحجمه البحر فارتسب في
 الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدر واقرأ وحى الله اليه بضرب البحر بعصاه فاذا الرجل واقف على
 فرسه ولم يبتل سرجه وذلك قوله تعالى (فأرحيننا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) فضر به (فانطلق)
 أي انشق بقدره الله تعالى فصارا اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك (فكان كل فرق) حاصل
 بالانفلاق (كالطود العظيم) أي كالجبل المرتفع في السماء فدخلوا في شعاب تلك الفرق كل سبط في
 شعب منها فقال كل سبط قتل أصحابنا فعند ذلك دعا موسى ربه فجعل في تلك الجدران المائية مناظر
 كالنكوى حتى نظر بعضهم الى بعض على أرض يابسة (وأزلقناهم الآخرين) أي قربنا في موضع
 انفلاق البحر قوم فرعون حتى دخلوا عقب قوم موسى مداخلهم وعن عطاء بن السائب ان جبريل عليه
 السلام كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليحقق آخركم بأولكم ويقول للقبض
 رويدكم ليحقق آخركم أولكم وقيل وقربناهم الى الموت لانهم قربوا من أجلهم في ذلك الوقت وقيل المعنى
 وحسبنا فرعون وقومه في الضيابة عند طلبهم موسى بأن أظلمنا عليهم الدنيا بسحابة وقفت عليهم فوققوا
 حيارى وقرى وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم (وأنجينا موسى ومن معه) من
 قومه وغيرهم (أجمعين) بحفظ البحر على انفلاقه اثني عشر فرقة الى ان عبروا الى البر (ثم أغرقنا
 الآخرين) باطباق البحر عليهم لما تكامل دخولهم البحر فبقيل هذا البحر بجر القلزم وقيل بجر اساق وهو
 بحر وراء مصر (ان في ذلك) أي الذي حدث في البحر (آية) أي عبرة عجيبة دالة على قدرته تعالى
 وذلك ان الله تعالى أراد ان تكون الآية متعلقة بفعل موسى والافضرب العصا ليس بفارق البحر ولا معينا
 على ذلك بذاته بل بما اقترن به من اختراع الله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) فكان زائدة على رأى
 سبيويه أي وما أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش مؤمنين لانهم
 لا يتدبرون في حكاية صلى الله عليه وسلم لقصتهم من غير ان يسمعونها من أحد ويجوز ان يجعل كان بمعنى
 صار أي وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة للايمان (وان ربك) يا أكرم
 الرسل (لهو العزيز الرحيم) أي لهو القادر على اهلاك المكذبين اياك بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة
 من طريق الوحي وهو المبالغ في رحمة عباده ولذلك لا يجعل عقوبتهم بعدم ايمانهم مع كمال استحقاقهم لذلك

(واتل عليهم) أى كفار مكة (نبأ إبراهيم) والفعل معطوف على الفعل المقدّر العامل فى اذنادى الخ
(اذقال لآبيه) آزر (وقومه) ليريهـم أن ما يعبدونه ليس من يستحق العبادة فى شئ فاذنطرف للنبا
(ما تعبدون) أى شئ تعبدونه (قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفا) أى فنصير مدين على عبادتها
واغاذ كروا هذه الزيادة اظهارا لما فى نفوسهم من الابتهاج بعبادة الأصنام (قال) إبراهيم منبها على
فساد مذهبه (هل يسمعونكم اذ تدعون) أى هل يسمعون دعاءكم حين دعوتهم وهل يحييونه وقرئ
هل يسمعونكم بضم الياء وكسر الميم أى هل يسمعونكم جوابا عن دعائكم (أو ينفعونكم) فى معاشكم
بسبب عبادتكم لها (أو يضرون) فى معاشكم بتركم لعبادتها اذ لا بد للعبادة من جلب نفع أو دفع
ضرر (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) أى فعند هذه الحجة القوية لم يجد أبوه وقومه ما يدفعون به
هذه الحجة فعدلوا الى قوتهم ما علمناه منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا يعبدون مثل عبادتنا فاقنديننا
بهم وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وعلى وجوب الاستدلال (قال) إبراهيم (أفأنتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) أى أنما كنتم تعلمتم ما كنتم تعبدونه حق العلم أو أخبروني ما كنتم
تعبدون هل هو حقيق بالعبادة أولا وهذا استهزاء بعبدة الأصنام (فأنهم عدولى الا رب العالمين)
فالاستغناء امامنا قطع فالمعنى فاعلموا ان معبودكم عدولى لا أعبدكم لكن رب العالمين فاعبدوه أو متصل
فالمعنى فان كل معبود عدولى الا رب العالمين فانه ليس بعدوى بل هو ولى ومعبودى وصور سيدنا إبراهيم
الامر فى نفسه تعريضا بهـم فالمعنى انى تفكرت فى امرى قرأيت عبادتى للأصنام عبادة للعدولان من
يغرى على عبادتها هو الشيطان فانه أعدى عدو الانسان فاجتنبها وأراهـم سيدنا إبراهيم ان تلك الكلمة
نصيحة نصيح بها نفسه فذا تفكروا قالوا ما نهضنا إبراهيم الا بما نصيح به نفسه فيكون ذلك أدعى للقبول
وأبعث الى الاستماع منه (الذى خلقنى) من النطفة على هيئة التصوير (فهو يهدين) الى مصالح
الدين والدنيا بضروب الهدايات فى كل لحظة ولحمة (والذى هو يطعمنى ويسقنى) أى يرزقنى بكل
منافع الرزق (واذا مرضت فهو يشفين) وأكثر أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان فى
مطامعه ومشاربه وغير ذلك (والذى يميتنى) فى الدنيا بقبض روى (ثم يحيين) يوم القيامة للعجائز
(والذى أطعم أن يغفر لى خطيئتى) بترك الاول (يوم الدين) أى الجزاء روى ان عائشة قالت قلت
يا رسول الله ان ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويظم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه لانه لم
يقبل يوم ارب اغفر لى خطيئتى يوم الدين واستغفارا لانيما تواضع منهم لىهم وتعليم لا مهم ليكونوا على حذر
ثم ذكر الله تعالى مناجاة سيدنا إبراهيم بقوله (رب هب لى حكما) أى كما لا فى العمل (والحقنى بالصالحين)
أى بالانبياء المرسلين فى درجات الجنة أى اجمع بينى وبينهم فى الجنة (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين)
أى اجعل لى جاها وذكرا جميلا باقيا الى يوم الدين فان من صار محدوحا بين الناس بسبب ما عنده من
الفضائل يصير داعيا لغيره أو اكتساب مثل تلك الفضائل فيكون له مثل أجورهم أو اجعل من ذريتى
فى آخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى وقد أجاب الله دعاءه فاما من أمة الا وهى تثنى عليه وجعله الله
شجرة فرع الله منها الانبياء (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى اجعلنى بعض الذين يرثون جنة النعيم
وهذا اشارة الى ان الجنة لا تنال الا بكرمه تعالى (واغفر لى) أى اهده الى الايمان (انه كان من
الضالين) من طريق الحق (ولا تخزنى يوم يبعثون) أى ولا تجعلنى من الذالين ولا من المستحيين يوم
يبعث العباد من القبور فخزى كل واحد على حسب مقامه فان حسنات الابراسيثات المقربين كما ان

درجات الأبرار دركات المقربين (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فيوم بدل من يوم قبله والامن أتى مفعول لينفع أي لا ينفع مال وان كان مصر وفا في الدنيا إلى وجوه الخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء إلا أحدا سلم قلبه عن الكفر والاخلق الرذيلة فينفعه ماله الذي أنفقه في الخير وولده الصالح بدعائه وأما الذنوب فلا يسلم منها أحد (وأزلفت الجنة للمتقين) أي ويوم قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها (وبرزت الجحيم للغاوين) أي ويوم جعلت النار ظاهرة للضالين عن طريق الإيمان والتقوى بحيث يرونها مع ما فيها فيمتحرون على أنهم المسوقون إليها (وقيل لهم) على سبيل التوبيخ (أين ما كنتم تعبدون من دون الله) أي أين ألهمتكم الذين كنتم ترمعون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف (هل ينصرونكم) يدفع عذاب الله عنكم (أو ينتصرون) أي أو ينفعون أنفسهم بامتناعهم من العذاب فانهم وألهمتهم وقود النار وهو قوله تعالى (فكم يكبوا فيهاهم والغاؤون وجنود إبليس أجمعون) أي فألقى في الجحيم الأصنام والذين عبدوها والذين أضلوههم على وجوههم مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قعرها فيجتمعون في العذاب لاجتماعهم فيما يوجبهم (قالوا) أي العابدون معترفون بخطيئتهم في انهماكهم في الضلالة (وهم فيها يحتصمون) أي والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصاص مع من معهم (تالله ان كنا لفي ضلال مبين) وهذا معمول لقالوا جملة وهم فيها الخ في محل نصب على الحال وان تحفة من النقيضة قد حذق اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية أي ان الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه (اذن سويكم رب العالمين) ظرف لكونهم في ضلال مبين أي تالله لقد كنا في ضالة الضلال الفاحش وقت تسويتنا يا أيها الأصنام رب العالمين الذي أنتم أذل مخلوقاته في استحقاق العبادة (وما أضلنا إلا الجرمون) أي الذين دعونا إلى عبادة الأصنام من رؤسائنا وكبرائنا (فما لنا من شافعين) كما ترى المؤمنين ان لهم شفعا من الملائكة والنبيين (ولا صديق حميم) أي خالص مع موافقة الدين كما ترى أن المؤمنين أصدقاؤه لانه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فيبينهم التصادق والتباغض وفي بعض الأخبار يجي يوم القيامة عبيد يحاسب فيستوى حسناته وسيئاته فيقول الله تعالى عبيدي بقيت لك حسنة ان كنت ترى ان أدخلك الجنة انظر واطلب من الناس لعل واحد ايهب منك حسنة واحدة فيأتي العبد في الصفوف ويطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه فلا يجيبه أحد وكل يقول له أنا اليوم مفتقر إلى حسنة واحدة فيرجع إلى مكانه فيسأله الله تعالى ويقول ماذا جئت به فيقول يا رب لم يعطني أحد حسنة واحدة من حسناته فيقول الله تعالى يا عبيدي ألم يكن لك صديق في فذلكر العبد ويقول فلان كان صديقي فيدله الله عليه فيأتيه فيكلمه في حاجته فيقول بلى لي عبادات كثيرة اقبلها مني فقد وهبتها منك فيجبي هذا العبد إلى موضعه ويخبر بذلك ربه فيقول الله تعالى قد قبلتها مني ولم أنقص من حقها شيئا وقد غفرت لك وله (فلو أن لنا كرة) أي فليت لنا رجعة إلى الدنيا (فنسكون من المؤمنين) منصوب في جواب التمني (ان في ذلك) أي فيما ذكر من نبي إبراهيم المشتمل على بيان بطلان ما عليه أهل مكة من عبادة الأصنام (لآية) أي لعظة لمن أراد أن يعتبر وحجة لمن أراد أن يستبصر بها (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي وما أكثر هؤلاء الذين نتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على الكفر والضلال (وان ربك هو العزيز الرحيم) أي هو القادر على تهجير العقوبة لقومك ولكنه يهملهم بحكم رحمته الواسعة (ايؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم) (كذبت قوم نوح المرسلين) بتكذيبهم نوحا فن كذب واحد امن

الرسول فقد كذب الكل لان الاخير جاء بما جاء به الاول من التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة (اذ قال لهم أخوهم) في النسب (نوح ألا تتقون) الله حيث تعبدون غيره (اني أنكم رسول) من الله تعالى (أمين) أي مشهور بالامانة فيما بينكم فكيف تتهموني اليوم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه من أجر) أي وما أسألكم على هذا النصع أجرة (ان أجرى) أي ما ثوابي في دماي لكم (الاعلى رب العالمين) وقرأ نافع وأبو عمرو وابن طارو وحفص بفتح الياء في أجرى في المواضع الخمسة في هذه السورة والباقيون بالسكون (فاتقوا الله وأطيعون) أي اتبعوا وصيتي وكررا الامر بالتقوى لان المعنى في الاول ألا تتقون مخالفتي وأنا رسول الله وفي الثاني ألا تتقون مخالفتي ولست آخذ منكم أجرة فلا تكرار فيه لان المعنى مختلف (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) والواو للحال أي أنصدقك يا نوح لاجل قولك هذا والحال انه قد اتبعك فقراء الناس وضعفاؤهم من النسب قليل هم من أهل الصناعات الخمسة كالخجامة والحياكة وقرأ يعقوب واتباعك الارذلون فهو مبتدأ وخبر والجملة حال والاتباع جمع تابع أو تبع كاشهادوا بطل (قال) نوح (وما على بما كانوا يعملون) وهذا جواب عما أشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر واخلاص عمل وانما آمنوا بالهوى والطمع في العزة والمال وكان زائدة أي ما وظيفتي الاعتبار الظواهر دون التفتيش عن بواطنهم ولم أكلف العلم بأعمالهم وانما كلفت أن أدعوهم الى الايمان فلا اعتبار بالايمان لا بالصنائع (ان حسابهم الاعلى ربي) أي ما محاسبة أعمالهم وبواطنهم الاعلى ربي فانه مطلع على السرائر (لوتشعرون) أي لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم (وما أنا بطارد المؤمنين) بأن لا أقبل الايمان منهم للطمع في ايمانكم (ان أنا الاغنياء منكم) أي ما انا الامبعوث لانذاركم بالبرهان الواضح ولزجر المكففين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء أو من الاراذل وقد فعلت وليس على استرضاء بعضكم بطرد الفقراء لاجل اتباع الاغنياء (قالوا ان لم تنته يا نوح) عن مقاتلتك (لتكونن من المرجومين) أي من المقتولين كما قتلنا من آمن بك من الغريباء وقال السكبي ومقاتل أي من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك أي من المشتمين (قال) نوح عند حصول اليأس من فلاحهم شاكيا الى الله تعالى (رب ان قومي كاذبون) في الرسالة وقتلوا من آمن بي من الغريباء (فاتق بيني وبينهم فتحا) أي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وافتح بابا من أبواب عدلك على مستحقه بأن تنزل العقوبة بهم وبابا من أبواب فضلك على مستحقه (ونجني ومن معي من المؤمنين) مما تعذب به الكافرين وكان المؤمنون ثمانين اربعين من الرجال وأربعين من النساء (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) أي حال كونهم في السفينة الموقرة بالناس والحيوان والطير وبما لا بد لهم منه (ثم أغرقنا بعد الباقين) أي أغرقنا بعد ركوب نوح والمؤمنين على السفينة الباقين على الارض من قومه (ان في ذلك) أي الانجاء والاهلاك (آية) أي عبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ما أكثر هؤلاء الذين همواقصتهم من النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنين (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي لهو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم لانه رحيم ذو حكمه (كذبت عاد المرسلين) أي كذبت قوم هود هودا واثار الرسل الذين ذكرهم هود فعاد اسم قبيلة هود هيت باسم أبيها الاعلى وكان من نسل سام ابن نوح (اذ قال لهم أخوهم) في النسب نبينهم (هود ألا تتقون) الله فتفعلون ما تفعلون (اني لكم رسول أمين) على الرسالة (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمرتكم به من الايمان والتوبة (وما أسألكم

عليه) أى الدعاء الى التوحيد (من أجران أجرى الاعلى رب العالمين) وكان هود تاجرا جميل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر أربع مائة وأربعين سنة (أتبنون بكل ربيع آية تعبتون) أى أتبنون بكل مكان مرتفع علامة تعبتون فيها عن عير بكم وقيل انهم كانوا يبنون فى الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخرا (وتتخذون مصانع) أى حياضنا تجمعون فيها ماء المطر فهى من نوع الصهاريج وقيل القصور (لعلكم تخلصون) أى مؤمنين أن تخلصوا فى الدنيا لانكاركم البعث فلعل للترجى وهو للتعويض وقيل للتعليل ويؤيده قراءة عبد الله كى تخلصون وقيل معناها التشبيه ويؤيده ما فى مصحف أبى كانكم تخلصون وقرئ ~~كانكم~~ خالدون وقرئ تخلصون بضم التاء مع تخفيف اللام وتشديد ها (واذا بطشتم بطشتم جبارين) أى اذا أخذتم بالعقوبة على أحد بأن ضربتم أحدا بسوط أو قتلتم بالسيف فعلمتم فعل الغاشمين بل أرفق ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة والحاصل أنهم أحبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وكل ذلك ينبى على أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وعنوان كل معصية (فاتقوا الله) بترك هذه الافعال (وأطيعون) فيما أَدْعَوْكُمْ اليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمركم بما تعلمون) أى واخشوا الذى أعطاكم ما لا خفاء فيه عليكم من أنواع النعم الحاصلة لكم ثم بين هود عليه السلام ما أعطاهم الله تعالى فقال (أمركم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فأنتم تنتفعون بذلك كله فلا تغفلوا عن تقييده بالشكر (انى أخاف عليكم) ان لم تقوموا بشكر هذه النعم (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فان كفران النعم مستتبمع للعذاب (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فأنال نرجع عما نحن فيه لاجل وعظك ايانا (ان هذا الاخلق الاولين) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزرة بضم الحاء واللام أى ما هذا الذى جئتنا به من الكذب الاعداد الاولين كانوا يسطرونه أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين الاعداد آباءنا الاولين يدينون به ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الموت والحياة والبلاء والعافية ومن اعتقاد ان لا بعث ولا حساب ولا جزاء الاعداد قديعة لم يرل الناس عليهم من قديم الدهر وقرأ الباقون بفتح الحاء وسكون اللام أى ما هذا الذى جئت به الا كذب الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلق الامم الماضية نحيي كحياتهم وغوت كماتهم ولا بعث ولا حساب (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه من الالهال كما تقول (فكذبوه) فى وعيده لهم بالعذاب (فاهلكناهم) بريح باردة شديدة الصوت (ان فى ذلك) الاهلاك (لاية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى وما صار أكثرهم هؤلاء الذين معوا قستهم من قوم محمد صلى الله عليه وسلم (مؤمنين وان ربك لهو العزيز) أى الغالب على ما يريد من انتقام المكذبين (الرحيم) أى المبالغ فى الرحمة ولذلك يعاملهم بعدم ايمانهم لحكمة يعلمها (كذبت عمود المرسلين) أى كذبت جماعة صالح الحافظ لعمود اسم قبيلة صالح سميت باسم أبيها وهو عمود جد صالح وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (اذ قال لهم أخوهم) فى نسب نبىهم (صالح ألا تنتقون) الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) فى جميع ما أرسلت به اليكم منه (فاتقوا الله وأطيعون) أى اتبعوا دينى وأمرى (وما أسألكم عليه) أى على ما جئتمكم به (من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) وليعلم كافة الناس ان من عمل لله لا ينبغى ان يطلب من غير الله وينبغى للعلماء أن يتأدبوا بآداب الانبياء فلا يطلبوا من الناس شيئا فى بث علومهم ولا ينتفعوا منهم بالتدكير لهم ومن انتفع من المستمعين من الدين فلا بركة فيما يأخذ منهم (أتركون فيما ههنا آمنين) أى أتركون انكم تتركون فى الدنيا آمنين من العذاب وانه لا دار للمعجزات أى لا ينبغى لكم أن تعتقدوا

أنكم تتقلبون في النعم التي في دياركم آمنين من الزوال والعذاب فلا تطمعوا في ذلك ثم فسر ذلك المكان بقوله (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) أي لطيف لين والطلع ثمر النخل في أول ما يطلع ويعدده يسمى خللا ثم بلها ثم بسرا ثم رطباً ثم تمر (وتختون من الجبال بيوتاً فارحين) وقرأ ابن عامر والكوفيون بالفاء بعد الفاء أي ماهرين في العمل ويعملون بنشاط وطيب قلب وقرأ الباقر بن غير ألف أي متكبرين لا الحاجة فالغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهي طلب الماء ~~كول~~ والمشروب والمساكن الطيبة وأما الغالب على قوم هود فهو اللذات الحسية وهي طلب الاستعلاء والتجبر (فأتقوا الله وأطيعون) في كل ما أمرتكم به (ولا تطيعوا أمر المسرفين) أي المستكثرين من لذات الدنيا وشهواتها بل اكتفوا واقتصروا منها بقدر الكفاف (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وهذا بيان أن فسادهم فساد خالص ليس معه شيء من الإصلاح فإن حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الإصلاح (قالوا إنما أنت من المسكرين) أي من يأكلون الطعام ويشربون الشراب كما قال الفراء المسكر من له خوف (ما أنت إلا بشر مثلهنا) فكيف تكون نبياً (فأت بآية) أي بعلمة تدل على صدقك (إن كنت من الصادقين) في دعوائك أنك رسول الله فإنا نقول لهم صالح ما تريدون قالوا لا يدناقة عشرة يخرج من هذه العنزة فتلدس قباً فأخذ صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة فـعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونجت سقياً مثلها في العظم وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه رأيت مبركها فإذا هوستون ذراعاً في ستين ذراعاً (قال) لهم صالح (هذه ناقة) دالة على نبوت آخر جهاري من العنزة كما اقترحت (لها شرب) أي نصيب من الماء تشرب منه يوماً (ولكم شرب يوم معلوم) أي ولكم نصيب من الماء تشربون منه يوماً ولا تراحموا على شربها (ولا تمسوها بسوا) كضرب وعقر (فأخذكم عذاب يوم عظيم ففقروها) روى أن مصداً لجأها إلى مضيق فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها بقدر السيف في ساقها قال مقاتل وغيره فخرج في أبدانهم خراج مثل الحص فكان في اليوم الأول أحمر ثم صار في الغداة أصفر ثم صار في الثالث أسود وكان عقر الناقة يوم الأربعاء وهلاكهم يوم الأحد انفقعت فيه تلك الخراجات وصاح عليهم جبريل صيحة فأتوا بالأميرين وكان ذلك فحوة (فأصبحوا نادمين) أي فصاروا نادمين على قتلها ندم الحائثين من العذاب العاجل أو ندم التائبين عند معاناة العذاب فلم ينفعهم الندم (فأخذهم العذاب) الموعود على عقربها (إن في ذلك) أي في أخذهم بالعذاب (آية) أي لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أي أكثر هؤلاء الذين سمعوا القصة من قريش (مؤمنين وإن ربك لهم العزيز الرحيم) حيث لا يعاجلهم بالعذاب (كذبت قوم لوط المرسلين) فن كذب رسولاً فقد كذب الكل (أذ قال لهم أخوهم) في البلد لا في النسب نبينهم (وط) فإن لوطاً بن أخي إبراهيم وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فلو ط كان مجاوراً لهم في قريتهم (ألا تتقون) عبادة غير الله إني لكم رسول من الله (أمين) على الرسالة (فأتقوا الله) فيما أمرتكم به (وأطيعون) أي اتبعوا أمري (وما أسألكم عليه) أي الداء إلى الله تعالى (من أجراً أجرى الأهل رب العالمين) أي جامع الخلق ومربيهم (أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كون النساء أليق بالاستمتاع) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم أي وتتركون أنثى بأباحها لكم ربكم هي أزواجكم لأجل استمتاعكم أو وتركون فروجاً أحل لكم ربكم حال كونها بعض أزواجكم (بل أنتم قوم هادون) أي متجاوزون الحد في جميع المعاصي بإتيانكم هذه الفاحشة أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدتم

على سائر الحيوانات (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن تقبيل امرنا (لتكونن من المخرجين) أى من جملة من
أخرجناه من بلدنا سدوم (قال) لوط (انى لعملكم من القالين) أى انى لعملكم الحبيث لم بغض
من المبغضين غاية البغض فلا أقف عن الانكار عليه بالابعاد عنكم ثم توجه لوط الى الله تعالى قائل (رب
نجني وأهلى عما يعملون) أى من شؤم عملهم (فنجيناهم وأهلهم) أى بنتيه وامراته المؤمنة ومن اتبعه فى الدين
(أجمعين) مما عذبناهم به باخراجهم من بينهم عند قرب حلول العذاب بهم (الاعجوزا) هى امرأة
لوط المنافقة (فى الغارين) أى الاعجوزا مقدر كونها من الباقيين فى العذاب لانها كانت راضية بفعل
القوم وقد أصابهم الحجر فى الطريق (ثم دمرنا الآخرين) أى أهل الكا المتأخر عن اتباع لوط بقلب قراهم
عليهم وجعل أعلاها سافلها (وأمطرنا عليهم) أى على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره
(مطرا) غير معتاد بحجارة من السماء فأهلكهم (فساء مطر المذيرين) أى فبئس مطر جنس المذيرين
مطر قوم لوط بالحجارة (ان فى ذلك) أى فيما فعلنا بهم (آية) أى دلالة على عزة الله وعظمته (وما كان
أكثرهم) أى أكثر من تلوث عليهم القصة (مؤمنين) فان أكثر الخلق لثام وكرامهم قليلون كما قال الشاعر
تعبنا نأقليل عدينا * فقلت لها ان لكريم قليل (وان ربك له العزيز الرحيم) فلا يهتدى الى
عديم النظير الا ذل ولا يهتدى اليه برحمته الفاضلة من كانت همته هالية (كذب أصحاب الايكة المرسلين)
أى كذب أصحاب شجر ملتف بقرب مدين شعيبا وجملة المرسلين وقرأنا نافع وابن كثير وابن عامر فى هذه
السورة وفى ص خاصة ليكة بلام واحدة وفتح التاء وهى غير منصرفة للعلمية والتأنيث واللام جزء
الكلمة وهى اسم لبلدة لأصحاب الحجر وقال أبو عبيدة ان ليكة اسم للثنية التى كانوا عليها والايكة اسم
للبلاد كلها (ان قال لهم) نبيهم (شعيب ألا تتقون) الله الذى تفضل عليكم بنعمه (انى لكم رسول)
من عند الله فهو أمرنى ان أقول لكم ذلك (أمين) لا خيانة عندي (فأتقوا الله) المحسن اليكم بهذه
الغيضة وغيرها (وأطيعون) لما ثبت من نهى لكم (وما أسألكم عليه) أى على دعائى لكم الى
الايان بالله تعالى (من أجران أجرى الاعلى رب العالمين) أى المحسن الى الخلائق كلهم فاقى لا أرجو
أحد اسواه (أو فوا السكيل) أى اتعوه اذا كلمتم للناس كما توفونه اذا أخذتم منهم (ولان تكونوا من
المخسرين) أى الناقصين لحقوق الناس (وزنوا بالقسط المستقيم) أى بالميزان العدل وقرأ حمزة
والكسائى وحفص بكسر القاف والباقون بالضم (ولا تجسوا الناس أشياءهم) أى لا تنقصوا شيئا
من حقوق الناس فى كيل ووزن أو غير ذلك (ولا تعشوا فى الارض مفسدين) ولا تعمموا المعاصى فى
الارض بقطع الطريق والغارة واهلاك الزرع والذهاب الى غير عبادة الله فانهم كانوا يفعلون ذلك (واتقوا
الذى خلقكم والجبلة الاولين) أى الخلائق الماضين الذين كانوا على خلقة عظيمة وطبيعة غليظة
كقوم هود وقوم لوط وقرأ العامة الجبلة على كسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو حصين والاهمش
والحسن بضمهما وتشديد اللام والسلى بفتح الجيم أو كسرهما مع سكن الباء (قالوا انما أنت من المسحرين)
أى المجوفين مثلنا لست بملك (وما أنت الا بشر مثلنا) تأكل وتشرب كما نفعل فلا وجه لتخصيصك
بالرسالة (وان نظنك لمن الكاذبين) فان محفة من الثقيلة واسمها محذوف أى واننا نظنك لمن
الكاذبين فى دعواك انك رسول من الله ثم ان شعيبا كان هدهم بالعذاب ان استمروا على التكذيب
فقالوا (فأسقط علينا كسفا من السماء) أى فأسقط علينا قطعا من السمح (ان كنت من الصادقين)
فى دعواك وقرأ حفص بفتح السين والباقون بالسكون واغماط بواو ذاك لتعصيمهم على التكذيب

واستباعدهم وقوعه فعند ذلك فوض شعيب عليه السلام أمرهم الى الله تعالى (فقال رب اعد لي عما
 تعملون) وبما تستحقون بسببه من العذاب (فمكذبوه) أي أصرروا على تكذيبه بالرسالة (فاخذهم
 عذاب يوم الظلة) وفي اضافة العذاب الى يوم دون الظلة اعلاما بأن لهم يوم مذهب عذابا آخر غير عذاب
 السحاب كما روى ان الله تعالى قنع عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم هم هدة وحواشديا مع
 سكون الريح سبعة أيام بلياليها فأخذ بها ناسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم
 الحرق فجواهرها فأرسل الله تعالى محابة فأظلمت لهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحاً طيبة فنادى بعضهم
 بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهمها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد الملقى
 فصار وارمادا (انه) أي ذلك العذاب (كان عذاب يوم عظيم) في الشدة والهول قال قتادة بعث الله
 شعيبا الى أمتين أصحاب الأيكة وأهل مدين فأهلكك أصحاب الأيكة بالظلة وأهل مدين بصيحة جبريل
 عليه السلام (ان في ذلك) أي فيما فعلنا بهم (آية) أي دلالة واضحة على صدق الرسل (وما كان
 أكثرهم) أي أكثر قومك (مؤمنين) مع أنك قد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لولم يكن لهم معرفة
 بك قبل ذلك فكيف وهم عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة وأغزرهم عقلا
 وأبعدهم عن كل ذي دنس (وان ربك لهو العزيز الرحيم) بالامهال وهذا آخر القصص السبع التي
 ذكرها الله تعالى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له وكل قصة من هذه القصص
 ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من الله تعالى وما كان أكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوا على التفصيل
 قصة بعد قصة بأن لا يعتبر واعيا في كل واحدة منها من الدواهي الى الايمان والزواج عن الكفر والطغيان
 وبأن لا يتأملوا في شأن الآيات السريعة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بأنه صلى الله عليه
 وسلم لم يسمع شيئا منها من أحد أصلا وصاروا كأنهم لم يسمعوا شيئا من جرحهم عن الكفر والضلال واستمروا
 على ذلك (وانه) أي القرآن الذي من جملته هذه القصص (لتنزيل رب العالمين) أي منزل من
 خالق المخلوقين فلا يس بشعر ولا أساطير الاولين ولا غير ذلك مما قالوه فيه (نزل به الروح الامين) قرأ
 نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بن غزاف وخفيف الزاي ورفع الروح والباقون بتشديد الزاي ونصب الروح
 وذكر الله تعالى دليل التنزيل بقوله تعالى نزل به الروح الى آخره فالروح هو جبريل عليه السلام سمى
 بالروح لانه به نجا الخلق في باب الدين فهو كالروح الذي تثبت معه الحياة وبالامين لانه مؤتمن على ما يؤديه
 الى الانبياء عليهم السلام (على قلبك) أي جعل الله تعالى جبريل نازلا بالقرآن على قدر حفظك أي
 فهمك القرآن وأثبتته في قلبك اثباتا لا ينسى وهذا تنبيه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ان
 الاخبار عن هذه القصص عن لم يتعلمها الا يكون الا وحيا من الله تعالى (لتسكون من المنذرين بلسان عربي
 مبين) أي أنزل الله تعالى القرآن لتنذرهم بما فيه من العقوبات الهائلة وكان انزاله بلغة عربية واضحة
 المعنى لئلا يبقى لهم عذر ماله منه لو نزل باللسان الاعجمي لقالوا له صلى الله عليه وسلم ما نضع بما لا نفهمه
 فيتعذر الانذار به وقوله لتسكون متعلق بنزل وكذا قوله بلسان ويجوز ان يكون بدلا من بهو اما جعله متعلقا
 بالمنذرين فيفيد ان غاية الانزال كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين باللغة العربية فقط وهذا لا ينبغي
 فان سبب كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين مجرد انزال القرآن عليه صلى الله عليه وسلم لا انزاله
 بخصوص اللسان العربي والذين أنذروا باللسان العربي خمسة فقط محمد وعيسى وهود وصالح وشعيب
 (وانه لفي زبر الاولين) أي وان معنى القرآن وصفته لفي الكتب المتقدمة فان الله تعالى أخبر في كتب

الاولين عن القرآن وانزاله في آخر الزمان والله تعالى بين اصول معانيه في كتبهم (أو لم يكن لهم آية أن
 يعلمه علماء بني اسرائيل) أي أغفل أهل مكة عن القرآن ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب
 العالمين وانه في زبر الاولين ان يعرفه علماء بني اسرائيل بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل
 عليه وكانوا خمسة أسد وأسد وابن يامين ونعيلة وعبد الله بن سلام فهو لاء الخمسة من علماء اليهود
 وقد حسن اسلامهم قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه
 وسلم فقالوا ان هذا الزمانه وانما نجد نعته في التوراة فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن
 حاتم تكن بالتأنيث ورفع آية على انه اسمها ولهم خبرها وان يعلمه بدل من اسمها أو على انه فاعل لها ولهم
 حال وان يعلمه بدل من الفاعل ولا يجوز أن يكون آية اسمها وان يعلمه خبرها لانه يلزم عليه جعل الاسم نكرة
 والخبر معرفة والباقون يكن بالتذكير ونصب آية على انه خبرها وان يعلمه اسمها (ولو نزلنا على بعض
 الأنبياء من قراء عليهم ما كانوا مؤمنين به مع ان الأنبياء لا يتهم باكتسابه أصلاً فقد الفصاحة فيه
 ولا باختراعه لكونه ليس بلغته افراط عنادهم وشدة شكيتهم في المكابرة (كذلك سلكناه في قلوب
 المجرمين) أي مثل ذلك الادخال أدخلنا القرآن في قلوب كفار مكة ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته من
 حيث النظم المجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على
 البشارة بانزاله وبعثه من أنزل عليه بأوصافه وكيفما فعلهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من
 الإنكار (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) المجيء للإيمان به فيؤمنون حين لا ينفعهم الايمان
 (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) باتيان العذاب (فيقولوا) تأسفاً على ما فات من الايمان (هل نحن
 منظررون) وهو استعظام طمع في المحال وهو ما هالهم بعد مجيء العذاب وهم في الآخرة يعلمون ان لا ملجأ
 لهم لكنهم يذكرون ذلك استرواحاً (أفبعذابنا يستعجلون) أي أياكون حالهم كاذكر من الاستعظار
 عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا في الدنيا بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب
 اليم ونحو ذلك (أفرايت) أي اخبرني أيها المخاطب (ان متعناهم) في الدنيا بطول الاعمال وطيب
 العيش (سنين) متطاولة (ثم جاءهم ما كانوا يعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)
 (وما أهلكنا من قرية) من القرى المهلكة (الا الهامنذرون) أي رسل قد أنذروا أهلها الزاماً للحجة
 (ذكرى) أي لاجل تذكيرهم بالعواقب وهو منصوب على انه مفعول لاجله أو مفعول مطلق منصوب
 بمنذرون لان التذكيرة في معنى الانذار أو منصوب بفعل مقدر هو صفة لمنذرون أي الا لهم انذرون
 يذكرونهم ذكرى ويجوز ان يكون ذكرى مفعولاً له علة لاهلكنا والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية
 ظالمين الا بعد ما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلا كهم عبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل
 عصيانهم (وما كنا ظالمين) فذلك قوم غير ظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) وهذا رد لقول
 الكفار لم لا يجوز ان يكون هذا القرآن من القاء الجن والشياطين الى محمد على لسانه كسائر ما ينزل على
 الكهنة من اخبار السماء (وما ينبئ لهم وما يستطيعون أنهم عن السمع لمعزولون) أي ان الشياطين
 لم يسمعون عن الاستماع للوحى كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة غير مستعدة للقبول ما لا خير فيه
 أصلاً من فنون الشرور قال بعضهم وهذا اشارة الى انه ليس للشياطين استعداد تنزيل القرآن ولا قوة

حملهم ومع فهمه لانهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم
 ألا ترى ان نار الجحيم كيف تستغيث عند مدح المؤمنين عليها وتقول جزياهم ومن فقد أطفأ نورك لهي
 فاذا لم يكن لهم استطاعة على حمل القرآن ولا قوة على سماعه كيف يمكن لهم تنزيله وان وجد فيهم السمع
 الذي هو الادراك لانهم حرموا الفهم المؤدى للاستجابة لما دعوا اليه (فلا تدع مع الله الها آخر) أي
 فلا تعبد مع الله الها غيره (فتكون من المعذنين) قال بعضهم وهذا يشير الى ان طلب غير الله من الدنيا
 والآخرة بتوجه القلب اليه أماراة عذاب الله وهو البعد من الله فمن يكون أبعد من الله يكون عذابه أشد فكل
 طالب شيء يكون قريبا اليه بعيدا عما سواه فطالب الدنيا قريب من الدنيا بعيد عن الآخرة وطالب الآخرة
 قريب من الآخرة بعيد عن الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حسنات البرار سيئات المقربين فالبرار أهل
 الجنة وحسناتهم طلب الجنة والمقربون أهل الله وحسناتهم طلب الله وحده بلا شريك له وهذا الخطاب له
 صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره كما هو شأن الحكيم اذا أراد أن يؤكّد الخطاب لاحد وجهه الى الرؤساء في
 الظاهر ولأنه تعالى أراد ان يتبعه ما يليق بذلك فلهذا أفرد صلى الله عليه وسلم بالخطابة بقوله تعالى (وانذر
 عشيرتلك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب وروى انه صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم
 يا بني عبد مناف اقتدوا أنفسكم من النار فاني لا أغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة
 بنت عمرو ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فاني لا أغني عنكن شيئا وروى
 محمد بن اسحق عن علي رضي الله عنه انه قال لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية دعاني
 فقال يا علي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فاصنع لي صاعا من طعام واجعل عليه رجلا شاة
 واملأ لنا عسما من لبن ثم اجمع بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم اليه
 وهم يومئذ أربعون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي
 صنعت فجلست به فلما وضعته تناول صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي
 الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فأكل القوم حتى شبعوا ثم قال أسق القوم فجلستهم بذلك العس فشربوها حتى
 رووا جميعا فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بآدبه أبو لهب فقال سحركم محمد صاحبكم
 فتفرق القوم فقال يا علي ان هذا الرجل قد سبق الى ما صنعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فأعد
 لنا الطعام مثل ما صنعت ثم أجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقدمته ففعل كما فعل بالأمس
 فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب افي قد جئتكم بخير الدنيا
 والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأياكم يوازي ربي علي أمرى ويكون أخي ووصي وخليفتي فيكم
 فأجمع القوم جميعا عن ذلك الكلام فقلت يا رسول الله أناأكون وزيرك عليه قال علي فأخذ صلى الله عليه
 وسلم برقبتي ثم قال ان هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون
 لا بني طالب قد أمرنا أن نسمع لعلي وتطيع وروى أبو يعلى عن الزبير بن العوام ان قريشا جاءته فانظروهم
 فسألوه آيات سليمان في الريح وداود في الجبال وعيسى في احياء الموتى ونحو ذلك وان يسير الجبال ويفجر
 الانهار ويجعل الصخرة ذهباً فأوحى الله تعالى اليه وهم عنده أخبرهم بأن أعطى ما سألوه ولكن ان أراهم
 كفروا عوجوا جلودا فاختار صلى الله عليه وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة (واخفض جناحك لمن
 اتبعك من المؤمنين) أي لين جانبك لهم ومن للتبيين لان من اتبع أعظم عن اتبع لدين أو قرابة أو نسب
 (فان عصوك فقل اني بري مما تعملون) ولا تبرأ منهم وقل لهم قولاً بالنصح لعلهم يرجعون الى قبول

الدعوة مثلك والمعنى فبعد انذار عشر تلك فتواضع لمن آمن منهم وتبرأ من عمل من خالفك منهم (وتوكل على العزيز الرحيم) أى فوض أمرك الى الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته وقرأنا نافع وابن عامر فتوكل بالغناء على الابدال من جواب الشرط والباقون بالواو على العطف على أنذر (الذين يراك حين تقوم) من نوم أو غيره الى الصلاة منفردا (وتقبلك في الساجدين) أى ويرى تصرفك في الصلاة بالقيام والركوع والسجود والعود مع المصلين جماعة اذ كنت امامهم ويقال ويراك منتقلا في اصلاب المؤمنين وارحام المؤمنين من لدن آدم وحواء الى عبد الله وآمنة لجميع أصول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رجالا ونساء مؤمنون فلا يدخلهم الشرك مادام النور المحمدي في الذكرو في الانثى فاذا انتقل منه لمن بعده أمكن أن يعبد غير الله وأزرماعبد الاصنام الابداء فتقال النور منه لابراهيم وأما قبل انتقاله فلم يعبد غير الله (انه هو السميع العليم) فيسمع ما تقوله ويعلم ما تنويه وتعمله (هل أنبشكم على من تنزل الشياطين) أى هل أخبركم يا كفار مكة على من تنزل الشياطين أى لما قال الكفار لم لا يجوز ان يقال ان الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعراء فرق الله تعالى بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين الكهنة والشعراء فقال (تنزل على كل أفك أثيم) أى تنزل الشياطين على كل من اتصف بالكذب الكثير والاثم الكبير وهو وسيلة الكذاب وسطيح وطلاحة (يلقون السمع) وهذه الجملة امحال من فاعل تنزل المستتر أى يصفى الشياطين سمعهم الى الملائكة ليسترقوا شيئا يلقون الشئ المسهوع الى الكهنة واماصفة لكل أفك أثيم أى يصفى الكهنة سمعهم الى الشياطين أو يلقون ما سمعوه منهم الى عوام الخلق (وأكثرهم كاذبون) فالشياطين يسمعون الكهنة ما لم يسمعوا من الملائكة كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجن فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والكهنة يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم (والشعراء يتبعهم الغاؤون) أى الراؤون الذين يرون هجاء المسلمين أى وشعراء الكفار يتكلمون بالكذب منهم عبد الله بن الزبير وهبيرة بن أبي وهب ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمر بن عبد الله وأمية بن أبي الصلت وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا شعرأوا اجتماع اليهم سفها قومهم يسمعون أشعارهم حين يسجدون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويرون عنهم قولهم وقرأنا نافع بسكون التاء وفتح الباء الموحدة (ألم ترأنهم في كل واديهيمون) أى ألم تعلم أيها المخاطب ان الشعراء يسبسون في طرق مختلفة سير الحائرين من طرق القليل والقال فانهم قديحون الشئ بعد ان ذمموه وبالعكس وقد يعظمونه بعد ان استحققوه وبالعكس لانهم لا يطلبون بشعرهم الصدق (وأأنهم يقولون ما يفعلون) فانهم يدحون الجود ويحشون عليه ولا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويسجدون الناس بأدنى شئ صدر منهم ثم انهم لا يفعلون الا الفواحش وذلك يدل على الضلالة (الا الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) فلم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته وفي الحكمة والموعظة والزهدي الدنيا والزجر عن الاغترار بزخارفها (وانتصروا من بعد ما ظلموا) أى فلا يذكرون هجوا أحدا لا من هجوا الكفار وذلك رد على هجوا الكفار لرسول الله وأصحابه كما قال صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن أنس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة عشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نصر بكم على تنزيله

ضربا يزيل الهمام عن مقيله * ويذهب الخليل عن خليله
فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فهي أسرع فيهم من نفع النبل وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اهجو اقر يشافانه أشد عليهم من رشق النبل وعن أبي بن كعب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول
الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)
أي سيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجو رسول الله وأصحابه وبالأعراض عن تدبر هذه الآيات انهم
ينقلبون كمال انقلاب لان مصيرهم الى النار وهو أقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو أشمر مرجع
فالمنقلب هو الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع هو العود من حال هو فيه الى حال كان عليه - انصار كل
مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا قرئ أي منقلت ينقلتون أي وسيعلم الظالمون ان ليس لهم
وجه من وجوه الانقلاط فانهم يطمعون أن ينقلوا من عذاب الله تعالى وأي منصوب بينقلبون ولا يجوز
أن يكون منصوبا بيسيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيهما ما قبلها لان الاستفهام معنى وما قبله معنى
آخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض

سورة النمل مكية وهي أربع وتسعون آية وألف ومائة وتسع وأربعون كلمة
وأربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم طس) أي هذا مسمى بطس (تلك) أي تلك السورة (آيات القرآن وكتاب
مبين) أي مظهر للحكم والاحكام وأحوال الآخرة وقرأ ابن أبي عمير - له برفع كتاب مبين (هدى وبشري
للؤمنين) هما حالان من آيات أي هادية الى الله ومبشرة بالوصول الى الله هدايته للصدقين بتلك
الآيات أو بدلان منها أو خبران آخران لتلك كما قال تعالى ألا من طلبني وجدني من طلبني بدالات
القرآن وجدني بالعيان (الذين يقيمون الصلاة) أي يأتون بالصلوات الخمس بشروطها ووضعتها في
حقها (ويؤتون الزكاة) أي يعطونها بشرائطها (وهم بالآخرة هم يوقنون) أي هؤلاء هم الموقنون
بالآخرة حق الايقان لان عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب (ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم) بأن خلقنا في قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات ولا تخلق في
قلبه العلم بما فيها من المضار والآفات (فهم يعمهون) أي ينهمكون فيها (أولئك) أي الموصوفون بعدم
الايان بما في الآخرة وبالعمى بالأعمال (الذين لهم سوء العذاب) وهو سوء القلوب وصحمة بكمه
(وهم في الآخرة هم الخسرون) أي أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب ولانهم
خسروا الدنيا والآخرة ولم يرجعوا المولى وذلك لان قوما من المختصين بتوفيق من الله يحبهم ويحبونه قد
خسروا الدنيا والآخرة بتركهما وعدم الالتفات اليهما في طلب المولى فرجعوا المولى فلهم الما وجد أبو يزيد
في البادية تحف رأس مكتوب عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبل عليه وقال هـ ذارأس صوفي (وانك
لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أي وانك يا أشرف الخلق لتؤتا القرآن من عند ذات مصيب في أفعاله
لا يفعل شيئا الا على وفق علمه هليم بكل شيء سره كان ذلك العلم مؤديا الى العمل أم لا وقال بعضهم أي
انك جاوزت حد كمال كل رسول فانهم كانوا يتلقون الكتب بأيديهم - من يد جبريل والرسالات من

لغظه وحيا وانك تلقى حقائق القرآن من عند الله تعالى وان كنت تلقى القرآن بتنزيل جبريل هلى قلبك
فالله تعالى علمك حقائق القرآن بان جعلك بحكمته مستعد القبول فيض القرآن بلا واسطة وهو اعلم
حيث يجعل رسالته (اذ قال موسى لاهله) أى زوجته بنت شعيب حيث تحير في الطريق عند مسيره
من مدين الى مصر (انى آنست نارا) أى أبصرتها (سأتيكم منها بخبر) يعرف به الطريق (أو
أتاكم بشهاب قبس) وقرأ السكوفيون بتنوين شهاب فالقبس يدل منه أو صفقه أى بشعلة نار مأخوذة
من أصلها والباقون بالاضافة أى بشهاب من قبس (لعلكم تصطلون) أى لى تدفؤا بها (فلما جاءها)
أى تلك التى ظنها موسى نارا (نودى) من قبل الله تعالى (أن بورك من فى النار ومن حولها)
بورك من فى مكان النار وهى البهجة المباركة ومن حول مكانها ويدل عليه قراءة أبى تبارك فى الارض ومن
حولها وعنه أيضا بورك النار وقيل المراد بمن فى النار هو موسى عليه السلام لقربه منها ومن
حولها الملائكة أى نودى ببركة من فى النار أى بتطهير ما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة
والرسالة أى ناداه الله تعالى بأنا قد سنناك واخترنالك للرسالة وهذه تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة
له (وسبحان الله رب العالمين) وهو من كلام الله مع موسى نزه الله تعالى نفسه عما لا يليق به فى ذاته
وحكمته ليكون ذلك مقدمة فى محبة رسالة موسى عليه السلام واعلاما بان ذلك الامر يكونه رب العالمين
ولدفع ما قد يتوهم موسى بحسب الطبع البشرى الجارى على العادة الخلقية من أن الله المتكلم به فى مكان
أو فى جهة ومن أن الكلام الذى يسمعه موسى فى ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق وقد
علم موسى عليه السلام أن النداء من الله لما دل على ذلك من أن النار كانت مشتعلة على شجرة خضراء لم
تحترق (يا موسى انه) أى ان مكلمك (أنا الله العزيز الحكيم) أى أنا القوى القادر على ما يبعد من
الاهام كقلب العصا حية وأمر اليد الفاعل ما أفعله بحكمة بالغة وانا خيران والله بيبان له والعزيز الحكيم
صفته الله همدتان لما أراد الله أن يظهر على يد موسى عليه السلام من المعجزات (وألقي عصاك)
عطف على بورك فكلاهما تفسير لنودى فألقاها فانقلب حية كبيرة جداتسى فأبصرها متحركة
بسرعة واضطراب (فلما رآها تنز) أى تضطرب فى تحركها (كأنها) أى العصا (جان) أى
حية صغيرة فى سرعة الحركة (ولى مدبرا) أى هرب موسى منها مدبرا (ولم يعقب) أى لم يلتفت اليها
من خوفها الظنه ان ذلك لامرأ يديه ولذلك قال تعالى (يا موسى لا تخف) منها (انى لا يخاف لى
المرسلون) فى حالة الإيحاء والارسال ولا يخاف من الملك العدل الا ظالم كما قال تعالى (الامن ظلم ثم بدل حسنا
بعده سوء فانى غفور رحيم) أى لكن من ظلم ثم عمل حسنا بعد سوءه فانى غفور رحيم وهذا تعريض لطيف
بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطى وجعل الاخفش والفراء وأبو عبيدة الأحراف عطف
بنزلة الواء فى التشديد فى اللفظ والمعنى وقرئ الامن ظلم بحرف التنبيه ومن شرطية وجوابها فانى غفور
رحيم (وأدخل يدك فى جيبك) أى فى ابطنك وكان له عليه السلام مدرعة صوف لا كم لها (تخرج
بيضاء) لها اشراق (من غير سوء) أى آفة (فى تسه آيات الى فرعون وقومه) وقوله فى تسع متعلق بمحذوف
حال اخرى من ضمير تخرج أى حال كون اليد مندرجة فى جملة تسع آيات وقوله الى فرعون متعلق بمحذوف
حال من فاعل أدخل أى حال كونك مرسلها الى فرعون والظاهر ان قوله الى فرعون متعلق بمحذوف
حال من فاعل ألقى وأدخل وان قوله فى تسع متعلق بمحذوف حال من مفعولهما أى ألقى وأدخل أى
حال كون العصا واليد مع جملة الآيات التسع فان الآيات إحدى عشرة العصا واليد والغلق والطوفان

والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وحال كونك
مبعوثا الى فرعون والقبط (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن رتبة الانقياد لامرى والبعودية
لألوهيتي (فلما جاءتهم آياتنا) على يدموسى عليه السلام (مبصرة) كل من ينظر اليها ويتأمل فيها هادية
الى الطريق الاقوم وقرأ على بن الحسين وقتادة مبصرة بفتح الميم والصاد أى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا
هزام محرمين) أى هذا الذى أتى به موسى خيال لاحقيقة له واضح في انه خيال (وبحمدوا بها) أى
كذبوا بتلك الآيات بالسنتم (واستقيمتهن أنفسهم) أى وقد علمتها قلوبهم علمنا يقينا انها حق (ظلموا
وعلموا) حال أخرى من الواو في حمدوا أو علة للبعد أى ظالمين للآيات حيث سموها محراما وحطوها
في رتبها الرفيعة ومرتفعين عن الايمان بها أو بحدوا بها للظلم للآيات وللتكبر عنها وقرئ عليها وعليها
بالضم والكسر كما قرئ عتيا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) من اغراقهم في البحر على الوجه
المائل الذى هو عمرة للعالمين (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أى أعطينا كل واحد منهما جزأ من العلم
لا ثقابه من علم الحكم والسياسة ومختصا به كعلم داود صنعة لبوس وتسبيح الجبال والطير وعلم سليمان
سائر نطق الطير والدواب (وقالا) شكر الما أعطيناه من العلم (الحمد لله الذى فضلنا) بما أعطانا من العلم
(على كثير من عباده المؤمنين) عن لم يوث علمنا مثل علمنا في هذا دليل على فضل العلم وشرف أهله
وتحريض للعالم بأن يحمده الله تعالى على ما أعطاه من العلم ويعتقد انه قد فضل عليه كثير وان فضل على
كثير فلا يفخر ولا يتكبر وان يشكر الله تعالى في انه ينفع بعلمه المسلمين (وورث سليمان داود) أى
ملكه بأن قام مقامه فيه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيدله تسخير الريح والشياطين
وداود أشد تعبد من سليمان وروى أن سليمان أعطى هذا الملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن
ثلاث وخمسين سنة أما داود فقد عاش مائة سنة (وقال) سليمان لبني اسرائيل على جهة الشكر لنعم الله
تعالى وللتنويه بها (يا أيها الناس علمنا من نطق الطير) وهذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان
سليمان عليه السلام ملكا مطاعا لا يتكبر وقد يتعلق بتعظيم الملك مصالح فيصير ذلك التعظيم واجبا
روى عن كعب الاحبار رضى الله عنه ان سليمان عليه السلام أخبر عن منطق جملة من الطيور
الورشانة تقول لدوا الموت وابنو الغراب والفاخته تقول ليت ذا الخلق لم يخلق والطاوس يقول كما تدن
تدان والهدد يقول من لا يرحم لا يرحم والعريديقول استغفروا الله يا مذنبين وهو الذى دل آدم على مكان
البيت ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله والطيطوى يقول كل حى ميت وكل جديد بال
والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه وهو الذى أنس الله آدم به بعد خروجه من الجنة فهى لا تفارق بني آدم
أنس اللهم والجمام يقول سبحان ربى الاعلى والغراب يدعو على العشار فكان يقول اللهم العن العشار والحدأة
تقول كل شئ هالك الا الله والعطاط تقول من سكت سلم والبغبان وهى الدرة تقول ويل لمن الدنيا همه
والقمرى يقول سبحان ربى العظيم المهيمن والباز يقول سبحان ربى العظيم وبحمده والعقاب يقول فى البعد
عن الناس أنس والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسريق يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت
(وأوتينا من كل شئ) أى أعطينا شيا كثيرا وكان له عليه السلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها
ثلاثمائة من كوحه وسبع مائة مريه وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وبرسم فرسخا فى فرسخ
وكان يوضع منصته فى وسطه وهو من ذهب فيقعده عليه وحوله ستمائة ألف كرمى من ذهب وفضة فيقعده
الانبياء عليهم السلام على كرمى الذهب والعلماء على كرمى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن

والشياطين وحولم الوحش ونظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط
فتسير به مسيرة شهر فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والأرض اني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم
أحد بشي إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى انه من بحرات فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح
في أفذه فنزل ومشي الى الحرث وقال انما مشيت اليك لثلاثي مالا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (ان هذا) أى التعليم والاعطاء (لهو الفضل المين) أى الذى
لا يخفى على أحد وقصده عليه السلام بذلك القول الشكر والمجد أى أقول هذا القول شكرا لانفرا (وحشر
لسليمان جنوده) أى جمع له بقهره وكرهه بأيسر أمر عساكره (من الجن والانس والطير فهم يوزعون)
أى يمنعون من التقدم فى السير حتى يجتمعهوا ويكون مسيره عليه السلام مع جنوده على ترتيب وروى عن
كعب الاحبار انه قال كان سليمان عليه السلام اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ
ومخازن فيها تنانير الحديد والقدر العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباقون وتخبز الخبزون
وهو بين السماء والأرض واتخذ ميادين للدواب فتجربى بين يديه والريح تهوى فصار من اسطغرى ريد
الجن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون
آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد لها وزه سليمان
فبكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب أبكاني ان هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا
على ولم يصلوا عندى والأصنام تعبد حولى فأوحى الله تعالى اليه لا تمك فانى سوف أملاك وجوها معك
وأزل فيك قرأنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائي الى وأجعل فيك عمارا من خلقي
يعبدونى أقرض عليهم فريضة يحنون اليك حزين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهر لك من
الأوثان وعبد الشيطان ثم ساروا (حتى اذا أتوا هلى وادى النخل) وهو واد بالشام كثير النخل على ما قاله
مقاتل وقتادة وبالطائف على ما قاله كعب وهو غل صغار على المشهور (قالت غلة) قولاً مشتقاً على حروف
وأصوات وكانت عرجاء ذات جناحين وهى من الحيوانات التى تدخل الجنة فسمع سليمان كلامها من
ثلاثة أميال ويقال لها منذرة وقيل اسمها حرميا وقيل ظاخية وقيل عيجلوف (يا أيها النخل ادخلوا
مساكنكم) أى هجركم (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أى لا تبرزوا فريد وسنكم
سليمان وجنوده فى حال كونهم لا يشعرون بدوسهم لكم لاشتغالهم بما هم فيه من أحوال السير وكانهم
أرادوا النزول عند الوادى لانه مادامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف دوسهم (فتبسم ضاحكاً من
قولها) أى تعجباً من قول الغلة بفصاحتها واهتمامها الى تدبير مصالح بنوعها وسرورها بما آتاه الله من
سهمه كلامها وفهمه بمعناه وبشهرته حاله وحال جنوده فى باب التقوى والشفقة فيما بين أنواع المخلوقات
(وقال) سليمان (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى اجعلنى أكف شكر نعمتك عندى عن ان
ينقلب عني حتى أكون شاكر لك أبداً أو وفقنى لان أؤدى شكر نعمتك (التي أنعمت على وعلى والدى)
هما داود وأم سليمان وهى فى الأصل زوجة أور يا التى امتحن الله بها داود عليه السلام (وأن أعمل
صالحات رضاه) لان العمل الصالح قد لا يرضاه المنعم لنقص فى العامل كما قيل
اذا كان المحب قليل حظ * فما حسناته الاذنوب

(وأدخلني برحمتك فى عبادك الصالحين) ابراهيم واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين كما قاله ابن
عباس لان الصالح الكامل هو الذى لا يعصى الله تعالى ولا يهيم بعصية أى اثبت اسمي فى اسمائهم

فاحشرفي في زمرتهم (وتفقد الطير) أي بحث أحوال الطير فلم ير الهدد فيما بينها أي نزل سليمان
 منزلا واحتاج إلى الماء فطلبوه فلم يجدوه فطلب الهدد ليدل على الماء لأنه يعرف موضع الماء قربه وبعد
 فينقر الأرض ثم تجي الشياطين فيحفرونها ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة (فقال مالي لا أرى
 الهدد) أي عنبر كما أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أي مالي لا أراه لسائر ستره أو لسبب آخر ثم ظهر له أنه
 غائب فانتقل عن ذلك الكلام فقال (أم كان من الغائبين) فتقدرا ميبيل أو بالهمزة أو بهما روى أن
 سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس تجهز للبعث فوافي الحرم وأقام به ماشاء وكان ينحرف في كل
 يوم طول مقامه فيه خمسة آلاف ناقه وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن
 فخرج من مكة صبا حاقوا في صنعاء وقت الزوال فرأى أرضا حسنا أعجبه خضرتها فنزل بها ليتغدى
 ويصلي فلم يجد الماء فتفقد الهدد وكان حين اشتغل سليمان بالنزول ارتفع نحو السماء فنزل إلى بستان
 بلقيس فذا هو بهددا آخر وكان اسم هدده سليمان يعفور وهدد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من
 أين أقبلت قال أقبلت من الشام مع صاحب سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن
 والشياطين والطير والوحش والرياح قال يعفور ومن ملك هذه البلاد قال عفير امرأة يقال لها بلقيس
 وإن لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربع مائة ملك كل
 ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلاثمائة وزير يدرون ملكها ولها اثنا عشر ألف
 قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل وذهب معه لينظر إلى بلقيس وملكها فارجع يعفور إلى بعد العصر فلما
 دخل العصر سأل سليمان الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموه فتفقد الهدد فلم ير فدعا هريف
 الطير وهو النسر فسأله عن الهدد فقال أصلم الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته إلى مكان فغضب
 سليمان عند ذلك وقال (لا عذبه) بسبب غيبته فيما لم أذن فيه (عذابا شديدا) بنتف ريشه فهذا
 عذاب الطير (أولا ذبحه) بالسكين ليعتبر به أبناء جنسه (أوليا أتيني بسلطان مبين) أي إلا أن
 يأتيني بحجة تبين عذره فلا أذبح ثم دعا العقاب وهو أشد الطير طيرا فقال له على بالهدد
 الساعة فارتفع العقاب في الهواء فالتفت عينا وشمالا فرأى الهدد من نحو اليمن فأنقض العقاب نحوه
 يريد به وعلم الهدد أن العقاب يقصده بسوءه فقال بحق الله الذي قواك وأقدرتك على الأمارحتني ولم
 تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال له ويلك أن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك فطار متوجهاً
 نحو سليمان فلما انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك
 بي الله وأخبروه بما قال سليمان فقتل الهدد وأما استثنى نبي الله فقالوا بلى أنه قال أوليا أتيني بسلطان
 مبين فقال نجوت إذا ثم طار العقاب والهدد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد
 أتيتك به يا نبي الله (فكث) أي الهدد (غير بعيد) أي زمانا غير طويل حتى جاءه وقرأ فاصم
 بفتح الكاف والباقون بضمه فلما قرب منه الهدد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه بجرحهما تواضعا
 لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فده اليه وقال له أين كنت لا عذبتك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر
 وقولك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعقاعنه ثم سأله فقال ما الذي أبطأك عني (فقال
 أحطت بما لم تحط به) أي علمت ما لم تعلم أيها الملك وبلغت إلى ما لم تبلغ (وجئتكم من سبأ) وقرأ أبو
 عمر والبرزى بفتح الهمزة من غير تنوين يراد به القبيلة والمدينة والاصل اسم للقبيلة ثم هبت مدينة مارب
 سبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام والباقون بالجرح والتنوين اسم للمعى سموا باسم أبيهم الأكبر وهو

سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وعن ابن كثير في رواية سبأ بالالف (بنبأيقين) أي يجذب حق عجيب (أني وجدت امرأة تملكهم) يقال لها بلقيس بكسر الباء وهي بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأما فارعة الجنية كما أخرج عن زهير بن محمد وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وورث الملك من أربعين أباً ولم يكن له ولد غيرها وكان يقول للملوك الأطراف ليس أحد منكم كغزالي وأبي أن يتزوج منهم فزوجوه بأمرأة من الجن يقال لها ربحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله إلى الجن أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صور الطير فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذ صديقاً لخطب ابنته فزوجها إياها (وأوتيت من كل شيء) يحتاج إليه الملوك (ولها عرش عظيم) أي سرير حسن كبير طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً مصنوع من الذهب والفضة مكلل بالجواهر وكانت قوائمها من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (وجسدتها وقومها) أي لقيتهم مجوساً (يسجدون للشمس من دون الله) أي يعبدون الشمس متجاوزين عبادة الله (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي سبيل الهدى (فهم لا يهتدون) بسبب ذلك (أن لا يسجدوا لله) مفعول له للصد والتزين على حذف اللام أي فصدهم لأن لا يسجدوا لله تعالى أوزين لهم أعمالهم لأن لا يسجدوا أو بدل من أعمالهم أي وزين لهم الشيطان عدم سجودهم لله تعالى وقرأ الكسائي ألا يسجدوا ليتخفيف اللام فالأحرف تنبيه واستفتاح وباب بعدها حرف تنبيه أيضاً أونداه والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء اسجدوا واسجدوا فعمل أمر فكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون يا اسجدوا ولكن المحابة اسقطوا ألف يا وهمة الوصل خطأ الماسقط لفظاً ووصلوا الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءة ثانياً لفظاً وخطوا واختلفاً تقديره وعلى هذه القراءة فالوقف على يهتدون تام ولو وقف على يا بمعنى ألا يا هؤلاء ثم ابتدئ يا اسجدوا جازاً بخلاف قراءة الباقيين بادغام النون في لا فالوقف على لا يهتدون جائز وقرأ الأعمش هلا وهي حرف عبادة بقلب الهمزة هاء وقرأ أبي ألا يسجدون أي لم لا يسجدون لله كما قاله ابن عباس وعن عبادة هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطأ وهلا يحتمل أن يكون استغناءً من جهة الله تعالى أو من سليمان عليه السلام قال أهل التحقيق قوله أن لا يسجدوا يجب أن يكون بمعنى الأمر لأنه لو كان بمعنى المنع من السجود لم يكن معنى لوصفه تعالى باستحقاق السجود للاتصاف بكونه تعالى قادراً على إخراج الخلق عما بكل شيء (الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض) والجار والمجرور متعلق بالخبأ أي الذي يظهر الخفي فيهما من المطر والنبات ومتعلق بيجري على أن فيه معنى من كما قاله الفراء (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) من الأحوال فيجازيكم بها وقرأ الكسائي وحفص بالتاء الفوقية فتأويل قراءة حفص في ألا يسجدوا أنه خرج إلى خطاب الحاضرين بعد أن أتم قصة أهل سبأ والخطاب على قراءة الكسائي ظاهر والباقيون بالغيبة لتقدم ضمائر الغيبة في قوله أعمالهم وصدهم فهم وهي غير ظاهرة وقرئ ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبأ من السماء والأرض ويعلم سرهم وما تعلنون (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي فعرض الله عظيم بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب ولما ذكر الهدى قصة بلقيس لم يتغير سيدنا سليمان عليه السلام لذلك ولم يستفزه الطمع لما سمع من ملكها كعادة الملوك في الطمع في ملك غيرهم فلما ذكر الهدى عبادة بلقيس وقومه غير الله اغتاظ سيدنا سليمان وأخذته حمية الدين وجعل يبحث عن تحقيق (قال) سليمان للهدى (سننظر) أي سنتعرف في مقالتيك بالتجربة

(أصدقت) فيه (أم كنت من الكاذبين) وفي هذا دليل على أن خبر الواحد لا يثبت العلم وعلى أن
الوالى يجب أن يقبل عذر من في صورة المجرم من إذا صدق في اعتقاده (أذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) أى
الى من يعبدون الشمس (ثم قول عنهم) أى تع الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقوله يسمع منك
(فانظر ماذا يرجعون) أى تعرف أى شئ يرجع بعضهم الى بعض من القول فأخذ الهدى هذا الكتاب وأتى
به الى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجد هاتمة مستلقية على
قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فألقى الكتاب على فخرها وتوارى في الكوة فأنتهت
فزع فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه فعند ذلك (قالت) لاشراف
قومها (يا أيها الملأ) أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة أن أهل مشورتها كانوا ثلاثمائة واثنى عشر رجلا
(انى ألقى الى كتاب كريم) أى لانه مكرم بمختمه وغرابة شأنه حيث وصل اليها على غير معتاد ولحسن
ما فيه من كونه مشتملا على اثبات الصانع الحى المريد القادر الرحيم وعلى النهى عن التكبر والامر
بالانقياد وكونه من عند ملك كريم فقد عرفت أن المرسل أعظم ملكا منها (انه) أى ان عنوان
الكتاب (من سليمان وانه) أى ان مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم أن لاتعلاوا على) فان مفسرة
ولانهاية أى لاتتكبروا على كما تفعل الملوك وقرأ ابن عباس لاتغلبوا بالغبين المحممة أى لاترفعوا على
ولا تمتنعوا من الاجابة (واثنون مسلمين) أى مؤمنين (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أى
أجيبونى فى أمرى الذى خزنى وذكرت لكم خلاصته (ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) أى
هادى معكم أن لا أفعل أمرا من الامور المتعلقة بالملك حتى أحضركم وأشاوركم (قالوا نحن أولوا قوة)
فى الاجساد والآلات (وأولوا بأس شديد) أى شجاعة مفرطة وقياس فى القتال (والامر اليك)
أى هو موكل اليك (فانظري) أى تأملى (ماذا تأمرين) ونحن مطيعون لك فرى بنابأمرك ولما
أحسنت منهم الميل الى الحراب لم ترض به لما علمت أن من مخزله الطبر على هذا الوجه لا يهجز شئ يريده
وذلك يدل دلالة بينة على رسالة مرسلها بل مالت للصالح ولذلك بينت السبب فى رغبتها فيه (قالت ان الملوك
إذا دخلوا قرية) من القرى على منهاج الحراب (أفسدوها) بتخريب عمارتها واتلاف ما فيها من
الاموال (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة (وكذلك
يفعلون) وهذا من جملة كلامها ذكرته توكيد لما وصفته من حال الملوك أى ان الذين أرسلوا الكتاب
يفعلون مثل الذى تفعله الملوك فان ذلك عادتهم المستمرة (وانى مرسله اليهم) رسلا (بهدية) عظيمة
(فناظرة بم يرجع المرسلون) روى ائمه ابعثت خمسة مائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور
والاطواق والقرطرا كى خيل مغشاة بالديباج محلاة باللحم والسروج بالذهب المرصع وخمسمائة جارية
على رمال فى زى الغلمان وألف لبنسة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وبعثت العود
والمسك والعنبر وحفاقيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو
وأخو ذار أى وعقل وكتبت مع المنذر كتابا تذكريه الهدية وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى
وأخبركم بما فى الحق قبل أن يفتحه وثقب الدرة تقبامستوى يا وسلك فى الحرزة خيطا من غير علاج أنس
وجن ثم قالت للمنذر ان نظرك اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيت به شاسا لطيفا فهو نبى
فانطلق الرسول بالهدايا فأقبل الهدى الى سليمان عليه السلام فأخبره بذلك فأمر الجن فحضروا ابن الذهب
والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب

والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر مختلفة ألوانها حتى إن لدواب البحر أجنحة وأعرافا ونواصي
فربطوها عن عين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير أن أقيموا على عين الميدان
ويساره ثم قعد سليمان على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي على جانبيه واصطف الشياطين صفوا
فراصع والانس صفوا فراصع والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم من الميدان ونظروا
الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم ير وأمنه لاهتروت على ابن الذهب والفضة هتوا وتفاصرت اليهم
أنفسهم ووضعوا امامهم من الهدايا في ذلك الموضع فلما وقفوا بين يدي سليمان أقبل عليهم بوجه طلق
وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطاه كتاب الملكة فتنظر فيه وقال أين الحق فأني به
لحركة فجاء جبريل فأخبره بما فيه فقال سليمان لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة ثم أمر بالارضة
فأخذت شعرة في فيها ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة فأمر بالدودة البيضاء فأخذت خيطا فيها
ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه وأمر الغلمان والجواري بأن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت
الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تغسل به وجهها والغلام كما يأخذ الماء يضرب به وجهه
وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظهره فبشر عليهم السلام بين الغلمان
والجواري ثم رد الهدية كما أخبر الله عنه بقوله (فلما جاء) أي رسول الملكة بلقيس وهو منذر
(سليمان قال أتمدون بعمال فما آتاني الله خير مما آتاكم) أي قال سليمان عليه السلام مخاطبا للرسول
والمرسل لا ينبغي لكم يا أهل سبأ أن تعاووني بالمال لأن الله تعالى قد أعطاني منه ما لم يعط أحدا ومع
ذلك أكرمني بالنبوة والدين (بل أنتم هديتكم تفرحون) فالمصدر امام مضاف لفاعله أي تفرحون
بما تهديونه افتخارا على أمثالكم واعتدادا به من حيث انكم قدرتم على اهداء مثله وامام مضاف
لفعله أي تفرحون بما يهدي اليكم حباني كثرة أموالكم وحالي خلاف حالكم فلا أفرح بالديار وليست
الديار من حاجتي وقيل بل أنتم هديتكم هذه تفرحون بأخذها ان ردت اليكم ثم قال للندى (ارجع)
أيها الرسول (اليهم) أي الى بلقيس وقومها بهديتهم وقيل الخطاب للهدد أي ارجع يا هدد
حامل كتاب آخر (فإنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أي فوالله لنأتينهم بجمع لا طاقة لهم بمقاومتها
وقرأ ابن مسعودهم بضمهم بجمع الذكور (ولنخرجهم منها) أي من سبأ (أذلة) أي حال كونهم
ذليلين بذهاب ملكهم وعزهم (وهم صاغرون) أي مهانون يوقعهم في أسر واستعباد وبإغلال
إيمانهم الى أعناقهم قال ابن عباس لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها الخبر قالت
قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك بملوك قومي حتى أنظر
ما أمرك وما تدعوا اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في داخل بعض ثم
علقت عليه سبعة أبواب وجعلت عليها حراسا يحفظونه ثم تجهزت للسفر فارتحلت الى سليمان في اثني
عشر ألف ملك من ملوكها تحت كل ملك ألف فرج سليمان يوما جلس على سريره فسمع رجعا قريبا
منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت بهذا المكان أي الذي على مسيرة فرسخ من سليمان عليه السلام
فأقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها) فأراد سليمان ان يريها بعض ما خصه
الله تعالى من اجراء المجائب على يده الدالة على عظيم قدرته تعالى وعلى صدقه في نبوته وكان سليمان اذ
ذاك في بيت المقدس وعرشها في سبأ بلدة باليمن وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين وان يعرف مقدار
ملكها قبل وصولها اليه لان العرش سرير الملكة (قبل أن يأتوني مسلمين) أي مؤمنين فانها اذا أسلمت

لم يحل له أخذ مالها (قال عفريت) أى قوى (من الجن) كان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان مسخر السليمان واسمه ذكوان وقيل صخر وقيل كوزن (أنا آتيلك به) وهو اسم الفاعل أى أنا آت بعرشها (قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلس القضاء وكان مجلس قضائه إلى انتصاف النهار (وانى عليه) أى على الاتيان به (لقوى أمين) أى لقوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر والؤلؤ والذهب والفضة (قال الذى عنده علم من الكتاب) المنزل على الانبياء قبل سليمان كالتيوراة قال ابن عباس وقتادة هو آصف بن برخيا كاتب سليمان (أنا آتيلك به قبل أن يرتد إليك طرفك) قال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك قد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السريير يجدون به تحت الارض حتى نبع بين يدي سليمان قيل كان الدعاء الذى دعا به يا حي يا قيوم كما روى ذلك عن عائشة قال بعضهم أراد سليمان ان يظهر كرامته أمته ليعلم ان في أم الانبياء أهل الكرامات للثلاثين كرامات اولياها وقال محمد بن المنكدر انما الذى عنده علم هو سليمان نفسه قال له عالم من بنى اسرائيل أنت النبي ابن النبي وليس أحدا وجه منك عند الله فان دعوت الله كان العرش عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجس بالعرش في الوقت قال الرازي وهذا القول أقرب والمحاط به العفريت الذى كلمه وأراد سليمان عليه السلام اظهاره بحجة فعالبه أولام بين انه يتحصل له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتهاى بالعفريت قيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرمي سليمان واغما هذا أقرب لان سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره لانه نبي وان احضار العرش في تلك الساعة الطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف لاقتضى ذلك تفضيله على سليمان ولو افتقر اليه في ذلك لاقتضى ذلك نقص حال سليمان في عين الخلق ولا ظاهر قوله هذا من فضل رب ليبلوني أشكرا أم أكفر يقتضى ان يكون اتيان العرش بدعا سليمان (فلما رآه مستقرا عنده) أى رأى سليمان العرش حاضرا لديه (قال) سليمان شاكر الرب لما آتاه الله تعالى من هذه الخوارق (هذا) أى اتيان العرش في هذه المدة القصيرة (من فضل ربى) أى من احسانه الى من غير استحقاق له من قبلى (ليبلوني) أى ليختبرني (أأشكر) فأعترف بكون ذلك فضلا منه تعالى (أم أكفر) بأن أثبت لنفسى تصرفا في ذلك أو أترك شكرا (ومن شكرا فأنما يشكر لنفسه) فان نفع الشكر عائد الى الشاكر فانه يخرج عن علاقة وجوب الشكر عليه وانه يستحق المزيد وانه مشتغل بالنعم أما المعرض عن الشكر فهو مشتغل بالذات الحسية (ومن كفر) أى ترك شكر النعمة (فان ربى غنى) عن شكره لا يضره تعالى كفرانه (كريم) أى لا يقطع عنه نعمه بسبب اعراضه عن الشكر (قال) سليمان (نكروا لها عرشها) أى غيروا مبرها من هيمة فزيدوا فيه وانقصوا منه وروى انه جعل أعلاه أسفله وجعل مكان الجوهر الاخضر أحمر وبالعكس فأراد سليمان عليه السلام اختبار علقها (ننظر) بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف أى نعلم (أتمتدى) أى أتعرف ان ذلك العرش عرشها أو أتعرف الجواب اللائق بالمقام (أم تكون من الذين لا يهتمدون) أى لا يعرفون ذلك (فلما جاءت) أى بلبقيس سليمان (قيل) لها من جهة سليمان (أهكذا عرشك) أى أمثل هذا عرشك الذى تركته في قصرك وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حراسا (قالت كانه هو) أى كان عرشى هو هذا وقال عكرمة كانت حكمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب فعرف سليمان كمال علقها حيث لم تقولم تنكروا ولو قيل لها هذا عرشك

لقلت نعم لمعرفة العرش (وأوتينا العلم من قبلها) أي وأعطينا العلم بكل قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه الميزة التي شاهدناها بما معناه من رسولنا المنذر من الآيات الدالة على ذلك (وكننا مسلمين) من ذلك الوقت وهذا من تمة كلام بلقيس كأنها ظننت أن سليمان أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار ميزة إلهيها (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) وهذا من كلام الله تعالى أي ومنع بلقيس عن إظهار الإسلام عبادتها القديمة للشمس فما كانت تعبد فاعل صدأ وان ما كان يحجروا به من مقدرة وفاعل صد راجع إلى سليمان أي وصرفها سليمان عن الذي كانت تعبد وهو الشمس (إنها كانت من قوم كافرين) تعليل لعبادة غير الله أي أنها كانت من قوم راكضين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على إظهار أسلامها وهي بينهم إلى أن دخلت تحت ملك سليمان وأستغناق أخبر الله تعالى أنها كانت من مجوس يعبدون الشمس فلا تعرف الأعبادتها وأقرأ سعيد بن جبيرة وأبو حيوة بفتح الهمزة على أن هذه الجملة بحجروا بصرف العلة أو بدل من ما كانت تعبد أي ومنعها عن إظهار دعواها الإسلام كونها من قوم كافرين أو وصرفها سليمان عن صيرورتها كافرة (قيل لها ادخلي الصرح) أي البلاط المتخذ من زجاج روى أن سيدنا سليمان أمر الشياطين قبل قدوم بلقيس بأن يحفروا على طريقها حفرة ويجعلوا سقفها زجاجاً بيض شفافاً ويضعوا فيها ماءً ومكاً وضعداً وغير ذلك من حيوانات الماء وصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فن أراد مجاوزته بمر فوق السطح الذي تحته الماء ولا يحسه الماء ومن لم يكن عالماً بالحال يظن هذا ماءً مكشوفاً ليس له سقف يمنع من الخوض فيه ووضع سيدنا سليمان عليه السلام سريره في صدر ذلك السطح فجلس عليه قال وهب ومحمد بن كعب والسبب في ذلك أن الجن قالوا لسيدينا سليمان إن في عقل بلقيس شيئاً وإن رجلها كرجلي حمار وإنها لشعراء الساقين وغرضهم في ذلك تنفيره عن تزوجها لأنهم ظنوا أنه سيمتزجها وكرهوا ذلك لأن أمها كانت جنية فخافوا أن تغشي له أمر الجن ولأنهم خافوا أن يأتي له منها أولاد فيسخر من الجن فيدوم عليهم الاستخدام والذل فأراد سليمان عليه السلام أن يختبر عقلها بتهنئة كبريها وشفاقها فإذا ما يدل على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها وأن ينظر إلى قدميها بيننا ذلك البلاط لأنه أراد أن ينسكبها ليعلم أن ما قالت الجن في حقها صدق أو كذب (فلما رأته) أي رأت ذلك الصحن (حسبته لجة) أي ماء غمر (وكشفت عن ساقها) على عادة من أراد خوض الماء لأجل أن تصل إلى سليمان قال وهب بن منبه فلما رأت اللجة فزعمت وظننت أنها قصد بها الغرق وتجهت من كون كرسيه على الماء ورأت ما هالها ولم يكن لها بد من امتثال الأمر فرفعت ثيابها عن ساقها فآراها فإذا هي أحسن النساء ساقاً وقدماً سليمة عما قالت الجن فيها إلا أنها كانت كثيرة الشعر في ساقها فلم اعلم الحال صرف بصره عنها (قال) عليه السلام حين رأى منها الدهشة والرعب (انه صرح عر من قوارير) أي أن الذي ظننته ماءً سقف جلس من زجاج تحته ماءً فلا تخافى وأعبري عليه (قالت) بعد أن دعاها سليمان إلى الإسلام وقد رأت حال العرش والصرح (رب اني ظلمت نفسي) بالشبكات على الكفر فيما تقدم من الزمان وقيل بسوء ظني بسليمان أنه يغرقني في اللجة (وأسلمت مع سليمان) أي ودخلت في دين الإسلام مصاحبة له في الدين مقتدية به (نعم رب العالمين) قيل لما أراد أن يتزوجها وكره شعر ساقها أمر الشياطين أن يتخذوا النورة والحمام لأجل أزالتهم فكانت من يومئذ قلما تزوجها سليمان أحبها كثيراً حتى بقيت على نكاحه إذ أن مات عنها ورزق منها بولدها اسمه داود وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بآرض اليمن ثلاثة قصور لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً وكان يزورها في شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وكان يبعث

من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان فسبحان من لا يزول ملكه
(ولقد أرسلنا الى غود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون) أى فريق مؤمن وفريق
كافر فالذين آمنوا لانهم عرفوا صحة حجة صالح فيكونون خصما لمن لم يقبلها والاختم صام في باب الدين حق
وابطال للنقل يد (قال) صالح للفرقة الكافرة (يا قوم لم تستجيبون بالسيئة قبل الحسنة) أى لما توعد
صالح للكاذبين بالعذاب فقالوا على وجه الاستهزاء انتنا بعذاب الله فعند ذلك قال صالح يا قوم قد أمكنكم
التوصل الى رحمة الله تعالى فلماذا تعدلون عنه الى استجبال عذابه وكانوا لجهلهم يقولون ان صدق ايعاد
صالح بنزول العذاب تبنا حية ثمذ فحينئذ دفع الله العذاب عنا والافنحنا على ما كنا عليه فطاهم صالح
على حسب اعتقادهم وقال (لولا تستغفرون الله) أى هل اطلبون غفران الله قبل نزول العذاب
بتوحيد الله وبالتوبة من الشرك (لعلكم ترحمون) بقبوله التوبة فان استجبال الخير أولى من استجبال
الشر - قبول التوبة لا يمكن عند نزول العذاب (قالوا اطير نابلك وبعن معك) أى تشاء منا بك وبعن
في دينك حيث تتابع علينا الشدائد من القحط والاختم لاف - ماذا ختر عتم دينكم (قال) صالح
(طائر كم عند الله) أى السبب الذى منه يحيى شدة تكم ورخاؤكم قدره تعالى ان شاء رزقكم وان شاء
أحرمكم (بل أنتم قوم تفتنون) بزيئة الدنيا فلا تعرفون قدر نعم الله في حقكم وقال ابن عباس أى أنتم
تختبرون بالخير والشر وقال محمد بن كعب أى تعذبون (وكان في المدينة) أى في الحجر (تسعة رهط)
أى أشخاص قال ابن عباس أساميههم رعي ورعي وهري وهريم وداب وصواب ورباب ومسطع وقد ارابن
سالف عاقرا الناقة وأسماؤهم عن وهب قد نظمهم بعضهم في بيتين فقال

رباب وغنم والمذبل ومسطع * عير وسيط عاصم وقدار
وسمعان رهط الماكرين بصالح * الا ان عدوان النفوس جوار

(يفسدون في الارض) بالمعاصي (ولا يصطهون) أى لا يعزجون ذلك الفساد بشئ من الصلاح (قالوا
تقامعوا) أى قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عليه السلام غيب ما ندرهم بالعذاب
أحلفوا (بأنه لن يبتئمه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) وقرأ حمزة والكسائي
لتيبتئمه بئناه فوقية بعد اللام وبالرفع للجمع ولتقولن بئناه فوقية وبالرفع للجمع وقرأ عاصم مهلك بفتح الميم
وحفص بكسر اللام والباقون بفتحها وبضم الميم مع فتح اللام فقط والمعنى انهم توافقوا وحلفوا بالله لندخلن
على صالح ومن آمن به وهم أربعة آلاف ليلا بئنة ونقتلهم جميعا ثم لنقولن لولى دم صالح ما حضرنا قتلهم
أو وقتنه أو مكانه فلا ندرى من قتلهم وانا لصادقون في انكارنا اقتلهم أى لو أنهم أقوم صالح حلفناهم أنالم
نحضر (ومكروا مكرا) بهذه الكيفية (ومكروا مكرا وهم لا يشعرون) قيل انهم خرجوا الى الشعب
وقالوا اذا جاء صالح يصلى في مسجده قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعت الله تعالى صخرة فطبقت فم
الشعب عليهم فهلكوا واهلك الباقون بالصيحة وقيل جاؤا بالليل شاهرين سيوفهم وقد أرسل الله تعالى
الملائكة ملء دار صالح قدم مغوهم بالحجارة يرون الاحجار ولا يرون راميا (فانظر كيف كان طاقبة مكروهم)
بصالح (اناد مرناهم وقومهم أجمعين) أى انا أهله كنا التسعة بالحجارة وأهلكنا قومهم أجمعين بصيحة
جبريل عليه السلام وقرأ الكوفيون اناد مرناهم بفتح الهمزة ما بدل من طاقبة على انه فاعل كان وكيف
حال أى فتفكر في أى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدا محذوف أى هى أى العاقبة تدميرنا اياهم
(فتلك يوتهم خاوية) أى خالية ساقطة وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف (عيا

قال ابن عباس أى بل اجتمع علمهم على ان الآخرة لا تكون أى فلم يعتقدها (بل هم فى شك منها) أى من نفس الآخرة كن تحير فى أمر لا يجد عليه دليلاً (بل هم منها عمون) أى لا يدركون دلائلها لا اختلال بصائرهم والله تعالى وصف المشركين أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم وصفهم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كاثنة ثم وصفهم بأنهم يخبطون فى شك ثم وصفهم بأن قلوبهم عمى فهم كالبهائم لا يخطررون بباليهم حقوا ولا ياطلوا ويستقرهم على البطون والفروج (وقال الذين كفروا) من أهل مكة (أنذا كنا تراباً وأبواباً أنما نخرجون) أى أخرج من القبور وأحياء إذا صرنا رماحاً تراباً (أقد وعدنا هذا) أى الإخراج من القبور كما كنا أول مرة (نحن وأبوابنا من قبل) أى من قبل مجى وعدهم (ان هذا الأساطير الأولين) أى ما هذا الذى تعدنا يا محمد إلا أحاديث الأولين التى لاحقيقة لها (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (سير وافر فى الأرض) أى سافر وافر فيها أيها الجاهلون (فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى كيف كان آخر أمر المنكرين للبعث المكذبين للرسول فيما دعوههم اليه من الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر وهو هلاكهم بالعذاب الدنيوى لأن فى مشاهدته ذلك ما فيه كفاية لمن اعتبر (ولا تحزن عليهم) يا أكرم الرسل فيما مضى لأصرارهم على الكفر (ولا تكن فى ضيق مما يحزنون) أى ولا تكن فى ضيق قلب من مكرهم فى المستقبل وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (ويقولون متى هذا الوعد) أى العذاب الموعود (ان كنتم صادقين) فى أخباركم بمجى العذاب (قل) لهم يا سيد الرسل (عسى أن يكون ردى لكم بعض الذى تستعجلون) فعسى ولعل وسوف بمنزلة الجزم فى مواعيد الملوك أى لا بد أن يكون بعض الذى تستعجلون حلوله لحكمهم وهو عذاب يوم بدر واللام مزيدة (وان ربك لذو فضل على الناس) أى انه متفضل عليهم بتأخير عقوبتهم على ما يفعلونه من المعاصى (وان كن أكثرهم لا يشكرون) بتأخير العذاب لانهم لا يعرفون حق النعمة فيه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أى ما تخفيه فليس تأخير العذاب لخطأ حالهم عليه تعالى وقرأ ابن محيصن وابن السميع وحيد تنك بفتح التاء وضم الكاف (وما يعلنون) من الأفعال والأقوال (وما من فائبة فى السماء والأرض الا فى كتاب مبين) أى وما من خافية فيها الا فى لوح محفوظ ظاهر لمن يطالع منه الملائكة (ان هذا القرآن) الذى تقرأ عليهم يا سيد الرسل (يقص على بنى اسرائيل) أى يبين لليهود والنصارى (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتزييه وشأن عزيز المسيح (وانه) أى القرآن (لهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) وذلك لان بعض الناس لما تأمل القرآن فوجد فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والنبوة والحشر وبيان نعوت جلال الله تعالى ووجد ما فيه من الشرائع مطابقة للعقول ووجد مبرأ عن التناقض ووجد القوى البشرية عاجزة عن جمع كتاب على هذا الوجه علم انه ليس الا من عند الله تعالى فكان القرآن هجراً من هذه الجهة وكان هدى ورحمة من هذه الجهات (ان ربك يقضى بينهم) أى بين اليهود والنصارى أى بين المصيب والمخطئ منهم (بحكمه) أى بالحق لانه تعالى لا يحكم الا بالعدل أو بحكمته كما يدل عليه قراءة من قرأ بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة (وهو العزيز العليم) أى هو القادر الذى لا يمنع فلا يرد حكمه العالم بالحكم فلا يكون الا الحق (فتوكل على الله) أى ثق بالله الذى هذا أوصافه فانها توجب على كل أحد ان يفوض جميع أموره اليه (انك على الحق المبين) أى الدين الظاهر بالحق حقيق بنصرة الله تعالى ثم قطع الله تعالى طمع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن بنى اسرائيل بتبيين أحوالهم انهم لا يلتفتون الى شئ من الدلائل فان قطع الطمع عنهم يقوى

القلب على اظهار المخالفة وعلى اظهار الدين كما ينبغي فقال (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين) أى انهم لقرط اعراضهم عما يدعوا اليه كالميت الذى لا سبيل الى اسماعه وكالصم الذى
لا يسمع برفع الصوت ولا يفهم بالاشارة (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) أى ما أنت بمرشد من أعماه
الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم بالتحية وفتحها بفتح الميم ورفع الصم
وقرأ حمزة تهدى العمى بالمضارع المفيد للخطاب وبنصب العمى (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)
أى ما تسمع مما يجرى السامع الامن هو فى علم الله انهم يصدقون بالقرآن لانهم هم منقادون للحق
(واذا وقع القول عليهم) أى واذا ثبت نزول العذاب على الكفار وذلك اذا لم يأمروا بالمعروف ولم
ينهووا عن المنكر وهو يكون موت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن (أخرجنا لهم دابة من الارض) من
جبل الصفاة مكة وهى فصيلة ناقة صالح عليه السلام فانه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه
ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله تعالى فى آخر الزمان وعن على رضى الله عنه انها تخرج
ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خر وجهها الا بعد
ثلاثة أيام وفى الحديث ان طولها ستون ذراعا بقدر آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
(تكلمهم أن الناس كانوا أبايتنا لا يوقنون) قرأ الكوفيون بفتح ان بتقدير الباء كما يدل عليه قراءة عبد الله
ابن مسعود بأن يتصرح بالباء أى تحدثهم بأن الناس كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجىء
الساعة ومبادئها وقرأ أبى تنبئهم وإضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية من الله تعالى لمعنى قولها
لا لعين عبارتها وقرأ الباقر بكسر الهمزة على الاستثنا فاعلى هذا فالوقف على تكلمهم تام وعليه أيضا
يجوز أن يكون بمعنى تجرحهم مع افادة معنى التكثير ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وابن
زعره والحدري تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام والمراد بالجرح الوسم بالعصا والختام روى
ان الدابة تخرج من الصفار مع عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن بين عينيه بعصى موسى عليه
السلام فتسكت تسكت بيضاء فتغشوا تلك التسكتة فى وجهه حتى يضى لها وجهه وتسكت بين عينيه مؤمن
وتسكت الكافر بالختام فى أنفه فتغشوا التسكتة حتى يسود لها وجهه وتسكت بين عينيه كافر ثم تقول لهم
أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار (ويوم نحشر) للعذاب بعد الحشر الكللى
الشامل لكافة الخلق (من كل أمة فوجاهن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أى واذا كرلهم وقت جمعنا
على وجهه الا كراه من كل أمة من أمم الانبياء جماعة كثيرة مكذبين بكناياتهم يوقف أولهم حتى يجتمعوا
فى موقف التوبيخ والمناقشة (حتى اذا جاؤا) الى موقف السؤال والجواب (قال أكذبتم بآياتي ولم
تحيطوا بها علما) أى قال الله تعالى موبخا لهم على التكذيب أكذبتم بآياتي الناطقة ببلغاء يومكم
هذا بآدى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بحقيقتها وانها حقيقة بالتصديق حقها (أم ماذا
كنتم تعملون) أى بل أى شئ كنتم تعملون فى الكفر والمعنى لم يكن لكم عمل غير الكفر (ووقع
القول عليهم) أى نزل بهم العذاب الموعود وهو كيهم فى النار (بما ظلموا) أى بسبب تكذيبهم بآيات الله
(فهم لا ينطقون) بحجة واعتذار (ألمير) وأنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا أى ألم يتفكر
أهل مكة ولم يعلموا أننا جعلنا الليل مظلما ليسترى بحوافيه بالقرار والنوم والنهار مضيا ليطلبوا فيه معاشهم
(ان فى ذلك) أى فى جعل الليل والنهار كما ذكر (آيات) أى دلالات ظاهرة على التوحيد والبعث
والنبوة (لقوم يؤمنون) أما روجه دلالة على التوحيد فلان القلب من النور الى الظلمة وعكسه

لا يحصل الا بقدرة قاهرة هائلة وأما وجه دلالة على الخسر فلانه لما ثبت قدرة القادر على هذا التقلب ثبت قدرته على التقلب من الحياة الى الموت مرة ومن الموت الى الحياة مرة أخرى وأما وجه دلالة على النبوة فلان هذا التقلب لمنافع الخلق وان في بعثة الانبياء الى الخلق منافع عظيمة فقد ثبت ان هذه الكلمة كافية في اقامة الدلالة على تصحيح الاصول الثلاثة (ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الارض) أي واذ كرلهم وقت فنفخ امر افييل في الصور النفخة الثانية فاذا سمع الخلق شدة صوت ذلك النفخ بحيث لا تحمله طبائعهم يفرعون عنده ويموت كل من كان حيا ذلك الوقت لم يسبق له موت أو كان ميتا سكنه حتى في قبره كالانبياء والشهداء (الامن شاء الله) أن لا يفرع قيل هم الشهداء يتقلدون أسيا فهم حول العرش فانهم أحياء عندهم لا يصل الفرع اليهم وقيل هم جبريل وميكائيل وامر افييل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور وخزنة النار وحملات العرش وقيل منهم موسى عليه السلام لانه صعد مرة وقال القسري والانبياء داخلون في الشهداء لان لهم الشهادة مع النبوة (وكل أتوه اخرين) أي كل واحد من المعونين عند النفخة حضروا الموقف للسؤال والجواب والحساب ذليلين مطيعين وقرأ حفص وحزرة أتوه بصيغة الفعل الماضي وهو بقصر الهمزة وفتح التاء والباقون بصيغة اسم الفاعل فهو بعد الهمزة وضم التاء وقرئ أتاه باعتبار لفظ كل (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب) أي وتبصر الجبال وقت النفخة تظنها ثابتة في أماكنها والحال أنها تمرمر السحاب التي تسيرها الريح سيراسر يعاقس الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما كان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذي أتقن كل شيء) أي صنع الله الذي أحسن خلقه وأتقن به على الحكمة ذلك النفخ في الصور وما تفرع منه من الامور صنعوا وضع منصوب على أنه مصدره وكذا فهو من ما قبله أي فان نفخ الصور المؤدى الى الفرع العام وحضور الكل الموقف وما فعل بالجبال اغما هو من صنع الله لا يحتمل غير (انه خبير بما تفعلون) أي انه تعالى عالم بما يعمل به أهل السعادة والشقاوة من الخير والشر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالتحية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب (من جاء بالحسنة فله خير منها) أي من جاء يوم القيامة بكلمة الشهادة فله من الجزاء ما هو خير منها باعتبار أن الثواب دائم وانه من فعل الله وانه حاصل من جهة الله تعالى فان المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا جزاؤها المعرفة الضرورية الحاصلة في الآخرة ولذا النظر الى وجه الله تعالى (وهم من فرع يومئذ آمنون) وقرأ الكوفيون فرع بالتنوين حينئذ كان يومئذ طرف لآمنون أو المحذوف هو صفة لفرع أي والذين جاءوا بالحسنات آمنون من فرع كأن يوم اذ وقعت هذه الاحوال العظيمة وعلى هذا فالفرع على نوعين فرع من خوف العقاب وفرع شديد مفرط الشدة لخوف النار أما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه أحد وقرأ الباقر باضافة فرع وقرأ نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ وهو فتحة بناء لاضافة يوم المبني والباقون بكسر هاو هو كسرة اعراب وهذا يقتضي الامن من جميع فرع ذلك اليوم (ومن جاء بالسيئة) أي بالشرك بالله (فكبت وجوههم في النار) أي القوافي النار على وجوههم وقول لهم خزنة جهنم وقت كبهم على وجوههم في النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) أي ما تجزون الآن الاجزاء أعمالكم من الشرك والمعاصي في الدنيا ثم أمر الله تعالى نبيه أن يقول لاهل مكة تنبيههم على أنه قد أتم أمر الدعوة (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) وهي مكة (الذي حرمها) أي جعلها حراما لا يسفك فيها دم انسان ولا يصاد صيدها ولا يقطع حشيشها الرطب قرأ الجمهور الذي صفة لب وقرأ ابن عباس وابن

مسعود التي صفة للبلدة (وله كل شيء) خلقا وتصرفا من غير أن يشاركه شيء في شيء من ذلك (وأمرت أن أكون من المسلمين) أي بان أثبت على ملة الاسلام وبأن أكون من المنقادين لها وهذا إشارة الى أن المسلم الحقيقي من يستعمل الشريعة مثل استعمال النبي صلى الله عليه وسلم (وأن أتلو القرآن) أي أمرت أن أقرأ عليكم القرآن بطريق تكرير الدعوة وإن أو اظبط على تلاوته لتتكشف لي حقائقه (فإن اهتدي فإغما يهتدي لنفسه) أي فإن اهتدي باتباعه أي في العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فأغما منافع اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل فقل أغما أنا من المنذرين) أي ومن ضل بخالفني فيما ذكر قتل في حقه أغما أنا من المنذرين فلا على شيء من وبال ضلاله (وقل الحمد لله) على ما أعطاني من نعمة العلم والنبوة وعلى ما وفقني من القيام بأداء الرسالة (سيركم آياته) أي سيركم الله تعالى في الدنيا آياته الباهرة كخروج الدابة وسائر اشراط الساعة (فتعرفونها) أي فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة (وماربك بغافل عما تعملون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب أي وماربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله والباقون بالياء على الغيبة أي وماربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم المسببة للعذاب

(سورة القصص وتسمى أيضا سورة موسى مكية وقيل الا قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فانزلت بالحنيفة بين مكة والمدينة وهي ثمان وثمانون آية وألف وأربعمائة واحد وأربعون وخمسة آلاف وثمانمائة حرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين) أي ان آيات هذه السورة آيات الكتاب الذي بين بفساحتها من كلام الله وبين صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبين خبر الاولين والآخرين وبين كيفية التخلص عن شبهات أهل الضلال (تتلوا عليكم من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) أي نقرأ عليكم بواسطة جبريل بعض خبر موسى وفرعون ملتبساً بالحق لاجل قوم يصدقون بك وبالقرآن فانهم المنتفعون به (ان فرعون علا في الارض) أي تجبر في ملكته أرض مصر (وجعل أهلها) أي أهل ملكته (شيعا) أي أصنافا في استخدام يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بعصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوه ثم الى ان أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه السلام (يذبح أبناءهم) كثير اصغارا وذلك لان الانبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشر وانبيائه عليه السلام وفرعون كان قد سمع ذلك فل هذا كان يذبح أبناء بني اسرائيل عند الولادة وهذا الوجه أولى بالقبول قال وهب قتل القبط في طلب موسى عليه السلام تسعين ألفا من بني اسرائيل قوله يستضعف حال من فاعل علا أو خبر ثان لان أو بدل اشتغال من علا وقوله يذبح بدل اشتغال من يستضعف (ويستحي نساءهم) قيل أي يستخفونهم كبارا (انه كان من المفسدين) في كفره بادعائه الى غير عبادة الله وقتل خلق كثير من أولاد الانبياء (ونريد) بارسال موسى (أن غن على الذين استضعفوا في الارض) أي ان نتفضل على من قهروا في أرض مصر وهم بنو اسرائيل بانجاهم من بأس فرعون وقوله تعالى وزيد الخ

معطوف على قوله ان فرعون الخ لانهم اوقعوا تفسيرين لنبا موسى وفرعون أحوال من طائفة بتقدير المبتدأ
 أي ونحن نريد (ونجعلهم أئمة) أي قادة الى الخير متقدمين في أمور الدين بعد ان كانوا أتباعا مسخرين
 لآخرين (ونجعلهم الوارثين) لملك فرعون وأرضه وما في يده (ونمكن لهم في الارض) أي ننفذ أمرهم
 في أرض مصر والشام يتصرفون فيها ما يشاؤون (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
 أي ونرى رؤية بصرية فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يخافونه من المستضعفين من ذهاب ملكهم
 وهلاكهم على يد مولود من بني اسرائيل وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء المفتوحة ويفتح الراء مع الالة
 ورفع ما بعده (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) أي ألهمنا أم موسى يوحنا نذبت لاوى بن يعقوب أي
 أرضى هذا الصبي (فأذاخفت عليه) أي اشتد خوفك عليه من الذبح بأن يظن به جيرانك ويسمعون
 صوته عند البكاء (فألقيه في أليم) أي ببحر النيل (ولاتخافي) من هلاكه بالغرق ونحوه (ولاتحزني)
 بسبب فراقه (انارادوه اليك) من قريب لتكوني أنت المرتضعة له (وجاعلوه من المرسلين) الى أهل
 مصر والشام قال ابن عباس أم موسى لما تقاربت ولادتها بأن أحست بالطلاق أرسلت الى قابلة وكانت
 مصافية لأم موسى وقالت لها لينفعني اليوم حبك أياي فجلست القابلة تعالجها فلما نزل موسى الى الارض
 هاهنا نور بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها فقالت يا هذه ما جئتكي الا لقتل
 مولودك ولكني وجدت لابنك هذا حباً شديداً فاحفظي ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها
 بعض العميون فجاء الى بابها لدخل على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحارس بالباب فلقته بخرقه
 ووضعته في تنور مسجور فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع فدخل فإذا التنور مسجور ورأى أم موسى لم
 يتغير لها لون ولم يظهر لها ابن فقال لم دخلت القابلة عليك قالت انها حببية لي دخلت للزيارة فخرج من
 عندها فرجع اليها عقلها فقالت لا أخت موسى أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء في التنور فأنطلقت
 اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فأخذته ثم أن أم موسى عليه السلام لما رأت جد فرعون في طلب
 الولد خافت على ابنها فقذف الله في قلبها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فذهبت الى نجار من
 قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا صغيرا فقالا لها ما تصنعين به فقالت لي ابن أخبؤه فيه فلما انصرفت ذهب
 النجار الى الذابحين ليخبرهم بذلك فلما جاءهم أمسك الله لسانه وجعل يشير بيده فضربوه وطرده فلما عاد
 الى موضعه رد الله عليه نطقه فذهب مرة أخرى ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فجعل الله تعالى انه ان رد
 عليه بصره ولسانه لا يدلم عليه فعلم الله تعالى منه الصدق فرد الله عليه ذلك وانطلقت أم موسى وألقته في
 النيل وكان لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان بهار ص شديداً وكان فرعون قد ساور الاطباء والسحرة
 في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيملطخ به
 برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى
 مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى
 جلست على شاطئ النيل اذا قبل النيل بالتابوت تضربه الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون اثبتوني
 به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدر واعليه وعالجوا كسره
 فلم يقدر واعليه فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غير هاهنا فجته ففتحتة فإذا هي بصبي
 صغير واذ نور بين عينيه فألقى الله محبته في قلوب آسية وفرعون فأخرجوه من التابوت وعمدت بنت فرعون
 الوريقة فلطخت به برصها فبرئت في الحال فقبلته وضمتها الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك

اننا نظن ان هذا هو الذي تحذر منه رحي في البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية من فرعون
 فوهبه لها فترك قتله وتبنته فقيل لآسية ممية فقالت مميته موسى بالشين المججمة لا تاو جـ ذناه في الماء
 والشجر فان معنى موما ومعنى شاشجر فأصل موسى بالمهملة موسى بالمهملة وذلك قوله تعالى (قالت قطه
 آل فرعون) أي أخذت موسى جوارى فرعون من بين الماء والشجر يوم الاثنين وذهب بنه الى امرأة
 فرعون (ليكون) أي موسى (لهم عدوا) من بعد ما يحيى اليهم بالرسالة (وحرنا) بذهاب ملكهم وقرأ
 حمزة والكسائي بضم الحاء وسكون الزاي والباقيون بفتحهما (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
 خاطئين) فيما كانوا عليه من الكفر والظلم فعاقبهم الله تعالى بأن ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم
 على أيديهم وقال الحسن معنى كانوا خاطئين أي كانوا لا يشعرون ان موسى هو الذي يذهب بملكهم
 (وقالت امرأة فرعون) وهي آسية لفرعون حين أخرجه من التابوت وهم فرعون بقتله لقول الغواة
 (قرة عين لولك) أي هذا الغلام قرة عين لي ولك يا فرعون قال ابن عباس لما قالت آسية ذلك قال
 فرعون يكون لك واما أنا فلا حاجة لي فيه قال ابن اسحق ان الله تعالى ألقي محبته عليه السلام
 في قلبها لانه كان في وجهه ملاحظة لكل من رآه أحبه ولانها حين فتحت التابوت رأت النور ولانها لما
 فتحت رآته يعتص أصبعه ولان ابنة فرعون لما طخت برصها بريقه زال (لا تقتلوه) خاطبته بلفظ الجمع
 تعظيما لاجل ان يعاونها فيما تريده (عسى أن ينفعنا) فنصيب منه خير الو كان له أبوان معروفان
 (أو نتخذ ولدا) اذ لم يعرف له أبوان وكانت آسية لا تلد (وهم لا يشعرون) وهذا ابتداء كلام من
 الله تعالى أي وهم لا يشعرون ان هلاكهم على يديه وبسببه وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل
 وقال ابن عباس أي وهم لا يشعرون الى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام وقال آخرون هذا من تمام
 كلام امرأة فرعون أي بنو اسرائيل وأهل مصر لا يشعرون انا التقطناه وانه ليس منا (وأصبح فؤاد
 أم موسى فارغا) أي وصار قلب يوحنا نصد فرام العفل لغرط الخوف والحسرة حين سمعت بوقوعه في
 يد فرعون وقيل أي خاليما من الحزن لغاية وثوقها بوعده الله تعالى أو اسماعها ان فرعون تبناه (ان كادت
 لتبدي به) أي انها كادت لتظهر بأمر موسى من فرط الدهشة أو من شدة الفرح بتبني امرأة فرعون
 وقال ابن عباس كادت تخبر بان الذي وجدتموه ابني بعد ان نسب الى فرعون وقال أيضا في رواية عكرمة
 كادت تقول وا ابناء من شدة حزنه عليه حين رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبي ذلك حين سمعت
 الناس يقولون لموسى بعدما شب انه ابن فرعون (لولا أن ربطنا على قبلها) أي لولا حفظنا قلبها بالهام أصبر
 لا بدت قصة موسى (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعده الله تعالى برده اليها وبأن يكون من
 المرسلين أو من الواثقين بحفظ الله تعالى لا بتبني امرأة فرعون وتعطفها (وقالت) أم موسى (لاخته)
 الشقيقة مريم وقال الضحاك اسمها كلثمة وقال السهيلي اسمها كلثوم (قصيه) أي فتشى خبره وانظري
 الى أين وقع (فبصرت به عن جنب) أي فأبصرت مريم ذلك الغلام كائنة من مكان بعيد اختفاء عن
 الناس (وهم لا يشعرون) بغرضها وبانها أخت موسى (وحرمننا عليه المرائع من قبل) أي منعناه ان
 يرتضع من المرضعات التي أحضرها فرعون من قبل محبي أمه قال الضحاك كانت أمه قد أرضعته ثلاثة
 أشهر حتى عرف ريحها وروى ان موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصبح فقالوا لأخت موسى بعد
 نظر هاله وقرب سامنه هل عندك مرضعة فتدليننا عليها لعلها يقبل ثديها (فقالت) أي أخت موسى لآل
 فرعون عند عدم قبوله ثدي أحد من المرضعات (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمنون

رضاعه ويقومون بجميع مصالحه لا جلكم (وهم له ناصحون) أي وهم لا ينعونه ما ينفعه في تربيته واغذائه ولا يخونونكم فيه قال السدي لما قالت مريم ذلك أخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام فذلي ناعلي أهله فقالت ما أعرفه وقالت اغما أردت أنهم للملك ناصحون فتخلصت منهم بذلك وقيل قالوا لها من هم قالت أي قالوا أولادك ابن قالت نعم هرون قالوا صدقت فأتينابها فانطلقت الى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلم يجدوا الصبي ريج أمه قبل ثديها وجعل يحضه حتى امتلأت جنباه ريا فقالوا أقمي عندنا فقالت لا أقدر على فراق بيتي ان رضيت ان أكفله في بيتي والا فلا حاجة لي به وأظهرت عدم الرغبة فيه نفيا للتمسك فرضوا بذلك فوجعت به الى بيتها قال الضحاك لما قبل ثديها قال هاما انك لامة قالت لا قال فما لك قبل ثديك من بين النسوة قالت أيها الملك اني امرأة طيبة الريح حلوة اللبن ماثم ريجي صبي الأقبل على ثديي قانوا صدقت فلم يبق أحد من آل فرعون الا أهدى اليها وأحفها بالذهب والجواهر (فرددناه) أي موسى (الى أمه كي تفرعنيها) أي تطيب نفسها بوصول موسى اليها وترتيبها له في بيتها (ولا تحزن) على موسى بفراقه (ولتعلم ان وعد الله) في رده اليها وجعله من المرسلين (حق) ولكن أكثرهم لا يعلمون أن المقصود الاصل من رده اليها علمها بان وعد الله حق لا خلف فيه بشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه فهذا هو الغرض الديني وما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبسع فكث موسى عند أمه الى ان فطمته وأمر فرعون باجراؤه أجزتها الكل يوم دينار فأنت به فرعون واستمر عنده يأكل من ما كوله ويشرب من مائه ويلبس من ملبوسه الى ان كل (ولما بلغ أشده) أي كمال قوته الجسمانية (واستوى) أي تكامل عقله (آتيناه حكما وعلما) أي أعطيناه علم الحكمة والعلماء (وكذلك) أي ومثل ذلك الذي أعطينا موسى الحكم والعلم (نجزي المحسنين) أي العلماء بالعلم والحكمة (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) أي ودخل موسى مدينة منف في وقت اشتغال أهلها عند نصف النهار ومنف بفتح الميم وسكون النون أصلها مآفة ومعناها بلغة القبط ثلاثون لأنها أول مدينة عمرت بعد الطوفان نزلها مصر بن حام في ثلاثين رجلا فسميت ماقت ثم عربت منف قيل ان موسى عليه السلام لما بلغ أشده وآتاه الله العلم في دينه ودين آباءه علم ان فرعون وقومه على الباطل فتكلم بالحق وعاب دينهم واشتهر ذلك منه حتى آل الامر الى ان أخافوه وخافهم وكان له من بني اسرائيل شيعة يقتدوا به ويسمعون منه وبلغ في الخوف بحيث ما كان يدخل مدينة فرعون الا خائفاء دخلها يوما وقت كونهم قائلين (فوجد فيها) أي المدينة (رجلين يقتتلان) أي يلازمان مقدمات القتل من الضرب والخنق (هذان شيعة) أي عن تابع موسى على دينه وهم بنو اسرائيل (وهذان عدوه) أي عن يخالف موسى في دينه وهم القبط فالقبطي الذي سخر الاسرائيلي كان طبياخ فرعون استسخره لحمل الخطب الى مطبخه واسمه فليثون أو فاتون (فاستغاثه الذي من شيعة على الذي من عدوه) أي طلب الاسرائيلي من موسى ان ينصره على القبطي وان يخلصه منه (فوكزه موسى) أي دفعه باطراف الاصابع وقيل بقبضها وقرأ ابن مسعود فلكزه موسى وقال بعضهم الوكز في الصدر واللكز في الظهر (فقضى عليه) أي أنهى موسى حياة القبطي وخفي هذا على الناس فلم يعرف به أحد لما هم في الغفلة فندم موسى عليه السلام عليه فدفنه في الرمل (قال هذان عمل الشيطان) أي هذا القتل من عمل الشيطان لاني لم أؤمر به أو هذا المقتول من جنود الشيطان (انه عدو عضل مبين) أي ظاهر العداوة والاضلال (قال) منا جيا مع الله تعالى (رب اني ظلمت نفسي) بقتل القبطي من غير أمر فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به

(فاغفر لي) أي فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم) أي المبالغ في ستر ذنوب عباده وفي رحمتهم (قال) موسى (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للعجمين) أي أقسم بأنعامك علي بالقوة والمعرفة فلن أكون معينا لاحد من المشركين بل أكون معاونا للمسلمين أي اني وان أسأت في هذا القتل الذي لم أؤمر به فلا أترك نصرة المسلمين علي المجرمين ونصرة المؤمنين واجبة في جميع الشرائع قال الفراء وفي قراءة عبد الله فلا تجعلني ظهيرا للعجمين (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) أي فصار موسى في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفا من ان يظهر انه هو القاتل فيطلب بذلك القتل يترقب أي ينتظر. زنصرة الله اياه (فاذا الذي استنصره بالامس) أي فاذا الاسرائيلي الذي استعان بموسى علي القبطي (يستصرخه) أي يطلب من موسى نصرته بصياح علي قبطي آخر يريد ان يستخدم الاسرائيلي (قال له) أي للقبطي (موسى انك لغوى مبين) في تسخير هذا الاسرائيلي (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) أي فلما أراد موسى أن يأخذ عدوه وعدو الاسرائيلي بسطوة لخلاصه من عدو هما لان القبطي لم يكن علي دينهما ولان القبط أعداء بني اسرائيل (قال) أي القبطي وكان عرف القصة من الاسرائيلي أو كان توهم من زجر موسى للاسرائيلي انه هو الذي قتل الرجل بالامس (يا موسى أتريد أن تقتلني) اليوم (كما قتلت نفسك) قبطيا (بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) أي ماتريد يا موسى الا ان تفعل ماتريده في أرض مصر من ضرب وقتل من غير نظر في العواقب (وما تريد أن تكون من المصلحين) أي المتورعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وانتشر حديث هذه الواقعة في المدينة وانتهى الى فرعون وهو باقتله (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون اسمه معان وكان ابن عم فرعون (من أقصى المدينة) أي من آخرها (يسعى) أي يسرع في مشيه (قال يا موسى ان الملائكة أي أولياء المقتول (يأترون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك فاتفقوا علي ان يمتثلوا أو اقبل ليهلكوك (فاخرج) من هذه المدينة (انك من الناجين) أي المشفقين (اخرج) موسى عليه السلام (منها) أي المدينة (خائفا) علي نفسه من آل فرعون (يترقب) أي ينتظر لحوق الطالبين ويكثر الالتفات وينظر هل يلحقه أحد يطلبه (قال) عند ذلك (رب نجني من القوم الظالمين) أي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم وهذا يدل علي ان قتله عليه السلام لذلك القبطي لم يكن ذنبا (ولما توجه تلقاء مدين) أي لما قصد الذهاب الى مدين لانها ليست تحت ملك فرعون ولانه وقع في نفسه ان بينه وبين أهل مدين قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم عليه السلام وهو منهم ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد علي فضل الله تعالى (قال عسى ربني أن يهديني سواء السبيل) وهي من اضافة الصفة للوصف أي الطريق الوسط وكان لمدين ثلاث طرق فأخذ موسى الطريق الوسطي وأخذ الطلاب الاخرين وقال ابن اسحق خرج موسى من مصر الى مدين بغير زاد ولا مركوب وبينهم مائة ثمانية أيام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه (ولما ورد مدين) أي لما وصل الى مدين (وجد عليه) أي فوق شفيرها (أمة) أي جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم وكانوا أربعين رجلا (ووجد من دونهم امرأتين تزدودان) أي تحبسان غنهما ما عن الماء من ضعفهما حتى يفرغ القوم وقال ابن اسحق اسم الكبرى صغورا والصغرى ليا (قال) موسى لهما (ما خطبكما) أي ما شأنكما لاتسقيان غنمكما (فالتا لتسقي) أي لا تقدران نسقي غنمنا (حتى يصدر الرعاء) قرأ

أبوهم وابن عامر وعاصم بفتح الياء وضم الدال أي حتى يرجعوا من سقيهم والباقون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء (وأبو ناسخ كبير) لا يستطيع أن يسقي وليس له أحد يعينه غيرنا (فسقى لهما) أي فسقى موسى غنمهما لاجلهما قيل محمد موسى إلى بئر على رأسه صخرة لا يرفعها إلا عشرة رجال افتحها بنفسه واستقى الماء من ذلك البئر (ثم تولى) أي انصرف موسى (إلى الظل) أي ظل صخرة فجلس فيه ليستريح من حر الشمس وهو جائع لم يذق طعاما في سبعة أيام (فقال رب اني لما أنزلت إلى من خير فقير) أي رب اني بسبب ما أنزلت إلى من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا وذلك لان موسى كان عند فرعون في ثروة فقال ذلك رضا بهذا البدل وفرح به وشكره روى أنه لما رجعنا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال له ماما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا حرمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وهي الكبرى عندنا كثيرين (فجاءته احدهما) واسمها صفورا (رتمشى على استحياء) أي ماثلة عن الرجال رافعة كها على وجهها (قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) مواشينا روى ان موسى عليه السلام أجابها فانطلقا وهي امامه فزقت الرمح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليه السلام (فلما جاءه) أي جاء موسى شعيبا (برقص) موسى (عليه القصص) أي فراره من فرعون (قال) شعيب له (لا تخف فنجوت من القوم الظالمين) من أهل مصر فان فرعون لا سلطان له في أرضنا قال الضحاك لما دخل على شعيب قال له من أنت يا عبد الله فقال أنا موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب وذكره جميع أمره من لدن ولادته وأمر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال شعيب لا تخف فنجوت من القوم الظالمين أي لا نالنا في ملكه فرعون وروى انه موسى لما دخل على شعيب فاذا الطعام موضوع فقال شعيب تناول يا فتى فقال موسى عليه السلام أعوذ بالله قال شعيب ولم ذلك قال لا نامن أهل بيت لا نبسح ديننا بملء الأرض ذهباً ولا نأخذ على المعروف عوضاً فقال شعيب طادتي وعادة آباءني اطعام الضيف فجلس موسى فأكل واغنا كره أكل الطعام خشية أن يكون ذلك أجرة له على عمله (قالت احدهما) وهي التي دعته إلى أبيها وهي التي تزوجها موسى (يا أبت استأجره) أي اتخذه أجرا رعى أغنامنا (ان خير من استأجرت القوى الامين) روى ان شعيبا أخذته الغيرة فقال وما أعلمك بقوة وأمانته فذكرت ما شاهدته منه عليه السلام من كيفية السقي ورفع الصخرة من فم البئر ومن غض بصره حال ذوده الماشية وحال سقيه له ما وحال مشيه أمامها إلى أبيها (قال) أي شعيب لموسى عند ذلك (اني أريد أن أتكحك احدي ابنتي هاتين) أي الحاضرتين (على أن تأجرني ثمانى حجج) أي مشروطا على أن تأجرني نفسك في رعي غنمي ثمانى سنين (فان أتممت عشرا) من السنين في العمل (فن عندك) أي فالتمام من عندك بطريق التفضل لامن عندى بطريق الإلزام عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين ولا أكلفك الاحتياط الشديد في كيفية الرعي بل أسألك فيها بقدر الامكان (ستمجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة وغيره وانما قال شعيب ان شاء الله للتبرك ولتفويض أمره إلى معونته تعالى لا لتعليق صلاحه بمشيئته تعالى (قال) موسى (ذلك بيني وبينك) أي ذلك الشرط ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا (أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على) أي أي أحد الوقتين وفيه تسك بأداء الخدمة فيه فلا اثم على فكل الاثم على في قضاء الاكثر لا اثم على في قضاء الاقصر فقط (والله على ما نقول) من الشرط

الجاري بيننا (وكيل) أى شاهد ولما تم العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وفي بعض الاخبار أن موسى لما عقد العقد مع شعيب وأصبح من الغد وأراد الرعى قال له شعيب عليه السلام اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق نخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلد بها أكثر فإن بها اثنين اعظم ما فأخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على ان يرد هاقلم بقدر فصار على أثرها فرأى عسبا كثيرا ثم ان موسى عليه السلام نام والاغنام ترعى واذا بالتنين قد جاء فقامت عصا موسى فقاتلته حتى قتلتها وعادت الى جنب موسى وهى دامية فلما استيقظ موسى رأى العصاد امية والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعلم أن الله تعالى فى تلك العصا آية وعاد الى شعيب وكان ضريرا فأس الاغنام فاذا هى أحسن حالا عما كانت فسأله عن ذلك فأخبره موسى بالقصة ففرح بذلك وعلم أن موسى وعصاه شأنان فأراد أن يجازى موسى على حسن رعيه اكرامه وصلة لابنته فقال انى وهبت لك من السنحال التى تضعها أغنامى فى هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء التى تسقى الغنم منه ففعل ثم سقى الاغنام منه فما أخطأت واحدة منها الا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وامر أنه فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الاجل) أى أمته (وسار) نحو مصر لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه (بأهله) أى بزوجته وابنته منها والخادم باذن من شعيب عليه السلام (آنس من جانب الطور نارا) أى رأى من جهة جبل الطور عن يسار الطريق نارا ولما عزم على السير قال لزوجته اطل من أبيتك أن يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك (قال لاهله امكثوا) أى انزلوا ههنا (انى آنست نارا) وقرأ حمزة لاهله فى الوصل بضم الهاء وقرأ ابن نافع وابن كثير وأبو عمر وفتح الياء (لعل آتيكم منها خبر) أى من عند النار بخبر الطريق وقد كان موسى تحسرق الطريق (أوجدوة) أى عود غليظ (من النار) وقرأ عاصم بفتح الجيم وحمزة بضمها والباقيون بالكسر (لعلكم تصطلون) أى لى تدفوا بها روى أنه أظلم عليه الليل فى الصحراء وهبت ريح شديدة فرقت ماشيته وأصابهم مطر فوجدوا بردا شديدا فعند ذلك أبصر نارا بعيدة فسار اليها يطلب من يده على الطريق (فلما أتوها) أى النار التى أبصرها (نودى من شاطئ الوادى الايمن) أى أتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى (فى البقعة المباركة) فإنه حصل لموسى عليه السلام فى تلك البقعة ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه والجار والمجرور متعلق بنودى (من الشجرة) أى من جهة الشجرة وهى شجرة عنب أو شوك وهذا بدل اشتمال من شاطئ (أن يا موسى) فان مفسرة (انى أنا الله رب العالمين) والعامية على كسر همزة انى على تعهين النداء معنى القول وقرئ بالفتح فهى معمولة لفعل مضمر تقديره أى يا موسى اعلم انى أنا الله (وأن ألقى عصاك) من يدك وهذا معطوف على أن يا موسى مفسر أيضا لنودى فالقاهاف صارت نعبانا فتحركت رافعة رأسها (فلما رآها تهتز كأنها جان) أى شبيهة بالحياة الصغيرة فى سرعة حركتها مع غاية عظم جثتها ولم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعت حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقة الشجر والصخر فى جوفها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت اليها قال الله (يا موسى أقبل) اليها (ولا تخف) منها (انك من الأمنين) من مرها فافخذها موسى فاذا هى عصا كما كانت قال الله (أسلك يدك فى جيبك) أى ادخل كفك اليمنى فى طوق قميصك وأخرجها (تخرج بيضا) لهاضوه كضوء الشمس (من غير سوء) أى عيب

(واضم اليك جناحك من الرهب) أى ادخل الكف اليمين التى حصل فيها البياض فى جيبك فتعود الى حالتها فيزول عنك الفزع الذى حصل لك وقيل من أجل الخوف اذا أرهبت بها الناس وقال ابن عباس ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يضم يده الى صدره ليذهب عنه الخوف عند معاينة الحية فعنى من أجل الرهب أى اذا أصابك الخوف فافعل ذلك تجلدا واضبط نفسك وقال مجاهد وكل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع (فذا لك برهانان من ربك الى فرعون وملئه) أى فاعصا واليد جنتان نيرتان كاثنتان من الله تعالى واصلتان الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن عبودية الله فكانوا أحقاء بأن ترسل اليهم بهاتين المجهزتين الباهرتين (قال رب انى قتلت منهم نفسا) هو القبطى (فأخاف أن يقتلون) بمقابلتها فيغوت المقصود يقتلى (وأخى هرون هو أقصم منى لسانا) أى أبين منى كلاما (فأرسله معى ردا) أى معينا وقرأنا فع ردا بتنوين الدال وحذف الهمزة (يصدقنى) أى أرسل معى أخى حتى يعاضدنى على اظهار الحججة فربما حصل المقصود من تصديق فرعون والمراد بتصديق هرون تخفيفه بلسان الفصح وجوه الدلائل وجوابه عن الشبهات ومجادلته الكفار وقرأنا صم وحزمة بالرفع صفة لرد أو بروى عن أبى عمرو أيضا والباقون بالجزم وهو المشهور عن أبى عمرو (انى أخاف أن يكذبون) بالرسالة لان لسانى لا يطاوعنى عند الحاجة بسبب العقدة التى حصلت بسبب الجرة (قال) الله تعالى (سنشد عضدك باخيك) أى سنقوى ظهرك بهرون ونعين أمرك به (ونجعل لك سلطانا) أى غلبة بالحجة فى الحال وغلبة فى المملكة فى ثانى الحال (فلا يصلون اليك أبأ ياتنا) فالآية التى هى قلب العصا حية تنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وهرون عليها ما السلام لانهم اذا علموا انه منى ألقاها صارت حية عظيمة وان أراد ارسالها اليهم أهلكتهم زجرهم ذلك عن الاقدام عليهما بسوء فصارت مانعة من وصولهم اليهما بالقتل وغيره (أتقوا من اتبعكم الغالبون) على فرعون وقومه بالبرهان والدولة وقوله بآياتنا متعلق بلا يصلون أو بالغالبون (فلما جاءهم موسى بآياتنا) وهى العصا واليد فى كل منهما آيات عديدة (بينات) أى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى من الله تعالى (قالوا ما هذا) أى الذى جئتنا به (الامحرمه ترى) أى موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر أو محر كذب هو من تلقاء نفسه لان الذى أظهرته مجهزة صادرة من الله تعالى وانما أنت تفترى على الله تعالى (وما سمعنا بهذا) أى الذى تدعونا اليه من التوحيد والذى تدعيه من الرسالة عن الله تعالى واقعا (فى آياتنا الاولين) وقد كذبوا فانهم سمعوا بذلك على أيام يوسف عليه السلام (وقال) لهم (موسى) وقرأ ابن كثير بغير واو (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) أى ربى عالم بمن جاء بالرسالة من عنده ومن تكون له العاقبة المحمودة فى الدنيا وهى ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت فالدنيا خلقت من رعة لآخره ومجازا اليها المقصود بالذات هو الثواب للطيعين العابدين فيكون الثواب هو العاقبة الاصلية ولا اعتمادا بعاقبة السوء لانها من نتائج أعمال الفجار ويكون العقاب انما قصد بالتبعية (انه لا يفلح الظالمون) أى لا يظفر المشركون بالنجاة والمنافع كما قال القائل من بحر الطويل

فليتك تخلصوا الحياة مريرة * وليتك ترضى والانا م غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر * وبينى وبين العالمين خراب

(وقال فرعون) بعدما جمع السحرة لمعارضة موسى فكان من أمرهم ما كان (يا أيها الملأ ما علمت لكم

من اله غيري فأوقدلى ياها مان على الطين) أى بعد اتخاذه لبنا ولم يقل فرعون اطبخ لى الآجر لانه أول
 من عمل الآجر فهو يعلم صنعته لها مان (فاجعل لى) منه (صرها) أى قصرا عاليا (لعلى أطلع الى اله
 موسى) أى أنظر اليه (وانى لأظنه) أى موسى عليه السلام (من الكاذبين) فى ادعائه وجود اله
 غيري فليس فى السماء من اله واعلم ان عادة فرعون متى ظهرت حجة موسى يدفعها بشبهة ير وجها
 على أنحمار قومه وهى قوله لادليل على وجود اله غيري فلا أثبتة بل أظن موسى كاذبا فى دعواه وذلك نفي
 اله غير نفسه وقوله لا تكليف على الناس إلا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره فهذا هو ادعائه الالهية
 لا ادعائه كونه خالقا للسماء والارض ومن مكر فرعون ودهائه انه لما دل سيدنا موسى عليه السلام فرعون
 بقوله رب السموات والارض أوهم فرعون أنحمار قومه ان موسى قال ان الهه فى السماء وأمر فرعون وزيره
 ببناء الصرح قيل لما أمر فرعون ببناء الصرح جمع هاما ان العمال حتى اجتمع عنده خمسون ألف
 بنساء سوى الاتباع والاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الحشب وسبك المسامير فبنوا الصرح
 ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه را كبا على
 البراذين فأمر بنشابة فضرب بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال تدقت لى اله موسى فبعث
 الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر
 فرعون فقتلت منه ألف ألف رجل وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد من عماله
 الا وقد هلك (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أى أرض مصر (بغير الحق) أى ملتبسين بغير
 استحقاق (وظنوا) أى فرعون وجموعه القبط (أنهم الينا) أى الى حكنا (لا يرجعون) بالشور
 وقرأ نافع وحزق والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم فهو من الرجوع وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الجيم فهو
 من الرجوع (فأخذناه وجنوده) عقب ما بلغوا أقصى الغايات فى العتو وفى هذا استحقاق لهم واستقلال
 بعددهم وان كانوا كبيرا كثيرا وتعالى شأنهم لاشان الاخذ فشبهم الله تعالى بحصيات أخذهن آخذى كفه
 فطرحهن فى البحر وذلك قوله تعالى (فتبذناهم فى اليم) أى فالتقمناهم فى البحر قيل هو بحر
 يسمى اسافا من وراء مصر حكاه ابن عساكر (فانظر) يا أشرف الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين)
 أى كيف صار آخر أمر المشركين وبينه لقومك ليعتبروا به (وجعلناهم أئمة) أى رؤساء (يدعون الى
 النار) أى الى ما يؤدى الى النار من الكفر والمعاصى وقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير أئمة بابدال الهمزة
 الثانية ياء (ويوم القيامة لا ينصرون) فلا يمكن التخلص من العقاب الذى سينزل بهم لانهم بلغوا
 أقصى النهايات فى باب المعاصى حتى صاروا قدوة للضلال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى ابعادا
 من الرحمة ولا تزال تلغنهم الملائكة والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى
 من المطرودين عن الرحمة ومن الموسومين بعلامة منكفرة كزرقة العيون وسواد الوجوه (ولقد آتينا
 موسى الكتاب) أى التوراة (من بعدما أهلكتنا القرون الاولى) هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط
 عليهم السلام (بصائر للناس) أى حال كون الكتاب أنوار القلوب للناس فانه يستبصر به فى باب الدين
 (وهدى) الى كل خير فان الكتاب يستدل به والتمسك به يفوز بمطلوبه من الثواب (ورحمة) لان
 الكتاب من نعم الله تعالى على من تعبد به فكل من عمل به ينال رحمة الله تعالى (لعلهم يتذكرون) أى
 ليكونوا على حال ير جى منه التذكرو روى أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أهلك
 الله تعالى قرا من القرون بعذاب من السماء ولا من الارض منذ أنزل التوراة غير أهل القرية التى مسحها

قدرة (وما كنت) يا أفضل الخلق (بجانب الغربي) أى فى المكان الواقع فى شق الغرب من جبل
 الطور وهو المكان الذى وقف فيه ميقات موسى عليه السلام الذى رأى فيه النار (اذ قضينا الى موسى
 الامر) أى حين أوحينا الى موسى أمر الرسالة حيث أمرناه بالاتيان الى فرعون وقومه (وما كنت
 من الشاهدين) لموسى وما جرى عليه (ولكن أنشأنا قرونا) أى ولكننا خلقنا بين زمانك وزمان موسى
 أعما كثيرة (فتطاول عليهم العمر) فتغيرت الاحكام وخفيت عليهم الاخبار لاسيما على آخرهم
 فاقضى الحال اظهار الاحكام الجديدة فأوحينا اليك فاخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور لها دلالة
 ظاهرة على نبوتك (وما كنت ناويا فى أهل مدين) أى وما كنت ياسيد الرسل مقيما فى أهل مدين
 من شعيب والمؤمنين به (تتأول عليهم آياتنا) أى تقرأ على أهل مدين آياتنا الناطقة بالقصة على طريق
 التعلم منهم ويقال وما كنت مقيما فى أهل مدين وقت تلاوتك القرآن على قومك أهل مكة تخبرهم قصة أهل
 مدين مع موسى ومع شعيب حتى تنقلها بطريق المشافهة وانما أتيتك بطريق الوحي الالهى فاخبارك
 لأهل مكة انما هو عن وحي لا عن مشاهدة للمخبر عنه وذلك قوله تعالى (ولكننا كنا مرسلين) اياك
 وموحين اليك تلك الآيات ونظائرهما (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) أى وما كنت ياسيد الخلق
 بجانب جبل زبير حين نادينا موسى ليلة المناجاة والتكليم لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة ويقال
 اذ نادينا أمتك قال وهب لما ذكر الله لموسى فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال رب أرنيهم قال انك لن
 تدركهم وان شئت أسمعتك أصواتهم قال بلى يارب فقال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم
 فأسمع الله تعالى أصواتهم ثم قال أجبتمكم قبل أن تدعوني (ولكن رحمة من ربك) أى ولكن
 أرسلناك بالقرآن لرحمة عظيمة كائنة منالك وللناس وقرأ عيسى ابن عمر بالرفع أى لكن هى رحمة
 (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) أى لكى تخوف بالقرآن من العقاب على المعصية قوما لم يأتهم
 رسول مخوف قبلك لوجودهم فى فترة بينك وبين عيسى رهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين
 اسماعيل بناء على القول بأن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل (لعلهم يتذكرون) أى
 يتعظون بانذارك (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبّع
 آياتك ونكون من المؤمنين) أى ولولا انهم قائلون بلسان الحال اذا عوقبوا يوم القيامة بسبب اكتسابهم
 فى كفرهم أنواع المعاصي لم ترسل الينا رسولا مع الكتاب قبل هذا العذاب فيمتسبب عن ارسال رسولك
 ان نتبّع كتابك ونصدق بكل ما أتى به رسولك ما أرسلناك اليهم وانما أرسلنا الرسول قطعاً لما عذيرهم بالكلية
 أى لكى لا يكون لهم حجة علينا (فما جاءهم الحق من عندنا) أى فلما جاء الرسول بالكتاب المهجز أهل
 مكة (قالوا) أى كفار مكة تعنتا (لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) أى هلا أعطى محمد مثل ما أعطى
 موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا ومن اليد البيضاء وغير ذلك قال تعالى رداعليهم
 (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أى ألم يكفروا بكفار مكة من قبل هذا القول بما أعطى موسى من
 الكتاب كما كفروا بهذا القرآن فان كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات فلما طلبوا من سيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم هجرات سيدنا موسى عليه السلام رد الله تعالى عليهم بذلك القول لانه لا غرض لهم من
 هذا الاقتراح الا التعنت (قالوا) أى كفار مكة (محجران تظاهرا) وقرأ الكوفيون بكسر السين
 وسكون الحاء والمعنى أى ما أوتى محمد وما أوتى موسى محجران تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وقرأ
 الباقر سحران بصيغة اسم الفاعل أى محمد وموسى سحران أعان كل منهما صاحبه على سحره روى ان

مشركى مكة بعثوا رهطاً الى يهود المدينة ليسألهم عن شأن محمد صلى الله عليه وسلم فسألوهم عنه فقالوا انا
 نجد في التوراة بصفته فلما رجع رهط اليهم وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ان موسى كان ساحراً كما
 ان محمد ساحر فقال تعالى في حقهم أولم يكفروا بما أوتى موسى (وقالوا) أى كفار مكة (انابكل) من التوراة
 والقرآن أو من محمد وموسى (كافرون) أى غير مصدقين (قل) لهم تعجبوا منهم وتوبيخوا (فأتوا بكتاب
 من عند الله هو الهدى منهما) أى اذالم تؤمنوا بهذين الكتابين وقلتم فيهما ما قلتم فأتوا بكتاب من عند الله هو
 أوضح في هداية الخلق منهما (أتبعه) أى فان أتيت به أتبعه (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم ان التوراة
 والقرآن محرران مختلفان (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم) أى فان لم يمكنهم ان يأتوا بكتاب
 أفضل منهما فاعلم انهم ليس لهم مستند وانما هم محض هواهم الفاسد (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير
 هدى من الله) أى لا أضل منه لانه أضل من كل ضال (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم
 بالانهمالك فى اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق (ولقد وصلناهم القول) أى أنزلنا
 القرآن منجما يتصل ببعضه ببعض ليكون ذلك أقرب الى تنبيه كفار مكة فانهم كل يوم يطلعون على فائدة
 فيكونون عند ذلك أقرب الى التذكر أو جعلنا القرآن أنواعا من المعاني من قصص وعبر ونصائح
 (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون بما فى القرآن (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل مجيئ القرآن
 (هم به يؤمنون) وهم مؤمنوا أهل الكتاب (واذا يتلى) أى القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه) أى
 القرآن (الحق من ربنا انما كنا من قبله) أى من قبل قراءة القرآن علينا (مسلمين) أى مخلصين لله
 بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) بإيمانهم بمحمد قبل بعثته
 وبعد بعثته (بما صبروا) على طعن الكفار وأذا هم متى بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم
 ودخلوا فى دينه قال مقاتل هؤلاء لما آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شتمهم المشركون فصفحو عنهم
 فلمهم أجران أجر على الصنع وأجر على الايمان وقال السدى ان اليهود عابوا عبد الله بن سلام وشتموه
 وهو يقول سلام عليكم (ويدرون بالحسنة السيئة) أى ويدفعون بالطاعة المعصية وبالعفو الاذى
 وبالامتناع من المعاصى فان نفس الامتناع حسنة (وعما رزقناهم ينفقون) وقال سعيد بن جبير
 وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا بالاسلمين من الخصاصة
 قالوا له يا نبي الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا ان نصرفها فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين أذن لهم فانصرفوا
 فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الثلاث (واذا سمعوا اللغو) أى ما لا ينفع فى دين ودنيا
 (أعرضوا عنه) أى اللغو (وقالوا) للاغنيين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى لنا ديننا ولكم
 دينكم (سلام عليكم) وهو سلام اعراض وفراق لسلام تحية فلا تقابلكم بمثل ما فعلتم بنا (لأنتم فى
 الجاهلين) أى لان طلب محبتهم ولا إنجازهم بالباطل على باطلهم فان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل
 الكتاب ويقولون تبالكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (انك) يا أمرف الخلق
 (لا تهدي من أحببت) ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (قال الزجاج أجمع المسلمون على ان
 هذه الآية نزلت فى أبى طالب وذلك ان أباطال قال عند قرب موته يا معشر بنى عبد مناف أطيعوا محمدا
 وصدقوه تفهوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصح لانفسهم وتدعها لنفسك قال
 فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فاذنك فى آخر يوم من أيام الدنيا ان تقول لا اله الا الله أشهد لك
 بها عند الله تعالى قال يا ابن أخي قد علمت انك صادق وانك اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون

عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسيبة بعدى لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك
وفصلك ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف ثم مات اه وهذه الآية
لادلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب لان الله هو الذي هدا بعد أن أيس منه النبي صلى الله عليه وسلم أما
الاحاديث الدالة على عذابه ودخوله النار فهو ما ترك النطق بالشهادتين أو لغيره وذلك ان لم يعتد بها
فطبق به من الشهادة فالعذاب يكون لترك النطق بالشهادة وان اعتد به فالعذاب يكون في مقابلة ترك
فرض آخر وما يدل على انه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد وصى قريشا عند موته باتباع رسول
الله وقال والله لقد دانت له العرب والحجم فلا يسيب قنكم اليه سائر العرب فيكونوا أسعديه منكم فعلى هذا قد
حصل منه التصديق بقلبه وعن عبد الله بن ثعلب العذري أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني
عبد المطلب فقال لن ترأوا بخير ما معتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا وانه قال ألم
تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كومي صبح ذلك في الكتب وانه قال عند قرب موته مخاطبا رسول الله
صلى الله عليه وسلم

ودعوتني وعلمت انك صادق * ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذار مسيبة * لوجدتني سمعاً بذلك مبينا

واعلم انه لو ترك شخص النطق بالشهادتين بعد المطالبة لالا باء عن الاسلام ولا لعناده بل لخوف من
ظالم أو من ملامة أو مسيبة عند من يعظم ذلك وقلبه مطمئن بالإيمان فلا يكون كافرا بينه وبين الله بل لو
تكلم بالكفر والحالة هذه لا يضره وقال الحليمي لا خلاف في ان الايمان ينعدم بغير كلمة لا اله الا الله حتى
لو قال لا اله غير الله أو لا اله ما عدا الله أو ما سوى الله أو ما من اله الا الله أو لا اله الا الرحمن أو لا الرحمن الا الله
أو لا البارئ فهو كقوله لا اله الا الله اه وكذا لو قال محمد نبي الله أو مبعوثه أو نوح ذلك أو ما يؤدي الى ذلك
باللغات العجمية صح اسلامه وحكم بكونه مسلما وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت
لوائ وان عبد المطلب يعطى نور الانبياء وجمال الملوك وعن جعفر بن محمد الصادق وقال ويحشر عبد
المطلب له نور الانبياء وجمال الملوك ويحشر أبو طالب في زمرة أي انما يعطى عبد المطلب نور الانبياء
لانه كان على التوحيد ولانه مستقل لا تابع وهو من أهل الفترة وانما يعطى جمال الملوك لانه كان سيد
قريش في زمانه فهو في ذلك ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا وما يدل على ان أبا طالب مؤمن ما روى عن
اسحاق بن عبد الله بن الحرث قال قال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أترجو لابي طالب خيرا قال
كل الخير أرجو من ربي ورباؤه صلى الله عليه وسلم يحقق ولا يرجو كل الخير الا المؤمن وما روى عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لابي وأمي وعمي أبي طالب وأخ كان لي في
الجاهلية أو رده المحب الطبري أي وهو الاخ من الرضاة وفي الحديث اني ادخرت شفاعتي جعلتها لمن مات
من أمتي لا يشرك بالله شيئا اه وما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب أخرج من طعم طام النار وغمراتها
الى ضحضاخ منها وخفف عنه من عذابها وجعل أخف أهل النار عذابا باليس نعلين من النار فاست النار
الاتحت قدميه ولو كان كافرا لسكان عذاب الكفر فوق عذاب الكفار قطعوا ولو وجد مؤمن طاص أخف
عذابا من أبي طالب لزم الخلف في قوله صلى الله عليه وسلم حيث جعله أخف أهل النار على الإطلاق

فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين في مقابلة كبيرة كذا في رسالة السيد رسول البرزنجي
(وقالوا) أي أهل مكة (ان تسمع الهدى معك تختطف من أرضنا) أي ان توحدا لله معك يا محمد نظرد من
مكة روي ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعلم انك على
الحق ولكننا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب ان يتخطفونا من أرضنا أي ان يجتبهوا على محاربتنا
ويخرجونا من مكة فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (أولم تكن لهم حرما آمنا) أي ألم نجعل مكانهم حرما
ذا أمن (يجي اليه ثمرات كل شيء) أي يحمل اليه من كل ناحية ألوان كل شيء من الثمرات وقرنا نافع
بالتاء الغوقية (رزقنا من لدنا) فاذا كان حالهم ما ذكر مع كونهم عبدة أصنام فكيف يخافون ان نسلط
عليهم الكفار ان ضموا الى حرمة البيت حرمة الايمان فرزقنا ما مصدر مؤ كد ليحيى أو مفعول له أو حال
من ثمرات بمعنى مرزوق (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انا جعلنا الحرم آمنا وانا سقنا اليه الرزق من كل
جهة (وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها) أي وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحالكم في ادرار
الرزق حتى طغوا بالنعمة في زمن حياتها فأهلكناهم وخر بناديارهم (فتلك مساكنهم لم تسكن من
بعدهم) أي من بعدهم هلاكهم (الاقليلا) أي الا في زمن قليل يسكنها المسافرون وماروا الطريق
(وكانن الوارثين) أي المالكين لها بعدهم هلاك أهلها (وما كان ربك مهلك القرى) أي مهلك أهل
القرى (حتى يبعث في أمها) أي في أعظمها (رسولا) فعادة الله ان يبعث الرسل في المدن لان أهلها
أفطن وغيرهم يتبعهم (يتلو عليهم آياتنا) الدالة على الحق والداعية اليه بالترغيب والترهيب وذلك
لتقطع المعذرة (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي وما كنا مهلكي لاهل القرى بعدما بعثنا في
أشرفهم رسولا يدعوهم الى الحق في حال من الاحوال الاحال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا وبالكفر
بآياتنا (وما أوتيتهم من شيء فتنازع الحياء الدنيا وزينتها) أي وما أعطيتم يا معشر قريش من أسباب
الدنيا كالمال والخدم فهو شيء عادته ان ينتفع به ويتزين به أيام حياتكم وقرئ فتنازع الحياء بنصب
الكلمتين على المصدر وعلى الظرف أي يتمتعون متاعا في الحياة الدنيا (وما عند الله خير وأبقى) أي
فنافع الآخرة لمن آمن بالله وبرسوله أعظم وأدوم عاملكم في الدنيا فنصيب كل أحد في الآخرة بالقياس
الى منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس الى البحر فكيف قلتم تركنا الدين لملا تفوتنا الدنيا (أفلا تعقلون)
أي ألا تفكرون فلا تعقلون ان الدنيا فانية والآخرة باقية (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كن
متعنا متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي أفمن وعدناه وعدا بالجنة فهو مدرك الموعد
به من غير شك كن أعطيناه المال والخدم في الدنيا ثم هو يوم القيامة محضره للعذاب قال محمد بن كعب
نزلت هذه الآية في حمزة وعلي وفي أبي جهل وقال غيره في حمزة أو عثمان بن عفان وفي أبي جهل
(ويوم يناديهم) معطوف على يوم القيامة (فيعقول أين شركائي الذين كنتم ترغمون) أي ويوم ينادي
الله المشركين فيقول توابعي الخدم أين الذين عبدتموهم من دوني وأثبتتم لهم شركة في استحقاق العبادة
وترغمون انهم يشفعون لكم أين هم لينصروكم من هذا الذي نزل بكم (قال الذين حق عليهم القول)
أي الذين ثبت عليهم مدلول قوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء الذين أغوينا
أغويناهم كما غوينا) قال أبو علي الذين أغوينا خبر لا سم الإشارة وأغويناهم مستأنف والمعنى هؤلاء
هم الذين أضللناهم فصاروا أتباعنا أثروا الكفر على الايمان فضلوا باختيارهم ضلالا مثل ضلالنا
باختيارنا وكما سببنا في كفرهم فقبلوا منا وما أكرهناهم عليه (تبرأنا اليك) منهم ومن عقائدهم وأعمالهم

(ما كانوا يا ايها الذين آمنوا) أي ما كانوا يطيعوننا وأما كانوا يطيعون أهواءهم (وقيل) للكفار بكميتاتهم (ادعوا شركاءكم) أي استغيثوا بآلهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتتصرفكم وتدفع عنكم (فدعواهم فلم يستجيبوا لهم) أي فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ولا انتفعوا بهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) أي أبصر المشركون العذاب وأنهم يبصرون شيئاً فأنهم لما خاطبهم الله تعالى بقوله ادعوا شركاءكم اشتد الخوف عليهم حتى يصيروا بحيث لا يبصرون شيئاً أو المعنى لما قيل ادعوا شركاءكم دعوا الأصنام مراراً كثيرة حتى كأن الأصنام يشاهدون العذاب لو كانوا من الأحياء المهتدين أو المعنى وعلم الكفار حقيقة هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون قال الرازي وهو - هذه الوجوه عندى خير من الوجوه المبنية على أن جواب لو محذوف (ويوم يناديهم) عطف ما قبله سئلوا أولاً على شركاءهم وثانيها عن جوابهم للرسول الذين نهوهم عن ذلك (فيقول) الله تعالى (ماذا أجبتكم المرسلين) اليكم بما دعوكم (فعميت عليهم الأنبياء يومئذ) أي تخفيت عليهم الأخبار يومئذ سئلوا عن ذلك (فهم لا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب النافع لأنهم يتسارعون جميعاً في العجز عن الجواب المنجى لفرط الدهشة فلا نطق ولا عقل (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم (وعمل صالحاً) أي خالصاً فيما بينه وبين الله (فعسى أن يكون من الفائزين) أي فليطمع في الفلاح والنجاة من العذاب (وربك يخلق ما يشاء) أن يخلق ما يشاء (ويختار ما يشاء) اختياريه (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار المؤثر عنهم وليس لهم أن يختاروا على الله أن يفعل قال العلماء لا ينبغي لأحد أن يقوم على أمر من أمور الدنيا إلا حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك بأن يصلي صلاة الاستخارة بالكيفية المشهورة وأهل الرضا حطوا الرجال بين يدي ربهم وسلموا الأمور إليه بصفاء التقوى بعض فلا يرضيهم إلا ما يرضيه ولا يريدون إلا ما يريد فيرضيه وروى أن هذه الآية نزلت في شأن الوليد بن المغيرة حين قال لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ويقصد بذلك الوليد بن المغيرة أو أبا مسعود الثقفي فأجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى وربك إلى آخره والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل إليهم (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي تنزيهاً لله تعالى عن أن يرزأحم اختياره تعالى واختيار المقصود أن يعلم العبد أن الاعزاز والاذلال مفوض إليه تعالى ليس لأحد في الخلق والاختيار شركة له تعالى (وربك يعلم ما تكن صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يعلنون) من الطعن في الرسول بالسنتهم (وهو الله لا اله الا هو) أي وهو المستحق للعبادة لا أحد يستحقها الا الله (له الحمد في الأولى والآخرة) لأن الثواب غير واجب عليه بل هو تعالى يعطيه فضلاً واحساناً منه تعالى فله الحمد في الدنيا والآخرة لأنه معطى النعم كلها فيحمده المؤمنون في الآخرة فرحاً بفضلهم والتذاذاً بحمده بقولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده (وله الحكم) النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره في الدنيا والآخرة (وإليه ترجعون) بالخروج من القبور (قل) يا أفضل الخلق لأهل مكة (أرأيتم) أي أخبروني (أن جعل الله عليكم الليل سرمداً) أي دائماً (إلى يوم القيامة) بأسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغير المرق (من اله غير الله يأتىكم بضياء) يخرجكم من مشقة الظلام (أفلا تسمعون) هذا الكلام الحق سامع تفهم تطيعون من يفعل ذلك (قل) لهم (أرأيتم) أي أخبروني (أن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة) بأسكان الشمس في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق (من اله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه) استراحة عن متاعب الاشغال (أفلا تبصرون) هذه المنفعة الظاهرة ولا

تنظرون بقلوبكم ما أنتم عليه من الخطأ (ومن رحمته) أي نعمته تعالى (جعل لكم الليل والنهار) لاغراض ثلاثة (لتسكنوا فيه) أي في أحدها وهو الليل (ولتبتغوا من فضله) في الآخر وهو النهار بأنواع المكاسب ففي هذا مدح للسعي في طلب الرزق كما ورد في الحديث المكاسب حبيب الله وهو لا ينافي التوكل (ولعلكم تشكرون) أي لكي تشكرون على المنفعتين معا (ويوم يناديهم) أي اذ كرم يوم ينادى الله المشركين يوم القيامة (فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي أين الذين ادعيتهم الهيتهم لتخلصكم من الهلاك (وزعنا من كل أمة شهيدا) أي أخرجنا من كل أمة نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه في كل زمان فيدخل فيه الأحوال التي في أزمنة الفترات وفي الأزمنة التي حصلت بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فقلنا) لهم (ها توابر هانكم) على صحة ما كنتم تدعون به (فعلوا) أي كل أمة يومئذ (أن الحق لله) أي أن حقيقة الألوهية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي زال عنهم ما كانوا يعبدون في الدنيا بالكذب (إن قارون كان من قوم موسى) وروى أبو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ~~كان قارون من السبعين المختارين~~ الذين سمعوا كلام الله تعالى قيل هو ابن عم موسى وعن ابن عباس كان ابن خالته ثم قيل أنه كان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرب بني إسرائيل للتوراة إلا أنه نافق كما نافق السامري (فبقي عليهم) أي طلب الفضل عليهم وإن يكونوا تحت أمره كما قاله القفال وقال ابن عباس تكبر عليهم اه ثم حسد موسى على رسالته وهرون على أمانته في الذبح فكفر بعدما آمن بهما بسبب كثرة ماله وروى أن موسى عليه السلام لما قطع البحر جعل الجبورة والقربان لهرون فقال قارون يا موسى لك الرسالة ولهرون الجبورة وهو امامة الذبح ولست في شيء ولا أصبر أنا على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما صنعت ذلك لهرون ولكن جعله له فقال لا والله لا اصدقك أبدا حتى تأتيني بآية أعرف بها أن الله جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل أن يجي كل رجل منهم بعصاة لجأوا بها لحزمها موسى فألقاها في قبة له فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصاهرون تهترلها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون أمتري ما صنع الله لهرون فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثير من أتباعه من بني إسرائيل فما كان يأتي موسى عليه السلام ولا يجالس (وأتيناه من الكنوز ما ل مفاتيح لنموه بالعصبة أولى القوة) أي وأعطينا قارون من الأموال المدخرة الذي أن مفاتيح صناديقه لتثقل الجاهة الكثيرة الأقوياء وأخرج الدينوري عن خبيثة قال قرأت في الانجيل أن مفاتيح كنوز قارون وقرستين بغلا كل مفتاح منها على قدر أصبع لكل مفتاح منها كنز (أذ قال له قومه) أي المؤمنون من بني إسرائيل (لا تفرح) بكثرة المال فالفرح بالدنيا من حيث أنها دنيا مذمومة مطلقا (إن الله لا يحب الفرحين) بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب ثواب الله تعالى بسبب المال بأن تصرفه إلى ما يؤديك إلى الجنة كصدقة وصلة رحم واطعام جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي لا تترك العمل في الدنيا للآخرة وخذ ما تحتاجه من الدنيا وأخرج الباقي كما في الحديث اغتني خمس قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (وأحسن كما أحسن الله إليك) أي وأحسن إلى عباد الله تعالى إحسانا كما أحسن الله تعالى إليك فيما أنعم إليك فيدخل في الإحسان الأمانة بالمال والجاء وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر (ولا تبغ

(الفساد في الارض) أي لا تطلب الفساد بعمل المعاصي في الارض (ان الله لا يحب المفسدين) أي انه
 تعالى يعاقب المفسدين بسوء أفعالهم (قال) قارون مجيباً للناس (انما أوتيته على علم عندي) أي
 انما أعطيت هذا المال حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي وفضلت به على الناس بالمال والجاه فكان
 ذلك لفضل علمي بالتوراة واستحقاق ذلك أي لانه أقرأني اسرائيل للتوراة كما قاله قتادة ومقاتل
 والكلبي اه وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه السلام أنزل عليه علم الكهنة من
 السماء فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخذهم قارون حتى أضاف علمهم الى علمه فكان
 يأخذ الرصاص فيجعل منه فضة والنحاس فيجعل منه ذهباً وكان ذلك سبب كثرة أمواله (أولم يعلم أن الله قد أهلك
 من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي أعلم قارون ما ادعاه ولم يعلم أن الله قد أهلك من
 هو أقوى منه وأغنى وأكثر جماعة حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) أي
 لا يسأل الله عن صفة ذنوب المجرمين وعددها اذا أراد ان يعاقبهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات (فخرج
 على قومه في زينته) أي فخرج قارون يوم السبت متزيناً مع أتباعه كانوا أربعة آلاف على زيه وكان
 عن يمينه ثلاث مائة غلام وعن يساره ثلاث مائة جارية بيض عليهن الخلي والديباج وكانت بغلته شهباء
 سرجهما من ذهب وكان على سرجهما الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء وكانت خيولهم
 وبغالهم متحلية بالديباج الاحمر ومعهم ألوان السلاح وقال ابن زيد خرج في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات
 وهو أول يوم روي فيه المعصفر (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) من المؤمنين جرياً على طريقة الجبلية
 البشرية من الرغبة في السعة (يا) للتنبيه (ليت لنا مثل ما أوتي قارون) من هذه الاموال وهذه
 الزينة (انه) أي قارون (لذو حظ عظيم) أي لذو بخت وافر من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم)
 بأحوال الدنيا والآخرة للراغبين في الدنيا (ويلكم) أي ضيق الله عليكم الدنيا وهذا جزع عن ذلك
 التقى (ثواب الله) في الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحاً) من هذه النعم لان الثواب منافع عظيمة
 وخالصة عن شوائب المضار ودائمة وهذه النعم العاجلة على الضد من هذه الصفات الثلاثة (ولا يلقاها الا
 الصابرون) أي ولا يعطى هذه الطريقة التي هي الايمان والعمل الصالح الا الصابرون على أمر الله
 والمرارى أو ولا يعطى الجنة التي هي الثواب الا الصابرون على مخالقات النفس ومواقفات الشريعة
 (نفسنا به) أي بقارون (وبداره الارض) روى أن قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل
 وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف
 درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيئاً
 كثيراً فلم تسمع نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت سيدنا
 وكبيرنا فما جئنا بك قال نبرطل فلانة البغي كي تعذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك رفضه بنو اسرائيل
 فدعوا فجعل قارون لها طشتاً من ذهب ملوا ذهباً فلما كان يوم عيد قام موسى خطيباً فقال يا بني
 اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان كان محصناً رجماً فقال قارون وان كنت
 أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يقولون انك فحرت بغلانة قال موسى ادعوا هانما جاءت قال
 لها موسى يا فلانة نافع لك بل ما يقول هؤلاء وسألهما بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة الا
 تصدقين فتداركها الله بالتوفيق فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلاً على ان أقذفك بنفسى فخر موسى
 ساجداً يمشي وقال يا رب ان كنت رسولك فأغضب لي فأوحى الله تعالى اليه اني أمرت الارض أن تطيعك

فرها بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال موسى يا ارض خذتهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذتهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض خذتهم فاخذتهم الى الاعناق وهم في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويقول له قارون بالله والرحم وموسى عليه السلام لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذهم فانطبقت الارض عليهم فاصبحت بنوا اسرائيل يتناجون بينهم انما دعاهم موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له) أي لقارون (من فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي غيره بدفع العذاب عنه (وما كان من المنتصرين) أي من الممتنعين بأنفسهم من عذاب الله تعالى (وأصبح الذين غنوا مكانه بالامس) أي وصار الذين غنوا مثل رتبة قارون من الدنيا من زمان قريب (يقولون) متنبهين على خطيئهم في غنيهم لما شاهدوا الخسف (ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أي أعجب أن الله يوسع المال على من يشاء من عباده وهو مكرمته تعالى كما كان لقارون ويقتر على من يشاء وهو نظرمه تعالى فان القوم لما شاهدوا ما نزل بقارون من الخسف تشدوا على غنيهم حيث علموا ان بسط الرزق لا يكون للكرامة الرجل على الله ولا تضييقه له وانما عند فقيرهم وان أنفسهم كيف وقعوا في مثل هذا الخطأ وروى اسم فعل بمعنى أعجب انا والكاف للتعليل وقال أبو الحسن وى اسم فعل والكاف حرف خطاب وأن على اضممار اللام وقيل وى اسم فعل وكأن للتحقيق أي أعجب انا وقد علمت ان كلام من البسط والقبض يقتضي مشيئته تعالى وليس البسط للكرامة والقبض للهوان (لولا أن من الله علينا) بالايان والرحمة (لخسف بنا) كما خسف بقارون (ويكأنه لا يفلح الكافرون) وقيل وى كلمة للزجر والكاف حرف خطاب وان معمولة لمخذوف أي انزجر عن تنيك واعلم أنه لا ينجوا المكذبون برسول الله من عذاب الله (تلك الدار الآخرة) أي الجنة (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي نعطيها لمن لا يريدون غلبة وتكبيرا (ولا فسادا) أي ظمنا على العباد كدأب فرعون وقارون (والعاقبة) الحميدة وهي الجنة (للتقين) أي للذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال (من جاء بالحسنة) أي من جاء يوم القيامة متصفا بالحسنة المقبولة الاصلية المعمولة (فله خير منها) أي فله بمقابلتها ثواب خير منها اذا تواصفت وقد را بالمضاعفة ومثل المعمولة ما في حكمها كما لو تصدق عن غيره فخرج بالمعمولة ما لوهم بحسنة فلم يعملها المانع فانها يجازى عليها من غير تضعيف وخرجت الحسنة المأخوذة في نظير الظلامة فلا تضاعف له وخرج بالاصلية الحسنات الحاصلة بالتضعيف فلا تضاعف (ومن جاء بالسبئة) وهي ما يذم فاعلها شرها (فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) أي الاجزاء مثل ما كانوا يعملون (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) أي ان الذي أوجب عليك تبليغ القرآن والعمل بما فيه من الاحكام لرادك الى مكة فانه صلى الله عليه وسلم خرج من الغار ليلا وسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما آمن رجوع الى الطريق ونزل بالمخفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها وذكروا مولده ومولداً أباه فنزل جبريل وقال له أتشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي الى مكة فابا عليهم (قل) يا أشرف الخلق للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والاعزاز بالاعادة الى مكة (ومن هو في ضلال مبين) وما يستحقونه من العقاب والاذلال في بلدهم يدرسون الله صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه والمشركين (وما كنت ترجو

أن يلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك) أي وما كنت قبل بحجى الرسالة اليك ترجوا نزال القرآن عليك
 وكونك نبيا فأنزله عليك ليس عن ميعاد وكونك نبيا ليس عن تطلب سابق منك ولكن أنزل اليك
 القرآن وتجعل نبيا لأجل الترحم من ربك (فلاتكونن ظهيرا للكافرين) أي معينا لهم بالإجابة إلى
 طلبتهم (ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك) أي لاتركن إلى أقوال الكافرين فيصدوك
 عن اتباع آيات الله بعد وقت أنزلها عليك وإيجاب العمل بها (وادع إلى ربك) أي ادع الناس إلى دين
 ربك (ولاتكونن من المشركين) بأهانتهم في الأمور لأن من رضى بطريقةتهم أو مال إليهم كان منهم (ولا
 تدع مع الله الها آخر) أي لاتعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا في أمورك (لا اله الا هو) أي
 لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا هو (كل شئ هالك) أي معدوم في حد ذاته فان وجوده كلا وجود
 لان وجوده ليس ذاتيا (الوجهه) أي ذاته تعالى وقيل معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك والمستثنى
 من الهالك والغناء ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله

ثمانية حكم البقاء يعمها * من الخلق والباقون في حيز العدم
 هي العرش والكرسي ونار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم
 (له الحكم) النافذ في الخلق (واليه) أي إلى جزائه بالعدل عند البعث (ترجعون)

﴿سورة العنكبوت مكية تسع وستون آية وألف وتسعمائة واحد وثمانون كلمة وأربعة
 آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي أظن الذين
 نطقوا بكلمة الشهادة أنهم يتركون غير متحدين بمجرد ذلك النطق لا بل يتحذرون ليعتبروا في الدين من
 غيره نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بكملة
 فكانت صدورهم تضيق بذلك والمقصود الاقصى من الخلق العبادة والمقصود الاعلى في العبادة حصول
 محبة الله وكل من كان قلبه أشدا متلا من محبة الله فهو أعظم درجة عند الله لكن القلب ترجحان وهو
 اللسان وله مصدقات هي الاعضاء ولها فريكات فاذا قال الانسان باللسان آمنت فقد ادعى محبة لله في
 الجنان فلا بد له من شهود فاذا استعمل الأركان في الايمان بما عليه من أركان الاسلام حصل له على
 دعواه شهود مصدقات فاذا بذل نفسه وماله في سبيل الله وزكى أعماله بترك ما سوى الله زكى شهوده
 الذين صدقوه فيما قاله فحينئذ يحبر راسه في جرائد المحبين ويقرر قسمه في أقسام المقربين (واقعدفتنا الذين
 من قبلهم) أي ابتلينا الماضين كسيدنا ابراهيم ألقى في النار وكقوم نشر وأبالمناشير في دين الله فلم
 يرجعوا عنه (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أي فليظهرن الصادقين في قولهم آمنا من
 الكاذبين في ذلك في الناس من لا يصبر في البلاء ولا يشكر في النعمة فهو من الكاذبين ومنهم من يصبر
 في حال البلاء ويشكر في حال النعمة فهذه صفة الصادقين ومنهم من لا يستمتع في العطاء بل يؤثر في حال
 الرخاء ويستريح إلى البلاء ويستعذب بمقاساة العناء وهذا أجل الكبراء (أم حسب الذين يعملون
 السيئات أن يسبقونا) أي بل أحسب المشركون أنهم يفرون منا ويفوتون عذابنا فلان قدر على مجازاتهم
 بعضيهم (سأما يحكمون) أي بشئ الذي يحكمهم ذلك (من كان ير جولا الله فان أجل الله
 لآت) أي من كان يطعم في ثواب الله فليعمل عملا صالحا فان الوقت المضروب له لجاء لاشك في محييه

(وهو السميع العليم) فيسمع ما قالوه ويعلم ما يعملونه فللعبد أمور ثلاثة من أصناف حسناته عمل قلبه فهو لا يرى ولا يسمع وإنما يعلم وعمل لسانه فهو يسمع وعمل أعضائه وهو يرى فإذا أتى بهذه الأشياء يجعل الله له هوة ما لا أذن سمعت ولم ير به ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب أحد (ومن جاهد فأغما يجاهد لنفسه) أي ومن صبر على الشدة في محاربة الكفار وفي مخالفة النفس فإن منفعته صبره لأنه تعالى (إن الله لغني عن العالمين) فلا حاجة له إلى طاعتهم - وإنما أمرهم بطاعة الله توجيها لهم للثواب بمقتضى رحمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفر عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي بأحسن جزاء أعمالهم فتكفير السيئات في مقابلة الإيمان والجزاء بالأحسن في مقابلة العمل الصالح فالؤمن يدخل الجنة بإيمانه وتكفير سيئاته فلا يخلد في النار حينئذ يكون الجزاء الأحسن غير الجنة وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إن يكون هو رؤيته الله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) أي أمرنا الإنسان بالبر بوالديه والعطف عليهما لأنهما سبب وجود الولد (وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أي وإن أمراك أن تشرك بي ما ليس لك بالهيمته علم فلا تطعهما في الأشرار فقله ما ليس لك به علم إشارة إلى أن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه روى أن حمية بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما سمعت بأسلام ولده سعد بن أبي وقاص الزهري وهو من السابقين إلى الإسلام قالت يا سعد بلغني أنك قد صممت فوات الله لا يظنني سقف بيت من الضح والريح وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد فأبى سعد وكان أحب أولادها إليها ولبثت هي ثلاثة أيام لا تتنقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب حتى غشى عليها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس نخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد عليه السلام فإن شئت فكلّي وإن شئت فلاتأكلّي فلما رأت ذلك أكلت ثم جاء سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمرها فانزل الله تعالى وإن جاهدك الآية (إلى مرجعكم) أي عاقبتكم إلى وإن كان اليوم مجالستكم بالآباء والأولاد والأقارب (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فلا تظنوا أني غائب عنكم وأبأؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرين في الحال فاني حاضر معكم أعلم ما تفعلون ولا أنسى فأنبئكم بجميعه فأجاز بكم عليه - إن خيرا ثم روي أن شرافسر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي لنجعلنهم - في عداد المجردين الذين لا فساد لهم - (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله) أي في دين الله (جعل فتنة الناس) مع ضعفها وانهطاعها (كعذاب الله) الألم الدائم في الآخرة حتى كفر نزلت هذه الآية في المنافقين كعياش بن أبي ربيعة المخزومي فأنهم قالوا للمؤمنين إيماننا كما إيمانكم فإذا هم الكفار بالضرب بالسيئات جعلوا ذلك الذي صار فالهم عن الإيمان كما أن عذاب الله في النار دائم صارف للمؤمنين عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) وهو تخمكة وغنيمتها (ليقولن) أي عياش وأصحابه (إنا كنا معكم) أي في الإيمان وإنما كرهنا حتى قلنا ما قلنا فاشركونا في الغنيمة لأننا على دينكم قال تعالى تكذيبا لهم في قولهم إنا على دينكم (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الإخلاص في الإيمان والنفاق فيه ثم أسلم عياش وأصحابه بعد ذلك وحسن إسلامهم (وليعلن الذين آمنوا) بالإخلاص فثبتوا على الإسلام عند البلاء (وليعلن المنافقين) بترك الإيمان عند البلاء أي ليجزينهم بما لهم من الإيمان والنفاق (وقال الذين كفروا) وهو الوليد بن المغيرة وأبوجهل وأصحابهما (للذين آمنوا) كعلي وسلمان وأصحابهما (اتبعوا سبيلنا) أي ديننا في عبادة الأوثان (ولنحمل خطاياكم)

أى ذنوبكم عنكم يوم القيامة وقرأ الحسن وعيسى بكسر لام الامر وهو لغة الحجاز وليس هذا أمرا فى الحقيقة ورد الله عليهم بقوله (وما هم) أى الكفار (بما ملن من خطاياهم) أى من ذنوب المؤمنين (من شئ) يوم القيامة (انهم لكاذبون) فى مقالاتهم (وليحملن) أى الكفرة (أثقالهم) أى أوزار ما اقترفته أنفسهم كاملة (وأثقالا مع أثقالهم) أى وأوزار الذين يضلونهم مع أوزارهم (وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) فى قولهم ولنحمل خطاياكم فإنه صادر من اعتقادهم ان لا خطيئة فى الكفر ومن اعتقادهم أن لا حشر ويقال لهم أما قلتم أن لا حشر ويقال لهم احملا خطاياهم فلا يحملون فيسألون ويقال لهم لم انتريتم (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) يدعوهم الى التوحيد فلم يجيبوه قال ابن عباس كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين سنة ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة (فأخذهم الطوفان) أى الماء الكثير المحيط بهم والمرتع على أعلى جبل أربعين ذراعا (وهم ظالمون) أى والحال انهم مصررون على كفرهم (فأنجيناه) أى نوحا (وأصحاب السفينة) أى ومن ركب فى السفينة معه عليه السلام من أولاده واتباعه وكانوا ثمانين (وجعلناها) أى السفينة (آية للعالمين) أى علامة دالة على قدرة الله تعالى وعلمه ووحده ليعتظوا بها وذلك أن السفينة اتخذت قبل ظهور الماء ولولا اعلام الله نوحا بذلك لما اشتغل بها فلا تحصل لهم النجاة وان الله أمر نوحا بأخذ قوم معه وأقواتهم ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصل لهم النجاة وان الله سلم السفينة عن الرياح المرجفة وعن الحيوانات المذيبة ولولا ذلك لما حصل لهم النجاة قال أبو السعود عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين وأربعين سنة (وابراهيم اذ قال لقومه) أى وأرسلناه حين تكامل عقله وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق (اعبدوا الله) وحده (واتقوه) أن تشركوا به شيئا فقلوه اعبدوا الله اشارة الى اثبات الاله الواحد وقوله واتقوه اشارة الى نفي غيره وأيضا فاعبدوا الله اشارة الى الانيان بالواجبات فيدخل فيه الاعتراف بالله واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات فيدخل فيه الامتناع من الشرك (ذلكم) أى عبادة الله وتقواه (خير لكم) عقلا واعتبارا (ان كنتم تعلمون) الدلائل والاعتبارات فان ضد عبادة الله تعطيل وضد تقواه تشريك وكلاهما شر عقلا واعتبارا أما عقلا فلان الممكن لا يبدله من مؤثر واجب الوجود ثم ان شريك الواجب ان لم يكن واجب الوجود فكيف يكون شريكا وان كان كذلك لزم وجود واجب فيشتركان فى الوجود ويختلفان فى الالهية ومابه الاشتراك غير مابه الامتياز فيلزم التركيب فيهما فلا يكونان واجبين لكونهما مركبين فيلزم التعطيل وأما اعتبارا فلان الشرف اما أن يكون ملكا أو قريب ملك فلا انسان لا يكون ملكا للسموات والارضين فأعلى درجاته ان يكون قريب الملك فلا يكون قريبا لالعبادة فالعطل لا ملك ولا قريب ملك لعدم اعتقاد بوجوده لا من تبقه له أصلا ثم من يكون سيده لا نظيره يكون أعلا رتبة عن يكون لسيده شر كما خسيسه فان من يقول ان رب لا يعا له شئ أعلى مرتبة عن يقول سيدي صمغ مخوف فثبت ان عبادة الله وتقواه خير للناس (انما تعبدون من دون الله آفان) أى أبحارا لا تستحق العبادة (وتخلقون افسا) أى وتكذبون كذا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم وقرئ تخلقون بتشديد اللام للتكثير فى الخلق الذى يعنى الكذب وقرئ تخلقون بحذف احدى التامين من تخلق يعنى تكذب وذ كر سيدنا ابراهيم بطلان مذهبهم بأبلغ الوجوه وذلك لان المعبود انما يعبد لاحد

أمور أربعة: المال كونه مستحقاً للعبادة بذاته كالعبد يخدم سيده الذي اشتراه، والمال كونه نافعا في الحال كن
 يخدم غيره بخير يوصله إليه كالمستخدم باجرة، والمال كونه نافعا في المستقبل كن يخدم غيره راجيا منه أمرا
 في المستقبل، والمال كونه خائفا منه (ان الذين تعبدون من دون الله) من الارثان (لا يعلمون لكم رزقا)
 أي لا يقدر على ان يرزقكم شيئا من الرزق (فابتهوا عند الله الرزق) أي فاطلبوا من الله تعالى كل
 الرزق (واعبدوه) لكونه مستحقاً للعبادة لذاته (واشكروا له) لكونه سابق النعم بالخلق ومعطى
 النعم بالرزق (اليه ترجعون) فيرجى الخير منه لا من غيره (وان تكذبوا فقد كذب أهم من قبلكم)
 أي وان تكذبوني فيما أخبرتكم به من انكم اليه تعالى ترجعون بالبعث فلا تضروني بتكذيبكم فان من
 قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم
 شيئا (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي الاذ كر المسائل واقامة البرهان عليه (أو لم يروا) أي ألم
 ينظروا؟ لا القوم ولم يعلموا علما جارا يا مجرى الرؤية في الظهور (كيف يبدئ الله الخلق) أي يخلقهم
 ولم يكونوا شيئا مذكورا ويخلقهم من نقطة من غذاء هو من ماء و تراب وهذا القدر كاف في حصول العلم
 بإمكان الاعادة فان الاعادة مثل البدء (ثم يعيده) أي الخلق كما بدأهم (ان ذلك) أي الاعادة
 (على الله يسير) اذ لا يفتقر فعله تعالى الى شيء أصلا (قل) يا ابراهيم لقومك (سيروا في الارض) أي سيروا
 فكم في الارض وأجبلوا ذهنيكم في الحوادث الخارجة عن أنفسكم (فانظروا كيف بدأ الخلق) أي
 فانظروا الى الاشياء المخلوقة ليحصل لكم علم بأن الله بدأ خلقا (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة
 الاولى التي شاهدتموها (ان الله على كل شيء قدير) فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء
 لا يتصور ان يتردد في وقوع الاعادة بعدما أخبر الله به (يعذب) بعد النشأة الآخرة (من يشاء) ان
 يعذبه وهم المنكرون لها (ويرحم من يشاء) ان يرحمه وهم المصدقون بها (واليه تعلقبون) أي فان
 تأخر عنكم ذلك فلا تظنوا انه فات فان اليه تعالى أيابكم وعليه حسابكم وعنده يد خيرا بكم وعقابه بكم (وما
 انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) بممتنعين منه تعالى أي نوصعدتم الى محل السها في السماء أو هبطتم الى
 موضع السهول في الماء لا تخرجون من قبضة قدرة الله وهذا خطاب لقوم فيهم النمرود الذي حاول الصعود
 الى السماء (ومالككم من دون الله من ولي) أي قريب ينفعكم (ولانصير) أي مانع عنكم من عذاب الله
 (والذين كفروا بآيات الله) أي بدلائله التكوينية والتزييلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله (ولقائه)
 أي بالبعث بعد الموت (أولئك يمسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم) وذلك لان الله تعالى في كل
 شيء آية دالة على وحدانيته فاذا أشرك أحدكم كفرا بآيات الله واذا أنكر الحشر كفر بقاء الله وأخرج
 نفسه عن محل رحمة الله واذا جعل له آلهة لم يقرب بالحاجة الى طريق متعين فيمأس من رحمة الله ولما أنكر
 الحشر وقال لا عذاب عذبه الله تحقيقا للامر عليه فعدم الرحمة يناسب الاشرار والعذاب الاليم يناسب
 انكار الحشر (فما كان جواب قومهم الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) أي قال بعضهم لبعض لا تجيبوا
 ابراهيم عن براهينه الدالة على التوحيد والنبوة والحشر واقتلوه بسيف أو فحوه فتستريحوا منه عاجلا أو
 حرقوه بالنار فاما ان يرجع الى دينكم اذا أوجعته النار واما ان يموت بها اذا أصر على دينه فقد ذفوه في
 النار (فأنجاه الله من النار) أي بجعلها باردا روى انه في ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان في ذلك لآيات
 لقوم يؤمنون) أي في انجاء الله تعالى ابراهيم من النار ليعبر لقوم يصدقون بقدرة الله فان الله حفظ
 ابراهيم من حرها وجعلها حامدة في زمان يسير فلا تؤذيه ولكن أحرقه وناله قوائس في وسطها باستماتا

(وقال) ابراهيم بعد انجائه من النار (اغما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع مودة غير منونة وجرب بينكم ونافع وابن عامر وأبو بكر بنصب مودة منونة ونصب بينكم وحزمة وحفص بنصب مودة غير منونة وجرب بينكم ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم لضافته الى المبنى فالرفع خبر ان أى ان الذين اتخذتموه اوثانا صلة بينكم والنصب مفعول له وخبر ان محذوف أى ان الذين اتخذتموه اوثانا معبودة لكم لاجل المودة لا ينفعكم (في الحياة الدنيا) والمعنى ان اتخاذكم أصناما مودة بينكم ليس الا في الحياة الدنيا وقد أجرىتم أحكامه حيث فعلتم بي ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا منى أى لما خرج ابراهيم من النار عاد الى عذل الكفار وقال اذا بينت لكم فساد مذهبكم وما كان لكم جواب فليس هذا الاتقليد فان بين بعضكم محبة طبيعية فلا يريد أحدكم ان يفارقه صاحبه في الاحوال وبينكم وبين آبائكم صلة فورثتموهم وأخذتم مقالهم ولزمتهم ضلالتهم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) فيقول العابد ما هذا معبودى ويقول المعبود ما هؤلاء عبدتى (ويلعن بعضكم بعضا) فيقول المعبود لذلك أنت أوقعتنى في العذاب حيث عبدتني ويقول العابد لهذا أنت أوقعتنى فيه حيث أضللتني بعبادتك ويريد كل واحد ان يبعد صاحبه باللعن ولا يتبعاعدون بل هم مجتمعون في النار كما هم مجتمعون في هذه الدار كما قال تعالى (وما أراكم النار) أى هى منزلكم فلا ترجعون منه أبدا (وما لكم من ناصرين) يخلصونكم من تلك النار كما خلاصتنى ربى من النار التى ألقىتنى فيها (فأمن له لوط) أى صدقه لوط في جميع مقالاته فقال لآبراهيم صدقت يا ابراهيم ولوط هو ابن أخيه هاران (وقال) ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) أى انى خارج من قومي الى مكان أمرنى ربى بالتوجه اليه روى انه هاجر من كوفى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم وكان عمر ابراهيم اذذاك خمسار سبعين سنة (انه هو العزيز الحكيم) فيمنع أعدائى عن ايدائى ولا يامرئى الا بما فيه صلاحى (وهبه الله) بعد اسما عيل بأربع عشرة سنة (المحق) من عجوز طاهر (ويعقوب) نافلة (وجعلنا فى ذريته) أى ذرية ابراهيم (النبوة) فكل الانبياء بعده من ذريته (والكتاب) فلم ينزل بعده كتاب الا على أولاده (وآتيناهم أجره) على هجرته (في الدنيا) وانه فى الآخرة لمن الصالحين فان الله بدل جميع أحواله فى الدنيا باضدادها فبدل وحدته فى النار بكثرة ذريته حتى ملأت الدنيا وبدل أقاربه الضالين المضلين بأقارب مهتدين هادين وبدل ذلته وخمولته بالجاه ركثرة المال حتى قيل انه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس باطواق ذهب وكانت الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيامة فصار معروفًا بشيخ المرسلين وكان فى الآخرة باقيا على ما ينبغى (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا الى قومه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى اللواط (ما سبقكم بها) أى بتلك الفاحشة (من أحد من العالمين) كلهم من الانس والجن (أئنكم لتأتون الرجال) أى أديبار الرجال (وتقطعون السبيل) أى سبيل الولد بالأعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث ويقال وتقطعون على من مريبكم من الغرباء (وتأتون فى نادىكم المنكر) أى وتعملون فى مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضرط وحل الازار والحدق بالبندق ومضغ العلك والفرقة قيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مريبهم طار سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان يأخذ ما معه ويلوطه ويغمره ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتناب عذاب الله ان كنت من الصادقين) فى قولك بحجى عذاب الله علينا ان لم نؤمن أى ان لوطا كان مداوما على ارشاد قومه فقالوا

ولا استهزأوا إتنا بعذاب الله ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عن فعلهم قالوا أخر جوا آل لوط من قريبتكم
 ثم إن وطما لما يس منهم طلب النصرة من الله (قال رب انصرني على القوم المفسدين) أي بازال العذاب
 على هؤلاء المفسدين وهم الذين ابتدعوا الفاحشة وأصروها واستعجلوا العذاب بطريق الاستهزاء
 (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) أي لما جاء جبريل ومن معه من الملائكة إلى إبراهيم بالبشارة بالولد
 والنافلة (قالوا) لأبراهيم (اناهلكوا أهل هذه القرية) أي قرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين)
 باصرارهم على أنواع المعاصي (قال) إبراهيم (ان فيهما) أي في تلك القرى (لوطا) فكيف
 تهلكونها (قالوا) أي الرسل من الملائكة (نحن أعلم بما فيها) أي من لوط وغيره (لنجنيته وأهله)
 ابنتيه زاعورا وريثا (الامرأتان) المنافقة واعلة (كانت من الغابرين) أي من المنغمسين في العذاب
 بسبب ان اللدال على الشر نصيبا كفاعله وهي كانت تدل القوم على أضياف لوط (ولما أن جاءت رسلنا
 لوط أمي بهم) أي جاءه ما أخره بمجيئهم على صورة البشر بأحسن صورة خلق الله تخاف عليهم من قومه
 (وضاق بهم ذرعا) أي ضاق بتدبير أمرهم طاقته وعجز عن مدافعة قومه (وقالوا) للوط (لا تخف)
 علينا (ولا تحزن) لاجلنا فاننا ملائكة (انما نجوك وأهلك) مما يصيبهم من العذاب ونصب أهلك
 معطوف على محل الكاف (الامرأتان) كانت من الغابرين (أي من الباقيات في الهلاك ومن الرافضين
 الماضي ذكرهم) (انما نزلون على أهل هذه القرية) هي سدوم (رجزا) أي عذابا مزمعا (من
 السماء) كما كانوا يفسقون (أي بسبب فسقهم المستر) وقرأ ابن عامر يفتح النون وتشديد الزاي (ولقد
 تركنا منها) أي القرية (آية بيينة) أي علامة ظاهرة (للقوم يعقلون) وهي آثار ديارهم الحربية
 وظهور الماء الأسود على وجه الأرض وهو بين القدس والكرك (والى مدين أخاهم شعيبا) أي
 وأرسلنا إلى مدين نبيهم شعيبا (فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أي اعملوا اليوم الآخر
 وانما قال شعيب بلفظ الرجاء لان عبادة الله يربح منها الخير في الدارين (ولا تعثوا في الأرض مفسدين)
 أي لا تعملوا المعاصي في الأرض ويمكن أن يقال نصب مفسدين على المصدر كما يقال قم قائما أي قياما
 (فكذبوه) فيما أخبرهم به لان شعيبا كانه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا
 تقر به وهذه الاشياء فيها اخبارات فالتكذيب راجع الى الاخبارات الغيبية (فأخذتهم الرجفة)
 أي أنتى ترجف الأرض والافئدة اذ قيل ان جبريل صاح فترزلت الأرض من صيحه وترجف
 قلوبهم منها (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي فصاروا في مجملهم ميتين لا يتحركون (وعادوا عثودا) أي
 وأهلكنا قوم هود وقوم صالح (وقد تبين لكم من مساكنهم) أي وقد ظهر لكم يا أهل مكة أهلاكنا
 يا همد من جهة منازلهم الكائنة في الحجر والين اذ انظرتم اليها عند مروركم عليها (وزين لهم الشيطان
 أعمالهم) أي عبادتهم غير الله (فصدهم عن السبيل) أي عن عبادة الله (وكانوا مستبصرين) أي
 عاقلين الباء صحبى النظر (وقارون) أي وأهلكناهم وهو ابن عم موسى (وفرعون وهامان) وزير
 فرعون (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالجمع الظاهران (فاستكبروا في الأرض) عن الايمان
 بالآيات وعن عبادة الله (وما كانوا سابقين) أي قارين من عذاب الله (فكلا) أي كل واحد من
 المذكورين (أخذنا بذنبه) أي عاقبناه بسبب ذنبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أي حجارة يحما يقع
 على واحد منهم وينفذ من الجانب الآخر وهم قوم لوط وعاد (ومنهم من أخذته الصيحة) هو هواة متموج
 فان الصوت سببه وصول الهواء المتموج الى الصهاخ وهم قوم شعيب وصالح (ومنهم من خسفنا به الأرض)

أى غمرناه فى التراب وهو قارون ومن معه (ومنهم من أغرقنا) بالماء وهم قوم نوح وفرعون وقومه فحصل
 العذاب بالعناصر الاربعة النار والريح والتراب والماء والانسان مركب منها وبسببها بقاؤه فاذا أراد الله
 هلاك الانسان جعل مأمته وجوده سببا لعدمه ومآبه بقاؤه سببا لفنائه (وما كان الله ليظلمهم) بالهلاك
 (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاشراك أى وما كان الله يضعهم فى غير موضعهم فان موضعهم الكرامة
 لسكنهم ظلموا أنفسهم حيث وضعوها مع شرفهم فى عبادة الوثن مع خسته (مثل الذين اتخذوا من دون الله
 أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبیت العنكبوت) فان أدنى مراتب البيت أن لا يصير
 سبب افتراق قبيل العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت فانه اذا دام فى زاوية لا يخرج منها فاذا انسج
 على نفسه بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه وبمسحه بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت
 فكذلك العابد ينبغي ان يستحق الثواب بسبب العبادة أو لا يستحق العذاب به والكافر يستحق العذاب
 بسبب عبادته وان بيت العنكبوت اذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباء منثورا فكذلك أهملهم
 للآوثان وهذا اشارة الى ابطال الشرك الخفى أيضا فان من عبد الله رياء فقد اتخذ وليا غير الله فقله مثل
 العنكبوت يتخذ نسجه بيتا فلا يقهرها من حر ولا برد (لو كانوا يعلمون) شيئا من الاشياء لجزموا ان مثلهم
 كمثل العنكبوت وان أضعف ما يعتمد به فى الدين دينهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ) أى ان
 الله يعلم الذين يعبدونهم من غير الله من شئ صغرى أو انسى أو جنى (وهو العزيز الحكيم) أى وهو قادر
 على اهلاكهم لكنه حكيم عهدهم ليكون الهلاك عن بينة وقرأعاصم وأبو عمر ويدعون بالتخية والباقون
 بالقوقية (وتلك الامثال نضرب للناس) أى نبينها لهم تقريرا بالمبايع من افهامهم (وما يعقلها الا
 العالمون) أى وما يفهم صحتها وفائدتها الا المتدبرون فى الاشياء على ما ينبغي (خلق الله السموات والارض
 بالحق) أى متقنا مراعيي المصالح (ان فى ذلك) أى فى خلقهما (آية للذين آمنوا) أى لدلالة المؤمنين
 على شؤنه تعالى واختص المؤمنون بالذكر لانهم المنتفعون بتلك الآية (أتلى ما أوحى اليك من الكتاب)
 تقر الى الله تعالى بقراءته وتذكرا للناس وحملهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب
 ومكارم الاخلاق (وأقم الصلاة) أى داوم على اقامتها (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أى
 تنهى عن التعطيل والاشراط فالتعطيل هو انكار وجود الله والاشراك اثبات ألوهية لغير الله فالعبد أول
 ما يشرع فى الصلاة يقول الله أكبر فبقوله الله ينفى التعطيل وبقوله أكبر ينفى التشريك لان التشريك
 لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيمافيه الاشتراك فاذا قال بسم الله نفى التعطيل واذا قال الرحمن الرحيم
 نفى الاشتراك لان الرحمن من يعطى الوجود بالخلق والرحيم من يعطى البقاء بالرزق فاذا قال الحمد لله
 أثبت خلاف التعطيل واذا قال رب العالمين أثبت خلاف الاشتراك فاذا قال اياك نعبد نفى التعطيل
 والاشراك وكذا اذا قال واياك نستعين واذا قال اهدنا الصراط نفى التعطيل لان طالب الصراط له مقصد
 والمعطى لا مصلح له واذا قال المستقيم نفى الاشتراك لان المستقيم هو الاقرب والمشرى يعبد الاصنام
 ويظنون انهم يشفعون لهم وعبادة الله من غير واسطة اقرب وعلى هذا الى آخر الصلاة فاذا قال فيها أشهد
 أن لا اله الا الله فقد نفى الاشتراك والتعطيل ومعنى نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر انها سبب للاتها
 عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن معاصيه (ولذكر
 الله أكبر) أى ذكر الله اياكم بالمغفرة والثواب أكبر من ذكركم اياه بالصلاة وقيل ذكركم الله بسائر
 أنواعه أفضل من الطاعات التى ليس فيها ذكر الله وقيل المراد بالذكر نفس الصلاة أى وللصلاة أكبر من

سائر الطاعات (والله يعلم ما تصنعون) من الذكرو من سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازات
(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) أي ولا تخصموا اليهود والنصارى إلا
بالأحسن أي بعدم استخفاف آرائهم وبعدم نسبة آياتهم إلى الضلال لأنهم جاؤا بكل حسن غير الاعتراف
بالنبي صلى الله عليه وسلم فانهم آمنوا بانزال الكتب وإرسال الرسل وبالحشر في مقابلة أحسانهم
يجادلون بالأحسن إلا الذين أشركوا منهم بإثبات الولد لله وبالقول بثالث ثلاثة فجادلون بالأحسن
من تهجين مقالتهم وتبيين جهالتهم كالمشرك الذي جاء بالمنكر من غيرهم فاللائق أن يجادل بالأحسن
ويبالغ في تهجين مذهبه وتوهين شبهه (وقوا آمنا بالذي أنزل إلينا) من القرآن (وأنزل إليكم) من
التوراة والإنجيل روى كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقوا آمنا بالذي أنزل إلينا
وأنزل إليكم الآية وفي رواية وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطل لم تصدقوهم وان قالوا حق لم
تكذبوهم (والهناء والهكم واحد) لا شريك له في الألوهية (ونحن له مسلمون) أي مطيعون لا غيره
(وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) أي كما أنزلنا سائر الكتب على من تقدمك أنزلنا عليك القرآن (فالذين
آتيناهم الكتاب) وهم الأنبياء (يؤمنون به) أي بالقرآن (ومن هؤلاء) أي من أهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وأصحابه (من يؤمن به) أي بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) أي بالقرآن الذي ظهرت
دلالته على المعاني وعلى كونه من عند الله تعالى (إلا الكافرون) ككعب بن الأشرف وأصحابه وأبي
جهل وأصحابه (وما كنت تتلون من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) أي وما كنت يا أشرف الخلق
تقرأ كتابا قبل أنزلنا القرآن إليك ولا تكتب الكتاب بيديك والأصح أنه صلى الله عليه وسلم كان
لا يحسن الخط والشعر ولكن كان عيز بن جيد الشعر ورديته (إذا لرب المبطلون) أي لو كنت
قارئاً أو كاتباً لشك اليهود والنصارى لأن في كتابهم أنك أي لا تقرأ ولا تكتب (بل هو آيات بينات في
صدور الذين أوتوا العلم) أي بل القرآن آيات واضحات ثابتة في قلوب الذين أعطوا العلم بالقرآن فليس
عاشك فيه لكونه محفوظاً من غير أن يلتقط من كتاب بحيث لا يقدر على تحريفه بخلاف غيره من الكتب
فانه لا يقرأ إلا في المصاحف والمعنى أن المؤمنين يقرؤون القرآن بالحفظ عن قلب تلقياً منك وبعضهم من
بعض وأنت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذ من كتاب بطريق تلقية منه (وما يجحد
بآياتنا إلا الظالمون) أي المتجاوزون للحدود في الشر من اليهود والنصارى والمشركين (وقالوا) أي
الظالمون (لولا أنزل عليه آيات من ربه) أي هلا أنزل على محمد آيات مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة
عيسى عليهم السلام وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات بالجميع والباقون بالافراد (قل إنما
الآيات عند الله) ينزلها أو لا ينزلها فلا تتعلق بي (وإنما أنا نذير مبين) أي لست إلا رسولا مخوفاً لأهل
المعصية بالنار بلغة تعلمونها وليس لي عليه تعالى حكم بشيء (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) الدال
على نبوتك (يتلى عليهم) في كل زمان ومكان فهو معجزة ظاهرة باقية أتم من كل معجزة وقد وصل إلى المشرق
والمغرب وسمعه كل أحد بخلاف قلب العصاة فإنه لم يبق لنا منه أثر ولم يره من لم يكن في ذلك المكان
(ان في ذلك) أي الكتاب (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي فإن الكتاب رحمة على العباد ليعلموا
بها الصادق فان اظهار المعجزة على يد الصادق رحمة من الله فلو لم يظهر الكتاب لبقى الخلق في ورطة تكذيب
الصادق أو تصديق الكاذب لانه لو لم تكن هذه المعجزة لزم ان لا يتبين النبي عن المنبي وبهذا الكتاب يتذكر

كل من يكون من المؤمنين مابق الزمان (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) بأني رسوله روى ان كعب بن الاشرف وغيره قاوا يا محمد من يشهد لك انك رسول الله ونزلت هذه الآية (يعلم ما في السموات والارض) من الامور التي منها شأنى وشأنكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما سوى الله (وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) لانهم ضيعوا الادلة السهمية الموجبة للإيمان (ويستجملونك بالعذاب) على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد فمخوذ ذلك نزلت هذه الآية في النضرين الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء ان كنت من الصادقين (ولولا أجل مسمى) لوقت عذابهم (لجاءهم العذاب) وقت استهجالهم (ولما أتيتهم بغتة) فأتياهم العذاب بغتة حكمة لانه لو كان وقته معلوما عندهم لكان كل أحد يعتمد على علمه بوقته فيفجر معتمدا على التوبة قبل الموت (وهم لا يشعرون) باتيانهم ويظنون انه لا يأتيهم أصلا (يستجملونك بالعذاب وان جؤنهم لمحيطة بالكافرين) أى يستجملونك بالعذاب في الدنيا والحال ان العذاب سيحيط بهم يوم يأتيهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى يوم يلحقهم العذاب من جميع جهاتهم فنارجهم تنزل من فوق ولا تنطفي بالذوس عليها بوضع القدم (ويقول) قرأنا نافع والكوفيون بالياء أى الله تعالى أو بعض ملائكة بأمرة والباقيون بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا قال تعالى (يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فإياى فاعبدون) أى ان تعذرت العبادة عليكم في بعض الارض فهاجر را ولا تتركوا عبادتى بحال وقرأ بقبح الياء ابن عامر والباقيون بتسكينها (كل نفس ذائقة الموت ثم اليها ترجعون) أى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فقال لهم ان مات كرهون لا بد من وقوعه فان كل نفس ذائقة مشاق الموت والموت مفرق الاحباب فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد الوطن أو المعنى اذا تعلقتم بى فموتكم رجوع الى وليس بموت كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون لا يموتون بل ينقلون من دار الى دار وقرأ أبو بكر بالياء التحتية (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى الطاعات (لنبوئهم من الجنة غرفا) أى لننزلهم بيوتاً عالية من الجنة وقرأ حمزة والكسائي انشؤ بينهم بالمثلثة أى لنقيمهم في علالى من الجنة (تجربى من تحتها الانهار) أى ففي موضع الانهار بساتين بكار وزروع ورياض وأزهار فيشرفون عليهم من تلك العلالى (خالدين فيها) أى في الغرف (نعم أجر العاملين) أى نعم أجر العاملين الأعمال الصالحة هذا الاجر (الذين صبروا) على شدايد المهاجرة وعلى أمر الله والمرأى (وعلى ربهم يتوكلون) أى الذين لم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أى وكثير من الدواب لا تطيق حمل رزقها الضعفاء ولا تدخر شيئا لساعة أخرى روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا يهجرة الى المدينة قالوا كيف تقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت هذه الآية (الله يرزقها) أى الدابة على ضعفها وهي لا تدخر (واياكم) مع قوتكم لان رزق الكل بأسباب هو تعالى وحده المسبب لها فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة (وهو السميع العليم) فيسمع قولكم هذا ويعلم ضمائركم وحاجتكم ويسمع اذا طلبتم الرزق ويعلم مقدار حاجتكم اذا سئلكم (ولئن سألتهم) أى أهل مكة (من خالق السموات والارض) على هذا النظام (ومن خالق الشمس والقمر) لاصلاح الاقوات ومعرفة الاوقات وغير ذلك من المنافع (ليقولن الله) اذ لا سبيل لهم الى انكار ذلك (فانى يؤفكون) أى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرد تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرد تعالى في

الخلق والتسخير (الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أى الله يوسع المال ويقتصر على من
 يشاء فى أى وقت يوافق الحكمة فيه فعل كلام من البسط والتضييق فى وقته ومجمله (أن الله بكل شئ عليم)
 فيعلم مقادير الارزاق ومقادير الحاجات ألا ترى أن الملوك يفاوتون فى الرزق بين عيالهم بحسب ما يعلمون
 بأحوالهم فما ظنك بملك الملوك العالم بكل شئ (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من نزل من السماء ماء
 فأحى به الارض من بعد موتها) أى ييوستها (ليقولن الله) معترفون بأنه تعالى الموجد للممكنات بأمرها
 ثم انهم يشركون به تعالى بعض مخلوقاته (قل الحمد لله) على أن أظهر محبتك عليهم (بل أكثرهم
 لا يعقلون) شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قوههم هذا فيشركون به تعالى أخس مخلوقاته ولا
 يعرفون فساد هذا التناقض (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) أى ان الدنيا مريضة الزوال
 فالاشتغال بلذاتها كاشتغال الصبيان بلهوهم وعبثهم فانهم يحتمون عليه ويفرحون به ساعة ثم
 يتفرقون عنه فالاعراض عن الحق لهو والاقبال على الباطل لعب (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى
 ان الحياة الثانية لهى الحياة الدائمة التى لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) ان الحياة المعتبرة هى حياة
 الآخرة لما آثروا عليها الدنيا (فأذا ركبوا) أى كفار مكة (فى الفلك) فى البحر ولقوا شدة (دعوا الله
 مخصلين له الدين) صورة حيث لا يدعون غير الله تعالى بالنجاة والقوا الاصنام التى حملوها معهم فى البحر
 وقالوا يا رب يا رب لعلمهم بأنه لا يكشف الشئ دأب عنهم الا الله تعالى (فلما نجاهم) من البحر (الى البر
 اذا هم يشركون) أى عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا بالله الاوثان (ليكفروا بما
 آتيناهم) من عرض الدنيا (وليقتعوا) أى وليتخذوا اجتماع الدنيا وقرأورش وأبو عمرو وابن عامر
 وعاصم بكسر اللام وهى امالام العاقبة والمآل واما لام الامر على سبيل التهديد والباقون بالتسكين فهى
 لام الامر (فسوف يعلمون) فساد عملهم حين يرون العذاب (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
 الناس من حولهم أقبال الباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أى ألم ينظر كفار مكة ولم يشاهدوا انا جعلنا
 بلدهم مكة حرما مصونا من النهب والاحمال انه يحتلس من حولهم قتلا وسيبامع كون أهل مكة قليلين
 قارين فى مكان غير ذى زرع أبعد ظهور الحق بالباطل خاصة من الاديان يصدقون وبنعمة الله التى
 أعطاهموها يكفرون والمعنى انكم يا أهل مكة فى أخوف ما كنتم دعوتم الله تعالى وفى أمن ما
 حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دماكم فى وقت الخوف على سبيل الاخلاص لم يكن الا
 لقطعكم بأن النعمة من الله لا غير وقد اعترفتم بأن تلك النعمة العظيمة من الله كيف تكفرون بها وقد
 قطعتم فى حال الخوف انه لا أمن من الاصنام حيث ألقيتوهما فى البحر كيف آمنتم بها فى حال الامن
 (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه) فالله تعالى لا يمكن ان يكون له شريك فمن
 جعل الشريك للآل مستقلا فى الملك لكان ظالما يستحق العقاب منه فكيف اذا جعل الشريك لمن
 لا يمكن ان يكون له شريك ومن كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فكيف من كذب صادقا لا
 يجوز عليه الكذب فاذا ليس أحد أظلم ممن يكذب على الله بالشرك ويكذب الله فى تصديقه نبيه صلى الله
 عليه وسلم ويكذب النبى فى رسالته ربه ويكذب القرآن المنزل من الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم
 (اليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى ألا يستحقون الاقامة فى جهنم وقد فعلوا افتراء على الله تعالى
 وتكذيبا بالحق الصريح أو يقال ألم يعلموا ان فى جهنم منزلا للكافرين حتى اجسروا هذه الجحراة
 والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا) أى والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ويقال والذين

نظروا في دلائلنا لنحصل فيهم العلم بنسأ (وان الله لمع المحسنين) أي لمعينهم في القول والفعل بالتوفيق والعصمة وهذا إشارة الى درجة أعلى من الاستدلال كأن الله تعالى يقول من الناس من يكون بعيدا لا يتقرب وهم الكفار ومنهم من يتقرب بالنظر والسلوك فيهديهم الله تعالى ويقر بهم ومنهم من يكون الله معه ويكون قريبا منه تعالى يعلم الاشياء منه تعالى ولا يعلمه تعالى من الاشياء فقوله تعالى ومن أظلم إشارة الى الاول وقوله والذين جاهدوا فينا إشارة الى الثاني وقوله وان الله لمع المحسنين إشارة الى الثالث

﴿سورة الروم مكية وهي ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة
كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم ألم غلبت الروم في أدنى الارض) أي في أقرب أرض العرب منهم وهي أطراف الشام فالروم اسم قبيلة وسميت باسم جدها وهو روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم رسمى عيصولانه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجهما تراخا وأراد كل أن يخرج قبل أخيه فقال عيصولي يعقوب ان لم أخرج قبلك خرجت من جنب أمي فتأخري يعقوب شفاقه لها فلذا كان أبأ الانبياء وعيصوا أبأ الجبارين (وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي من بعد مغلوبهم (سيغلبون) فارس (في بضعة سنين) وسبب نزول هذه الآية انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهر يار وجعل قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بخنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي أقرب الشام الى أرض العرب فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فنزلت هذه الآية فخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له أبي بن خلف الجمعي كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله فقال له اجعل بيننا أجلا أنا حبل عليه فذا حبه على عشر قلائص وجعل الأجل ثلاث سنين فاخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم البضعة ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه في أحد بعد رجوعه الى مكة ثم أقبل قيصر في خمس مائة ألف ورمى الى القرمي وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين من مناجيتهم ومات كسرى وذلك يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات تدل على علم النبي صلى الله عليه وسلم بوقت الغلبة لكن لم يأذن الله تعالى في اظهاره لان الكفار كانوا معاندين فأنعاند جف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في الكلام والوقت يمكن فيه الاختلاف وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل غلبة الروم على فارس ومن بعد هاقكل من كون الروم مغلوبين أولا وظالمين آخرا ليس الا بأمر الله تعالى وقضائه (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي ويوم اذ يغلب الروم على فارس

يفرح المؤمنون بتغليب الله من له كتاب على من لا كتاب له ويفرحون بغلبتهم المشركين ببدر قال السدي
فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل
الشرك والجار والمجرور متعلق بيفرح (ينصره من يشاء) أي ينصره من عباده على عدوه من ضعيف
وقوى (وهو العزيز الرحيم) أي وهو تعالى المبالغ في الغلبة والمبالغ في الرحمة (وعدا الله) مصدره مؤكدا
لنفسه أي وعدهم الله بالنصر وبالفرج وعدا (لا يخلف الله وعده) أي وعده كان عما يتعلق بالدنيا
والآخرة لاستحالة الكذب عليه تعالى (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) وعده تعالى
بنصرهم ووعدا الله لا خلف فيه (يعلمون) أي أكثرهم (ظاهرا من الحياة الدنيا) من زخارفها
وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم ولا يعلمون باطنها وهي مضارها ومآعبها وقناؤها (وهم
عن الآخرة هم غافلون) أي وهم جاهلون بأمر الآخرة تاركون لعملها ولا يعلمون أن الدنيا مجاز إلى
الآخرة (أولم يتفكروا في أنفسهم) فلو تفكروا في أنفسهم لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحق وأما
دلالة الإنسان على الوحدانية فلأن الله خلقهم على أحسن تقويم ولندكر من حسن خلقهم جزءا
من ألف جزء وهو أن الله تعالى خلق للإنسان معدة فيها غداؤه لتقوى به أعضاؤه ولها منفذان
أحدهما لدخول الطعام فيه والآخر لخروجه منه فإذا دخل الطعام فيها انطبق المنفذ الآخر بعضه
على بعض بحيث لا يخرج منه ذرة وتمسكه المباسكة إلى أن ينضج نضجا صالحا ثم يخرج من المنفذ الآخر
وخلق تحت المعدة عروقا دقاقا لا بابا كالصفاء فينزل منها الصافي إلى الكبد وينصب الثقل إلى الأمي
ويكون مع الغذاء لمتوجه من المعدة إلى الكبد فضل ماء مشروب ليرقق ويندرف في العروق الدقاق
المذكورة وفي الكبد يستغنى عن ذلك الماء فيتميز عنه ذلك الماء وينصب من جانب حدة الكبد إلى
الكلى ومعه دم يسير تغتذي به الكلى وغيرها ويخرج الدم الخالص من الكبد في عرق كبير ثم
يتشعب ذلك النهر إلى جداول والجداول إلى سواق والسواق إلى روافع ويصل فيها إلى جميع البدن
فهذه حكمة واحدة في خلق الإنسان وهذه كفاية في معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا عالما ومن يكون
كذلك يكون واحدا والالكان عاجزا عند ارادة شريكه ضدها أراد وأما دلالة الإنسان على الحشر فذلك
لأنه إذا تفكر في نفسه يرى قوا صائرة إلى الزوال وأجزاؤه مائلة إلى الانحلال فله فناء ضروري فلو لم يكن له
حياة أخرى لكان خلقه تعالى على هذا الوجه لغناء عبثا لأن من يفعل شيئا للعبث لو بالغ في اتقائه يضحك
منه فإذا خلق الله الإنسان للبقاء والبقاء دون اللقاء فالآخرة لا بد منها (ما خلق الله السموات والأرض وما
بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها عبثا بغير حكمة بالغة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة
الدالة على وجود صانعها وحدثه وقدرته وعلمه بأجل معين قدره الله تعالى لبقائها إلى أن تنتهي إليه وهو
وقت قيام الساعة وقوله إلا بالحق إشارة إلى وجه دلالتها على الوحدانية وقوله وأجل مسمى إشارة إلى
معاد الإنسان فإن مجازاته بما عمل من الآساء والاحسان هو المقصود بالذات (وان كثيرا من الناس
يلقاء ربهم لكافرون) أي وان كفار مكة لم يذكروا بقاء حسابهم تعالى وأجزائه بالبعث (أولم يسيرا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي أقعد كفار مكة في أمم كنهم ولم يسيرا في
أقطار الأرض فيشاهدوا كيف كان جزاء الأمم الذين كذبوا رسلهم كعاد وثمود (كانوا) أي من
قبلهم (أشد منهم قوة) في الجسم وأقدر منهم على التمتع بالحياة (وأثاروا الأرض) أي قلبوها
للزراعة والغرس أكثر مما حث أهل مكة (وعمروها) بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء

وغيرها (أكثر عاصمروها) أي أكثر عاصمراهل مكة كما وكيفاً وزماناً (وجاءتهم رسلهم بالبينات)
 أي بالجمع الظاهرات وبالمعجزات فكذبوهم فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) باهلا كما أياهم
 (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتكذيب الرسل (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السواى) وقرأنا نافع
 وابن كثير وأبو عمرو وعاقبة بالرفع على أنها اسم كان والسواى خبرها وهى جهنم أى ثم كان آخر أمر الذين
 عملوا السيئات نار جهنم وقرأ الباقون بنصب عاقبة على أنها خبر كان واسمها السواى تأنيث لاسوء أو أن
 كذبوا أى ثم كان تكذيبهم واستهزاؤهم آخر أمر الذين أشركوا بالله وعملوا الفعلة السواى وهى اسم
 النار كما تقدم (أن كذبوا بآيات الله وكانوا يستهزئون) بدل من السواى وقيل كذبوا الخ تفسير
 لاساؤا (الله يبدؤ الخلق) أى ينشئهم من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت بالبعث (ثم إليه ترجعون)
 إلى موقف الحساب والجزاء وقرأ أبو عمرو وشعبة بالياء على الغيبة والباقون على الخطاب للبالغين في
 الترهيب (ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون) أى وقت رجعتهم إليه تعالى يسكت المشركون متحيرين
 ويبأسون من كل خير (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) يحبرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا
 يزعمونه (وكانوا بشركائهم كافرين) أى وكان عبدة الاصنام بآلهتهم متبرئين منهم يقولون والله ربنا
 ما كنا مشركين (ويوم تقوم الساعة يومئذ) بعد تمام الحساب (يتفرقون) أى جميع الخلق فريقين
 فريق في الجنة وفريق في السعير (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) أى فهم
 في الجنة يسرون بكل مسرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم
 اعراب فقال يا رسول الله هل في الجنة من سمع قال صلى الله عليه وسلم يا اعرابي ان في الجنة نهر احاطته
 الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها قطف ذلك أفضل نعيم الجنة وروى
 ان في الجنة لا شجار عليها أحراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى رجلاً من تحت
 العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لما قوا طرباً (وأما الذين
 كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) بالبعث بعد الموت (فأرائك في العذاب محضرون) أى لا غيبة
 لهم عن العذاب ولا فتور له عنهم أمان يؤمن ويعمل السيئات فليس دائم الحضور في العذاب وليس من
 المحبورين غاية الجبور في رياض بل له منزلة بين المنزلتين (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله
 الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) أى تزهو تعالى عن صفات النقص وصفوه بصفات
 الكمال في هذه الاوقات واحمدوه وانما خص بعض الاوقات بالامر بالتسبيح لان الانسان لا يمكنه أن يصرف
 جميع أوقاته إلى التسبيح لكونه محتاجاً إلى تحصيل ما كوله ومشروب وملبوس ومركوب وكما أن العبد
 ينزه الله في أول النهار وآخره ووسطه فان الله يطهره في أوله وهو دنياه وفي آخره وهو عقباه وفي وسطه
 وهو حاله كونه في قبره وقوله تعالى وله الحمد في السموات والارض كلام معترض بين المعطوف والمعطوف
 عليه وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لما أمر العباد بالتسبيح كأنه بين لهم أن تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفع
 يعود على الله فعليهم أن يحمدا الله اذا سبحوه ثم ان التنزيه المأمور به يشهل التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد
 الجازم واللسان وهو الذكرا الحسن بالاركان وهو العمل الصالح فالانسان اذا اعتقد شيئاً ظهر من قلبه على
 لسانه واذا قال ظهر صدقه في مقاله من أحواله وأفعاله واللسان ترجمان الجنان والاركان برهان اللسان
 لكن الصلاة أفضل أعمال الاركان وهى مشتملة على الذكر باللسان والقصد بالجنان وهو تنزيه في
 التحقيق فيجب حمل التسبيح على كل ما هو تنزيه فيكون هذا أيضاً أمراً بالصلاة (يخرج الحي من

الميت) كالانسان من النطفة والطير من البيضة (ويخرج الميت من الحى) أى يخرج النطفة والبيضة
من الحيوان وقال بعضهم يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويقال يخرج اليقظان من
النائم والنائم من اليقظان فأحياء الميت عنده تعالى كتنبية النائم واماته الحى كتنبية المنتبه (ويحيى
الارض) بالنبات (بعد موتها) أى بعد يموتها (وكذلك) أى ومثل ذلك الاخراج (تخرجون)
من قبوركم وقرا حزة والكسافى بفتح التاء وضم الراء (ومن آياته) الدالة على أنكم تبعثون (أن
خلقكم من تراب) فانا خلقنا من نطفة وهى من الغذاء وهى من النبات وهى من التراب (ثم اذا أنتم بشر
تنشرون) أى ثم بعد أطوار كثيرة فاجأتكم وقت كونكم بشرا فتمتعون على وجه الارض (ومن آياته)
لدالة على البعث والجزاء (أن خلق لكم) أى لاجلكم (من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا)
أى أنا (لتسكنوا اليها) أى ليقبلوا اليها وتطمئنوا بها (وجعل بينكم) أى بين المرأة والزوج
(مودة) أى محبة (ورحمة) أى شفقة ويقال مودة للصغير على الكبير ورحمة لكبير على الصغير
(ان فى ذلك) أى فى خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من جنسهم والقاء المودة والرحمة بينهم (آيات
لقوم يتفكرون) فيما خلق الله (ومن آياته) الدالة على أمر البعث (خلق السهوات والارض)
من حيث ان خلقهما وما فيه من ليس الا معاش البشر ومعاده (واختلاف السننكم) أى لغاتكم
العربية والفارسية وغير ذلك والاصح انه اختلاف كلامكم فان الاخوين اذا تكلموا بلغة واحدة يعرف
أحدهما من الآخر (وألوانكم) ببياض الجلد وسواده وتوسطه (ان فى ذلك) أى فى خلق السهوات
والارض واختلاف الالسنه والالوان (آيات للعالمين) وقرا حفص وحده بكسر اللام أى لايات
عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها للمتصفين بالعلم والباقون بفتح اللام أى فى ذلك دلالة على كمال وضوح
الآيات على أحد من الخلق كافة (ومن آياته) الدالة على القدرة والعلم (منامكم بالليل والنهار) فالنوم
بالنهار مما تعده العرب نعمة من الله ولا سيما فى أوقات القيلولة فى البلاد الحارة (وابتغواكم من فضله)
فيهما وهذا اشارة الى أن العبد ينبغي أن لا يرى الرزق من كسبه ويحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه
(ان فى ذلك) أى فى الليل والنهار (آيات لقوم يسمعون) سماع تفهم حيث يستدلون بذلك على شؤنه
تعالى (ومن آياته يكلمكم البرق) أى ومن آياته الدالة على عظيم قدرته تعالى اراءكم للبرق (خوفا)
للسافر من المطر أن يبل ثيابه (وطمعا) للقيم فى المطر أن يسقى حروثه (وينزل من السماء ماء) وقرا
ابن كثير وأبو عمرو وبسكون النون (فيحيى به) أى بذلك الماء (الارض) بالنبات (بعد موتها)
أى بعد يموتها (ان فى ذلك) أى المطر (آيات لقوم يعقلون) أى لدلالات على الفاعل المختار لمن
له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) أى ومن آياته الدالة على
القدرة واستمرار السماء والارض على ما هما عليه بارادته تعالى له (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم
تخرجون) أى ثم دعاكم الله على لسان امير اقل بعد انقضاء الاجل من الارض وأنتم فى قبوركم دعوة
واحدة بان قال أيها الموقى اخرجوا فاجأتكم الخروج منها وقوله من الارض متعلق بدعاكم (وله) خاصة
(من فى السموات والارض) من الملائكة والنفيلين خلقا وملاكا وتصرفا (كل له قانتون) أى منقادون
لفعله (وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده) بعد موتهم (وهو أهون عليه) بالقياس على قوانينكم من ان
الاحادة للشئ أهون من ابتدائه والافعال كلها بالنسبة الى قدرته تعالى متساوية فى السهولة (وله المثل
الاعلى) أى وله تعالى الوصف الاعلى الذى ليس لغيره ما يدانيه (فى السموات والارض وهو العزيز

الحكيم) أى وهو كامل القدرة على الممكنات شامل العلم بجميع الموجودات فيجربى الأفعال على سنن
الحكمة (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) أى بين الله لكم يا معشر الكفار مثلاً مأخوذاً من أحوال
أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) أى هل شركاء فيما رزقناكم من
الأموال كاثنون من النوع الذى ملكت أيمانكم (فأنتم فيه سواء) أى فأنتم وعبيدكم فيما رزقناكم
مستوون في التصرف (تخافونهم تكيفتكم أنفسكم) أى تخافون أن تنفردوا بالتصرف فيه بدون
رأيهم خيفة كائنة بمثل خيفتكم من الأحرار المشاركين لكم فيما ذكر رأي أنتم لا ترضون بأن يشارككم
عما ليحكمهم وهم أمثالكم في البشرية فكيف تشركون به تعالى في العبودية مخلوقه تعالى (كذلك) أى
مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أى نبينها بالدلائل القطعية والامثلة والمحاكيات
الاقناعية (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم في تدبر الأمور (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير
علم) أى لا يجوز أن يشركوا بالممالك والكهنة ولكن الذين أشركوا اتبعوا أهواءهم الزائغة من غير علم
وأثبتوا شركاءهم من غير دليل (فإن يهدي من أضل الله) أى لا يقدر أحد على هداية من خلق الله فيه
الضلال (ومالهم) أى لمن أضله الله تعالى (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال (فأقم وجهك
للدين) أى أقبل بكلك على الدين غير ملتفت بمن شاكها لا (حنيفاً) أى ما لا عن كل ما عدا الدين
(فطرت الله التي فطر الناس عليها) أى الزم دين الله وهو التوحيد فان الله خلق الناس عليه في بطون
أمهاتهم وحيث أخذهم الله من ظهر آدم وسألهم الست بر بكم فقالوا بلى (لا تبديل لخلق الله) أى
لا تبدلوا دين الله كما قاله مجاهد وبرايم وقيل أى لا تغير للوحدانية حتى إن سألتهم من خلق السموات
والأرض يقولون الله لكن الأيمان الفطرى غير كاف (ذلك) أى لزوم دين الله (الدين القيم) أى
الحق الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يعلمون) أن ذلك هو الدين الحق
فيصدون عنه صدوداً (منيبين إليه) أى أقيموا وجوهكم للدين مقبلين عليه (واتقوا) من مخالفة أمره
بل داروا على العبادة (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) أى ولا تشركوا بعد الأيمان وههنا
وجه آخر وهو أن الله أثبت التوحيد الذى هو خروج عن الأشرار الظاهر بقوله تعالى منيبين إليه وأراد
الله إخراج العبد عن الشرك الخفى بقوله تعالى ولا تكونوا من المشركين أى لا تقصدوا بعملكم إلا وجه الله
ولا تطلبوا به الأرض والله ثم يبدل الله قوله من المشركين قوله تعالى (من الذين فرقوا دينهم) أى اختلفوا
فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بأى أى تركوا دينهم الذى أمروا به
(وكانوا شيعاً) أى وصاروا فرقاً فيما يعبدونه (كل حزب بما لديهم فرحون) أى كل أهل دين
مسرورون بما عندهم من الدين يظنون أنه حق (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه) أى
وإذا أصاب كفار مكة شدة دعوا ربهم برفع الشدة مقبلين إليه بالدعاء (ثم إذا أذاقهم منه) أى من الضر
(رحمة) أى خلاصاً (إذا فریق منهم) أى الكفار (بربهم يشركون) ويقول تخلصت بسبب
اتصال الكوكب الفلانى بفلان وبسبب الصبح الفلانى (ليكفروا بما آتيناكم) فاللام للعاقبة
(فتمتعوا) يا أهل مكة (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على أن تمتعوا فعل ماض وقرئ
وليتمتعوا (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا يشركون) أى هل أنزلنا على أهل مكة كتاباً
فذلك الكتاب يدل على الأمر الذى يسببه يشركون فأم بمعنى الهمزة فقط عند الكوفيين وبمعنى بل
والهمزة عند البصريين كما هو شأن أم المنقطعة (وإذا أذقنا الناس رحمة) من رحمة وسعة (فرحوا بها)

بطر الاشكر ا فان قيل لك الفرح بالرحمة ما موربه في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
 فليفرحوا وهنا ذمهم الله على الفرح بالرحمة فكيف ذلك قلت هناك فرحوا برحمة الله من حيث
 انها مضافة الى الله تعالى وهنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل
 فرحهم بما اذا كان من الله وهو كما ان الملك لو حط عند أمير رغيفاً على السهاط أو أمر غلماناً بأن يحطوه
 عنده ففرح ذلك الأمير به ولو أعطى الملك فقيراً غير ملتفت إليه زغيفاً فرح به ففرح الأمير بكون ذلك
 الرغيف من الملك وفرح الفقير بكون ذلك رغيفاً (وان تصبهم سيئة) أى شدة ضيق (بما قدمت
 أيديهم) أى بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) أى ييأسون من رحمة الله غير صابرين بها وقرأ أبو
 عمرو والكسائي بكسر النون (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى ألم ينظروا ولم
 يشاهدوا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحانا هل يشكروا أم يكفروا يضيقه لمن يشاء اختباراً هل يصبر أم
 يحزع (ان في ذلك) أى التوسيع والتضييق (آيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال
 القدرة والحكمة (فأت ذا القرنين) من الصلة والصدقة وسائر المبرات (والمسكين) سواء كان
 ذا قرابة أم لا (وابن السبيل) أى المسافر من صدقة التطوع (ذلك) أى المذكور من الصلة والعطية
 والاكرام (خير) أى ثواب في الآخرة (للذين يريدون وجه الله) أى يقصدون بعرفهم جهة التقرب
 إليه تعالى لاجهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) أى الناجون من السخط (وما آتيتهم من رب بالربو
 في أموال الناس فلا يربو عند الله) أى وما أعطيتهم من عطية خالية من العوض ليزيد في أموال الناس
 بأن تعطوا شيئاً وتطلبوا ما هو أفضل منه فلا يسلكهم فيه أجر وليس عليكم فيه ثم وقرأ نافع لتر بوابتها
 الخطاب وسكون الواو أى لتصير واذوى زيادة وقرأ ابن كثير وما آتيتهم بقصر الهمزة أى وما جئتم به من اعطاء
 عطية واختلف العلماء فيمن وهب هبة يطلب عوضها وقال اغنا أردت العوض فان كان مثله عن ي طالب
 العوض من الموهوب له فله ذلك عندما لك رضى الله عنه وذلك كهبة الفقير للغنى وهبة الخادم لصاحبه
 وهبة الشخص لمن فوقه ولا مير و قال أبو حنيفة لا يكون له عوض اذا لم يشترط وهذا ان القولان جاريان
 للشافعي رضى الله عنهم (وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أى وما أعطيتهم
 من صدقة تطوع الى المساكين تبتغون وجهه تعالى فأولئك هم الذين أضعفت صدقاتهم في الآخرة بكثرة
 الثواب وبمحافظة أموالهم في الدنيا وبالبركة لها (الله الذى خلقكم) نسما في بطون أمهاتكم ثم أخرجكم
 وفيكم الروح (ثم رزقكم) الى الموت (ثم يميتكم) عند انقضاء مدتكم (ثم يحييكم) للبعث بعد
 الموت (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) أى هل من آلهتكم يا أهل مكة من يقدرون أن
 يفعل من ذلك شيئاً (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى لا تصفوه تعالى بالاشراك وقرأ حمزة والكسائي بقاء
 الخطاب (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) أى تبين الفساد في البر والبحر كالجذب
 وكثرة الحرق والغرق وموت دواب البر والبحر وقلة اللؤلؤ بسبب كسب الناس المعاصي قال الضحاك
 كانت الارض خضرة موهنة لا يأتى ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد
 الاسد البقر والغنم لما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زاعقا
 وقصد الحيوانات بعضها بعضا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى بعض جزاء الذين عملوا فان تمامه في
 الآخرة وقرأ قبل لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما كانوا عليه (قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا في
 الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) كقوم نوح وعاد وثور واديسا هود واثارهم) كان

أكثرهم مشركين) وكان بعض الهلاك بغير الشرك كالفسق ومخالفة الامر (فأقم وجهك للدين القيم)
قال الزجاج أى أقم صدرك واجعل وجهك اتباع دين الاسلام (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله)
متعلق بياتى أو يرد أى لا يقدر أحد على رده من الله تعالى ولا يرد الله تعالى لتعلق ارادته تعالى بعيشه
(يومئذ يصدعون) أى يوم اذ يأتى ذلك اليوم يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر
فعليه كفره) أى من كفر بالله فعليه عقوبة كفره وهو خلود فى النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم
يعهدون) أى ومن عمل صالحا فى الايمان فيفرشون منازلهم فى الجنة (ليجزى الذين آمنوا و عملوا
الصالحات من فضله) والجار والمجرور متعلق بيمهدون أو ييصدعون أى يتفرقون بتفريق الله تعالى
فريقين ليجزى الله كلامه ما بحسب أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) أى يعاقبهم (ومن آياته)
الدالة على وحدانيته تعالى وقدرته (أن يرسل الرياح مبشرات) تلطفه بالمطر وبصلاح الاهوية
والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوبا والفساد فرياح الرحمة هى الشمال والصباب الجنوب وأما
الدبور فهى ريح العذاب (وليديقنكم من رحمته) وهى المنافع التابعة للرياح (ولتجرى الغلک) أى
السفن بسوقها (بأمره) أى بعيشته فى البحر (ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولعلكم تشكرون)
نعمة الله فيما ذكر (ولقد أرسلنا من قبلك) يا أكرم الرسل (رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات) أى
جاء كل رسول قومهم بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك فكذبوهم (فانتقمنا من الذين
أجرموا) أى أهلكننا الذين كذبوهم (وكان حقا) أى واجبا (علينا نصر المؤمنين) أى وكان
الانتقام حقا فلم يكن ظلما ثم استأنف الله بقوله تعالى علينا نصر المؤمنين وهذا إشارة لمن آمنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم ويقال نصر المؤمنين كان واجبا علينا وهذا تأكيد كيد البشارة لان كلمة على تفيد معنى اللزوم
فاذا قال حقا كد ذلك المعنى والنصر هو الغلبة التى لا تكون عاقبتها وخيمة والكافران هزم المسلم فى بعض
الاقوات لا يكون ذلك نصرة اذ لا عاقبة له (الله الذى يرسل الرياح فتشير محابا) أى ترفع محابا تقالا
بالمطر (فيسطه فى السماء كيف يشاء) أى فينثر الله السحاب كمال الانتشار متصلا بعضه ببعض
تارة فى جوا السماء كيف يشاء سائرا واقفا ومطيفا وغير مطبق (ويجعله كسفا) أى ويجعل الله
السحاب قطعا تارة أخرى (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلال) أى من خلال السحاب
(فاذا أصاب) أى الله (به) أى بالودق (من يشاء من عباده) أى أراضيه (اذا هم يستبشرون)
أى يفرحون بعمى الخطب (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبشرين) أى وان الشأن كانوا
من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبل الاستبشار لا يسين من المطر (فانظر الى آثار رحمة الله) من النماء
والاشجار والثمار فالرحمة هى المطر وأثرها هو النبات وقرأ ابن عامر وحمة والكساف وحفص آثار
بالالف والباقوت غير ألف (كيف يحيى الارض بعد موتها) أى فانظر الى احياء الله تعالى للارض
بإخراج النبات بعد يبوستها (ان ذلك) أى الذى يحيى الارض (لحي الموتى) أى لقادر على احيائهم
(وهو على كل شئ قدير) أى مبالغ فى القدرة على جميع الاشياء (ولئن أرسلنا ريحا فافروا ومضوا
من بعده يكفرون) أى وبالله لئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصغار ففروا الزرع
مضوا بعد خضرته لصار وامن بعد صفوته يكفرون بنعمته تعالى السالفة (فانك) يا أشرف الخلق
(لا تسمع الموتى) أى لا تجزع ولا تحزن على عدم ايمانهم فانهم موتى صم عمى ومن كان كذلك لا يهتمدى
(ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولهم مدبرين) أى اذا أعرضوا مدبرين عن الحق (وما أنت بهادى العمى عن

ضلالهم) أى ليس شغلك هداية العميان الى الحق وقرأ حمزة تهـدى بتاء الخطاب الداخل فى المضارع
 ونصب العمى (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) أى ما تسمع دعوتك الامن مؤمن بكتابنا فان ايمانهم
 يدعوهم الى قبوله (فهم مسلمون) أى مطيعون (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من أصل ضعيف
 هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف) أى من بعد كونه جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومغطوما (قوة) أى
 حالة البلوغ والشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) للكهولة (وشيبة) وهو بياض الشعر الاسود (خلق
 ما يشاء) أى فان ذلك الضعف والقوة والشباب والشيخية ليس طبعاً بل هو عشيقة الله تعالى (وهو العليم
 القدير) فالترديد فى الاطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) أى توجد القيامة
 (يقسم المجرمون) أى يخلف الكافرون بالله (مالبثوا) فى القبور (غير ساعة) أى غير قدر ساعة (كذلك)
 أى مثل ذلك اصرف (كانوا يؤفـفـكون) أى يصرفون من الحق الى الباطل ومن الصدق الى الكذب
 (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة والانس (لقد لبثتم) فى القبور (فى كتاب الله) أى بحسب
 ما علمه الله وقدره (الى يوم البعث) من القبور (فهذا يوم البعث) الذى كنتم توعدون فى الدنيا
 والذى أنكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) انه حق ولا تقرون بوقوعه فتستهجلون به استهزاء
 وتطلبون الآن تأخير الساعة فصار مصيركم الى النار (فيوم مثلاً ينفع الذين ظلموا معـذرتهم) وقرأ
 الكوفيون لا ينفع بالياء التحتية أى فيوم القيامة لا ينفع الذين أشركوا اعتذارهم فى انكارهم له (ولا هم
 يستعقبون) أى لا يطلب منهم ازالة اللتب من التوبة كما طلبت منهم فى الدنيا لانها لا تقبل منهم (ولقد
 ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى وبالله لقد بينا لهم فى هذا القرآن كل حال وقصصنا عليهم
 كل قصة عجيبـة الشأن كانها فى غرابتهما مثل (ولئن جنتهم) يا أشرف الخلق (بآية) من آيات
 القرآن الناطقة بأمثال ذلك (ليقولن الذين كفروا) من أهل مكة (ان أنتم الامم مطلون) أى أنتم
 يامعشر المؤمنين الا كاذبون ويقال ولئن جنتهم بكل آية جاءت بها الرسل يقولون أنتم كلكم أيها المدعون
 للرسالة مذكرون (كذلك) أى مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى
 لا يطلبون العلم ولا يصدقون الحق (فاصبر) على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة
 (ان وعد الله حق) وقد وعدك بالنصرة واطهار الدين (ولا يستخفـفـلون الذين لا يوقنون) أى لا يحملنك
 على الخفة وترك الصبر الذين لا يصدقون بالآيات وهذا اشارة الى وجوب مداومة النبى صلى الله عليه وسلم
 على الدعاء الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافران منقلب الرأى لا ثبات له والله أعلم بالصواب

سورة لقمان مكية وهى أربع وثلاثون آية وخمسة مائة وثمان

وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قيل قسم أقسم الله به (تلك آيات الكتاب الحكيم) أى هذه السورة
 آيات القرآن ذى الحكمة (هدى ورحمة) بالنصب على الحالمية من الآيات وبالرفع على قراءة حمزة خبران
 آخران لاسم الاشارة (للمحسنين) أى العاملين للسنات (الذين يقيمون الصلاة) أى يتقنون جميع
 ما أمروا به فيها (ويؤتون الزكاة) كلها (وهم بالآخرة هم يوقنون) أى وهم يصدقون بالبعث بعد
 الموت فالصلاة ترك التشبه بالسيد فالتعالى تجب له العبادة ولا تجوز عليه العبادة والزكاة تشبه بالسيد
 فانها دفع حاجة الغير والله دافع الحاجات والتشبه لازم على العبد فى أمور كما أن التشبه لازم على العبد

في أمور فلا يجلس العبد عند جلوس السيد ولا يتكلم عند اتكائه وعبد العالم لا يتلبس بلباس الاجناد
وعبد الجندي لا يتلبس بلباس الزهاد وبهم ماتم العبودية (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم
المفلحون) أي الناجون من كل مهروب والقاتلون بكل مطلوب (ومن الناس) وهو نضر بن الحرث
(من يشترى لهو الحديث) أي أباطيل الحديث (ليضل) بذلك (عن سبيل الله) أي على دينه الحق
الموصل اليه تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء أي ليستمر على ضلاله عن قراءة كتاب الله تعالى
المهادي اليه (بغير علم) أي يشتري بغير علم بحال ما يشتريه (ويتخذها هزوا) وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالنصب عطفًا على يضل والباقون بالرفع عطفًا على يشتري والغدير البارز للسبيل وهو دين الاسلام
أول القرآن (أولئك) أي من يشتري ذلك (لهم عذاب مهين) أي ذوا هانة لا هانتهم الحق (وإذ اتلى
عليه) أي المشتري (آياتنا) أي التي هي آيات الكتاب الحكيم (ولى مستكبرا) أي أعرض
عنها مبالغا في التكبر عن الإيمان بها (كأن لم يسمعها) أي كأنه لم يسمع الآيات (كأن في أذنيه وقرا)
أي مشبها حاله من في أذنيه ثقل مانع من السماع (فبشره بعذاب أليم) أي فاعلمه يا أشرف الخلق
بأن العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) أي
نعيم جنات فلهم خبران وجنات مرفوع على الفاعلية (خالدين فيها) حال من جنات النعيم أو من ضمير
لهم (وعدا الله حقا) أي وعدهم الله جنات النعيم وعدا وحق ذلك حقا فهم مصدران مؤكدان الاول
لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد
بالوعد وأما حقا فدل على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم (وهو
العزيز) الذي لا يغلبه شيء (الحكيم) الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة (خلق السموات بغير عمد)
أي بغير دعائم (ترونها) فهذا اماراجع للسموات وهو استئناف جنى به للاستشهاد على خلقه تعالى لها
غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أي ليست هي بعمود وأنتم ترونها كذلك واما راجع للعمود وهو صفة له
أي بغير عمد مرئية وان كان هناك عمد غير مرئية فهي قدرة الله وارادته (وألقى في الارض
رواسي) أي جبالا ثوابت قال ابن عباس هي الجبال الشاخحات من أوتاد الارض وهي سبعة عشر جبلا
منها قاف وأبو قبيس والجودي ولبنان وطور سينين ونبيير وطور سيناء أخرجه ابن جرير (أن تعبدكم)
أي كراهة ان تعبدكم (وبث فيها من كل دابة) أي فرق الله في الارض من كل نوع من أنواع
ذى روح (وأترلنا من السماء ماء) وهو المطر (فأنبتنا فيها) أي في الارض بسبب ذلك الماء (من
كل زوج كريم) أي من كل جنس حسن فتحت كل جنس فوطان لان النباتات اما شجر أو غير شجر
فالشجر اما مثمر أو غير مثمر (هذا) أي الاشياء المعدودة (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني) أي
فاخبروني يا أهل مكة (ماذا خلق الذين من دونه) أي من غير الله عما تعبدونه فكيف تتركون عبادة
المخالق وتستغلون بعبادة المخلوق (بل الظالمون في ضلال مبين) أي بل المشركون في خطأ بين وأنتم
يا أهل مكة منهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو توفيق العمل بالعلم فكل من أوتي توفيق العمل بالعلم
فقد أوتي الحكمة فن تعلم شيئا ولا يعلم مصالحة ومفاسده لا يسهى حكيمًا وانما يكون مجنونًا ألا ترى أن من
يلقى نفسه من مكان عال ووقع على موضع فانخسف به وظهر له كنز وسلم لا يقال انه حكيم لعدم علمه به أولا
بل هو يعلم ان الالتقاء فيه اهلاك النفس والانسان اذا علم أمرين أحدهما أهم من الآخر فان اشتغل
بالأهم كان عمله موافقا لعله وكان حكمة وان أهمل الأهم كان مخالفًا لعله ولم يكن من الحكمة في شيء قيل

ولقمان هو ابن باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام وعاش حتى أدرك داود عليه السلام
وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وروى أنه كان نائما في نصف النهار فنودي بالقمان هل لك أن
يجعلك الله خليفة في الأرض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خير في ربي قبلت العافية
ولم أقبل البلاء وان عزم على فسمعوا وطاعة فأنى أعلم ان الله تعالى ان فعل بي ذلك أعانني وعصمتني فقالت
الملائكة بصوت وهول لا يراهم بالقمان هل لك في الحكمة قال فان الحماكم يغشاه المظلوم من كل مكان ان
عدل مجاوان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خيرا من أن يكون شريفا ومن
يختر الدنيا على الآخرة تفتته الدنيا ولم يصب الآخرة فحجبت الملائكة من حسن منطفه فنام نومة فأعطى
الحكمة فأنبته وهو يتكلم بها (أن اشكر الله) فان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول فان شكر
الله تعالى أهم الاشياء (ومن يشكره نغما يشكر لنفسه) أي ومن يشكره تعالى فانما يشكر لنفسه
لان منفعة مقصورة عليها (ومن كفر فان الله غني حميد) أي ومن كفر النعمة فانه غير محتاج الى
شكره حتى يتضرر بكفران الكافر وهو تعالى في نفسه محمود سواء شكره الناس أو لم يشكروه (واذ قال
لقمان لابنه) ثارن وقيل أنعم وقيل مشكم (وهو يعظه) ويبدأ في الوعظ بالاهم (يا بني) تصغير
محبة وقرأ أحفص بفتح الياء وسكنها ابن كثير وكسرهما الباقيون (لا تشرك بالله) قيل كان ابنه كافرا
فلم يرزل به حتى أسلم ومن وقف على تشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لان الشرك وضع
للفس الشريفة ولأنه وضع العبادة في غير موضعها (ووصينا الانسان بوالديه) أي أمرناه بالبر بهما
(حملته أمه وهنأه) أي حملته أمه في بطنها تضعف ضعفا فوق ضعف كلما كبر الولد في بطنها كان
أشد عليها (وفصاله في عامين) أي وفطامه في عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي ومدة الرضاع
عند أبي حنيفة ثلاثون شهرا (أن اشكر لي) بالطاعة لاني المنعم في الحقيقة (ولو الديك) بالتربية لانهما
سبب لوجودك قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا للوالدين في اديار
الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين (الى المصير) أي الى الرجوع فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر
والكفر (وان جاءك على أن تشركني ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أي ان خدمتهما واجبة
وطاعتهم لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله أما اذا أفضى اليه فلا تطعهما (وصاحبهما في الدنيا معروفا)
أي صحابهما معروفا بغير تضحية المروءة (واتبع سبيلا من أناب الى) بالتوحيد والاخلص
في الطاعة وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل هو أبو بكر الصديق وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان
وطهمة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال
نعم هو صادق فأمنوا ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهو لأهم سابقة الاسلام بارشاد أبي
بكر رضي الله عنه (ثم الى مرجعكم) أي مرجع أيها الانسان ومرجع والدك ومرجع من أناب
(فأنبشكم) عند رجوعكم (بما كنتم تعملون) بأن أجازي كلامكم بما صدر عنه من الخير والشر (يا بني)
روى أن ابن لقمان قال يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال يا بني انهم ان
تلك مثقال حبة من خردل) أي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تلك مثقال في الصغر كحبة الخردل وقرأ
نافع مثقال بالرفع وكان تامة وضمير انها اللقصة أي ان الشأن ان يو جد وزن حبة الخردل (فتكن) أي تلك
الخلصة (في صخرة) تحت الارضين وهي التي عليها الثور وهي لاني الارض ولاني السماء (أو في السهوات
أو في الاوض يأت بها الله) أي يحضرها ويحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفي

(خبير) بكنه (يا بني أقم الصلاة) بجميع حدودها (وأمر بالمعروف) أى بالاحسان (وانه عن المنكر) أى القبيح من القول والعمل (واصبر على ما أصابك) من الشدائد والحن لاسيما بسبب الامر والنهي (ان ذلك) أى الصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (من عزم الامور) أى من الامور الواجبة المقتوعة فلم يرخص في تركه (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تعرض وجهك من الناس تكبرا ويقال لا تحقر فقراء المسلمين (ولا تمس في الارض مراحا) أى اختيالا (ان الله لا يحب كل مختال فخور) فالختال من يكون به خيلاء وهو الذي يرى الناس عظمة نفسه وهو التكبر والفخور ومن يكون مفتخر بنفسه وهو الذي يرى عظمة لنفسه في عينه (واقصد في مشيك) أى توسط في المشي بين الدبيب والامراع (واغضض من صوتك) أى وانقص منه وهذا الشارة الى التوسط في الاقوال (ان أنكر الاصوات لصوت الجهر) أى ان أقبج أصوات الحيوانات صوت الجهر أوله صوت قوى وآخره صوت ضعيف (ألم تروا) أى ألم تعلموا أيها المشركون (أن الله مخزى لكم ما في السموات وما في الارض) أى ان الله جعل لاجلكم ما في السموات من الشمس والقمر والجوم والسحاب والمطر وما في الارض من الشجر والدراب منقاد الامر فان الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لما نفع الخلق (وأسبغ عليكم نعمه ظاعرة رباطنة) أى وأتم عليكم نعمه بحسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقرأنا نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بفتح العين وبالحاء آخره والباقيون بسكون العين وبتاء منونة آخره (ومن الناس من يجادل في الله) نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث وأبي بن خلف وأميسة بن خلف وأشباهم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله تعالى وفي صفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا كتاب منير) أنزل الله تعالى بل بمجرد التقليد (واذا قيل لهم أى من يخاصم (اتبعوا ما أنزل الله) على نبيه من القرآن (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) أى قالوا نترك القول النازل من الله ونتبع الفعل من آباءنا وهو عبادة الاصنام (أولو كان الشيطان يدعوهم) أى قال الله تعالى أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم فبما هم عليه من الشرك (الى عذاب السعير) فهم يقتدون بهم (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى ومن يفوض اليه تعالى مجامع أموره ويقبل عليه تعالى بكامله وهو آت بأعماله جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي فقد تمسك بحبل الانقطاع له وترقى بسببه الى أعلا المقامات (والى الله عاقبة الامور) فيجازيه أحسن الجزاء (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أى لا تحزن اذا كفر كافر (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعقاب (ان الله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه سرهم وعلايتهم فينبئهم بما أضمرته صدورهم (غتهم قليلا) أى زمانا قليلا مدة حياتهم (ثم ننظرهم الى عذاب غليظ) ثم نردهم في الآخرة الى عذاب شديد أى فانهم لما كذبوا الرسل ثم تبين لهم الامر وقع عليهم من الحيلة ما يدخلون ولا يختارون الوقوف بين يدي ربهم بمحض الانبياء (وائن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وهذا يصدق في دعوى الواحدانية ويبين كذبهم في الاشراك (قل الحمد لله) على ظهور صدقك وكذب مكذبيك (بل أكثرهم لا يعلمون) أى ليس لهم علم يمنعك من تكذيبك مع اعتراهم بما يوجب تصديقك (لله ما في السموات والارض) فلا يستحق العبادة فيهما غيره تعالى (ان الله هو الغنى الحميد) أى لغنى عن العالمين المستحق للحمد وان لم يحمده أحد (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر عيده من بعده سبعة أبحر ما نذرت كلمات الله) أى ولو كانت الاشجار أقلاما والبحار السبعة

من بعد نفاد البحر المحيط مداداً فكتب به عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدايته لم تنفذ تلك العجائب
 فإن العجائب بقوله تعالى كن وكن كلمة راطلاق اسم السبب على المسبب جاز كما يقول الشعاع لمن يبارزه
 اناموتك وكما يقال للدواء في حق المريض هذا شفاؤك ودليل صحة هذا هو ان الله تعالى سمي المسيح كلمة لانه
 كان أمراً عجيباً لوجوده من غير أب واذ قلنا بأن عجائب الله لانهاية لها دخل فيها كلامه تعالى فالخلق
 هو الحرف والتركيب هو عجيب أما الكلمات فهي من صفات الله تعالى (ان الله عزيز) أي كامل
 القدرة فلا يهزئ شيء (حكيم) أي كامل العلم فلا يخرج عن علمه أمر (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
 واحدة) أي ما خلقكم وبعثكم الا تخلق نفس واحدة وبعثها في سهولة الحصول اذ لا يشغله تعالى شأن
 عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة بقدرة لذاتية (ان الله مهيع بصير) أي
 مهيئ لما يقولون كيف يبعثنا بصير بما يعملون (المتر) أي ألم تعلم يا أيها الغافل (ان الله يوبخ
 الليل في النهار ويوبخ النهار في الليل) أي يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضمه اليه فيتفاوت بذلك حاله
 زيادة ونقصانا (ومخر الشمس والقمر) أي ذللهما (كل يجري الى أجل مسمى) أي الى وقت معلوم
 في منازل معروفة لهما (وان الله بما تعملون) في كل وقت من الخير والشر (خبير) فمن شاهد مثل
 ذلك الصنع لا يغفل عن كون صانعه محيطاً بجلال أعماله ودقائقه (ذلك) أي ما ذكر من سعة العلم
 وشمول القدرة وعجائب الصنع (بأن الله هو الحق) أي لشأب الوجود وألوهيته (وان ما يدعون من
 دونه الباطل) وبسبب بيان بطلان الهيته ما يعبدونه من غيره تعالى وقرأ أبو عمرو ووحدة والكسافي
 وحفص ويدعون بالغيبة (وان الله هو العلي الكبير) أي وبيان انه تعالى هو العلي في صفاته الكبيرة
 في ذاته أكبر من كل ما يتصور فلا يكون جسم في مكان (المتر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله)
 أي بارح التي هي بأمر الله وباحسانه تعالى في تهيئة أسباب الجري (ليريكمن من آياته) أي ليريكمن
 بأمره السفينة بنعمته بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته (ن في ذلك) أي فيما ذكر (آيات)
 عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها (لكل صبار) في الشدة (شكور) في الرضا فالتكاليف
 أفعال وتروك فالتروك صبر عن المألوف والفعال شكر على المعروف (واذا غشيهم) أي أحاط بهم
 (موج كالظلل) أي كالجمال في الارتفاع (دعوا الله مخصلين له الدين) أي فرددوا له تعالى بالدعوة بأن
 ينجيهم (فلما نجاهم الى البر ففهم مقتصد) أي مقيم على الطريق المستقيم الذي هو التوحيد ومنهم من يعود
 الى الشرك وهو المراد بقوله تعالى (وما يحجد بآياتنا) أي الدالة على قدرتنا ووحدايته (الا كل ختار)
 أي كثير الغدر ولا يكون الغدر الا من قلة الصبر (كفور) أي مبالغ في كفران نعم الله تعالى (يا أيها
 الناس اتقوا ربكم) أي يا أهل مكة أطيعوا ربكم (واخشوا يوم لا يجزي والدع ولد) أي لا يقضي
 فيه والدع ولد في دفع الآلام (ولا مولود هو جازع والدع شيئاً) في دفع الاهانة فمولود مبدع ودا هو
 مبتدأ ثان وجاز خبره والجملة خير مولود وقرئ لا يجزي بضم الياء ورفع الهمزة أي لا يغني (ان وعد الله)
 بالثواب والعقاب (حق) أي لا يمكن اخلافه أصلاً (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فانها زائلة لوقوع
 ليوم الذي لا يجازاة بين الوالد وولده بالوعد الحق (ولا يغرنكم بالله) أي بسبب حلم الله (الغرور)
 أي الشيطان أو الدنيا فمن الناس من تدعو الدنيا الى نفسها فيميل اليها من هم من يوسوس في صدره
 الشيطان ويزين في عينه الدنيا ويقول انك تحصل بها الآخرة أو تلتذ بها ثم تتوب فتجتمع لك الدنيا
 والآخرة أي كونوا من الذين لا يلتفتون الى الدنيا ولا الى من يحسن الدنيا في الاعين (ان الله عنده علم

الساعة) أى علم وقت قيام القيامة (وينزل الغيث) الى محله في ابانه وقرأ نافع وابن عامر وهما هم بفتح النون وتشديد الزاي (ويعلم ما في الارحام) من ذكرا وانثى تام أو ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) كما لا تدرى فى أى وقت تموت روى أن ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فراح يريح أن تحملنى وتلقينى ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسلمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك (ان الله عليم) أى مبالغ فى العلم بكل شئ (خبير) أى عالم ببواطن الاشياء كما يعلم ظواهرها

﴿سورة السجدة وتسهي سورة الضاحج مكية عنداً كثرهم وهى تسع وعشرون آية وستمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) فتنزىل خبر عن الم أى هذه السورة المسماة الم منزل الكتاب ولا ريب فيه حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل (أم يقولون افتراء) أى بل أقول كفار مكة اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك) أى بل القرآن هو الثابت من ربك نزل به جبريل عليك (لتنذروا ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) أى لى تخوف بالقرآن قوما لم يأتهم رسول مخوف قبلك راجيا أنت لاهتدائهم (لله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أولها أحد وأخرها جمعة (ثم استوى على العرش) أى ثم استقام الله على ملكه وتصرف فيه تصرفا تاما والعرش موجود قبل السموات والارض (مالك) يا أهل مكة (من دونه) أى من غير الله (من ولى) أى قريب ينفعكم (ولا شفيع) ينصركم من عذاب الله فعبادتك لهذه الاصنام ضائعة لاهم خالقوكم ولا ناصر وكم (أفلاتنكرون) أى أتستمعون هذه المواعظ فلا تنكرون (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أى يدبر امر الدنيا من السماء على عبادته ويصعد اليه آثار الامرو وهى أعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الامر فان نزول الامر وعروج العمل فى مسافة ألف سنة مما تعدون عليهم أى على غير الملائكة فان بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة فيتنزل فى مسيرة خمسمائة سنة ويعرج فى مسيرة خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة قال عبد الرحمن بن سابط يدبر امر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والماء وأما ملك الموت فوكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما كان مادون العرش موضع التفصيل قال الله تعالى ثم استوى على العرش ومادون السموات موضع التصريف (ذلك) أى المدبر (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ما غاب عن العباد وما يكون وما علمه العباد وما كان فيدبر أمرهما (العزيز الرحيم) فهو قادر على الانتقام على الكفرة واسع الرحمة على البررة (الذى أحسن كل شئ خلقه) لجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن (وبدأ خلق الانسان من طين) أى بدأ آدم عليه السلام من أديم الارض على فطرة عجيبة (ثم جعل نسله) أى ذريته (من سلالة) أى من نطفة (من ماء مهين) أى من ماء ضعيف مخلوط من ماء الرجل والمرأة (ثم سواء) أى عدله بتكميل أعضائه فى الرحم (ونفخ فيه من روحه) أى جعل الروح

فيه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) على مقتضى الحكمة وذلك لان الانسان يسمع أولا من الناس امورا فيفهمها ثم يحصل له بسبب ذلك بصيرة فيبصر الامور ويجربها ثم يحصل له بسبب ذلك ادراك تام وذهن كامل فيستخرج الاشياء من قلبه (قليل الاما تشكرون) أى فتشكرون شكرا قليلا (وقالوا) أى أبوجهل وأصحابه (أئذا لنا فى الارض) أى أئذا غبنا فى الارض بالدفن بأن صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا تتميز منه (أئذا فى خلق جديد) أى أئذا يجدد خلقنا (بل هم ببقاء ربهم كفرون) أى ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثانى لما اعترفوا بالعذاب والثواب (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) أى قل يا أشرف الخلق يقبض أرواحكم ملك الموت الذى وكل بكم يقبض أرواحكم وذلك دليل على بقاء الارواح فلا بد من الحياة بعد الموت لا كما تزعمون أن الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة (ثم الى ربكم ترجعون) بالبعث للحساب والجزاء (ولو ترى اذ التجردون انا كسوار رؤسهم عن دريهم ربنا ابصرنا) أى ولو ترى أيها المخاطب اذ المشركون خافضوا رؤسهم عند ربهم من الحياة والحزى عند ظهور قبائحهم يقولون ربنا ابصرنا فجمع أعمالنا وكنائزها فى الدنيا حسنة وأبصرنا الحشر (وسمعنا) قول الرسول وأن مررنا الى النار (فارجعنا) الى الدنيا (لنعمل صالحا تانام وقنون) أى انا آمننا فى الحال أى لو ترى حالهم وتشاهد استحقاقهم لترى عجبنا (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أى قال تعالى جوابا عن قولهم ذلك انى لو أرجعناكم الى الايمان لهديتكم فى الدنيا ولما أهداكم تبين انى ما شئت ايمانكم فلا أردكم الى الدنيا (ولكن حق القول منى) أى سبقت كلتى حيث قلت لابليس فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين وهو المراد بقوله تعالى (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى من كفارهم (فذوقوا عذابنا سيئتم لقاء يومكم هذا) أى لارجع لكم الى الدنيا فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكير به (انا نسيناكم) أى اننا تركناكم بالسكينة غير ملتفت اليكم قطعا رجاؤكم (وذوقوا عذاب الخلد) أى العذاب الدائم (بما كنتم تعملون) فى الكفر (اغياؤم من بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أى بتلك الآيات (خروا سجدا) أى انقادوا أعضاؤهم للسجود (وسجوا بحمد ربهم) أى وتحرك ألسنتهم بتنزيهه تعالى عن الشرك (وهم لا يستكبرون) عن الخرور والتسبيح والتحميد (تجافى جنوبهم عن المضاجع) أى تنحى جنوبهم عن مواضع المنام قال أنس نزلت هذه الآية فينا كنا نصلى المغرب فلا ترجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضا قال نزلت فى أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهى صلاة الاوابين وهو قول ابن حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والازاعى وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (يدعون ربهم خوفا) من عدم قبول عبادته ومن سخطه تعالى وعذابه (وطمعا) فى رحمته (وعمار زقناهم) من المال (ينفقون) فى وجوه البر والحسنات (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) أى فلا تعلم نفس لملك مقرب ولانبي مرسل ما ذكر لهم (من قرأ أعين) أى عما يحصل به الفرح والسرور (جزاء بما كانوا يعملون) أى للجزاء بما كانوا يعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أى فبعد ظهور التباين بين المؤمن والكافر

يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه الغاضلة كالكافر الذي ذكرت أحواله الشنيعة (لا يستوون) أي المؤمنون كعلي رضي الله عنه والكافرون كالوليد بن عتبة بن أبي معيط وذلك أنه كان بينهما تنازع يوم بدر فقال الوليد بن عتبة لعلي أسكت فانك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً وأشجع منك جناناً وأملأ منك حشواً في الكتبية فقال علي أسكت فإني فاسق وأنزل الله تعالى هذه الآية (أما الذين آمنوا ورحلوا الصالحات فلمهم جنات المأوى نزلاً) أي حالة كونها ثواباً بعد ألهم كما يعد ما يحصل به إلا كرام للضيقة (بما كانوا يعملون) أي بسبب أعمالهم الصالحة في الدنيا (وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن دائرة الإيمان (فأوأهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي النار (أعيدوا فيها) بمقامع الحديد (وقبل لهم) أي قالت الزبانية زيادة في غيظهم (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) أي الذي كنتم في الدنيا تكذبون بعذاب النار وقلتم أنه لا يكون (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) أي ولنصيبن كفار مكة من عذاب الدنيا بالقحط سبع سنين والقتل والأسير يوم بدر قبل عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أي لنذيقنهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا بآيات الله من النعم أولاً والنقم ثانياً ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم (إنامن المجرمين منتهمون) أي لما لم ينفعهم العذاب الأدنى فأبأمنتهم من العذاب الأكبر (ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة (فلا تكن في سريته من أمته) أي فلا تكن يا أشرف الملق من لعاء الكتاب الذي هو القرآن أي آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب فلا تكن في شك من أنك لقيت نظيره (وجعلناه) أي الكتاب الذي آتينا موسى (هدى لبني إسرائيل) كما جعلنا كذبك هادياً للامة (وجعلنا منهم أئمة يهدون) أي دين الله (بأمرنا) أيهم بذلك كما جعلنا من أئمة صحابة يهدون (المصابروا) أي حين صبروا على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة لدن وقرأ أحزمة والكفا في بكسر اللام وتخفيف الميم أي لم يبرهم على ذلك (وكانوا بآياتنا) التي في تضاعيف الكتاب (يوقنون) لا معانهم فيها النظر (إن ربك هو يفصل) أي يقضي (بينهم) أي بين المبتدع والمتبع كما يفصل بين المؤمن والكافر أو يفصل بين المختلفين من أمة واحدة كما يفصل بين المختلفين من الامة الكثيرة (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمور الدين (أولم يهداهم كم أهلكتنا) أي أعفوا ولم يفعل الهداية لهم كثرة أهلاكنا وقد جوز أن يكون الفاعل ضمير يعود على الله كما يدل عليه قراءة نهدينون العظمة فيكون كم أهلكتنا الخ استثناء فامينا لكيفية هدايته تعالى (من قبلهم من القرون) مثل عاد وثمود وقوم لوط (يمشون في مساكنهم) أي يعمرون في أسفارهم إلى التجارة على ديارهم وبلادهم ويأخذون آثارها لا كهم (إن في ذلك) أي في كثرة أهلاكنا الامة الحالية العاتية (آيات) عظيمة في أنفسها كثيرة في عددها (أفلا يسمعون) هذه الآيات سمع تدبروا وتعاظ (أولم ير وأناسوق الماء إلى الأرض الجررز) أي التي أزيل نباتها بالمرارة قال ابن عباس هي أرض اليمن والشام وقال قوم هي مصر (فخرج به) أي بذلك الماء من تلك الأرض (زرهاتاً كل منه) أي من ذلك الزرع (أنعامهم وأنفسهم) قدم الانعام في الأكل كل لان الزرع أول ما ينبت يصلح للدواب ولان الزرع غذاء الدواب وهو لا بد منه (أفلا يبصرون) أي لا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليس تبدلوا به على كمال قدرته تعالى وعلى فضله (ويقولون) أي المشركون للمؤمنين بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء (متى هذا الفتح) أي النصر (إن كنتم صادقين) وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين إن الله ينصرنا عليكم (قل) يا أشرف

الحلق لم يبن خزيمة وبني كنانة (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) اذا جاءهم العذاب وقتلوا لان ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار (ولا هم ينظرون) أى يهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هربت قوم من بني كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فأتهموا الاسلحة فلم يقبله منهم خالد وقتلهم (فأعرض عنهم) أى عن بني خزيمة ولا تبالي بتكذيبهم (وانتظر) هلاكهم يوم فتح مكة (انهم منتظرون) هلاكك ويقال وانتظر النصر من الله فانهم ينتظرون النصر من آلهتهم ويقال وانتظر عذابهم بنفسك فانهم ينتظرونه بلفظهم استهزاء

﴿سورة الاحزاب مدنية بالاجماع وهي ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (والمنافقين) المنعمرين له نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي راس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاععة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم فقال انى أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فأمر الله تعالى هذه الآية (ان الله كان عليهما حكيمًا) أى مبالغاً في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يترك الابغافيه مصلحة ولا ينهك الاعن مافيه مفسدة ولا يحكم الابعاء تقتضيه الحكمة البالغة (واتبع) في كل ما أتى وما تذر من أمور الدين (ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً) فلا تهتم بشأنهم فان الله تعالى كافيكه وقرأ أبو عمرو وعياهمون بالغيبة فالواو ضمير يعود على الكفرة والمنافقين (وتوكل على الله) أى فوض جميع أمورك اليه (وكفى بالله وكيلاً) أى حافظاً موكولاً اليه كل الامور (ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه) نزلت هذه الآية في أبي معمر جميل بن أسد الفهرى كان رجلاً بيضياً حافظاً لما يسهع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء الا من أجل ان له قلوبين وكان هو يقول لى قلبان أعجل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقبه أبوسفيان واحدى نعليه بيده والاخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس فقال انهزموا فقال ما بال إحدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انهم ما في رجلى فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) أى كأمهاتكم في الحرام نزلت هذه الآية في أوس بن الصامت أختي عبادة بن الصامت وامرأته خولة (وما جعل أدعياءكم) الذين تبنيتم (أبناءكم) أى كابنائكم من النسب وقرأ عاصم تظاهرون بفهم التاء وفتح الظاء مع المد وكسر الهاء وحركة والكسائي بفتح التاء والظاء مع المد والتخفيف وفتح الهاء وابن ماسر كذلك الا انه يشدد الظاء والباقون بفتح التاء والظاء والهاء المشددين ولا ألف بعد الظاء روى الامثمة عن ابن عمر قال ما كنا ندعوز يد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لا بأشهم هو أقسط عند الله وكان زيد فيما روى عن أنس بن مالك رغبة

مسيبيا من الشام بستة خيل من تهامة فاشترى حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمة خديجة بنت خويلد
 فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمره في
 فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم خيرا فان اختار كما فهو لك دون فدائه فاختر الرق مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على حر يته وقومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر
 قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم فرضي بذلك عنه
 وأبوه وانصرفا (ذلكم) أي دعاؤكم بقولكم هذا ابني (قولكم بأفواهكم) فقط فهو قول لا حقيقة
 له ولا يخرج من قلب ولا يدخل في قلب فهو قول بالغم مثل أصوات البهائم (والله يقول الحق) فان العاقل
 ينبغي أن يكون قوله اما عن عقل أو عن شرع فاذا قال فلان بن فلان ينبغي أن يكون عن حقيقة أو عن شرع
 بأن يكون ابنه شرعا إن لم يعلم الحقيقة كمن تزوج بامرأة فولدت لسته أشهر ولدا وكانت الزوجة من قبل
 زوجة شخص آخر يحتمل أن يكون الولد ~~له~~ فانا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول انه ابنه وفي
 الدهي لم توجد الحقيقة ولا ورد الشرع به لان أباه ظاهر مشهور ومن قال ان تزوج النبي صلى الله عليه
 وسلم بزينب لم يكن حسنا لانها زوجة الابن يكون قدر ترك قول الله الحق هي حلال لك وقد أخذ بقول
 خرج من الغم (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله تعالى (ادعوه
 لا بآبائهم) أي انسبوهم اليهم (هو أقسط عند الله) أي الدعاء لا بآبائهم بالغ في العدل في حكم الله تعالى
 (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) أي بنو أمكم أي فان لم تعرفوا أباشخص تنسبونه
 اليه وأردتم خطابه فقولوا له يا أخي ويا ابن عمي ويقال فادعوههم باسم اخوانكم في الدين كأن تقولوا عبد
 الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الرزاق (وليس عليكم جناح) أي اثم (فما أخطأتم به)
 بالسوء أو سبق اللسان فقول القائل لغيره يا بني بطريق الشفقة أو يا أباي بطريق التعظيم فانه مثل الخطأ
 ألا ترى ان اللغو في اليمين مثل الخطأ وسبق اللسان (ولكن ما تعدت قلوبكم) فيه جناح (وكان الله
 غفورا رحيمًا) يغفر الذنوب ويرحم المذنب فالغفرة هو ان يستتر القادر القميص الصادر عن تحت قدرته
 والرحمة هو ان يميل الى شخص بالاحسان ليجز المرحوم اليه لالعوض (النبي أولى) أي أشفق
 (بالمؤمنين من أنفسهم) في كل أمر من أمور الدين والدنيا فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم وهو
 صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم والمعنى ان طاعتهم للنبي أولى من طاعتهم لانفسهم (وأزواجه
 أمهاتهم) أي منزلات منزلة الأمهات في استحقاق التعظيم وفي تحريم نكاحهن تحريم ما يؤبد الا في غير ذلك
 سواء دخل صلى الله عليه وسلم بها أو لا وسواء مات عنهن أو طلقهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض
 في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) أي ذوو القربايات بعضهم أولى ببعض في التوارث بحق القرابة
 من الارث بحق الايمان وبحق الهجرة في القرآن وهو آية الموارث والوصية (الا أن تفعلوا الى أوليائكم
 معروفًا) أي الى أصدقائكم وصية من الثلث أي ان أوصيتم فغير الوارثين أولى وان لم توصوا فالوارثون
 أولى غير انكم وبما تركتم (كان ذلك) أي الميراث للقرابة والوصية للأجانب بالمواددة (في الكتاب)
 أي القرآن (مسطورا) أي مكتوبا (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي اذ كروا وقت أخذنا من
 النبيين كافة عهدهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
 ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا مؤكدا وهو الاخبار بأنهم مسئولون عما فعلوا في الارسال
 (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أي ليسأل الرسل عن صدقهم في تبليغ الرسالة تبكي تالين أرسلوا اليهم

وليسأل الوافين عن وفاتهم والمؤمنين عن إيمانهم (وأعد للكافرين عذاباً أليماً) أي فأتاب المؤمنين
وأعد للكافرين بالرسول عذاباً أليماً (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود
أي أحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً) فأرسلنا عليهم ريحاً
وهي ريح الصبا (وجنود الم تروها) وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا ألفاً ولم يقاتلوا يومئذ وأغاث القوا
العرب في قلوب الأحزاب (وكان الله بما تعملون) من التجائكم اليه ورجائكم فضله (بصيراً)
فنصركم على الأعداء عند الاستعداد وقرى بما يعملون بالياء أي الأحزاب (اذ جاؤكم) أي الأحزاب
(من فوقكم) أي من أعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان وأسد قائدهم عيينة بن حصن
وعامر بن الطفيل في هوازن ومعهم اليهود من قريظة والنضير (ومن أسفل منكم) أي من أسفل
الوادي من قبل المغرب وهم قريش وبنو كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف (واذ
زاغت الأبصار) أي واذكروا حين مالت أبصار المنافقين عن موضعها عن طريقها فلم تلتفت إلى العدو
لكثرة (وبلغت القلوب الخناجر) أي بلغت قلوب المنافقين بأن انتفخت عند منتهى الحلقوم من
الخوف (وتظنون بالله الظنونا) أي ظن المخلصون أن الله تعالى ينجز وعده في إعلا دينه أو يخونهم
نخافوا الزلل (هنالك) أي في ذلك الزمن الهائل والمكان الدحض (ابتلى المؤمنين) أي امتحنهم
الله فتميز الصادق عن المنافق (وزلزلوا زلازلاً شديداً) أي حركوا تحريكاً شديداً من الهول والغزع
وكانت غزوة الأحزاب في شوال سنة أربع وسببها أنه لما وقع أجلاء بني النضير من أما كنهم سار منهم
جمع من أكابرهم منهم سيدهم حي بن أخطب إلى أن قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول
الله وقالوا اناسنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال أبو سفيان مرحباً وأهلاً وأحب الناس الينامن
أعاننا على عداوة محمد ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان وقيس وغيلان فطلبوهم لحرب محمد
فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن فلما سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بأقبالهم شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق بإشارة سلمان
الفارسي وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل
وجعلتهم اثنا عشر ألفاً فحلولوا حول المدينة حتى نزلوا إلى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون حتى جعلوا نواظرهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ف ضرب هناك عسكره والخندق بينه
صلى الله عليه وسلم وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرقعوا في الأطام فلما رأته قريش الخندق قالوا
هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا في ذلك الحصار أربعة
وعشرين يوماً فاشتد على المسلمين الخوف فبعث الله عليهم ريحاً في ليلة شديدة البرد والظلمة فقلعت
بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الأرض وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم
ولم تقاتل بل نفثت في قلوبهم الرعب فلما رأى أبو سفيان ما تنفعه ريحهم قام فقال يا معشر قريش
ليست تعرف كل منكم جلسه واحذر والجواسيس ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار
مقام ولقد هلك الكراح والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه ريح
ماترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جملة وشرع القوم يقولون الرحيل الرحيل والريح تقلبهم
على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة ولم تجاوز عسكرهم ورحلوا وتركوهم اشتغلوا من متاعهم وحين
انجلي الأحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم

مرض) أى ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من اعلام الدين (الاغرورا) أى الاوعد غرور
أى قال معتب بن قشير وأصحابه بعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقبضروا الحال اننا لا نخرج للغائط
خوفا وما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) هم أوس بن قيطى من رؤساء المنافقين واتباعه
وقال السدى هم عبد الله بن أبى وأصحابه (يا أهل يثرب) هو اسم المدينة المطهرة (لامقام لكم) أى
لا وجه لا قامتكم مع محمد (فارجعوا) عن محمد واتفقوا مع الاحزاب تخرجوا من الاحزان (ويستأذن
فريق منهم النبي) أى يستأذن النبي فى الرجوع الى المدينة فرىق من المنافقين أوس بن قيطى وأبو
عرابة بن أوس من بني حارثة (يقولون) للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لنا يا نبي الله بالرجوع الى المدينة
(ان بيوتنا عورة) أى غير حصينة نخاف عليها مرق السراق (وما هى بهورة) أى والحال ان البيوت
ليس فيها خلل (ان يريدون الاقرارا) أى ما يريدون بالاستئذان الاقرارا من القتل (ولو دخلت
عليهم من أقطارها ثم سألوا الفتنة لا توهامات لبشوا بها الا يسيرا) أى ولو دخل الاحزاب بيوتهم من جميع
جوانبها ثم سألهم الداخلون أو غيرهم الرجعة الى الكفر لجأوها وقرأنا فاعوا بن كثير لا توهابا بقصر الهزيمة
أى لفعلوها والباقيون بالمدأى لا عطاوها اجابة لسؤال من سألهم وما أخرها الردة الا قد رما يسع السؤال
والجواب أى لا سرعوا الاجابة الى الشرك طيبة نفوسهم به (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى من
قبل غزق الخندق (لا يقولون الا دبار) أى منهزمين من المشركين فان بنى حارثة هموا يوم أحد ان يفشلوا
مع بنى سلة فلما نزل فيهم منازل عاهدوا الله تعالى ان لا يعودوا مثل ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أى
وكان ناقض عهد الله مسؤلا يوم القيامة عن نقضه (قل) يا أشرف الخلق لبنى حارثة (لن ينفعكم
الافراران فررتهم من الموت أو القتل) لانه لا بد لكل انسان من الموت فى وقت معين سبق به قضاء الله تعالى
وجرى عليه القلم (واذا لا تمنعون الا قليلا) أى ولو فررتهم من الموت فى يومكم مثلا لمادتم ولما تمتعتهم
بعد الفرار الا تمنعوا قليلا (قل) يا أكرال رسل لبنى حارثة (من ذا الذى يعهدهم من الله ان أراد بكم
سوءا أو أراد بكم رحمة) أى من يمنعكم من مراد الله ان أراد بكم عذابا بالقتل أو أراد بكم نجاة من القتل
(ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أى ليس لكم ولي يشفع لحبته اياكم ولا نصير يدفع عنكم
السوء اذا آتاكم (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هم المينا) أى قد علم الله المانعين من
الرجوع الى الخندق والقائلين لاصحابهم المنافقين قربوا أنفسهم اليئامى وهم عنده هذا القول خارجون من
المعسكر متوجهون نحو المدينة وكان هؤلاء عبد الله بن أبى وجذب بن قيس ومعتب بن قشير (ولا يأتون
البأس الا قليلا) أى وهم لا يأتون القتال الا زمانا قليلا رياء ومهعة (أشجع عليكم) أى بخلاء عليكم
بأبدانهم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) أى فاذا جاء
خوف العدو رأيت المنافقين فى الخندق يا أشرف الخلق ينظرون اليك تدور أعينهم فى أحد اقعهم نظرا
كأننا كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت (فاذا ذهب الخوف) وحيز الغنائم (سلقوكم
بالسنة حداد) أى غلبوكم بالسنة ذرية وأذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبننا انتصرتكم وكسرتكم
العدو وقهرتكم ويطلبونكم بالقسم الا وفر من الغنمة وكانوا من قبل راضين من الغنمة بالاياب (أشجع
على الخير) أى حرصا على المال ويقال انهم قليلوا الخير فى الحالة كثير والشرفى الوقتين (أولئك)
الموصوفون بما ذكر (لم يؤمنوا) بقلوبهم وان أظهروا الايمان لفظا (فأحبط الله أعمالهم) أى
أظهر الله بطلان أعمالهم التى كانوا يأتون بها مع المسلمين (وكان ذلك) أى الاحباط (على الله يسيرا)

أى هينا (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) أى هؤلاء المنافقون لجبنهم يظنون قريشا و غطفان واليهود لم
 ينهزمرا عند ذهابهم ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الأحزاب يودوا الوأثم بادون في الاعراب يسألون
 عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا) أى واب يأت الكفار بعد ما ذهبوا كره ثانية تعنى هؤلاء
 المنافقون ان لو كانوا ساكنين خارج المدينة بين الاعراب بعد ما عن تلك الكفار يسألون كل قادم من
 جانب المدينة عما جرى عليكم مع الكفار والخال ان هؤلاء المنافقين لو كانوا فيكم هذه الكره ولم يرجعوا
 الى المدينة ووقع قتال آخر ما قاتلوا معكم الا قليلا رياء وخوف من التعيير (لقد كان لكم في رسول الله أسوة
 حسنة) أى خصلة حسنة حقها أن يقتدى بها على سبيل الايجاب في أمور الدين وعلى سبيل الاستحباب
 في أمور الدنيا (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى يرجو ثواب الله واليوم الآخر خصوصا (وذكر
 الله كثيرا) باللسان والقلب (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) أى الكفار الكثرة الاجناس (قالوا
 هذا) أى المرئى (ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذي
 خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وبقوله صلى الله عليه وسلم
 سيستد الامر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الأحزاب
 سائررون اليكم بعد تسع ليال أو عشر (وصدق الله ورسوله) في النصرة والثواب كما صدق في البلاء (وما
 زادهم الا إيمانا وتسليما) أى وما زادهم الوعد الا إيمانا بقوة وعه وتسليما عند وجوده ويقال وما زادهم
 مارأوه الا إيمانا بالله وبوعا عيده وتسليما لأمره ومقاديره وقرأ ابن أبي عمير وما زادهم بضمير الجمع
 ويعود للأحزاب لان النبي صلى الله عليه وسلم لم أخبرهم ان الأحزاب تأتيهم بعد تسع أو عشر (من
 المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى أتوا بالصدق في عهدهم من الثبات مع الرسول أى من
 الصحابة رجال نذروا انهم اذا القوا حرا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم
 عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحزرة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر
 وغيرهم (فهم من قضى نحبه) أى نذره كحزرة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم وأخرج
 الترمذي عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال طلحة عن قضى نحبه وقد روى ان طلحة ثبت مع رسول
 الله يوم أحد حتى أصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم في رواية
 عائشة من سره ان ينظر الى شهيد عثني على الأرض وقد قضى نحبه فليمنظر الى طلحة (وممنهم من ينتظر)
 قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك فانهم مستمرون على نذرهم (وما
 بدلوا تبديلا) أى وما غيروا العهد بتغيير بالنقض (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أى بصدق
 ما وعدهم بالقول والفعل في الدنيا والآخرة (ويعذب المنافقين) الذين كذبوا واخلفوا بما صدر عنهم من
 الاعمال والاقوال المحكية (ان شاء) تعذيبهم فممنعهم من الايمان فماتوا على النفاق (أو يتوب
 عليهم) ان تابوا قبل الموت ان أراد ذلك (ان الله كان عفورا) لمن تاب حيث ستر ذنوبهم (رحيما)
 حيث رزقهم الايمان (ورد الله) أى صرف الله (الذين كفروا) وهم الأحزاب (بغيرتهم) أى
 ملتبسين به (لم ينالوا خيرا) أى غير ظافر بن بخير من دين ودنيا (وكفى الله المؤمنين القتال) أى
 رفع الله مؤنة القتال عن المؤمنين بالرجح والملائكة (وكان الله قويا) على نصر المؤمنين فلم يحوجهم الى
 قتال الكفار (عزيزا) أى قادرا على اهلاك الكافرين واذلالهم روى البخاري عن سلمان بن صرد
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انجلي الأحزاب يقول الآن نفروهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم

(واتزل الذين ظاهروهم) أى عاونوا كفار مكة (من أهل الكتاب) وهو بنو قريظة والنضير كعب بن الاشرف وحي بن أخطب وأصحابهما (من صياصيتهم) أى حصونهم (وقذف في قلوبهم الرعب) أى الخوف الشديد حتى سلخوا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي (فريقا يقتلون) وهم الرجال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذاري وكانوا سبعمائة (وأورثكم أرضهم) من الحدائق والمزارع (وديارهم) أى منازلهم (وأموالهم) من النقد والماشية والسلاح والاثاث وغيرها (وأرضالم تطووها) أى لم تقبضوها الآن وهى خيبر فانها فتحت بعد بنى قريظة بستين كما قاله السدى ومقاتل أوهى أرض الروم وفارس كما قاله الحسن (وكان الله على كل شىء قديرا) ويعلمكم غيرها روى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم صبيحة ليلة التى انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح وهو على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرجه فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله يسمع الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح منذ أربعين ليلة ان الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة فانهم ضال اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال والقيت الرعب في قلوبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى ان من كان مطيعا فلا يصلين العصر الا في بنى قريظة فحاصروهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتزلون على حكمي فأبوا فقال أتتزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل الرجال وتقسيم الاموال وتسبي الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فبسطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج الى سوق المدينة الذى هو سوقها اليوم فخذق فيه خندا قائم بعث اليهم فأتى بهم اليه وفيهم حي بن أخطب رئيس بنى النضير وكعب بن أسد رئيس بنى قريظة وكانوا ستمائة فأمر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفى سعد المذكور بالجرح الذى أصابه في وقعة الأحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذى نفس محمد بيده انى لا عرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وانى فى حجرى (يا أيها النبي قل لازواجك) قال عكرمة كان تحته صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية ثم صفية بنت حيي الخيسرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرة بنت الحرث من بنى المصطلق روى انهن سأله صلى الله عليه وسلم ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت هذه الآية (ان كنتن تردن الحياة الدنيا) أى التمتع فيها (وزينتها) أى زخارفها (فتعالين) أى أقبلن بارادتكين واختياركن لاحدى الحصلتين (أمتعن) أى اعطىكن المتعة (وأسرحكن سرا حجيلا) أى أخرجكن من البيوت من غير ضرار بعد اعطاء المتعة (وان كنتن تردن الله ورسوله) أى أى تردن طاعة الله وطاعة رسوله (والدار الآخرة) أى الجنة (فان الله أعد للمحسنات منكن) أى لمن عمل الصالحات منكن (أجرا عظيما) وهى الكبير فى الذات الحسن فى الصفات الباقى فى الاوقات وروى عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر رسته أذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جاوسا يبابه لم يؤذن لاحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم جاء عمر فأستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكنا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لا قولن

شيأً أفحلك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رأيت بذت غارجة سألتني النفقة فقامت إليها فوجأت عنقها ففحلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجاء عنقها وقام عمر إلى حفصة يجاء عنقها كلاهما يقول لا تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله أبداً شيئاً ليس عنده ثم اعترهن شهران ثم نزلت هذه الآية فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إن أريد أن أعرض عليك أمر إلا أحب أن تعجلي فيه حتى تستشيرى أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية فقالت أفيلك يا رسول الله استشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختياراتها ففسكرهن ذلك (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة) أي بكبيرة (مبينه) أي ظاهرة القبح وقرأ ابن كثير وشعبة بفتح الياء التحتية أي بين الله قبحها (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يعذب من ضعف عذاب غيرهن وقرأ أبو عمرو ويضعف بتشديد العين على البناء للفعول وقرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين على البناء للفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك) أي التضعيف (على الله يسيراً) لا يمنعه تعالى عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وليس أمر الله كما أمر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الأعززة بسبب كثرة شفعاთهم (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي من يطع الله ورسوله منكن (وتعمل صالحاً) أي خالصة فيما بينها وبين ربها (نؤتها أجرها مرتين) أي نعطيها ثوابها مشلي ثواب غيرهن من النساء فرة على الطاعة ومرة لطلبهن رضا رسول الله بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية في يعمل ويؤتها (وأعتدنا لها) أي هيأنا لها (رزقاً كريماً) أي مرضياً في الجنة زيادة على أجرها المضاعف (يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) أي اتصفتن بالتقوى لأن فيكن أمر الإيوجد في غيركن وهو كونهن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين كما أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس كأحد من الرجال (فلا تخضعن بالقول) أي فلا ترقن بالقول عند الرجال (فيطمع) في الحياة (الذي في قلبه مرض) أي شهوة الزنا (وقلن قولاً معروفاً) أي قولاً حسناً مع كونه خشناً (وقرن في بيوتكن) أي أمكشت في بيوتكن وليكن عليكن حسن الهيئة وقرأ نافع وطاسم بفتح القاف فهو أمر من قريقر من باب علم أو من قار يقاراد الاجتماع وقرأ غيرهما بكسر القاف من قريقر وقارا (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) أي ولا تتزين بزينة الكفار في الثياب الرقاق الملونة والمراد بالجاهلية الأولى هي التي قبل الإسلام (وأقن الصلاة) أي أتمن الصلوات الخمس (وآتين الزكاة) أي أعطين زكاة أموالكن (وأطعن الله ورسوله) في كل ما تأتين وما تذرن (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أي يحمل الشيطان وما ليس فيه رضا الرحمن كما قاله ابن عباس (والذنب المدنس بعرضكن) أي يا أهل بيت النبوة وأخرج الترمذي حديثاً أنه لما نزلت هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا وعلياً وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وآخر

ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في نساء النبي صلى الله عليه وسلم

(ويطهركن تطهيراً) أي يلبسكن خلع الكرامة فذهب الرجس كناية عن زوال عين الله

كناية عن تطهير المحل (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة

بطريق العظة ما يتلى في بيوتكن من القرآن وكلمات النبي صلى

خبراً) يعلم ويدبر ما يصلح في الدين (ان المسلمين والمسلمات

الذكور والانات) (والمؤمنين والمؤمنات) أي

علم خاصة
جاسئة والتطهير

سنة) أي اذكرن للناس

به عليه وسلم (ان الله كان لطيفاً

حسناً) أي ان المنقذين لحكم الله تعالى من

المصدقين بما يجب تصديقه من الفريقين (والقانتين

والقانتات) أي المداومين على الطاعات (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) أي المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعبد الله لهم) بسبب ما عملوا من تلك الحسنات المذكورة (مغفرة) للصغائر (وأجر عظيم) على الطاعات نزلت هذه الآية في قول أم سلمة ونسيبة بنت كعب الأحمسي يارسول الله ما نرى الله يذكر النساء في شيء من الخير انما ذكر الرجال ثم نزلت في زينب بنت جحش بنت عمه رسول الله أمية بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فأبته هي وأخوها عبد الله وكانت بيضا جميلة وزيد أسود وقالت أنا بنت عمك يارسول الله فلا أرضاه لنفسي وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأخيها وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بعد ما طلق زيد بنت جحش فسخطت هي وأخوها وقالوا انما أردنا رسول الله فزوجنا عبده (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أي وما صح لكل مؤمن وكل مؤمنة إذا أراد رسول الله أمرا أن يختار وأمن أمرهم ما شاء بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعالا لاختياره صلى الله عليه وسلم (ومن يعص الله ورسوله) في أمر من الأمور كان يعمل فيه برأيه (فقد ضل طريق الحق) ضلالا مبينا أي بين الانحراف عن سنن الصواب فلما نزلت هذه الآية رضيت زينب وأخوها وجعل الأمر بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحها زيدا وساق إليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمسا ودرعاً ومحفة وخمسين درهما من طعام وثلاثين صاعاً من تمر (واذ تقول للذي أنعم الله عليه ورحمه أن يزوجني زينباً) أي واذكر وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالسلام وأنعمت عليه بالاعتناق وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب أي لا تطلقها وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أبصرها قائمة في درع وخمار بعدما أنكحها أياه فوقع في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد فغضب لذلك ووقع في نفسه كراهة مصحبته فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أراك منها شيء فقال لا والله يارسول الله ما رأيت منها الا خيراً ولكنك تتعاطم علي لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك أي لا تفارقها (واتق الله) في أمرها فلا تطلقها تعطلا بتكبرها عليك بسبب النسب وعدم الكفاة (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي والحال أنك تخفي في نفسك ما أعلم الله أنها ستصير من أزواجك بعد طلاق زيد (وتخشى الناس) وتستحي من تعيير الناس إياك بأن يقولوا أخذ محمد زوجة ابنة (والله أحق أن تخشاه) أي والحال أن الله وحده أحق أن تستحي منه (فلما قضى زيد منها وطرا) أي فلما وطئها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) أي جعلنا زينب زوجتك بلا واسطة عقد فدخل صلى الله عليه وسلم عليها بغير إذن ولا تجديد عقد ولا تقرر صداق ولا شيء مما يكون شرطاً في حقوقنا وأولم عليها بشاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه وعن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على أحد من نسائه كما أولم على زينب (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) أي لكيلا يكون على المؤمنين ضيق في تزوج نساء من تبنيوهن إذا قضوا منهن حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة فإن لهم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي

تبنيته ليعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبنين ولو بعد الدخول بها وفي هذا التعليل إشارة إلى أن التزوج من النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لقضاء شهوته بل لبيان الشريعة بفعله فإن الشرع يستفاد من فعل النبي وقوله (وكان أمر الله مفعولا) أي وكان مراد الله موجودا في الخارج لا محالة (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي ليس على النبي مأثم فيما رخص الله له من التزوج (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي سن الله ذلك سنة في الذين مضوا من قبل محمد فان داود عليه السلام افتتن بأمرأة أوريا وسليمان عليه السلام تزوج بلقيس ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاث مائة سرية وسليمان عليه السلام ثلاث مائة امرأة وسبع مائة سرية فان اليهود عابوا النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة النساء فرد الله عليهم بقوله سنة الله أي كسنة الله في الانبياء الذين من قبل محمد (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي وكان قضاء الله حكما مبتوتا والقضاء ما كان مقصودا في الأصل والقدر ما يكون تابعا له مثاله من كان يقصد مدينة فنزل بطريق تلك المدينة في قرية يصح منه في العرف أن يقول في جواب من يقول لم جئت إلى هذه القرية اني ما جئت إلى هذه القرية وانما قصدت المدينة الغلانية وهذه وقعت في طريقتي وان كان قد جاءها ودخلها اذا عرفت هذا فان الخبر كله بقضاء وما في العالم من الضرر بقدر ثم وصف الله تعالى الذين خلوا بقوله تعالى (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه) في تبليغ الرسالة (ولا يخشون أحدا الا الله) أي الذين هم كانوا رسلا مثل محمد (وكفى بالله حسيبا) أي كافيا للمخاوف فينبغي أن لا يخشى غيره أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى (ما كان محمدا بأحد من رجالكم) على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرهما فليس محمدا بأحد (ولكن رسول الله) أي ولكن كان محمدا رسولا لله والعامية على تخفيف لكن ونصب رسول على اضممار كان وقرأ أبو عمرو في رواية بتشديد ها على أن رسول اسمها والخبر محذوف أي ولكن رسول الله هو وقرأ زيد بن علي وابن أبي عمير بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء وخبره مقدر أي هو أو بالعكس أي ولكن هو رسول الله (وخاتم النبيين) أي وكان آخرهم الذين ختموا به وقرأ عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها أي فان رسول الله كالاب للامة في الشفقة من جانبه وفي التعظيم من طرفهم بل أقوى فان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والاب ليس كذلك ثم ان النبي الذي يكون بعده نبي ان ترك شيئا من النصيحة يستدركه من يأتي بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم اذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد (وكان الله بكل شيء عليما) ومن جملة الحكم الذي بينه لكم وكنتم منه في شئ والحكمة في تزوجه صلى الله عليه وسلم بزوجته من تبناه اكمال شرعه وذلك أن قول النبي يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرة ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم أحل أكل الضب ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء ولما أكل لحم الجمل طابأكله عندها مع أنه في بعض المال لا يؤكل وكذلك الارنب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله) بما هو أهله من التهليل والتحميد باللسان والقلب (ذكرنا كثيرا) يوم الاوقات والاحوال أي بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والقسم في السر والعلانية عند المعصية والطاعة (وسجوه) أي زهوه عما لا يليق به (بكرة وأصيلا) وهذا إشارة إلى المداومة وذلك لان مرید العجم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) أي فأنه تعالى وملائكته يعتنون بما فيه خيركم وصلاح أمركم فأنه يهديكم برحمته والملائكة يستغفرون لكم (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي يخرجكم بذلك من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان

بالمؤمنين رحيمًا) أى وكان الله بكافة المؤمنين رحيمًا (تحيتهم يوم يلقونه سلام) أى ما يحيون به يوم لقاء
 الله عند الموت أو عند الخروج من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله تعالى تعظيمًا لهم أو من
 الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكملة لهم (وأعد لهم أجرا كريما) أى ثوابا حسنا فى الجنة وهذا ترغيب
 ببيان أن الاجر الذى هو المقصد الاقصى موجود بالفعل مهيا لهم (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) على
 من بعثت اليهم تشاهد أعمالهم فالنبي بعث فى الدنيا تمهيدا للشهادة ويكون فى الآخرة مؤيدا لما تحمله
 (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا الى الله) أى الى دينه (بأذنه)
 وهذا راجع الى داعيا وذلك كما اذا قال شخص من يطعم الملك يسعد ومن يعصه يشقى فيكون مبشرا
 ونذيرا ولا يحتاج فى ذلك الى اذن من الملك وأما اذا قال تعالى الى سماعه واحضر واعلى خوانه فيحتاج فى
 ذلك الى اذنه (وسراجا منيرا) يستضاء به فى ظلمات الجهل ويهتدى بانواره الى مناهج الرشاد (وبشر
 المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم المؤمنين فى زيادة على أجور أعمالهم قوله وبشر
 عطف على مفهوم والتقدير انا أرسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر وقيل لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك
 فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال المؤمنون هنيئا لك يا رسول الله بالمغفرة فما لنا عند
 الله فقال الله تعالى وبشر المؤمنين الآية (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى ولا تطع الكافرين من أهل
 مكة أباسفيان وأصحابه والمنافقين من أهل المدينة عبد الله بن أبى وأصحابه أى لا تترك ابلاغ شئ مما
 أمرت (ودع أذاهم) أى دع أذيتهم اياك الى الله فإنه يعذبكم بأيديكم وبالنار ألا تبال باذيتهم الك
 بسبب تصلبك فى الدعوة والانذار (وتوكل على الله) فى كل ما تأتى وما نذر فانه تعالى يكفيكم (وكفى
 بالله وكيلا) أى مكولا اليه الامور فى كل الاحوال (يا أيها الذين آمنوا اذا انكحتم المؤمنات)
 أو الكاتبات (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وقرأ حمزة والكسائي عماسوهن بضم التاء ومد الميم
 أى من قبل أن تتجامعهن (فالكىم عليهن من عدة) بالشهور أو بالحيض (تعتدونها) أى تستوفون
 أنتم عددها (فتموهن) أى اعطوهن ما ينتمن به وهو المتعة الواجبة للفارقة فى الحياة اذا كانت
 مدخولا بها أو غير مدخول بها وكانت مفوضة ولم يفرض لها شئ قبل الفراق (وسرحوهن سرا حميلا)
 أى اخرجوهن من منازلكن من غير ضرار ولا متع حق (يا أيها النبي انا أحللكم أزواجك اللاتي
 آتيت أجورهن) أى أعطيت مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أى مما فتح الله عليك
 مثل صفية بنت حيي النصرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحارث الخزاعية (وبنات عمك وبنات
 عماتك) من بنى عبد المطلب (وبنات خالك وبنات خالاتك) من بنى عبد مناف بن زهرة (اللاتي
 هاجرن معك) ذكر للنبي ما هو الاولى فان الزوجة التى أوتيت مهرها أطيب قلبا من التى لم تؤت والمملوكة
 التى سبها الرجل بنفسه أطهر من التى اشراها الرجل فان المشتراة لا يتحقق بدها أمرها وما جرى عليها
 ومن هاجرت من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم معه من مكة الى المدينة أشرف مما لم تهاجر (وامرأة
 مؤمنة) وهى أم شريك بنت جابر العامرية وخولة بنت حكيم وزينب بنت خزيمة الانصارية وميمونة
 بنت الحارث (ان وهبت نفسها للنبي) أى ان ملكته بضعها بأى عبارة كانت بلا مهر فتصير كالمستوفية
 مهرها (ان أراد النبي أن يستنكحها) أى ان يملك بضعها بلا مهر فارادة النكاح جارية منه صلى
 الله عليه وسلم مجرى القبول (خالصة لك) أى حال كون المرأة خصوصية لك أو هبة من خالصة
 اما حال أو نعت مصدر مقدر (من دون المؤمنين) قال الشافعى والمعنى ان اباحة الوطء بالهبة وحصول

التزوج بلفظها من خواصك وقرئ خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي تلك المرأة أو تلك الهبة
 رخصة لك وخصوصية لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل المرأة لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل يجب مهر
 المثل (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي ما أوجبنا على المؤمنين في حق أزواجهم بأن لا يزيدا
 على أربع نسوة ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر (وما ملكك أيانهم) بأن تكون الأمة عن تحل
 لما لكها كالكتابة وان تستبرأ قبل الوطء (لكي لا يكون عليك حرج) أي ضيق فاللام متعلق
 بأحللنا والمعنى أحللنا لك أزواجك وما ملكك عينك والموهوبة لك لتسكون في فسحة من الأمر فلا يبق
 لك شغل قلب فينزل جبريل بالآيات على قلبك الفارغ وتبلغ رسالات ربك بحمدك (وكان الله غفورا رحيمًا)
 فيغفر الذنوب عما يعسر التحرز عنه ويرحم العبيد بدته وسعة الأمر في مواضع الضيق (ترجي من تشاء
 منهن) أي تترك مضاجعها (وتتوى اليك من تشاء) أي وتضم اليك من تشاء مضاجعها فالله أحل
 له صلى الله عليه وسلم وجوه المعاشرة بهن كيف يشاء ولا يجب عليه القسم فإن شاء أن يقسم قسم وإن
 شاء أن يترك القسم ترك وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى أمته نسبة السيد المطاع وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم أرجى منهن سودة وجويرة وصغية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء
 كما شاء فكانت عما أوى إليه صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فأرجى خمسًا وأوى أربعًا
 وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي ترجى بيا ساكنة والباقون بهمزة مضمومة (ومن ابتغيت من عزلت
 فلا جناح عليك) أي إذا طلبت رد من كنت تتركها إلى فراشك فلا جناح عليك في شيء من ذلك (ذلك
 أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتن كلهن) من تقرب وارجاء وعزل وإيواء أي تغويض
 الأمر إلى مشيئتك أقرب إلى طيب نفوسهن وإلى قلة حزنهن وإلى رضاهن جميعًا لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم
 إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فطمئن به نفوسهن
 (والله يعلم ما في قلوبكم) من الرضا والسخط فاجتهدوا في إحسان الخواطر (وكان الله عليماً حليماً)
 أي إن أضمرن خلاف ما أظهرن فانه يعلم ضمائر القلوب فإن لم يعاتبهن في الحال فلا يغتررن فانه حلیم
 لا يجهل (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما يؤتيهن الرسول من
 الوصل والمهجران والنقص والحرمان وقرأ أبو عمر ولا تحل بالفوقية أي لا يحل لك النساء غير اللاتي ذكرنا
 لك من المؤمنات المهاجرات من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك وأما غيرهن من
 الكليات فلا يحل لك التزوج بهن (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) وهذا نهى من
 شغل الجاهلية فانهم كانوا يبادلون زوجة بزوجة فينزل أحدهم عن زوجته ويأخذ زوجة صديقه
 ويعطيه زوجته روى الدارقطني عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل
 تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك
 حسنهن (إلا ما ملكك عينك) فنحل لك وقدم لك ما ربة القبطية وولدت له إبراهيم ومات في حياته صلى
 الله عليه وسلم (وكان الله على كل شيء رقيباً) أي حافظاً شاهداً فاحذروا تجاوزاً حدوده (يا أيها
 الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) أي لا تدخلوا بيوت النبي في حال من الأحوال إلا
 حال كونكم مأذوناً بالدخول (إلى طعام غير ناظرين إناه) أي منتظرين فخبجه زلت هذه الآية
 في قوم كانوا يدخلون في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فيجلسون وينتظرون وقت
 الطعام حتى يأكلوا ثم يتحدثون مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فأعظم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم

واستحيما ان يأمرهم بالخروج وينهاهم عن الدخول فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآيات (ولكن اذا
 دعيتم فادخلوا فاذا طعتم) أى أكلتم الطعام (فانتشروا) أى فتفرقوا ولا تلبثوا (ولا مستأنسين
 لحديث) أى وغير مستأنسين لحديث بعضكم بعضا وحديث أهل البيت بالسمع له (ان ذلكم)
 أى الدخول والمكث لحديث (كان يؤذى النبي) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله (فيستحى منكم)
 أى من اخراجكم (والله لا يستحي من الحق) أى لا يترك الامر بخروجكم ولا يترك النهى عن الدخول
 بغير اذن (واذا سألتموهن متاعا فأسألوهن من وراء حجاب) أى واذا سألتن نساء النبي شيئا يتنفع به
 فأسألوهن من خلف ستر * قيل انه صلى الله عليه وسلم كان يطم ومعه بعض أصحابه فأصاب
 يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فذكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (ذلكم أطهر لقلوبكم) أى
 ان عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث بعد الدخول بالاذن وسؤال المتاع من وراء حجاب
 أطهر للخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء (وقلوبهن) أى وأطهر للخواطر التي تعرض للنساء
 في أمر الرجال أى فان ذلك أنفى للريبة وأبعد للثمّة وأقوى في الحماية (وما كان لكم أن تؤذوا رسول
 الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أى وما صح لكم ان تفعلوا في حياته صلى الله عليه وسلم
 فلا يكرهه ويتأذى به كالدخول عليه بغير اذنه والحديث مع أزواجه وما صح لكم ان تنكحوا أزواجه
 صلى الله عليه وسلم أبدا من بعد فراقه صلى الله عليه وسلم بعوت أو طلاق سواء أدخل بها أم لا ونزلت
 هذه الآية في رجل من الصحابة قال في نفسه اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عائشة وندم
 هذا الرجل على ما حدث به نفسه فشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة افراس في سبيل الله واعتق
 رقيقا فكفر الله عنه قيل هذا الرجل هو طه بن عبيد الله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ان ايداء
 الرسول بنكاح زوجته أو غيره كان عند الله ذنبا عظيما (ان تبعدوا شيئا وتحفوه فان الله كان بكل
 شيء عليما) أى ان تظهروا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على السننكم أو تعزموا على ايدائه صلى الله
 عليه وسلم أو نكاح أزواجه بعده في قلوبكم فانه يجازيكم على ذلك (لا جناح عليهن في آبائهن ولا
 أبناهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن) أى لا اثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم
 في عدم الاحتجاب عن محارمهن وهذا استئناف ايمان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية
 الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكحهمن أيضا من وراء الحجاب فنزلت هذه الآية
 (ولا نسائهن) أى ولا جناح على زوجات النبي في عدم الاحتجاب عن النساء المسلمات ويجب عليهن
 الاحتجاب عن النساء الكافرات ما عدا ما يبدو عند المهنة (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء
 وقيل من الاماء خاصة وقيل من كان دون البلوغ من العبيد (واتقن الله) في كل ما تأتقن وما تدرن
 وقال الرازي واتقن الله عند الماليك وذلك دليل على ان التكشف لهم مشروط بالسلامة والعلم بعدم
 المحذور (ان الله كان على كل شيء شهيدا) فهو شاهد عند اختلا بعضكم ببعض فخلوتكم مثل مثلكم
 فاتقوا شهادة الله (ان الله وملائكته يصلون على النبي) أى ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له
 صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عباس وكذا أبو عمر وفي رواية وملائكته بالرفع عطف على محل ان واسمها عند
 الكوفيين ومبتدأ محذوف الخبر عند البصريين (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وهذا
 دليل على وجوب الصلاة والسلام عند الشافعي لان الامر للوجوب ولا يجبان الا في الصلاة فيجبان
 في التشهد وهما قولنا فيه سلام عليك أيها النبي وقولنا اللهم صل على محمد وانا لله بالصلاة عليه

صلى الله عليه وسلم مع أنه يكفيه صلى الله عليه وسلم صلاته تعالى عليه لاظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم
 مناشقة علينا اليشيينا عليه كما ان الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه تعالى ولا حاجة له اليه (ان الذين
 يؤذون الله ورسوله لعنهم الله) أى أبعدهم من رحمته (في الدنيا والآخرة) بحيث لا يكادون ينالون فيهما
 شيأ منها (وأعد لهم) مع ذلك (عذابا مهينا) يصيبهم في الآخرة خاصة واذية الله تكون بالكفر كانكار
 جوده تعالى ووصفه تعالى بما لا يليق به كفول اليهود يد الله مغلوله وان الله فقير وعزير بن الله وقول
 النصراني ثالث ثلاثة والمسيح ابن الله وقول المشركين الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه واذية الرسول
 كسرر باعيتة وشيخ وجهه يوم أحد وطمعهم في نكاح صغية وقولهم له صلى الله عليه وسلم لم هو شاعر ساحر
 كاهن مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) بقول أو فعل (بغير ما كتبوا) أى بغير جنابة
 يستحقونها الاذية (فقد احتملوا بهتاناً) أى زورا (واغما مينا) أى ذنبا ظاهرا موجبا للعقاب
 في الآخرة قيل ان هذه الآية نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا ويسمونه ما لا خير فيه وقيل نزلت في أهل
 الافك في شأن عائشة وصفوان وقيل في زناة يتبعون النساء اذ برزن بالليل اقضاء حوائجهم فيغمزون
 المرأة فان سكنت اتبعوها وان زجرتم انتهن واعنها وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما يقع منهم
 التعرض للحرث أيضا لان ذى السكل كان واحدا لانهم يخرجون في درع وخمار فشكون ذلك الى
 أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تنزل هذه الآية ثم نسي الله تعالى الحرث ان
 يتشبهن بالاماء بقوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن) أى
 يرخين على فحورهن وجيوبهن (من جلابيبهن) أى ثيابهن التي يلبسنها (ذلك) أى تغطي
 الابدان (أدنى أن يعصفن) أى أحق بأن يعرفن أنهم محررات وأنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا
 منهن لان من تستر وجهها لا يطعم فيها أن تكشف عورتها (فلا يؤذين) بالتعرض لهن من جهة
 من يتعرض للاماء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التغريط (رحمنا) بعباده حيث يراعى
 مصالحهم (لئن لم ينته المنافقون) عبد الله بن أبي وأصحابه عن المكر والحيانة (والذين في قلوبهم
 مرض) أى شهوة الزنا الذى يؤذى المؤمن باتباع نسائه (والمرجعون في المدينة) بقولهم غلب
 محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ (لنغرينك بهم) أى لنأمرنك بأخراجهم من المدينة أو بقتالهم (ثم
 لا يجاورونك فيها) أى لا يسكنون معك في المدينة وتخلو المدينة منهم بالأخراج أو بالموت (الاقليلا)
 أى الا زمانا يسيرا (ملعونين) أى مطرودين من باب الله ومن بابل وهو نصب على الشتم ويجوز عند
 الكسائي والغرام منصوب بأخذوا الذى هو جواب الشرط على والوقف ملعونين وقف كاف أى على غير
 هذا الاعراب (أينما تقفوا) أى في أى مكان وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) وهذه الآية خبر بمعنى
 الامر أى خذوهم وقتلوهم حيث تعفتموهم اذا كانوا مقيمين على النفاق والارجاف (سنة الله في الذين
 خلوا من قبل) أى سن الله ذلك في الامم الذين من قبلهم سنة وهي أن يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم
 السلام وسعوا في توهين أمرهم بالارجاف ونحوه أينما وجدوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى هذه
 السنة ليست مثل الحكم الذى ينسخ فان النسخ يكون في الاحكام أما الافعال والاخبار فلا تنسخ (يسألك
 الناس) أى كفار مكة واليهود (عن الساعة) أى عن وقت قيام القيامة فان المشركين يسألونه صلى
 الله عليه وسلم عن ذلك استجبالا بطريق الاستهزاء واليهود سألوا عنه امتحانا (قل اعلمها عند الله)
 لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (وما يدريك) أى شئ يعلمك بوقت قيامها أى لا يعلمك به

شيء أصلا (لعل الساعة تكون قريبا) وهذا تخويف أي هي في علم الله فلا تستبطوها فربما تقع عن
 زمان قريب (إن الله لعن الكافرين) في الدنيا والآخرة (وأعد لهم سعيرا) أي نار أشد من النار أشد من النار
 (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) أي حافظا يحفظهم من عذاب الله (ولأنصرا) يخلصهم منه (يوم
 تقلب وجوههم في النار) وهو ظرف لا يجدون (يقولون) خال من ضمير وجوههم (يا ليتنا أطعنا الله
 وأطعنا الرسول لو قالوا) عطف على يقولون (ربنا اننا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)
 أي فصرفونا عن الدين وقرأ ابن عامر ساداتنا ألف بعد الدال وبالنصب بالكسرة الظاهرة أي إن
 الكافر يقولون يوم تصرف أبدانهم في النار من جهة إلى جهة كلهم يشوى في النار أو يطبخ في القدور
 في الدنيا فلا تبتلى بهذا العذاب فيتحسرون ويندمون حيث لا تنفعهم الندامة والحسرة ثم يقولون أطعنا
 السادة بدل طاعة الله تعالى وأطعنا الكبراء بدل طاعة الرسول وتركنا طاعة سادة السادات وأكبر
 الأكابر فبدلنا الخير بالشرف فأتنا خير الجنات وأعطينا شر النيران ثم انهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب
 المضلين ويقولون (ربنا آتهم) أي أعط الرؤساء (ضعفين من العذاب) أي مثلي العذاب الذي
 أعطيتناه (والعنه لعنا كبيرا) أي شديدا وقرأ عاصم بالباء الموحدة أي لعنا عظيمنا والباقون بالشاء
 المثلثة أي كثير العدد (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا) في أيذاء نبيكم (كالذين آذوا موسى) بأنواع
 الأذية كنسبته إلى عيب في بدنه من أدرة أو برص وكاغرا ومومسة على فذقه عليه السلام بنفسها بدفع
 مال عظيم إليها وكغير ذلك (فبرأه الله عما قالوا) أي أظهر الله براءته عليه السلام من قولهم روى مسلم
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظرون بوضئهم إلى
 سواه بعضهم وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر
 فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرا الحجر ثوبه فجعل موسى يجري عقبه ويقول ثوبي حجر ثوبي حجر
 حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما يمنع موسى من بأس فوقف الحجر فأخذ موسى ثوبه فاستتر
 به وضرب الحجر حتى ظهر فيه ستة جروح اه (وكان) موسى (عند الله وجيها) أي معظما رفيه
 القدر قال ابن عباس كان عظيم ما عند الله تعالى لا يسأله شيئا إلا أعطاه وقال الحسن كان حجاب الدعوة
 وقيل كان محبوبا مقبولا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) أي صوابا والمراد نهيهم عما
 خاضوا فيه من حديث زينب المائل عن العدل (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس أي يتقبل
 حسناتكم وقال مقاتل يركب أعمالكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أي باستقامتكم في القول والعمل
 (ومن يطع الله ورسوله) في الأوامر والنواهي (فقد فاز) في الدارين (فوزا عظيما) أي نال جميع
 مراداته (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) والمراد بالأمانة الفرائض التي فرضها الله
 تعالى على عباده (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أي خفن من حملها أن لا يؤدنها فيلحقن من العقاب
 أي فقال لهن أحمِلن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها قال إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن
 لا يارب نحن مستخرات لا أمر لك لا نزيد ثوبا ولا عقبا بوقلن ذلك خوذا وتعظيما لدين الله تعالى لا مخالفة لأمره
 وكان العرض عليهن تخيير الإلزاما (وحملها الإنسان) أي آدم قال الله تعالى لا دم أني عرضت الأمانة
 على السموات والأرض والجبال فلم تطعها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال إن أحسنن
 جوزيت وإن أسأت عوقبت لحملها آدم فقال بين اذني وعاتقي قال الله تعالى أما إذا حملت فسأعينك
 واجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما يحمل فارخ عليه حجابا واجعل للسانك لحينا وغلافا

فاد اخشيت فأغلق عليه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليه (انه) أى الانسان (كان ظالوما) أى متبع النفسه بحملها وهذا الظلم عدو ح من الانبياء (جهولا) بعاقبته وان النفس لا تطيق الدوام على حملها (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) فاللام للعاقبة متعلق بحمل أى حملها الانسان وكان عاقبة حملها أن يعذب الله بعض أفراد الذين لم يراعوها (ويتوت الله على المؤمنين والمؤمنات) أى كان عاقبة حملها أن يقبل توبتهم (وكان الله غفورا) للظلم (رحيما) على الجهول لان الله تعالى وعد عباده بأنه يغفر الظلم جميعا الا الظلم العظيم الذى هو الشرك

﴿سورة سبأ مكية أربع وخمسون آية رثمان مائة وثلاث
وثمانون كلمة وألف وخمسمائة واثناعشر كلمة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) أى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعداد والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما (وله الحمد فى الآخرة) أى له المنية على أهل الجنة فيحمدونه (وهو الحكيم الخبير) فالحكيم هو الفاعل على وفق العلم فان من يعلم أسرا ولم يأت بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ومن يأتى بأمر عجيب على سبيل الاتفاق من غير علم لا يقال له حكيم والخبير هو الذى يعلم عواقب الامور وبواطنها فهو حكيم فى الابتداء يخلق كما ينبغي وخبير بالانتهاء يعلم ماذا يصدر من المخلوق وما لا يصدر ومسير كل أحد (يعلم ما يلج فى الارض) من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وما العيون ونحوها (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها (وما يعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) أى الرحيم بانزال الرزق وللحامدين عليه والغفور عندما تعرج اليه الارواح والاعمال وللغفرطين فى الحمد (وقال الذين كفروا) أبوجهل وأصحابه (لاتأتينا الساعة) قل بلى وربى لتأتينكم (أى الساعة) (عالم الغيب) قرأنا نفع وابن عامر بالرفع على المدح فالوقف على لتأتينكم حينئذ كاف وابن كثير وأبو عمرو وعاصم الجرعت لربى أو بدل منه وقرأ حمزة والكسائى علام بالجرح والوقف حينئذ على بلى وهو كاف كالوقف على الغيب (لا يعزب عنه مثقال ذرة) أى لا يغيب عن الله وزن غلة حمراء صغيرة وقرأ الكسائى بكسر الزاى (فى السموات ولا فى الارض) فقوله فى السموات اشارة الى علمه تعالى بالارواح لانها فى السماء وقوله ولا فى الارض اشارة الى علمه تعالى بالاجساد لان اجزاءها فى الارض واذا علم الله الارواح والاشباح وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد فى المعاد (ولا أصغر من ذلك) أى من مثقال ذرة (ولا أكبر) منه (الا فى كتاب مبين) أى الامكتوب فى اللوح المحفوظ وجملة ولا أصغر الى آخرها من مبتدأ وخبر مؤكدة لنفى العزوب أما على قراءة الفتح فى أصغروا كبر فهو اسم لا والخبر الا فى كتاب (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات) وهذا علة لقوله تعالى لتأتينكم (أو لئلك) الموصوفون بالصفات الجليلة (لهم مغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) فان الرزق يأتى من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ما لم يتسبب فيه لا يأتى ثم ان المغفرة جزء الايمان فكل مؤمن مغفور له كما فى حديث البخارى يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم جزاء العمل الصالح (والذين ساءوا فى آياتنا) بالابطال أى كذبوها (معاجزين) أى متأخرين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ومجبرين بتشديد الجيم وبغير ألف بعد العين أى مردين التهجيز أو طائنين انهم يفتون الله أو

منبطين عن الايمان من اراده (أو لئلا لهم عذاب من رجز) أى من جنس سوء العذاب (أليم) أى
 شديد وقرأ ابن كثير وحفص بالرفع صفة لعذاب والباقون بالجر صفة لرجز (ويرى الذين أوتوا
 العلم) أى ويعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله ومن علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب
 وأضرابهما (الذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن (هو الحق) بالنصب على أنه مفعول ثان
 (ويهدى الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد (وقال الذين كفروا) أبوسفیان
 وأصحابه للسفلة (هل ندلكم على رجل ينبئكم) أى يحدثكم بهجج عجاب (إذا مضى كل غزق
 انكم لنفى خلق جديد) أى انكم تنشؤون خلقا جديدا بعد أن تفرقت أجسادكم كل فريق بحيث
 تصير ترابا ويقصدون بذلك لرجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (أفترى على الله كذبا) أى اهو
 الرجل تعمده على الله كذبا ان كان يعتقد خلاف أخباره بأنهم يبعثون (أم به جنة) أى أم فيه جنون
 ان كان لا يعتقد خلافه وهذا امان تمام القائل أولا أو من كلام السامع المجيب لذلك القائل قال الله
 تعالى جوابا لترددهم مناديا عليهم بسوء حالهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت
 والجزاء على الاعمال (فى العذاب والضلال البعيد) لان من يسمى المهتدى ضالا لا يكون هو الضال ومن
 يسمى الهادى ضالا لا يكون أضل (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أى أفعلاوا
 ما فعلوا من المنكر فلم ينظروا الى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم فذلك يدل على وحدانية الله وكمال
 قدرته وذلك دليل على عادة (ان نشأ نخسف بهم الارض) كما خسفناها بقارون وأصحابه (أو نسقط
 عليهم كسفا) أى قطعنا (من السماء) كما أسقطناها على أصحاب الايكة لاستحقاقهم ذلك وقرأ حفص بفتح
 السين والباقون بسكونها وقرأ حمزة والكسائي ان يشأ نخسف أو يسقط بالياء فى الثلاثة (ان فى ذلك)
 أى المحيط بالناس من جميع الجوانب (آية لكل عبد منيب) أى لكل من يرجع الى الله ويترك
 التعصب فدل على قدرة الله على احياء الموتى (ولقد آتينا داود منا فضلا) أى أعطيناه لصحة توبته
 نوعا من الفضل على سائر الانبياء عليهم السلام وهو ما ذكر بعد (يا جبال أوبى معه) أى رجبى مع
 داود النوحه على الذنب (والطير) بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها لياه
 تسخيرها له وقيل كان داود ينوح على ذنبه بترجيعه وتحزن وكانت الجبال تساعده على نوحه باصداها
 والطير باصواتها وقوله يا جبال الخ يدل من آتيناه باضمار قلنا أو من فضلا باضمار قولنا (وألنا له الحديد)
 أى جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احشاء بنار ولا ضرب بعطرفة (ان اعمل
 سابغات) أى أمرناه بأن اعمل دروعا واسعات (وقدر فى السرد) أى توسط فى نسج الدروع بحيث
 تتناسب حلقها أولا تصرف جميع أوقاتك الى التسبيح مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه الى
 العبادة (واعملوا صالحا) أى لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاكثروا منه وقدر وافر الكسب (انى
 بما تعملون بصير) فن يعمل الملك شغلا ويعلم أنه عمر أى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجهده فيه
 (ولسليمان الريح) أى وسخر له الريح عوضا عن الخيل التى عقرها الله تعالى وقرأ شعبه برفع الريح على
 الابتداء والخبر مجرور قبله لان الريح كانت لسليمان كالمملوك المختص به بأمرها بما يريد حيث يريد
 (غدوها شهر ورواحها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك قال الحسن كان
 يغدو من دمشق فيقبل باصطخر ويروح من اصطخر فيبيت ببابل (وأسلنا له عين القطر) أى النحاس
 المذاب يعمل به ما يشاء كما يعمل بالطين وكان ذلك بأرض اليمن وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (ومن

الجن من يعمل بين يديه) بالسخرية من البنيان وغيرها (بإذن ربه) أي بأمره تعالى (ومن يزغ) أي يعل (منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أي عذاب النار الوقود في الآخرة (يعملون له) أي في أي وقت شاء (ما يشاء من محارب) أي أبنية من تفتع يصعد إليها درج (وتماثيل) أي صور من نحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك وقيل هي صور الملائكة والأنبياء والعباد كانت تصور في المساجد ليراه الناس فيزدادوا عبادة ويعبدوا ربهم على مثالهم وروى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد على الكرسي بسط الاسدان له ذراعيهما وإذا جلس أظله النهران باجنتهما (وجفان كالجواب) أي قصاع كالحياض السكار وقيل كان يجتمع على جفنة واحدة ألف رجل وقرأ ورش وأبو عمرو بآببات الياء في الوصل دون الوقف وابن كثير بآبباتها وقرأوا وصلا والباقون بالحذف وقرأوا وصلا (وقد ورر راسيات) أي ثاببات على الأثافي لا تنزل عنها العظمها وكان يصعد عليها بالسلام وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) فقال منادى وشكرا مفعول به روى أن سليمان عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته (فلما قضينا عليه) أي سليمان (الموت ما دلهم) أي آله (على موته الأدابة الأرض) وهي الأرضة (تأكل منسأته) أي عصاه (فلما خر) أي وقع سليمان على الأرض بعد أن قصمت الأرضة عصاه (تبينت الجن) أي علمت الجن علمنا بيننا (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي أنهم لو كانوا يعلمون الغيب موت سليمان ما لبثوا في العذاب المهين وحينئذ يعلم أن الجن لا يعلمون الغيب بل كانوا يسترقون السمع ويعوّهون على الناس أنهم يعلمون الغيب وقال سليمان الملك الموت إذا أمرتني فاعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض الله روحه وهو متكئ عليها وكان الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى وكان للمعرب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الأعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته وينظرون إلى سليمان عليه السلام فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبون أنه حي فلا ينكرون خروجه إلى الناس لطول صلاته فكثروا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتا فعملوا بموته حينئذ فشكروا ذلك للأرضة فأيما كانت يأتونها بالماء والطين وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام والشراب لا تينأك بهما وحكي أن سليمان عليه السلام ابتداء ببناء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملكه وكان عمره سبعاً وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة سنة وكان ملكه خمسين سنة وقر ببعده فراغه منه اثني عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً وقام على الصخرة رافعا يديه إلى الله تعالى بالدعاء وقال اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد اللهم فاوزعني شكرك على ما أنعمت علي وتوفني على ملكك ولا ترزق قلبي بعد ازهديتني اللهم إني أسألك أن تدخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذبذبل ولا يدخله للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ولا خائف إلا آمنته ولا سقيم إلا شفيت ولا فقير إلا أغنته والخامسة أن لا تصرف نظرك ممن دخله حتى يخرج منه الآمن أراد الحاد أو ظمأ يارب العالمين (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) أي علامة دالة على قدرتنا وقرأ حمزة وحفص بسكون السين وفتح الكاف والكسائي بكسرهما والباقون مسأكنهم بلفظ الجمع أي عند مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام

آية دالة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء (جتان عن عيين وشمال) أي عن عين بلدهم
وشمالها جماعتان من الجنات وكان سبأ ثلاث عشرة قرية فبعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فقال لهم الانبياء
(كلوا من رزق ربكم) من الثمار ونحوها (واشكروا له) بالتوحيد ليديم لكم النعمة (بلدة طيبة
ورب غفور) أي بلدكم بلدة طاهرة عن المؤذيات لاحتية فيها ولا عقرب ولا وباء ولا وخمور بكم الذي
رزقكم طيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لغرطات من يشكره (فأعرضوا) عن الايمان ولم يشكروا
قال وهب أرسل الله الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله عليهم وأنذروهم
عقابه فكذبوههم وقالوا ما نعرف الله تعالى علينا من نعمة فقولوا لهم فليحبس هذه النعمة عنا ان
استطاع (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي سلطنا عليهم سيل الوادي والعرم وادي اليمن يقال له وادي
الشجر وكان فيه مسناة يحبسون الماء في الوادي وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض فكانوا
يسقون من الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجاتهم فأخضبوا وكثرت أمواهم فلما كذبوا
الرسل سلط الله عليهم الفأرة فنقبت الردم فهدم الله تلك المسناة وأهلكهم بذلك الماء وأهلك ما كان لهم
من البساتين والبيوت وغير ذلك (وبدلناهم بجهنم جنتين ذوات كل خبط) أي أذهبنا جنتيهم
وأتيناهم بدلها جنتين ذواتي غر شبع وقرأ أبو عمرو كل بغير تنوين أي غر أراك (وأثل) أي طرفاء
(وشقي من سدر قليل) أي قليل ثمرة كثير شوكه له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه في غسل اليد
وهو سدر برى وهذا معطوفان على كل لا على خبط وقرئ وأثلا وشيا أعطف على جنتين (ذلك) أي
التبديل (خزيناهم بما كفروا) أي بسبب كفرانهم النعمة حيث زرعناهم منهم ووضعنا مكانها ضدها
(وهل نجازي إلا الكفور) أي وما نجازي هذا الجزاء إلا المبالغ في الكفران وقرأ حفص وحزة
والكسائي بنون العظمة والباقون بالياء على البناء للمفعول ورفع الكفور وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) بالماء والشجر (قرى ظاهرة) أي وجعلنا بين
أهل سبأ وهم باليمن وبين أهل الأردن وفلسطين وهم بالشام قرى يرى بعضها من بعض لتقاربها يرى
سواد القرية من القرية الأخرى قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبأ الى الشام
(وقدرنا فيها السير) أي جعلنا السير بين قراهم والشام سيرا مقدرا من قرية الى قرية فاذا سار وانصف
يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فلا يحتاجون في السفر الى حمل زاد وما رقلناهم (سير وافيها ليالي
وأياما آمنين) وهو أمر يعني الحسب أي تسير ون في تلك القرى ان شئت ليالي وان شئت أياما لعدم
الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لا يعلم العدو بسيرها وبعضها يسلك نهارا لا
يقصدهم العدو اذا كان غير مجاهر بالقصد والعداوة قال قتادة كانوا يسرون غير خائفين ولا جائعين
ولا ظمأين كانوا يسرون مسيرة أربعة أشهر في أما كن لا يحرك بعضهم بعضا ولولقي الرجل قاتل أبيه
لا يحركه (فقالوا) على وجه الدعاء (ربنا باعدين أسه فارنا) أي باعدين المنازل التي تنزل فيها بأن
يكون بين كل واحد والآخر مسافة بعيدة أي سألو أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام قفارا ليركبوا فيها
الراحل ويتزودوا الا زواذ ويتناولوا فيها على الفقراء فجعل الله تعالى لهم الاجابة بخير تلك القرى
المتوسطة وجعلها بلقا لا يسمع فيها داع ولا يجيب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد بتشديد العين من
غير ألف (وظلموا أنفسهم) حيث عدوا النعمة تقمة والاحسان أساءة وتركوها شكر تلك النعم (فجعلناهم
أحاديث) لمن بعدهم في تحدث الناس بهم متجهين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ويضربون مثلا

فيقولون تفرقوا أيدي سبأ ولا يدي بمعنى الانفس أو الاولاد (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم كل
 تفريق أي فلما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد ففسان لحقوا بالشام والازد بعمان وخزاعة بتهامة والافوس
 والخزرج يثرب (ان في ذلك) أي التزييق والاهلاك (آيات) أي لعبرات (لكل صبار) عن الشهوات
 وعلى مشاق الطاعات (شكور) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) أي ولقد وجد ابليس ظنه
 صادقاً في أنه يغوي بني آدم أو في أنه خير منهم فالمتبوع خير من التابع فابليس امتنع من عبادة غيره
 الله والمشركون يعبدون غير الله فابليس كفر بأمر أقرب إلى التوحيد والمشركون كفروا بالاشراك وقرأ
 صدق الكوفيون بتشديد الدال والباقون بالتخفيف أي صدق في ظنه أو جعل ظنه صادقاً وقرئ بنصب
 ابليس ورفع ظن مع تشديد صدق بمعنى وجده ظنه صادقاً ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل
 له اغواهم ورفعهام مع التخفيف على الابدال (فاتبعوه الا فريقان المؤمنون) أي الا فريقاها المؤمنون
 فان المؤمنين كلهم لم يتبعوه في أصل الدين أو الا فريقان فرق المؤمنين فان المخلصين لم يتبعوه في العصيان
 (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي وما كان تسلط ابليس
 على بني آدم الا ليعلم من يؤمن بالآخرة متميزاً عن هو منها في شك (وربك على
 كل شيء حفيظ) أي الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم عالم بما سيقع (قل ادعوا الذين زعمتم من دون
 الله) أي قل يا أشرف الخلق لكفار مكة بني مليح وكانوا يعبدون الجن ويظنون انهم الملائكة ادعوا
 الذين زعمتموهم آلهة من دون الله ليعرفوا عنكم الضال الذي نزل بكم في سني الجوع قال الله تعالى
 (لا يعلوكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) أي لا يعلو آلهتهم وزن ذرة من نفع وضر في أمر من
 الأمور (ومالهم فيهما من شرك) أي وما لآلهتهم في السموات والارض من شركة مع الله لا خلقه اولا ملكا
 ولا تصرفا (وماله) تعالى (منهم) أي من آلهتهم (من ظهير) أي معين في تدبير أمرهم ما وفي
 خلق شيء بل الله تعالى هو المنفرد بالايجاد فهو الذي يجب ان يكون معبودا (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن
 أذن له) أي ولا تنفع الشفاعة عنده تعالى في حال من الاحوال الا كائنة لمن أذن الله له في الشفاعة من
 النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أذن له مبنياً
 للجهول (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) أي حتى اذا أزيل الفزع الذي عند الوحي أي حين انحدر عليهم
 جبريل فان الله عندما وحي يفزع من في السموات ثم ينزل الله عنهم الفزع فرفعوا رؤسهم حتى غاية متعلقة
 بقوله تعالى قل (قالوا) أي الملائكة السائلون من جبريل (ماذا قال ربكم) يا جبريل (قالوا)
 أي جبريل ومن تبعه (الحق) أي قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ
 الحق بالرفع أي ما قاله الحق (وهو العلي الكبير) أي هو المنفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من
 أشراف الخلائق ان يتكلم الا بأذنه (قل) يا أشرف الخلق لكفار مكة (من يرزقكم من السموات)
 بالمطر (والارض) بالنبات (قل الله) أي فان أجابوك وقالوا الله فذلك ظاهر وان لم يقولوا ذلك فقل
 الله يرزق اذ لا جواب سواه وهذا الشارة الى ان جبر النفع ليس الا به تعالى ومنه تعالى فاذا ان كنستم من
 الخواص فاعبدوه لعلوه و ~~كبريائه~~ سواء دفع عنكم ضرراً أو لم يدفع وسواء نفعكم بخيراً أو لم ينفع فان لم
 تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضرر وجبر النفع (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) أي وان أحد
 الفريقين من الذين يوحدون الازق بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد الذي لا يوصف بالقدرة
 لعل أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين واختلاف الجارين للاعلام بان المهتدى كمن استعلى منارا

ينظر الاشياء والضلال كأنه منغمس في ظلام لا ترى شيئا (قل لا تستألفون عما أحرمتنا) أى أذنبتنا
(ولانستألف عما تعملون) فى كفركم لانابرثون منكم وهذا أبعد من الجسد وأبلغ فى التواضع حيث
أسندوا الاجرام الى أنفسهم والعمل الى مخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) أى
يحكم (بيننا بالحق) أى بالعدل بأن يدخل المحقن الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) أى البليغ
الفتح لما انطلق (العليم) بما ينبغى ان يحكم به (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (أرونى الذين
ألحقتم به) تعالى (شركاء) لانظر بأى صفة ألحقتموها بالله فى استحقاق العبادة هل يخلقون أو يرزقون
(كل) أى حقالم يخلقوا شيئا ولم يرزقوا بشئ أو لا تشركوا بالله شيئا (بل هو) أى الله الذى ألحقتم به
شركاء (الله العزيز الحكيم) أى الله الموصوف بالغلبة القاهرة وبالحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التى
هى أخس الاشياء (وما أرسلناك) يا أشرف الخلق (الا كافة للناس) أى عامة لجميع الناس
تكف الناس عن الكفر (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (ولكن أكثر
الناس لا يعلمون) عموم رسالته وكونه بشيرا وكونه نذيرا الغفلة لهم لا الخفاء ذلك (ويقولون) بطريق
الاستهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدنا ان يجمع بيننا ثم يقضى بيننا (ان كنتم صادقين) مخاطبين
لرسول الله والمؤمنين به (قل) لهم يا أكرم الرسل (لكم ميعاد يوم) أى وعد يوم (لا تستأخرون
عنه ساعة) ان طلبتم التأخير عنه (ولا تستقدمون) أى ان طلبتم الاستعمال والاضافة فى ميعاد يوم
للتبيين وقرئ ميعاد يوم برفع الاسمين مع التنوين على البدل وقرئ برفع ميعاد ونصب يوم التنوين
فيهما أى أعنى يوما وذلك يفيد التعظيم والتهويل (وقال الذين كفروا) أبو جهل بن هشام وأصحابه
(لن نؤمن بهذا القرآن) الذى يقرؤه علينا محمد عليه السلام (ولا بالذى بين يديه) أى ولا بالذى قبل
القرآن من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب الدالة على البعث (ولو ترى اذ الظالمون موقون عند
ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) أى ولو ترى اذ المنكرون للبعث محبوسون فى موقف المحاسبة
راجعا بعضهم القول الى بعض لرأيت أمرا عجيبا ثم فسرقوله تعالى يرجع الخ بقوله تعالى (يقول الذين
استضعفوا) أى قهروا وهم السفلة (للذين استكبروا) أى تعظموا هان الايمان وهم القادة (لولا
أنتم) مضلون ايانا وصادون ايانا عن الايمان (لكم مؤمنين) باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام
(قال الذين استكبروا) وهم الرؤساء (للذين استضعفوا) وهم الاتباع (أنحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم) على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (بل كنتم مجرمين) أى بل أنتم الصادون
بأنفسكم بسبب كونكم راسخين فى الاجرام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ابطالا
لانكارهم الصد (بل مكر الليل والنهار) أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار (اذ تأمرونا أن نكفر
بالله) قبل اتيان الرسل (ومجعل له أندادا) أى أعدالا (وأمرنا الندامة) أى أخفى كل من
الفريقين الندامة عن الآخر مخافة التغيير ويقال أظهر القادة والسفلة الندامة على ترك الايمان بالله
(لما رأوا العذاب) أى حين رأوه (وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) الاتباع والمتبوعين جميعا
(هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى لا يجزون الا بما كانوا يعملونه فى الدنيا (وما أرسلنا فى قرية من
نذير الا قال مسترفوها) أى أغنياؤها (انابعا أرسلتم به كفرون) أى جاحدون (وقالوا) للرسل
(نحن أكثر أموالا وأولادا) منكم بسبب لزومنا الديننا (ومانحن بعذبين) فى الآخرة بديننا هذا كأنهم
قالوا حالنا عاجلا خير من حالكم ولا نعذب آجلا قالوا ذلك انكارا منهم للعذاب بالسكينة أو اعتقاد الحسن

حالهم أيضا قياسا على حالهم في الدنيا (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء) ان يبسطه (ويقدر) أى
 يقتصر على من يشاء فبسطة الرزق لا تدل على حال الحق كما ان ضيقه لا يدل على مال المبطل فلا يقاس
 على ذلك أمر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة
 (لا يعلمون) ان ضللك العيش وخصبها بالمشيئة من غير اختصاص بالفاسق والصالح (وما أموالكم ولا
 أولادكم بالتي تقر بكم عندنا لفي الآمن آمن وعمل صالحا) أى وما الآلام والاولاد تقرب أحد الى الله
 الا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله في سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح (فأولئك
 لهم جزاء الضعف) في الحسنات (بما عملوا) من الصالحات (وهم في الغرفات) أى غرفات الجنة
 (آمنون) من جميع المكاره وقرأ حمزة الغرقة على التوحيد على ارادة الجنس (والذين يسعون في آياتنا)
 أى يكذبونها (معاجزين) أى متأخرين عنها وفي قراءة معجزين أى معتقدين بعجزنا (أولئك في العذاب
 محضرون) أى لا يخرجون منه (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) فلا تخشوا
 الفقر وأنفقوا في سبيل الله (وما أنفقتم من شيء) في سبيل الله (فهو يخلفه) أى يعوضه في الدنيا
 بالمال أو بالفناعة وفي الآخرة بالحسنات (وهو خير الرازقين) أى الواهبين للرزق وأفضل المعوضين
 (ويوم يحشرهم) أى بنى مليح والملائكة (جميعا ثم يقول للملائكة) اهاتة هؤلاء الكفار وقرأ حفص
 يحشرهم ثم يقول بالياء (أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) بأمركم (قالوا) أى الملائكة متبرئين
 منهم (سبحانك) أى ننزهك عن أن يكون غيرك معبودا وأنت معبودنا ومعبود كل خلق (أنت ولينا)
 أى أنت الذى نواليك أى نتقرب منك بالعبادة (من دونهم) أى لم يكن لنا دخل في عبادتهم لنا وقال
 الرازى معنى أنت ولينا من دونهم أى كونك ولينا بالمعبودية أحب الينا من كون هؤلاء الضالين أولياء
 بالعبادة لنا (بل كانوا يعبدون الجن) أى كانوا ينقادون لأمر الشياطين فهم في الحقيقة كانوا يعبدون
 الشياطين وكانحن كالقبلة لهم (أكثرهم هم مؤمنون) أى كل المشركين مصدقون للشياطين وهذا
 محض كلام الله تعالى وان قف على الجن تام وأما اذا قلنا ان هذا من كلام الملائكة فعنى أكثرهم على
 أصله وانما قالوا ذلك لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب أو على من في جميع الوجود (فاليوم)
 أى يوم الحشر (لا يعلاك بعضكم لبعض نفع ولا ضرر) أى لا يقدر المعبدون وهم الملائكة على نفع العابدين
 وهم الكفار بالثواب ولا على دفع ضررهم (ونقول للذين ظلموا) وهذا معطوف على قوله تعالى نقول
 للملائكة أى ونقول (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها) أى بالنار (تكذبون واذتلى عليهم)
 أى كفار مكة بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم (آياتنا) الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك
 (بينات) أى واضحات (قالوا ما هذا) أى التالى (الارجل يريد أن يصدكم عما كن يعبد آباؤكم)
 من الآلهة (وقالوا ما هذا) أى القول بالوحدانية (الافك) أى كلام مصروف عن وجهه (مفترى)
 بإسناده الى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أى للقرآن (ما جاءهم) من غير تأمل فيه (ان هذا)
 أى ما هذا القرآن (الامحجر) أى خيال (مبين) أى ظاهر مخرج ربه قال الرازى وان أعيد اسم
 الإشارة الثانى الى القرآن كان اسم الإشارة هذا عائدا الى المعجزات فانكار التوحيد كان مختصا بالمشركين
 وأما انكار القرآن والمعجزات كان متفقا عليه بين المشركين وأهل الكتاب ولذلك قال تعالى وقال الذين
 كفروا للحق على وجه العموم وهو بدل عن قوله تعالى وقالوا للحق (وما آتيناهم) أى ما أعطينا كفار
 مكة (من كتب) دالة على صحة الاشتراك (يدرسونها) أى يقرؤها (وما أرسلنا اليهم قبلك من

نذير) أى رسول يدعوهم الى الاشرار وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا (وكذب الذين من قبلهم) -
 الأمم المتقدمة (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أى وما بلغ هؤلاء المشركون معشار ما آتيناهم المتقدمين من
 القوة وكثرة المال وطول العمر (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) أى تغييرى عليهم بالتدمير وما
 نفعتهم قوتهم وما لهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء ويقال وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا قوم محمد
 من البيان والبرهان فان محمد أفضل من جميع الرسل وأقصح وبرهانه أوفى وبيانه أشفى وكتابه أكمل
 من سائر الكتب وأوضح ثم ان المتقدمين لما كذبوا الكتب والرسل أنكر عليهم وكيف لا أنكر على
 هؤلاء الأمة وقد كذبوا بأفصح الرسل وأوضح السبل فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قل) يا أكرم الرسل
 لكفار مكة (انما أعظكم بواحدة) أى ما أنصح لكم الا بخصلة واحدة (أن تقوموا لله مثنى وفردى
 ثم تتفكروا) فقوله تعالى أن تقوموا بدل من واحدة أو عطف بيان لها أى ان تنهضوا بالهمة لاجل الله
 حال كونكم اثنين اثنين وواحد واحد فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاهام ثم
 تتفكروا فى أمر محمد وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما لمحصل فكره على
 صاحبه لينظر فيه وأما الواحد فيفكر فى نفسه بعدل فيقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه
 كذبا وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنون بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأوزنهم حملا
 وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال واذا علمتم بذلك
 كفاكم أن تطالبوه بأية واذا بآية بهاتين أن نبي صادق فيما جاء به ثم نبه الله تعالى على طريقة النظر
 بقوله تعالى (ما يصاحبكم من جنة) نبي مستأنف فالوقف على تفكير واتام عند أبي حاتم أى ما يصاحبكم
 محمد من جنون ويجوز أن يكون تفكيره واملقاعن الجملة المنفية فهى فى موضع نصب على اسقاط فى
 أى ثم تتفكروا فى عدم الجنون فى صاحبكم ويجوز أن تكون ما استنفها مية على معنى ثم تتفكروا أى
 شئ بمحمد من آثار الجنون وعلى هذين الاحتمالين لا وقف على تفكيروا (ان هو الا نذير لكم بين يدي
 عذاب شديد) أى ما محمد الا رسول يخوف لكم بعذاب حاضر يحسبكم عن قريب قبل عذاب شديد فى
 الآخرة ان لم تؤمنوا به (قل) لهم يا أشرف الخلق (ما سألتكم من أجر) أى أى شئ سألتكم من أجر
 على تبليغ الرسالة (فهو لكم) والمراد فى السؤال بالكلية أى لا أسألكم على انذاركم أجرا (ان
 أجرى الا على الله) فلا أطلب شيئا الا من عنده تعالى (وهو على كل شئ شهيد) يعلم صدق وخلص
 نيتي (قل) لمن أنكر التوحيد والرسالة (ان رب يعذب بالحق) أى يلقيه فى قلوب المحققين فان الامر
 بيده تعالى أو يعذب بالحق على الباطل فهو اشارة الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة (علام
 الغيوب) أى ما غاب فى السموات والارض عن خلقه (وقل) لهؤلاء (جاء الحق) أى ظهر الاسلام
 وما يبدي الباطل وما يعيد) أى يزهد الشرك بحيث لم يبق له ابداء ولا إعادة فنانافية وهذا جعل مثلا
 فى الهلاك بالمرة (قل) للكفار الذى قالوا لك يا محمد تركت دين آبائك فضلت (الضلالة فاعنا أضل على
 نفسى وان اهتديت فيما يوحى الى ربى) أى ضلالى على نفسى كضلالاتكم وأما اهتدائى فليس كاهتدائكم
 بالنظر والاستدلال وانما هو بالوحى المبين (انه سميع قريب) يسمع قول كل من المهتدى والضال
 وفعله وان بالغ فى اخفائهم ما (ولو ترى اذ فرغوا) أى ولو ترى حالهم وقت فرغهم بخسف البيداء لرأيت
 أمرها اذا لاوعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة فى آخر الزمان ليخربوها فاذا
 دخلوا البيداء خسف بهم الارض وماتوا (فلا فوات) أى فلا يفوت منهم أحد (واخذوا من مكان

قريب) أى من تحت أقدامهم وخسف بهم الأرض (وقالوا) عندما خسف بهم الأرض (أمنابه) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وأن لهم التناوش) أى ومن أين لهم أن يتناولوا الأيمان تناولاً سهلاً (من مكان بعيد) أى بعد الموت فلا يكون الأيمان إلا فى الدنيا وهم فى الآخرة فالدين من الآخرة بعيد (وقد كفروا به) أى بمحمد أو بالعذاب الذى أنذرهم إياه (من قبل) أى من قبل نزول العذاب (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) أى ويقولون ما لا يعلمون من وهمهم الفاسد وظنهم الخاطى فانهم قالوا فى حق النبي ساحر شاعر كاهن وفى حق القرآن محرر شعر كهانة ويقال أى يسأون الرجعة إلى الدنيا بعد الموت (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من العود إلى الدنيا أو من لذات الدنيا (كما فعل بأشياءهم) أى بأشياءهم فى الكفر (من قبل) أى من قبلهم من الكفار فكل من جاءه الملك طلب التأخير ولم يعط وأرادوا أن يؤمنوا عند ظهور اليأس ولم يقبل الأيمان منهم (انهم كانوا فى شك قريب) أى ذى ريبة من أمر الرسل والبعث والجنة والنار

﴿سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة أيضاً مكية خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والأرض) أى خالقهما من غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلاً) أى وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والألهام والرؤيا الصالحة أو بينه تعالى وبين خلقه حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والعدو والحفظة (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة فى العدد فمنهم من له جناحان يطير بهما ومن له ثلاثة أجنحة ومن له أربعة أجنحة (يزيد فى الخلق) أى خلق الملائكة (ما يشاء) ويروى ان صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان منها يبلغون بهما أجسادهم وجناحان منها للطيران يطرون بهما فيما أمروا به من جهة تعالى وجناحان منها مخرجان على وجوههم حياة من الله تعالى (ان الله على كل شئ) من الزيادة والنقصان (قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يسئل لها) أى أى شئ يرسل الله للناس من خزانة رحمته أى رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك فلا أحديقدر على امساكها (وما يسئل فلا يرسل له من بعده) أى أى شئ يسئل الله فلا أحديقدر على ارساله من بعد امساكه (وهو العزيز الحكيم) أى كامل القدرة فى الارسال والامساك وكامل العلم فى ذلك (يا أيها الناس) أى يا أهل مكة (اذكروا نعمة الله عليكم) أى انعام الله عليكم بنعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء (هل من خالق غير الله) أى هل خالق مغاير له تعالى موجود وقرا حمزة والكسافى بجر غير نعت الخالق على اللفظ (يرزقكم من السماء) بالمطر وغيره (والأرض) بالنبات وغيره (لا اله الا هو) فهو الخالق الرزاق (فأنى تؤفكون) أى فى تصرفون عن التوحد إلى الاشراف فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت وبأى سبب تعبدون غيره تعالى فانه لا يقدر على خلق ولا على رزق ولا على غيرهما (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أى وان استمر واعلى أن يكذبوك يا أشرف الخلق فيما بلغت اليهم من التوحيد والبعث والحساب والجزاء وغير ذلك بعدما أقت عليهم الحجة فتأس بأولئك الرسل فى المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم (والى الله ترجع الأمور) فى الآخرة فيجازى المكذبين والصابرين (يا أيها الناس ان وعد الله حق) أى يا أهل مكة ان وعد الله بالبعث

بعد الموت والجزاء ثابت من غير خلف (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم
 التلهي بزخارفها عن الطاعة لله وعن تدارك ما بهمكم يوم حلول الميعاد (ولا يغرنكم بالله الغرور) بفتح
 الغين أى ولا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله المباليغ في الغرور وهو الشيطان بأن يئنيكم المغفرة مع
 الاصرار على المعاصي قائلًا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فتعاطى الذنوب بهذا التخي مثل
 تناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة (ان الشيطان لكم عدو) عظيم فان عداوته عداوة قديمة لا تكاد
 تزول (فاتخذوه عدوا) بخالفتمكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم
 فاذا فعلتم فعلا فتنهوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ريزين لكم القبايح (انما يدعوه خزيه) أى اتباعه
 في الضلال (ليكونوا) أى تلك الاتباع (من أصحاب السعير) أى النار الموقودة (الذين كفروا لهم
 عذاب شديد) في الدنيا بغوات مطلوبهم وفي الآخرة بالسعير (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) من
 صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك (لهم مغفرة) أى ستر لذنوبهم في الدنيا (وأجر كبير) في الآخرة (أفمن زين
 سوء عمله فرآه حسنا) أى أبعد كون حالي الفريقين كما ذكر يكون من زين الكفر له الشيطان ونفسه الامارة
 وهواه القبيح فرآه صوابا فانهم لم يهتدوا بحق الحق فاختروا الايمان أو العمل الصالح نزلت هذه الآية في
 أبي جهل ومشركي مكة (فان الله يضل من يشاء) أن يضل له لاستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه
 فبرده أسفل سافلين (ويهدي من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى أعلا عليين
 (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى فلا تهلك نفسك على عدم ايمانهم - أكثره التحزن وقرأ أبو جعفر
 وقتادة والاشهب بضم التاء وكسر اللام مسند الضمير المخاطب نفسك مفعول به (ان الله عليم بما
 يصنعون) من القبايح فيجازيهم عليه (والله الذي أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي الريح
 بالتوحيد أى أوجد هامن العدم فهو بهادليل ظاهرا على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكن وقد
 يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال وفي حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب
 وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على تسخر مدبره ومؤثر مقدر (فتثير محابا) أى فتحركه وترفعه (فستفناه)
 أى السحاب (الى بلد ميت) أى الى مكان لا نبات فيه وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بتشديد الياء
 (فأحييناه) أى بجاء السحاب الارض (بعد موتها) أى بعد يسها وأسند الله تعالى الارسال الى الغائب
 والسوق والاحياء الى المتكلم لان في الاول تعريفا بالفعل العجيب وهو الارسال والاسارة وفي الثاني
 تذكير بالنعمة فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحياء (كذلك النشور) أى احياء الاموات في
 سهولة الحصول فان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء الميتة تقبل الحياة وكل انا
 نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت وكل انا نجتمع القطع السحابية
 بالريح كذلك نجتمع أجزاء الاعضاء المتفردة بالروح (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى من كان
 يريد العزة فليطلبها من عند الله بطاعته لانه لا عزة الا لله فان المشركين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام
 ومن اعترز بالعبيد أذله الله ومن اعترز بالله أعزاه الله (اليه يصعد الكلم الطيب) الذي يطلب به العزة وهي
 كلمة لا اله الا الله (والعمل الصالح يرفعه) والضمير المستكن عائد لكلم فان مدار قبول العمل هو
 التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل وعائد للعمل فانه يقوى الايمان بلا عمل فاذا رجع الضمير البارز
 للعمل كان الضمير المستكن عائد لكلم كما تقدم أو لله تعالى (والذين يكرهون السيئات لهم عذاب
 شديد) أى والذين يكسبون أصناف المكرات السيئات لهم عذاب شديد (ومكر أولئك هو يبور) أى

صنع أثلك هو يفسدو يهلك قيل هي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة في إحدى ثلاث حبسه وقتله واخرجه من مكة وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أهل الزبارة وقال مقاتل في أهل الشرك بالله وقال الكلبي المعنى يعملون السيئات وعلى هذا فيكون هذا في مقابلة قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه وهو إشارة إلى بقاء العمل الصالح وقوله ومكر أولئك هو يبور إشارة إلى فناء العمل السيئ (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة) فكل أولاد آدم من تراب ومن نطفة لأن كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهي إلى الماء والتراب (ثم جعلكم أزواجاً) أي أصنافاً ذكرانا وإناثاً (وماتحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) في وقته ونوعه وغير ذلك (وما يعمر من معمر) أي وما يعد في عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي عمر أحد (إلا في كتاب) أي لوح محفوظ وعن سعيد يكتب عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يوماً حتى يأتي إلى آخره وقيل إن الله كتب عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع وتسعين إن عصى فأبى ما بلغ فهو كتاب والله تعالى بين كمال قدرته بقوله خلقكم من تراب وكمال علمه بقوله تعالى و ماتحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه فإن مانع الأرحام قبل الانخلاق وما في البطن بعده لا يعلم أحد حاله كيف والأم الحامل لا تعلم منه شيئاً ونفوذ إرادته بقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فبين الله أنه هو القادر العالم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا إرادة فكيف يستحق واحد منها العبادة (إن ذلك) أي الخلق من تراب وكتابة الآجال (على الله يسير) لاستغنائها عن الأسباب فكذلك البعث (وما يستوى البحران هذا عذب أي لذيق فرات) أي يكثرا العطش (سائغ شرابه) أي يسهل اتخاذه إلى الخلق (وهذا ملح أباج) أي مرزعا لا يستطيع شربه (ومن كل من البحرين تأكلون لحمًا طريا) أي سمكا شهى المطعم (وتستخرجون) من الملح خاصة (حليسة) أي زينة وهي اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) وقوله تعالى وما يستوى البحران إشارة إلى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ إرادته وهو دليل آخر على القدرة والوحدانية (وترى الفلك) أي وترى السفن أيها الناس (فيه) أي في كل منهما (مواخر) أي شواق للسفن يجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) بالتجارة وغيرها واللام متعلقة بمواخر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا الله على نعمه (ويوح الليل) أي يدخل زيادته (في النهار) فيكون النهار أطول من الليل بقدر نقصانه (ويوح النهار) أي يدخل زيادته (في الليل) فيكون الليل أطول من النهار بقدر نقصانه (ومن خرا الشمس والقمر) أي ذلل ضوء الشمس والقمر لبني آدم (كل) منهما (يجري) في فلكه (لأجل مسمى) أي إلى وقت معلوم في منازل معروفة ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر (ذلكم الله ربكم) أي الذي فعل هذه الأفعال هو الله الموجد لكم من العدم الرب بجميع النعم (له الملك) كله وهو مالك كل شيء (والذين تدعون) أي تعبدون (من دونه) تعالى وهو الاصنام (ما يملكون من قطمير) أي لا يقدرون أن يفعلوا من ذلك قدر الشيء الذي يتعلق به النواة مع القمع وقيل القطمير هو القشرة الرقيقة البيضاء التي بين النواة والنواة وهذا استدلال على تفرد تعالى بالالوهية (أن تدعوهم) أي المعبودات من غير الله (لا يسمعون دعاءكم إلا أنها جادات) (ولو سمعوا) على سبيل التقدير (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم بجواب نفع ودفع ضرر ليجزهم عن الأفعال بالمرة (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي حين ينطقهم الله ينكرون عبادتكم أي أنهم بقولهم ما كنتم يا ناة تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) أي ولا يخبرك أيها السامع أحد مني لاني عالم بالاشياء وغيري لا يعلمها (يا أيها

الناس أنتم الفقراء إلى الله) أي إلى مغفرته ورحمته ورزقه في الدنيا وإلى جنته في الآخرة وهذا يوجب عبادة
(والله هو الغني الحميد) أي والله مع استغناؤه يدعوكم كل الدعاء يقضى في الدنيا حوائجكم وان آمنتم به
يقضى في الآخرة حوائجكم فهو المستوجب للحمد (ان يشأ يذهبكم) أي يهلككم يا أهل مكة (و يأت بخلق
جديد) أي يقوم آخرون مستمرين على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك) أي الا ذهاب بهم
والا تبيان بآخرين (على الله بعزير) أي بعتسر (ولا ترزوا رزة ووزر أخرى) أي لا تحمل نفس آثم نفس
أخرى بل اغتاتحمل كل منهما اثمها (وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) أي وان تدع نفس
مثقلة بالذنوب نفسها إلى حمل بعض ذنوبها لم تجب تلك النفس المدعوة بحمل شيء من تلك الاوزار وتروى عن
الكسائي لا تحمل بفتح التاء الفوقية وكسر الميم شيئا أي لا تحمل تلك النفس المدعوة شيئا من الوزر (ولو
كان ذا قربي) أي ولو كان المدعو ذا قرابة من الداعي قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيمة ولان له
يا بني أحمل عنايه من ذنوبه فيقول لا أستطيع حسي ما على (اغتاتنذر الذين يخشون ربهم بالغيب)
أي اغتاتنفع انذارك يا أشرف الرسل بهذه الانذارات الذين يخشون عذاب ربهم وهو غائب عنهم (وأقاموا
الصلاة) أي راعوها كما ينبغي (ومن تركي) أي تظهر من المعاصي (فانما يترك لنفسه) أي
فتظهره لنفسه اذ دفعه لها كما ان من تدينس بالاوزار لا يتدنس الا على نفسه (والى الله المصير) فالمرتكز
ان لم تظهر فائده عاجلا فهي تظهر عنده في يوم اللقاء كما ان الوازر ان لم تظهر تبعه وزره في الدنيا
فهي تظهر في الآخرة اذ المرجع الى الله (وما يستوى الاعمى والبصير) أي الكافر والمؤمن (ولا
الظلمات ولا النور) أي ولا الباطل والحق (ولا الظل ولا الحرور) أي ولا الشواب والعقباب (وما
يستوى الاحياء ولا الاموات) أي وما يستوى المؤمنون والكفار والعلماء والجهلة (ان الله يسمع من
يشاء) أي ان الله يفهم من يشاء من كان أهلا لفهم آياته تعالى (وما أنت بمسمع من في القبور) أي
وما أنت يا أشرف الخلق بمفهم من هو مثل الميت الذي في القبور شبه الله الكفار بالموتى في عدم التأثير
بدعوته صلى الله عليه وسلم (ان أنت الا نذير) أي ما أنت الا رسول منذر وليس لك من الهدى شيء (انا
أرسلناك بالحق) أي ارسالا مضموم بالحق (بشير وناذير) ويجوز ان يتعلق بالحق بما بعده أي
بشيرا بالوعيد الحق وناذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة الا خلا فيها نذير) أي ما من أمة الا مضى فيها نبي
أو عالم ينذرهم (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) أي وان يكذبك أهل مكة فلا تبال بتكذيبهم
لانه قد كذب الذين من قبلهم من الامم العاتية رسلهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي المعجزات
الظاهرة الدالة على نبوتهم (وبازبر) أي بخبر الاولين كصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) أي
الموضع لطريق الخير والشر كالتيوراة والانجيل والزبور (ثم أخذت الذين كفروا) بالكتب والرسل
بأنواع العذاب (فكيف كان تكثير) أي انكارى بالعقوبة (ألم تر) أي ألم تعلم أيها المخاطب (ان
الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) أي بذلك الماء (غسرات مختلفا ألوانها) من الصفرة والخضرة
والحمرة وغيرها (ومن الجبال جدد) أي طرائق تخالف لون الجبيل (بيض وحمرا مختلفا ألوانها)
فمختلف صفة لجدد أيضا وألوانها فاعل وقال الرازي الظاهر ان الاختلاف داجم الى كل لون أي بيض
مختلف ألوانها وحمرا مختلف ألوانها لان الابيض قديكون على لون الجص وقد يكون على لون التراب
الابيض وكذلك الاحمر (وغرايب) أي شديدة السواد (سود) وهو بدل من غرايب (ومن
الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أي ألوان ذلك البعض (كذلك) أي اختلافنا

كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) فالحشية بقدر معرفة المخشى والعالم
 يعرف الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم أعلى درجة من العابد ومعنى الآية في قسامة من قرأ
 بنصب العلماء ورفع اسم الجلالة انما يعظم الله العلماء (ان الله عزيز غفور) فكونه تعالى عزيزاً
 ذات مقام يوجب الخوف التام وكونه تعالى غفوراً للتائب عن العصيان وجب الرجاء البالغ (ان الذين
 يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءة القرآن (وأقاموا الصلاة) أى أداهاوها (وأنفقوا مما
 رزقناهم سرا وعلانية) كيفما اتفق من غير قصد اليهما (يرجون تجارة) أى تحصيل ثواب بالطاعة
 (لن تبور) أى لن تهلك بالחסران أصلاً وقوله تعالى سرا وعلانية حث على الانفاق كيفما يتهايان تهياً
 سرا فذلك والافعلانية ولا يمنع ظنه ان يكون رياءً فان ترك الحسرة مخافة ان يقال فيه انه مرءء عيب
 الرياء (ليوفيه أجورهم) متعلق بـ لن تبور أى تنفق التجارة عند الله ليوفيهم الله أجور أعمالهم
 ما يرجونه (ويزيدهم من فضله) أى يعطيهم ما لم يخطر ببالهم عند العمل (انه غفور) عند اعطاء
 الأجور (شكور) عند اعطاء الزيادة (والذى أوحينا إليك من الكتاب) أى هو القرآن (هو
 الحق) أى الصدق (مصدق لما بين يديه) أى مصدق لما قبله من الكتب السماوية فيوافقه في
 العقائد وأصول الأحكام (ان الله بعباده الخبير) أى عالم بالباطن (بصير) أى عالم بالظواهر فلا
 يكون الكتاب باطلاً في وحيه لا في الباطن ولا في الظاهر (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)
 أى ثم أعطينا القرآن أمثلكم الذين اخترناهم على سائر الأمم (منهم ظالم لنفسه) أى راجح سيئاته
 (ومنهم مقتصد) أى تساوت سيئاته وحسناته (ومنهم سابق بالخيرات) وهو الذى ترجحت حسناته
 (بإذن الله) أى بتوفيق الله وهو متعلق بسابق (ذلك) أى السابق بالخيرات (هو الفضل الكبير)
 من الله تعالى (جنات عدن يدخلونها) خبر لجنات أى هؤلاء الثلاثة أصناف يدخلون جنات عدن
 ومن دخلها لم يخرج منها وقرأ أبو عمرو بالببناء للمفعول (يدخلونها) أى يلبسون على سبيل التزيين في
 الجنة (من أساور من ذهب) فن الأولى للتبعية والثانية للتبيين (ولؤلؤا) قرأه عاصم ونافع
 بالنصب عطفاً على محل من أساور والباء اقون بالجر عطفاً على ذهب (ولباسهم فيها) أى الجنة (حرير)
 واكثر الزينة يدل على الغنى فلا يجوز عن الوصول الى الاشياء الكثيرة عند الحاجة ويدل على الفراغ
 (وقالوا) أى ويقول أهل الجنة في الجنة (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) أى كل حزن يحصل كل
 مطلوبه (ان ربنا الغفور) للذنبين (شكور) للطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) أى دار الإقامة
 التى لا انتقال عنها أبداً (من فضله) من غير ان يوجه شئ من جهتنا (لا يمسنا فيها نصب) أى تعب
 (لا يمسنا فيها الغوب) أى فتور ناشئ عن التعب (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) أى
 لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) أى لا يستريحون بالموت بل عذابهم دائماً (ولا يخفف عنهم من
 عذابها) أى جهنم طرفة عين (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزي كل كفور) وقرأ أبو عمرو
 بجزى بالببناء للمفعول وكل بالرفع (وهم يصطرون فيها) أى يصيحون في جهنم بقولهم (ربنا
 أخرنا) منها (نعمل صالحا) أى خالصا في الايمان (غير الذى كنا نعمل) فى الدنيا من الشرك
 فيقول الله لهم توبينا (أولم نعمركم ما نذكر فيه من تذكر) أى ألم غهلكم بامعشر الكفار ولم نطبل
 أعماركم زمانا يتعظ فيه من أراد ان يتعظ وهو ستون سنة كما قاله ابن عباس وأر بعون سنة كما قاله
 الحسن (وجاءكم النذير) أى رسول من الله تعالى أو عقل أو شيب أو حى أو موت الاقارب فالشيب

والحمى وموت الاهل ككله انذار بالموت والمراد أى رسول كان لأن هذا الكلام مع الكفار على الاطلاق قال تعالى (فذوقوا) ماء عذنا لكم من العذاب دائما أبدا (فبالظالمين من نصير) أى لانه ليس للذين وضعوا أعمالهم في غير موضعها وأتوا بالمعذرة في غير وقتها مانع من عذاب الله (ان الله عالم غيب السموات والارض) فلا يخفى عليه تعالى أحوالهم لو وردوا الى الدنيا العاد والمآب وعنه (انه عليم بذات الصدور) وكان يعلم من الكافرين في قلبه وتمكن الكافر بحيث لو دام في الدنيا الى الابد لما أطاع الله (هو الذى جعلكم خلائف في الارض) أى خلفاء عن قلبكم من الامم تعلمون أحوال الماضين عن كذب الرسل (فن كفر فعليه كفره) أى عقوبة كفره (ولا يزد الكافرين كفرهم عند ربهم الامم قتالا ولا يزد الكافرين كفرهم الا خسارا) أى ان الكفر لا ينفع عند الله فلا يزد كفرهم الا بغضه الشديد ولا ينفعهم في أنفسهم بل لا يفيدهم الا الخسار فان العمر كرأس المال فن اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به مخبطه خسر (قل) يا أشرف الخلق لا هل لك مكة (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) وجملة قومه أروني بدل اشتغال من رأيتم أى اخبروني عن آلهتكم التي زعمتم أنها شركاء الله تعالى الذين تعبدونهم من غير الله أروني أى جزء خلقوا من الارض (أم لهم شرك في السموات) أى بل ألهم شركة مع الله في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة دائمة في الألوهية (أم آتيناهم كتابا) أى بلا أعطينا الشركاء كتابا ينطق باننا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) وقرأ أبو عمرو وحزمة وابن كثير وحفص بينة بالافراد والباقيون بينات بالجمع أى فالشركاء على حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغروا) أى بل ما بعد الاسلاف للاخلاق والرؤساء للسفلة في الدنيا بأن شركاءهم تقربهم الى الله تعالى المتزلة وبأنها تشفع لهم في الآخرة فتضر وتنفع الا باطلا (ان الله يسل السموات والارض أن تزولا) أى ان الله ينعهم من أن تزولا عن مكانهما لان مقتضى شركتهما والهما (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أى والله لئن زالتا عن مكانهما ما أمسكهما أحد من بعد زوالهما (انه كان حليما) اذا أمسكهما فترك الله تعذيب المشركين الاحلأمة تعالى والا كانوا يستحقون اسقاط السموات وانطباق الارض عليهم (غفورا) أى محاء للذنوب من تاب وان استحق العقاب (وأقسموا) أى كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) أى غاية اجتهادهم في الايمان (لئن جاءهم نذير ليمكثوا أهدي من أحدى الامم) أى لما بلغ قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أسرع اجابة من كل الامم (فلما جاءهم نذير) أى فإمعانهم بحجى رسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يشهدون أنه خيرهم نفسا وأشرفهم نسبا وأكرمهم خلقا (ما زادهم الا نفورا) أى تباعدوا عن الحق (استكبارا في الارض) اعراضا عن الايمان وهو بدل من نفورا (ومكر السيئ) وهو معطوف على نفورا وهو جميع ما صدر منهم من القصد الى الايداء به صلى الله عليه وسلم ومنع الناس من الدخول في الايمان واظهار الانكار (ولا يحق المكر السيئ الا بأهله) أى ولا يحيط المكر السيئ الا بغافل (فهو ينظرون الاسنة الاولى) أى ما ينتظرون الاعادة الله في الاولين من تعذيبهم بتشكيبهم رسلهم فان سنة الله الاهلاك بالشرك والا كرام على الاسلام (فلن تجد لسنة الله تبديلا) لانه سنة من سنن الله (ولن تجد لسنة الله تحويلا) فان العذاب مع أنه لا تبديل له بالثواب لا ينقل عن مستحقه الى غيره فبهذا يتم تهديد المسيئ (أولم يسيرا

في الارض) أى أقعدوا في الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا) أى من قبلهم (أشد منهم قوة) وقد كانوا مارين على ديارهم رائين لأنارهم وأملهم كان فوق أملهم لطول أعمارهم وشدة اقتدارهم وعلمهم كان دون علمهم لأنهم لم يكذبوا اتحادا ولا مثل محمد وأنتم يا أهل مكة كذبتُم محمدًا ومن تقدمه من الرسل فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم فأنفعهم طول المدى وما دفع عنهم شدة العوى (وما كان الله ليحجزه من شيء في السموات ولا في الارض) أى ان الاولين مع شدة قوتهم ما أعجزوا الله فهو لا أولى بان لا يحجزوه (انه كان عليهما) بأفعالهم وأقوالهم (قديرا) على اهلاكم واستئصالهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من السيئات كما فعل بأولئك الاولين (ما ترك على ظهرها) أى على وجه الارض (من دابة) أى من ذوى روح تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى الى وقت معلوم عند الله تعالى فللعذاب أجل والله لا يؤاخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلم جهول وانما يؤاخذ بالاصرار على المعاصي وحصول يأس الناس عن ايمانهم فاذا لم يبق فيهم من يؤمن يهلك الله المكذبين ولو آخذهم بنفس الظلم لكان كل يوم اهلاك (فاذا جاء أجلهم قال الله كان بعباده بصيرا) أى فاذا جاء أجلهم وهو يوم القيامة أو يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن ويوم القتل والامر فان الله يجازيهم عند ذلك بأعمالهم لان الله تعالى كان بصيرا بعبادته ذات تسلية للمؤمنين وذلك لان الله تعالى لما قال ما ترك على ظهرها من دابة قال فاذا جاء الهلاك في الدنيا قال الله بصير بالعباد اما أن ينجي المؤمنين أو يعيتهم تقر بيان الله لا تعذيبا

سورة يس وتسمى أيضا القلب والدافعة والقاضية والمعجمة مكية رهي ثلاث
وثمانون آية وسبع مائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف

*(بسم الله الرحمن الرحيم يس) * أى هذه يس أو أقرأ يس (والقرآن الحكيم) أى المتضمن للحكمة اعلم ان العبادة قلبية ولسانية وجارية وكل واحدة منها قسم علم معناه وقسم لم يعلم أما القلبية ففيها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به كاصراط الذي هو أرق من الشعرة وأحد من السيف ويعرف عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان التي توزن به الاعمال التي لا تغفل لها في نظر الناظر وكيفيات الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالفعل امكانها ووقوعها مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وفي العبادات الجارية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات فالعبد اذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة فلا يكون الايمان به الا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فرعا ياتي للفائدة فقط وان لم يؤمن كما قال السيد لعبد انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلم بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها وان تحتها كنزها ولك فانه ينقلها وان لم يؤمن فكذلك العبادات اللسانية فمنها ما لا يفهم معناه فاذا تكلم به العبد علم انه لا يقصد غير الانقياد لامر المعبود الامر الناهي فاذا قال يس حم الم طس علم انه لا يذكرك ذلك المعنى يفهم بل هو يتلفظ به اقامة لما أمر به (انك) يا أشرف الخلق (لن المرسلين على صراط مستقيم) أى ثابت على شريعة شريفة فان شريعته صلى الله عليه وسلم أقوم الشرائع وقوله على صراط خبر بان لان (تنزيل العزيز الرحيم) وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائي بالنصب على الحال أو على المدح باضمار أعنى أى حال كون القرآن تنزيل المانع عن أشياء المطلق لأشياء أو المنتقم لمن لا يؤمن بالرحيم لمن

آمن والباقون بالرفع أى هذا تكليم العزير وقرئ بالجر على أنه يدل من القرآن كأنه تعالى قال والقرآن الحكيم تنزيل العزير الرحيم انك لمن المرسلين (لتنذروهم ما أنذرتهم) أى لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة لأن قرئ بالشلم يبعث اليهم نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فأنافية والجملة صفة لقوما ويصح كونها موصولة أى الذين أنذرتهم الا قدمون ويصح كونها مصدرية فيكون نعتا المصدر مؤكداً أى لتنذروهم ما أنذرا كأننا مثل أنذرتهم الا قدمون من العذاب (فهم) أى القوم وأباؤهم الاقربون (غافلون) عن أمر الآخرة جاحدون بها وفهولاء القوم غافلون عما أنذرتهم الا قدمون لا امتداد للمدة (لقد حق القول على أكثرهم) أى لقد حقت كلمة العذاب العاجل على أكثر أهل مكة أب جهل وأصحابه (فهم لا يؤمنون) أى في علم الله وقتلوا يوم بدر على الكفر (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان) أى فالأغلال منتهية الى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يبطئون رؤسهم له (فهم مقمحون) أى رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أى وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سدا عظيما ومن وراءهم كذلك (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) أى فغطينا بذهن السدين أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على إحصاء شيء ما أصلا وقوله تعالى انا جعلنا الخ كناية عن منع الله إياهم عن الاهتداء وهو غثيل حالهم بحال من غلت أعناقهم وقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا إشارة الى أنهم لا ينتهجون سبيل الرشاد فلا يبصرون الحق لمكان السد ولا ينقادون لك لمكان الغل وقيل نزلت هذه الآيات في أب جهل ابن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أباجهـل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بحجر فلما رآه يصلى ذهب اليه فرفع حجرا ليرميه فلما أومأ اليه رجفت يدها الى عنقه والتصق الحجر بيده الى عنقه فلما عاد الى أصحابه أخبرهم بما رأى قال الوليد بن المغيرة أنا أراضخ رأسه فأتاه وهو يصلى على حالته ليرميه بالحجر فأسمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال والله ما رأيته ولقد سمعت صوته فقال الرجل الثالث والله لا شذخ رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقري ينفكص على عقبيه حتى خر على قفا مغشيا عليه فقبل له ماشأ أنك قال شأنى عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فإذا خل يخطر بذهنه ما رأيته قط فلما أعظم منه حال بيني وبينه فوالللات والعزى لو دنوت منه لا كفى فأنزله الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أى انا جعلنا أيمانهم الى الاذقان حين أرادوا ان يرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو في الصلاة فهاهم مغلولون من كل خير محرومون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أى وجعلنا من أمامهم سدا حيث أرادوا ان يرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو في الصلاة فلم يبصروا النبي عليه السلام ومن خلفهم سدا حتى لا يبصروا أصحابه فغطينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وسلم فيؤذوه وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بفتح السين والباقون بالضم في الموضعين (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى مستوعند بنى مخزوم أب جهل وأصحابه أنذارك بالقرآن إياهم وعدمه واما الانذار بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو سبب في زيادة سيادته عاجلا وسعداته آجلا (لا يؤمنون) في علم الله (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينفع انذارك ياسيد الرسل من آمن بالقرآن (وخشى الرحمن بالغيب) أى خاف عقابه وهو تعالى غائب عنه أى عمل صالحا فالعاقل لا ينبغي ان يترك الحشية فان كل من كانت نعمته بسبب رحمته أكثر فالحوف منه أكثر

مخافة ان يقطع عنه النعم المتواترة (فبشره بغفرة) عظيمة (وأجر كريم) أى ثواب حسن فى الجنة
 فالغفران جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور والاجر الكريم جزاء العمل الصالح (اننا نحن نحيى الموتى)
 أى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن اننا نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب) فى صحف الملائكة
 (ما قدموا) أى ما أسفوا من الاعمال سالحة كانت أو فاسدة (وآثارهم) أى التى أبغوها من السنن
 الحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والحبائس التى رفقوها من المساجد والباطات ومن السنن
 السيئة كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وآلات الملاهى وأدوات
 المناهى المعمولة الباقية (وكل شئ) من الاشياء (أحصيناه فى امام مبين) أى كتبناه فى أصل
 مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) أى
 بين لاهل مكة صفة أهل انطاكية كيف أهلكتهم (اذ جاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه
 السلام الى أهلها فرسل رسول الله باذن الله رسول الله وهذا يؤيد مسئلة فقهية وهى ان وكيل الوكيل
 باذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل
 الاول (اذ أرسلنا اليهم اثنين) أى رسولين وهما يحيى وبولس وقيل سمعان وثومان (فكذبوهما)
 أى قاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما فى الرسالة (فعززنا بثالث) أى قويناهما برسل ثالث
 هو شمعون وقرأ شعبة بتخفيف الزاى (فقالوا) أى جميعاً (انا اليكم مرسلون قالوا) أى أهل انطاكية
 مخاطبين لثلاثه (ما أنتم الا بشر مثلنا) فلا يجوز رجحانكم علينا (وما أنزل الرحمن من شئ) أى فما
 نزلنا من عند الله وما أنزل الله اليكم أحد فكيف صرتم رسلاً لله أو يقال ان الله ليس بمنزل شئ فى هذا
 العالم فان تصرفه فى العالم العلوى وللعلويات التصرف فى السفليات على مذهبهم فالله تعالى لم ينزل شيئاً من
 الاشياء فى الدنيا فكيف أنزل اليكم (ان أنتم الا تكذبون) أى ما أنتم الا كاذبين فى دعوى رسالته
 تعالى (قالوا) أى الرسل (ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى
 القسم مع تحذيرهم معارضة علم الله تعالى (وما علمنا الا البلاغ المبين) أى وما علمنا من جهة ربنا الا
 تبليغ رسالته تبليغاً ظاهراً بلغة تعلمونها بالآيات الشاهدة بالهجة فلامؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا
 (قالوا) للرسل لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (اننا تطيرنا بكم) أى تشاء منا بكم بناء على
 أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضرر متعلق بأنفسهم وأهليهم وأموالهم ان لم يؤمنوا
 فكانوا ينفرون عنه وقيل اغتاطير والمبايعة منهم من ان كل نبى اذا دافقوه فلم يجيبوه كان عاقبتهم
 الذل (لئن لم تنتهوا) عن مقاتلتكم هذه (انرجنكم) بالحجارة (وليمسكنكم منا عذاب اليم) أى
 وليصبنكم مناسيب الرجم عذاب اليم أى نديم الرجم عليكم الى الموت (قالوا) أى الرسل (طائركم
 معكم) أى سبب شؤمكم معكم من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم (أنذركم) أى ان
 وعظمت بما فيه سعادتكم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعظيم (بل أنتم قوم مسرفون) أى ليس التذكير
 سبباً للشؤم بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك أنا لكم الشؤم (وجاء من أقصى المدينة
 رجل) وهو حبيب النجار وهو نخت أصنامهم وهو من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما
 ستائة سنة كما آمن به صلى الله عليه وسلم تبع وورقة بن نوفل وغيرهما وقيل انه كان اسكافاً وقيل انه
 كان قصاراً (يسمى) أى يسرع فى المشى حيث سمع بالرسول (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) الذين
 أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل (اتبعوا من لا يسألكم أجراً) فانهم لو كانوا متهمين بعدم

الصدق لسألوكم المال (وهم مهتدون) أى عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق قالوا له
تبرأت منا ومن ديننا ودخلت في دين عدونا فمال لهم (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) أى خلقنى اختراعاً
ز هو مالى (والى ترجعون) بعد الموت فكيف لا تعبدونه والعابد على أقسام ثلاثة عابد يعبد الله
لكونه الها مال كسواه أنعم بعد ذلك أولي نعم وعابد يعبد الله للنعم الواصلة اليه وعابد يعبد الله خوفاً لجعل
القائل نفسه من القسم الأول وهو الأعلى (أأخذ من دونه) أى من غير الذى خلقنى (آلهة) أى
لا أعبد آلهة من غيره تعالى (ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون) أى ان يصبنى
الرحمن بعذاب لا تنفعني تلك الاصنام نفعاً ولا تدفع عني ذلك العذاب (انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه
آلهة (لفي ضلال مبين) أى خطأ ظاهراً (انى آمنتم بربكم فاسمعون) وهذا خطاب من حبيب الرسل
وذلك لما أقبل القوم عليه يريدون قتله أقبل هو على المرسلين وقال انى آمنتم بربكم فاسمعوا قولى
واشهدوا بالايان عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة خاطبهم بذلك اظهرا الله الصليب في الدين وعدم
المبالاة بالقتل ففيه بيان للتوحيد وذلك لانه لما قال أعبد الذى فطرنى ثم قال آمنتم بربكم فهم أنه يقول
وبى وربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو الذى بعينهم بركم بخلاف بالوقال آمنتم بربى فيقول الكافر
وأنا آمنتم بربى أيضاً وعلى هذا معنى الآية آمنتم بربكم فاسمعوا ما قلته لكم وأطيعوني بالايان فأخذوه
رقتلوه وصلبوه ووطئوه بأرجلهم حتى خرجت امعاؤهم من دبره وألقى في بئر وهى الرس وهم أصحاب الرس
(قيل ادخل الجنة) أى انه قتل ثم قيل له بعد القتل ادخل الجنة اكراماً له بدخولها حينئذ كسائر
الشهداء (قال) بعد موته (يا) حرف تنبيه (ليت قومي يعلمون بما غفر لى ربى) أى بالذى غفر لى ربى وهو
التوحيد أو بمغفرة ربى لى ويقال قيل ادخل الجنة عقب قوله آمنتم الخ قال فى حياته كأنه سمع الرسل
أنه من الداخلين الجنة وصدقهم باليت قومي يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنتم بأى شئ غفر لى ربى
(وجعلنى من المكرمين) فان الايمان والعمل الصالح وحبان الغفران والاكرام وحاصل هذه القصة ان
عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا الى المدينة رأيا شيخا رعى
غنيمات له وهو حبيب بن اسرائيل النجار فسلما عليه فقال من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام
يدعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعك آية قال نعم نشفى المريض ونبرئ الأكمة
والأبرص باذن الله تعالى فقال ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالافانطلق بنا ننظر حاله فأتى بهما الى منزله
فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صححاف آمن حبيب وفشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على
أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيوخا وكان من ملوك الروم فأنتهى خبرهما اليه فدعا
هما فقال لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيما جئتما قالادعوكم من عبادة ما لا يسمع
ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال لهما أألنا اله سوى آلهتتما قالانعم من أوجدك وآلهتك فقال
لهما اقوما حتى أنظر فى أمركما وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة ثم بعث عيسى عليه السلام
رأس الحواريين شمعون لينصرهما فدخل البلدة متسكرا وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به
وأوصوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه فقال يوما للملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن
وضربتوما حين دعوا الى غير دينك فهل كلتتما وسمعت قولهما فقال لا فتدحال الغضب بينى وبين
ذلك قال ان رأى أيها الملك ان تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من
أرسلك الى ههنا قال الله الذى خلق كل شئ وأيس له شريك فقال صفاه وأوجزا قال انه يفعل ما يشاء

و يحكم ما يريد قال لهما سمعون وما آيتكما قال ما يتقى الملك فدعا الملك بغلام مطموس العينين وموضع عينيه
 كالجهة فإزالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذ ابندقتين من طين فوضعهما في حدقتيه
 فصارتا مقلتين ينظر بهما فتعجب الملك فقال سمعون له أيها الملك ان شئت ان تغلبهم فقل للالهة التي
 تعبدونها تفعل شيئا من ذلك قال الملك لا يخفى عليك انها لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر ولا تعلم فقال سمعون
 فاذا ظهر الحق من جانبهم فآمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت الغلبة للكاذبين وأجمعوا على قتل الرسل
 وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكركم ويدعوهم الى طاعة المرسلين ولما
 قتله غضب الله له فجعل لهم العقوبة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فأتوا عن آخرهم فذلك قوله
 تعالى (وما أنزلنا على قومه) أي قوم ذلك الرجل الذي هو حبيب وهم أصحاب القرية الذين رجموه (من
 بعده) أي من بعده قتله (من جند من السماء) لاهلاكهم (وما كنا منزلين) أي انما نزل ملائكة
 لاهلاك الكفار في الازمنة الماضية بل نزلهم بغیر الملائكة اما بالحاصب أو بالصيحة أو بالحسف
 أو بالاغراق وانما جعلنا انزال الجن من خصائصك في الانتصار من قومك تعظيما لشأنك (ان كانت
 الا صيحة واحدة) أي ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة من جبريل أخذ جبريل بعضا دق الباب
 فصاح فيهم صيحة واحدة وذلك لحقارة أمرهم عندنا (فاذا هم خامدون) أي ميتون لا يتحركون
 (يا حسرة على العباد) وهذا امان من كلام الملائكة ومن كلام المؤمنين أي يا حسرة التحزن على العباد
 تعالى هذا وقتك فأحضرى وهو وقت الاستهزاء بالرسول فاستهزؤا بالناسحين أحقاء بأن يتحزفوا ويتحزن
 عليهم المتحزون (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به) أي بذلك الرسول (يستهزؤن) وهذا سبب الندامة
 (الم يروا) أي لم يعلم أهل مكة الذين أنكروا رسالتك (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أي الامم
 الماضية (أنهم اليهم لا يرجعون) أي أنهم أهلكوا هلاكا لا يرجعون لهم الى من في الدنيا ويقال ان
 الباقي لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة أي أهلكناهم وقطعنا نسلهم فالوجه الاول أشهر نقلا
 والثاني أظهر عقلا (وان كل لما جميع لدينا محضرون) وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة لما تشديد الميم
 بمعنى الا أي ما كلهم الا مجموعون عندنا محضرون للحساب والجزاء والباقيون بالتخفيف والمعنى عند
 الكافرين كما تقدم وعند البصريين وان كلهم لمجموعون عندنا محضرون للحساب (وآية لهم الارض
 الميتة أحييناها) أي وعلامة عظيمة لهم على قدرتنا على البعث وعلى وحدانيتنا الارض الميتة أحييناها
 بأنواع النبات فيها فالذي أحييا الارض أحييا كاملا منبتا للزرع يحيي الموتى أحييا كاملا (وأخر جناها)
 أي الارض (حبا) أي جنس الحب كالحنطة والشعير والارز (فنه) أي من ذلك الحب (يا كلون)
 فهو أكثر ما يعاش به (وجعلنا فيها) أي الارض (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب)
 أي من أنواع النخل والعنب (ولجئنا فيها من العيون) أي فمكنا في الارض بعضا من العيون
 (ليأكلوا من ثمره) أي من ثمر ما ذكر من الجنات أو من ثمر الله لانه الذي خلقه وقرأ حمزة والكسائي بضم
 الناء والميم (وما علمته أيديهم) وهو ما يتخذ من ذلك الثمر العصير والدبس ونحوهما فمما موصولة عطف
 على ثمره ويؤيد هذا قراءة حمزة والكسائي وشعبة بحذف الهاء من علمته فان حذف العائد من الصلة
 أحسن من الحذف من غيرها وقيل ما نافية ومحل الجملة نصب على الحالية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى
 لا بفعلهم (أفلا يشكرون) أي أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها فإيرجعون عن عبادة غير الله وفي
 ذلك استدلال على وحدته تعالى وتعديدهم فالارض مكان لهم لا بدلهم منها فهي نعمة ثم أحيوا بها النبات

نعمة ثمانية فانها تصير ائزده ثم اخرج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير في مكانهم ثم جعل الجنات فيها
 نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب في كل سنة وكل ذلك مفيد الى بيان احياء الموتى فيقول الله تعالى
 كما فعلنا في موت الارض كذلك نفعل في الاموات في الارض فنحييهم ونعطيهم ما لا بد لهم منه في بقائهم
 من الاعضاء المحتاج اليها وقواها كالعين والاذن وغير ذلك ونزيده ما هو زينة كالعقل الكامل
 والادراك الشامل فسكانه تعالى قال يحيى الموتى احياء تاما كما احيينا الارض احياء تاما (سبحان
 الذى خلق الزوج كلها) اى تنزيها للذى خلق الانواع كلها (عما تنبت الارض) من نجم وشجر
 ومعدن (ومن انفسهم) من ذكروا نثى (وعما لا يعلمون) عما فى اقطار السموات وتخوم الارضين
 وغيره تعالى لم يخلق شيئا وانما ذكر الله تعالى كونه الكل مخلوقا لئله الله تعالى عن الشريك فان المخلوق
 لا يصلح شريكا للخالق والتوحيد الحقيقى لا يحصل الا بالاعتراف بان لا اله الا الله فلا تشركوا بالله شيئا عما
 تعلمون وعما لا تعلمون (واية لهم الليل نسلخ منه النهار) اى وعامة عظيمة لاهل مكة على قدرتنا على
 البعث الليل نزيل عنه النهار الذى هو كالسائر له (فاذا هم مظلومون) اى داخلون فى الظلام (والشمس
 تجري لمستقر لها) اى لخدمعين ينتهى اليه دورها فتقف فى مستقرها ولا تتنقل عنه ومستقرها هو مكان
 تحت العرش تسجد فيه كل ليلة عنه مدغرو بها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند طلوع النهار يؤذن لها
 فى ان تطلع من مطلعها أولا فاذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى
 من حيث جئت فتطلع من المغرب وقرى الى مسـتقرها وعن ابن عباس لا مستقر لها اى لا تكون لها ولا
 وقوف فانها جارية ابد الى يوم القيامة وقرى لا مستقر لها على ان لا يعنى ليس (ذلك) اى جرى الشمس
 (تقدير العزيز العليم) اى تدبيره وتسخيره اياها (والقمر قدرناه منازل) اى جعلناه منازل ثمانية
 وعشرين منزلا فى ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما ويستتر ليلة
 ان كان الشهر تسعة وعشرين يوما (حتى عاد كالعرجون القديم) اى حتى يصير فى رأى العين كالعذق
 المقوس اليابس اذا حال عليه الحول (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر) اى فالشمس لم تصلح لها
 سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والالكان فى شهر واحد صيف وشتاء فلا تدرك الثمار (ولا الليل سابق
 النهار) اى ولا الليل يطلع سلطان النهار فيذهب ضوءه ولكنه يعاقبه (وكل) من الشمس والقمر
 (فى فلك) اى دائرة (يسبحون) اى يدورون ولفظ كل يجوز ان يوحى نظرا الى كونه لفظا موحدا
 ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا وللشمس فلكا كان أحدهما مركزا من مركز العالم ثانياً ما مركزه فوق
 مركز العالم وهو مثل بياض البيض بين صفرة والقيض والشمس ككرة فى الفلك الخارج المركز تدور
 بدورانه فى السنة دورة فاذا جعلت فى الجانب الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها فى الارجح
 واذا حصلت فى الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون فى الخفيض وللقمر فلك شامل
 لجميع اجزائه وافلاكه وفلك آخر هو بعض من الفلك الاول محيط به كالقشرة الفوقانية من البصلة وفلك
 ثالث فى الفلك التحتانى كما كان فى الفلك الخارج المركز فى فلك الشمس وفى الفلك الخارج المركز ككرة
 مثل جرم الشمس وفى الكرة القمر مركزا كسما فى كرة مغرق فيها ويسمى الفلك الفوقانى الجوزهر
 والخارج المركز الفلك الحامل والفلك التحتانى الذى فيه الفلك الحامل المائل والكرة التى فى
 الحامل تسمى فلك التدوير (واية لهم) اى لاهل مكة على قدرتنا على البعث (انا حملنا ذريتهم)
 وقرأنا نافع وابن عاصم ذريتهم على الجمع اى اولادهم الذين يبعثونهم الى تجارتهم أو صبيانهم ونساءهم

الذين يستعجبونهم (في الفلك المشحون) أى المملوء ومع ذلك نجاء الله من الغرق وقال على بن أبى طالب حمل الله تعالى النطف في بطون النساء فالبطون تشييه بالفلك المشحون (وخلقنا لهم من مثله) أى عاينائل الفلك (ما ركبون) في البر من الابل ونحوها وفي البحر من الزوارق ونحوها (وان نشأ نغرقهم) مع ركوبهم في الفلك ونحوه (فلا صريح لهم) أى فلا مغيب لهم من الغرق (ولا هم ينقذون) أى ولا ينجون من الغرق بعد وقوعه (الارحة منا ومتاعا الى حين) فالانقاذ ينقسم الى قسمين اما أن ينقذه الله لرحمة منه فيمن علم الله منه أنه يؤمن أو ينقذه للتمتع بالذات زمانا الى انقضاء أجله وليرزاد اثما فيمن علم الله أنه لا يؤمن فالانقاذ غير مفيد للدوام بل الزوال في الدنيا لا بد منه (واذا قيل لهم) أى لاهل مكة بطريق الانذار (اتقوا ما بين أيديكم) أى ما أمامكم من أمر الآخرة فانهم مستقبلون لها (وما خلقكم من أمر الدنيا فانهم تاركون لها) (لعلكم ترحمون) أى راجين أن ترحموا فان الله لا يجب عليه شيء اعرضوا حسب ما اعتادوه ويقال اتقوا ما بين أيديكم من أنواع العذاب مثل الغرق والحرق وغيرها وما خلقكم من الموت الطالب لكم فانكم ان فجوتم من هذه الاشياء فلا نجاة لكم منه (وما تاتيتهم) أى كفار مكة (من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها) أى تلك الآية (معرضين) على وجه التكذيب والاستهزاء فلا تنفعهم الآيات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل وقوله تعالى من آية فن زائدة وقوله من آيات ربهم تبعية وقوله الا كانوا الخ جملة حالية (واذا قيل لهم) بطريق النصيحة (انفقوا عما رزقكم الله) أى بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكارة (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم (أنطم من لو شاء الله أطعمه) على زعمكم (ان أنتم الا في ضلال مبين) حيث تأمرونا بما يخالف مشيئته تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بحكمة زنادقة من قريش اذا أمروا بالتصدق على المسكين قالوا لا والله أي فقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسهون من المؤمنين يعلقون أفعال الله بحشيته يقولون لو شاء الله لا غنى فلانا ولو شاء لا عز ولو شاء لكان كذا فاجروا هذا الجواب استهزاء بالمؤمنين وما كانوا يقولون بتعليق الامور بحشيته تعالى وقيل ان المؤمنين لما قالوا لكفار قريش انفقوا على المساكين عازمهم من أموالكم انه الله تعالى وهو ما جعلوه الله من حرمهم وانعامهم قالوا أنطم من لو شاء الله أطعمه لكاننا ننظره تعالى لا يشاء ذلك فانه لم يطعمهم عازرى من فقرهم فخفن أيضا لان شاء ذلك موافقة لمراد الله تعالى فيه (ويقولون) أى كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (متى هذا الوعد) بقيام الساعة (ان كنتم صادقين) فيما تعدوننا له منه قال الله تعالى (ما ينظرون الا صيحة واحدة) أى ما ينتظرون قوما اذ كذبوك الا النعمة الاولى الميمنة (تأخذهم وهم يخضعون) أى يتخاضعون في السوق قراء حمزة بسكون الحاء وكسر الصاد والمعنى يخضع بعضهم بعضا والباقيون بحركة الحاء وتشديد الصاد وأصله يخضعون فأدغمت التاء في الصاد بعد قلبها صادافنا فاع وابن كثير وهشام نقلوا فتحة الصاد الى الساكن قبلها نقلًا كاملا وأبو عمرو وقالون اختلسا حركاتها تنبيه على ان الحاء أصلها السكون والباقيون حذفوا حركاتها فالتقى ساكنان لذلك فكسروا أولهما لان الساكن اذا حرك حرك بالسكس (فلا يستطيعون توصية) في شيء من أمورهم ان كانوا فيما بين أهلهم (ولا الى أهلهم يرجعون) ان كانوا خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا وقد صرح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبابيهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقوم الساعة وهو

يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها (ونفخ في الصور) أى وينفخ في القرن النفخة الثانية بينها وبين الاولى أربعون سنة (فاذا هم من الاجداث الى ربهم) أى الى مالك أمرهم (ينسلون) أى يخرجون بسرعة بطريق الاجبار دون الاختيار (قالوا) أى الكفار بعد ما خرجوا من القبور (يا ويلنا) أى يا هلا كنا احضر فهذا أوانك (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهبنا وقرأ ابن عباس والضحاك وغيرهم من بعثنا على انها جارية ومجرور متعلق بويل وقرئ من هبنا عن الجارة والمصدر (هذا ما وعد الرحمن) أى هذا البعث ما وعدنا به الرحمن (وصدق المرسلون) أى صدقونا فيه وقيل الوقف على هذا يجعله بدلا من مرقدنا يجعل ما وعد الرحمن خبر مبتدا محذوف أى هو ما وعدنا الرحمن به في الدنيا من البعث وعلى ذلك التفسير فهذا الخ من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما معوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به أنفسهم أو يجيب بعضهم بعضا وقيل قالت لهم الحفظة تذكروا لكفرهم هذا ما وعد الرحمن على السنة الرسل في الدنيا وصدق المرسلون فيما أخبروكم به من البعث بعد الموت (ان كانت) أى ما كانت نفخة البعث (الاصححة واحدة) حصلت من نفخ اسرافيل في الصور (فاذا هم جميع لدينا) أى مجموع عندنا (محضرون) للحساب (فاليوم) وهو يوم القيامة (لا تنظلم نفس شيئا) أى لا ينقص من حسنات أحد ولا يزداد على سيئات أحد (ولا تجزون) في الآخرة (الا ما كنتم تعملون) أى الاسباب ما كنتم تعملونه في الدنيا (ان أصحاب الجنة) أى أهل الجنة (اليوم) وهو يوم القيامة (في شغل) أى شأن يشغلهم عما سواه (فاكهون) أى متلذذون في النعمة كالتراور وضيافة الله واقتضاها البكار وضرب الاوتار وسماعه (هم وأزواجهم في ظلال) يجدون فيها برد الاكاد وفاية المراد (على الارائك) أى السرر المزينة بالثياب والستور التي هي داخل الجمال (متكثرون) أى جالسون مع التمكن أو الميل على شق وفي هذا إشارة الى الفراغ (لهم فيها) أى الجنة (فاكهة) كثرية من كل نوع من أنواع الفواكه (ولهم) فيها (ما يدعون) أى يشتهون وقال الزجاج أى ما يدعوا به أهل الجنة بأنهم وعلى هذا فيكون الافتعال بمعنى الفعل ويعضده القراءة بسكون الدال (سلام قولاً من رب رحيم) أى سلام عليهم أخص قولاً من رب رحيم وعلى هذا فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ كما في قوله تعالى وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى أحسن الى عباده المؤمنين كما أحسن الى عباده المرسلين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فينظروا اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى ويقال للمشركين انفردوا اليوم أيها المجرمون عن المؤمنين حين يسار بهم الى الجنة اذ لا دواء لكم ولا شفاء لسقمكم (ألم أعهد اليكم) أى ألم أوص اليكم (يا بني آدم) على لسان رسلي (أن لا تعبدوا الشيطان) أى تطيعوه (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة فاذا جاءك شخص يأمرك بشيء فانظر اما أن يكون ذلك موافقا لامر الله أولا فان لم يكن موافقا له فذلك الشخص معه الشيطان يأمرك بما يأمرك به فان أطعته فقد عبدت الشيطان وان دعته نفسك الى فعل فانظرا هو مأذون فيه من جهة الشرع أولا فان لم يكن مأذونا فيه فنفسك هي الشيطان أو معها الشيطان يدعوك فان اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يأمر أولا بمخالفة الله ظاهر اثنى أطاعه فقد عبده ومن لم يطعه فيقول له اعبد الله كي لا تهان ويرتفع شأنك عند

الناس وينتفع بك اخوانك فان اجاب اليه فقد عبده (وان اعبدوني) أى اطيعوني موحدين بي (هذا) أى التوحيد (صراط مستقيم) أى طريق قريب آمن فاسلمكوه وفي ضمن قوله تعالى هذا صراط اشارة الى ان الانسان ماري الدنيا لانه مقيم فيها (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أى وبالله لقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقا كثيرا قبلكم عن ذلك الصراط المستقيم الذى أمرتكم بالشباب عليه فأصابهم لاجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة (أفلم تكونوا تعقلون) أى أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها الضلالة لهم أو أفلم تكونوا تعلمون ما صنع الشيطان بهم وقرأ نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وسكون الموحدة والباقون بضمها واللام مخففة (هذه جهنم التى كنتم توعدون) أى كنتم توعدون بها فى الدنيا على السنة الرسل عليهم السلام عقابا لعبادة الشيطان وبهذا يخاطب الكفار بعد تمام التوبيخ عند اشرافهم على شفير جهنم (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أى ادخلوها جهنم من فوق وقاسوا فانون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا بأيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) أى يعملون من الشر روى انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون ينكرون كفرهم فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فيختم الله على أفواههم وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيقررون بذنوبهم ولا يقدرون على الانكار فكل عضو ينطق بما صدر منه فشهادتهم هو اقرارهم (ولونشاء لطمسنا على أعينهم) أى ولونشاء ان نطمس على أعينهم لمسخنا أعينهم حتى تصير مسوحة بحيث لا يمدو لها جفن ولا شق (فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) أى فلو أرادوا سبلوا الطريق الواضح المألوف لهم لا يقدرون عليه ولما أراد ان يقدروا فى قدرتنا ازالة نعمة البصر عنهم فيصيروا هميا لا يقدرون على التردد فى الطريق لمصالحهم ولكن أبقينا عليهم نعمة البصر فضا لا وكرما لحقهم ان يشكروا عليها ولا يكفروا فهذا توبيخ لهم كمال توبيخ (ولونشاء لمسخناهم على مكائهم) وقرأ شعبة مكانهم على الجمع (فما استطعوا مضيأرا لا يرجعون) أى ولونشاء لمسخناهم حولنا صورهم وأبطلنا قواهم فى منازلهم فلا يقدرون أن يبرحوا مكانهم باقبال ولا ادبار ولا يرجعون الى الحال الاول وعن ابن عباس أى حولناهم قردة وخنازير وقيل أى حولناهم حجارة وعن قتادة أى لا بعدناهم على أرجلهم وأزمنناهم (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) أى ومن نطل عمره اطالة كثيرة نقلبها فى خلق جسده وقواه الباطنية فكل منها ما يقلب حاله فيرجع من القوة الى الضعف حتى صار كأنه طفل وقرأ عاصم وحزرة بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة والباقون بفتح الاولى وتسكين الثانية وضم الكاف (أفلا يعقلون) أى أيرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على الطمس والمسح وان عدم ايقاعهم العدم تعلق مبيته تعالى بهما وقرأ نافع وابن ذكوان تعقوب بالخطاب (وما علمناه الشعر) أى وما علمنا محمد الشعر وليس القرآن بشعر وهذا رد لما كانوا يقولون فى حقهم صلى الله عليه وسلم من ان محمد اشاعر وما يقوله شعر (وما ينبغى له) أى وما كان الشعر يليق به صلى الله عليه وسلم ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى مراعاة اللفظ والوزن فالشارع يكون اللفظ منه تبع للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبع للفظ لانه يقصد لفظا يصح به وزن الشعر أو قافيته فيحتاج الى التحميل لمعنى يأتى به لاجل ذلك اللفظ ولو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ وانما قصده المعنى فجاء على تلك الالفاظ

(ان هو الاذكر) أى ما القرآن الاعظة من الله تعالى للثقلين (وقرآن) أى كتاب جامع للاحكام كلها
 (مبين) أى ظاهره انه ليس من كلام البشر (لينذر) أى محمد كما يدل له قراءة نافع وابن عامر بالتاء على
 الخطاب أو القرآن (من كان حيا) أى عاقلا منهما أو مؤمنا في علم الله تعالى وتخصيص الانذار به لانه
 المنتفع به (ويحقق القول على الكافرين) أى ولتثبت كلمة العذاب على المصيرين على الكفر أو وليثبت
 القول في الوحدة والرسالة والحشر وسائر المسائر الدينية على كفار مكة فان في القرآن ذكر الدلائل
 التي تثبت بها المطالب (أو لم يروا) أى ألم يتفكروا ولم يعلموه علما يقينا (أنا خلقناهم) أى لاجل
 انتفاعهم (عما علمت أيدينا) أى عما علمناه بقدرتنا وارادتنا (لنعلمهم) هى الابل والبقر والغنم وهو
 مفعول خلقنا (فهم لهم المالكون) بتليكها ايهم لها بحيث يتصرفون فيها بوجوه التصرفات (وذللناها
 لهم) أى صيرناها منقادا لهم بحيث لا تستعصى عليهم فى شئ مما يريدون بها (فنهركوبهم) أى
 فبعض منها مركوبهم (ومنها ياكلون) أى وبعض منها ياكلون لحمه (ولهم فيها) أى الانعام
 (منافع) غير المركوب والا كل كالجلود والاصواف والا يارب والنسل والحرث عليها والحمل (ومشارب)
 من ألبانها (أفلا يشكرون) أى أيشاهدون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها فيعبودونه (واتخذوا
 من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أى وعبد كفار مكة من غير الله أصناما لاجل أن ينصروهم من
 عذاب الله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) أى لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم لهم جند محضرون)
 أى والمشركون لآلهتهم بمنزلة الجند فهم قائمون بين أيديهم كالعبيد ويخدمونها ويغضبون لها فى الدنيا
 أو المعنى وآلهتهم وهى الأصنام جند للعبدين محضرون معهم فى النار فلا يدفع بعضهم عن بعض ويقال
 والمشركون جند لآلهتهم يشيعونها عند مساقها الى النار (ولا يحزنك) يا أشرف الخلق (قولهم) أى
 تكذيبهم اياك وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاى وهو لغة بنى تميم اما القراءة المشهورة التى هى بفتح
 الياء وضم الزاى فهى لغة قریش (انا نعلم ما يسرون) من النفاق أو من العلم بك أو من العقائد الفاسدة
 (وما يعلنون) من الشرك أو من الكفر بك أو من الافعال القبيحة أى انا لنجازيهم بجميع جنائياتهم
 الخافية والبادية (أو لم ير الانسان) أى ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينا (أنا خلقناه من نطفة)
 قدرة خسية (فإذا هو خصيم) أى ناطق بالباطل (مبين) أى مبين النطق فى نفى البعث (وضرب
 لنا مثلا) أى أورد الانسان فى شأننا أمرا عجيبا وهو انكاره قدرتنا على احياء الموتى مع شهادة العقل
 والنقل فى ذلك (ونسى خلقه) أى وترك الانسان ذكر بده خلقه من المني (قال من يحيى العظام
 وهى رميم) أى بالية أشد البلاء بعيدة عن الحياة غاية البعد ونزلت هذه الآيات فى العاصي
 ابن وائل كما نقل عن مجاهد أو فى أبي بن خلف كما قاله عكرمة والسدى أو فى عبد الله بن أبي كنانة
 عن ابن عباس أو أمية بن خلف كما حكاه ابن عساکر وروى ان جماعة من كفار قریش تكلموا
 فقال لهم أبى بن خلف ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لا ذهاب اليه
 ولا خصمته فأخذ عظاما باليا فجعل يغتته بيده وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك يا محمد تقول ان
 الهك يحيى هذه العظام فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم (قل) له يا أكرم الرسل
 (يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى يحيى العظام من خلقها من العدم أول مرة من النطفة فكما خلق
 الله الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا (وهو بكل خلق عليم)
 أى فيعلم الله أجزاء الاشخاص المتفتتة المتفرقة فى المشارق والمغارب والتى بعضها فى ابدان السباع

وبعضها في جدران الرباع سواء كانت أجزاء أصلية أو فضلية للأكل أولاً كقول فيعيد الله كلام من ذلك على الخط السابق مع القوى التي كانت قبل ويجمعه وينفخ روحه (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً) والموصول بدل من الموصول الأول أي الذي خلق لأجل منفعتكم ناراً من المرخ والعفار المرخ شجر مريع القدح والعفار بفتح العين شجرة تدح منه النار فمن أراد النار قطع من أغصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء يسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى وهذا قول ابن عباس وقال الحكماء في كل شجر ناراً إلا العناب (فاذا أنتم) يا أهل مكة (منه) أي من الشجر الأخضر (توقدون) فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على إعادة الأجساد بعد فسادها (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) أي أليس الذي أنشأ العظام أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً وليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقدر على أن يخلق مثل الأناسي في الصغر ثم أجاب الله نفسه بقوله (بلى) هو قادر على ذلك (وهو الخلاق العليم) أي وهو كامل القدرة وشامل العلم (أغما أمره) أي شأنه (إذا أراد شيئاً) من الأشياء (أن يقول له كن) أي أن يخلق بذلك الشيء قدرته تعالى (فيكون) أي فيحدث من غير توقف على شيء آخر أصلاً وقرأ ابن عامر والكسائي بالنصب عطف على يقول (نسبحان الذي يسده ملكوت كل شيء) أي تنزه عن الشريك والعجز من قبضته ملكة كل شيء وخزائنه (واليه) لا إلى غيره (ترجعون) بعد الموت فيجز بكم بأعمالكم وقرأ زيد بن علي بالبناء للفاعل

* (سورة الصافات مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة وعشرون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم والصفات) أي والملائكة المناطمات لأنفسها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة أو الصفات أقدامها في السماء لاداء العبادات أو الباسطات أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد (صفا) بديعاً (فالزاجرات) أي الملائكة التي تزجر السحاب أي تأتون بها من موضع إلى موضع أو الزاجرات لبنى آدم عن المعاصي بالالهامات أو الزاجرات للشياطين عن التعرض لبنى آدم بالشر والايذاء وعن استراق السمع (زجراً) بليغاً (فالتاليات ذكراً) أي الملائكة التاليات الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام وغيرهما من التسييح والتقديس والتحميد والتعجيد (إن الهكم) يا أهل مكة (لواحد) بلا شريك إذ لو لم يكن واحداً لاختل هذا الاصطفا في الزجر والتلاوة فكان غير حكيم (رب السموات والأرض) أي مالِكهما (وما بينهما) من الموجودات (ورب المشارق) أي مشارق الشمس فانها ثلاثمائة وستون مشرقاً تشرق الشمس كل يوم من مشرق منها وبجسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها (أنا زينا السماء الدنيا) أي القرب من أهل الأرض (بزينة الكواكب) قرأ أبو بكر عن عاصم يبتنوين زينة ونصب الكواكب أي يترزينها الكواكب في كونها مضيئة حسنة في أنفسها وحزمة وحفص كذلك إلا أنهم ما خفضا الكواكب بدل من زينة والماقون بإضافة زينة إلى الكواكب أي يترزين ضوء الكواكب السماء وقرأ ابن عباس وابن مسعود يبتنوين زينة ورفع الكواكب أي بزينة هي الكواكب أو يترزين الكواكب

فالأول في قوة البدل والثاني في قوة المضاف للفاعل (وحفظا) عطف على زينة باعتبار المعنى أي أنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) أي عال على الله خارج عن طاعته برمي الشهب (لا يسمعون إلى الملائكة) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم أي كي لا يتطلب الشياطين السماع إلى كلام أشراف الملائكة والباقون بسكون السين (ويقذفون) أي يرمون بالشهب (من كل جانب) أي من جميع جوانب السماء إذا قصدوا الصعود إليها (دحورا) أي للطرود (ولهم عذاب واصب) أي دائم بالشهب في الدنيا إلى النفخة الأولى وبالنار في الآخرة (الامن خطف الحطفة) ومن في محل رفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي اختلس الكلمة من كلام الملائكة على وجه المسارة (فأتبعه شهاب ثاقب) أي لحقه شهاب مضي بحرقه أو يحمله أو يقتله (فاستفتم) أي سئل يا أشرف الخلق هؤلاء المنكرين للبعث من مشركي مكة (أهم أشد خلقا) أي أصعب خلقا وأشق أيجادا (أهم من خلقنا) أي أم التي خلقناها من هذه الأشياء أصعب وهي السموات والأرض وما بينهما والمشارك والمغارب والشاطين الذين يصعدون الفلك والملائكة والكواكب والشهب الثواقب (أنا خلقناهم) أي كل إنسان (من طين لازب) أي لاصق لشدة اختلاط بعضه ببعض فإن الحيوان اغمايتولد من المني وهو يتولد من الغذاء ثم النباتات اغمايتولد من امتزاج الأرض بالماء وهو الطين اللازب (بل عجبتم ويسخرون) أي بل عجبتم يا أشرف الرسل من تكذيبهم أياك وهم يسخرون من تعجبك ومن تقريرك للبعث فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم كان يظن أن كل من سمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخر وامنه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي وقرأ حمزة والكسائي عجبتم بضم التاء وهو قراءة ابن عباس وابن مسعود وابراهيم ويحيى بن وثاب والاعمش والمعنى عجبتم من أن ينكروا البعث عن هذه أفعليه وعن كثرت مخلوقاته وكنت قدرته ويسخر وعن مجوز البعث وقال بعض الأئمة معنى قوله بل عجبتم بالضم بل جازيتهم على عجبهم أي أن هؤلاء المنكرين أقروا بأن الله تعالى قادر على تكوين أشياء أصعب من إعادة الحياة إلى هذه الأجساد وقد نقرر في صرائح العقول أن القادر على الأشد يكون قادرا على الأسهل لا يسر مع قيام هذه الحجة البديهية بقي هؤلاء القوم مصرين على إنكار البعث والقيامة وهذا في موضع التعجب الشديد (واذا ذكروا) أي إذا وعظوا بشئ من المواعظ (لا يذكرون) أي لا يمتعون ولا ينتفعون بذلك دلائل صحة البعث لغاية بلادتهم وقصور فكرهم (واذا رأوا آية) أي مجهزة تدل على صدق القائل بالبعث كأنشق القمر (يسسخرون) أي يبالغون في السخرية (وقالوا إن هذا) أي ما هذا الذي يروونه (الاسمحر مبین) أي ظاهر مسخر يته أي أن الرسول أثبت جهة رسالته بالمعجزات ثم قال لما ثبت بهذه المعجزة كوني رسولا من عند الله صادقا فأنأ أخبركم بأن البعث والقيامة حق ثم إن هؤلاء المنكرين لا ينتفعون بهذا الطريق أيضا لأنهم إذا رأوا معجزة بأخرة حملوها على كونها سحر أو استهزأوا منها (أنذا متنا وكنا ترابا وعظما أننا لمبعوثون أو آباء أو الأولاد) وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو وعلى أنها معطوفة على الضمير في مبعوثون والباقون بفتحها على أنها مجهزة الاستفهام دخلت على واو العطف فالمعنى أو تبعث آباءنا ويقال أو آباءنا الأولون مبعوثون أيضا أي أن القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة ريقولون من مات رصار ترابا وتفرقت أجزاؤه في العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد إلى حيث كانوا يستسخرون عن سلك هذا المذهب الحق (قل) لهم تبكيتم (نعم وأنتم دائرون) أي

نعم تبعثون أنتم وآبائكم الأولون حال كونكم وهم ذليلين حقيرين (فأغماهي زجرة واحدة) أي لا تستبعدوا البعث لأنه أغماهي صيحة واحدة (فأذاهم) أي الخلائق قائمون من مرأقدهم أحياء (ينظرون) أي يبصرون كما كانوا ينتظرون ما يفعل بهم (وقالوا) أي الكفار إذا قاموا من القبور (يا ويلنا) أي يا هلا كنا أحضر فهذا أو ان حضورك (هذا يوم الدين) أي هذا اليوم الذي نجازي فيه بأعمالنا (هذا يوم الفصل) أي يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين (الذي كنتم) في الدنيا (به) أي بهذا اليوم (تكذبون) والوقف على ويلنا تام ان جعل هذا يوم الدين من كلام الملائكة جوابا لهم فالعنى هذا يوم جزاء الأعمال وان جعل من كلام الكفار لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويجزون بعملهم فالوقف التام على يوم الدين لان هذا يوم الفصل الى آخره من كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ وقيل هو من كلام بعضهم لبعض فيقول الله للملائكة (أحشروا الذين ظلموا) أي رؤساء الكفار من مقامهم الى الموقف (وأزواجهم) أي أزواجهم ونظراهم من الكفرة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي من غيره من الاصنام ونحوها (فأهدوهم الى صراط الجحيم) أي سوقوهم الى طريق جهنم (وقفوههم) أي أحبسوهم في الموقف أو على النار (انهم مسؤولون) عن عقائدهم وأعمالهم وقيل المراد سألهم خزنة النار بنحو قولهم ألم يأتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام العلة أي قفوههم لاجل سؤال الله ايأهم وتقول لهم خزنة جهنم (مالكم لا تناصرون) أي أي شيء لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا كما قاله ابن عباس وذلك لان أبا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فيقال لهم يوم القيامة مالكم غير متناصرين كما كنتم ترجمون في الدنيا (بل هم اليوم مستسلمون) أي منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسد ادباب الحيل عليهم في دفع تلك المضار (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون) أي يتخاضعون يقول الاتباع غرر غررنا ويقول الرؤساء ألم قبلتم منا (قالوا) أي الاتباع للرؤساء (انكم كنتم تأتوننا) في الدنيا (عن اليمين) أي عن القوة والعهر وتقصدوننا عن الغلبة حتى تحملونا على الضلال أو عن الحلف فان أئمة الكفار كانوا قد حلفوا هؤلاء المستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوقفوا بآيائهم (قالوا) أي الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أي لم غنعمكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي من قهر والمعنى فلا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) أي فالين في معصية الله تعالى (لحق علينا قول ربنا انا لذا نقون) أي فثبت وعيدر بنا اننا لذا نقوا العذاب والمعنى ان الله تعالى لما أخبر عن وقوعنا في العذاب فلم يحصل وقوعنا في العذاب لما كان خبر الله حقا ولما كان خبر الله أمرا تابنا كان الوقوع في العذاب الاليم لازما ولما حق علينا وعيدر بنا واجب ان نكون ذائقين لهذا العذاب (فأغويناكم انا كنا غاوين) أي انا اغما أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية فلا لوم علينا (فانهم) أي الاتباع والمتبوعين (يومئذ) أي يوم القيامة (في العذاب) أي في وقوعهم في العذاب (مشركون) كما كانوا في الدنيا مشركين في الغواية (انا كذلك) أي كما نفعل بعبدة الاوثان (نفعل بالمجرمين) أي المشركين غير هؤلاء كالنصارى واليهود (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أي عبدة الاوثان كانوا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يتعاطمون عن النطق بكلمة التوحيد وعلى من يدعوهم اليها (ويقولون) في تكذيب النبوة (أئننا لتاركوا آل هتنا الشاعرين) أي أننا لتاركوا عبادة آل هتنا

العطش الشديد سقوا من الماء الحار حتى يثد يخط الرقوم بجاه حيم فيقطع امعاءهم نعوذ بالله من ذلك (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) فان الرقوم والجحيم ضيافة تقدم اليهم قبل دخولها وقرئ ان مصيرهم ان منقلبهم (انهم ألفوا آباءهم ضالين) أى انهم وجدوهم ضالين فى نفس الامر (فهم على آثارهم يهرعون) أى فهم يتبعون آباءهم على دينهم اتباعا فى معرفة من غير تدبر أى انما استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدايد بتقليد الآباء فى الدين وترك اتباع الدليل (ولقد ضل قبلهم) أى قبل قريش (أكثر الاولين) من الأمم السالفة (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى أنبياء أولى عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما عليهم فلم يؤمنوا بهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فى كفر قومه وتكذيبهم له ليكون له أسوة بمن تقدم من الرسل ليصبر كما صبروا (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) والمقصود من هذا الخطاب خطاب الكفار وان كان فى الظاهر خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا مع هؤلاء الاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (الاعباد الله المخلصين) بفتح اللام أى الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للإيمان والعمل وبكسرهما أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وهذا استثناء من قوله تعالى كيف كان عاقبة المنذرين فانها كانت أقبح العواقب فانما أهلكتهم الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة لاننا لم نهلكهم أو استثناء من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين الاعباد الله المخلصين أى فانهم لم يضلوا لانهم لم يكذبوا رسلهم (ولقد نادانا نوح) فى أن ننجيه من الغرق أو فى ايداء قومه وقصد هم لقتله (فلنم الجيبون) أى فوالله لنم الجيبون نحن (ونجينا) أى نوحا وأهله من الكرب العظيم) أى الحاصل بسبب الخوف من الغرق أو الحاصل من أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) الى يوم القيامة وكان له ثلاث بنين سام وحام وياث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو الحبش والبربر والسند وياث أبو الترك والتتار ويا جوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين) أى وتركنا على نوح فى الباقين بعد من الأمم هذه السكامة وهى سلام على نوح فى العالمين أى يسلمون عليه تسليما ويدعون له بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا على الدوام أى أثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين فيسلمون عليه بكليتهم (انا كذلك نجزي المحسنين) أى انا مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي السكاكين فى الاحسان (انه من عبادنا المؤمنين) والمقصود من هذا بيان ان أعظم الدرجات الايمان بالله والالتحاق بطاعته (ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه أجمعين (وان من شيعته) أى عن تابعه فى أصول الدين (لأبراهيم) وان اختلف فروع شرائعهما وما كان بينهما الانبياء هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (اذ جاء ربه بقلب سليم) أى اذ قبل ابراهيم الى طاعة ربه بقلب خالص من كل عيب وقال الاصوليون المراد أنه هاش ومات على طهارة القلب من كل دنس المعاصي فيكون سليما عن الشرك والغش والحقد والحسد وعن ابن عباس أنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من غشه وظلمه (اذ قال لا يبه وقومه) ظرف الجاء أو وسلم وأما العامل فى اذا الاولى فهو ما دل عليه قوله تعالى وان من شيعته من معنى المتابعة (ماذا تعبدون) أى أى شئ تعبدونه (أتعبدون آلهة دون الله تريدون) أى تعبدون آلهة من غير الله لاجل الكذب (فما ظنكم برب العالمين) انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له فى العبودية أو انه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة له فى العبودية (فنظر نظرة فى النجوم) أى فى علم النجوم وأراد أن يتخلف عنهم فى عيد يخرجون اليه ليبقى خاليا فى بيت الاصنام فيقدر على كسرهما

ليتركوهم الحجة في أنها غير معبودة وكان قومه يتعاملون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاملون به
ليتركوه ويعذروه في التخلف عنهم (فقال اني سقيم) أي سأسقم سقم الموت لأن من كتب الله عليه
الموت سيقم في الغالب ثم يموت كما قاله الضحاك أو سقيم القلب عليكم لعبادتكم الاصنام وذلك تورية
ليتركوه وقبل انه نظر الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمتي وأشار لهم الى مرض يعدي كالطاعون
وكانوا يهربون من الطاعون (فتولوا عنه مدبرين) أي فارين مخافة العدوى وتركوه وعذروه في أن
لا يخرج اليوم ذاهبين الى عيدهم فكان ذلك مراده وكانوا في قرية بين الكوفة والبصرة يقال لها هرمز
(فراغ الى آلهتهم) أي ذهب الى الاصنام في خفية (فقال) استهزأ بها (ألا تأكلون) أي من
الطعام الذي كانوا يصنعونه عند هاتيك عليه (مالكم لا تنطقون) بجواب كلامي (فراغ عليهم
ضرباً باليمين) أي أقبل عليهم مستغنياضاً بضرباً شديداً قويا (فأقبلوا اليه يرفون) أي انهم لما
رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام وجدوها مكسرة فسألوا عن المكسر فظنوا أنه ابراهيم عليه السلام
فأتوا به يسرعون المشي وقرأ حمزة يرفون بضم الياء أي يحملون غيرهم على الاسراع في المشي (قال) لهم
ابراهيم أي بعد أن أتوا به عليه السلام وطأ ثوبه على كسر الاصنام (أتعبدون ما تفتنون) بأيديكم من
العيدان والحجارة (والله خلقكم وما تعملون) أي والحال ان الله تعالى خلقكم وخلق معمولكم فان
فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان معمولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (فانوا ابنوا له بنين وبناتاً بالقوة في
الجحيم) أي في النار الشديدة الاتقاد قال ابن عباس بنوا حائطاً من حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً
وعرضه عشرون ذراعاً وملؤا ناراً فطرحوا سيدنا ابراهيم فيها (فأرادوا به كيدا) أي شرارحاً بالنار
(لجعلناهم الاسفلين) أي الاذلين بإبطال كيدهم بجعل النار عليه برداً وسلاماً أي ان ابراهيم عليه
السلام في وقت الحاجة حصلت الغلبة له وعندما القوه في النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو الغالب
عليهم (وقال) ابراهيم لما انقضت هذه الواقعة (اني ذاهب الى ربي) أي الى مواضع دين ربي وهي
أرض الشام فالمراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة من الديار (سبيدين) الى ما فيه صلاح ديني فلما هاجر الى
الارض المقدسة أراد الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) أي ولداً من المرسلين فاستجبنا له (فبشرناه)
على لسان الملائكة (بغلام) أي بولد ذكر (حليم) أي ذي حلم كثير وهو اسمعيل عليه السلام
(فلما بلغ معه السعي) أي فوهبنا له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه (قال) ابراهيم
لا اسمعيل عليهما السلام (يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك) أي اني أرى في المنام ما يوجب أن
يذبحك في اليقظة روى أن ابراهيم رأى ليلة التروية في منامه كأن قائلاً يقول له ان الله يأمرك بذيبح ابنك
هذا فلما أصبح تروى في ذلك من الصباح الى الراح آمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فنمى يوم
التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
فسمي يوم النحر (فانظر ماذا ترى) بفتح التاء والراء أي أي شئ تشير الى برأئك وقرأ حمزة والكسائي
بضم التاء وكسر الراء أي الذي ترى من نفسك الصبر والتسليم وقرئ مبنياً للفعل أي ماذا تظن ذلك
الرؤيا (قال) أي ذلك الغلام (يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما أمرت به (ستجدني ان شاء الله من
الصابرين) على قضاء الله وعلى الذبح (فلما أسلما) أي انقادا لامر الله تعالى واتقيا وقال قتادة أسلم
ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه (وتله لليمين) أي أفضجه على جنبه وجواب لما محذوف أي نادته الملائكة
من الجبل يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا حكى ان ابراهيم لما أراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمديقة وانطلق

بنا الى الشعب فاحتطب فلما توسط اشعب ثبير أخبر بما أمر به فقال يا أبت أشد در باطى فى كى لا اضطرب
 واكفف عني ثيابك كى لا يتفجع عليها شئ من دى فتراه أمى فتهزن واستجد شغرتك واسرع امر ابراهيم على
 حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد واقرا على أمى سلامى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل
 فانه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم أقبل عليه
 بقلبه وقدر بطة وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تؤثر شيئا فقال الابن كبنى على وجهى فانك اذا
 نظرت وجهى رحمتنى وأدر كتك رقعة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب
 فعند ذلك نودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فاذ لك قوله تعالى (وناديناه أن يا ابراهيم) فان مفسرة (قد
 صدقت الرؤيا) أى قد أثبت ما أمرت به فى المنام وقد حصل المقصود من تلك الرؤيا (انا كذلك نجزي
 المحسنين) أى كما جزينا ابراهيم وابنه بتفريج الكرب نجزي كل محسن بامثال الامر (ان هذا) أى
 الذبح (لهو البلاء المبين) أى لهو المحنة البينة الصعوبة التى لا محنة أصعب منها (وفديناه بذبح عظيم)
 أى وفديناه اسمعيل بكبش مهين اسمه جرير وهو الكبش الذى تقرب به هابيل الى الله تعالى فقبله وكان
 فى الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به اسمعيل وقال السدى نودى ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش أملح
 انحط من الجبل فقام عند ابراهيم فأخذه فذبحه ثم اعتنق ابنه وقال يا بنى اليوم وهبت لى وروى أنه لما ذبحه
 قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لانه الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر والله
 الحمد فبقى ذلك سنة والغادى فى الحقيقة هو ابراهيم فآله هو المعطى له والآمر به (وتركنا عليه فى
 الآخرين سلام على ابراهيم) أى وتركنا على ابراهيم فى الباقيين من الامم هذه الكلمة والمعنى أثبت الله
 التسليم على ابراهيم وأدامه فى الآخرين فيسلمون عليه أى يدعون له بثبوت هذه التحية (كذلك نجزي
 المحسنين) أى مثل ذكره الجميل فيما بين الامم نجزي المحسنين بالثناء الحسن (انه) أى ابراهيم (من
 عبادنا المؤمنين) أى الراغبين فى الايمان (وبشرناه) أى ابراهيم (بامحق نبيا من الصالحين) أى
 مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين فالصلاح غاية للنبوته (وباركنا عليه وعلى اسحق) أى أبقينا
 الثناء الحسن على ابراهيم واسحق الى قيام القيامة وأخرجنا جميع أنبياء بنى اسرائيل من صلب اسحق
 (ومن ذريتهم ما يحسن) بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) أى ظاهر
 ظلمه (ولقد مننا على موسى وهرون) أى أنعمنا عليهما بمنافع الدنيا كالحياة والعقل والهمة وبنافع
 الدين كالعلم والطاعة وأعلى هذه الدرجات النبوة (ونجيناهما وقومهما) وهم بنو اسرائيل (من الكرب
 لعظيم) من الغرق الذى أغرق الله به فرعون وقومه ومن ايداه فرعون (ونصرناهم) على فرعون وقومه
 (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم بظهور الحجّة ثم بالرفعة (وآتيناهما الكتاب المستبين)
 أى البليغ فى البيان وهو التوراة فانه كذب مشتمل على جميع العلوم التى يحتاج اليها فى مصالح الدين
 والدنيا (وهديناهما الصراط المستقيم) أى دللناهما على طريق الحق عقلا ومعها وأمددناهما بالتوفيق
 والهمة (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون) أى وتركنا عليهما فى أمة محمد صلى
 الله عليه وسلم قولهم سلام على موسى وهرون أى دعاهم لهم بثبوت هذه التحية (انا كذلك) أى مثل
 الجزاء الكامل (نجزى المحسنين انهم امن عبادنا المؤمنين) وهذا تنبيه على أن الفضيلة الحاصلة بسبب
 الايمان أعلى من كل الفضائل ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل المرسلين بكونهم من المؤمنين (وان الياس لمن

(المرسلين) وهو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى عليهم السلام وهو نبي من أنبياء بني اسرائيل
 قال ابن عباس وهو ابن عم اليسع عليهما السلام (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا)
 أى أتعبدون بعلا وهو اسم صنم لاهل بل قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكانوا
 عظموه حتى جعلوا له أربع مائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم
 بشرية الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبعلمك سميت
 مديتهم (وتذرون أحسن الخالقين) أى وتركون عبادة أعظم المصورين (الله ربكم ورب آبائكم
 الاولين) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على البدل والباقون بالرفع على الاستثناف
 (فكذبوه) أى الياس (فأنهم) بسبب تكذيبهم (لمحضرون) (النارغدا) (الاعباد الله المخلصين) فى التوحيد
 والعبادة وهذا الاستثناء من الواو فى فكذبوه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ال ياسين) أى وتركنا
 عليه فى الآخرين دعاءهم له بموت التسليم قرأ نافع وابن عامر ويعقوب بفتح الهمزة ممدودة وكسر اللام على
 اضافة لفظ ال الى لفظ ياسين والمراد به الياس بن ياسين كان الياس آل ياسين والباقون بكسر الهمزة
 وسكون اللام كما يقال ميكال وميكائيل وميكالين فكذا هيها يقال الياس وال ياسين كذا قال الزجاج
 (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا من المرسلين) الى قومه (اذ نجيناها وأهلها)
 ابتئيه زاعوا ورينا (أجمعين) (الاعجوزا فى الغابرين) أى الامرأته المنافقة تخلفت مع المخلفين
 بالهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أى أهلكننا من بقى بعد لوط وابتئيه (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون
 عليهم) أى على قريات قوم لوط سدوم وعمورا وصبور او دودوما (مصحين وبالليل) فان أهل
 مكة كانوا يسافرون الى الشام والمسافر فى أكثر الامر انما عشى فى الليل وفى أول النهار فل هذا السبب عين
 الله تعالى هذين الوقتين (أفلات تعقلون) أى أتشاهدون ذلك فليس فيكم عقول تعتبرون به وتخافون ان
 يصيبكم مثل ما أصابهم (وان يونس لمن المرسلين اذ أبى) أى هرب من قومه بغير اذن ربه (الى الفلك
 المشحون) أى الى السفينة الموقرة (فساهم) أى قارع فى السفينة (فكان من المدحضين) أى
 فصار من المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) يقال له لحم (وهو ملجم) أى مستحق اللوم (فلولا
 أنه كان من المسبحين) أى كان يقول فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أو كان
 قبل أن التقمه الحوت من المصلين (للبث فى بطنه) أى ذلك الحوت (الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراب)
 أى أمرنا الحوت بلغظه بالمكان الخالى مما يغطيه من شجر أو نبت قال جعفر بشاطىء دجلة وقيل بأرض
 الين حكا ابن كثير روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم
 يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلغظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا (وهو سقيم) أى مريض صار به كبدن
 الطفل حين يولد (وأبتئنا عليه شجرة من يقطين) أى من قرع وخص الله القرع لانه يجمع برد الظل
 ولين الملس وكبر الورق وان الذباب لا يقربه فان جسد يونس حين ألقى على الارض الواسعة لم يكن يتحمل
 الذباب قال مقاتل بن حبان كان يونس عليه السلام يستظل بالشجرة وكانت وعلة تتردد اليه فيشرب من
 لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لجه ونبت شعره (وأرسلناه) الى قوم بني نوى وهى قرية من أرض الموصل (الى
 مائة ألف أو يزيدون) قال ابن عباس ان أو بعنى الواو وقد قرئ بالواو (فآمنوا) بعد ما شاهدوا علائم حلول
 العذاب ايماننا خالصا (ففتنناهم) بالحياة الدنيا (الى حين) أى الى الوقت الذى جعله الله أجلا لكل واحد
 منهم أى ان أولئك القوم لما آمنوا أزال الله عنهم الخوف وأمنهم من العذاب (فاستغفروهم) أى سئل بعض

أجناس العرب عن قالوا الملائكة بنات الله كبنى ملح وبخى سلمة وجهينة وخزاعة (أربك البنات) اللاتي
هن أوضاع الجنسين (ولهم البنون) الذين هم أرفعهم ما فان ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل
(أم خلقنا الملائكة انا نأمرهم شاهدون) أي بل أخلقناهم انا نأمرهم حال انهم حاضرون حيثنذ (ألا انهم من
افكهم) أي كذبهم (ليقولون ولد الله) فعل وفاعل حيث قالوا الملائكة بنات الله وقرئ ولد الله على أنه خبر
مبتدأ محذوف أي الملائكة ولد الله (وانهم لا كذبون) في مقالتهم ذلك كذبا بينا (أصطفى البنات على
البنين) بفتح الهمزة وهي استفهام انكار وتقرير مع أي أأختار الله الاتا على الذكور (مالكم كيف
تحكمون) بهذا الحكم الجائر وهو انهم نسبوا أخص الجنسين الى الله تعالى وأحسنهما اليهم فالاول استفهام
انكار عما استقر لهم والثاني استفهام تعجب من هذا الحكم (أفلاتنكرون) أي ألا تلاحظون ذلك فلا
تتعظون به (أم لكم سلطان مبين) أي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله
(فأتوا بكتابكم) الذي دل على صحة دعواكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم (وجعلوا بينه) تعالى (وبين
الجنة نسبا) أي ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى هو الخالق الكريم وابليس
هو الشرير اللئيم ويقولون ابليس مع الله شريك فالله خالق الخير وابليس خالق الشر وهو مذهب الجوس
القائلين بيزدان وأهرمن (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي ولقد علمت الشياطين ان الله تعالى
يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا شركاء لله في استحقاق العبادات لما عذبهم ثم نزه الله نفسه عما قالوا
من الكذب فقال (سبحان الله عما يصفون) أي عما يقولون من الكذب (الاعباد الله المخلصين)
أي لكن عباد الله المخلصين الله بالاعتقاد والعبادة فانهم لا يكذبون على الله وينزهون الله تعالى عما يصفه
به تعالى الكاذبون وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة مناسبة فهو عند الله مخلص من الشرك (فانكم
وماتعبدون ما أنتم عليه بغاوتين الا من هو صال الجحيم) أي فانكم ومعبوديكما أيها المشركون لستم
بغاوتين عليه تعالى بافساد عبادة واضلالهم الا أصحاب النار الذي سبق في علم الله كونهم من أهل النار
فانهم يصرون على الكفر بسوء اختيارهم وهذا استثناء مفرغ وقرأ العامة صال الجحيم بكسر اللام لانه
منقوص حذف منه لام كلمته لالتقاء الساكنين وقرأ الحسن بضم اللام وسقوط الواو لالتقاء الساكنين
ومن موحد اللفظ مجموع المعنى (وما من الا له مقام معلوم) أنزل الله تعالى هذه الآية حكاية عن قول
الملائكة وهي حكاية لا عتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم أي وما من ملك الا له مكان معلوم في
العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وقالت طائفة رضى الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما في السماء
موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم (وانا نحن الصافون) في أداء الطاعة ومنازل الخدمة (وانا نحن
المسبحون) أي المتزهدون لله تعالى عما لا يليق به تعالى (وان كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين
لكننا عباد الله المخلصين) أي ان مشركي قريش وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا كتابا من كتب الاولين
الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا للعبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ثم جاءهم الذكر الذي هو
سيد الاذكار والكتاب الشاهد على كل الكتب وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) عاقبة
هذا الكفر والتكذيب (ولقد سمعتم كلماتنا للعبادنا المرسلين) أي ربنا لله لقد سبق وعدنا لهم وهو
(انهم لهم المنصورون) بالحجة (وان جندنا) وهم اتباع المرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم في
الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهم ازمهم في بعض المشاهد فان أساس أمرهم النصر وان وقع في
تضاعيف ذلك شوب من المحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا

نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وقرئ كلمائنا (فتول عنهم حتى حين) أي أعرض عن كفار مكة إلى مدة يسيرة تؤمر فيها بجهادهم (وأبصرهم) وما يقضي عليهم من القتل والأسرى في الدنيا ومن العذاب في الآخرة (فسوف يبصرون) ما يقع عليهم من الأمور (أفبعذابنا يستجلبون) روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا على سبيل الاستهزاء متى هذا الموعد فنزل (فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) أي فإذا نزل العذاب بقربهم فبئس صباح المنذرين صباحهم روى أن رسول صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين إلى منازعهم ومعهم المساحي قالوا الحمد والحمد ورجعوا إلى حبيبتهم فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين والصباح هو وقت نزول العذاب وإن وقع ليلاً وقرئ نزل بتشديد الزاي وبالباء للمفعول (وتول عنهم حتى حين) أي أعرض عنهم إلى يوم بدر أو إلى فتح مكة (وأبصر فسوف يبصرون) أي يبصرون ذلك مع ما قدر لك من النصر (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وهذه كلمات محتوية على أقصى الدرجات في معرفة الله العالم فلفظة سبحان تنزيهه عما لا يليق بصفات الألوهية والربوبية دالة على كمال الرحمة والحكمة والعزة إشارة إلى كمال القدرة وهي دالة على أنه تعالى قادر على جميع الحوادث ومنزه عن الشريك والظهير في الألوهية (وسلام على المرسلين) وهذا اللفظ يدل على أنهم في الكمال اللائق بالبشر فاقوا غيرهم فحب على كل من سواهم الاقتداء بهم (والحمد لله رب العالمين) على نجات الرسل وسلامة الحال بعد الموت فآله تعالى غني والغني الرحيم لا يعذب

(سورة ص ويقال لها سورة داود مكية وهي ست وثمانون آية وسبع مائة واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وتسعة وتسعون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم ص) قيل أنه مفتاح أسماء الله تعالى التي أولها صادق ولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد وقيل معناه صدق محمد في كل ما أخبر به عن الله تعالى (وانقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف أو ذي البيان ففيه قصص الأولين والآخرين (بل الذين كفروا) من رؤساء قريش (في عزة) أي استعجابوا وامتناع من متابعة الغير (وشقاق) أي اظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليه التنبيه له من دواعي الإيمان (كم أهلكنا من قبلهم) أي قريش (من قرن) أي أمة ماضية (فنادوا) بالاستغاثة عند نزول عذاب لينجموا من ذلك (ولات حين مناص) أي والحال أنه ليس الحين حين منجاء وغوثاً (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي وعجب قريش من أن جاءهم رسول من جنسهم وأنكره أشد الانكار فقالوا إن محمداً سار لنا في الحلقة الظاهرة والباطنة والنسب فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العان (وقال الكافرون) أي المتوغلون في الكفر (هذا) أي محمد (ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسند به إلى الله تعالى من الأرسال والآنزال (أجعل الآلهة الها واحداً) بأن في الألوهية عنهم وقصرها على واحد (إن هذا) أي القول بالوحدانية (لشيء عجاب) أي بليغ في التعجب روى أنه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحاً شديداً وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء فجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك

السؤال فلتل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنوا وارضوا ذكر
 آلهتنا وندعنا والهل فقال صلى الله عليه وسلم لم أرايتم ان أعطيتمكم ما سألتكم أن تعطوني أنتم كلمة واحدة
 تملكون بها العرب وتدين لکم بها الأجم قالوا نعم فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة لها
 واحد كيف يكفيننا الله واحد في حوائجنا كما يقول محمدان هذا الشيء عجب وقرئ عجب بالعجب والتشديد
 (وانطلق الملائمة) أي انطلق الرؤساء من قريش عتبة بن أبي معيط وأبو جهل والعاصي بن وائل
 والاسود بن المطلب والاسود بن يغوث عن مجلس أبي طالب (أن امشوا) وقرأ ابن أبي عبلة بحذف أن
 أي قال بعضهم لبعض اذهبوا (وأصروا على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشيء
 يراد) أي ان نفي آلهتنا الشيء يراد من جهة محمد ليس تولى علينا فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد أو ان
 الصبر على عبادة الآلهة شيء يراد أن لا تنفل عنه (ما معناه هذا) أي التوحيد (في الملة الآخرة) أي
 في ملة عيسى عليه السلام كما قاله ابن عباس ومحمد بن كعب أوفى ملة قريش كما قاله مجاهد أي ما معناه عن
 أسلافنا القول بالتوحيد (ان هذا الاختلاق) أي ما هذا الذي يقوله محمد الاختلاق من عند نفسه
 (أ أنزل عليه الذكر من بيننا) أي أنزل على محمد القرآن ونحن رؤساء الناس وأشرافهم فكيف يعقل
 أن يختص هو بهذه الدرجة العالية (بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب) أي انكار كفار
 مكة للقرآن ليس عن علم بل هم في شك منه وسببه انهم لم يذوقوا عذاب فأنهم لو ذاقوه لا يقنوا بالقرآن
 وآمنوا به وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز
 الوهاب) أي بل أعندهم خزائن رحمة ربك من النبوة والكتاب فيعطونهم ما من شاؤا بجملة قضى آرائهم
 والمعنى ان النبوة منصب عظيم عطية من الله تعالى فالقادر على هبتها يجب ان يكون كامل القدرة عظيم
 الجود فلم تتوقف هبته لهذه النعمة على كون الموهوب منه غنيا أو فقيرا ولم يختلف ذلك بسبب ان أعداءه
 يحبونه أو يكرهونه فهو تعالى الغالب الذي لا يغلب وهو الوهاب فله ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء (أم لهم
 ملك السموات والارض وما بينهما) أي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتحكموا في
 التدابير الالهية التي ينفرد بها رب العزة (فليرقوا في الاسباب) أي ان كان لهم ذلك الملك فليصعدوا في
 طرق السموات التي يتوصل بها الى العرش حتى يدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون (جند
 ما هنالك مهزوم من الأحزاب) وجند خبر مبتدأ محذوف وما من يذو للتحقير أو صفة له وهنالك ظرف للمهزوم
 ومهزوم صفة ثانية لجندوم من الأحزاب صفة ثالثة لجند أي هم جند ضعيفون من المتحزبين على رسول الله
 سيصرون مهزومين في الموضع الذي ذكر وافية تلك الكلمات وذلك الموضع هو مكة وذلك الانهزام يوم
 فتح مكة فكيف يكونون مالكي السموات والارض وما بينهما ومن أين لهم التصرف في الامور الربانية
 (كذبت قبلهم) أي قبل قومك يا أكرم الرسل (قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) كان ينصب
 الخشب في الهواء وكان يدي المعذب ورجليه الى تلك الخشب الاربع ويضرب على كل واحد من هذه
 الاعضاء وتد او يتركه في الهواء الى أن يموت وقال مجاهد كان يعد المعذب مستلقيا بين أربعة أوتاد في
 الارض يشدر جلبيه ويديه ورأسه على الارض بالاوتاد قال السدي ويرسل عليه العقارب والحياة وقيل
 ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيرى الالهة عظمى النعم وكانوا يكثر من الاوتاد لاجل الخيام
 فعرف بها (وغودو قوم لوط وأصحاب الأيكة) أي الأشجار المجتمعة من قوم شعيب عليه السلام
 (أو تلك الأحزاب) أي للذين تحزبوا على أنبيائهم عليهم السلام (ان كل الاكاذب الرسل) أي ما كل

حزب منهم الا كذب الرسل كما كذبك قومك (لحق عقاب) أى فوقع على كل منهم عقابي فأهلك الله قوم
 نوح بالغرق والطوفان وقوم هود بالريح وفرعون مع قومه بالغرق وقوم صالح بالصيحة وقوم ذوط بالحسف
 وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة) أى وما ينتظر كفار مكة ان كذبوك
 الا نفخة ثانية (مالها من فوق) أى من توقف وقرأ حمزة والكسائي بضم الفاء (وقالوا ربنا) بطريق
 الاستهزاء عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة (عجل لنا قطننا) أى حطنا من العذاب الذى توقعناه
 (قبل يوم الحساب) ولا تؤخره الى يوم الحساب الذى مبدؤا النفخة الثانية وقيل انهم قالوا ذلك حين ذكر الله
 فى كتابه فأما من أوتى كتابه يمينه وأما من أوتى كتابه بشماله فالعنى عجل لنا صهيفة أعمالنا قبل
 يوم الحساب لننظر ما فيها ولنعلمه وقيل لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين بالجنة
 فقالوا ذلك على سبيل السخرية فالعنى عجل لنا نصيبنا من الجنة التى تقول فى الدنيا وذلك لانهم كانوا فى
 ضاية الانكار للقول بالنشر والحشر ولما بالغوا فى السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى
 بالصبر على سفاقتهم فقال (اصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة والوقف هنا تام
 (واذ كرم عبد نادود ذا الاید) أى ذا القوة على أداء الطاعة وعلى الاحتراز عن المعاصي (انه أبواب)
 أى رجاء فى أموره كلها الى طاعتنا (انا مخزننا الجبال معه) بطريق الاقتداء به فى عبادة الله تعالى
 (يسبحن بالعشي والاشراق) أى يقصدن الله تعالى بخلق الله تعالى فيها الكلام فكان داود يسبح عقب
 صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (والطير محشورة) أى ومخزننا الطير محشورة قال ابن عباس
 رضى الله عنهما كان داود اذا سجد جاور به الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسجدت معه واجتماعها
 اليه هو حشرها فيكون حاشرها هو الله وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية (كل له
 أبواب) أى كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيح داود رجاء الى التسبيح أى كلما رجع داود الى
 التسبيح جاور به وبهذا اللفظ فهم نادوا بأم تلك الموافقة (وشددنا ملكه) بالهيبة وكثرة الجنود عن ابن
 عباس رضى الله عنهما ماله كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل فاذا أصبح قيل ارجعوا فقد
 رضى عنكم نبي الله وعن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا دعى عند داود على رجل أخذ منه بقرة فأنكر
 المدعى عليه فقال داود للمدعى أقم البينة فلم يقمها فرأى داود فى منامه ان الله يأمره أن يقتل المدعى عليه
 فتأخر داود وقال هو منام فأتاه الوحي بعد ذلك فى اليقظة فأحضر المدعى عليه وأعلمه ان الله أمره بقتله فقال
 صدق الله انى كنت قتلت أباهذا الرجل غيلة فقتله داود فقال الناس ان أذن أباهذا نبأ أظهره الله عليه
 فها هو وعظمت هيبة فى القلوب فهذه الواقعة شددت ملكه (وآتيناه الحكمة) أى النبوة وكمال العلم
 واتقان العمل (وفصل الخطاب) أى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل (وهل أناك نبأ الخصم)
 أى خبر خصم داود (اذ تسوروا المحراب) أى اذ أتوا البيت الذى كان داود يدخل فيه ويستغل بطاعة
 ربه من أعلاه أى تصعدوا حائطه المرتفع (اذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا تخف خصمان) روى
 ان جماعة من الأعداء طمعوا فى ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويستغل
 بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة فى ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلم ادخلوا عليه وجدوا عنده أقواما يعونه
 منهم نخافوا فوضعوهم كذبا فقالوا لخصمان أى نحن فريقان الى آخر القصة فعلم عليه السلام غرضهم
 فهم بان ينتقم منهم (بغى بعضنا) أى تطاول (على بعض) جئناك لتقضى بيننا (فاحكم بيننا
 بالحق) أى بالامر الذى يطابق الحق (ولا تشطط) أى لا تجر فى الحكومة (واهدنا الى سواء

الصراط) أى دلنا الى وسط طريق الحق (ان هذا أخى) فى الدين أوفى العهبة (له تسم وتسعون
 نهجة) أى اننى من الضأن (ولى نهجة واحدة فقال أـ كفلنيها) أى اجعلنى أكفلها كما كفل
 ماتحت يدي (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى الكلام بان جاء بمحتاج لم أقدر على رده وقرى وعازنى
 أى غالبنى (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نهجتك الى نعاجه) أى والله لقد ظلمك أخوك بسؤال
 اضافة نهجتك الى نعاجه (وان كثير من الملطأ) أى الشركاء الذين خلطوا أموالهم (ليبنى بعضهم)
 أى ليتعدى (على بعض) فلم يراع لحق العهبة والشركة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم
 فانهم يتحامون عن الظلم (وقليل ما هم) أى وهم قليل وما مزيدة للتعجب من قلتهم (وظن داود انما
 فتناء) وما كافة زائدة أى وظن داود ان فتناء بهذه الواقعة لا ما جارية بحرى الامتحان فتنبه عليه السلام
 لذلك (فاستغفر ربه) مما هم به من الانتقام منهم وقيل ان دخولهم على داود كان فتنه له الا انه عليه
 السلام استغفر لذلك الداخلى العازم على قتله وقيل ان أوريا كان قد خطب المرأة فأجابوه ثم خاطبها داود
 فى حال غيبة أوريا فى غزاته فزوجت نفسها منه عليه السلام بلالته وعلى هذا فعنى وعزنى فى الخطاب
 أى غلبنى فى خطبة المرأة وقيل كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق امرأته
 حتى يتزوجها اذا أعجبتته وكان دارد عليه السلام ما زاد على قوله لا ور يا نزل الى عن امرأتك وذلك انه
 وقع بصره على تلك المرأة من غير قصد فأحبها ومال قلبه اليها فسأل زوجها النزل عنها فاستحيما ان يرده
 عليه السلام ففعل قتر وجهها وهى أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا فى شريعته معتادا فيما بين
 الناس غير محلل بالمروءة وعلى هذا فعنى أكفلنيها أنزل الى عن تلك النهجة الواحدة واعطنيها فعوتب داود
 بشيئين أحدهما خطبته على خطبة أخيه المؤمن والثانى اظهار الحرص على الزوج مع كثرة نسائه وهذا
 وان كان جائزا فى الشريعة الا انه لا يلىق بجناحه عليه السلام فان حسنات الابرار سيئات المقر بين وقيل
 ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك
 بسؤال نهجتك الى نعاجه فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت
 بهذه الوجوه نزاهة داود عليه السلام مما نسب اليه من السكائر واغما يلزم فى حقه ترك الافضل والاولى
 والله أعلم وكان داود استغفر ربه منه (وخررا كعها) أى سقط داود للسجود مصليا فسكانه أحرم بر كعتي
 الاستغفار (وأنا ب) أى أقبل الى الله تعالى بالتوبة وروى انه عليه الصلاة والسلام بقى ساجدا أربعين
 يوما وليس له لا يرفع رأسه الا للصلاة مكتوبة أو لما لا بد منه ولا يرقأ معه حتى نبت العشب منه الى رأسه
 ولا يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهه نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل
 بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشاء على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه أهل الزبيغ من
 بنى اسرائيل فلما غفر له حارب به فهزمه قال الحسن وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف
 الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان
 داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسار واذا ذكر رحمة الله تراجعت (فغفرنا له
 ذلك) أى ما استغفر منه (وانه عندنا لوفى) أى لقربة فى الدرجات بعد المغفرة (وحسن ما ب) أى
 حسن مرجع فى الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) أى نبيا ملكا على بنى اسرائيل نافذ
 الحكم عليهم (فاحكم بين الناس بالحق) أى بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة
 الحقية الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه اما اذا كانت أحكام

السلطان القاهر على وفق هواه ولطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه وذلك يقضى الى تخريب العالم ووقوع المخرج والمرج في الخلق وذلك يقضى الى هلاك الملك (ولا تنسج الهوى) أى هوى النفس في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا (فيضلك عن سبيل الله) أى ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وهو يوجب سوء العذاب لان الهوى يدعو الى الاستغراق في اللذات الجسمانية وهو يمنع من الاشتغال في طلب السعادات الروحانية (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أى عن الايمان بالله وعن طاعة الله (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بنسيانهم يوم الحساب أى بتركهم الايمان بذلك اليوم وتركهم العمل لذلك اليوم (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) أى عبثا جزافا بلا أمر ولا نهى وهذه الآية تدل على كونه تعالى خالق الالامال لانها حاصلة بين السماء والارض فوجب أن يكون الله تعالى خالقها وهذه الآية تدل أيضا على الحشر والنشر والقيامة وذلك لانه تعالى خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يقال انه تعالى خلقهم لالانففاع ولا لالاضرار فهذا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين أو لالاضرار فهذا باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم أو للانففاع وذلك اما أن يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة فان كان الانففاع في حياة الدنيا فهو باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل المضار الكثيرة للمنفعة القليلة لا يليق بالحكمة فثبت القول بوجود حياة أخرى بعد الحياة الدنيوية وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة فثبت بما ذكرنا انه تعالى ما خلق السماء والارض وما بينهما باطلا واذا لم يكن خلقهما باطلا كان القول بالحشر والنشر لازما وكل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكيا في حكمته انه تعالى في خلق السماء والارض وهذا هو المراد من قوله تعالى (ذلك) أى خلق ما ذكر لا لاجل الامر والنهى ولا لاجل الثواب والعقاب (ظن الذين كفروا) بأمر البعث والجزاء (قويل للذين كفروا من النار) أى فشد العذاب للذين كفروا بالبعث بعد الموت بسبب النار المترتبة على ظنهم ان لا بعث ولا حساب وذلك نفى لحكمة الله تعالى في خلق السماء والارض وفي أمره تعالى ونهيه (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) أى بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في أقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث والجزاء لا يستواء القرينين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أو فرحظا من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى أعلا عليين ورد الآخرين الى أسفل سافلين (أم نجعل المتقين كالقبحار) أى بل أنجعل أتقياء المؤمنين كعلي بن أبي طالب وحزبه بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث كأشقياء الكفرة كعتبة وشيبة أبناء ربيعة والوليد بن عتبة وهم الذين بارزوا يوم بدر عليا وحزبه وعبيدة فقتل على الوليد ابن عتبة وقتل حمزة عتبة بن ربيعة وقتل عبيدة شيبة بن ربيعة قيل نزلت هذه الآية لما قال كفار مكة للمؤمنين اننا نعطي في الآخرة من الخير مثل ما تعطون وتقرير هذه الآية اننا نرى في الدنيا من أطاع الله واحترز عن معصيته في الفقر والزمانة وأنواع البلاء ونرى الكفرة والفساق في الراحة والغبطة فلولم يكن حشر ونشر ومعاد كان حال المطيع أدون من حال العاصي وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم واذا كان ذلك قادحا في الحكمة ثبت ان انكار الحشر والنشر يوجب انكار حكمة الله تعالى (كتاب) أى هذا قرآن (أنزلناه إليك) صفة للكتاب (مبارك) أى كثير المنافع الدينية والدنيوية خير مبتدا مضمر وقرئ مبارك على الحال اللازمة لان البركة تفارقه (ليدبروا آياته) أى ليتفكروا في معانيها للطيفة وفي أسرارها العجيبة (وليتذكروا أولوا الالباب) أى وليتعظ به ذوو العقول السليمة فان من لم يتدبر ولم

يساعده التوفيق الالهى لم يقف على الاسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم (ووهبنا لداود سليمان) من المرأة التي أخذها من أوريا (نعم العبد) أي سليمان (انه) أي سليمان (أقواب) أي رجاء الى الله تعالى بالتوبة مقبل الى طاعة الله (اذ عرض عليه بالعشي) أي بعد الظهر (الصافنات) أي الخيل التي تقوم على طرف سنبل يد أو رجل (الجباد) أي سرايا الجري وعن ابراهيم التيمي انها عشر ون ألف فرس (فقال اني أحببت حب الخمر عن ذكر ربي) أي اني ألزمت حب الخيل لاجل كتاب ربي وهو التوراة فان معنى الخمر هو المال الكثير والمراد به هنا الخيل (حتى توارت بالحجاب) أي استترت الصافنات عن النظر (ردوها) أي الصافنات (على قطفق مسح بالسوق والاعناق) أي فردوها عليه فأخذ سليمان عليه السلام يسمع سوقها وأعناقها وذلك ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما أنه كذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاح الى الغزو والجلوس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكرا في لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لأمير الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام أمر بتسييرها حتى فابت عن بصره وهو معنى قوله حتى توارت بالحجاب ثم انه أمر الراضين بأن يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه شرع يسمع سوقها وأعناقها تشرى فالحال الكونها من أعظم م الاعوان في دفع العدو ولانه أراد ان يظهر انه يتضع حيث يباشر أكثر الامور بنفسه وانه يضبط السياسة والملا ولا نه كان أعلم بأحوال الخيل وأمر اضها وعبوها فكان يسمع سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان لا طوفن الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتي بفارس يجاهد في سيبل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاق عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجئ به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسيه حين عرض عليه وهي محنته وقيل ان فتنة سليمان انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل أبيه فسيبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب فحملته فكان يريه في السحاب فينما هو مشتغل به ما نه اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطئه في انه لم يتوكل فيه على الله وقيل انه أصابه مرض شديد فصار يجلس على كرسيه وهو مريض وفتنته هو مرضه ولشدة المرض ألقاه الله على كرسيه والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلاروح ولما توفي سليمان بعث نضر فأخذ الكرسي فحمله الى انطاكية فأراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد عليه فاذا وضع رجله ضرب الاسد رجله فكسرها وكان سليمان اذا صعد وضع قدميه جميعا ومات بخت نضر وحمل الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك ان يجلس عليه (ثم أناب) أي رجع الى حال الصحة أو تاب من خطئه (قال رب اغفر لي) أي ماصد عنى من الزلة وهو ترك الفضل والاولى لان حسنات الابراشيئات المقربين وطلب المغفرة دأب الانبياء والصالحين هضم النفس واظهار اللذل والخشوع وطلب الترتي في المقامات (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) أي غيري بحيث لا يقدر أحد على معارضته ليكون مهجزة لي لان شرط المهجزة ان لا يقدر أحد على معارضتها فكان المراد أقدرني على أشياء لا يقدر عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها مهجزة تدل على مهجة نبوت ورسالتى (انك أنت الوهاب) بالملك والنبوة لمن شئت (فسخرنا له الريح) أي فذلنا هاهنا طاعته ما جابة لدعوته (تجري بأمره) أيها (رخاء) أي لينته في أثنائه سيرها أما في أوله

فهى عاصفة (حيث أصاب) أى الى موضع قصده وأراد (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) يبنون له ما شاء من الأبنية وهو بدل من الشياطين (وغواص) فى قعر البحر فيستخرجون الأولو (وأخرين مقرنين فى الأصقار) أى مسلسلين فى اغلال الحديد وهم المردة من الشياطين الذين لا يبعثهم الى عمل الا انقلبوا (هذا) أى الملك (عطاؤنا فامتن أو أأمسك بغير حساب) اكثرتة قل ابن عباس رضى الله عنهما اعط من شئت وامنع من شئت أى غير محاسب على منك وامساك أى ليس عليك حرج فيما أعطيت وفيما أمسكت من الامر الذى أعطيناكه وقيل المعنى هذا أى تسخير الشياطين عطاؤنا فامتن على من شئت من الشياطين نخل سيبلهم من الغل أو احبس من شئت فى الغل من غير أن تحاسب وتأثم بذلك (وان له عندنا) فى الآخرة (لزلفى) أى قربي عظيمة (وحسن مأب) وهو الجنة (واذ كر عبدنا أيوب) بن عيسى بن اسحق عليه السلام (اذ نادى ربه أى مسنى الشيطان) اسمه معيط (بنصب) أى بلاه (وعذاب) أى وسوسة والقاء الخواطر الفاسدة روى ان ابليس سأل ربه فقال هل فى عبيدك من لوسلطتى عليه يعتنع منى فقال الله نعم عبدى أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال يارب انه قد امتنع على فسلطنى على ماله فكان الشيطان يجيئه ويقول له هلك من مالك كذا وكذا فيقول الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال الشيطان يارب ان أيوب لا يبالى بماله فسلطنى على ولده فجاء اليه وزلزل الدار فهلك أولاده بالكليمة وأخبر به فلم يلتفت اليه فقال يارب أيوب لا يبالى بولده فسلطنى على جسده فأذن فيه فنفخ فى جلد أيوب فحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فمكث فى ذلك البلاه سنين حتى صار بحيث استقذره أهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته ليأبنت يعقوب عليه السلام وقال ان زوجك ان استغاثنى خلصته من هذا البلاه فذكرت المرأة ذلك لزوجهما فخلف بالله لئن طافاه الله تعالى ليجلدنهما مائة جلدة وحين كان الالم على الجسد لم يذكر أيوب شيئا فلما عظمت الوسوس خاف على القلب والدين فتضرع ومن الوسوس ان الشيطان كان يذكره النعم التى كانت والآفات التى حصلت ومنها انه كان يقنطه من ربه ويرين له ان يجزع فشق ذلك عليه عليه السلام فتضرع الى الله تعالى وقال انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب فانه كلما كانت تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أكثر فأجاب الله دعاه وأوحى اليه بقوله تعالى (أركض) أى اضرب (برجلك) الارض فضر بها فنبعت عين فقيل له (هذا مغتسل بارد) أى ماء تغتسل به فيبرأ ظاهرك (وشرب) أى وتشرب منه فيبرأ باطنك أى ان الله تعالى أظهر من تحت رجل أيوب عينا باردة طيبة فاغتسل وشرب منها فأذهب الله عنه كل داء فى ظاهره وباطنه ورد عليه أهله وماله كما قال تعالى (وهيناله أهله) باحيائهم بعد هلاكهم كما قاله الحسن أو يجمعهم بعد تفرقهم كما قيل (ومثلهم معهم) فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل (رحمة منا) أى لاجل رحمة عظيمة عليه على سبيل الفضل منا لا على سبيل الازوم (وذكري لاولى الاباب) أى ولتذكرى كبراهم العقول بحاله عليه السلام ليصبر واعلى الشدايد كما صبر ويهتوا الى الله تعالى كما لجأ لظفروا كما ظفروا (وذبيدك) يا أيوب (ضغثا) أى قبضة من سنبل فيها مائة سنبله مختطلة الرطب باليابس (فاضرب به) امرأتك رحمة بنت يوسف الصديق لانه قد حلف ليضر بينهما مائة ضربة لانه لقيها ابليس فى صورة طبيب فدعته الى مداواة أيوب فقال أدويه على أنه اذا برئى قال أنت شفيتنى لا أريد جزاء سواء قالت نعم فأشارت على أيوب بذلك فخلف ليضر بينهما مائة ضربة كذا حكاه ابن عباس (ولا تحنث)

أى لا تأثم فى عينك بترك ضربها ولقد شرع الله تعالى هذه الرخصة رحمة عليه وعليها الحسن خدمتها آياه
 ورضاه عنها (أنا وجدناه صابرا) فيما أصابه فى النفس والأهل والمال وليس فى شكواه الى الله تعالى
 اخلال بذلك الصبر فانه لا يسهى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء على أنه عليه السلام قال ذلك خيفة
 الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بأنه لو كان نبيا لما ابتلى بعثل ما ابتلى به و يروى
 أنه عليه السلام قال فى مناجاته الهى قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهنئ
 ماملكت عيني ولم آكل الاومى يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومهى جائع أو عريان فكشف الله تعالى
 عنه (نعم العبد) أى أيوب (أنه أواب) أى مقبل الى طاعة الله تعالى (واذ كرمنا ابراهيم
 وإسحق ويعقوب أولى الايدي والابصار) أى أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين فقوله تعالى أولى
 الايدي اشارة الى القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها طاعة الله وقوله والابصار اشارة الى القوة العاملة
 فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله وما سوى هذين القسمين باطل وقرأ ابن كثير عبدنا على التوحيد
 (أنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) أى انا جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة وهى استغراقهم
 فى ذكر الدار الآخرة حتى نسوا الدنيا وقرأ نافع وهشام باضافة خالصة أى انا اختصصناهم باخلاصهم ذكر
 الآخرة وتناسيهم عند ذكرها ذكر الدنيا وقد جاء المصدر على فاعلة كالعاقبة (وانهم عندنا لمن المصطفين
 الاخيار) أى لمن المختارين من أبناء جنسهم المتسعين عليهم فى الخير (واذ كرمنا هيل واليسع) بن
 أخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبحى وهو ابن عم الياس واللام زائدة وقرأ حمزة
 والكسائى بتشديد اللام وسكون الياء (وذا الكفل) وهو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب (وكل) أى
 كل المتقدمين من داود الى هنا (من الاخيار) أى وكلهم من المشهورين بالخيرية وهم أنبياء تحملوا
 الشدائد فى دين الله تعالى (هذا) أى ما تقدم من ذكر محاسنهم (ذكر) أى شرف لهم وثناء جميل
 فى الدنيا (وان للمتقين لحسن مآب) أى مرجع فى الآخرة (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) منها
 جنات عطف ببيان ومفتحة حال منها وقرئنا مرفوعتين هى جنات عدن مفتحة (متكئين فيها) أى
 جالسين على السرر فى المجالس فى الجنة (يدعون فيها بما كرهت كثرة وشربا) أى يسألون فى الجنة
 بألوان الفاكهة وألوان الشراب (وعندهم) فى الجنة (قاصرات الطرف) أى جوارح ابصار العين
 على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (أتراب) أى مستويات فى السن والحسن (هذا) أى المذكور
 (ما توعدون) فى الدنيا (ليوم الحساب) أى لاجل وقوعه فى يوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 بالياء على الغيبة (ان هذا) أى ما ذكر من ألوان النعم (لرزقنا) أعطينا كونه (ماله من نفاد)
 أى فناء (هذا) أى الامر هذا المذكور (وان للطاغين) أى للكافرين (لشر مآب) أى
 مرجع فى الآخرة (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى المفرش (هذا) أى عذاب
 جهنم (فليذوقوه حميم وغساق) فالحميم ماء حار يحرقهم بحره والغساق ماء بارد منتن يحرقهم ببرده وقرأ
 حمزة والكسائى وحفص بتشديد السين والوقف على نليذوقوه كاف ان جعل خبر هذا أو جعل هذا
 مفعولا لفعل محذوف يفسره فليذوقوه ويكون حميم خبر مبتدأ محذوف وان جعل هذا حميم مبتدأ وخبر
 وما بينهما اعتراض فالوقف على غساق وهو كاف (وأخر من شكله أزواج) أى ومذوق آخر من مثل
 هذا المذوق أجناس وقرأ أبو عمرو وأخر بضم الهمزة أى ومذوقات آخر من مثل هذا المذوق فى الشدة
 والفظاعة أنواع مختلفة وأخر مبتدأ وأزواج خبره قال خزنة جهنم لرؤساء الكفار فى اتباعهم اذا دخلوا

النار (هذا فوج مقتحم معكم) أى هذا جمع كثيف قد دخل معكم النار كما كانوا قد دخلوا معكم في الضلال فقال هؤلاء الرؤساء (لامر حبايهم) أى لا اتسعت منازلهم في النار (انهم صالوا النار) أى داخلون فيها كما دخلنا فيها (قالوا) أى الاتباع عندهم ما قيل في حقهم خطاباً للرؤساء (بل أنتم لامر حبايكم) أى لا وسع الله عليكم في منازلكم في النار أى ان الدعاء الذى دعوتهم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به (أنتم قدمتموه لنا) أى أنتم قدمتم الطغيان الذى هذا العذاب جزاؤه فأقتدينا بكم (فبئس القرار) أى بئس المسكن لنا ولكم جهنم (قالوا) أى الاتباع معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً فى النار) أى ياربنا من شرع لنا هذا الطغيان من الرؤساء فزده عذاباً بامضاء عفا في النار قال ابن مسعود والمراد بالضعف الحيات والافاعي (وقالوا) أى الطاغون (مالنا لا ترى رحالا) من فقراء المؤمنين (كنا نعدهم من الاشرار) أى يقول أبو جهل مالنا لا ترى في النار هم ارباب الاوصياء وخبايا كنا نعدهم من السفلة (اتخذناهم مخبرين) أى نافع بضم السين (أم زأغت عنهم الابصار) وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر اتخذناهم بقطع الهمزة على الاستفهام للتوبيخ والتعجب فيوقف على الاشرار وهو كاف والمعنى لأجل اننا قد اتخذناهم مخبرين يا في الدنيا فخطأنا فلم يدخلوا النار فلذلك لانراهم أم لأجل انه زأغت عنهم أبصارنا ولم نعلم مكانهم وهم فيها وقرأ ابن كثير والاعمش وأبو عمر ووحمة والكسائي اتخذناهم بوصل الهمزة فلا يوقف على الاشرار لان اتخذناهم صفة أخرى لرجالوا المعنى مالنا لا ترى في النار رجالاً مخبرناهم وحقرناهم في الدنيا بل مالت أبصارنا عنهم فلان عددهم شيئاً (ان ذلك) أى الذى حكينا عنه عنهم (لحق) أى واجب وقوعه فلا بد وان يتكلموا به (تخاصم أهل النار) أى وهو كلام أهل النار في النار بخصوصية بعضهم مع بعض وقرئ تخاصم بالنصب على أنه بدل من ذلك (قل) يا أفضل الخلق لكفار مكة (انما أنا منذر) أى مخوف بعذاب الله لمن عصى (وما من اله) موجود (الا الله الواحد) الذى لا يقبل الشراكة (القهار) خلقه (رب السهوات والارض وما بينهما) أى خالقهما (العزير) أى الغالب فلا يغلب فى أمر من الامور (الغفار) لمن تاب (قل هو) أى ما أنبأتكم به (نبأ عظيم) وارد من الله تعالى (أنتم عنه) أى عن ذلك النبأ (معرضون) أى تاركون له وهذه الجملة صفة ثانية (ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون) أى ما كان لى من علم بكلام الملائكة وقت اختصامهم فى أمر آدم عليه السلام (ان يوحى الى الأنما أنا نذير مبين) أى ما يوحى الى حال الملائكة الا كوفى نذيراً مبيناً أى انما عرفت هذه المخاصمة الا بالوحى وانما أوحى الله الى هذه القصة لندرك بها وتصير هذه القصة خاصة لىكم على الاخلاص فى الطاعة والاحترار عن الجهل والتقليد (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا) أى آدم (من طين فاذا نسويته) أى جمعت أجزائه بدنه وصورته بالصورة الانسانية (ونفخت فيه من روحي) أى أفضت عليه الروح وهى عرض صار البدن بوجودها حيا وهى جوهر يسرى فى البدن سريان الضوء فى الفضاء وسريان النار فى الفحم (فقعوا له) أى أسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريماً لخلقهم انساناً فسواه لجعل الروح فيه (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) أى فسجد الملائكة كلهم بطريق المعية لآدم بحيث لم يبق منهم أحد الا معجده ولم يتأخر فى ذلك السجود أحد منهم عن أحد (الا بليس استكبر) أى تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى وصار ابليس من الكافرين بابائه عن أمر الله بعد ان كان مسلماً فابداً فانه عبد الله ثم انين ألف عام (قال) الله له (يا ابليس) أى يا خبيث (ما منعك

أن تسجد لما خلقت بيدي) أى لما خلقتة بقدرتي وارانتي من غير توسط أب وأم (أستكبرت) أى
 أتكبرت عن السجود لآدم من غير استحقاق (أم كنت من العالين) أى من المستحقين للتفوق (قال)
 ابليس (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أفضل من الطين لان النار تأكل الطين
 فلذلك لم أسجد له (قال) الله (فأخرج منها) أى من الحلقة التي كنت عليها فإنه كان يفتخر بخلقته
 فغير الله خلقته فأسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا (فأنك رجيم)
 أى مطرود من كل خير (وان عليك لعنتي) أى مخطي (الى يوم الدين) أى يوم الحساب (قال)
 ابليس (رب فأنظرني الى يوم يبعثون) من القبور اراى اذ جعلتني رجيمًا فلا تمنني الى يوم يبعث آدم وذريته
 من القبور للجزاء بعد فناءهم وأراد الخبيث بذلك أن يجد فسحة لا غواثمهم وأن لا يذوق الموت (قال) الله
 (فأنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الذى قدره الله وعينه لغناء الخسلا ثلث وهو وقت النفخة الاولى
 لا الى وقت البعث الذى هو المسؤل (قال) ابليس (فبعزتك) أى فأقسم بعزتك (لا غوينهم أجمعين)
 أى لا ضلن ذرية آدم عن دينك بتزيين المعاصي لهم (الاعبادك منهم المخلصين) أى المعصومين من
 الغواية أو المخلصين قلوبهم وأعمالهم لله (قال) الله (فالحق والحق أقول) قرأ طاصم وحزمة برفع الاول
 ونصب الثانى أى فانا الحق أو فالحق قسمي ولا أقول الا الحق وقرأ الباقون بنصبهما أى فبالحق أى
 أقسم بالحق وقرى بجرهما على أن الثانى حكاية لفظ القسم به على أن معنى الحق نقيض الباطل وقرى
 بجر الاول على اضماع حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية (لاملاذ جهنم منك) ومن جنسك من
 الشياطين (ومن تبعك) فى الغواية (منهم) أى من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف
 عليه (قل) يا أمشرى الرسل (ما أسألكم عليه) أى على هذه الدعوة (من أجر) أى دنيوى (وما أنا
 من المتكلفين) أى الحاملين للشقة فى الشريعة على الناس أى ان هذا الذى أدعوكم اليه دين لا يحتاج
 فى معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد العقل بصحته فاني أدعوكم أولا الى الاقرار بوجود
 الله ثم أدعوكم ثانيا الى تنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به تعالى ثم أدعوكم ثالثا الى الاقرار بكونه تعالى
 موصوفا بكل العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم أدعوكم رابعا الى الاقرار بكونه تعالى مستزها عن الشركاء
 ثم أدعوكم خامسا الى الامتناع عن عبادة الاوثان ثم أدعوكم سادسا الى تعظيم الملائكة والانبياء ثم
 أدعوكم سابعا الى الاقرار بالبعث والقيامة ثم أدعوكم ثامنا الى الاعراض عن الدنيا والقبال على
 الآخرة فهذه الاصول الثمانية هي الاصول المعتبرة فى دين الله تعالى وأوائل الافكار شهادة بصحة
 هذه الاصول الثمانية فثبت انى لست من المتكلفين فى الشريعة التى ادعوا الخلق اليها بل كل عقل سليم
 يشهد بصحتها وبعدها عن الفساد وهو المراد من قوله تعالى (ان هو الاذ كر للعالمين) أى ما هذا القرآن
 الا عظة من الله تعالى للتقلىين كافة (ولتعلم نباء بعد حين) أى انكم ان أصررتم على الجهل والتقليد
 وأبيت قبول هذه البيانات التى ذكرناها فى القرآن فستعلمون بعد ابوت انكم كنتم مصيبين فى اعراضكم
 عنه أو مخطئين

* (سورة الزمر) يقال لها سورة الغرغرة مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة احدهما الله نزل أحسن
 الحديث والاخرى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وهي خمس وسبعون آية
 وألف ومائة واثنان وتسعون كلمة وأربعة آلاف وسبع مائة وثمانية أحرف *

(بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أى هذه السورة تنزيل الكتاب من الله (انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) أى ملتبساً بكل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حقاً (فاعبد الله مخلصاً له الدين) أى فاعبد الله تعالى بمحضه من شوائب الشرك والرياء وقرأ ابن أبي عمير برفع الدين على انه مبتدأ خبره الجار والمجرور وقبله (ألا الله الدين الخالص) أى الإله الذى يجب ان يخص باخلاص الطاعة له لانه المنفرد بصفات الألوهية (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) والموصول مبتدأ وهو عبارة عن المشركين وخبره محذوف والوقف على زلفى كاف كما قاله أبو عمرو وقيل تم أى والمشركون الذين عبدوا من غير الله أرباباً ملائكة وعيسى وعزيراً والأصنام والشمس والقمر والنجوم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله فى المنزلة (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) وقرئ ما نعبدهم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم (ان الله لا يهديهم) أى لا يوفق للاعتقاد الحق (من هو كاذب) فى وصفهم لغير الله بانه آلهة مستحقة للعبادة (كفار) لاعتقادهم فى غير الله بالالهية ولكفرانهم نعمة المنعم وهو الله تعالى فان العبادة نهاية التعظيم وهى لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام (لو أراد الله أن يتخذ ولداً) من الملائكة والآدميين كما قالت اليهود والنصارى وبنو ملج (لا صطفى عما يخلق ما يشاء) اذ كل موجود سواه مخلوق له لكن اتخذ الولد من خلقه باطل لاستحالة كون المخلوق من جنس الخالق ولان كونه منه يستلزم حدوث الخالق وهو متنع عقلاً ونقلاً (سبحانه) أى تنزيهه عن اتخاذ الولد (هو الله الواحد القهار) أى ان كون الله الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحداً فى حقيقته وكونه واحداً فى حقيقة معتنع من ثبوت الولد له فثبت ان كونه واحداً يمنع من ثبوت الولد ثم ان كونه تعالى قهاراً يمنع من ثبوت الولد له فلان المحتاج الى الولد هو الذى يموت ويحتاج الى من يقوم مقامه لانه يكون معهوراً بالموت أما الذى يكون قاهراً لا يموت كان الولد فى حقه محالاً وقوله هو الله الواحد القهار ألفاظ مشتملة على دلائل قاطعة فى نفي الولد عن الله تعالى (خلق السموات والارض بالحق) أى ملتبساً بالصواب مشتملة على الحكم والمصالح (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أى يغشى كل واحد منهما ما الآخر ويزيد كل واحد منهما بما ينقص من الآخر (ومختر الشمس والقمر) أى جعلهما منقادين لامره تعالى (كل يجري لأجل مسمى) أى كل منهما يجري فى فلكه لمنتهى دورته (ألا هو العزيز الغفار) أى ان خلق هذه الاجرام العظيمة دليل على كمال القدرة فهو يوجب الخوف والرهبة الا انه تعالى غفار اذ يوفق على كثرة رحمة فهو توجب الرجاء والرغبة (خلقكم من نفس واحدة) خلقها وهى نفس آدم وحدها (ثم جعل منها) أى من تلك النفس (زوجها) حواء خلقها من ضلع من أضلاعه القصوى (وأنزل لكم) أى أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعت الكواكب (من الانعام ثمانية أزواج) أى افراد من الابل اثنتين ذكراً وأنثى ومن البقر اثنتين ومن الضأن اثنتين ومن المعز اثنتين (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق) أى حيواناً سوى آمن بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (فى ظلمات ثلاث) البطن والرحم والمشيمة (ذلكم الله ربكم) أى ذلكم الذى عرفتم عجائب أفعاله هو الله المربى لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم (له الملك) فى الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة فى ذلك (لا اله الا هو) أى لا معبود للخلق أجمعين الا الله (فأنى تصرفون) أى فكيف تصرفون عن عبادة الله تعالى مع وفور دواعيها الى عبادة غيره تعالى من غير داع اليها (ان تكفروا) به تعالى

(فان الله غنى عنكم) أى فاعلموا ان الله تعالى ما كاف المكافين ليحجر الى نفسه منفعة أو ليدفع عن نفسه مضرة لان الله تعالى غنى عن ايمانكم وشرككم (ولا يرضى لعباده الكفر) أى وان كان لا ينفعه تعالى ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى بالكفر (وان تشكروا) بأن تقرؤا باللسان بحصول النعمة وتعتقدوا صدور النعمة من الله تعالى وتعملوا الصالحات بمجوارحكم (يرضه لكم) أى يرضى الشكر لاجل منفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وقرأنا نافع وأبو عمرو وابن عامر وحزم بنغصم الهاء مختلصة وقرأ أبو عمرو وحزم في بعض الروايات ساكنة الهاء للتخفيف وقرأنا نافع في بعض الروايات وابن كثير وابن عامر والكسائي وابن ذكوان والدورى مضومة الهاء مشبعة (ولا ترزوا زرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس حامله للوزر حمل نفس أخرى فكل مأخوذ بذنبه وهذا بيان لعدم سرية كفر الكافر الى غيره أصلاً (ثم الى ربكم مرجعكم) بالبعث بعد الموت فأهم المطالب للانسان ان يعرف خالقه بقدر الامكان وان يعرف ما يضره وما ينفعه وان يعرف أحواله بعد الموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى يجازيكم بأعمال الكفر والايمان في الدنيا ثواباً وعقاباً وهذا تهديد للعاصي وبشارة للطيع (انه علم بذات الصدور) فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم (واذا مس الانسان) أى الكافر كعتبة بن ربيعة وأبي جهل (ضر) في جسمه أو ماله أو أهله أو ولده (دعابه) أى استجار ربه (هنيئاً اليه) أى مقبلاً اليه بالنداء في ازالة ذلك الضر ولم يؤمل فيه سواء (ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل) أى ترك دعاء ربه الذي يتضرع اليه من قبل اعطاه النعمة كأنه لم يفزع اليه ونسي ان لا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشر كما مع الله تعالى كما قال تعالى (وجعل الله أنداداً) أى أعداء في العبادة (ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بعد لام العاقبة أى ليثبت على الضلال عن دين الاسلام والباقون بضمها أى ليضل غيره عنه (قل) لا كافر (تمتع بكفرك قليلاً) أى عيش في كفرك في هذه الدنيا بقية عمرك وهذا الامر زجر عن الكفر وتعريف لقلة تمتعه في الدنيا (انك من أصحاب النار) أى من المعذبين في النار على الدوام وفي هذا اقنطار للكافر من النجاة (أمن هو قانت آناً الليل) وقرأنا نافع وابن كثير وحزم آمن بتخفيف الميم والهمزة اما للاستفهام التقريرى ومقابله محذوف تقديره أمن هو قانت بما يجب عليه من الطاعة في ساعات الليل حالتي السراء والضراء كن جعل الله أنداداً ودعاء عند مساس الضر فقط أو للنداء أى يامن هو قانت في ساعات الليل قل كيت وكيت أنت من أهل الجنة وقرأ الباقر بتشديد الميم فأم داخله على من الموصولة وهى اما متصلة ومعادها محذوف تقديره الكافر خير أم من هو قانت بأداء وظائف العبادات أو منفصلة تقديره سبل والهمزة أى بل أمن هو مطيع لله كالكافر المقول له تمتع بكفرك (ساجداً وقائماً) حال من صبر قانت وقرى بالرفع على انه خير بعد خير (يحذر الآخرة) أى يخاف عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أى جنه ربه فينجو عما يخافه ويفوز بما يرجوه (قل هل يستوى الذين يعلمون) توحيد الله وأمره ونهيه وهو أبو بكر وأصحابه (والذين لا يعلمون) ذلك وهو أبو جهل وأصحابه ويجوز ان يراد هذا على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون (اغيايتذكر أولوا الالباب) أى اغيايتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الصافية ولا يعرف التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال الا أصحاب القلوب النيرة وقيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم أفضل من المال

المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء فأجاب بأن هذا
 أيضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من
 المنافع فتركوه (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) أي قل لهم ربكم يقول أطيعوا ربكم في الصغير
 والكبير من الامور (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) والجار والمجرور اما صلة لا احسنوا والمعنى للذين
 عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص حسنة عظيمة في الآخرة وهي الجنة واما صلة
 لحسنة والمعنى الذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا أمن وصحة وكفاية (وأرض الله واسعة) أي فان لم يتمكنوا
 من صرف الهمم الى الاحسان في بلادهم فقل لهم فان أرض الله واسعة فليتهاجر وامن تلك البلاد الى
 بلاد تقدر ان فيها على الاشتغال بالعبادات واقعدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم
 ليزداد واطاعة الى طاعتهم لانه لا عذر البتة للمقصرين في الاحسان (انما يوفي الصابرون) على مفارقة
 أوطانهم وعشائرهم واحتمال البلاء في طاعة الله تعالى (أجرهم بغير حساب) أي بغير نهاية بهنداز
 ونحوه (قل) يا أشرف الرسل لكفار قريش حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الدين
 الذي أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون الآلات والعزى فتأخذ بها (أتى
 أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي العبادة عن شوائب الشرك والرياء وغير ذلك (وأمرت أن
 أكون أول المسلمين) أي وأمرت بأن أكون أول من عسلك بالعبادات التي أرسلت بها فاني لست من
 الملوك الجبابرة الذين يأمرورن الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك بل كل ما أمرتكم به فانا أول الناس
 شروعا فيه وأكثرهم مداومة عليه والعبادة لها ركنا عمل القلب وعمل الجوارح فعمل القلب هو
 الاخلاص وعمل الجوارح هو الاسلام وهذا فائدة اتيان الامر مرتين ثم بين الله ان هذا الامر للوجوب
 فقال (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) ومعنى هذا العصيان ترك الامر الذي تقدم
 ذكره (قل الله أعبد مخلصا له ديني) أي لا أعبد أحدا سوى الله والاول اخبار بأنه صلى الله عليه وسلم
 مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة واخلاص القلب له تعالى بها وهذا اخبار بأنه صلى الله عليه
 وسلم أمر بأن لا يعبد أحد غير الله واخبار بامتناله صلى الله عليه وسلم بالامر على أبلغ وجه (فاعبدوا
 ما شئتم) ان تعبدوه (من دونه) تعالى وفي هذا دلالة على شدة الغضب عليهم (قل ان الخاسرين الذين
 خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أي حين يدخلون النار حيث أوقعوا في هلكة لا هلكة
 وراءها (ألا) أي تنبهوا لهذه الخسرة العظيمة (ذلك) أي الامر العظيم (هو الخسران المبين) فلا
 خسران وراءه فكل خسران يصير في مقابلته كالاخسران (لهم) أي لهؤلاء الخاسرين (من فوقهم
 ظلل) أي قطع كبار (من النار ومن تحتهم ظلل) أي فراش من النار والمراد احاطة النار بهم من جميع
 الجوانب وانما سمى بالظل لان التي تكون تحتهم تكون ظللا لاخرين تحتهم لان النار دركات
 وأيضا ان الظلة التحتانية تشابه الفوقانية في الحرارة والاحراق (ذلك) العذاب هو الذي (يخوف الله
 به عباده) المؤمنين ليخلصوا في الطاعة (يا عباد فاتقون) أي يا أيها المؤمنون الغوا في الخوف والحذر
 (والذين اجتنبوا الطاغوت) أي الشيطان (أن يعبدوها وأنا بآي الله) أي أقبلوا اليه بالطاعات
 (لهم البشري) بنوع من الخير عند قرب الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج منه وعند الوقوف في
 عرصة القيامة وعلى باب الجنة وقوله تعالى ان يعبدوها بدل الاشتغال والمعنى والذين تركوا عبادة الشيطان
 الخ فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون

أحسنه) وعن ابن عباس ان المراد من هذا الرجل يجلس مع القوم ويسمع الحديث في ذلك المجلس محاسن ومساوي فيحدث بأحسن ما سمع ويترك ما سواه وقرأ السومى عبادى بيا مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف والباقون بغير الياء (أو ائلك الذين هداهم الله) للصاب والمحاسن الامور (وأولئك هم أولوا الالباب) أى هم ذوا العقول السليمة عن منازعة الهوى (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) أى أفمن ثبت عليه كلمة العذاب أفأنت تهدي من هو منغمس في الضلال بدعائلك له الى الايمان فتنقذه من النار وهذا تنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحرض على ايمان قوم وقد سبق لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية قال ابن عباس نزلت في حق أنى لم يولد ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان (لكن الذين اتقوا ربهم) بأن أطاعوه (لهم غرف) أى منازل في الجنة رفيعة (من فوقها غرف) أى من فوق تلك المنازل منازل أرفع منها (مبنية) أى قوية كبناء المنازل المبنية على الارض في الاحكام بخلاف منازل الدنيا فالعوقا في فضيلته الارتفاع ونقصانه السخافة والتحتا في فضيلته القوة ونقصانه التسفل اما منازل الجنة فهي مستحكمة للفضائل فهي مرتفعة قبة وقوله تعالى لكن اضرب عن قصة الى قصة مخالفة الاولى وليست للاستدراك (تجري من تحتها الانهار) أى تجري من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية الانهار المختلفة من غير تناوت بين العلو والسفل (وعدا الله) أى وعدهم الله بذلك وعدا وهو مصدر مؤكد لضمهم من الجملة ان الله (لا يخلف الله الميعاد) أى وعده للمؤمنين وفي الآية دقة شريفة وهي انه تعالى لم يذكر في آيات الوعيد البتة مثل هذا التأكيد ذلك يدل على ان جانب الوعد أرجح من جانب الوعيد اما قوله تعالى ما يبذل القول لدى ليس تصرح بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول الوعد والوعيد فثبت ان جميع الوعد حق خلافا للعترة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض) أى ألم تعلم ان الله أنزل من السماء مطرا الى بعض المواضع ثم يقسمه فيدخله في مجارى في خلال الارض كالعروق في الاجساد ويقال فيدخل ذلك المطر في خلال الارض حال كونه مياهنا بعة في الارض (ثم يخرج به) أى ينبت بالمطر (زرعا مختلفا ألوانه) أى أصنافه من بر وشعير ومهم وغيرهما وصفاته من طعوم وألوان خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك (ثم يخرج) أى يتم جفافه (فترام مصفرا) بعد خضرته وقرى مصفرا (ثم يجعله حطاما) أى منكسرة (ان في ذلك) أى المذكور من الافعال الخمسة (لذكرى لأولى الالباب) أى لتذكير عظماء لاصحاب العقول الصافية يتذكرون بذلك ان حال الحياة الدنيا في سرعة الانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون بهجتها ويجزمون بأن من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في عيون الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف في الجنة (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أى أكل الناس سواء فمن جعله مستعدا للاسلام فهو على هداية من ربه فمن شرطي وخبرها ما بعدها وقيل اسم موصول مبتدأ خبره محذوف والتقدير أفمن شرح الله صدره للاسلام فاهتدى فهو على لطف الهى فائض عليه كن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته (فويل) أى عذاب وخسران (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل ذكر الله فاذا سمعوه نفروا وازدادوا فسوة ولما نزل قوله تعالى واقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وكان قد حضر هناك هرب من الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم أنشأنا خلقا آخر قال كل واحد من القوم فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أكتب فهكذا أنزلت فازداد عمر إيماناً على إيمان وازداد ذلك الإنسان كفراً على كفر وقرئ عن ذكر الله
 أي عن قبول ذكر الله (أو أثل) أي الذين قست قلوبهم (في ضلال) أي بعد عن الحق (مبين)
 أي ظاهر كونه ضلالاً لكل أحد قيل نزلت هذه الآية في حمزة وعلى رضي الله عنهما رأب لهما ولده
 وقيل في عمر بن ياسر وأبي جهل وأصحابه (الله نزل أحسن الحديث) بحسب لفظه لفصاحته
 وجزالته وبحسب معناه لاشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل ولأن العلوم الموجودة
 فيه كثيرة جداً (كأيات متشابهة) أي يشبه بعضها بعضاً كما قاله ابن عباس فإن كل ما فيه من الآيات يقوى
 بعضها بعضاً والمقصود منها بأسرها الدعوى إلى الدين وتقرير عظمة الله (مثان) فأنه أكثر الأشياء
 المذكورة وقعت زوجين زوجين آية الرحمة والعذاب وآية الوعد والوعيد وآية الأمر والنهي وآية
 القصص والأحكام وغير ذلك (تقشع من جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر
 الله) فإن الإنسان إذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب تنزيهه الله عن التحيز والجهة فهذه آية تقشع
 جلده لأن إثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج عنه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه مما يصعب تصوره
 فهنا تقشع الجلود وإذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب أن يكون الله تعالى فرداً أحداً وثبت أن كل
 متحيز منقسم فهنا يلين جلده وقلبه إلى ذكر الله وعدى تلين بالي لأن تقدير الكلام تلين جلودهم وقلوبهم
 حال وصولها إلى حضرة الله وهو لا يحسن بالادراك ويقال إنهم إذا سمعوا القرآن وذكر آيات العذاب
 أصابتهم خشية أو ذكر آيات الرحمة أطمأن جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وانما قال الله إلى ذكر الله ولم
 يقل إلى ذكر رحمة الله لأن المحب الحق الذي في الدرجة العالية هو من أحب الله لا شيء سواه وأما من أحب
 الله لأجل رحمته فهو ما أحب الله وانما أي الكتاب الذي هو أحسن الحديث (هدى
 الله يهدي به من يشاء) وهو الذي شرح صدره لقبول هذه الهداية (ومن يضل الله) أي ومن جعل الله قلبه
 قاسياً مظلماً يلبس الفهم منافياً لقبول هذه الهداية (فأله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقرأ ابن كثير
 بآيات اليا في الوقف (أقن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون)
 والهزمة للاستفهام الانكارى والفاء عاطفة على جملة مقدر ومن اسم موصول مبتدأ وخبره محذوف
 وقيل معطوف على يتقى وتقدير الكلام أكل الناس سواء فمن يجعل وجهه قائماً ومقام الدرقة في به
 وجهه العذاب السديد يوم القيامة وتقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب ما كنتم تكسبون في الدنيا كن
 هو من من العذاب قيل يلقي الكافر في النار مغلولاً يداً إلى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل
 العظيم فتشتغل النار فيها وهي في عنقه فحرقها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه
 قيل نزلت هذه الآية في حق أبي جهل وأصحابه (كذب الذين من قبلهم) أي قبل قومك من الأمم السالفة
 (فأتاهم العذاب) المقدر لكل أمة منهم (من حيث لا يشعرون) أي من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر
 ببالهم أن الشريكات منهم أبينما هم آمنون إذا أتاهم العذاب من الجهة التي توقعوا الأمان منها (وأذا قهم
 الله الحزى) أي الذل (في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) أي فالعذاب المدخر لهم في يوم القيامة أعظم
 من ذلك الذي وقع (لو كانوا يعلمون) عذاب الآخرة ما كذبوا رسلهم ولكن لا علم لهم أصلاً (ولقد ضربنا)
 بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي وجه يحتاج إليه الناظر في أمور دينه (لعلهم يتذكرون)
 أي كي يتعظوا به (قرأنا عربياً) أي أعجز الفصحى والبلغاء عن معارضته (غير ذي عوج) أي بريئاً
 عن التناقض وقيل أي غير مخالف لسائر الكتب كالطوراة والإنجيل والزبور بالتوحيد وقال السدي

أى غير مخلوق (لعلهم يتقون) أى لى يتقوا بالقرآن عما نهاهم الله تعالى (ضرب الله مثلاً رجلاً)
فثلاثة عول نان لضرب ورجلا مفعوله الاول (فيه شركاء) أى سادات (متشاكسون) أى متخالفون
سببته اخلاقهم (ورجلا سلمات لرجل) أى ورجلا الصالسيد واحد قرأ ابن كثير وأبو عمر وسالما بالالف
وكسر اللام والباقون بفتح السين واللام بغير الف وقرئ سلما بفتح السين وكسرهما مع سكون اللام
وقرئ ورجل سالم بالرفع على الابتداء أى وهذا الرجل سالم لرجل (هل يستويان مثلاً) أى صفة أى هل
يستوى حالهما وصفتهما والمعنى اضرب يا شرف الرسل لقومك مثلاً وقل لهم ما تقولون في رجل عاؤك
قد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع فكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبون في حوائجهم وهو متحير
في أمره فكلموا أرضى أحدهم غضب الباكون وإذا احتاج في مهم اليهم فكل واحد منهم يردده الى الآخر فهو
يبقى متحيراً لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه وأيهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب يلقى منهم
التعب العظيم وفي رجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعينه على حاجاته
فان أطاعه عرف له وان أخطأ صفع عن خطئه فأى هذين العبدان أحسن حالاً وأحمد شأناً وأقل تعباً
وهذا مثل ضربه الله للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله وحده (الحمد لله) أى لما بطل
القول بآيات الشركاء وثبت أنه لا اله الا الله الحق الواحد الاحد ثبت ان الحمد لله لا لغيره (بل أكثرهم
لا يعلمون) ان الحمد لله تعالى لا لغيره وان المستحق للعبادة هو الله لا لغيره ويقال لا يعلمون أمثال القرآن
(انك ميت وانهم) أى كفار مكة (ميتون) أى انك واياهم وان كنتم احياء في أعداد الموتى (ثم انكم
يوم القيامة عند ربكم تختصمون) أى تتكلمون أنتم ورؤساء الكفار بالحجة والمراد ان هؤلاء الاقوام
وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرس والحسد عليهم في الدنيا فلا تبال يا شرف
الرسل بهذا فانك ستموت وهم سيموتون أيضاً ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى والعاذل
الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل واحد ما هو حقه وحينئذ يميز الحق من الباطل (فمن أظلم من كذب
على الله) أى لا أحد أظلم من أنبتوا لله ولداً وشركاء وكذب بتخفيف الذال (وكذب بالصدق) أى
بالامر الذى هو نفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من لا اله الا الله والقرآن وغير ذلك
(اذ جاءه) أى فى أول مجئ ذلك الامر من غير تدبر فيه (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أى هؤلاء
الذين افتروا على الله تعالى وسارعوا الى تكذيب الصدق ومن أول الامر (والذى جاء بالصدق) أى
بعين الحق (وصدق به أولئك هم المتقون) أى المنعوتون بالثقة قوى والموصول عبارة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذى صدق بنفس الصدق هو أبو بكر وهذا القول مروى عن على بن أبى طالب
وجماعة من المفسرين وقيل المراد من الموصول كل من جاء بالصدق وهم الانبياء والذى صدق به الاتباع
ويؤيد هذا القول قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذي جاء بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بتخفيف
الذال أى صدق الرسول بذلك الصدق الذى هو معنى القرآن الناس ولم يكذبهم بأن أداء اليهم كما نزل عليه
من غير تحريف وقيل صار الرسول صادقاً بسبب الصدق الذى هو القرآن لانه مهجزة وهى تصديق من الله
تعالى فيصير المدعى الرسالة صادقاً بسبب تلك المهجزة وقرئ وصدق به على البناء للمفعول أى صدق الرسول
بالقرآن (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أى لهم كل ما يشاؤون من جلب المنافع ودفع المضار فى الآخرة لافى
الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤون من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر أهوال القيامة
انما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) أى حصول ما يشاؤون (جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا

أعمالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) أي أقبح أعمالهم دفعا للمضارهم (ويجزئهم أجرهم بأحسن
الذين كانوا يعملون) أي بأحسنهم إعطاء لما فعلهم والمراد أنهم إذا صدقوا الأنبياء عليهم السلام فيما
أتوا فإن الله يكفر عنهم أسوأ أعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الإيمان ويوصل إليهم أحسن أنواع
الثواب وقوله تعالى ليكفر الله متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون باعتبار نفوذه حيث كان أخبارا بما سيثبت
لهم في مسائل أخرى وهو في معنى الوعد به كأنه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤونه من زوال المضار وحصول
المساير ليكفر عنهم بوجوب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا الخ (أليس بكاف عبده) وهو محمد صلى الله عليه
وسلم كما قال السدي ويقال هو خالد بن الوليد بما يريد ونبه وقرأ حمزة والكسائي عباده وهم الأنبياء
عليهم السلام فإن قومهم قصدوهم بسوء لقوله تعالى وهمت كل أمية برسولهم ليأخذوه ودخول همزة
الإنكار على كلمة النفي نفيد معنى إثبات الكفاية أي هو كاف عبده (ويخوفونك بالذين من دونه) تعالى
وهم اللات والعزى ومناة أي إن قريشا يقولون لك يا محمد لا تشتمها ولا تعبها فتخيبك فأنزل الله تعالى
هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها لا تدركها
أحذر كنها يا خالدا إن لها شدة لا يقوم لها شيء فعند خالدا إليها فهاشم أنفها فأنزلت هذه الآية (ومن يضل
الله) عن دينه حتى غفل عن كفاية الله لعبده محمد وخوفه بما لا ينفع ولا يضر (فأله من هاد) أي
مرشد إلى دينه (ومن يهد الله) لدينه (فأله من مضل) عن دينه (أليس الله بعزير) أي غالب على
أمره (ذو انتقام) من أعدائه لا وليا له (والئن سألتهم) أي كفار مكة (من خلق السموات والأرض ليقولن
الله) خلقهما الوضوح الدليل على تفرد تعالى بكونه خالقهما (قل) تبكيتهن (أفرأيتم ما تدعون
من دون الله) أي إذا لم يكن خالق سوى الله تعالى وقد أقررت بأن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله
تعالى فاخبروني بأن ما تعبدون من غير الله وهي اللات والعزى ومناة (إن أرادني الله بضر) أي بلاء
(هل هن كاشفات ضره) أي رافعات بلاءه تعالى عني (أو أرادني برحمة) أي بنفع (هل هن عسكات
رحمته) أي مانعات نعمته عني حتى تأمروني بعبادتها وتخوفوني بمعرتها وقوله تعالى أفرأيتم متعدد
لأثنين أولهما ما تدعون والثاني الجملة الاستفهامية وقرأ أبو عمرو بتسوين كاشفات وعسكات ونصب ضره
ورحمته وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا لا أي لا تكشف ولا تمسك فنزل قوله تعالى (قل
حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) أي قل لهم إذا كان الأمر كذلك كانت عبادة الله كافية وكان
الاعتماد عليه كافيا فثقتي في جميع أمور من إصابة الخير ودفع الشر بالله تعالى وبه تعالى يثق الواقفون
لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ما سواه تعالى تحت ملاءته تعالى (قل يا قوم اعلموا على مكانتكم) أي على
حالتكم وهي الكفر والعناد وقرأ أشعبة مكاناتكم بالجمع وهو مروى عن عاصم أيضا (إني عامل) على
حالي (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهلكه في الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم) أي
ومن ينزل عليه عذاب دائم هو عذاب النار ومن موصولة مفعول تعلمون والأمر للتهديد أي أنتم تعتقدون
في أنفسكم أنكم في نهاية القوة فاجتهدوا في أنواع كيدكم فإني عامل في تقرير ديني فسوف تعلمون
إن الخزي في الدنيا بالجوع والسيف والعذاب الدائم في الآخرة يصيبني أو يصيبكم (إنا أنزلنا عليك
الكتاب للناس) أي لنفع الناس ولا هتدائهم به (بالحق) أي مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل على
أنه من عند الله (فمن اهتدى فلنفسه) أي فمن عمل بما فيه فنفعه يعود إلى نفسه (ومن ضل فانما يضل
عليها) أي ومن لم يعمل بما فيه فضر ضلاله يعود إلى نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أي أنك لست

مأمورا بأن يجبرهم على الايمان والهدى وما وظيفتك الا البلاغ فالهداية والضلال لا يحصلان الا من الله
 تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله في القدر ومن عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب
 (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) أي الله يقبض الارواح من الابدان حين موت
 أجسادها بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية ويقبض الارواح التي لم تمت حين تنام بإزالة الادراك وخلق
 الغفلة في محل الادراك فتتعارف ما شاء الله ان تتعارف (فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردّها الى
 البدن وقرأ حمزة والكسائي قضى على البناء للمفعول ورفع الموت (ويرسل الاخرى) أي يرسل الجاهل
 عن النائمة فتعود عند التيقظ كما كانت (الى أجل مسمى) وهو وقت النفخة الثانية في المسوكة ووقت الموت
 في الرسالة فالخارج والمجرور متعلق بكل من يمسك ويرسل قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح
 الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا أراد جميعها الرجوع الى الاجساد أمسك الله
 ارواح الاموات عنده وأرسل ارواح الاحياء الى أجسادها وقال علي رضي الله عنه فإرأته نفس النائم
 وهي في السماء قبل ارسالها الى جسدها فهي الرؤيا الصادقة وما رأته بعد ارسالها وقبل استقرارها في
 جسدها فهي الرؤيا ~~الذبة~~ لانها من لقاء الشيطان (ان في ذلك) أي التوفى على الوجهين
 والامساك في أحدهما والارسال في الآخر (لآيات) عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول
 رحمته (لقوم يتفكرون) في كيفية تعلق الارواح بالابدان وقبضها عنها تارة بالكلية كما عند الموت
 وجسدها عن التصرف تارة أخرى كما عند النوم وإزالة جسدها عنه حينما بعد حين الى انقضاء آجالها (أم
 اتخذوا من دون الله شفعاء) أي ان الكفار قالوا نحن لانعبد هذه الاصنام لاعتقادنا انها آلهة تضر وتنفع
 وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لاجل ان يصير أولئك
 الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فأجاب الله تعالى بقوله بل اتخذوا من دون اذن الله تعالى شفعاء تشفع لهم
 عنده تعالى (قل أولو كانوا لا يعلكون شيئا ولا يعقلون) أي قل لهم أيشفعون في حال كونهم لا يعلكون
 شيئا من الاشياء وفي حال كونهم لا يعقلونه (قل لله الشفاعة جميعا) أي ان هؤلاء الكفار اما ان يطمعوا في
 تلك الشفاعة من هذه الاصنام أو من أولئك العلماء الذين جعلت هذه الاصنام تماثيل لهم فهذه الاصنام
 لا تملك شيئا ولا تعقل فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها ولا يملك أحد من العلماء وغيرهم شيئا ولا يقدر أحد
 على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله لانه الذي يأذن في الشفاعة فكان الاشتغال
 بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره (له ملك السموات والارض) أي له ملكهما وما فيهما من
 المخلوقات لا يملك أحد ان يتكلم في أمر من أمورهم بدون اذنه تعالى ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة
 فيفعل يومئذ ما يريد (واذا ذكر الله وحده) دون الآلهة (اشمأزت) أي انقبضت (قلوب الذين
 لا يؤمنون بالآخرة) أي بالبعث بعد الموت حتى يظهر أثر ذلك الانقباض في أديم الوجه (واذا ذكر
 الذين من دونه) أي فرادى أو مع ذكر الله (اذا هم يستبشرون) حتى يظهر أثر ذلك السرور في بشرة
 الوجه (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أي يا عالم ما غاب عن العباد وما علموه
 (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين وعن أبي سلمة قال سألت عائشة رضي الله
 عنها بم كان يفتخ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل
 واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
 اهدي لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم (ولو أن للذين ظلموا ما في

الارض جميعها ومثله معه لاقتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أى ان هؤلاء الكفار جميع ما فى الدنيا من الاموال ومثله معه لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد يوم القيامة (وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم من فنون العتوبات ما لم يكن فى حسابهم (وبداهم سيئات ما كسبوا) أى وظهر لهم سيئات كسبهم حين تعرض عليهم معاصيهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى أحاط بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا يستهزئون به (فاذا مس الانسار) أى الكافر (ضر) أى فقرو ومرض (دعانا) أى يفزعون اليك يا ربنا ويعتقدون ان دفع ذلك لا يكون الا منا (ثم اذا حولناه نعمتنا منا) أى اذا أعطيناهم مالا أو عافية فى البدن تغضلامنا (قال اغما أو تيمته على علم) أى خير علم الله منى فان كانت النعمة تسعة فى المال قال اغما حصل هذا بكسبي وان كانت خمسة قال اغما حصلت هذه الصحة بسبب العلاج الفلانى (بل هى) أى النعمة (فتنة) أى اختباراً يشكرهم أم يكفروا لك لان عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر ويختبر بها من أوتي النعمة (ولكن أكثرهم) أى هؤلاء القائلين هذا الكلام (لا يعلمون) ان هذا التخويل اغما كان لاجل الاختبار أى ان الله فضل على ذلك الانسان وهو يظن انه اغما وجده بالاستحقاق (قد قالها الذين من قبلهم) أى قد قال الذين من قبل قومك يا أفضل الخلق مثل هذه المقالة وذلك مثل قارون وغيره (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فادفء عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه شيئاً من عذاب الله (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أى بل أصابهم جزاء أعمالهم من العذاب (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) أى من مشركي قومك (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أى عتوبات ما عملوا كما أصاب الامم (وما هم بمجهزين) أى هم لا يجهزوننى فى الدنيا والآخرة (أو يعاوا أن الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) أى أقالوا ذلك ولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء وان كان لا قوة له ويضيق الرزق لمن يشاء وان كان قوياً شديد الحيلة وليس ذلك لاجل الطبائع والانجم لان الساعة التى ولد فيها السلطان قد ولد فيها أنواع الناس وأنواع الحيوانات وأنواع النباتات وحدوث هذه الاشياء الكثيرة فى الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة دليل على ان المؤثر فيه هو الله تعالى وحده دون الطوالع قال الشاعر

فلا السعد يقضى به المشتري * ولا الخمس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السما * وقاض القضاة تعالى وجل

(ان فى ذلك) أى البسط والتضييق (آيات) دالة على ان الحوادث كلها من الله تعالى (لقوم يؤمنون) اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم) أى أفرطوا فى الجناية عليها بالمعاصي وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسافى بسكون الياء وسقوطها فى الوصل والباقون بفتحها وكسبهم يقفون باثبات الياء الا فى بعض روايات أبي بكر عن عاصم فانه يقف بغير ياء (لا تقنطوا من رحمة الله) لا تيأسوا من مغفرة الله وتفضله أى وأقلع راعن ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكل (ان الله يغفر الذنوب جميعا) أى بالتوبة اذا صحت توبته ومن مات قبل ان يتوب فهو موكل الى مشيئة الله تعالى فيه فان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل واحد وخوف العقاب قائم (انه هو الغفور الرحيم) لمن تاب من الكفر وآمن بالله قيل ان هذه الآية نزلت فى أهل مكة فانهم قالوا يزعم محمدان من عبد الارثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وعن ابن عمر قال كما معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة

حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل
أعمالنا فقل لنالكبار والفواحش فكما إذا رأينا من أصاب منها شيئا خفنا عليه ومن لم يصب منها شيئا
رجونا له فأنزل الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وأراد بالأسراف
ارتكاب الكبائر (وأنبيوا إلى ربكم) أي أقبلوا إلى ربكم بالتوبة من الكفر (وأسلموا) أي أطيعوا
الله (من قبل أن يأتكم العذاب) ان لم تتوبوا (ثم لا تنصرون) أي لا تمنعون من عذاب الله نزلت
هذه الآية في الوحشي وأصحابه (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) وهو القرآن لقوله تعالى الله
نزل أحسن الحديث كتابا وقال الحسن معناه والتمروا طاعة الله واجتنبوا معصية الله فان الذي أنزل على
ثلاثة أوجه ذكر القبيح ليتجنب عنه والادون لئلا يرغب فيه والاحسن ليتبني وليتقوى به (من قبل أن
يأتكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) بمجيئه لتأهبوا له (أن تقول نفس) مفعول لأجله أي أنبيوا
البحر كراهة أن تقول نفس (يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) أي يا ندامتا على تفريطي في حق الله
وأمره وطاعته (وان كنت لمن الساخرين) أي والحال اني كنت لمن المستهزئين بدين الله وأهله
(أو تقول لو أن الله هداني) أي بين لي الإيمان (لكنت من المتقين) أي من الموحدين (أو تقول حين
ترى العذاب لو أن لي كرة) أي رجعة إلى دار الدنيا (فأكون من المحسنين) في العقيدة والعمل فيقول
الله تعالى رداعلي ذلك (بلى قد جاءك آياتي) أي وهي القرآن مرشدة لك (فكذبت بها واستكبرت
أي تكبرت عن الإيمان بها) (وكنتم من الكافرين) فبين الله تعالى أن الحجمة عليهم لله لأن الحجمة لهم
على الله (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه تعالى كاتخاذهم تعالى
الولد وكقولهم ان الله تعالى حرم البجيرة والسائبة والوصيلة والحام وبأن وصفوا الاصنام بالآلهة (وجوههم
مسودة) سوادا مخالفا لسائر أنواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله (أليس في
في جهنم مثوى للتكبرين) أي منزل للتكبرين من الإيمان والطاعة (وينجي الله الذين اتقوا بفازتهم)
وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بفازتهم بالجمع أي ينجي الله الذين بالغوا في وقاية أنفسهم من
غضبه تعالى من منزل المتكبرين ملتبسين بغوزهم عطو بهم الذي هو الجنة فكوا قاهم الله في الدنيا من
المخالفات حمهم في الآخرة من العقوبات (لا يسهم السوء) أي العذاب (ولا هم يحزنون) على فائت
لانه لا يفوت لهم شيء أصلا وقيل المعنى ان النجاة في القيامة حصلت بسبب فوزهم في الدنيا بالطاعات
والخيرات ثم فسرت تلك النجاة بقوله تعالى لا يسهم السوء الخ (الله خالق كل شيء) من خير وشر وإيمان
وكفر مباشرة الكاسب لأسبابها (وهو على كل شيء وكيل) أي ان الاشياء كلها وكولة اليه تعالى
فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك فيتولى التصرف فيها كيفما يشاء (له مقاليد
السموات والارض) أي له تعالى مفاتيحها لا يتمكن من التصرف فيها غيره وقيل سأل عثمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألتني عنها أحد
قبلك تفسيرها الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده أسست غفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول
والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى ان الله هذه الكلمات
يوجد بها ويعبد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه وقال قتادة ومقاتل له
مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال السكبي له خزائن المطر والنبات (والذين كفروا بآيات
الله) أي الناطقة بكونه تعالى خالعا لاشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض بأمرها

(أولئك هم الخاسرون) خسروا بالاختيار ورأوه (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة حيث قالوا له أسلم
ببعض آلهتنا ونؤمن باللهك (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) أي بعدم مشاهدة الآيات الدالة
على انفراده تعالى أعبد غيره تعالى بأمركم وغير الله منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض وقيل أن أعبد
معمول لتأمروني على اضمحار أن المصدرية فلما حذف بطل عملها وجاز تقديم معمول صلة ان على الموصول
بأن المحذوفة والاصل تأمروني بأن أعبد غير الله ويؤيد هذا القول قراءة أعبد بالنصب وقرأ نافع
تأمروني بنون واحد مخففة مع فتح الياء وهي نون الرفع كثرت للناسبة وابن كثير بنون مشددة وفتح الياء
وابن عامر بنونين ساكنة الياء والباقيون بنون واحدة مشددة وسكون الياء (ولقد أوحى اليك وإلى الذين
من قبلك) من الرسل عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وهذه
قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزأها كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسد تأولم يلزم من هذا صدق ان فيهما آلهة وانهم ما قد فسدنا (بل الله فاعبد) وهذا رد لما أمر به صلى
الله عليه وسلم به من الاسلام ببعض آلهتهم كأنه صلى الله عليه وسلم قال انكم تأمروني بأن لا أعبد الا
غير الله وكأنه تعالى قال فلا تعبد الا الله (وكن من الشاكرين) لله على ما هداك الى انه لا يجوز الا
عبادة الاله القادر العليم الحكيم وعلى ما أرشدك الى انه يجب الاعراض عن عبادة كل ما سوى الله تعالى
(وما قدره الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسهوات مطويات بيمينه) أي وما عظموا الله
حق تعظيمه أي تعظيم ما لا ثقبه تعالى بل أنزلوه عن قدره ومنزلته اذ زعموا ان له شركاء وانه لا يقدر على
احياء الموت والحال أن الارض جميعا مقدوره تعالى يوم القيامة والسهوات مطويات بقدرته تعالى
أو ما عرفوا الله حق معرفته حيث وصفوه بما لا يليق بشئونة الجليلة حيث قالوا يا الله مغلوله وقاوا ان الله
فقير يطلب منا القرص الخ ومقصود هذه الآية اشارة الى ان المتولى لابقاء السموات والارض في هذه الدار
هو المتولى لتخريبهما يوم القيامة وذلك يدل على قدرته التامة على الابدان والاعدام فاذا حاول تخريب
الارض بزيلها فكأنه يقبض قبضة صغيرة ويريد افنائها وذلك يدل على كمال الاستغناء وقرئ قبضة
بالنصب على الظرف أي في ملكه تعالى وقدرته وقرئ مطويات بالنصب على الحال والسموات معطوفة
على الارض (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي ان هذا القادر القاهر العظيم الذي حارت العقول
في وصف عظمته تنزه عن ان تجعل الاصنام شركاء له في المعبودية وان يكون تعالى عاجزا ومحكما الى شئ
(ونفخ في الصور) نفخة الموت (فصعق) أي مات (من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) قال
كعب الاحبار هم اثنا عشر جبريل وميكائيل واسرافيل وملاك الموت وحمل العرش وهم ثمانية (ثم نفخ
فيه) أي الصور بعد أربعين سنة نفخة (أخرى) وهي نفخة البعث تظفر السماء كنطف الرجال (فاذا هم
قيام) من قبورهم (ينظرون) أي يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين وينظرون حال من ضمير
قيام وقرئ قياما بالنصب على الحال من ضمير ينظرون فهو حينئذ خبر المبتدأ (وأشرق الارض بنور
ربها) أي وأضاءت الارض الجديدة التي يوجد بها الله في ذلك الوقت لتحشر الناس فيها بعد دل ربها
(ووضع الكتاب) أي صحائف الاعمال وهي ديوان الحفظة في أيدي العمال (وجي بالنبيين والشهداء)
أي الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) أي
بين العباد (بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم
(ووفيت كل نفس برقة وفاجرة جزاء ما عملت من خير وشر) وهو أعلم بما

يفعلون) ولا حاجة به تعالى الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك تشهد الكتب والشهود الزاوا للجنة (وسيق الذين كفروا الى جهنم) بالعنف والدفع (زمرا) أى أفواجا متفرقة بعضها عقب بعض على حسب ترتب طبقاتهم فى الضلالة والشرارة (حتى اذا جاؤها) أى جهنم (فتحت أبوابها) أى طرقها لهم ولم تكن قبل ذلك مفتوحة (وقال لهم خزنتها) وهم الزبانية تقرعون أبوابها (ألم يأتكم رسل منكم) أى من جنسكم وقرى نذر منكم (يتلون عليكم آيات ربكم) من القرآن وغيره (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى بلى قد أتونا وتلوا علينا وأنذرونا ولكن ثبتت علينا كلمة العذاب ومن وجبت عليه كلمة العذاب فكيف يمكنه الخلاص من العذاب (قيل ادخلوا) أى ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) أى مقدرا دخلوكم فيها (فقبض مشوى المتكبرين) أى على الانبياء جهنم أى أنهم اغمدوا النار لانهم تعظموا عن الايمان بالرسل ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشرىف الاسراع بهم الى دار الكرامة ولان بعضهم قالوا لا تدخلها حتى يدخلها أحبائى وأصدقائى ولان بعضهم استغرقوا فى مشاهدة مواقف الجلال والجمال وهى مانعة لهم عن الرغبة فى الجنة وكلهم راكبون فتساق مراكبهم (زمرا) أى متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها) أى الجنة (وفتحت أبوابها) الواو للحال أى وقد فتحت أبوابها قبل وصولهم اليها (وقال لهم خزنتها) على باب الجنان (سلام عليكم) من كل الآفات (طبتن) أى صلحتن لساكنها لانكم نظفتن من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها خالدين) وجواب اذا محذوف تقديره اطمأنوا وسعدوا (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) فى قوله تعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون (وأورثنا الارض) أى أورثنا الله أرض الجنة بأن وفقنا للايمان بأعمال أورث الجنة (نتبوا من الجنة حيث نشاء) أى ينزل كل واحد فى أى مكان أراد من جنته الواسعة فهو يتخير فى منازل قسمه فلا يختار أحدا مكان غيره مع ان فى الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة وهذا من كلام الله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محققين بالعرش أى كما ان دار ثواب المتقين هى الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة هو جوارب العرش وأطرافه (يسبحون بحمدهم) فتواهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح وأعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد فى درجات التنزيه ومنازل التقديس (وقضى بينهم بالحق) أى ان الملائكة على مراتب متفاوتة فلكل واحد منهم فى درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى قال الملائكة الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق وهم ما حدوده تعالى لاجل ذلك القضاء بل حدوده تعالى بصفته تعالى الواجبة له وهى كونه تعالى ربا للعالمين فان من حمد المنعم لاجل أن انعمه وصل اليه فهو فى الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام ويقال ان هذا من بقية شرح ثواب المؤمنين فيقال فى التقرير كما ان حرفة المتقين فى الجنة الاشتغال بهذا التحميد والتحميد فكذلك حرفة الملائكة الاشتغال بالتحميد والتسبيح ثم ان جوارب العرش ملاصقة لجوارب الجنة فالؤمنون والملائكة يصيرون متوافقين على الاستغراق فى تحميد الله وتحميده وتسبيحه فكان لكسبها المزيد التذاذهم وقال تعالى وقضى بينهم أى بين البشر بالحق وقيل الحمد لله أى أنهم يقدمون التسبيح والتسبيح عبارة عن اقرارهم بتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به وهو صفات الجلال والحمد

عبارة عن اقرارهم بكونه تعالى موصوفاً بصفات الاكرام ثم ان الله تعالى لم يبين ذلك القائل والمقصود من هذا الابهام التنبيه على ان خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة ذى الجلال والكبرياء ليس الا ان يقولوا الحمد لله رب العالمين

﴿سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وسورة غافرة مكية وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب﴾ أى هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أى الذى لا يوجد له مثل (العليم) بوجوه المصالح والمفاسد (غافر الذنب) أى غافراً للذنوب البكار قبيل التوبة عن قال لا اله الا الله (وقابل التوب) لمن تاب من الشرك (شديد العقاب) لمن مات على الشرك (ذى الطول) أى ذى الفضل على من آمن به بترك العقاب المستحق وذى الغنى على من لم يؤمن به (لا اله الا هو) فيجب الاقبال الكلى على طاعته فى أوامره ونواهيه (اليه المصير) أى مرجع من آمن به ومن لم يؤمن به (ما يجادل فى آيات الله) بالجدال الباطل (الا الذين كفروا) بها وهوان يقال فى حق القرآن انه سحر وأوانه شعراً وأوانه قول الكهنة وأوانه أساطير الاولين وأوانه يعلمه بشر وأشياء ذلك مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة قال صلى الله عليه وسلم ان جدالاتى القرآن كفروا قال لا تمروا فى القرآن فان المراءى فيه كفر (فلا يغركم تقلبهم فى البلاد) أى لا ينبغي ان تغتر بأن أتركهم سالمين فى أديانهم وأموالهم يتصرفون فى البلاد للتجارات وطلب المعاش وانى سأخذهم كما فعلت باشكالهم من الامم الماضية (كذبت قبلهم) أى قبل قومك (قوم نوح والاحزاب) أى الامم المتفرقة (من بعدهم) أى من بعد قوم نوح كقوم عاد وثمود (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أى وعزمت كل أمة من هؤلاء المكذبين ان يأخذوا رسولهم ليقتهلوه ويهلكوه (وحادوا بالباطل) أى خاضعوا لرسولهم بإيراد الشبهات (ليدحضوا به الحق) أى ليزيلوا بإيراد تلك الشبهات الصدق (فأخذتهم) بسبب ذلك (فكيف كان عقاب) أى عقابي اياهم أليس كان مهلكاً مهييئاً فى السماع (وكذلك حق كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أى كما ثبت حكمه تعالى بالتعذيب على أولئك الامم المكذبة على رسولهم ثبت على الذين كفروا وبك وتحزبوا عليك كونهم مستحقوا أشد العقوبات التى هى عذاب النار فقوله تعالى أنهم أصحاب النار فى محل رفع بدل من قوله تعالى كلمت ربك أو فى محل نصب بحذف لام التعليل أى لانهم ملازموا النار أبادراً قرأنا فى ابن عامر كلمات بالجمع (الذين يحملون العرش) وهم فى الدنيا أربعة وفى يوم القيامة ثمانية أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرفت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم (ومن حوله) وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة (يسبحون بحمديهم) قال شهر بن حوشب وحمل العرش يوم القيامة ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك اه ولا شأن ان حملة العرش أشرف الملائكة وأكبرهم روى فى الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة (ويؤمنون به) وهذا تنبيه على أن الله تعالى لو كان حاضراً بالعرش لكان حملة العرش والخاصون حوله يشاهدونه ولما كان إيمانهم بوجود الله موجبا للمدح لان الاقرار بوجوده حاضراً لا يوجب الثناء الا ترى ان الاقرار بوجوده

الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح فلماذا كر الله تعالى إيمانهم بالله على سبيل المدح والتعظيم علم أنهم آمنوا به من غير أن يشاهدوه تعالى حاضر هناك (ويستغفرون للذين آمنوا) شفقة على خلق الله وقد ثبت أن كمال السعادة مربوط بأمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ويجب أن يكون التعظيم لأمر الله مقدما على الشفقة لخلق الله فالسبج مشعر بالتعظيم لله والدعاء للمؤمنين مشعر بالشفقة عليهم وقيل هذا الاستغفار في مقابلة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أو لا تداركوه بالاستغفار لمن تكلموا فيه وهم وهو كالتنبيه لغيرهم على أنه يجب على من تكلم في أحد بشيء يكرهه أن يستغفره وعلى من أذى غيره أن يحبره بإيصال نفع اليه (ربنا) وهذا معمول لقول مضر في محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون أي قائلين ربنا الخ وهذا دليل على أن السنة في الدعاء أن يبدأ فيه بالثناء على الله تعالى ثم يدعو عقبه فإن الملائكة لما عزموا على الدعاء للمؤمنين بدوا بالثناء فقالوا ربنا (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلما فكل موجود نال من رحمة الله نصيبا لأن وجود الممكن بإيجاده تعالى فذلك رحمة فلا موجود غير الله الا وقد وصل اليه نصيب من رحمة الله وعلمه تعالى محيط بجميع المعلومات التي لانهاية لها من الكلمات والجزيئات (فاغفر للذين تابوا) من الكفرة وان أصرروا وعلى الفسق بأن تسقط العقاب عنهم (واتبعوا سبيلك) في الشريعة (وقهم عذاب الحميم) أي ادفع عنهم عذاب النار (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم) أيها وقرئ جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) ومن معطوف على مفعول أدخل أي وأدخل معهم في الجنة من آمن من هؤلاء الطوائف الثلاثة ليتصاعف ابتهاجهم قال سعيد بن جبيرة يدخل المؤمن الجنة فيقول ابن أبي أيمن زوجتي أين ولدي فيقال له أنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول أنا كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهلها في الجنة كان أكمل في سروره ولذته وقرأ ابن أبي عمير صلح بضم اللام وقرأ عيسى وذريتهم بالافراد (انك أنت العزيز) أي القادر الذي لا يساويه أحد في القدرة (الحكيم) أي الذي لا يفعل الامانة تضيق الحكمة (وقهم السيئات) أي ادفع عنهم العقوبات عند موقف القيامة وعند الحساب والسؤال أو صنهم في الدنيا عن العقائد الفاسدة والاعمال الفاسدة (ومن تق السيئات يومئذ) أي ومن تدفع عنه العقوبات أو من تصنه في الدنيا عن المعاصي (فقد رحمتهم) أي عصمتهم وعظمتهم (وذلك) أي الرحمة (هو الفوز العظيم) حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيم لا ينقطع وبأعمال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه عظمتهم (ان الذين كفروا ينادون لغت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أي ان الذين كفروا يناديهم خزنة جهنم لانكار الله لكم في الدنيا حين تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر اتباعا لانفسكم الامارة بالسوء أو اقتداء باخلائكم المضلين أكبر من انكاركم أنفسكم الامارة بالسوء الآن أو من انكار بعضكم بعضا اليوم وذلك أنهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا أنفسهم على اصرارهم على تكذيب هذه الاشياء في الدنيا أو أن الاتباع يشتمد مقتهم الآن للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر في الدنيا والرؤساء يشتمدون انكارهم للاتباع الآن أيضا واذ ظرف للفت الاول وقيل يناديهم المتقون في الآخرة من مكان بعيد وهم في النار واذ تدعون لتعليل لما بين الظرف والسبب والمعنى لغت الله أيكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم الآن لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون (قالوا) أي الكفار (ربنا أمتنا اثنتين) أي امانتين مرة بقبض أرواحنا مرة بعدما سألنا منكر ونكير في القبور (وأحييتنا اثنتين) أي أحيانا تين مرة عند سؤال

منكر ونكير في القبور ومرة عند البعث وهذا أنسب بحالهم فان مقصودهم تعدد أوقات البلاء وهي
أربعة الموتة الاولى والحياة في القبر والموتة الثانية والحياة في القيامة فهذه الاربعة أوقات المحنة فاما
الحياة في الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء فلهذا السبب لم يذكرها (فاعترفنا بذنوبنا) أى
بشركنا ووجودنا بالبعث (فهل الى خروج من سبيل) أى فهل الى خروج من النار ورجوع الى الدنيا
لتصلح أعمالنا من سبيل أى طريق فأجاب الله تعالى لهم بقوله (ذلكم) أى العذاب في النار والمقت
(بأنه) أى بسبب ان الشأن (اذا دعى الله وحده كفرتم) أى اذا عبد الله منفردا كفرتم بتوحيده
(وان يشرك به تؤمنوا) أى ان يجعل له شريك تصدقوا بالاشراك ويقال ذلكم أى عدم سبيل خروج
لكم اغما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى وإيمانكم بالاشراك به (فالحكم لله العلى الكبير) فانه
أعلى كل شئ وأكبر كل شئ بحسب القدرة والالهية وذلك حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدى (هو
الذى يرىكم آياته) أى علامات وحدانيته وقدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) أى سبب رزق
وهو المطر فانه تعالى راهى مصالح أديان العباد باظهار الآيات وراعى مصالح أبدانهم بائزال الرزق من
السماء فالآيات لحماية الأديان والارزاق لحياة الأبدان وعند حصولهما يكمل الانعام وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو بسكون النون (وما يتذكر) أى وما يتعظ بتلك الآيات الباهرة (الامن ينيب) أى الا
من يقبل على الله بالكليمة ويعرض عن غير الله (فادعوا الله) أى فاعبدوا الله أيها المؤمنون
(مخلصين له الدين) من الشرك ومن الالتفات الى غير الله (ولو كره الكافرون) اخلاص العبادة
منكم (رفيع الدرجات) أى الله عظيم الصفات فهو تعالى أرفع الموجودات في جميع صفات الجلال
والكبر لانه واجب الوجود لذاته وهو أول وآخر لكل ماسواه وليس له أول وآخر وهو عالم بجميع الذوات
والصفات والكليات والجزئيات وهو غنى عن كل ماسواه وهو واحد يتعنى أن يحصل له ضد ونحو شريك
ونظير وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح (ذو العرش) أى مالكه ومدبره وخالقه وهذا خبران
آخران لهو (يلقى الروح من أمره) أى ينزل الوحي الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد هو
أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (لينذروكم التلاق) والفاعل يعود الى من يشاء
وهو الملقى عليه وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الروح لانها قد توث وهذا الفعل ينصب مفعولين محذوفين
أى لينذر من يختاره الله الناس العذاب يوم القيامة أو ان المفعول الثانى هو يوم التلاق بدليل قراءة لينذر
يوم التلاق على البناء للمفعول ورفع يوم وسعى يوم القيامة بيوم التلاق لان الارواح متلاقية للاجساد ولان
الخلائق يتلاقون فيه فيقف بعضهم على حال بعض ولانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض ولان كل
أحد يصل الى جزاء عمله ويلتقى فيه العابدون والمعبودون ويلتقى فيه الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى
خارجون عن بواطن القبور وظاهرون لا يسترهم شئ من جبل وغيره وليس عليهم ثياب وتظهر أعمالهم
وتنكشف أسرارهم (لا يخفى على الله منهم شئ) فيعلم ما فعله كل واحد منهم فيجازى كلامهم بحسبه ان
خير نخير وان شر فشر وينادى مناد (لمن الملك اليوم) فيجيبه أهل المحشر (لله الواحد القهار) أى
الذى قهر الخلق بالموت فالؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه
على وجه التحسر والندامة على ما فاتهم في الدنيا (اليوم تجزى كل نفس) برة أو فاجرة (بما كسبت)
من خير أو شر (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب أى يقال لهم اذا أقرروا بالملك يومئذ الله وحده
اليوم تجزى الخ (ان الله سريع الحساب) اذ لا يشغله شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في أقرب

زمان (وأذرههم يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر) فأذبل من يوم الآزفة أى وأذرههم يوم القرب من
 العذاب ومشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم من أما كنهنافقتل تصق بحلو قههم من شدة الخوف
 (كاظمين) أى مغمومين يتردد الغيظ في أجوافهم فلا يكتمهم أن ينطقوا ويبينوا خوفهم (ماللظالمين
 من حيم) أى قريب مشفق (ولاشفيع يطاع) أى ولا شفيع مقبول شفاعته (يعلم خائنة الاعين)
 أى استراق النظر إلى ما لا يحل (وما تخفى الصدور) أى مضمهرات القلوب (والله يقضى بالحق) علم
 المذنب أن الله لا يحكم إلا بالحق في كل مادق وجل كان خوف المذنب من الله في الغاية القصوى (والذين
 يدعون من دونه لا يقضون بشئ) أى والذين يعبدونهم من دون الله تعالى من الأوثان لا يصنعون شيئاً
 من الشفاعة يوم القيامة ولا يأمرون بخير في الدنيا فإن الكفار اغسلوا في دفع العقاب عن أنفسهم على
 شفاعة هذه الأصنام فلذلك بين الله تعالى أنه لا فائدة فيها البتة - هذه الآية وقرأ نافع وهشام تدعون بتاء
 الخطاب (إن الله هو السميع البصير) أى يسمع من الكفار ثناءهم على الأصنام ويبصر مجودهم لهم
 ولا يسمع منهم ثناءهم على الله ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله (أولم يسروا في الأرض) أى أغفلوا ولم
 يسافروا في الأرض فيعتبروا بعن قبلهم (فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) من الأمم
 المكذبة لرسولهم (كانوا هم) أى الذين مضوا من الكفار (أشد منهم) أى من هؤلاء الحاضرين من الكفار
 (قوة) أى قدرة على التصرفات وقرأ ابن عامر وحده منكم بكاف (وآثارا في الأرض) أى قصورا للسكنى
 وحصولا للقتال ومصانع للياه (فأخذهم الله بذنوبهم) أى أهلكهم الله بسبب تكذيبهم الرسل بضروب
 الهلاك (وما كان لهم من الله واق) أى لم يجدوا من ينفعهم من الله ومن يخلصهم من عذاب الله وقرأ ابن
 كثير بالياه في لوقف (ذلك) العذاب في الدنيا (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالأحكام الظاهرة
 وبالمعجزات الباهرة (فكفروا) بذلك (فأخذهم الله) أخذاً وبيلاً (أنه قوى) بأخذه (شديد العقاب)
 لمن عاقبه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى معجزاته (وسلطان مبين) أى حجة مبينة (إلى فرعون)
 ملك مصر (وهامان) وزير فرعون (وقارون) ابن عم موسى (فقالوا) لموسى فيما أظهره من المعجزات هذا
 (ساحر) ونبيادعاه من رسالة قرب العالمين هذا (كذاب) فلما جاءهم بالحق (أى بتلك المعجزات الباهرة
 من عندنا قالوا) أى فرعون وأتباعه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أى لا تقتلوا
 بناتهم للخدمة وهذا القتل غير القتل الذى وقع في وقت ولادة موسى عليه السلام لأن فرعون قد كف عن
 قتل الولدان بعد ولادة موسى فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بنى إسرائيل لئلا ينشأوا على دين
 موسى فيقوى بهم زعمانه أن القتل يمنع الناس من الإيمان وظننا منهم أن موسى هو الذى حكم المنجمون
 والكهنة بزوال ملكهم على يده (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) أى بظلال لأن الله تعالى شغلهم عن
 ذلك القتل بما أنزل إليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرجوا من مصر
 فأغرقهم الله تعالى ولار الناس لا يعتنعون من الإيمان وان فعل بهم مثل هذا (وقال فرعون ذروني
 أقتل موسى) وغرض فرعون من هذا الكلام إخفاء خوفه لأن أحداً مانع فرعون من قتل موسى وقد
 كان فرعون استيقن أن موسى نبي وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف أن هم بقتله
 أن يعاجل بالهلاك ويخاف من أنه لو حاول قتله لظهرت منه معجزات قاهرة تمنعه من قتله فيفتضح وكان
 من دهائه ووقاحته قال هذا تمويه القوم به انه اغما متنع من قتله رعاية لقلوبهم ربما ظنوا أن موسى كان
 محقاً وعجزوا عن جوابه فقتلوه وإيهاماً أنهم هم الكافون له عن قتله ولولا هم لقتله وما كان الذى يكفه إلا

ما في نفسه من الغزع الهائل (وليدع ربه) الذي يزعم انه أرسله الى حتى يخلصه مني وهذا على سبيل
الاستهزاء في اظهار عدم المبالاة بدعائه (اني أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) الذي أنتم عليه
من عبادة فرعون والاصنام (أو أن يظهر في الارض الفساد) من قتل أبنائكم واستخدام نسائكم
وقرأت نافع وأبو عمرو وان يظهر بالواو الجامعة بين أمرين وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم أو يظهر
بفتح الياء والهاء ورفع الفساد والقراءة السبعة أربعة ثنتان مع أو وهما نصب الفساد ورفع وثنتان مع
الواو كذلك وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء أي يتتابع (وقال موسى) لقومه حين سمع ما يقوله اللعين
من حديث قتله (اني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وموسى عليه السلام
لم يأت في دفع شر فرعون إلا بأن استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فصانه الله عن كل بلية وأرسله الى كل
أمنية والمسلم اذا قال عند القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فانه تعالى يصون دينه واخلصه عن
وساوس شياطين الجن فكذلك اذا قال المسلم أعوذ بالله عند توجه الآفات والمحافات فانه يصونه عن كل
آفات والمحافات من شياطين الانس (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) وكان قبطيا ابن عم لفرعون
آمن بعمى سرا أو غريسا موحدا واسمه حزقيل أو شععان (يكنم إيمانه) من فرعون وملئه خوفا على
نفسه مائة سنة (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) أي أتقصدون قتل رجل لاجل أن يقول ربي الله
وحده من غير تأمل في أمره (وقد جاءكم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرات (من ربكم وان يك كاذبا
فعليه كذبه) أي وان كان هذا الرجل كاذبا كان ضرر كذبه عائدا عليه فاتركوه (وان يك صادقا) وقد
كذبتموه (يصبكم بعض الذي يعدكم) من العذاب في الدنيا فيكون الاولى على كلا التقديرين ابقاء حيا
والحاصل أن المقصود بيان أنه لا حاجة الى قتله بل يكفيكم أن تعرضوا عنه وان تمنعوه عن اظهار دينه ان
الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وهذا كلام ذو وجهين أي لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله
تعالى الى الاحكام ولما أقواه بعلامات النبوة وان كان كذلك أهلكه الله فلا حاجة لكم الى قتله وهذا اشارة
الى علو شأن موسى على طريق الرضا والى التعريض لفرعون بأن الله لا يهديه منهاج النجاة لانه مسرف
في عزمه على قتل موسى كذاب في جراته على ادعاء الالهية والله تعالى لا يهدي من هذأ شأنه بل يهدم
أمره ولما أقام مؤمن آل فرعون أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفا منهم في ذلك
بعذاب الله فقال (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) أي عالين الناس في أرض مصر فلا يقاومكم
أحد في هذا الوجه (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أي فلا تفسدوا أمركم ولا تعرضوا للعذاب الذي يقتل
موسى فانه ان جاءنا لم ينصنا منه أحد ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أي
أي لا أشير اليكم برأي سوى ما ذكرته أنه يجب قتله حسب المادة الفتنة ولا أسرعكم غير ما أظهره ولقد
كذب فرعون حيث كان مضمرا للخوف الشديد ولعله كان يتجملد ولولا لما اشتتار أحد أبدا (وما
أهديكم الا سبيل الرشاد) أي ما أدعوكم بهذا الرأي الا الى طريق الصواب والصلاح وقرئ بتشديد
السين للبالغته (وقال الذي آمن) راد هذا الكلام على فرعون مخاطبا لقومه (يا قوم اني أخاف عليكم
مثل يوم الأحزاب) أي مثل أيام الأمم الماضية المتفرقة فكل أمة كاد له يوم معين في البلاء (مثل
دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) كقوم لوط أي مثل جزاء دأبهم من الكفر وايداء الرسل
والحاصل ان حزقيل خوفهم هلاك مجمل في الدنيا (وما الله يريد ظلما للعباد) أي ان تدمير الله أولئك
الأحزاب كان عدلا منه تعالى لانهم استوجبوه بسبب تكذيبهم -م- للانبياء فتلك العلة قائمة هي هنا فوجب

حصول الحكم هي هنا (و يا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة فان أهل النار ينادون
أهل الجنة وأهل الجنة ينادون أهل النار ويناديهم أصحاب الاعراف وينادي بعض الظالمين بعضا
بالويل والنبور فيقولون يا ويلنا وينادي باللعنة عليهم وينادي بالسعادة والشقاوة الا ان فلانا بن فلان
سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وقرأ ابن عباس يوم التناد
بتشديد الدال أى يوم فرار بعضهم من بعض (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن الموقف لانهم اذا
سمعوا زفير النار ندوا هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوا فبينما هم عوج بعضهم
فى بعض اذ سمعوا نناديا أقبلوا الى الحساب فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (مالكم من الله من عاصم)
أى مالكم مانع من عذاب الله والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضل الله) عن دينه (فما
له من هاد) أى مرشد (ولقد جاءكم يوسف) بن يعقوب عليهما السلام (من قبل) أى من قبل
موسى فان وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة و فرعون أدرك يوسف بن يعقوب وكان
عمره أربع مائة سنة وأربعين سنة و قيل ان يوسف هذا هو يوسف بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب أرسله الله
تعالى الى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا وهذا من تمام وعظ خرقيل (بالبينات) أى بالمعجزات
الواضحة (فما زاتم فى شك عما جاءكم به) يوسف من الدين (حتى اذا هلك) أى مات يوسف (قلتم
لن يبعث الله من بعده) أى من بعد موت يوسف (رسولا) وهذا تكذيب لرسالة من هو بعده
مضموم الى تكذيب رسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى مثل هذا الاضلال يضل
الله من هو متغال فى عصيانه شاك فيما تشهده البينات لغلبة الانهمال فى التقليد (الذين يجادلون فى
آيات الله بغير سلطان) أى حجة (أتاهم) من الله (كبر مقتا) أى أعظم بغضا والموقف على مرتاب
صالح وعلى أتاهم كاف وهذا اذا جعل الذين بدلا من من فهو فى محل نصب أو بدلا من مسرف فهو فى محل
رفع وعلى هذا فهدا من كلام الرجل المؤمن أيضا وان جعل الذين مبتدأ خبره كبر كان الوقف على مرتاب
تأما ولا يوقف على أتاهم لتأخر الخبر عنه وعلى هذا فهدا ابتداء كلام الله تعالى وفاعل كبر ضمير يعود الى
من على الاحتمال الاول والى الجدال على الاحتمال الثانى أى كبر من ذكر أو كبر جدا لهم بغير حجة بل
بالبناء على التقليد أو بالبناء على الشكوك الحسية مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا) فقت الله اظهار
خزيهم واحلال العذاب بهم ومقت المؤمنين لهم كراهم أشد الكراهة (كذلك) أى مثل ذلك الطبع
(يطبع الله على كل قلب متكبر) عن الايمان (جبار) عن قبول الحق قرأ ابن عامر وأبو عمرو
وقتيبة عن الكسائي بتنوين قلب والباقون بغير تنوين على الاضافة ويشهد لهذه القراءة قراءة عبد الله
على قلب كل متكبر (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرعا) أى بناء عاليا (لعلى أبلغ الاسباب) أى
أصعد الطرق (أسباب السموات) أى طرفها الموصلة اليها (فأطلع) أى أنظر (الى اله موسى)
وقرأ حفص عن عاصم أطلع بالنصب على أنه جواب الامر أو منصوب على التوهم كما قاله أبو حيان لان
خبر لعل قد يجى مقرونا بأن أو على أنه جواب الترجى والباقون بالرفع عطفا على أبلغ والمقصود أنه لما عرف
كل أحد ان هذا الطريق ممنوع كان الوصول الى معرفة وجود الله بطريق الحس ممنوعا حينئذ لا سبيل الى
معرفة الاله الذى يشبهه موسى (وان لا ظننه كاذبا) فيما يدعيه من الرسالة (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين
(زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه انهما كلا يكف عنه بحال (وصدعن السبيل) وقرأ عاصم
وحزرة والكسائي بالبناء للمفعول أى صرف فرعون عن الحق والباقون بالبناء للفاعل أى منع فرعون

الناس عن الطريق الموصلة الى الله وقرئ وصد بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد بالرفع على أنه معطوف على سوء عمله وقرئ وصدوا أى هو وقومه (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى وما صنع فرعون فى ابطال آيات موسى الا فى هلاك (وقال الذى آمن) وهو خزيميل (يا قوم اتبعون) فيما دعوتكم اليه (أهدكم سبيل الرشاد) أى أدلكم على سبيل يودى سالكم الى الخير وفى هذا تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الضلال (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى منفعة قليلة لسرعة زوالها فهى كمتاع البيت لا يبقى (وان الآخرة هى دار القرار) أى الثبات فلا تحول عنها (من عمل سيئة) فى الدنيا (فلا يجزى) فى الآخرة (الا مثلها) أى الا ما يقابلها فى الاستحقاق فالكافر يعتقد فى كفره كونه طاعة فكان عقابه فى النار مؤبدا لانه على عزم أن يبقى مصرعا على ذلك الاعتقاد أبدا بخلاف الفاسق فان عقابه منقطع فانه يعتقد فى فسقه كونه خيانة فيكون على عزم أن لا يبقى مصرعا عليه (ومن عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة) فالآتى بالآيمان والمواظب على التوحيد مدة ثمانين سنة قد أتى بأعظم الصالحات وبأحسن الطاعات فوجب أن يدخل الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة يدخلون بالبناء للفعل (برزقون فيها) أى الجنة (بغير حساب) أى بلا هنداز فى الكثرة والسعة (ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة) أى أى شئ من المصالح فى انى أدعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة شفقة عليكم واعترافا بجهلكم (وتدعوننى الى النار) أى وأى شئ تدعوننى الى الكفر الذى يوجب الهلاك فى النار (تدعوننى لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم) أى ولا شرك بالله ما ليس به وما ليس به كيف يعقل جعله شريكا لله (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) أى الى الايمان بالله العالم فانه وان كان قادرا على التعذيب لا يغالبه لكفه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة (لاجرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق ان الذى تدعوننى الى عبادته من الاوثان ليس له دعوة فى الدنيا الى نفسه لانها جمادات والجمادات لا تدعوا أحدا الى عبادة نفسها أصلا وان الله تعالى اذا قلبها حيوا نافي الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) بالموت فأى عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة الاشياء الباطلة وان يعرض عن عبادة الاله الذى لا بد وان يكون مرجعنا اليه (وأن المسرفين) فى معصية الله كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أى ملازموها (فستذكرون ما أقول لكم) من النصائح وقت الموت ووقت مشاهدة الاهوال فى القيامة (وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد) قيل لما قال ذلك المؤمن هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه ولم يقدروا عليه لانه قد عول فى دفع مكرهم على الله (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدا ثم مكرهم قيل فجامع موسى عليه السلام وقيل انه لما فرمهم الى جبل أرسل فرعون خلفه ألفا ليقتهلوه فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتل فرعون من رجوع عقوبة على عدم قتله لذلك الرجل المؤمن (وحاق بالفرعون سوء العذاب) أى أحاط بفرعون وقومه شدة العذاب وهو القتل والفرق والنار كما قال تعالى (النار يعرضون عليها) باحراقهم بها (غدوا وعشيا) أى تعرض أرواحهم فى البرزخ على النار من حين موتهم الى قيام الساعة ولا يوقف على سوء العذاب ان جعل النار بدلا منه وان جعل خبر مبتدأ محذوف فالوقف على سوء العذاب حسن وكذا ان قرئ النار منصوبا على الاختصاص أو نحوه وان جعل النار مبتدأ أو خبره ما بعده فالوقف على العذاب تام (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قرأ نافع وحزق والكسائى وحفص

عن عاصم بفتح الهمزة وكسر الحاء أى ويوم القيامة يقول الله لخزنة جهنم ادخلوا آل فرعون فى أشد العذاب والباقون بهـ مرة الوصل وضم الحاء والمعنى ويوم القيامة يقال لهؤلاء الكفار ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب وهو عذاب جهنم (وادي تحاجون فى النار) أى واذا ذكر يا أشرف الخلق لقومك وقت تخاصم بعضهم بعضا فى النار (فيقول الضعفاء) أى السفلة من الكفار (للذين استكبروا) أى للقادة الذين تعظموا عن الإيمان (انا كمالكم تبعاً) أى اتبعا فى دينكم (فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) أى فهل تقدر أن تدفعوا عنا جزأ من العذاب والمقصود من هذا الكلام المبالغة فى تخجيل أولئك الرؤساء وإيلام قلوبهم (قال الذين استكبروا) وهم القادة للسفلة (انا كل فيها) أى نحن وأنتم واقعون فى هذا العذاب فلو قدرت على إزالة العذاب عنكم لدفعته عن أنفسنا فكل مبتدأ وفيها خبره والجملة خبران وقرئ كلا بالنصب على التأكيدهم ان أى ان كلنا واقعون فى النار ثم يقولون (ان الله قد حكم بين العباد) أى يوصل الى كل أحد مقدار حقه من النعيم أو من العذاب فلا معقب لحكمه فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم (وقال الذين فى النار) من الضعفاء والمستكبرين اذا اشتدت عليهم النار وقل صبرهم (لخزنة جهنم) أى لللائكة الموكلين بعذاب أهل النار (ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) أى يخفف عنا شيئاً من العذاب فى وقت من الاوقات (قالوا) أى الخزنة (أولم تك تأتيناكم رسلكم بالبينات) أى ألم تنتبهوا عن هذا ولم تكن تأتيناكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالجمع الواضحة الدالة على سوء الكفر والمعاصي (قالوا بلى) أى أتواناها فكذبناهم (قالوا) أى الخزنة استهزأ بهم واطهارا لحبيبتهم (فادعوا) أى اذا كان الامر كذلك فادعوا أنتم فاننا لا نتجترى على الدعاء ولا نشفع الا بالاذن فى الشفاعة والامن كان ومنا (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) أى ضياع وهذا من كلام الله اخبار النبىء فالوقف على ادعواتهم أو من كلام الخزنة كما قاله الرازى وأبو السعود قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالرسول (فى الحياة الدنيا) بانتقام الكفرة (ويوم يقوم الاشهاد) أى يوم يقوم كل من يشهد بأعمال العباد يوم القيامة من ملك ونبي مؤمن بالحجة والاعتذار (يوم لا ينفع الظالمين عذرهم) من الكفر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر لا تنفع بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية (ولهم اللعنة) أى الالهانة (ولهم سوء الدار) وهو العذاب الشديد (ولقد آتينا موسى الهدى) أى التوراة والمجرات (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) أى وثر كما عليهم من بعد موسى التوراة (هدى وذكرى لاولى الالباب) أى لاجل الهداية من الضلالة ولاجل التذكير لذوى العقول السليمة فكتب أنبياء الله مشتملة على هذين القسمين بعضها دلائل فى أنفسها وبعضها مذكرات لما ورد فى الكتب الالهية المتقدمة (فاصبر) يا أكرم الرسل على أذى اليهود والنصارى والمشركين (ان وعد الله حق) فانه ناصرك ومنجز وعده فى حقك (واستغفر لذنبك) أى تب من ترك الاولى والافضل فى بعض الاحايين فانه تعالى كافيك فى نصرته دينك واطهاره على الدين كله (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) أى ودم على التسبيح ملتبساً بحمده تعالى والمراد منه الامر بالمواظبة على ذكر الله باللسان وما لا يغفل القلب عنه (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه) وجملة ان فى صدورهم الخ خبر لان وجملة ما هم الخ صفة لكبر أى ان الذين يجحدون بآيات الله بغير برهان أتاهم فى ذلك من الله تعالى ما فى قلوبهم من التكبر عن الحق ما هم ببالغي كبره أى الذين ينصبون الجدال معك بغير حجة اغمايحهم على هذا الجدال

الباطل كبر في صدورهم وذلك الكبر هو أنهم لو سلموا نبوتك لزمهم أن يكونوا تحت تصرفك لأن النبوة تحتها كل رياسة وملاة وهم لا يرضون أن يكونوا في خدمتك راغما هم يريدون أن تكون تحت يدهم ولا يصلون إلى هذا المراد بل لا بد وأن يصيروا تحت أمرك ونهيك (فاستعذ بالله) أي فالتجئ إليه تعالى من كيد من يجادلوك (أنه هو السميع) لا قوالهم (البصير) بأعمالهم (خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) أي فالذي قدر على ابتداء خلق السموات والأرض مع عظمها قادر على إعادة الإنسان الذي خلقه أولا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي أن هذا البرهان مع قوته صار بحيث لا يعرفه من ينكرون الحشر والنشر فظهر أن هؤلاء يجادلون في آيات الله بغير حجة بل بمجرد الحسد والكبر (وما يستوى الأعمى والبصير) أي لا يستوى الجاهل المقلد المستدل (والذين آمنوا واهلوا الصالحات رلا المسيئ) أي ولا يستوى الآتي بالأعمال الصالحة والآتي بالأعمال الفاسدة (قليلا ما تذكرون) أي أن المجادلين وإن كانوا يعلمون أن العلم خير من الجهل وإن العمل الصالح خير من العمل الفاسد إلا أنهم مائة عنلون اتعاضا قليلا من أمثال القرآن فان الحسد يعمى قلوبهم فيعتقدون في الجهل والتقليد أنه محض المعرفة وفي الحسد والكبر أنه محض الطاعة وقرأعاصم وحزمة والكسائي تذكرون على الخطاب والباقون بالغيبة (إن الساعة لآتية لا ريب فيها) أي لا شك في مجيئها بإجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس) وهم الذين ينكرون البعث (لا يؤمنون) بمعنى الساعة (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي اعبدوني أثبتكم وأغفر لكم (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي أذلاء ويقال إن الدعاء هو السؤال أي ادعوني أقبل إليكم فالدعاء اعتراف بالعبودية والذلة فكأنه قيل إن تارك الدعاء اغتركه لأجل أن يستكبر عن إظهار العبودية وكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واجتهاده وأقاربه وأصدقائه فهو في الحقيقة مادعا لله إلا باللسان أما قلبه فهو معول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله فهذا مادعا لله في الحقيقة في وقت أما إذا دعا في وقت لا يبقى في القلب التفات إلى غير الله فإنه تحصل الاستجابة وانقطاع القلب بالكلية عما سوى الله لا يحصل إلا عند القرب من الموت فإن الإنسان قاطع في ذلك الوقت بأنه لا ينفعه شيء سوى فضل الله تعالى وقرأ ابن كثير وشعبة سيدخلون على صيغة المبني للمفعول (الله الذي جعل لكم الليل) باردا مظلم (لتسكنوا فيه) أي لتستريحوا فيه بالنوم والعبادة (والنهار مبصرا) أي مضيا وهذا إعلام بوجود الاله القادر فإن الاشتغال بالدعاء لا بد وأن يكون مسبوقا بحصول المعرفة وبأن من أنعم قبل السؤال بهذه النعم العالية فكيف لا ينعم بالاشياء القليلة بعد السؤال (إن الله لذو فضل على الناس) كافة باختلاف الليل والنهار وما يحتويان عليه من المنافع (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أما لكونه حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فإذا فاته وقع في كفران هذه النعم العظيمة أولانها المادامت واستمرت نسيها الإنسان أو لا اعتقاده أن هذه النعم ليست من الله تعالى بأن يعتقد أن هذه الافلاك واجبة الدوران لذواتها (ذلكم الله ربكم) أي ذلكم المعلوم المميز بالأفعال الخاصة التي لا يشارك فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شيء لا اله الا هو) وهذه أخبار أربع عن اسم الإشارة وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استثنافا (فاني توفكون) أي فمن أي وجه تصرفون عن عبادته تعالى إلى عبادة غيره ولم تعدلون عن هذه الدلائل ومن أين تكذبون على الله بجعلكم له شركاء (كذلك يوفى الذين كانوا يأتون الله يمجحون) أي مثل الصرف البعيد عن مناهج العقلاء

يصرف الذين كانوا ينكرون آيات الله تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً) أى منزلاً في حال
 الحياة وبعد الممات (والسما بناءً) أى مثل القبة المصروبة على الأرض من غير عماد (وصوركم)
 أى أحدث صوركم على غير نظام واحد (فأحسن صوركم) ولم يخلق الله تعالى حيواناً أحسن صورة
 من الإنسان (ورزقكم من الطيبات) أى اللذائذ لا كرزق الدواب (ذلكم الله ربكم) أى ذلكم
 الذى نعت بالنعوت الجليلة هو الله المحسن اليكم (فتبارك الله) أى ثبت الله مع كثرة الخيرات (رب
 العالمين) أى مالكمهم (هو الحى) أى المنفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) فلا موجود يدانيه في
 ذاته وصفاته وأفعاله (فادعوه) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك (الحمد لله رب
 العالمين) قال الفراء هو خير وفيه اضممار الامر أى فادعوه واحمدوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من
 قال لا اله الا الله فليقل بعدها الحمد لله رب العالمين أى ولما كان تعالى موصوفاً بصفات الجلال والعزة
 استحق لذاته أن يقال له الحمد لله رب العالمين (قل) لاهل مكة يا أكرم الرسل حين قالوا لك ارجع الى
 دين آبائك (انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى الذين تعبدون من الاوثان (لما جئني
 البينات) أى الدلائل (من ربي) وهى ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفاً بصفات الجلال والعظمة (وأمرت
 أن أسلم لرب العالمين) أى أن أنقاد له وأخلص توحيدى له (هو الذى خلقكم من تراب) فكل انسان مخلوق
 من منى وهو مخلوق من الدم وهو يتولد من الاغذية وهى منتهية الى النباتية والنبات اعياى يكون من التراب
 والماء (ثم من نطفة ثم من علقه) أى دم عبيط (ثم يخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلاً ثم)
 يبعثكم (لتبلغوا أشدكم) أى كمالكم فى القوة والعقل (ثم لتكونوا شيوعاً) وقرأنا فاع وأبو عمرو
 وهشام وحفص بضم الشين والباقون بكسرها وقرئ لميخا (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل
 الشيخوخة بعد بلوغ الاشد أو قبله أو قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا يفعل ذلك لتعيشوا (ولتبلغوا
 أجلاً مسمى) وهو وقت الموت (ولعلكم تعقلون) أى ولكن تعقلوا ما فى هذه الاحوال العجيبة من
 أنواع العبر وأقسام الدلائل فان دلائل وجود الله تعالى وقدرته امان دلائل الافاق وهى الليل والنهار
 والأرض والسما أو من دلائل الانفس وهى التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات أو من عمر
 الانسان وهو على ثلاث مراتب كونه طفلاً وهو فى التزايد شيئاً فشيئاً وبلوغه كمال النشو وظهوره فى النقص
 (هو الذى يحيى ويميت) فكأن الانتقال من صفة الى صفة أخرى يدل على الاله القادر كذلك الانتقال من
 الحياة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر (فادعنى أمراً) أى أراد أى أمر كان (فانما يقول له
 كن فيكون) فعبر الله عن نفاذ قدرته فى الكائنات من غير معارض بما اذا قال كن فيكون (ألم تر الى الذين
 يجادلون فى آيات الله) أى انظر الى هؤلاء المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجهة للإيمان بها (أنى
 يصرفون) أى كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها (الذين كذبوا بالكتاب) أى
 بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلاً) من سائر الكتب (فسوف يعلمون اذا اغلغل فى أعناقهم والسلاسل)
 والوقف هنا تام أو كاف كما قاله أبو عمرو واذعنى اذا هو ظرف ليعملون والسلاسل عطف على الاغلال
 والمعنى فسوف يعلمون وقت ان يكون الاغلال والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) أى وهم
 يجرون بتلك السلاسل فى الماء المسخن بنار جهنم وقرئ والسلاسل يسحبون بنصب السلاسل على أنه
 مفعول مقدم ليسحبون بفتح الياء وقرئ والسلاسل بالجر على اضممار الباء كما يدل عليه القراءة به (ثم فى
 النار يسجرون) أى يحرقون (ثم قيل لهم) بعد ان يعذبوا بأنواع العذاب (أينما كنتم تشركون من

دون الله) أى مع الله (قالوا ضلوا عنا) أى غابوا عن عيوننا فلا تراهم ولا نستشفع بهم (بل لم تكن ندعو من قبل شيئاً) أى بل لم تكن نعبد من قبل هذه الاعادة شيئاً يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع وهذا اعتراف بأن عبادتهم الاصنام كانت باطلة أو يقال بل لم تكن نعبد من قبل هذا الوقت شيئاً من دون الله وهذا انكار لعبادة الصنم (كذلك) أى مثل ذلك الاضلال (يضل الله الكافرين) عن طريق الجنة (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى ذلكم العذاب بما كنتم تظهرون فى الدنيا من السرور بالمعصية وعبادة الاصنام وبكثرة المال والاتباع والصحة (ادخلوا أبواب جهنم) أى السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) أى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) على ايذائهم وايحاشهم بتلك المجادلات (ان وعد الله) بالنصرة لك وبانزال العذاب على أعدائك (حق) أى كائن بلا شك (فأما ترى من بعض الذين نعدهم) أى فان ترك بعض الذين نعدهم أولئك الكفار من أنواع العذاب فذلك هو المطلوب (أو تتوفينسك) قبل انزال العذاب عليهم (فاليئس رجعون) يوم القيامة فنتقم منهم أشد الانتقام ويجوز ان يكون هذا جواباً للشرطين فالعنى ان نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فيها فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أى أنت يا أشرف الرسل كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين وليس فيهم أحد أعطاه الله معجزات الا وقد عادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم من الله مثل ما جرى عليك وصبروا وكان قومهم يقترحون عليهم اظهار المعجزة الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعتن ثم ان كان الصلاح فى اظهارها ظهرناها والا لم نظهرها ولم يكن ذلك قادحاً فى نبوتهم فكذلك الحال فى اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة (فاذا جاء أمر الله) أى جاء حكم الله بنزول العذاب على الامم الماضية (قضى بالحق) أى نفذ حكم الله بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أى وهلك فى وقت مجيئ العذاب من يقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعتن (الله الذى جعل لكم الانعام) أى الابل كما قاله الزجاج (لتركبوا منها) أى الابل (ومنها) أى من لحوم الابل (تأكلون ولكم فيها منافع) كالبانها وأوبارها وجلودها (ولتبغوا عليها حاجة فى صدوركم) بحمل أبقالكم من بلد الى بلد (وعليها) أى الابل بالهودج فى البر (وعلى القلک) أى السفن فى البحر (تحملون) وتسافرون (ويرىكم آياته) أى دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته (فأى آيات الله تنكرون) أى ليس فى شيء من هذه الدلائل ما يمكن انكاره لانها كلها ظاهرة باهرة (أفلم يسيرا فى الارض) أى أقعدوا فلم يسيرا فى أقطار الارض (فینظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم الماضية المتكبرين (كانوا أكثر منهم) أى من أهل مكة فى العدد يعرف فى الاخبار (وأشد قوة) بالبدن (وآثارا فى الارض) قد بقيت بعدهم محصون عظيمة مثل الاهرام الموجودة بمصر (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فلم ينفعهم الذى كانوا يكسبونه أو فأتى شيء نفعهم مكسوبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات (فرحوا بما عندهم من العلم) أى علم عقائدهم الزائفة وشبههم الداحضة أو علمهم بأمور الدنيا وهو علمهم بالطبائع والصنائع ويقال أى استهزاء الكفار بالبينات وبما جاء الرسل به من علم الوحي اذ لم يأخذوه بالقبول (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) أى دار بالكافرين جزاء استهزائهم بالرسل (فلما رأوا بأسنا) أى شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى بالاصنام الذى كما مشركين بها

مع الله تعالى لا نعلمنا انها لا تدفع عنا شيئا من عذاب الله (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا) أى فلم يصح أن ينفعهم ايمانهم عند رؤية عذابنا لعدم قبوله حيثئذ (سنة الله التي قد دخلت في عباده) أى سن الله ذلك المذكور من التعذيب عند التكذيب ومن رد الايمان عند معاينة العذاب أى ان عدم قبول الايمان حال البأس سنة الله مطردة في كل الأمم ويجوز ان يكون سنة منصوبة على التحذير أى احذروا سيرة الله في المكذبين التي قد مضت على عباده (وخسر هنالك) أى في تلك المواضع (الكافرون) بالله تعالى

﴿سورة السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة السجدة وسورة المصايح
مكية وهي أربع وخمسون آية وسبع مائة وتسعة وتسعون
كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) أى هذا حم (تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أى جعلت آيات الكتاب تفاصيل في معادن مختلفة فبعضها في ذات الله وصفاته وفي عجائب أفعاله وبعضها في أحوال التكليف وبعضها في الوعد والوعيد ودرجات أهل الجنة ودرجات أهل النار وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الاخلاق وبعضها في قصص الاولين (قرأنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أو على الحالية من كتاب أو من آياته (لقوم يعلمون) أى كائنا لقوم عرب فاللام متعلقة بمحذوف صفة ثانية لقرأنا (بشيرا) للطيعين بالثواب (ونذيرا) للعاجزين بالعقاب وقرأ يزيد بن علي برفع الاسمين (فأعرض أكثرهم) عن تدبر هذا الكتاب مع كونه بلغتهم (فهم لا يسمعون) سماع طاعة ولا يلتفتون اليه فكون الكتاب نازلا من عند الرحمن الرحيم يدل على اشتماله على أفضل المنافع وأجل المطالب وكونه قرأنا عربيا يدل على انه في غاية الكشف والبيان وكونه بشيرا ونذيرا يدل على ان الاحتياج الى فهم ما فيه من أهم المهمات واعراضهم عنه يدل على انه لا ممدى الا من هداه الله ولا ضال الا من أضله الله (وقالوا) أى كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن (قلوبنا في أكنت) أى أغطية (عما ندعونا اليه) من التوحيد (وفي آذاننا وقر) أى همهم (ومن بيننا وبينك حجاب) أى ستر غليظ يمنعنا عن مواصلة اياك (فاعمل) أى استمر على دينك وهو التوحيد (انما عاملون) أى مستمرون على ديننا وهو الاشراف (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى) أى قل يا أشرف الخلق انى لا أقدر على ان أحكمكم على الايمان قهرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز بيني وبينكم الا بعجز دان الله تعالى أوحى الى دونكم فانا بلغ هذا الوحي اليكم فان شرفكم الله قبلتموه وان خذلكم رد دعوه وذلك لا يتعلق بنبوتى ورسالتى وذلك الوحي يرجع الى أمرين العلم والعمل فالعلم رئيسه معرفة ان الله واحد وهو المراد من قوله تعالى (انما الحكم اله واحد) واذا كان الحق ذلك التوحيد وجب علينا ان نعترف به وهو المراد من قوله تعالى (فاستقيموا اليه) أى استقيموا في أفعالكم متوجهين الى الاله الواحد ثم أمر الله تعالى بوظيفة العمل ورئيسه الاستغفار فلهذا السبب قال (واستغفروه) لاجل الخوف من وقوع التقصير في العمل المأتم به (وويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فانه تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفاً بصفات ثلاثة الشرك والامتناع من الزكاة وانكار القيامة فان أعظم الطاعات التعظيم لامر الله وأفضل أبوابه الاقرار بكون الله واحدا واذا كان التوحيد أعظم الطاعات كان الشرك

أخسها لانه ضد التوحيد ولما كن أفضل أنواع المعاملة مع الخلق اظهرا الشفقة عليهم كان الامتناع من
الزكاة أخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر
لا يؤتون الزكاة بقوله أي لا يقولون لا اله الا الله فانه ازكاة الانفس والمعنى لا يظهرون أنفسهم من لوث
الشرك بقولهم لا اله الا الله وقال الحسن وقتادة أي لا يعتقدون إعطاء الزكاة واجبا وقال مجاهد
لا يركون أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع قيل نزلت هذه الآية
في المرضي والزمي اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاحسن ما كانوا يعملونه ويقال يكتب ثواب
أعمالهم بعد الهرم أو الموت الى يوم القيامة غير منقوص وقيل لا يمنون بذلك الاجر (قل) يا أشرف الخلق
(أنكم) يا أهل مكة (لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) أي لتكفرون بالعظيم الشأن الذي
حكم بأن الارض ستوجد في مقدار يومين (وتجعلون له أندادا) أي نظراء والحال انه لا يمكن له نظير
واحد أي ان الاله الموصوف بالقدر على خلق هذه الاشياء العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف
يليق بالعقل جعل الخشب المنجور والحجر المنحوت شريكاه في المعبودية (ذلك رب العالمين) أي ذلك
العظيم الشأن الذي علمت من صفته خالق جميع الموجودات فكيف أثبت له أندادا من الخشب والحجر
(وجعل فيهما رواسي) وهر عطف على خلق الارض أي وخلق في الارض جبلا لا ثوابت (من فوقها)
أي كائنة من فوق الارض ليرى الانسان بعينه ولا يتفكر ان الجبال أثقال على أثقال وكلها مقلعة الى
عسك وحافظ وماذا لك الحافظ المدير الا الله تعالى ولو جعل في الارض رواسي من تحتها لا وهم ذلك ان
تلك الاساطين التحتانية هي التي أمسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول (وبارك فيها) أي
الارض بشق الانهار وخلق الاشجار والثمار وأصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات (وقدر
فيها أقواتها) أي بان يوجد لاهل الارض من الانواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين
تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها (في أربعة أيام) أي مع اليومين الاولين اللذين خلق فيهما
الارض (سواء للسائلين) قرئ سواء بالحركات الثلاثة النصب على مصدر مؤكد مظهر هو صفة لأربعة
أي استوت الأربعة استواء لا يزيد ولا ينقص والجر على الوصف أي مساويات غير مختلفة في المقادير
والرفع على تقدير هي سواء ولن قرأه بالرفع ان يعف على أربعة أيام وقوله تعالى للسائلين امام يتعلق بسواء
أي مستويات لمن سأل الرزق ولن لم يسأل أو متعلق بقدر كما قاله الزجاج أي وقدر فيها أقواتها في أربعة
أيام لاجل الطالبين للاقوات المحتاجين اليها أو متعلق تعذوف والتقدير هذا الحصر بيان للسائلين عن
مدة خلق الارض وما فيها في كم يوم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء) أي ثم قصد الى خلق
السماء أي ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن
ذلك (وهي دخان) أي أمر ظلماني أو دخان مرتفع من الماء (فقال لها) أي للسماء (وللارض اثني) الى
الوجود والحصول أي كونها على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منسكب وهذا عبارة عن تعلق ارادته تعالى
بوجودهما تعلقا فعليا (طوعا أو كرها) أي طائعتين أو كارهتين أي شئتما ذلك أو أبيتما (قالنا أتينا
طائعتين) أي أتينا أمرنا منقادين لا على الكره وهذا تمثيل لكل تأثرهما بالذات العلية عن القدرة الربانية
وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتينا قالتا آتينا بالمدف الفعلين أي وافقاعا على مرادى منكبا قالتا وافقنا
على ذلك أو أعطينا الطاعة من أنفسكم من أمر كما قالتا أعطينا الطاعة ويقال ان الله تعالى قال للسماء
والارض بعد ما فرغ منهما أعطيا ما فيكما أوجيا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجها لخلق أي قال

لهما فعلا ما أمرتكم بطوعا والالجان تكا الى ذلك حتى تغلوا (فقضاهن سبع سموات في يومين) أي أتم
 السماء حال كونها سبع سموات في يومين ذكر أهل الآثار أن الله تعالى خلق الأرض في يوم الأحد والاثنتين
 وخلق سائر ما في الأرض في يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في
 آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وإن الذي خلق أولا هو النخاع
 الذي هو أصل السماء ثم بعده الأرض غير مدحوة ثم خلقت السماء مبسوطة متغصلة طباق بعضها فوق
 بعض ثم دحيت الأرض وخلق ما فيها من الارزاق وغيرها (وأوحى في كل معاء أمرها) قال مقاتل أمر
 في كل معاء بما أراد وقال قتادة والسدي خلق فيها شمسهما وقرها ونجومها وقال عطاء عن ابن عباس
 رضى الله عنهم خلق في كل معاء ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله تعالى ويقال والله تعالى
 على أهل كل معاء تكليف خاص فمن الملائكة من هو في القيام من أول خلق العالم إلى قيام القيامة ومنهم
 ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود لا يرفعون وذلك الأمر مختص بأهل السماء (وزينا السماء الدنيا
 بصابيح) وهي النيران التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء معين وطبيعة معينة وسر معين
 لا يعلمها إلا الله تعالى (وحفظا) أي وحفظناها من الشياطين الذين يسرقون السمع وقيل إن حفظا
 مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فبعض النجوم زينة السماء لا يتحرك وبعضها
 يهتدي به في ظلمات البر والبحر وبعضها رجوم للشياطين (ذلك) أي هذه التفاصيل (تقدير العزيز
 العليم) لأنها لا يمكن إلا بقدرته الكاملة وعلم محيط (فإن أعرضوا) عن قبول هذه المحبة القاهرة وأصروا
 على التقليد (فقل) لهم (أنذرتكم صاعقة) أي خوفتكم عذابا باهتا لا كأنه نار معمار عديد
 (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرأ ابن الزبير والنخعي والسلي وابن محيصة صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهي
 المرة من صيحة العذاب روى أن أبا جهل قال في ملا من قريش التبس علينا أمر محمد فلو التسم لنا رجلا
 عالما بالشعر والسحر والكهانة فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت
 الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما ما يخفى على فأتاه فقال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير
 أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم تشتم آهتنا وتضل لنا فان كنت تريد الرياسة عقد نالك اللوا فكن
 رئيسنا وان كنت أردت الباهز وجنالك عشرين سنة تختارهن من أي بنات قريش شئت وان كنت تريد
 المال جمعنا لك ما تستغنى به ورسول الله ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن
 الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم إلى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى
 الله عليه وسلم ونأشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا لا ترى عتبة إلا قد
 صبا فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبت فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال
 والله لقد كلمته فأجابني بشئ والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
 أمسكت بفيه ونأشده بالرحم ولقد علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فحقت أن ينزل بكم العذاب ونما
 خص هاتين القبيلتين لأن قريشا كانوا يرون على بلادهم (أذجا) هم (الرسول) حال من صاعقة عاد
 أو ظرف منها منصوب بهالانها معنى عذاب فالعني صاعقة عاد وثمود وقت مجي رسلكم اليهم (من بين
 أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من جميع جوانبهم وأتوهم بجميع وجوه الحيل فلم ير منهم إلا الاعراض
 أي جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم أي جاءهم هود وصالح داعيين لهم إلى الإيمان بهما وبجميع
 الرسل فكان جميع الرسل قد جاؤهم وخاطبواهم بقوله تعالى (أن لا تعبدوا إلا الله) فان مفسرة بمعنى

أى أو مخففة من الثقل أى بأنه لا تعبدوا أى بان الحديث قولهم لهم لا تعبدوا إلا الله أو مصدرية والجملة
 بعدها صلته ما وصلت بالنهى كما توصل بالامر أى جاؤهم بكونهم فهوهم عن الشرك ويجوز أن تكون أن نافية
 على هذا الوجه أى جاؤهم بامرهم بالتوحيد ونفى الشرك (قالوا) أى عادو وعودوا مطيعين لهود وصالح
 (لوشاهربنا) أى إرسال الرسل إلى البشر (لأنزل ملائكة) أى لارسلهم بطريق الانزال (فأنابا
 أرسلتم به كافرون) أى فإذا أنتم بشرولستم ملائكة فأنتم لستم برسول وإذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا
 قبول قولكم وقوله تعالى عما أرسلتم به حكاية لكلامهم على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم
 الذى أرسل اليكم لمجنون (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق) أى فأما قوم هود فتعظموا فى
 الأرض على أهلها بغير استحقاق للتعظم (وقالوا) لهود لما هددهم بالعذاب (من أشد مناقوة) أى
 نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا وذلك لأن أطولهم كما قال ابن عباس كان مائة ذراع
 وأقصرهم كان ستين ذراعا فقال الله تعالى رداعليهم (أولم يروا) أى ألم ينظروا ولم يعلموا علم الجليل
 (أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) أى قدرة يقدر على إهلاكهم (وكانوا بآياتنا يجحدون) أى
 انهم كانوا يعرفون أن الآيات المنزلة على الرسل حق ولا كذبهم أنكروها كما ينكر المودع الوديعه (فأرسلنا
 عليهم ريحا صرصرا) أى باردا شديدا يحرق ببرده كما تحرق النار بجرها أو ريحا يصوت فى هبوبه وعن ابن
 عباس أن الله تعالى ما أرسل على عاد من الريح الا قدر خاتمي والمراد انه مع قلته أهلك السكل وذلك دليل
 على كمال قدرته تعالى (فى أيام نحسات) أى مشومات روى أن الأيام كانت آخر شوال من الاربعاء
 الى الاربعاء قال ابن عباس وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء وقرأنا فاع و ابن كثير وأبو عمر ونحسات بسكون
 الحاء والباقيون بكسرها (لنذيقهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا) بسبب انهم استكبروا فاقابل الله ذلك
 الاستكبار بإيصال الذل اليهم وقرئ لتذيقهم بالتاء على اسناد الاذاقة الى الريح أو الى الأيام (وعذاب
 الآخرة أخرى) أى أشد اهانة عما كان لهم فى الدنيا (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأما ثمود
 فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) أى وأما قوم صالح فبيننا لهم طريق الخير والشرف فاختاروا
 الدخول فى الضلالة على الدخول فى الرشود قرأ الجمهور برفع ثمود ممنوعا من الصرف وقرئ بالنصب بفعل
 يفسره ما بعده وقرأ الاعمش وابن وثاب منونا فى الحالين والرفع أفصح لوقوع ثمود بعد حرف الابتداء وقرئ
 ثمود بضم التاء (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أى داهية العذاب الذى يمينهم بشدة (عما كانوا
 يكسبون) من اختيار الضلالة وهى شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة (ونحنينا الذين آمنوا) من
 الفريقين (وكانوا يتقون) الاعمال التى أتى بها قوم عاد و ثمود (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أى
 واذكروا أشرف الخلق لقريش المعادين لك حال الكفار فى القيامة يوم يجمع بكرة الكفار الاولون
 والآخرين الى موقف الحساب والتعبر عنه بالنار للاعلام بانها آخر حشرهم أولان حسابهم يكون على
 شفيرها ويحشر بالبناء للفعول وأعداء بالرفع على قراءة الجمهور وقرأنا فحشر بنون العظمة وضم الشين
 ونصب أعداء وقرئ ويحشر بالبناء للفاعل ونصب أعداء وقرئ بكسر الشين مع البناء للفاعل فى الحالين
 (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى إذا جاءوها) أى حتى إذا حضروا
 موقف الحساب (شهد عليهم معهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من فنون الكفر
 والمعاصى بان ينطقها الله تعالى كأنطق اللسان فتشهد وقال ابن عباس المراد من شهادة الجلود شهادة
 الفروج (وقالوا جلودهم) أى لأعضائهم أولفروجهم (لم تشهد علينا) وكأنحاسب عنكم

بالجدال وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يتكلم من الآدمي لحذه وكفه اه وذلك لان مقدمة
 الزنا انما تحصل بالكف ونهاية الامر انما تحصل بالغخذ (قالوا) أى الجلود (أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ
 وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) أى أنطقنا الله الذى أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع
 فشهدنا عليكم بما علمتم بواسطتنا من القبايح وما كتمناها فان القادر على انشائكم وانطاقكم فى المرة الاولى
 حال ما كنتم فى الدنيا وعلى اعادة تكلم بعد الموت احياء قادر على انطاقكم فى المرة الثانية وهى حال القيامة
 فكيف يستبعد منه انطاق الاعضاء (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم
 ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أى وما كنتم تستترون بفحوا الحيطان فى الدنيا عند الاقدام
 على الافعال القبيحة مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك لانكم غير عالمين بشهادتها عليكم ولا نكم
 منكرون للبعث والحجز ولكن استتاركم لاجل انكم ظننتم أن الله لا يعلم الاعمال التى أقدمتم عليها
 من القبايح المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم
 أرداكم) فاسم الإشارة مبتدأ وظنكم خبر والموصول نعت أو بدل وأرداكم حال أى ذلكم الظن المذكور
 ظنكم الذى بربكم مهلكا ياكم ويجوز أن يكون ظنكم والموصول وجملة أرداكم اخبارا (فأصبحتم من
 الخاسرين) أى فصرتم بسبب ذلك الظن المردى من الهالكين بالعقوبة قال أهل التحقيق الظن قسمان
 حسن وفاسد فالظن الحسن أن يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم حكاية
 عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي والظن الفاسد أن يظن ان الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه
 الاحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منج وظن مردف المجهى هو المحكى بقوله تعالى اى ظننت انى ملاق
 حسابه والمردى هو المحكى بقوله تعالى ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم (فان يصبر وافا النار
 مثنى لهم) أى فان أمسكوا عن الاستغانة لاجل فرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك الفرج وتكون النار محل
 اقامة أبدية لهم (وان يستعقبوا فاقاهم من المعتبين) أى وان طلبوا الرجوع الى ما يحبونه جزاء ما هم فيه
 لم يعطوه ولم يجابوا اليه وقرى وان يستعقبوا بصيغة المفعول فاقاهم من المعتبين بصيغة اسم الفاعل أى وان
 يطلبوا الى أن يرضوا بربهم فاقاهم فاعلون اذ لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم قرنا) أى بعثنا لهم شركاء
 من الشياطين يلزمونهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خافهم) أى فزينوا لهم أمر الآخرة بان لا بعث ولا
 حساب ولا جنة ولا نار وأمر الدنيا بانها قد عتية باقية لا تغنى ولا صانع الا الطبايع والافلاك والوقوع فزينوا لهم
 ماضى من أعمالهم المحيثة وما بقى من أعمالهم الحسيسة وهو ما يرضونهم انهم يعملونه (وحق عليهم القول
 فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) أى وثبت عليهم كلمة العذاب حال كونهم
 كاثنين فى جملة أمم من المتقدمين من الجن والانس لانهم كانوا هالكين بالعقوبة (وقال الذين كفروا)
 أى كفار مكة أبو جهل وأصحابه عند قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسمعوا لهذا القرآن) لانه مقلب
 القلوب وكل من استمع له صبا اليه (والغوا فيه) أى تشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات
 والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخطوا على القارى (لعلكم تغلبون) أى لكي تغلبوا
 محمد على قراءته فمسكت فهددهم الله بالعذاب الشديد بقوله (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) فى
 الدنيا بالحسرة والحزن (والجزينهم) فى الآخرة (أسوأ الذى كانوا يعملون) أى سيئات
 أعمالهم بحسب تفاوت السيئات فى الاثم ولا يجازيهم على محاسن أعمالهم كإغاثة الملهوفين وصلة الارحام
 وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وفى هذا تهديد شديد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على

القارى ويخلط عليه القراءة وتعريض عن لا يكون عند كلام الله خاضعا خاشعا (ذلك) أى جزاء أقيم
 أعمالهم (جزاء أعداء الله) أى جزاء معدلهم (النار) عطف بيان (لهم فيها دار الخلد) أى لهم فى دركات
 النار دار معينة وهى دار العذاب المخلد لهم (جزاء عما كانوا يأتون بجمعدون) وجزاء منصوب بجزاء فان المصدر
 ينصب بمثله أى جزاء بسبب ما كانوا يلغون فى قراءة آياتنا وانما سمى اللغو سجود لانهم لما علموا ان القرآن
 بالغ الى حد الانحياز خافوا من انه لو سمعوا الناس لا منوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة (وقال الذين
 كفروا) وهم متقلبون فى عذاب النار (ربنا أرنا الذين أضلنا) عن الحق (من الجن والانس) أى
 الشياطين ورؤساء الانس وقال على بن أبى طالب أى من ابليس وقابيل لان الكفر سنة ابليس والقتل
 بغير حق سنة قابيل وقرأ ابن كثير والسوسى وابن عامر وشعبة بسكون الراء من أرنا أى أعطناهما
 واختلس الدورى كسر الراء وشدد ابن كثير النون من الذين (نجعلهما تحت أقدامنا) أى ندسهما لىكون
 وقاية بيننا وبين النار فتخف عنا حرارتها نوع خفة (ليكونا من الاسفلين) أى لىكون عن هوأذل منا
 مكانا وأشد منا عذابا كما جعلنا فى الدنيا تحت أمرهما (ان الذين قالوا ربنا الله) قولنا مقرون باليقين
 التام المعرفة الحقيقية (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الاعمال الصالحة (تنزل عليهم الملائكة) عند
 الموت وفى القبر وعند البعث بالبشرى (أن لا تخافوا) وأن مفسرة أو مخففة من الثقل ولا نهاية أى بأنه
 لا تخافوا على ما مامكم أو مصدريه ولا امانا نهاية أو نافية وقرى لا تخافوا على انه حال من الملائكة أى
 يقولون لا تخافوا (ولا تحزنوا) على ما تركتم من خلفكم فانه تعالى أخبر ان الملائكة يخبرون فى أول
 الامر بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب
 ما فاتكم من أحوال الدنيا فان المستقبل فى كل ساعة يصير أقرب حصولا والماضى فى كل حالة أبعد
 حصولا ولهذا قال الشاعر

فلا زال ما نهواه أقرب من غد * ولا زال ما نخشاه أبعد من أمس

وعند حصول هذين الامرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية ثم بعد الفراغ من ذلك الاخبار يبشرون
 بحصول المنافع لان دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب المصلحة وذلك قوله تعالى (وأبشروا) أى املوا
 صدوركم سرورا (بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على السنة الرسل (نحن أولياؤكم فى الحياة
 الدنيا وفى الآخرة) أى نحن أقرب الاقرباء اليكم فنوقظكم من المنام ونحملكم على الصلاة والصيام
 ونبعدكم عن الآثام فى الحياة الدنيا ون دفع عنكم المضرات ونجلب لكم المسرات فى الآخرة بالشفاعة حيث
 يتعادي الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) أى الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من اللذائذ لانكم منعموها
 فى الدنيا من الشهوات (ولكم فيها) أى الآخرة (ما تدعون) أى تطلبون (نزلا) حال من ما تدعون
 أى حال كون هذا رزقا مهيأ كما يهيأ للضيف مستقر الكرم (من غفور رحيم) قال العارفون هذه الآية
 تدل على ان هذه الاشياء جارية مجرى المهيأ للضيف والكريم جل وعلا اذا أعطى النزل فلا بد وان يبعث
 الخلع النفيسة بعدها وتلك الخلع ليست الا السعادات الحاصلة عند رؤيته تعالى (ومن أحسن قولا ممن
 دعا الى الله) أى لا أحد أحسن من جهة القول عن دعا الى طاعة الله (وعمل صالحا) أى والحال انه قد عمل
 صالحا فى نفسه وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء بالمعجزات وبالنجيب وبالسيوف والثانية دعوة
 العلماء الى الله تعالى بالبراهين فهم نواب الانبياء فى العلم أما المولى فهم نواب الانبياء فى القدرة الثالثة دعوة
 المجاهدين الى الله تعالى بالسيوف الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم دعا الى طاعة الله تعالى (وقال

اننى من المسلمين) أى ابتهاجا بانه منهم فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة الاولى الاقرار باللسان وهو
 الدعوة الى الله بأقامة الدلائل اليقينية والثانية الاعمال الصالحة بالجوارح والثالثة الاعتقاد الحق بالقلب
 وهاتان داخلتان في قوله تعالى وعمل صالحا والرابعة الاشتغال بأقامة الحجبة على دين الله تعالى والموصوف
 بهذه الخصال الاربعة أفضل الناس وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن أبي عملة انى بنون واحدة
 (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أى لا تستوى الدعوة الى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار ولا
 قولهم قلوبنا فى أكنة عما تدعوننا اليه ولا تسمعوا لهذا القرآن (ادفع بالتي هى أحسن) أى ادفع جهالتهم
 بالطريق التي هى أحسن الطرق (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وإذا التي هى
 للفاجة طرف مكان لمعنى التشبيه والموصول مبتدأ والجملة بعده خبره وإذا مفعولة لمعنى التشبيه والظرف
 يتقدم على عامله المعنوى أى فالذى بينك وبينه عداوة مشبهة في المحبة للصديق في الدين القريب في النسب
 الذى لم تسبق منه عداوة إذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى والمعنى فإذا قابلت أفعال أعدائك
 القبيحة بالأفعال الحسنة ولم تقابل سفاهتهم بالغضب والايحاش استحيوا من تلك الاخلاق المذمومة
 وتركوا تلك الافعال القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة قيل نزلت هذه الآية فى أبي سفيان بن حرب
 وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وصار وليا مضافا له صلى الله عليه وسلم (وما يلقاها
 الا الذين صبروا) أى وما يعطى هذه الخصلة التي هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين شأنهم الصبر على
 تحمل المكاره وتجزع الشدائد (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى وما يوفق على هذه الفعلة أى التي هى
 دفع السيئة بالحسنة الا ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة أو من الخلق الحسن (وما ينزغنى من الشيطان
 نزغ فاستعذ بالله) أى وان يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به بان صرفك صارف عما شرعت من
 الدفع بالتي هى أحسن فاستجرب الله من شره يدفعه عنك (انه هو السميع العليم) لقولك وأفعالك
 (ومن آياته) الدالة على وجود الله وقدرته (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق له تعالى
 مسخر لأمره تعالى (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهم عبادان مخلوقان مثلكم (واسجدوا لله الذى
 خلقهن) أى الاربعة (ان كنتم اياه تعبدون) أى ان كنتم تريدون بعبادة الشمس والقمر عبادة الله
 فلا تعبدوهما فان عبادة الله فى ترك عبادتهما فان الذين يعبدونهما يقولون نحن اذل من ان يحصل لنا
 أهلية عبودية الله تعالى ولكنا عبيد للشمس والقمر وهما عبادان لله (فان استكبروا قال الذين عند ربك
 يسجدون له بالليل والنهار) أى فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد فى النهى عن السجود للشمس
 والقمر فدعهم وشأنهم فان الله عبادا يعبدونه من الملائكة أى والله لا يعدم عابدا له أبدا بل يكون من خلقه
 من يعبد على الدوام (وهم لا يسأمون) أى لا يملون عن عبادة الله تعالى ولا يفترون بموضع السجود
 عند قوله تعالى اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن حكاة الرافي عن أبي حنيفة وأحمد ذكر السجود
 قبيله وعند قوله تعالى لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاة الزمخشري
 عن أبي حنيفة لان الكلام اغايم عنده وعند الشافعي عند قوله تعالى اياه تعبدون لكن قال الشريبي
 والصحيح عند الشافعي عند قوله تعالى لا يسأمون (ومن آياته) الدالة على قدرته تعالى ووحده دانيته
 (أنك) أيها الانسان (ترى الارض خاشعة) أى منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت)
 أى تحركت بالنبات (وربت) أى انفتحتم ثم تصدعت عن النبات وقرى ربات أى ارتفعت (ان
 الذى أحياءها المحي الموتى) أى ان القادر على احياء الارض بعد موتها والقادر على احياء هذه الاجساد

بعد موتها (انه على كل شيء قدير) أي انه تعالى قادر على المسككات فوجب أن يكون قادر على إعادة التركيب والحياة والقدرة والعقل الى تلك الاجزاء المتفرقة (ان الذين يهدون في آياتنا) أي يعملون عن الحق في أدلتنا (لا يخفون علينا) في وقت من الاوقات وقرأ حزمة بفتح الياء والحاء (أفنى يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة) أي الذين يعملون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتأويل الباطل فيلقون في النار خيراً أم الذين يؤمنون بآياتنا قياً يؤمنون آمنين من العذاب يوم القيامة (اعملوا) يا أهل مكة (ما شئتم) من الاعمال المؤدية الى الالفاء في النار والانيان آمننا (انه بما تعمونون بصير) فيجازيكم بحسب أعمالكم وفي ذلك تهديد (ان الذين كفروا بالذكر) أي بالقرآن (لما جاءهم) لهم في الآخرة نار جهنم أو يجازون بكفرهم (وانه) أي القرآن (لكتاب عزيز) أي غالب عديم النظير لانه بقوة حجته غلب على كل ماسواه ولان الاولين والآخرين يحجزوا عن معارضته (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا تكذبه الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب ولا يحيى كتاب من بعده يكذبه (تنزيل من حكيم) في أمره (حميد) في أفعاله (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك) أي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قد قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) للحمقين (وذو عقاب أليم) للبطلين ففوض هذا الامر الى الله واشتغل بما أمرت به وهو التبليغ والدعوة الى الله تعالى (ولو جعلناه) أي هذا الذكر (قرآناً أعجمياً لقالوا) أي كفار مكة (لولا فصلت آياته) أي لم لا بينت آياته بلسان نفهمه (أعجمي وعربي) أي أكلام أعجمي ورسول أومرسل اليه عربي والمعنى اننا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام الأعجمي الى القوم العرب ويعلمهم أن يقولوا اقلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه أي من هذا الكلام وفي آذاننا وقرمناه لا نفهمه ولا نحيط بعنايه ولما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء أن قلوبكم في أكنة منها وفي آذانكم وقرمناها وقرى أعجمي على الاخبار بأن القرآن أعجمي والمتكلم والمخاطب عربي ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لافهام العجم وبعضها عربياً لافهام العرب (قل هو) أي القرآن (للذين آمنوا هدى) لانه دليل على الحيرات ويرشد الى كل السعادات (وشفاء) لانه اذا أمكنهم الاهتداء فقد حصل لهم الهدى فذلك الهدى شفاء لهم من مرض الكفر والجهل (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي والذين لا يؤمنون هو حال كونه كائناً في آذانهم صمم فوق قرخبر للضمير المقدر والجملة خبر الموصول وفي آذانهم متعلق بمعدوف وقع حالاً من وقر (وهو) أي القرآن (عليهم عسى) قرأ الجمهور على صيغة المصدر وقرأ ابن عباس عسى على صيغة النعت (أولئك) الموصوفون بالصمم عن الحق والعسى عن الآيات الظاهرة (ينادون من مكان بعيد) أي هم مثل البهيمة التي لا تفهم الا نداء وقيل هم كمن ينادون من مكان بعيد لم يسمعوا وان سمعوا لم يفهموا (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف فيه) فقبله بعضهم ورده الآخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي لولا عدة سبقت بتأخير عذاب في حق أمتك المكذبة الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أي بين المكذبين والمصدقين بالعذاب الواقع بالمكذبين في الدنيا (وانهم) أي كفار قومك (لن يضل منهم) أي من كتابك (مرتب) أي موقع في شأن ظاهر فلا ينبغي أن تستعظم استيحاك من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه (من عمل صالحا فلنفسه

ومن أساء فعلها) أى خفف يا أكرم الرسل على نفسك اعراضهم فانهم أن آمنوا فتنفع أيمانهم يعود عليهم وان كفر واغضركهم يعود اليهم (وما ربك بظلام للعبيد) وهو يوصل الى كل أحد ما يليق بعلمه من الجزاء في يوم القيامة (اليه) أى الربك (يرد علم الساعة) أى لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكما أن هذا العلم ليس الا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المسببة في أوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى ثم ذكر الله تعالى من أمثلة هذا الباب مثالين بقوله (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أى أوعيتها (وما تحمل من أنثى ولا تضع) حملها (الا بعلمه) أى الاملا بسا بعلمه المحيط أما أصحاب الكشف فهو من الهام الله تعالى وأما أصحاب علم الرمل وعلم التعبير فلا يمكنهم الجزم في شيء من المطالب البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف وما نافية ومن في ثمرات وفى أنثى زائدة للاستغراق وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم من ثمرات بالجر والباقيون من ثمرة بالافراد (ويوم ينادى بهم) أى يوم ينادى الله المشركين (أر شركتى) بحسب اعتقادكم (قالوا) أى يقولون متبرئين من اثبات الشريك لله تعالى (آذناك) أى أخبرناك وأمعناك (مامنا من شهيد) أى ليس أحد منا يشهد بأن لك شريكا (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى غابت عنهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ولا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وظهور لهم عدم نفعها طالتئذ (وظنوا مالهم من محيص) أى أيقنوا أنه ليس لهم مهرب من النار (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) أى من طلب السعة فى أسباب المعيشة (وان مسه الشرف فيؤس قنوط) أى أصابه ضيقة فهو مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله ومن رحمته حتى يظهر آثاره فى الاحوال الظاهرة (ولئن أذقناه) أى الانسان (رحمة منا من بعد ضراء مسته) أى من بعد شدة أصابته (ليقولن هذا) أى هذه الخيرات انما حصلت لى بسبب استحقاقى لما حصل عندى من الفضائل وأعمال القربة من الله (وما أظن الساعة قائمة) أى ان الانسان يكون شديد الرغبة فى الدنيا عظيم النفرة عن الآخرة فاذا آل الامر الى الآخرة يقول وما أظن الساعة تقوم (ولئن رجعت الى ربي انى عنده) أى فى الآخرة (للحسنى) أى للحالة الحسنى من الكرامة وقوله ان الى الخ جواب القسم لسبقه الشرط (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى فلنظهورن لهم أن الامر على عكس ما تصوروه (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) أى شديد (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (ونأى بجانبه) أى تباعد عن الشكر بكليته تعظما (واذا مسه الضر) أى أصابه فقر (فدودعا عريض) أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى التضرع (قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى قل لهم يا أشرف الخلق اخبروني ان كان هذا القرآن من الله ثم كفرتم به من أضل منكم فان حالكم فى معاداة شديدة مع محمد صلى الله عليه وسلم وأنكم كلما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه وما تأملتم فيه وبالغتم فى النفرة عنه حتى قلتم قلوبنا فى أكنة عما تدعوننا اليه وفى آذاننا وقر (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) أى سترى أهل مكة علامات وحدانيتنا وقدرتنا فى أطراف الارض من حزاب مساكن الامم الماضية كعاد وثمود وسنريهم ذلك فى أنفسهم من الامراض والمصائب وغير ذلك (حتى يتبين لهم أنه الحق) أى ان هذا القرآن هو الحق المنزل من الله (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وربك فاعل ولباء مزيدة وأنه بدل منه أى أولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ولم يغفهم اخباره للامم الماضية (ألانهم فى مريبة من لقاء ربهم) أى ان أهل مكة فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألانهم بكل شيء محيط) أى ان الله عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها

فيعلم بواطن هؤلاء الكفار وظواهرهم ويجازى كل أحد على فعله بحسب ما يليق به ان خير الخير وان شر الشر

﴿سورة شوري وتسمى سورة حم عسق وسورة حم سق مكية وهي ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستة وثمانون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق) ايمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقرأ ابن عباس وابن مسعود حم سق وهما خبران لمبتدأ محذوف (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أى مثل ما فى هذه السورة من المعانى أوحى الله القادر على ما لا نهاية له العالم بجميع المعلومات الغنى عن جميع الحاجات اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم رقرأ ابن كثير يوحى بالبناء للفعول ويروى أيضا عن أبي عمر وعلى أن كذلك مبتدأ يوحى خبره المسند الى ضمير عائذ عليه واسم الجلالة مرفوع بمأدل عليه يوحى أى الموحى الله وقرأ أبو حيوة والاعمش وابان نوحى بنون العظيمة فاسم الجلالة مبتدأ وعلى هاتين القراءتين فالوقف على من قبلك كاف بخلاف قراءة الجمهور فلا يوقف عليه (له ما فى السموات وما فى الارض) فكل من كان موجودا فى السموات فهو عبد الله فوجب ان يكون الله منزها عن الكون فى المكان والجهة والعرش والكرسى (وهو العلى العظيم) أى هو المتعالى عن مشابهة الممكّنات ومناسبة المحدثات العظيم بالقدرة وكمال الالهية فهو تعالى أعلى كل شىء وأعظم كل شىء (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى يتشققن من هيبة الله تعالى وعظمته ويبتدى التشقق من جهتين الفوقانية قرأ أبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر تكاد بالتاء يتفطرن بنون ساكنة بعد الياء وابن كثير وابن عامر وحزرة وحفص عن عاصم تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء المفتوحة بعد الياء ونافع والكسائى يكاد بالياء يتفطرن بالتاء ومن قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز الوجهين فى يتفطرن ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لا يقرأ يتفطرن الا بالتاء الفوقية (والملائكة يسبحون بحمديهم) أى والملائكة ينزهون الله تعالى عما لا ينبغى ملتبس بوصفه تعالى بكونه مفيض السكك الخيرات (ويستغفرون لمن فى الارض) أى يطلبون تجاوز الذنوب عن المؤمنين وتأخير العقوبة عن الكافرين والفاسقين طمعاً فى ايمانهم وقوتهم ويطلبون الرزق لهم وحيث لم يذكر الله تعالى عن الملائكة استغفارهم لانفسهم علمنا انهم مبرؤن عن كل الذنوب (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) فان الله تعالى يعطى المغفرة التى طلبوها ويريدهم على ما طلبوه رحمة كاملة (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى أرباباً يعبدونهم من الاصنام (الله حفيظ عليهم) أى رقيب على أعمالهم فيجازيهم عليها (وما أنت عليهم بوكيل) أى ما أنت يا شرف الرسل بوكيل اليك أمرهم ولا قسرهم على الايمان انما أنت منذر فقط (وكذلك أوحينا اليك قرآننا عريباً لتنذر أم القرى ومن حولها) أى كما أوحينا اليك أنت لست حفيظاً عليهم ولست وكيلاً عليهم فكذلك أوحينا اليك قرآننا عريباً لتكون نذيراً لاهل أم القرى ولن حولها من سائر الناس (وتنذريوم الجمع) أى يوم القيامة فيجتمع فيه اهل السموات مع اهل الارض (لا ريب فيه) والوقف هنا كاف (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف ففريق مبتدأ خبره الظرف بعده وقرئ بالنصب على الحالية وتنذريوم جمعهم متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم فى الدنيا أمة)

واحدة) أى على دين واحد وهو ما لا سلام أو الكفر ولكن الله جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا وهو معنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى يدخل الله فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه (والظالمون) أى الكافرون (مالهم من ولى) أى قريب ينفعهم (ولا نصير) أى مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى (أم اتخذوا من دونه أولياء) أى بل اتخذوا منجوا وزيّن الله أولياء من الأصنام وغيرها هيئات (فإنه هو الولي وهو يحيى الموتى) أى أن أرادوا وليا بحق فإنه هو الذى بحق لا ولى سواه لأنه يحيى الموتى (وهو على كل شئ قدير) فهو حقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) أى وما اختلفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم (الحكمه) راجع (الى الله) وهو إثابة المحقين ومعاقبة المبطلين (ذلكم الله ربى) أى أى ذلكم الحامى بينكم هو الله مالكي (عليه توكلت) فى دفع كيد الأعداء وفى طلب كل خير (واليه أنيب) أى واليه تعالى أرجع فى كل المهمات لا الى أحد سواه (فأطرا السهوات والارض) بالرفع خبر خامس لذلكم أو مبتدأ خبره ما بعده وقرى بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف لاسم الجلالة المحرور بالى (جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم من الناس (أزواجا) أى نساء (ومن الأنعام أزواجا) أى وجعل للأنعام من جنسها أصنافا ذكر وأُنثى (يذروكم فيه) أى يكثر كم بسبب هذا الجعل لأن الناس والأنعام يتوالدون به (ليس كمثل شئ) أى ليس كذاته تعالى ذوات وليس كصفاته تعالى صفات (وهو السميع البصير) للمسموعات والمرثيات (له مقاليد السهوات والارض) أى له تعالى مفاتيح الرزق من السهوات والارض وهى الأمطار والنباتات (يبسط الرزق لمن يشاء ويعتد) أى يوسع لمن يشاء ويعتد (أنه بكل شئ عليم) فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي أن يفعل عليه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) أى اختار الله لكم يا أمة محمد من الدين ما وصى به نوحا ومحمد وإبراهيم وموسى وعيسى فهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع العظيمة وأن تفسيره بمعنى أى أو مصدرية فى محل نصب بدل من الموصول أو فى محل جر بدل من الدين أو فى محل رفع خبر مبتدأ مضمرة تقديره هو أن أقيموا الدين الاسلام (ولا تفرقوا فيه) أى لا تختلفوا فى أصل الدين الذى لا يختلف فيه الشرائع وهو التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد وأداء الامانة وصلوة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذية للخلق والاعتداء على الحيوان واقتحام الدنات وما يعود بخرم المروآت فهذا كله لم يختلف على السنة الانبياء (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) أى شق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى (الله يجتبى اليه من يشاء) أى الله يقرب الى ما تدعوهم اليه من يشاء وهو من ولد فى الاسلام وعيت عليه (ويهدى اليه من ينيب) أى ويرشد اليه من يميل اليه من أهل الكفر (وما تفرقوا) أى المشركون فى الدين الذى دعوا اليه (الامن بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته (بغيا بينهم) أى حسد منهم وطلب للرياسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف (ولولا كلمتكم من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم) أى ولولا عدة ثبتت فى الازل من ربك بتأخير عذاب هذه الأمة الى وقت معلوم هو يوم القيامة لا وقع القضاء بينهم من هـ لا كهم بالاستئصال فى الدنيا (وان الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مرىب) أى وان أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أعطوا كتابهم الذى هو التوراة والانجيل من بعد المختلفين فى الحق

لني شأن من كتابهم موقع في قلق النفس لا يؤمنون به حق الايمان (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) أي فلاجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الناس كافة الى الاتفاق على الملة الاسلامية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله تعالى ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أي وقل يا أكرم الرسل آمنتم بما أنزل الله على الانبياء من كتاب صح ان الله أنزله وهو الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض (وأمرت لأعدل بينكم) أي وأمرت بأن أعدل بينكم في الحكم اذا اتخاذهتم فتحا كتم الى وأسوى بين أكبركم وأصاغركم فيما يتعلق بحكم الله تعالى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) أي ان اله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه لا خصومة بيننا وبينكم في الدين لان الحق قد ظهر ولم يبق للمخاصمة مجال ولا للمخالفة محمل سوى العناد وبعده لا جدال فان الله يجمع بين الكل يوم القيامة ويجازيه على عمله لان مرجع الكل اليه تعالى فيظهر هناك حالنا واحكامكم (والذين يحاجون في الله من بعدما استجب له حجتهم داحضة عند ربهم) أي والذين يخاصمون في دين الله من بعدما استجاب الناس لذلك الدين ودخلوا فيه حجتهم باطله عند ربهم وتلك المخاصمة هي ان اليهود قالوا ألسنتهم تقولون ان الاخذ بالمعتقد عليه أولى من الاخذ بالمختلف فيه فنبوة موسى وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد ليست متفقا عليها حينئذ وجب الاخذ باليهودية فيبين الله تعالى ان هذه الحجة فاسدة وذلك لان اليهود اطبقا على انه انما اوجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على وفق قوله عليه السلام وقد ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة يدل على صدق صاحبها وجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لا يدل على صدقه وجب ان لا يقروا بنبوة موسى عليه السلام والاقرار بنبوة موسى مع الانكار بنبوة محمد مع استوائهم في ظهور المعجزات باطل لانه متناقض (وعليهم غضب) لكبرتهم الحق بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) أي القرآن وسائر الكتب المنزلة قبلك (بالحق) أي بالصدق (والميزان) أي الشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي أي شيء يجعلك عالما بأن الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب شيء قريب فوجب على العاقل ان يجتهد في النظر ويترك طريقة أهل التقليد ولما كان الرسول يهددهم بنزول القيامة قالوا على سبيل السخرية متى تقوم القيامة وليتها قامت فيظهر لنا ان الحق ما نحن عليه أو ما عليه محمد وأصحابه فدفع الله ذلك فقال (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال انكاروا واستهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) أي خائفون من قيامها وأهلها العلمهم ان التوبة تمتنع عندها (ويعلمون انها الحق) أي الكاشنة بلا شك (ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) أي ان الذين يدخلهم الشك في وقوع الساعة فيجادلون فيها في ضلال بعيد عن الصواب لان استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لم تحصل القيامة لزم اسناد الظلم الى الله تعالى وهذا محال فكان انكار القيامة ضلالا بعيدا (الله لطيف بعباده) أي كثير الاحسان بهم بالحياة والعقل ودفع أكثر البليات عنهم واعطاهم ما لا بد منه من الرزق وتأخير العذاب عن يستحقون العذاب (يرزق من يشاء) كيفما يشاء (وهو القوي) أي القادر على ما يشاء (العزيز) أي الذي لا يغالب فلا يقدر أحد ان يمنع عن شيء يريد (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) أي

من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة زدله ثوابه بالتضعيف الى ما نشاء وزدله في تسهيل سبيل الطاعات ونعطيه من الدنيا ما كتبناه له (ومن كان يريد حرث الدنيا ثبوته منها وماله في الآخرة من نصيب) أي ومن كان يريد بأعماله متاع الدنيا نعطيه بعض ما يطلبه حسب ما قسمنا له وماله في الآخرة ثواب لانه عمل للدنيا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) أي الكفار مكة شياطينهم الذين زينوا لهم ما لم يأمر الله تعالى به من الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا فانها على ضد دين الله (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأخير الجزاء الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أي بين المكافرين والمؤمنين في الدنيا (وان الظالمين) أي الذين اختاروا ما لم يأذن به الله (لهم عذاب أليم) وقرأ بعضهم وأن يفتح الهمزة عطفًا على كلمة الفصل أي ولولا الوعد بأن الفصل بينهم يكون يوم القيامة وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا (ترى الظالمين) يوم القيامة (مشغفين عما كسبوا) أي خائفين خوفًا شديدًا من جزاء ما عملوا في الدنيا من السيئات (وهو) جزاؤه (واقع بهم) يوم القيامة فلا ينفعهم الحذر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) أي مستقرون في أطيب بقاع الجنات (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم فان كل الاشياء حاضرة عنده مهية (ذلك) أي جزاء الايمان والعمل الصالح (هو الفضل الكبير) أي فان الثواب غير واجب على الله وانما يحصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق (ذلك) أي الفضل الكبير (الذي يبشر الله في الدنيا) (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بقرآن نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين والباءون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين (قل لا أسألكم عليه أجرًا الا المودة في القربى) أي قل يا أشرف الخلق لاهل مكة لا أسألكم أجرًا قط على التبليغ ببشارة وندارة وان كن أسألكم المودة متمكنة في أهل القرابة وحب آل محمد واجب قال الشافعي رضي الله عنه

يارا بكاف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض

محر اذا فاض الحجج الى منى * فيضا كما نظم القسرات الفائض

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان اني رافضى

(ومن يعترف حسنة زدله فيها حسنا) أي ومن يكتسب أي حسنة كانت كالمودعة للقربى زدله في تلك الحسنة تضعيف ثوابه او قرئ يزده بالياء أي يزده الله وقرئ حسني (ان الله غفور شكور) أي انه تعالى يحسن الى المطيعين في ايصال الثواب اليهم في التفضل عليه بزيادة أنواع كثيرة على ذلك الثواب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أي بل يقولون اختلق محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن فأعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال الله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك ويعو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) أي لو كان القرآن افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث توارى الوحي حينما اخبرنا تبين أنه من عند الله ومن عادة الله ابطال الباطل وتقرير الحق بوحيه فلو كان افتراء كما يزعمو المحقق (انه عليم بذات الصدور) فيجري عليها أحكامها الاثنية بها من المحو والاثبات (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) وروى جابر ان أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي

من الذنوب الندامة وتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذا به النفس في الطاعة كما ربيتها في
 المعصية واذا قتها امرارة الطاعة كما اذقتها احلاوة المعصية والبكاء بدل كل فعل فحسبته (ويعفو عن
 السيئات) فتارة يعفو عن الذنوب بواسطة قبول التوبة وتارة يعفو ابتداء من غير توبة (ويعلم ماتغفلون)
 من خير وشر فيجازي الثائب ويتجاوز عن غير الثائب وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم - على
 المحاطبة والباقون بالياء على المغايبة (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي يجيب الله دعاءهم
 (ويرزدهم) على ما طلبوه بالدعاء (من فضله) وقال عطاء عن ابن عباس والمعنى ويشيب الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات ويرزدهم من فضله سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه (والكافرون لهم عذاب شديد)
 بدل ما لا يؤمنون من الثواب والفضل المزيدي (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) أي ولو سوى
 الله الرزق بين الكل لا تمتنع كون البعض خادما للبعض ولو صار الامر كذلك لخرب العالم وتعطلت المصالح
 وقال ابن عباس ولو وسع الله المال على عباده لطلبوا منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة وهر كبا بعد مركب
 وملبس بعد ملبس (ولان ينزل بقدر) أي بتقدير (ما يشاء) أن ينزله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 بسكون النون (انه بعباده خير بصير) أي انه عالم بأحوال الناس ويعاقبهم ويرزدهم فيقدر
 أرزاقهم على وفق مصالحهم (وهو الذي ينزل الغيث) أي المطر الذي يغيثهم من الجذب (من بعد
 ما قنطوا) أي من بعد بأسهم من نزوله وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بتشديد الزاي وقرأ يحيى بن زباب
 والاعشى بكسر نون قنطوا (وينشر رحمته) أي منافع الغيث وما يحصل به من الخصب (وهو الولي
 الحميد) أي وهو الذي يتولى عباده باحسانه المحمود على ما يوصل للخلق من أقسام الرحمة (ومن آياته خلق
 السموات والارض وما بث فيهما من دابة) وما معطوف على السموات أي وخلق ما نشر الله فيهما من حي
 (وهو على جميعهم اذ يشاء قدير) أي وهو تعالى على جمع العقلاء للعصاة في أي وقت يشاء قدير (وما
 أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم) أي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها فإما متضمنة
 لمعنى الشرط ولذلك جاءت الفاء في جوابها وقرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء فما بعني الذي وبما
 كسبت خبره والمعنى والذي أصابكم من الاحوال المكروهة وقع بما كسبت أيديكم (ويعفو عن كثير)
 من الذنوب فان الذنوب قسمان قسم يعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه وهو أكثر (وما
 أنتم بمعجزين في الارض) أي بغائتكم من ما قضى عليكم من المصائب وان هر بتم من أقطارها كل مهرب
 (وما لكم من دون الله من ولي) يحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) أي
 السفن الجارية (في البحر كالاعلام) أي كالجبال وقرأ نافع وأبو عمرو بالياء وصلا وابن كثير وهشام
 بها وقفا والباقون بحذفها للتخفيف (ان يشأ يسكن الريح) التي تجري بها السفن وقرأ نافع وحده
 الريح على الجمع (فبظللن رواكدها على ظهره) أي يصرن ثوابت على ظهر البحر أي غير جاريات
 (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) فان كان المؤمن في البلاء كان من الصابرين وان كان في
 النعمة كان من الشاكرين فلا يكون من الغافلين عن دلائل معرفة الله البتة (أو يوبقهن بما كسبن)
 والمعنى أنه تعالى ان شاء ابتلى المسافرين في البحر باحدى بلتين اما ان يسكن الريح فتقف الجوارى
 على متن البحر واما ان يرسل الريح عاصفة فيها فيهلك بسبب الاغراق بمعصيتهم (ويعف عن كثير)
 أي ان يشأ يهلك ناسا وينبج ناسا على طريق العفو عنهم وقرأ الاخفش ويعفو بالواو وقرأ بعض أهل
 المدينة بالنصب باضمار أن بعد الواو (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) وقرأ نافع

وابن عامر بالرفع على الاستئناف والباقون بالنصب عطف على علة مقدرة تقديره لينتقم منهم وليعلم
 الخ وقرئ بالجزم عطف على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور اهلاك قوم وانجاء قوم
 وتحذير قوم وعلى هذا فلا يوقف على كثير بخلاف القراءتين الاوليين فالوقف عليه تام فمعنى الآية
 وليعلم الذين ينازعون في آياتنا على وجه التكذيب أن لا مخلص لهم اذا وقفت السفن واذا عصفت
 الرياح فيصير ذلك سبيلا لا عترة لهم بأن الاله النافع الضار ليس الا الله (فأوتيتهم من شئ فتناع الحياة
 الدنيا) أى فأتوا عظيمات متنافسون فيه من آيات فهو ما تمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله)
 من الثواب (خير) مما عندكم (وأبقى) زمانا (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وعن على
 رضى الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت هذه الآية
 (والذين يجتنبون كبائر الاثم) كالغيبة والنميمة (والفواحش) كالقتل والزنا والسرقة وقرأ حمزة
 والكسائي كبير الاثم بالافراد والموصول معطوف على للذين آمنوا وكذا ما بعده (واذا ما غضبوا هم
 يغفرون) واذا منتهى بوبه يغفرون ويغفرون خبر لهم والجملة بأسرها عطف على يجتنبون والتقدير
 والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية على فعلية (والذين استجابوا لربهم) أى أجابوا الربهم
 بالتوحيد والطاعة (وأقاموا الصلاة) أى أدوا الصلوات الخمس بشروطها وهياتها (وأمرهم
 شورى بينهم) أى اذا أرادوا أمرا تشاوروا فيها بينهم فيه ثم عملوا به ولا يجادلون في أمورهم (وما
 رزقناهم) أى أعطيناهم من المال (ينفقون) أى في سبيل الخير (والذين اذا أصابهم البغي) أى
 المظلمة (هم ينتصرون) أى ينصفون بالقصاص لا بالمكابر وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ
 عليهم السفهاء (وجزاهم سيئة سيئة مثلها) أى جزاهم جنابة مثل تلك الجنابة (فنعفى) على المسيئ
 اليه (وأصلح) بينه وبين خصمه بترك المكافأة (فأجره على الله انه لا يحب الظالمين) أى البادئين
 بالسيئة والمتعدين في الانتقام واعلم أن العفو على قسمين أحدهما أن يصير العفو سببا لتسكين الفتنة
 ولرجوعه عن جنابته فآيات العفو محمولة على هذا القسم وثانيهما أن يصير العفو سببا لمزيد جراحة الجاني
 ولقوة غضبه فآية الانتقام محمولة على هذا (ولمن انتصر) أى سعى في نصر نفسه بطاقته وانتصف
 بالقصاص (بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم اياه وقرئ بعد ما ظلم (فأولئك) أى المنتصرون (ما عليهم
 من سبيل) أى من مأثم وعقاب لانهم فعلوا ما أباح لهم (انما السبيل) أى المأثم (على الذين يظلمون
 الناس) أى يبدؤن بالظلم أو يجاوزون في الانتقام (ويبغون في الارض بغير الحق) أى يتكبرون
 في الارض بلا حق (أولئك لهم عذاب أليم) بسبب ظلمهم وتطاولهم (ولمن صبر) على الاذى بان لا
 يقتص (وغفر) لمن ظلمه وفوض أمره الى الله تعالى (ان ذلك) أى الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور)
 أى من مطلوبات الله تعالى في الامور قيل نزل قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم الى قوله تعالى لمن
 عزم الامور في شأن أبي بكر الصديق وعمر بن غزيرة الانصارى في تنازع بينهما فاشتم الانصارى أبا بكر
 الصديق فأمر الله تعالى في شأنهم هذه الآيات (ومن يضل الله فإله من ولى من بعده) أى من أضله
 الله تعالى عن هذه الاشياء فليس له هادي يهديه من بعده لئلا يضل الله اياه (وترى الظالمين) أى المشركين
 يوم القيامة (لما رأوا العذاب) أى حين يرونه (يقولون هل الى مرد من سبيل) أى هل الى رجوع
 الى الدنيا من حيلة (وتراهم) في ذلك اليوم (يعرضون عليها) أى النار والخطاب في الموضعين لكل
 من تنأت منه الرؤية (خاشعين من الذل) أى حال كونهم حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل (ينظرون)

من طرف خفي) أي يتبدى نظره من النار من تحريك لا جفانه من ضعف كما ينظر المقتول الى السيف
 (وقال الذين آمنوا) على سبيل التعبير للكافرين (ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) باستغراقها
 في العذاب (وأهلهم) بفارقتهم لهم (يوم القيامة) ظرف لقال وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
 أي يقولون يوم القيامة اذارأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين) أي المشركين (في عذاب مقيم) أي
 دائم وهذا من كلام الله تصديقا للمؤمنين أو من تمام كلامهم (وما كان لهم) أي المشركين (من أولياء
 ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسب ما كانوا يرجون ذلك في الدنيا (ومن يضل الله
 عن دينه) (فأله من سبيل) أي دين (استحييوا ربكم) لهدمكم الى الايمان على لسان نبيه (من
 قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) وقوله من الله اماصلة للأمر دأى لا يردده الله بعدما حكم به واماصلة
 ليأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مالكم من ملجأ) ينفذ في التخلص من العذاب
 (يومئذ) أي في ذلك اليوم (ومالكم من نكير) أي لا تقدر أن تنكروا شيئا مما اقترعتموه من الاعمال
 لانه مدون في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم) فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي
 فان لم يقبل هؤلاء هذا الامر فاننا لم ترسلناك لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به (ان عاينك الا البلاغ) لما
 أرسلناك به وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان منارحة) أي نعمة من الصحة والغنى والامن (فرح بها)
 وأعجب بها غير شاكرها (وان تصبهم سيئة) أي بلا من مرض وفقروا وخوف (بما قدمت أيديهم)
 أي بما عملوه من المعاصي (فان الانسان كفور) أي فيظهر منه الكفر ونسيان النعمة وذكر البلية من غير
 تأمل لسببها (لله ملك السموات والارض) فيتصرف فيهما وما فيهما ما يشاء ويقسم النعمة والبلية
 حسب ما يريد (يخلق ما يشاء) وكيف يشاء (يهب لمن يشاء اناثا) من الاولاد (ويهب لمن يشاء الذكور)
 منهم (أو يزوجهم ذكرا واناثا) أي يخلطهم ذكرا واناثا (ويجعل من يشاء عقيما) أي بلا ولد (انه
 عليم) بما خلق (قدير) على ما يشاء ان يخلقه (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب
 أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء) أي وما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله الا على أحد ثلاثة
 أوجه اما أن الله يلهمه في قلبه لا بواسطة شخص آخر ولا يسمع عين كلام الله كما في أم موسى وكما في
 رؤية ابراهيم عليه السلام في المنام بفتح ولده واما أن الله يوصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر ولكنه
 يسمع عين كلام الله من غير رؤية ذاته تعالى كما وقع لموسى عليه السلام واما أن الله يوصل اليه الوحي بواسطة
 شخص آخر وهو جبريل وهذا هو الذي يجري بينه وبين الانبياء في أكثر الاوقات من الكلام روى
 أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه
 فانال نؤمن حتى تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم ينظر موسى الى الله تعالى فنزلت هذه الآية
 وقرأنا فرفع يرسلا باضمار مبتدا أي أو هو يرسلا أو بالعطف على ما يتعلق به من وراءه اذ التقدير أو
 يسمع من وراء حجاب ووحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه أو يرسل والتقدير
 الا ووحيا أو يسمع من وراء حجاب أو يرسل رسول وكذلك فيوحي فسكنت ياؤه وأما على قراءة الجمهور
 بنصب يرسل ويوحي فهو معطوف على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر
 معطوف على وحيا والمعنى الا يوحي أو يسمع أو يرسلا من وراء حجاب أو يرسل رسول يقال التقدير
 وما كان لبشر أن يكلمه الله الا ان يوحي اليه ووحيا أو يسمع أو يرسلا من وراء حجاب أو يرسل رسولا (انه
 على) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجري أفعاله على موجب الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل

الالهام وثانياً باصع الكلام وثالثاً بتوسيط الملائكة الكرام (وكذلك) أى مثل ذلك الايجاه
(أوحينا اليك روحاً من أمرنا) أى حال كون الروح وهو القرآن بعض ما فوحى اليك لأن موسى اليه
لا ينحصر في القرآن وسمى القرآن روحاً لأنه يفيد الحياة من موت الجهل والكفر (ما كنت تدري)
قبل الوحي (ما الكتاب ولا الايمان) أى أى شئ هو القرآن والايمان بتفصيل ما في القرآن من
الامور التي لا تهتدى اليها العقول (ولكن جعلناه) أى الروح الذي أوحينا اليك (نورا هدى به
من نساء) هدايته (من عبادنا) وهو الذي يصرف اختياره الى جهة الهداه به (وانك لنهتدى)
بذلك النور من تشاء هدايته (الى صراط مستقيم) أى دين حق وقرئ تهتدى بالبناء للفعل أى ليهديك
الله وقرئ لتدعو (صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض) أى فالذي تجوز عبادته هو الذي
ملك السموات والارض (ألا الى الله تصير الامور) أى أمور الخلائق في الآخرة فلا حاكم سواه يجازى
كلامهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب

﴿سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة
وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين) أى والكتاب المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة
الموضح لكل ما يحتاج اليه في أبواب الديانة (انا جعلناه) أى انا صيرنا الكتاب (قرآنا عربياً) أى
بلغة العرب (لعلكم تعقلون) أى لكي تفهموه وتعرفوا حق النعمة في ذلك (وانه) أى الكتاب (في
أم الكتاب) أى مثبت في أصل الكتب السماوية وهو اللوح المحفوظ وقرأ حمزة والكسائي بكسر همزة
أم الكتاب (لدينا) أى محفوظ عندنا من التغيير (على) أى رفيع الشأن (حكيم) أى محكم في
أبواب البلاغة والفصاحة (أفذهب عنكم الذكراً صفحاً) أى أنتزكم فنبعد عنكم المواقظ ابعاداً
وهذا استفهام على سبيل الإنكار (أن كنتم قوما مسرفين) وقرأ حمزة والكسائي ونافع بكسر الهمزة
على انها شرطية لقصد تجهيل المخاطب والباقون بالفتح على التعليل أى 'انا لا نترك هذا الإنذار بسبب
كونكم منهمكين في الامراف وهذا الكلام يتحمل الرحمة والمبالغة في التغليف فالمعنى على الاول انا
لا أنتزكم مع سوء اختياركم بل نذكركم الى ان ترجعوا الى الطريق الحق وعلى الثاني أتظنون ان
تتركوا مع ما تريدون كلابل نلزمكم العمل وندعوكم الى الدين وثو اخذكم متى أخلتكم بالواجب وأقدمتم
على القبيح قال قتادة لو ان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم
ودعاهم اليه عشرين سنة (وكم أرسلنا من نبي) قبلك يا أكرم الرسل (في الاولين) أى في الامم
الماضية (وما يأتيهم) أى والحال انه ما يأتي الاولين (من نبي الا كانوا يستهزئون) أى ان عادة
الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب فلا ينبغي ان تتأذى من قومك بسبب اقدامهم
على التكذيب لان المصيبة اذا امت خفت (فأهلكنا أشد منهم بطشاً) أى فتسبب عن الاستهزاء بالرسول
انا أهلكنا أشد قوة من أهل مكة الذين يستهزئون بك (ومضى مثل الاولين) أى سبق في القرآن
مراراً ذكر صفة الاولين في الاهلاك (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من خلق السموات والارض
ليقولن خلقهن العزيز العليم) فهم مقرون بأن خالقهن ومافيهن هو الله ذو العزة في سلطانه والعلم في تدبيره
ومع هذا الاقرار يعبدون معه تعالى غيره وينكرون قدرته على البعث (الذي جعل لكم الارض مهداً)

أى فراشا ثابتة ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن الانتفاع بها فى الزراعة والابنية وقرأ الكوفيون مهذا
 والباقون مهذا وهذا الموصول ابتداء الكلام من الله تعالى دالا على نفسه بذكره مصنوطاته أى هو الذى
 الخ (وجعل لكم فيها) أى الأرض (سبلا) تسلكونها فى أسفاركم (لعلكم تهتدون) أى لى
 تهتدوا بسلوكمها الى مقاصدكم ولتهتدوا بالتفكر فيها الى التوحيد والدين الحق (والذى نزل من السماء
 ماء بقدر) حتى يكون معاشاكم ولا نعامكم لا كما أنزل على قوم نوح حتى أغرقهم (فأنشرباه بلدة مبيتا)
 أى فأحيينا بذلك الماء مكانا خاليا من النبات (كذلك تخرجون) أى مثل اخراج النبات من الأرض
 تخرجون من قبوركم أحياء فهذا الدليل كما يدل على قدرته تعالى وحكمته فكذلك يدل على قدرته على
 البعث والقيامة (والذى خلق الأزواج) أى أصناف المخلوقات (كلها) وقيل كل ما سوى الله
 تعالى فهو زوج كالغوق والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضى والمستقبل والذوات والصفات
 والصيف والشتاء والربيع والخريف (وجعل لكم من الفلك والأنعام) أى الابل (ما تر كبون) أى
 ما تر كبونه (لتستووا على ظهوره) أى لتستولوا على ظهور ما تر كبونه من الفلك والأنعام (ثم تذكروا
 نعمة ربكم اذا استويتم) أى ركبتم (عليه) بان تعرفوا ان الله تعالى خلق البحر والرياح والسفن
 والابل وتعرفوا ان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى وتشتغلوا بالشكر للنعمة التى لانهاية لها (وتقولوا
 سبحان الذى مخرلنا هذا وما كنا له مقرنين) أى ليس لنا من القوة ان نضبط هذه الدابة والفلك (وانا
 الى ربنا المنقلبون) أى راجعون من الدنيا الى دار البقاء كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
 اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى
 مخرلنا هذا الى قوله تعالى المنقلبون وروى ان الحسن بن على رضى الله عنهم رأى رجلا ركب دابة
 فقال سبحان الذى مخرلنا هذا فقال له ما هذا أمرت أمرت أن تقول الحمد لله الذى هدانا لاسلام الحمد لله
 الذى من علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذى جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ثم تقول سبحان
 الذى مخرلنا هذا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبير ثلاثا ثم
 يقول سبحان الذى مخرلنا هذا ثم قال اللهم انى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى
 اللهم هون علينا السفر واطو عنا بعد الأرض اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة على الأهل اللهم احبنا
 فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا وكان اذا رجع الى أهله يقول آيبنون تأيبنون ربنا حامدون (وجعلوا له من
 عباده جزءا) أى أثبتوا أى بنو لم يجعله تعالى ولدا هو عبد من عباده (ان الانسان لكفور مبين) أى لمبالغ فى
 الكفر ظاهرا وكفرا (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ من خلقه أخس الصنفين
 واختار لكم أفضلهما (واذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أى وإذا
 أخبر أحد بنى ملج بالبنات التى جعلها للرحمن شها صار وجهه أسودا من أحزان ما أخبر به والحال انه مغموم
 أفيرضون لله ما لا يرضون لأنفسهم وقرئ مسودا ومسودا واسم ظل ما ضهر يعود الى أحد وجهه وجهه
 مسودا من المبتدأ والخبر خبرها وما وجهه فسود خبر مبتدأ مقدر أى هو مسود فقتع هذه الجملة موقع خبر ظل
 (أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى أو جعلوا من عاداتها تربي فى الزينة من الذهب
 والفضة ولدانه فالتى تربي فى الزينة تكون ناقصة الذات اذ لولا نقصانها فى ذاتها لما احتاجت فى تكميل
 نفسها الى الزينة والحال انها اذا احتاجت الخاصة عجزت عن اقامة الحاجة لضعف لسانها وقلة عقلها
 وبلادة طبعها وهى النساء فكيف يليق ان يكن بنات الله تعالى وقرأ حمزة والكسافى وحفص عن عاصم

بضم الياء وفتح النون والباءون بفتح الياء وسكون النون (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا)
 أى حكموا بان الملائكة أكرم العباد على الله أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا فالقول بان الملائكة اناث كفر
 وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن أى وحكموا بان الملائكة الذين يكونون عند الرحمن لا عنده هؤلاء
 الكفار اناث فكيف عرفوا كونهم اناثا (أشهدوا خلقهم) أى أحضر واخلى الله تعالى اياهم فشهدوهم
 اناثا حتى يحكموا بانوثتهم وقرأ نافع وأشهدوا بهم زتين مفتوحة ومضمومة وسكون الشين وأدخل قالون
 بينهما الفأى أ احضر واخلى الله أى حين خلقهم (ستكتب شهادتهم) فى ديوان أعمالهم وهى قولهم
 ان الله جزأ وان له بنات وانها الملائكة (ويستلون) عنها يوم القيامة (وقالوا) أى بنو ملج (لوشاء
 الرحمن ما عبدناهم) أى لو شاء الله عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم فافعلناهم من عبادتنا
 اياهم حق مرضى عنده تعالى (ما لهم بذلك) أى القول (من علم انهم الايخوصون) أى
 ما هم الا يكذبون فى ذلك القول وهو قولهم الملائكة بنات الله وان الله قد شاء منا عبادتنا اياهم بمشيئة
 الارتضاء (أم آتيناهم ~~مكتبا~~ من قبله فهم به مستمسكون) أى هل وجدوا ذلك الباطل فى
 كتاب منزل قبل القرآن حتى جازلهم ان يتمسكوا به (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم
 مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بتقليد آباءهم الجهلة وقالوا انا وجدنا آباءنا على
 حالة عظيمة نقصد وانا مهتدون على أعمالهم (وكذلك) أى والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وعسكهم
 بالتقليد (ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى ما أرسلنا نبيا مخوفا من قبلك الى أهل
 قرية الا قال من يحبون الشهوات والملاهى ويغضون تحمل المشاق فى طلب الحق قولا مثل قول قومك
 (انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على طريقة تستحق ان تقصد (وانا على آثارهم) أى أعمالهم (مقتدون قال)
 يا أمرف الرسل لقومك قال أبو السعد صيغة الامر أمر ماض متعلق بالنذير السابق حكاه الله لنبية
 على تقدير قتلنا له قل لأنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك انه قرأ ابن عامر وحفص
 قال بصيغة الماضى أى قال كل نذير لأنهم (أولو جثتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى
 أ تقتدون بآباءكم ولو جثتكم بدين أوضح فى الدلالة من دين آباءكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون)
 أى قال كل أمة لنذيرها انا بآبائنا بدين آباءنا وان جثتنا بما هو أصوب فانا بما أرسلت به منكرون وان
 كان ما جثتنا به أوضح مما كنا عليه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين)
 بالرسول من الأمم الماضية فلا تكثر بتكذيب قومك (واذ قال ابراهيم لبيه) آزر (وقومه) المكين
 على التقليد (اننى براه مما تعبدون الا الذى فطرني) أى اننى براه من آلهة تعبدونها غير الذى خلقنى
 وبراه مصدر نعت به مبالغته وقرأ الزعفرانى وابن المنادى بضم الباء وقرأ الاعشى انى برى بنون واحدة
 وبصيغة اسم الفاعل (فانه سيهدين) أى يثبتنى على الهداية والسين للتأكيده وصيغة المضارع للدلالة
 على الاستقرار (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها كلمة باقية فى
 ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيد الله فقله عليه السلام اننى براه مما تعبدون جار
 مجرى لاله وقوله الا الذى فطرني جار مجرى الا الله فكان مجموع قوله اننى براه مما تعبدون الا الذى فطرني
 جار مجرى قوله لا اله الا الله وعلى هذا لا يوقف على قوله مما تعبدون وقرئ كلمة وفى عقبه بسكون اللام
 وسكون القاف (لعلهم يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بداه من وحمد منهم (بل تمتعت
 هؤلاء) أى بل تمتعت منهم أهل مكة (وآباءهم) بطول العمر وسعة الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة

التوحيد (حتى جاءهم الحق) أي القرآن (ورسول مبين) أي ظاهر الرسالة ويوضحها بجماعه من الآيات والمجربات فكذبوا به ومهموه ساحرا ومجاهبه سحرها ولذا قال تعالى (ولما جاءهم الحق) أي القرآن (قالوا هذا سحر) أي خيال (وانابه كافرون) فكفروا بالقرآن واستحققوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين مكة والطائف (عظيم) في المال والجاه فالذي بمكة هو الوليد بن المغيرة والذي بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفي (أهم يقسمون رحمة ربك) أي نبوة ربك لمن شاؤا (فمن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض) في الرزق (درجات) أي متفاوتة (ليتخذ بعضهم بعضا مخزيا) أي نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد في القوة والضعف والعلم والجهل والحداثة والبلادة والشهرة والخدمول فلوسو ينسب بينهم في كل هذه الاحوال لم يخدم أحد أحدا (وحيث ينفذ ذلك الى فساد نظام الدنيا وخراب العالم ثم ان أحدا من الخلق لم يقدري على تغيير حكمنا في أحوال الدنيا مع ذناه تهافت كيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة فكيف فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطينا بالرسالة من شئنا (ورحمة ربك) من النبوة وسعادة الدارين (خير مما يحكمعون) من الاموال فالعظيم من حاز النبوة لا من حاز الاموال الكثيرة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم - مسقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا ومسرا عليها يتكئون) أي ولولا ان يرغب الناس في الكفر اذاروا أهل الكفر في سعة من الرزق لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لا عطينا الكافرين أكثر الاسباب المفيدة للتنعم ولجعلنا سقف بيوتهم من فضة ومصاعد من فضة يرتقون عليها وأبواب بيوتهم من فضة ومسرا من فضة ينامون عليها (وزخرفا) أي زينة من كل شيء في كل شيء وهو معطوف على سقفها ويجوز ان يكون معطوفا على محل فضة أي جعلنا بعض هذه الاشياء فضة وبعضها ذهباً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسقف يفتح السين وسكون القاف والباقون بعضهم وقرئ معارج (وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا) وقرأ ابن عامر وطاسم وحزرة لما بتشديد الميم فهو بمعنى الاوان نافية كما في قراءة أبي وما ذلك أي وما كل ما ذكرنا من الاشياء يمتنع به في الحياة الدنيا والباقون بالتخفيف فما زائدة وان مخففة من النقيصة واللام فارقة أي وانه كل ذلك لمتاع الحياة وقرئ بكسر اللام وهي تعليل وما موصولة قد حذف عاندها أي للذي هو متاع الحياة (والآخرة) أي ما فيها من فنون النعم (عند ربك للثقلين) أي عن الكفر والمعاصي فان العظيم هو العظيم في الآخرة لافي الدنيا (ومن يعيش عن ذكر الرحمن) يضم الشين أي ومن يعرض عن القرآن وقرئ يعيش بفتح الشين أي يعمو بالكسر رأي عييل وقرئ يعيش على ان من موصولة غير مضمنة معني الشرط والمعنى ومن يعرف ان القرآن حق وهو يتجاهل (نقيض له) أي يضم اليه (شيطانا فهو) أي الشيطان (له قرين) في الدنيا وفي النار وروى ان الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطانه بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار وقرئ يقبض بالياء والفاعل يعود الى الرحمن ومن قرأ يعيش وفتح ان يرفع يقبض (وانهم ليصدونهم عن السبيل) أي وان الشياطين ليصرفون قرناهم عن سبيل الحق (ويحسبون انهم مهتدون) أي والحال ان الكفار المعرضون عن القرآن يعتدون انهم على هدى (حتى اذا جاءنا) أي جاءنا كل واحد من العاشين مع قرينه الشيطان يوم القيامة في سلسلة واحدة وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر جأ ناعلى صيغة التثنية أي جاءنا العاشي والشيطان (قال) أي العاشي مخاطبا لشيطنه (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين)

أى ليت حصل بيني وبينك في الدنيا مثل بعدما بين المشرق والمغرب (فبشس القرين) أنت فكسرة
 المال والجماء توجب كمال النقصان والحرمان في الدين والدنيا فظهر أن قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
 من القرينتين عظيم كلام فاسد (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون) وفاعل ينفع
 أما أنكم ومَدْخولها وأذ ظلمتم أما بدل من اليوم والمعنى ولن ينفعكم اليوم إذ تبين الآن عندكم وعند
 الناس جميعاً أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بالاشراك بالله كونكم مشتركين في العذاب بمعنى أن يحصل
 لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آثمهم ضعفين من
 العذاب والعنهم لعنا كبيراً وأما مضمير يعود إلى التثنية وأذ ظلمتم تعليل لنفي النفع وكذلك أنكم بفتح الهمزة
 ويؤيد هذا الاحتمال قراءة ابن عامر في رواية أنكم بكسر الهمزة والمعنى ولن ينفعكم يوم القيامة عنيتكم
 لمباعدتهم لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم آياهم في الكفر والمعاصي لأن حكمكم أن تشاركوا
 أنتم وقرنائكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن
 كان في ضلال مبين) أى أفأنت وحدك من غير ارادتنا تسمع الصم الحق أو تهدي العمى حتى ييصرروا
 الحق وتهدي من تمرؤوا في الضلال إلى الهدى أى أنهم بلغوا في النفرة عن دينك إلى حيث إذا أممعتهم
 القرآن كانوا كالصم وأذا رأيتهم المجهزات كانوا كالعمى فإن صمهم وعماهم كانا بسبب كونهم في كفر
 بين (فأما تذهبن بك فأنهم منتقمون) أى فإن قبضناك قبل نزول النعمة بهم فأنهم منتقمون منهم
 بعد موتك في الدنيا والآخرة (أؤز ينك الذي وعدناهم فأناعلهم مقتدرون) أى أؤز ينك في حياتك
 ما وعدناهم من الذل والقتل فلا يعوقنا عائق لا نقادرون على عذابهم قبل موتك وبعده (فاستمسك
 بالذي أوحى إليك) بأن تعتقد أنه حق وبأن تعمل بما وجبه وقرئ أوحى بالبناء للفاعل وهو الله تعالى
 (أنك على صراط مستقيم) لا يميل عنه الاضال في الدين (وانه لذكر لك ولقومك) أى وإن الذي أوحى
 إليك لموجب شرف عظيم لك ولقريش حيث يقال إن هذا الكتاب أنزله الله تعالى على رجل منهم
 (وسوف تستلون) هل أدبتم شكرانعامنا عليكم بهذا الذكرا الجليل (واسأل من أرسلنا من قبلك
 من رسلنا أجمعين من دون الرحمن آية له يعبدون) أى واسأل مؤمنى أهل التوراة والإنجيل هل جاءت
 عبادة الأوثان في مله من مللهم بأمرنا فأنهم يخبرونك عن كتب الرسل فإذا سألتهم فكأنك سألت
 الأنبياء فما جاءت الرسل إلا بالتوحيد فلم يسألهم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان موقفاً بذلك وإذا كان
 التوحيد متفقاً عليه بين الرسل وجب أن لا يجعلوه سبباً للبغض محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد أرسلنا
 موسى بآياتنا) وهى المعجزات التى كانت مع موسى عليه السلام (إلى فرعون وملئه) أى مومه (فقال إني
 رسول رب العالمين) إليكم فقالوا له آئت بآية (فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون) أى استهزؤا
 بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أخذها) أى الأوهى أعظم من الآية
 التى كانت قبلها فى زعم الناظر (وأخذناهم بالعذاب) أى بأنواع العذاب كالدم والقمل والضفادع
 والبرد البكار ملتها بالنار وموت الأبقار (لعلهم يرجعون) أى لكي يرجعوا عن كفرهم إلى الإيمان
 (وقالوا) لموسى لما رآوا العذاب (يا أيها الساحر) أى العالم الماهر يوقر ونه عليه السلام بذلك القول
 لاستعظامهم علم السحر (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) أى بالذى عهد لك
 وكان عهده لموسى أن آمنوا كشفنا عنهم العذاب (إننا لمهتدون) أى المؤمنون بك وبما جئت به (فلما
 كشفنا عنهم العذاب) بدعوته عليه السلام (إذا هم ينكثون) عهدهم في كل مرة من مرات العذاب

أى فكانوا يتوبون في كل واحدة من العذاب فاذا انكشف عنهم تقضوا العهد بالايان (ونادى فرعون
 في قومه) أى فيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا (قال يا قوم أليس لي ملك مصر)
 أربعين فرسخا في أربعين فرسخا قال مجاهد هي الاسكندرية (وهذه الانهار) التي فصلت من النيل
 ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجري من تحت) أى من تحت
 قصرى (أفلا تبصرون) ذلك فقد احتج فرعون على فضيلة نفسه بكثرة أمواله وقوة جأه (أم أنا خير
 من هذا الذى هو مهين) أى بل أنا خير من موسى الذى هو فقير ضعيف الحال لانه يتعاطى أموره بنفسه
 (ولا يكاديين) أى يظهر حجته التي تدل على صدقه فيما يدعى (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) أى
 فهلا ألقى على موسى من عند مرسله مقاليد الملك ان كان صادقا في دعواه لان هادة القوم جرت بانهم اذا
 جعلوا واحدا رئيسا لهم ألبسوه سوارا من ذهب وطوقا من ذهب فطلب فرعون من موسى مثل هذه الحاة
 وقرأ حفص أسورة والباقون أسورة وقرئ ألقى عليه أسورة وأسورة على البناء للفاعل وهو الله تعالى
 (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أى أو هلا جاء الملائكة ماشين مع موسى فيدلون على صحة نبوته
 (فاستخف قومه) أى فطلب فرعون من قومه الخفة في الايمان بما كان يأمرهم به (فأطاعوه) فيه
 (انهم كانوا قوما فاسقين) حيث سارعوا الى طاعة ذلك الجاهل الفاسق (فلما آسفونا انتقمنا منهم) أى
 فلما أغضبونا بينا موسى ومالوا الى ارادة عقابنا بالافراط في العصيان عاقبناهم (فأغرقناهم أجمعين)
 في البحر (لجعلناهم سلفا) أى متقدمين ليعتظ بهم كفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي
 بضم السين واللام والباقون بفتحهما (ومثلا لا تحزين) أى عظة لمن بقي بعدهم وقصة عجيبة لهم
 (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) أى لما جعل عيسى مشابها للاصنام في كونه معبودا (اذا قومك) قريش
 (منه) أى من ذلك المثل (يصدون) أى يضجكون ويرتفع أصواتهم فرجا عابسا معوا من ابن الزبير لظنهم
 ان محمد اصار مغلوبا بهذا الجد الذي روى انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
 قال عبد الله بن الزبير هذه اخاصة لنا ولا لهتنا أو لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم هولكم ولا لهتمكم
 وجميع الامم فقال عبد الله خصه تلك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو
 ملج الملائكة فاذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه
 وسلم وفرح القوم وضجوا فترأت هذه الآية وعبد الله هذا محبا مشهور وهذه القصة كانت قبل اسلامه
 وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم بضم الصاد وهو قراءة علي بن أبي طالب والباقون
 بكسرها وهو قراءة ابن عباس (وقالوا آللهتنا خير أم هو) أى ان جاز لعيسى الدخول في النار مع
 النصارى يجوز لنا الدخول في النار مع آللهتنا وأنت تزعم ان آللهتنا ليست خيرا من عيسى فاذا كان هو
 من حصب جهنم كان أمر آللهتنا أهون وقيل ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا نحن
 أهدي من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فقولهم آللهتنا خير أم هو تفضيل لآلهتهم
 على عيسى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حكي ان النصارى عبدوا المسيح قالوا ان محمدا يدعوننا الى
 عبادة نفسه وآباؤنا قالوا يجب عبادة هذه الاصنام فحينئذ عبادة الاصنام أولى لان آباءنا متطابقين عليه
 وأما محمد فدافنه متهم في أمرنا بعبادته فغنى آللهتنا خير أم هو أى عبادة الاصنام خير أم عبادة محمد
 والوقف على أم هو تام (ما ضربوا لك الاجدلا) أى ما ضربوا لك هذا المثل الا لاجل الغلبة في القول لا لطلب
 الفرق بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) أى شدة ادا الخصومة محبوبون على الحاج فان قوله

تعالى انكم وما تعبدون من دون الله لا يتناول عيسى والملائكة لان كلمة لا تتناول العقلاء البتة ولان
النصوص الدالة على تعظيم عيسى والملائكة اخص من هذا القول والخاص مقدم على العام (ان هو الا
عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلالبنى اسرائيل) أى ما عيسى الاعبد كسائر العبيد شرفناه بالنبوة
والاقدار على الخوارق وليس هو باله وصيرناه عبرة عجيبه حيث خلقناه من غير أب ليعرفوا تمييزنا بالقدرة
الباهرة (ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون) أى ولونشاء لجعلنا من رجالكم ملائكة
مستقرين فى الارض بطريق التوليد من غير واسطة نساء يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم كما ولدنا
عيسى من أنثى بلاخل فهذا أمر سهل علينا مع انه أعجب من حال عيسى الذى تستغربونه فانه بواسطة أم
وشران الام الولادة (وانه لعلم للساعة) أى وان عيسى لشرط من اشراط الساعة والمعنى وان نزول
عيسى من السماء علامة على قرب الساعة وقرأ ابن عباس لعلم بفتح العين واللام أى علامة وقرئ
للعلم وقرأ أبى لذكر وفى الحديث ان عيسى ينزل على ثنية فى الارض المقدسة يقال لها أفيق ويده حربة
ويها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام
ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى الامن آمن به (فلا تمترن بها) أى فلا تشكن فى وقوع الساعة (واتبعون)
أى واتبعوا هداى أو رسولى (هذا) أى الذى أدعوكم اليه (صراط مستقيم) أى موصل الى الحق
(ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعى (انه لكم عدو مبين) أى انه قد بانته عداوته لكم لاجل انه
هو الذى أخرج أبائكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى) الى بنى اسرائيل (بالبينات)
أى بالمعجزات وبالشرائع الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أى بأصول الدين لأعلمكم آياها
(ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهى فروع الدين فان قوم موسى قد اختلفوا فى أشياء من أحكام
التكليف واتفقوا على أشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق فى المسائل الخلافية أما اختلافهم فى الاشياء
التي لا حاجة بهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها (فاتقوا الله) فى الاعراض عن دينه
(وأطيعون) فيما أبلغه اليكم من التكليف (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بالشرائع واعتقدوا
وحدانيته تعالى أى التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا صراط مستقيم) لا يضل سالكه (فاختلف
الاحزاب من بينهم) أى اختلف الطوائف فى عيسى بعد رفعه الى السماء اختلفا فانشأ منهم فقال
اليهووية هو الله وقال النسطورية هو ابن الله وقال الملكانية هو شريك الله وقال المرقسية هو ثالث
ثلاثة وقال اليهود هو ابن زنا (فويل) أى شدة عذاب (الذين ظلموا) من هؤلاء المختلفين الذين
وضعوا القول فى غير موضعه (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة أن
تأتهم بغتة وهم لا يشعرون) فان تأتيتهم بدل من الساعة أى ما ينتظر الناس الا تياتى الساعة فجاءة
غافلين عنها مشغولين بأمور الدنيا (الا خلاهم يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين) أى المتحابون فى الدنيا
بعضهم عدو لبعض يوم اذ تأتيتهم الساعة الا الموحدين الذين يتحاب بعضهم بعضا على التقوى فان مودتهم
لا تصير عداوة فان الذين حصلت بينهم محبة فى الدنيا ان كانت ثلاث المحبة لاجل طاب الدنيا ولا اثمها فهذه
المطالب لا تبقى فى القيامة بل تنقلب هذه المحبة الدنيوية بغضة فى القيامة وان كان حصول المحبة فى الدنيا
لاجل الاشتراك فى محبة الله وفى طاعته كانت هذه المحبة باقية فى القيامة بل كأنها تصير أصفى عما كانت فى
الدنيا يقول الله لهم (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)

أى مخلصين لنا بالعبادة وقد روى في هذا الحديث ان المنادى ينادى يوم القيامة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرفع الخلائق رؤسهم فيقولون نحن عباد الله ثم ينادى الثانية الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤسهم ويبقى الموحدون رافعين رؤسهم ثم ينادى الثالثة الذين آمنوا وكانوا يتقون فينكس أهل الكفار رؤسهم ويبقى أهل التقوى رافعين رؤسهم قد زال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم الله لانه أكرم الأكرمين والموصول صفة للمنادى أو نصب للمدح وعلى هذا لا يوقف على تحزنون أما ان جعل مبتدأ وخبره مضمرفا لوقف على تحزنون تام والتقدير يقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تكرمون بالتحف اكراما على سبيل المبالغة (يطاف عليهم بمخاف من ذهب وأكواب) أى لهم في الجنة أطعمة وأشربة يطاف بها عليهم في قصاع من ذهب وكيزان من ذهب (وفيهما) أى الجنة (ما تشتهيها الانفس) من الاشياء المعقولة والمسهوعة والملموسة جزاء لهم بما منعوا أنفسهم من الشهوات في الدنيا (وتلذذوا العين) من الاشياء المبصرة جزاء ما تحملوه من منع أعينهم من نظر ما لا يجوز شرعا وقرأ نافع وابن ماسر وحفص تشهيه بأثبات العائد على الموصول والباقيون بحذفه وقرى وتلذذ بالهاء (وأنتم فيها) أى الجنة (خالدون وتلك الجنة التى أوردتموها بما كنتم تعملون) أى أعطيتموها جزاء على عملكم الصالح في الدنيا (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) فلا تنفذ أبدا (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) خبران وفي عذاب متعلقة به (لا يفتر عنهم) أى لا ينقص العذاب عنهم (وهم فيه) أى العذاب (يبلسون) أى آيسون من النجاة وقرأ عبد الله وهم فيها أى في جهنم وهذه جملة حالية (وما ظلمناهم) بعذابهم (ولكن كانوا هم الظالمين) لا يقال أنفسهم للعذاب الخالد بقصد عدم الانفكاك عن الكفر ما بقوا في الدنيا فالظالمين خبر كان وقرأ عبد الله وأبو زيد الظالمون على أنه خبر لهم والجملة خبر كان (ونادوا) خازن النار (يا مالك) قرأ ابن مسعود يا مال يحذف الكاف وهذا دليل على أنهم بلغوا في الضعف الى حيث لا يمكنهم أن يذكروا من الكلمة الابعةضها (ليقبض علينا ربك) والمعنى سل ربك أن يمتتنا لنستر يمح من العذاب وهذا من اللوت لشدة عذابهم (قال) أى مالك بعد أربعين سنة كما قاله عبد الله بن عمر وقيل الضمير يعود الى الله (انكم ما كنون) في العذاب أبدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره قال الله تعالى مقرر الجواب مالك ومبين السبب مكثهم (لقد جئناكم بالحق) أى بالدين الحق في الدنيا بأرسال الرسل وازال الكتب (ولكن أكثركم للحق كارهون) أى ينغرون عنه ويبغضونه (أم أبرمو أم افانامبرهون) أى أتقن مشركوا مكة أمرا في كيدهم برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فانما متقنون كيدنا حقيقة وكانوا يتشاررون في أموره صلى الله عليه وسلم في دار الندوة (أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم) أى بل يحسبون أننا لا نسمع ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان خال ومات كلاموا به فيما بينهم (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) أى بلى نسمعهما ونطلع عليهما والحال ان رسلنا وهم الحفظة الذين يلزامونهم أينما كانوا يكتبون عليهم كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) لذلك الولد فان السلطان اذا كان له ولي يجب على عبده أن يخدمه كما يجب عليه أن يخدم السلطان والمعنى ان قام الدليل على ثبوت ازل الله تعالى كنت مقرا بوجوب خدمته لكن لم يوجد الدليل على ثبوته بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف أقر بوجوده قال بعضهم ان كلمة ان هي هنا نافية والتقدير ما كان للرحمن ولد فأنا أول المقرين من أهل مكة بان ليس لله ولد وأنا أول الموحدين منهم أن لا شريك له تعالى وقرأ حمزة والكسافي ولد بضم الواو واسكان

اللام والباقون بفتحهما (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) من نله ولد
 (فذرهم) أى فآثر كهم في ذلك الباطل حيث لم يذعنوا للحق بعدما عمو هذا البرهان الجلى (يخوضوا)
 أى يفعلوا فى أباطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى حتى يصلوا الى
 اليوم الذى يوعدون فيه بالعذاب وهو يوم القيامة (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) أى وهو
 الذى هو معبود فى السماء ومعبود فى الارض (وهو الحكيم العليم) فكونه بليغ الحكمة فى تدبير
 خلقه وبالغافى العلم بعصا لهم ينال حصول الولد له (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) أى
 دام الذى له ملكها وكثرت خيراته فعيسى ليس ولد الله تعالى لانه حدث بعد ان لم يكن ثم انه مات ولانه
 محتاج الى الطعام فالذى هذا صفة كيف يكون ولدا ان كان خالقا للسموات والارض وما بينهما ولا يحتاج
 بين عيسى والباقي الغنى عن كل شئ فامتنع كونه ولدا لله تعالى (وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها
 ومن كان كاملا فى الذات والعلم والقدرة امتنع أن يكون له ولد عاجز وعديم العلم على أحوال العالم
 بالحد الذى وصفه النصارى (واليه ترجعون) وقرأ ابن كثير وحزمة والكسافى بالياء على الغيبة
 والباقون بالتاء على الالتفات من الغيبة الى الخطاب للتهديد وقرى تحشرون بالتاء (ولا يعلمك
 الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق) أى ان الملائكة وعيسى وعزير الذين كانوا
 يعبدهم الكفار من دون الله لا يشفعون الا من شهد بالحق (وهم يعلمون) بقاؤهم ما يشهدون به
 بأنستهم روى أن النصير بن الحرث ونفر معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نعبد الملائكة فهم
 أحق بالشفاعة من محمد فأنزل الله هذه الآية ويقال ان كل معبود من دون الله لا يعلمكون الشفاعة الا من
 شهد أنه لا اله الا الله وهم الملائكة وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله وهم يعلمون ان الله خلقهم
 وانهم عباد الله (ولئن سألتهم) أى الكفار الذين ادعوا الشريك لله (من خلقهم) أى العبادين
 والمعبودين معا (ليقولن الله فأنى يؤفكون) أى فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع
 اعترافهم بكون الكل مخلوقا لله تعالى ولم يكذبون على الله حيث قالوا ان الله أمرنا بعبادة الاصنام (وقيله)
 قرأ الاكثر على المصدر أى قال النبي قونه أو عطف على سرهم أو على محل الساعة وقرأ
 عاصم وحزمة بالجر عطف على الساعة أو ان الواو للقسمة وقرأ الاعرج وأبو قلابه ومجاهد والحسن بالرفع
 عطف على علم الساعة أو مبتدأ أو خبر ما بعده (يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) بك وبرسولك قال تعالى
 (فاصفح عنهم) أى فاعرض عنهم بغير التبليغ وبالذعاء عليهم بالعذاب (وقل سلام) أى شأى الآن
 متاركة بسلامتكم منى وسلامتى منكم فهذا اتباعهم (فسوف يعلمون) ما يفعل بهم وقرأ نافع وابن
 عامر بتاء الخطاب على الالتفات لزيادة التهديد والتقريع والباقون بالياء كناية عن قوم لا يؤمنون
 وهذه الآية غير منسوخة لان الامر لا يفيد الفعل الامرة واحدة فاذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة
 اللفظ فأى حاجة فيه الى التزام النسخ

﴿سورة الدخان مكية وهى تسع وخمسون آية وثلاثمائة وست
 وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وأحد وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين) يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة التى
 أنزلها الله تعالى على أنبيائه وأن يكون المراد به اللوح المحفوظ وان يكون المراد به القرآن وهذا يدل على

غاية تعظيم القرآن (انا أنزلناه) أى القرآن (فى ليلة مباركة) قال الاكثرون انها ليلة القدر وقال
 عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البراءة وهى ليلة النصف من شعبان ونقل محمد بن جرير الطبرى
 عن قتادة أنه قال نزلت مصحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان والتوراة است ليل منه والزبور
 لثنتى عشرة مضت منه والانجيل لثمان عشرة مضت منه والقرآن لاربعة وعشرين مضت من
 رمضان واليلة المباركة هى ليلة القدر وقد قيل انه تعالى أنزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ الى
 معاء الدنيا فى ليلة مباركة ثم أنزل فى كل وقت ما يحتاج اليه المكلف وقيل يبدأ فى استنساخ
 ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى
 ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسوف ونسخة الاعمال الى اسرافيل
 صاحب معاء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت (انا كنا منذرين) أى مخوفين بالقرآن (فيها)
 أى ليلة مباركة (يفرق) أى يظهر لللائكة الموكلين بالتصرف فى العالم (كل أمر حكيم) أى مبرم
 لا يحصل فيه تغيير ولا نقص بل لا بد من وقوعه فى تلك السنة وقال الرازى معنى الحكيم ذو حكمة وذلك لان
 تخصيص الله تعالى كل أحد بحالة معينة من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة
 بالغية لله تعالى لما كانت تلك الافعال والاقضية دالة على حكمة فاعلمها وصفت بكونها حكيمية وقرئ يفرق
 بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل ونصب كل والفارق هو الله تعالى وقرأ يزيد بن على نفرق بالنون
 (أمر من عندنا) حال من فاعل أنزلنا أو من مفعوله أى فى حال كون القرآن أمراً من عندنا بما يجب ان
 يفعل أو من أمر حكيم أو مفعول له وناسبه انا أنزلناه واما منذرين واما يفرق أى أو مصدر من معنى يفرق
 أى فرقا كأننا من عندنا (انا كنا مرسلين) أى انا غما فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين
 الانبياء (رحمة من ربك) مفعول له أى لاجل افاضة رحمتنا على العباد والمعنى انا أنزلنا القرآن لان من
 عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاقتضاء رحمتنا لسابقة ارسالهم أو بدل من أمر ايجب فيه رحمة
 ما تقدم من الاوجه فى أمراً (انه هو السميع العليم) فان المحتاجين للرحمة امان يذكروا حاجاتهم
 بالاستئذان واما أن لا يذكروها فان ذكروها فانه تعالى سميع لكلامهم وان لم يذكروها فهو تعالى عالم
 بحاجاتهم (رب السموات والارض وما بينهما) قرأ عاصم وحزق والكسافى بالجريد من ربك أو ببيان عليه
 والباقون بالرفع عطف بيان على قوله السميع العليم أو خبراً آخر أو استئناف على أضمار مبتدأ (ان
 كنتم موقنين) أى ان كنتم تريدون اليقين فاعرفوا ان الامر كما قلنا (لا اله الا هو يحيى ويميت)
 وهذا تنبيه على تمام دلائل التوحيد (ربكم ورب آبائكم الاولين) بالرفع بدل أو ببيان أو نعت رب
 السموات وقرأ ابن محيصن وابن أبى اسحق وأبو حيوة والحسن بالجرح على البدل أو البيان أو النعت لرب
 السموات وقرأ الانطاكى بالنصب على المدح (بل هم فى شك) أى ليسوا على يقين فى أقرارهم بأن للسموات
 والارض ربا وخالقها هو الله تعالى وانما قولونه تقليد الآباء ثم من غير علم فهم فى شك (يلعبون) فى دينهم
 بما يظهر لهم من غير حجة (فارتقب) أى انتظر يا كرم الرسل عذابهم (يوم تأتى السماء بظلمة مبين)
 وهو ما أصابهم من شدة الجوع فانهم لظامة أبصارهم كأنهم يريدون دخاناً بين السماء والارض فالمراد بالظلمة
 هنا على ما قاله ابن عباس فى بعض الروايات وابن مسعود ومقاتل ومجاهد واختاره الغراء والزجاج هو ما
 أصاب قريشاً من الجوع بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما كذبه قومه بمكة دعا عليهم فقال اللهم
 اجعل سنيهم كسنى يوسف فارتفع المطر واجدبت الارض وأصاب قريشاً شدة المجاعة حتى أكلوا

العظام والكلاب والجيف فكان الرجل يرى بينه وبين السماء كال دخان لما به من الجوع ونقل عن علي
وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وزيد بن علي والحسن ان المراد بالدخان هنا دخان يظهر في العالم في آخر
الزمان يكون علامة على قرب الساعة علا ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والارض يكثر أربعين
يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كالزكام واما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه
ودبره وتكون الارض كلها كبيت أوقدت فيه النار وقال عبد الرحمن الاعرج ان المراد بالدخان هو الغبار
الذي ظهر يوم فتح مكة من ازدحام جنود الاسلام حتى حجب الابصار عن رؤية السماء (يفشى الناس)
أي يشعلهم وهو في محل حرفة لدخان (هذا عذاب اليم) فان قلنا التقدير يقولون هذا عذاب اليم
(ربنا كشف عنا العذاب) فالعذاب هو القمع الشديد وان قلنا التقدير يقولون ربنا كشف عنا
العذاب فالعذاب هو الدخان المهلك الذي يدخل في اسماع الكفرة حتى يصير رأسهم كالرأس الخنيز
(انما مؤمنون) بمحمد وبالقرآن والمراد منه الوعد بالايان ان كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى وقد
جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أي كيف يتعظون بهذه الحالة والحال انهم قد شاهدوا
ما ظهر على رسول الله من المعجزات القاهرة وهي أعظم موجبات الاعتزاز ثم لم يلتفتوا اليه وقالوا ان محمدا
يتعلم هذه الكلمات من جبر غلام عامر بن الحضري وهو قين نصراني أو غلام لحويط بن عبد العزيز قد
أسلم وقالوا ان الجن يلقون على محمد هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي ومما مثلهم الا كمثل الكلب اذا
جاع ضغوا واذ اشبع طغى (انا كشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أي انا انكشف العذاب عنكم
كشفا قليلا أو زمانا قليلا بدعا محمد صلى الله عليه وسلم انكم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من
الشرك والمعنى انهم لا يغفون بعهدهم وانهم في حال الهزيمة تضرعون الى الله تعالى فاذا زال الخوف عادوا
الى الكفر والتقليد لذهاب الاسلاف (يوم نبطش البطشة الكبرى انما منتقمون) ويوم منصوب بما
دل عليه منتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها أي يوم نأخذ بشدة أخذنا قويا يا ايصال الآلام المتتابعة
ننتقم انما منتقمون وهو يوم بدر كما قاله ابن مسعود ومجاهد ومقاتل وأبو العالية وروى عكرمة عن ابن
عباس هو يوم القيامة وقرأ الحسن البصري وأبو جعفر المدني نبطش بضم الطاء وقرئ نبطش بضم النون
فان الله أمر الملائكة بأن يعاقبهم العقوبة العظمى (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أي ولقد عامدا قوم
فرعون قبل هؤلاء العرب معاملة المختبر ببعث الرسول اليهم (وجاءهم رسول كريم) على ربه وهو
موسى عليه السلام اذا خصه بالنبوة واسماع الكلام (أن أدوا الى عباد الله) أي بأن الحسد
أر. لموا بني اسرائيل معي (اني انكم رسول) من الله (أمين) أي قد ائتمنتني الله تعالى على وحيه
ورسالته وصدقني بالمعجزات القاهرة (وأن لا تعملوا على الله) أي وبأن الشأن لا تتكبروا على الله
باهانة وحيه ورسوله (اني آتيكم بسلطان مبين) أي آتيكم من جهة الله تعالى بحجة واضحة يعترف
بصحتها كل عاقل (واني عذب بربي وربكم أن ترجحون) أي واني اعتصمت بربي وربكم من ان تقتلون
قيل لما قال موسى وان لا تعملوا على الله توعده بالقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعترفون) أي ان لم تصدقوني
ولم تؤمنوا بالله لاجل ما آتيتكم به من الحجة فخلوا سبيلي لاني ولاهلي (فدعاهم أن هؤلاء قوم مجرمون)
أي انهم كفروا ولم يؤمنوا وقد عام موسى ربه بأن هؤلاء قوم مشركون اكتبوا الهلاك على أنفسهم فافعل
بهم يارب ما يليق بهم وقرأ ابن أبي اسحق وعيسى والحسن بكسر المهزة على اضمار القول عند
البصريين وعلى اجراء دعاء مجرى القول عند الكوفيين (ف) قال ربه (أسر بعبادي ليلا) أي سر ليلا يبيني

اسرائيل قرأ نافع وابن كثير بالوصل والباقون بالقطع (انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وجنوده
بعد ما علموا بخبر وجحكم ويصير ذلك سبباً لهلاكهم (واترك البحر رها) أى اجعل البحر طرقات واسعة
حتى يدخله القبط فيغرقوا كما قال تعالى (انهم جند مغرقون) في البحر وقرئ بفتح الهمزة أى لانهم وانما
أخبره الله تعالى بذلك حتى يبقى فارغ القلب عن شربهم (كم تركوا من خنات وعيون وزروع ومقام
كريم ونعمة) بفتح النون أى فاغرقهم الله وتركوا أموراً كثيرة من بساتين ومياه ظاهرة في
البساتين وحرث ومنازل محسنة ومجالس مزينة وأمور يتمتعون بها كالملابس والمراكب (كانوا فيها)
أى في هذه الاشياء (فاكهين) بالالف أى طيبين الانفس محبين وقرأ الحسن وأبو رجاء فكهين
بدون الالف أى مستهزئين بنعمة الله تعالى (كذلك) أى مثل ذلك السلب سلبناه هذه الاشياء منهم
(وأورثناها) أى تلك الاشياء (قوما آخرين) أى جعلناها من بعدهم ميراثاً لبني اسرائيل (فما
بكى عليهم السماء والارض) روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا وله
في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكى عليه وروى في الاخبار
ان المؤمن ليبيكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصدق عمله ومهبط رزقه أى ولم يبك السماء والارض على
فرعون وقومه لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملاً صالحاً ولم يصعد لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل
صالح (وما كانوا منظرين) أى لما جاء وقت هلاكهم لم يهللوا الى وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير
(ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهيمن من فرعون) أى من العذاب الشديد الصادر من فرعون وهو
قتل الابناء واستخدام النساء والاعتاب في الاعمال الشاقة وقرئ من عذاب المهيمن أى وهو فرعون لانه
كان عظيم السهي في اهانة المحقين وقرأ ابن عباس من فرعون بمعنى الاستغهام والمعنى هل تعرفونه من هو
في عتوه وشيظنته (انه كان عالياً من المسرفين) أى كان على الدرجة في طبقة المسرفين أو يقال انه كان
متكبراً مسرفاً فانه مع حقارته ادهى الالهية فقوله من المسرفين حال من الضمير فى عالياً وخبر بان لكان
(ولقد اخترناهم على علم على العالمين) أى ولقد اخترنا بنى اسرائيل على العالمين جميعاً عالين بكونهم
مستحقين لان يختاروا ويرجعوا على غيرهم لكثرة الانبياء فيهم ويقال ولقد اخترناهم على عالمي زمانهم
مع علمنا بأنهم قد يرفغون في بعض الاوقات ويصدر عنهم الفطرات في بعض الاحوال (وآتيناهم من
الآيات ما فيه بلاء مبين) أى وأعطينا بنى اسرائيل ما فيه نعمة ظاهرة من الآيات التي لم يظهر الله مثلها
على أحد سواهم مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن السلوى وغيرها فانه تعالى لما كان يبيلو بالحننة
فقد يبيلو بالنعمة أيضاً اختباراً لظاهر التميز الصديق عن الزنديق (ان هؤلاء) أى ان كفار قريش
(ليقولون ان هي الاموات الاولى) أى ما نهاية الامر الا الموت الاولى المزية للحياة الدنيوية (وما نحن
بمنشرين) أى نحيون بعد الموت (فأتوباً بائناً) أى فجهلوا لنا أيها القائلون باننا نبعث بعد الموت
أحياء من مات من آباءنا بان تسألوا ربكم ذلك حتى يصير دليلاً عندنا على صدق دعواكم في البعث (ان
كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهرانه حق قال تعالى مرة تصرا على الوعيد
(أهم خير أم قوم تبسع والذين من قبلهم) أى قبل قوم تبسع كذين وأصحاب الايكة والرس وغمود وعادوسى
تبعال أكثره تبعه واسمه أسعد بن ملكي كوب وكنيته أبو كروب وهو نبي كما قاله ابن عباس أورجل صالح كما
قالت عائشة وكان قومه كافرين وأراد خراب المدينة فلما أخبرنا مهاجر نبي اسمه أحمد انصرف عنها وقال
شعرا أردعه عند أهلها وكانوا يتوارثونه كبراعن أكابر الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه اليه

وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا يزيد ولا
نقص ويقال كان الكتاب والشعر عند أبي أيوب خالدين زيد وفيه

شهدت على أحمدانه * رسول من الله باري النسم

فلومد عمرى الى عمره * لكنت وزيراً له وابن عم

أهلكتهم انهم كانوا مجرمين) فأهلكتهم مستأنف لبيان عاقبة أمرهم وانهم تعليل لا هلاكهم أى
ان أولئك الكفار أهلكتوا بسبب اجرامهم مع انهم كانوا أقوى من هؤلاء أقل الخافون من هلاكهم وهم
شركاء لأولئك في الاجرام (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عيين) أى لا هين ولولم يحصل
البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثاً لان الله تعالى خلق نوع الانسان ثم كفهم بالايان والطاعة
فاقتضى ذلك ان يقر المطيع من العاصي فيتعلم فضله تعالى واحسانه للطيع ويتعلم عدله وعقابه
للعاصي فلا بد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت وقواً عمرو بن عبيد وما بينهن وقرأ الجهوريينهما
باعتبار النوعين (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) أى الاسباب الحق الذى هو الايمان
والطاعة والبعث والجزاء (واكن أكثرهم) أى أهل مكة (لا يعلمون) انا خلقنا الخلق بسبب اقامة
الحق عليهم (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) أى ان يوم تميز الحق من البطل وقت موعد الناس
أجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم خبرها أى ان ميقاتهم جزاؤهم البر والفاجر في يوم
فصل الله بين عباده (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً) أى لا ينفع قريب عن قريب شيئاً (ولاهم
ينصرون) أى يمنعون من العذاب (الا من رحم الله) أى الا المؤمنون فانهم يمنعون من العذاب أو
فانهم يؤذنهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم وتشفع لهم الملائكة والانبياء (انه هو العزيز الرحيم)
أى ان الله هو الغالب بتعذيب الكافرين الرحيم بالمؤمنين (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) أى الكثير
الآثام وهو الكافر (كالمهل) وهو دردى الزيت وعكر القطران ومذاب النحاس وساثر الغلرات
(يغلى في البطون كغلى الحميم) وقرأ حفص وابن كثير يغلى بالياء التحتية فهو حال من طعام أو الزقوم
والباقون بالنساء الفوقية فهو خبر ثالث لان أى تغلى الشجرة في البطون غلياً كغلى الماء الشديد الحرارة
يقول الله للزبانية (خذوه) أى الاثيم (فاعتلوهم) أى جرؤهم بعنف وقودوه (الى سواهم) أى الى وسط
النار العظيمة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضم التاء (ثم صبو فوق رأسه من عذاب الحميم) أى صبو على
رأسه عذاباً شديداً يشبه الماء الحار بعدما يضر برأسه بمقام الحديد فقد شبه العذاب بالمائع ثم خيل له
بالصوب ويقال له على سبيل الاستهزاء (ذق) يا أبا جهل (انك أنت العزيز الكريم) وقرأ الكسائي أنك بفتح
الهمزة على معنى العلة أى لانك أو على تقدير مضاف أى ذق عذاباً لانك أنت المتعزز في قومك المتكرم عليهم
روى ان أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جليلها أى مكة أعز ولا أكرم منى فوالله
ماتت ستطيع أنت ولا ربك ان تغلابي شيئاً (ان هذا) العذاب (ما كنتم به تمترون) أى تشككون في الدنيا
(ان المتقين في مقام أمين) أى مكان مأمون من الزوال والآفات وقرأ نافع وابن عامر مقام بضم الميم أى
مرضع الإقامة (في جنات وعيون) أى أنهار النحر والماء والابن والعسل (يلبسون من سندس
واستبرق) والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما شق منه (متقابلين) في المجالس ليستأنس بعضهم
ببعض (كذلك) أى أتيناهم مثل ذلك أو هكذا مقام المؤمنين في الجنة (وزوجناهم بصور عين) أى
قرناهم في الجنة بجوار بيض حسان الوجوه وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مهور

لحور العين قبضات التمر وقلق الخبز وعن أبي قرصافة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخراج القمامة من المسجد مهوور الحور العين وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد مهوور الحور العين (يدعون فيها بكل فاكهة) أي يأمرسون الخدم في الجنة باحضار ما يشتهونه ويتناولون فيها بالوان كل فاكهة (آمنين) من التخم والامراض (لا يذقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يذوقون في الجنة الموت الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى التي في الدنيا بعد حياتهم فيها أو يقال لكن الموتة الاولى قد ذاقوها (ووقاهم عذاب الجحيم) أي وفي الله المتقين في أول الامر من عذاب الجحيم ورفع الله العذاب عن عصاة المؤمنين بعد دخولهم النار وقرئ وقاهم بتشديد القاف (فضلا من ربك) أي تفضل ربك بذلك الثواب تفضلا وقرئ فضل بالرفع أي ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) فان الفضل أعلى من درجات الثواب المستحق فان الملك العظيم اذا أعطى الاجير أجرته ثم خلع على انسان آخر فان تلك الخلة أعلى حالا من اعطاء تلك الاجرة (فاعلموا ان الله لا يهدي القوم المضلين) أي انما أنزلنا الكتاب المبين بلغته (لعلهم يتذكرون) أي لكي يتعظون به (فارتقب انهم من مرتقبون) أي فانتظر هلاكهم انهم منتظرون هلاكك

(سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربع مائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) أي هذه السورة مسماة بحم (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أي تنزيل هذا الكتاب واقع من الله العزيز في ملكه الحكيم في أمره وقضائه (ان في السموات والارض لايات للمؤمنين) لانه حصل في ذوات السموات والارض أحوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها ولان الشمس والقمر والنجوم والجمال والبحار وجودة في السموات والارض وهي دالات على وجود الاله القادر الفاعل المختار (وفي خلقكم) من نطقة ثم من علة متقلبة في أطوار مختلفة الى تمام الخلق (وما يثبت) أي وفيما ينشره (من دابة آيات لقوم يوقنون) فان الاجسام متساوية باختصاص كل واحد من الاعضاء لا بد وان يكون بتخصيص القادر المختار وكذا انتقاله من حال الى حال آخر (واختلاف الليل والنهار) أي وفي تعاقبها وتفاوتها طولا وقصرا (وما أنزل الله من السماء من رزق) أي وفيما أنزله من السحاب من مطر (فأحيى به الارض بعد موتها) أي بعد ميوسستها (وتصرف الرياح) أي وفي تقلبها من جهة الى أخرى ومن حال الى حال (آيات لقوم يعقلون) وقرأ حمزة والكسائي آيات لقوم في الموضعين بالنصب بالكسرة معطوف على آيات الاول الذي هو اسم ان والباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبر الظرف المقدم وقرئ آية بالتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وتصرف الرياح بالتوحيد وحاصل ما ذكرهنا من الدلائل ستة على ثلاث فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون وسبب هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب اليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فكونوا من العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل وأبدى بعض المفسرين معنى لطيفا فقال ان المنصفين اذا نظروا في السموات والارض وانه لا يدهم من صانع آمنوا واذا نظروا في خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا ايمانا فأيقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث عقلوا (تلك) أي الآيات

المذكورة (آيات الله) أى حجة الدالة على وحدانيته (تتلوها) أى نقصها (عليك بالحق) أى إن صحتها معلومة بالدلائل العقلية وهذا من أعظم الدلائل على الترغيب في تقرير المباحث العقلية (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) أى إن من لم ينتفع بهذه الآيات فلا شئ بعدها يجوز أن ينتفع به وقرأ ابن عامر وشعبة والكسائي بتاء الخطاب مناسبة لقوله تعالى وفي خلقكم (ويل لكل أفاك) أى كذاب (أنتم) أى مبالغ في اقتراف الآثام وهو نضر بن الحرث (يسمع آيات الله) أى القرآن (تتلى عليه ثم يصير) أى يقيم على كفره إقامة بقوة (مستكبرا) عن الإيمان بآيات الله محبا بما عنده كان النضر يشتري من أحاديث الهم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن (كان لم يسمعها) أى حال كونه مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) على إصراره واستكباره (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) أى أنه إذا سمع كلاما وعلم أنه من آياتنا يادري الاستهزاء بالآيات كلها ولم يهتم على الاستهزاء بما معه فقط (أولئك) أى كل أفاك أنتم (لهم عذاب مهين) أى ذواهانة (من ورائهم) أى قدماهم بعد الموت (جهنم) فانهم متوجهون إلى ما أعد لهم أو من خلفهم جهنم لأنهم مقبلون على الدنيا معرضون عما أعد لهم (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا ينفعهم ما ملكوه في الدنيا ولا أصنامهم التي عبدوها (ولهم عذاب عظيم) أى بالغ إلى أقصى الغايات في كونه ضررا (هذا) أى القرآن (هدى) أى في غاية الكمال في الهداية (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وقرأ ابن كثير وحفص بالرفع أى لهم عذاب أليم من تجرع ماء صديد والباقيون بالجرأى لهم عذاب من عذاب شديد الأيلام (الله الذي يخزلكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) أى بأذنه وأنتم راكبوها فخرى أن السفن على وجه البحر لا يحصل إلا بسبب ثلاثة أشياء أحدها الرياح التي توافق المراد وتأتيها الماء وثالثها خسة طافية لا تغوص في الماء وهذه الثلاثة لا يقدر عليها أحد من البشر فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله تعالى (ولتبغوا من فضله) إما بسبب التجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان أو باستخراج اللؤلؤ الطرى (ولعلكم تشكرون) أى ولكي تشكروا نعمة تعالى (ومخرأكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) أى ومخرأكم الشمس والقمر والنجوم والسحاب والشجر والدواب والجمال والبحار كائنة منه تعالى وحاصلة من عنده فإنه تعالى موجد لها بقدرته وحكمته ثم مسخرها للخلق وقرأ سلمة بن محارب منه على أنه فاعل مسخر أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ذلك منه وقرئ منه على أنه مفعول له (إن في ذلك) أى فيما ذكر (لآيات) كثيرة (لقوم يتفكرون) في بدائع صنع الله تعالى فانهم يطلعون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها (قل للذين آمنوا) اغفروا للكفار (يغفروا) للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عقاب الأمم الخالية كما قاله ابن عباس وهذا محمول على ترك المنازعة في المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والأفعال الموحشة وقال المهدوي والنحاس ومقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بن الخطاب بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأمره الله بالعفو والتجاوز وأزل هذه الآية (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى لكي يجازي الله يوم القيامة قوما يعملون الخير وقيل ليجزى الله الكفار بما كانوا يكسبون من الآثام والمعنى لا تكافئوهم أنتم حتى تكافئهم نحن وقرأ ابن عامر وهزوا والكسائي لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أى وليجزى الجزاء قوما (من عمل صالحا قلنفسه ومن أساء فعليها) أى إن العمل الصالح يعود بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردي يعود بالضرر على فاعله وهذا ترغيب منه تعالى في العمل

الصالح وزجر عن العمل الباطل (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيرا كان أو شرا (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) أي التوراة (والحكم) أي معرفة أحكام الله تعالى وفصل الحكومات بين الناس (والنبوة) حيث كثرت الله فيهم الانبياء (ورزقناهم من الطيبات) فانه تعالى وسع عليهم في الدنيا فأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم ثم أنزل عليهم الن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم مال من ثروت من عداهم من فلق البحر واطلال الغمام ونظائرهما (وآتيناهم بينات من الامر) أي أدلة على أمور الدنيا وعلى أمور الدين (فما اختلفوا) في الامر (الامن بعد ما جاءهم العلم) ومحى العلم لهم كان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أي حسدا منهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بالجزاء (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعوها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أي ثم اخترناك على طريقة واضحة من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال وأديانهم المبنية على الأهواء قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بكة ارجع الى ملة آباءك فهم كانوا أفضل منك وأسنى فأزل الله تعالى هذه الآية (انهم لن يغفوا عنيك من الله شيئا) أي انك لو ملت الى أديانهم الباطلة صرت مستحقا للعذاب فهم لا يقدرون على دفع عذاب الله عنك (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) أي ان الكافرين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا أما في الآخرة فلا ولي لهم ينفعهم في اصال الثواب وازالة العقاب (والله ولي المتقين) أي والله ناصر المهتدين (هذا) أي القرآن (بصائر للناس) فان ما فيه من معالم الدين بمنزلة البصائر في القلوب (وهدي) من ورطة الضلالة (ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) أي يطلبون اليقين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي أظن هؤلاء المكتسبين للسيئات ان نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على مساوي الاحوال أمثال المؤمنين وهم في محاسن الاعمال (سواء بحياهم ومعاتهم) وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنص سوا فهو حال من الضمير المستتر في كالذين ومحيياهم ومعاتهم مرتفعان على الفاعلية والمعنى أحسب الكفار ان نجعل المؤمنين كاثمين مثلهم حال كون الكل مستويا بحياهم ومعاتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في شرف الايمان والطاعة في الحيا وفي رضوان الله تعالى في الممات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي في الحيا وفي العذاب الخالد في الممات وقرئ محياهم ومعاتهم بالنصب على انهما ظرفان أي حال كون كل الفريقين مستويين في محياهم ومعاتهم وقيل انهما بدلان من الضمير المنصوب في نجعلهم فيصير التقدير أن نجعل محياهم ومعاتهم سواء وقرأ الباقر برفع سواء على انه خبر ومحيياهم مبتدأ والجملة في حكم المفرد في محل النصب هو بدل من المفعول الثاني وهو الكاف (سواء ما يحكمون) قال الكلبي ان عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث فقتلوا أولئك وقالوا للمؤمنين والله ما أنتم على شيء ولو كان ما تقولون حقا لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما انا أفضل حالا منكم في الدنيا فأنا نكر الله عليهم هذا الكلام وأزل الله هذه الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي لاجل اظهار الحق (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب والمعنى ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت في الدرجات والدركات بين المحقين والمبطلين وقوله ولتجزى معطوف على بالحق لان معنى الباء هنا التعليل أو معطوف على علة محذوفة والتقدير خلقها بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى الخ وجوز

ابن عطية أن تكون هذه اللام لام الصبر ورة أى وصار الامر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها آخرون ولا وقف على قوله تعالى بالحق وعند أبي حاتم فالوقف عليه تام يجعل لام لتجزى لام قسم (أفرايت من اتخذ الهه هواه) أى أنظرت يا مشرف الخلق فرايت من ترك متابعة الهدى وأقبل متابعة الهوى فكان يعبد الهوى فذلك من العجب وقرئ آلهته هواه لانه كلما مال طبعه الى شئ اتبعه فكان اتخذ هواه آلهته شتى يعبد كل وقت واحد منهماروى عن أبي رجا العطاردى انه أدرك الجاهلية وهو ثقة مات سنة خمس ومائة وعمره مائة وعشرون سنة قال كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجرا جمعنا خشوة من تراب خلبنا عليها ثم طغنا بها (وأضله الله على علم) وهذا اما حال من الفاعل أى عالمنا بان جوهر روحه لا يقبل الصلاح أو من المفعول والمعنى وأضله وهو عالم بالحق (وختم على سمعه وقلبه) فلا يقبل المواعظ ولا يتفكر فى النذر (وجعل على بصره غشاوة) أى غطاه مانعا عن الاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين والاعمش وابن مصرف بكسر الغين والباقون غشاوة بكسر الغين وابن مسعود والاعمش أيضا بفتحها وعبده الله بضمها (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد اضلال الله اياه وهذه الجملة مفعول ثان لرأيت (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون بالتأين على الاصل (وقالوا) من غاية ضلالهم (ما هى الا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا الحياة التى نحن فيها (غوت ونحيي) أى يصيبنا الموت والحياة فى الدنيا وليس وراء ذلك حياة (وما يهلكنا الا الدهر) أى الامر والزمان والمعنى أن تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامترجات الطبائع واذا وقعت تلك الامترجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ولا حاجة فى هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله والقيامة (وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) أى ما لهم باقتصار الحياة على ما فى الدنيا واستناد الحياة والموت مستند الى نقل أو عقل صحيح ما هم الا قوم أمرهم الظن والتقليد (واذا تتلى عليهم آياتنا) الدالة على قدرتنا (بينات) أى مبينات لما يخالف معتقدهم (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآياتنا ان كنتم صادقين) فى أنا نبعث بعد الموت وحجتهم بالنصب خبر كان والآن قالوا اسمها فالعنى ما كان متمسكا لهم على انكار البعث شئ من الاشياء الا هذا القول الباطل وهو قولهم لو صح ذلك البعث فأقربا بآياتنا الذين ماتوا ليس شهدوا لنا ببعث البعث وقرئ برفع حجتهم على أنه اسم كان فالعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يعيتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما ترجمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) احياء بعد الموت (الى يوم القيامة) للجزاء (لاريب فيه) أى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة (ولكن أكثر الناس) وهم القائلون ماذا كرم (لا يعلمون) ان دلالة حدوث الانسان وغيره على وجود الاله الحكيم وان الله تعالى لما كان قادرا على الابداء ابتداء وجب أن يكون قادرا على الاعادة فانيا (ولله ملك السموات والارض) أى لله التصرف فيها كما أراد وله القدرة على جميع الممكنات فيلزم كونه تعالى قادرا على احياء فى المرة الثانية (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينحسر المبطلون) أى والله ملائيم قيام الساعة يومئذ يظهر غيب المبطلين لان الحياة والعقل والصحة كلها رأس المال والتصرف فيها الطلب سعادة الآخرة يجرى مجرى تصرف التاجر فى رأس المال لطلب الربح والكفار قد اتعبوا أنفسهم فى هذه التصرفات وما وجدوا منها الا الحرمان فكان ذلك فى الحقيقة

نهاية الخسران (وترى) أيها المخاطب (كل أمة) أي كل أهل دين (جائئة) أي مجتمعة
 لا يتخاطبون غيرهم وهو حال وقرى جاذبة أي جالسة على أطراف الأصابع كالوقوف هنا حسن كالوقوف على
 كتابها (كل أمة تدعى إلى كتابها) أي إلى قراءة صحائف أعمالها والعامة على رفع كل على الابتداء
 وقرأ يعقوب كل بالنصب على البدل من كل الأولى وتدعى حال أو صفة رعى هذا فلا وقف على جائئة
 ويقال لهم حالة الدعاء (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) من خير أو شر (هذا كتابنا) أي كتاب الملائكة
 الذي أمرناهم بكتبه (ينطق عليكم بالحق) خبر ثان أي يشهد عليكم بما علمتم من غير زيادة ونقصان
 (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي أنا كما في ما قبل نأمر الملائكة بآبائكم في الكتابة
 وورد في الحديث أن الملك إذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على ما في اللوح (فأما الذين آمنوا و عملوا
 الصالحات فيدخلهم) في ذلك اليوم (ربهم في رحمته) أي في جنته (ذلك) أي الإدخال في رحمته
 (هو الفوز المبين) أي الظاهر الخلوص الجنة من الأكدار (وأما الذين كفروا) فيقال لهم بطريق
 التوبيخ (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) أي ألم تأتكم رسلي في الدنيا فلم تكن آياتي تقرأ عليكم
 (فأستكبرتم) عن الإيمان بتلك الآيات (وكنتم قوماً مجرمين) أي مذنبين بإصرار الكفر (وإذا قيل
 لكم أي كنتم إذا قيل لكم أيها الكفار من أي قائل كنتم) (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق)
 أي واقع بلا شك وقرأ الأعرج وهم وبن فذئد بفتح الهمزة على إجراء القول مجرى الظن (والساعة لا ريب
 فيها) وقرأ حمزة بالنصب عطف على وعد الله أي وإن الساعة آتية لا شك في وقوعها والباقيون بالرفع على
 الابتداء والمعنى وقيل والساعة لا ريب فيها قال الأخفش والرفع أجود في المعنى وأكثر في كلام العرب إذا
 جاء بعد خبر إن لأنه كلام مستقل بنفسه بعد مجيء الكلام الأول بتمامه (قلتم ما ندري ما الساعة) أي
 أي شيء هي إنكارها (إن نظن إلا ظناً) أي ما نقول في أمر الساعة كما ظنم إلا بالظن لا مكانه (وما
 نحن بمستيقنين) بقيام الساعة والقوم كانوا في أمر البعث فرقتين فرقة جازمة بنفيه وهم المذكورون
 في قوله تعالى إن هي إلا حياتنا الدنيا وفرقة كانت تشك وتتحير فيه لكثرة ما سمعوه من الرسل عليهم
 الصلاة والسلام وكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته وهم المذكورون في هذه الآية (وبدأهم
 سيئات ما عملوا) أي ظهر لهم في الآخرة سيئات أعمالهم في الدنيا فتصورت لهم بصورة هائلة فيعرفوا
 مقدار جزائنها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي أحاط بهم عقوبة استهزأهم بالرسل (وقيل اليوم
 ننساكم كما نسيتم لنا يومكم هذا) أي قيل لهم اليوم نترككم في العذاب كما تركتم الإقرار بهذا اليوم
 والعدة للقائه (وما أواكم النار) أي زمست قركم نار جهنم (وما لكم من ناصرين) أي وما لكم أحد
 يخلصكم منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيا) أي ذلكم العذاب العظيم
 بسبب استهزائكم بآيات الله وغروركم بما في الحياة الدنيا وحسب ما نكم أن لا حياة سواها (فاليوم
 لا يخرجون منها) أي من النار وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء والباقيون بضم الياء وفتح الراء
 (ولا هم يستعتبون) أي ولا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة لغوات أوانه (فله المجد رب السموات
 ورب الأرض رب العالمين) أي فاحمدوا الله الذي هو خالق كل العالمين من الأجسام والأرواح والذوات
 والصفات فإن هذه الربوبية توجب الحمد على كل أحد من المخلوقين وقرأ العامة رب في الثلاثة بالجر وقرى
 بالرفع على المدح باضمار هو (وله الكبرياء في السموات والأرض) وهذا إشارة إلى أن التكبير لا بد وأن
 يكون بعد التحميد وإشارة إلى وجوب كون الحامدين أن يعرفوا أنه تعالى أكبر من حمد الحامدين وأن

عطاياه أجل من شكر الشاكرين وان الكبرياء له تعالى لا لغيره تعالى (وهو العزيز الحكيم) أى هو الذى يغلب كل شئ الذى يضع الاشياء فى مواضعها

* (سورة الاحقاف مكية الاقل أرايتم ان كان من عند الله الآية والا ثلاث آيات من قوله تعالى ووصينا الانسان الى قوله تعالى فيقول ما هذا الا أساطير الاولين وهى أربع وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى القوى بالنعمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أى المتقن للامور * (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى الا لأجل الفضل والرحمة والاحسان (وأجل مسمى) أى والا لأجل مسمى أى الا لوقت معين لا فناء الدنيا فان اله العالم ما خلق هذا العالم ليبقى مخلداً سرمداً بل اغنا خلقه ليكون دار العمل فيقع الجزاء فى الدار الآخرة ولو لم توجد القيامة لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين ولتعطل توفية الثواب على المطيعين وتوفية العقاب على الكافرين (والذين كفروا عما أئذروا) أى خوفوا به عما فى يوم القيامة (معرضون) فلا يؤمنون به ولا يستعدون له (قل) توبخناهم (أرايتم ما تدعون من دون الله) أى اخبروني ما تعبّدون من الاوثان وقرئ أرايتكم (أروني ما ذا خلقوا من الارض) أى اخبروني أى شئ خلقه الاوثان عما فى الارض (أم لهم شرك) فام بعبثى الهمة أى ألهم شركة مع الله تعالى (فى السموات) أى فى خلقها أو ملكها (اثبتوني بكتاب من قبل هذا) أى بكتاب دال على صحة دينكم كأن من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك (أو آثارة من علم) أى أربغ بقوله عن الانبياء من علم سوى ما جاء فى الكتب وقرأ على ابن عباس وزيد بن علي وعكرمة أثره دون ألف وقرأ الكسائي أثره بضم الهمة وكسر هاء مع سكون الناء وقتادة والسلمي بفتح فسكون أى أو اثبتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة) أى لا امرأ أبعد عن الحق وأقرب الى الجهل ممن يعبد الاصنام وهى اذا دعيت لا تصح منها الاجابة لا فى الحال ولا بعده الى يوم القيامة واغنا جعل غاية لانه قيل ان الله تعالى يحييها يوم القيامة وتقع بينها وبين من يعبدها محاطبة (وهم عن دعائهم غافلون) أى والاصنام عن دعاء من يعبدهم لا يسمعون (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أى واذا قامت القيامة وحشر الناس كانت هذه الاصنام تعادى هؤلاء العابدين (وكانوا بعبادتهم كافرين) أى وكانت الاصنام مكذبين بكونهم معبودين يقولون انهم اغنا عبدوا فى الحقيقة أهواءهم لانها الامرة لهم بالاشراك (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق انا جاءهم هذا من محرمين) أى واذا يتلى على كفار أهل مكة القرآن وافصحوا قالوا من غير تأمل فى شأن القرآن حين جاءهم هذا المتلوه خيال ظاهراً بطلانه (أم يقولون افترأ) أى بل يقولون افترأ محمد القرآن من عند نفسه (قل ان افترية فلا تملكون لى من الله شيئاً) أى قل لهم يا أشرف الخلق ان اختلفت القرآن من تلقاء نفسى كما تقولون فان الله تعالى يعاجلنى بالعقوبة حينئذ وانتم لا تقدرّون على دفعه عنى معاجلتها باى بالعقوبة فكيف أجترئ على هذه القرية وأعرض نفسى للعقوبة (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى أعلم بما تتكلمون فيه من التكذيب بالقرآن وتسميته محمداً وآثاره وفريته تارة أخرى (كفى به شهيداً بينى وبينكم) أى كفى بالله شهيداً بينى وبينكم يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم

بالكذب والافتراء وكفى بالقرآن شهيداً بيني وبينكم وقد شهد بصدقى ويحجزكم عن معارضة شئ منه
 (وهو الغفور) لمن رجع عن الكفر (الرحيم) بعبادته فلم يعاجلهم بالعقوبة مع عظم ما ارتكبتهموه من الذنوب
 (قل ما كنت بدعاً من الرسل) أى قل يا أكرم الرسل لهم لست أول رسل فلا ينبغي أن تنكروا أخبارى بأنى
 رسول الله اليكم مع ان صغى كصفة من سبق من الرسل ولا أن تنكروا ادعائى لكم الى التوحيد ونهى لكم
 عن عبادة الاصنام فان كل الرسل انما بعثوا بهذا الطريق وقرأ عكرمة وأبو حية وابن أبى عبله بدعاً بفتح
 الدال وقرأ أبو حية أيضاً ومجاهد بفتح الباء وكسر الدال (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أى ما أدري ما يفعل
 بي أموت أم أقتل كما قتل الانبياء قبلى ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء
 أم تخسف بكم أم يفعل بكم ما فعل بسائر الامم كما يكذبون قبلكم (ان أتبع الامايوحى الى) أى ما أنزل
 الا اتباع ما يوحى الى وهو جواب عن افتراءهم الاخبار عما يوحى اليه من الغيوب وقال ابن عباس فى رواية
 الكلبي لما اشتد البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى فى المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخل
 وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج عما هم فيه من أذى المشركين ثم انهم
 مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت ومتى تهاجر الى الأرض التى رأيتها
 فى المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وهو شئ رأيته فى
 المنام وانما أتبع الاما وحاء الله الى اه وقرأ ابن أبى عبله وزيد بن على ما يفعل مبنياً للفاعل أى الله تعالى
 وقرئ ما يوحى على البناء للفاعل (وما أنا الا قيرميين) أى انهم كانوا يطالبونه صلى الله عليه وسلم
 بالمهجرات الجيبية وبالاخبار عن الغيوب فقال تعالى قل وانما أنذركم عقاب الله تعالى حسب ما يوحى الى بين
 الانذار وليس القادر على الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بالغيوب الا الله (قل أرايتم ان كان
 من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) أى قل يا أشرف الخلق
 لليهود اخبروني يا معشر اليهود ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل هو
 عبد الله بن سلام على صفة القرآن من كونه من عند الله وكونه معجز الخلق عن معارضته فآمن هذا الشاهد
 بالقرآن وتكبرتم يا معشر اليهود عن الايمان به ألسنتم كنتم ظالمين أنفسمكم (ان الله لا يهدي القوم الظالمين)
 روى أنس انه لما سمع عبد الله بن سلام بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر الى وجهه
 فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبي المنتظر فقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي
 ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو أمه فقال صلى الله عليه
 وسلم اما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما أول طعام يأكله أهل الجنة
 فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزع له واذا سبق ماء المرأة نزع لها فقال أشهد انك
 لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامى قبل ان تسألهم عنى بهتوني عندك
 بخاتم اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا
 وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا فقال أرايتم ان أسلم عبد الله فقالوا أعاده الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله
 فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شربنا واشربوا فقال هذا ما كنت
 أخاف يا رسول الله قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 لاحد عشي على الأرض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بنى اسرائيل على
 مثله (وقال الذين كفروا) بنوعا من غطفان رأسدوا شجع (للذين آمنوا) أى لاجل اسلام من

أسلم وهم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) أي ان الكفار لما سمعوا ان جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا لهم زعماءهم ان الرئاسة الدينية مما ينال بالسياسة دنيوية لو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا إليه أولئك الا راذل فان اكثرهم فقراء وموال ورعاة (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) أي واذا لم يهتدوا بالقرآن ظهر عنادهم فسيقولون هذا القرآن كذب قديم ولم يكتفوا بنفي خيريته (ومن قبله كتاب موسى) أي قالوا ذلك والحال انه كان كتاب موسى من قبل القرآن أي كيف يصح كون القرآن افكا قديما وقد رجعوا الى حكم كتاب موسى وقرئ ومن قبله كتاب موسى أي وآتيناه من قبل محمد التوراة (اماما) أي قدوة يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه (ورحمته) من الله تعالى لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) أي القرآن (كتاب مصدق) الكتاب موسى في ان محمد ارسول الله (لساناعربيا) حال من كتاب وقيل مفعول لمصدق على حذف مضاف أي مصدق لسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (لينذر الذين ظلموا) أي لينذر ذلك الكتاب مشركي مكة وقرأ نافع وابن عامر بالتاء لخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وبشرى للمحسنين) أي المؤمنين بأن لهم الجنة وهو في محل نصب معطوف على محل لينذر لان مفعول له أو في محل رفع معطوف على مصدق أو كتاب ولا يوقف على ظلموا اما اذا جعل مبتدأ وخبره للمحسنين فالوقف على ظلموا كاف (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده (ثم استقاموا) على أداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (فلا خوف عليهم) من لحوق مكرره (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب أي ان الذين جمعوا بين التوحيد والاستقامة في أمور الدين فهم يوم القيامة آمنون من الاهوال وزائل عنهم خوف العقاب أما خوف الجلال والهيبة فلا يزال عن العبد البتة (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) في الدنيا (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) وقرأ عاصم وحزرة والكسائي احسانا وهو قراءة ابن عباس أي امرناه بأن يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة والباقون حسنا بضم فسكون أي امرناه بأن يوصل اليهما فعلا حسنا وهو ضد القبح أي فعلا ذا حسن وقرئ بضم الحاء والسين وقرأ عيسى والسلمي بفتحهما نزلت هذه الآية في عبد الرحمن وفي أبيه وأمه وهما أبو بكر الصديق وأم رومان وقالت عائشة نزلت في خلال بن قلال (حملته أمه) في بطنها (كرها) أي على مشقة (ووضعتة كرها) أي في مشقة قرأ عاصم وحزرة والكسائي وابن عامر وابن ذكوان بضم الكاف والباقون بالفتح (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أي ومدة حملته ورضاعه ثلاثون شهرا فان أقل مدة الحمل ستة أشهر وان مدة اتمام الرضاع أربعة وعشرون شهرا ولما كان الرضاع يليه الفصال لانه يتم به سمي فصلا (حتى اذا بلغ أشده) وقرئ اذا استوى وبلغ أشده (وبلغ أربعين سنة) والاصح ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رآه عثمان بن عامر وأمه أم الخير سلمى بنت صخر وذلك ان أبا بكر ركب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بالنبوة واختصه بالرسالة فآمن به أبو بكر الصديق وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ثم أسلم أبواه وأسلم ابنته عبد الرحمن ثم ابنه محمد كلهم أدركوا النبي ولم يكن أحدهم أصحاب رسول الله أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم الا أبو بكر ووالده أبو خافة وأمه سلمى بنت صخر فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة غار به (قال رب أوزعني) أي ألهمني ووفقني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي) وهي نعمة الدين قال الذين قالوا ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ان أبا بكر أسلم والدا ولم

بتفق لاحد من الصحابة والمهاجرين اسلام الابوين الاله (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس
فأجاب الله دما أبي بكر فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ولم يترك شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه
(وأصلح لي في ذريتي) أي واجعل الصلاح را من خافي ذريتي قال ابن عباس لم يبق لابي بكر ولد من
الذكور والانات الا وقد آمنوا (ان ثبت اليك) مما يشغلني عن ذكرك (واني من المسلمين) الذين
أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) أي أهل هذا القول (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات
فالمباح حسن لا يشاب عليه (ون تجاوز عن سيئاتهم) وقرأ الاخوان وحفص الفاعلين بفتح النون
والباقون بياء مضمومة بينهما للفعول ورفع أحسن وقرأ الحسن والاعمش وعيسى بياء مفتوحة فيهما
والفاعل الله تعالى (في أصحاب الجنة) أي كائنين في جملتهم (وعدا الصدق الذي كانوا يعدون) أي
وعدهم الله وعدا صادق في الدنيا على لسان الرسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي قال لو اديه)
عند دعوتهم الى الايمان (أف لك) أي قدر الكبرياء في بفتح الفاء وكسرها بغير تنوين
وبالحركات الثلاث مع التنوين لكن القراءة السبعية ثلاثة كسر الفاء مع التنوين وتركة وفتحها من غير
تنوين وهو صوت اذا صوت الانسان به علم انه متفجر كما اذا قال حين علم انه متوجع واللام في لك البيان
المؤقف له معناه هذا التأنيف لاجل خاصة دون غير كما (أتعداني أن أخرج) أي أن أبعث من القبر
وقرأ هشام بادغام النون الاولى في الثانية وقرأ بعضهم بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرين
والياء ففتح الاولى تحريلا للتخفيف وقرئ ان أخرج بفتح الهمزة وضم الراء (وقد خلت القرون من قبلي)
أي وقد مضت الامم من قبلي ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أي والداه يدعوان الله أو
يستغيثان الله من كفره وانكاره للبعث قائلين له (ويلك) وهو دعاء بالهلاك والمراد به التحريض على
الايمان (آمن) أي صدق بالبعث (ان وعد الله) بالبعث بعد الموت (حق) أي كائن وقرئ أن
بفتح الهمزة أي آمن بان وعد الله حق (فيقول) مكذبا لهما (ما هذا الا أساطير الاولين) أي ما هذا
الذي تسعيانه وعد الله الا كاذب الاولين التي كتبوها في كتبهم من غير ان يكون لها حقيقة (أولئك
الذين حق عليهم القول) أي ثبتت عليهم كلمة بالعذاب (في أمم قد خلت) أي مع أمم قد مضت (من
قبلهم من الجن والانس) أي من كفارهم (انهم كانوا خاسرين) أي قد ضيعوا أعمالهم في الضلال
قال ابن عباس والسدي نزل قوله تعالى والذي قال الى آخره في عبد الله بن أبي وقيل في عبد الرحمن بن
أبي بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام فابى وقال أف لك الخ ثم أسلم وحسن اسلامه وصار
من أفاضل المسلمين فالذين قالوا والمراد بقوله تعالى والذي قال لو اديه أف كل عاق لو اديه فاجر له قالوا
ان الوعيد في قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية مختص بهم فاسم الاشارة عائدا الى القائلين هذه
المقالات الباطلة امامن قال المراد بتزول الآية سيدنا عبد الرحمن ابن سيدنا أبي بكر فيقولون ان اسم
الاشارة عائدا الى القرون التي قبله فالمراد أجداده والوعيد عليهم كان له جدان ماتا في الجاهلية جدعان
وعفان ابنا عمرو (ولكل درجات مما عملوا) أي ولكل واحد من الفريقين درجات من الايمان
والطاعة والكفر والطاعة قال ابن زيد درج أهل الجنة يذهب علوا ودرج أهل النار ينزل هبوطا
(وليوفيهم أعمالهم) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وعاصم بالياء التحتية أي وجازاهم الله بذلك
ليوفيهم أجزية أعمالهم والباقيون بالتنوين أي ونجازيهم لنوفيرهم جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون)
بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين قدر الله جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات

والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يوم يعذبون بالنار يقال لهم (أذهبتم)
قرأ ابن كثير بهمزة ومدة وابن عامر بهمزتين بلا مد وهشام بهمزتين ومد بينهما مار بالاقون بهمزة محقة
(طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) أى قد أخذتم ما قدر لكم من الراحة فى الدنيا وتمتعتم
بالذات واتبعتهم الشهوات فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم فى الدنيا شئ منها فى الآخرة (فاليوم تجزون
عذاب الهون) أى بالعذاب الشديد وقرئ عذاب الهوان (بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون) أى بسبب استكباركم بغير استحقاق لذلك أو بسبب خروجكم عن طاعة الله
تعالى فالترفع ذنب القلب والفسق ذنب الجوارح (واذكر) يا أكرم الرسل لكفار مكة (أخاعاد) هود
ابن عبد الله بن رباح (أذا نذر قومه) بدل اشتغال أى رقت حذرهم عقاب الله ان لم يؤمنوا (بالاحقاف)
أى نازلين على رمال مشرفة على البحر فى أرض الشجر من بلاد اليمن وقال ابن عباس هو واديين عمان
ومهره (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أى وقد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده (أن
لا تعبدوا الا الله) وهذا تفسير للانذار وانما كان هذا انذارا لان النهى عن الشئ تخويف من مضرت
أى صورة انذار هود ان قال لا تعبدوا الا الله فان محقة من الثقلية وباء التصوير مقدرة معها ولا نهاية (انى
أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى هائل بسبب شرككم (قالوا أجمعتنا) يهود (لتأفكنا عن آلهتنا)
أى لتصرفنا عن عبادة آلهتنا (فأتناجبا تعدنا) من معاملة العذاب على الشرك (ان كنت من
الصادقين) فى وعدك بنزول العذاب بنا (قال) لهم هود (اغسل العلم عند الله) أى لا علم لى بوقت
عذابكم اغسل وقت اتيان العذاب عند الله تعالى (وأبلغكم ما أرسلت به) من التحذير عن العذاب
وأما العلم بوقته فما أوحاه الله الى وأما الاتيان بالعذاب فليس بمقدورى بل هو من مقدورات الله تعالى وقرأ
أبو عمرو بسكون الباء (ولكنى أراكم قوما تجهلون) حيث تصرون على طلب العذاب فان لم يظهر لكم
كونى صادق لم يظهر لكم كونى كاذبا فالأقدام على طلب العذاب جهل عظيم (فلما رآوه) أى رأوا ما
يوعدون به (عارضوا) أى محابا يعرض فى أفق السماء وهو بدل من الضمير العائد على ما فى بما تعدنا
(مستقبل أوديتهم) أى سائرا الى أوديتهم استبشروا (قالوا هذا عارض ممطرنا) أى هذا المرى
سحاب يأتينا بالمطر قال هود ليس الامر كذلك (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح فيها عذاب
أليم تدمر كل شئ بأمر ربها) أى تهلك كل شئ من الناس والحيوان والنبات بقدرته الله تعالى لاجل
تعذيبكم وروى ان هود الما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع
فكانت الريح التى تصيبهم ريحا لينة هادئة طيبة والريح التى تصيب قوم عاد ترفعهم من الأرض وتطيرهم
الى السماء وتضر بهم على الأرض وروى انهم رأوا ما كان فى الصحراء من رحا لهم ومواسيهم يطير به
الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأحال الله
عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كسفتها الريح عنهم فاحققتهم فطرحتهم فى
البحر (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) أى فصاروا بعد الهلاك لا ترى الا آثار مساكنهم وقرأ حمزة
وعاصم يرى بضم الياء التحتية ورفع مساكنهم والباقون لا ترى بفتح تاء الخطاب ونصب مساكنهم
أى لا ترى أنت أيها المخاطب وقرأ الجحدري والاعشى وابن أبى اسحق والسلمى وأبو رجا بضم التاء الفوقية
ورفع مساكنهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الهائل (ينجزى القوم المجرمين) وهذا تخويف لكفار
مكة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) أى ولقد قررنا عذابا فى أمر عظيم لم نقرر لكم يا أهل مكة فيه من

قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال ومع ذلك ما نجوا من عقاب الله فكيف يكون حالكم (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء) أى وأعطيناهم سمعاً فما استعملوه في سماع الدلائل وأبصاراً فما استعملوها في تأمل العبر وأفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فادفع عنهم هذه القوى شيئاً من عذاب الله تعالى (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) أى لاجل انهم كانوا ينكرون دلائل الله تعالى (وحاق بهم ما كانوا يسيئون) أى وازل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه بطريق الاستهزاء (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كجبرئود وعاد وأرض سدوم وسبأ ومدين والايكة وقوم لوط وفرعون وأصحاب الرس (وصرفنا الآيات) أى كررناها لهم (لعلهم يرجعون) أى لئلى يرجعوا عن الكفر والمعاصى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أى فهل اخلصهم من العذاب الاصنام التى اتخذوها آلهة حال كونها متقرباً بها الى الله (بل ضلوا عنهم) أى بل غابوا عنهم فنصرة آلهتهم لهم أمر متنع (وذلك أفكهم وما كانوا يفترون) أى وذلك امتناع نصرهم أثر كذبهم الذى هو اتخاذهم الاصنام آلهة وأثر افتراءهم الكذب على الله تعالى فى اثبات الشركاء له تعالى وقرأ ابن عباس أفكهم بفتح الهمزة وسكون الفاء وقرأ عكرمة والصباح أفكهم على صيغة الماضى أى وذلك الاتخاذ الذى ضياع آلهتهم عنهم ثم غرتهم صرفهم عن الحق وقرأ أبو عياض وعكرمة أيضاً أفكهم بتشديد الفاء وابن الزبير وابن عباس أيضاً أفكهم بعد الهمزة أى جعلهم أفكين وقرأ ابن عباس أيضاً أفكهم على صيغة اسم الفاعل عني صارفهم (واذ صرفنا اليك نفر من الجن) أى واذا كر لقومك اذ وجهنا اليك جماعة ككائنة من جن نصيبين فى الجزيرة وهى بين الشام والعراق (يستمعون القرآن فلما حضروه) أى القرآن عند تلاوته (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أى اسكتوا لسمعه روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرس السماء ورجعوا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبيأحدث فنهض سبعة نفر من أشراق جن نصيبين منهم زوبعة فسافروا حتى بلغوا نهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى فاستمعوا لقراءته وذلك عند رجوعه من الطائف وذلك فى السنة الحادية عشر من النبوة (فلما قضى) أى فرغ عن تلاوة القرآن وقرأ أبو مجلز وأبو حبيب بن عبد الله قضى بالبناء للفاعل أى أتم الرسول قراءته (ولوا) أى رجعوا الى قومهم منذرين) روى محمد بن جرير الطبرى عن ابن عباس أن أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً الى قومهم (قالوا) عند رجوعهم الى قومهم (يا قومنا انامعنا كتاباً) أى قرأنا يقرأ (أنزل من بعد موسى) روى عن عطاء والحسن انهما قالوا ذلك لانهم كانوا يهوداً وعن ابن عباس أن الجن ما سمعت أمر عيسى عليه السلام (مصدقاً لما بين يديه) أى لما قبله من كتب الانبياء (يهدى الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) أى موصول الى المقصود وهى الاعمال الصالحة (يا قومنا أجيئوا داعى الله) محمد صلى الله عليه وسلم أو كتابه (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) أى يغفر الله بعض ذنوبكم وهو حق الله تعالى وحق الحريين فهو يغفر بمجرد اسلام الظالم ولا يتوقف على الاستحلال من المظلوم الحري أمام ظالم العباد غير الحريين فلا تغفر الا برضا أصحابها وهذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً الى الجن كما كان مبعوثاً الى الانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبياً الى الانس والجن قبله صلى الله عليه وسلم (ويجركم من عذاب أليم) أى ويمنعكم الله من

عذاب أليم معد للكفرة قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم (ومن لا يجب داعي الله) محمد أو من يبلغ عنه (فليس عجز) له تعالى (في الأرض) يهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل في أعماقها (وليس له من دونه) أي من غير الله (أولياء) أي أنصار يدفعون عنه العذاب بالاستشفاع له أو الاقتداء (أولئك) أي من لا يجيبون داعي الله (في ضلال مبين) أي ظاهر وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (أوليروا) أي ألم يتفكر كفاركم ولم يعلموا علمًا جازما (أن الله الذي خلق السموات والأرض) ابتداء من غير مثال (ولم يبع) أي لم يتعب (بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى) وانما حازا دخال البلاء على خبر أن لا نه في تأويل خبر ليس فكأنه قيل أليس الله بقادر ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (بلى) هو قادر على احياء الموتى (انه على كل شيء قدير) فان تعلق الروح بالجسد أمر عكس اذ لو لم يكن ممكنا في نفسه لما وقع أولا والله تعالى قادر على جميع الممكنات فوجب كونه تعالى قادرا على إعادة الروح الى الجسد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يوم يعذبون بالنار يقال لهم (أليس هذا) أي العذاب (بالحق) أي بالعدل (قالوا بلى وربنا) أنه الحق أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطعمون في الخلاص من العذاب بالاعتراف بحقيقة عذاب النار كما في الدنيا وإن لهم ذلك (قال) الله لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم في الدنيا (فاصبر) أي اذا كان عاقبة أمر الكفار ما ذكر فاصبر على أذى قومك (كما صبر أولوا العزم من الرسل) أي كما صبر أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تقريرها وصبروا على تحمل مشاق معاداة الطاغين فيها وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله على التعيين في قوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك الآية (ولا تستعجل لهم) أي لكفاركم بالعذاب فانه نازل بهم لا محالة (كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أي وعند نزول العذاب بهم في الآخرة يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار لطول مدة العذاب ولطول ما عاينوه من شدة العذاب والمعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة يسيرة من النهار أو كأنه لم يكن (بلاغ) أي هذا الذي وعظمت به كفاية في الموعظة أو هذا القرآن كفاية فيها وقرأ يزيد بن علي والحسن وعيسى بلاغا نصا ما على المصدر أي بلغ أي بالرسول بلاغا كما يويده قراءة أبي مجلز بلغ أمرا وما على النعت لساعة وقرأ الحسن أيضا بلاغا بالجر على أنه وصف لنهار على حذف مضاف أي ذى بلاغ أي أجل (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) أي فلا يهلك بالعذاب الا الخارجون عن الاعتاض به والعمل بموجبه وقرأ ابن محيصن يهلك بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهم ما وقرأ يزيد بن ثابت يهلك بضم الياء وكسر اللام والفاعل الله وينصب القوم الفاسقين ونهلك بنون العظمة ونصب القوم ووصفه قال ابن عباس اذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتين الآيتين والكاملتين في صحيفة ثم تغسل وتنسج منها وهي بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم كانهم يوم يرونهم لم يلبثوا الا عشيّة أو فمها كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ الآية والله أعلم

﴿سورة القتال وتسمى سورة محمد وسورة الذين كفروا مكية وهي تسع﴾

وثلاثون آية وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة وألفان وثلاثمائة
وتسعة وأربعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا) من قريش (وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا عن الاسلام
ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل كالطعمين الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحارث ابناه شام وعتبة وشيبة
ابناربيعة ومنبه وغيرهم (أضل أعمالهم) أى أبطل الله أعمالهم فلم يبق لهم عمل بل انهم لم تكن لله
ولا بأمره انما فعلوا من عند أنفسهم (والذين آمنوا) بالله ورسوله واليوم الآخر (وعملوا الصالحات)
فما بينهم وبين ربهم (وآمنوا بما نزل على محمد) أى بجميع الاشياء الواردة في كلام الله ورسوله (وهو
الحق من ربهم) أى الحق النازل من ربهم (كفر عنهم سيئاتهم) أى ستر الله أعمالهم السيئة
بالإيمان والعمل الصالح (وأصلح بهم) أى حالهم ونياتهم وذلك حيث يأبى المؤمن بسيرة ثم يقبضه
وينة دم ويقف بين يدي ربه معترف بآذنته مستحق للنفسه فصار الذنب شرطاً للندم والثواب ليس
على السيئة وانما هو على الندم (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق
من ربهم) أى ذلك اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح الباطل كائن بسبب أن الكفار اتبعوا
الشیطان وبسبب أن المؤمنين اتبعوا أمر الله وقوله من ربهم اما متعلق باتبعوا الاخير أى من فضل
ربهم أو من هدايته أرمتعلق بالامرين جميعاً أى اتبع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق من حكم ربهم
(كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أى مثل هذا البيان يبين الله للناس أحوالهم العجيبة باحباط
الاعمال للكفر ويغفر الذنوب بالإيمان والفعلا ن قد يتخذ ان صورة حقيقة وأحدهما يورث ابطال
الاعمال والاخر يورث تكفير السيئات بسبب أن أحدهما يكون فيه اتباع الباطل والاخر يكون فيه
اتباع الحق كاطعام الطعام وقد يختلفان في الظاهر والباطن كمن يؤمن ظاهراً وهو يسر الكفر ومن
يكفر ظاهراً بالاكراه وقلبه مطمئن بالإيمان فباطل الاعمال لمن أظهر الايمان بسبب أن اتباع الباطل
من جانبه فكأنه تعالى قال الكفر والايمان مثلان يثبت فيهما حدك وقد علم سبب ثبوت الحكم وهو
اتباع الحق والباطل فكل أمر اتبع فيه الحق كان مقبولاً من الله عليه وكل أمر اتبع فيه الباطل
كان مردوداً معاقباً عليه فصار هذا عام في الامثال (فأذا القيمت الذين كفروا فاضرب الرقاب) أى فاذا
لقيتم الكفار في المحاربة يوم بدر فاضربوا أعناقهم أى فاقتلوههم بأى طريق أمكنكم (حتى إذا
أفخنتموهم فشدوا الوثاق) أى حتى إذا أضعفتموهم بالجراح فاستوتقوا الاسرى (فأما من بعد وما
فداء) أى فاما تمنون منا عليهم بأرسالهم من غير فداء بعد أسرههم وشدوناقهم واما تفدون فدائهم
أو أسرى مسلمين (حتى تضع الحرب أوزارها) أى حتى تضع أهل الحرب آلات الحرب أى حتى تنقرض
الحرب بالكلية بحيث لا يبقى في الدنيا حزب من أحزاب الكفر يحارب حزباً من أحزاب الاسلام (ذلك) أى
ذلك المذكور واجب (ولو يشاء الله لاتنصر منهم) أى لاتنقم من الكفار من غير قتالكم ببعض أسباب
الهلكة كالخسف (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) أى ولكن لم يشأ ذلك بل يكلفكم بالقتال ليحصل
لكم شرف باختياره اياكم لهذا الامر ويختبركم بالكفار لتحجهم دوههم لاستحقاق العظم ولتختبرهم بكم
ليعاجلهم ببعض العذاب على أيديكم كي يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل
أعمالهم) قرأ أبو عمرو وحفص قتلوا مبنيًا للمجهول أى والذين استشهدوا في طاعة الله يوم بدر فلن يضيع
الله أعمالهم أى لاتخافوا القتل فان من يقتل في سبيل الله من الاجرمالات منع المقاتل من القتال بل يحثه

عليه وقرأ الباقون قاتلوا أي جاهدوا والأعلاء دين الله سواء قتلوا أو لم يقتلوا (سيهديهم) في الدنيا إلى أرشد
 الأمور إن لم يقتلوا وفي الآخرة إلى طريق الجنة من غير وقفه من قبوهم إلى موضع جبرهم (ويصلح بهم)
 أي حالهم في الدنيا والآخرة بأن يقبل الله أعمالهم ويرضى خصماهم يوم القيامة (ويدخلهم الجنة عرفها لهم)
 أي إذا دخلوها يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذ انصرفوا إلى منازلهم
 وقال ابن عباس أي طيبها لهم (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) أي إن تنصروا دين الله وحزب
 الله (ينصركم) على أعدائكم (ويثبت أقدامكم) أي يثبتكم في مواضع الحرب وعلى محبة الإسلام
 (والذين كفروا فتعسوا لهم) أي فآلمهم الله هلاكارعشارهم واجب لأن آلمتهم جمادات لا قدرة لها على
 النصر (وأضل أعمالهم) أي أبطل نفقاتهم يوم بدر (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أي ذلك
 الهلاك وإبطال الأعمال بسبب أنهم كرهوا القرآن لما فيه من بيان التوحيد وبيان أمر الآخرة
 (فأحبط أعمالهم) أي فأبطل الله حسناتهم فلو عملوها مع الإيمان لاثبتوا عليها (أفلم يسيروا في
 الأرض) أي أقعد كفار مكة في أماكنهم ولم يسافروا في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
 قبلهم) من الأمم المكذبة (دمر الله عليهم) أي أهلك الله ما يختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم
 (وللكافرين أمثالها) أي واقوم محمد أمثال تلك العاقبة فأهلكوا بأيدي أمثالهم الذي كانوا لا يرضون
 بحالهم وأسر وأبائهم من كانوا يستضعفونهم وذلك لأنهم من الهلاك بسبب عام (ذلك بأن الله مولى الذين
 آمنوا) أي نبوت هلاك أمة محمد كالأمم السالفة بسبب أن الله تعالى ناصر المؤمنين على أعدائهم وقرى
 ولى الذين آمنوا (وأن الكافرين لا مولى لهم) أي وأن الكافرين اتخذوا آلهة لا تنفع ولا تضروا كوا
 لله فلا ناصر لهم (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) فالأنهار
 يتبعها الأشجار والأشجار يتبعها الثمار والماء سبب حياة العالم والمؤمنون ينظرون إليه ويتنفعون به
 (والذين كفروا يمتنعون) أي ينتفعون في الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الأنعام) فلا يهتمهم
 إلا كل الملاذ ولا يستدلون بالمأكلولات على حالها ولا يعلمون عاقبة أمرهم كالأنعام فأنها لا تعلم أنها
 كلما كانت آمن كانت أقرب إلى الذبح (والنار مثوى لهم) فيتمعلبون في النار ويتضررون بها (وكان
 من قرية هي أشد قوة من قريته التي أخرجتك أهلكتهم) أي وكم من أهل قرية كذبوا رسولهم
 أهلكتهم وهم أشد قوة من أهل قريته التي كانوا سببا لخروجك من بينهم (فلا ناصر لهم) من
 أهلاكهم كذلك نفعل بأهل مكة فاصبر كما صبر رسولك (أفمن كان على بينة من ربه كنز زينة له سوء
 عمله واتبعوا أهواءهم) أي أليس الأمر كما ذكرنا كان مستقرا على حجة ظاهرة من ماله أمره وهو
 القرآن وسائر الطبع العقلية كنز زينة له سوء عمله فآه حسنا واتبعوا أهواءهم الزائغة وانهم كوا في فنون
 الضلالات (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) ومثل مبتدأ وخبر فيها أنهار وهو عين المبتدأ لأن
 اشتمال الجنة على أنهار من كذا وكذا صفة لها وقيل إن مثل زائدة وقيل والخبر مقدر والتقدير وفيما نقص
 عليكم مثل الجنة وعلى هذا فالوقف على المتقون كاف والجملة بعده مفسرة لمثل (من ماء غير آسن) أي
 غير متغير ريحه وطعمه حتى في البطون وقرأ ابن كثير بقصر الهزة والباقيون بعدها (وأنهار من لبن لم
 يتغير طعمه) فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم فلو أرادوا تغييره من أصل خلقته لشهوة
 اشتوها تغير (وأنهار من خمر لذة للشاربين) بأسرهم فليس فيها كراهة الطعم لهم وهي مجرد الالتذاذ
 فمط (وأنهار من عسل مصفى) من شمع وغيره روى عن كعب الأحبار أنه قال نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة

ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر صرهم ونهر سيجان وجيهان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر (ولهـم فيها من كل الثمرات) أى ولاهل الجنة فى الجنة زوجان من كل الثمرات (ومغفرة من ربهم) أى ولهم فيها رفع تكليف عنهم فى كلون ويشربون من غير حساب ولا عقاب ورفع قبح ومكروه فلا يحتاجون الى غائط ولا يعرضون بسبب تناول الماء كولات والمشروبات بخلاف الدنيا فان للا كل توابع ولو ازم لا بد منها (كن هو خالد فى النار) أى أم هو خالد فى هذه الجنة حسب ما جرى به الوعد كن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم (وسقوا ماء حميما) أى حاراً (فقطع امعاءهم) أى مباعرهم لحدة تكون فى ذلك الماء من فرط الحرارة وقوله تعالى على بينة فى مقابلة زين له سوء عمله وقوله تعالى من ربه فى مقابلة واتبعوا أهواءهم والجنة فى مقابلة النار والثمار فى الجنة فى مقابلة الزقوم فى النار والماء الجسم فى مقابلة الانهار وقطع الامعاء فى مقابلة المغفرة لان المغفرة التى فى الجنة على أحد الوجوه هى تعرية أكل الثمرات عما يلزمه من قضاء الحاجة والامراض كأنه تعالى قال للمؤمن أكل وشرب لا يجتمع فى جوفهم فيؤذيهم ويحوجهم الى قضاء حاجة وللكافرين جحيم فى أول ما يصل الى جوفهم يقطع مصاريهم ويشتهون خروجه من جوفهم فخرجت المصارين من أديبارهم ثم الوجه فى توحيد الضمير العائد الى من وجمعه أن يقال المسند الى من اذا كان متصلاً فرعاية اللفظ أولى لانه المسموع واذا كان مع انفصال فرعاية المعنى أولى لانه لا يسمع بل يبقى فى ذهن السامع فالجمل فى الانفصال على المعنى وهو جمع الضمير أولى وحمل الاتصال على اللفظ وهو افراد الضمير أولى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) أى ومن الخالدين فى النار قوم يستمعون الى خطبتك يوم الجمعة فاذا خرجوا من المسجد قالوا للعلماء من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استمرا بما قال النبي صلى الله عليه وسلم أى شئ قال محمد على المنبر الساعة الماضية القريبة منا أى لانعمل بقوله لانه قول ساقط لا يعتد به وقرأ البرزى بخلاف عنه بقصر الهمزة (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) أى أولئك التاركون اتباع الحق هم الذين أمات الله قلوبهم فلم تفهم فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل (والذين اهتموا بازادهم هدى وآتاهم تقواهم) أى والذين اهتموا بالايمان زادهم الله تعالى على الاهتداء هدى حتى ارتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين وخلق الله فيهم كمال التقوى فلا يخافون معها لومة لائم ويتنزه العارفون عما يشغل أسرارهم عن الحق ويتبتلون اليه (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) أى انهم لا يتدكرون بذكر أهوال الامم الخالية ولا بالاخبار بآتيان الساعة وعظائم أهوال فيها فاي ينتظرون للتذكرا لآتيان نفس الساعة فجأة اذ قد جاء علاماتها فلم يرفعوا الهارأس ولم يعدوها من مبادئ آتيانها فيكون آتيانها بطريق المفاجأة لا محالة فمن أين لهم التذكر والتوبة اذا جاءتهم الساعة فجأة أى لا تنفعهم الذكري اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب الايمان حينئذ وقرئ ان تأتيهم على أن ان شرط مستأنف جزاءه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتيهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها **ك**رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما فكيف لهم اتعاظهم اذا جاءتهم (فاعلم أنه لا اله الا الله) أى اذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ونهاى الشقاوة هو الاشرار والعصيان فثبت على العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو ترك الافضل أو ضرب اليهودى زيد بن السمين (والمؤمنين والمؤمنات) وللنبي

صلى الله عليه وسلم ثلاث حالات حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره والمعنى فوجد الله واطلب العصمة من الله لنفسك واطلب الغفران من الله للمؤمنين والمؤمنات ومعنى طلب الغفران طلب عدم الأفضاح ولذلك قد يكون بالعصمة من القبيح كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر على القبيح بعد وجوده كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات (والله يعلم متقلبكم ومنواكم) أى يعلم أحوالكم في الدنيا وموطن أقامتكم في الآخرة أما في الجنة أو في النار (ويقول الذين آمنوا) إذا تأخر عنهم التكليف خوفاً من أن لا يؤهلوا للعبادة (لولا نزلت سورة) أى هــ لا نزلت سورة فيها تكليف بمحرم المؤمنين والمنافق (فإذا أنزلت سورة محكمة) أى لم تتسخ (وذ كرفيها القتال) أى وذ كرفيها الأمر بالقتال فإنه أشق تكليف وقرى وذ كرفيها القتال على بناء الفعل للفاعل وهو الله تعالى وعلى نصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أى نفاق (ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم نحوك عند ذكرك القتال شخصاً مثل شخص من أصابته غشية الموت من كراهية قتالهم مع العدو (فأرلى لهم) أى قاربهم ما يهلكهم أو فاهلاك لهم وهذا تهديد لهم من عذاب الله تعالى أو يقال فالموت أولى لهم فإن الموت خير من الحياة التي ليست في طاعة الله ورسوله (طاعة رقول معروف) أى طاعة مخلصه رقول حسن خير لهم وقيل هذا حكاية لقولهم ويدل عليه قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أى يقول المنافقون أمراً بطاعة وكلام حسن لمحمد عليه الصلاة والسلام (فأداعزم الأمر) أى فإذا جدد الأمر خالفوا موعدهم وتأخر واعنه (فلو صدقوا الله لكان خير لهم) أى فلو صدقوا الله تعالى في إيمانهم واتباعهم الرسول لكان الصدق خيراً لهم أو فلو صدقوا الله في ذلك القول وأطاعوا الله ورسوله لكان الصدق خيراً لهم وقيل إن جملة فلو صدقوا الله الخ جواب إذا مثل قولك إذا حضرني طعام فلو جئتني لا طعمتك (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) أى إن كنتم تتركون القتال وتعرضون عنه وتقولون إن في القتال أفساداً وقطع الأرحام لكون الكفار أرباباً فلا يقع منكم إلا ذلك حيث تقابلون على أدنى شيء كما هو عادة العرب وهذه الآية إشارة إلى فساد قولهم كيف نقاتل والقتال أفساد والعرب من ذوى أرحامنا فقال تعالى إن أعرضتم عن القتال فلا يقع منكم إلا الفساد في الأرض فإنكم تقتلون من تقدرون عليه وتنهون به والقتال واقع بينكم أليس قتلكم البنات أفساداً وقطعاً للرحم فلا يصح تعللكم بذلك مع أنه خلاف ما أمر الله به وهذا القتال مع الكفار طاعة وقيل إن توليتم من الولاية والمعنى فلعلكم يامعشر المنافقين تظنون إن صرتم أمراء على الناس وصاروا بأمركم أفسدتم في الأرض بالقتل والمعاصي وقطعتم الأرحام باظهار الكفر ويؤكد هذا القول قراءة من قرأ وليتم على البناء للفعول أى وإن جعلتم ولاية ظلمتم باخذ الرشا ونحوه وقراءة على رضى الله عنه توليتم والمعنى إن تولواكم ولاية ظلمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وساعدتموهم في الفساد وقطيعة الرحم وقرى تقطعوا بحذف إحدى التاء من التقطع فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أى في أرحامكم وقرى وتقطعوا من القطع (أولئك الذين لعنهم الله) أى أبعدهم الله عن الخير (فأهملهم) فلا يسمعون الكلام المستبين (وأهملهم) فلا يتبعون الصراط المستقيم فمن حيث أنهم استمعوا الكلام العلى ولم يفهموه فهم صم وعند الأمر بالعمل تركوه وعللوا بكونه أفساداً وقطعاً للرحم وهم كانوا يمتنعون عند النهي عنه فقر كوا اتباع النبي الذي يأمرهم بالإصلاح وصلة الأرحام ولودعاهم من يأمر بالافساد وقطيعة الرحم لا تبعوه فهم عمى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أى أفلا يتدبرون القرآن لكونهم مبعودين منه ومن كل

خير أم على قلوب أقفال فيتدبرون ولا يفهمون فلا تدخل معانيه في قلوبهم (ان الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل لهم) أي ان الذين رجعوا الى الكفر من بعد ما ظهرت لهم الدلائل رهمها وهم جماعة منعهم حب الرياسة عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الشيطان زين لهم الرجوع الى بينهم وسهل لهم اقتراف الكبائر وقرئ سؤل مبنيا لأعول على حذف المضاف أي كيد الشيطان زين لهم (وأملى لهم) أي ومد الشيطان لهم في الآمال فيقول لهم ان في آجالكم فصححة فتمتعوا بديناكم وراستكم الى آخر أعماركم وقبل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للفعول أي أمهلوا ومد في أعمارهم والباقون على البناء للفاعل والفاعل اما الشيطان فان الله قد در على لسانه ويده ذلك التزيين أو الله تعالى كما تقدم وقرئ وأملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أي ذلك الارتداد بسبب ان المنافقين قالوا لاسرائيليين الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعافي نزوله عليهم (سنطيعكم في بعض الامر) كالعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معكم عن الديار ان أخر جتم منها ولا نطيعكم في انظار الكفر قبل قتالكم واخراجكم من دياركم وهذا عبارة عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم تر الى الذين افقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كان المنافقون يوادونهم (والله يعلم أسرارهم) قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الهمزة أي أخفاهم لم يبقوا به والباقون بفتحها أي جميع أسرارهم (فكيف اذا توفقتهم الملائكة يضربون وجوههم وأديبارهم) أي فكيف يصنعون اذا قبضتهم الملائكة في حال انهم يضربون وجوههم وظهورهم بقماع من حديد فانهم يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الخيل وقرأ الاعمش توفاهم على أهه اما ماض أو مضارع حذف احدي تأنيه (ذلك) أي الضرب (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) من الايمان والطاعة أي تضرب وجوههم لانهم أقبلوا على سخط الله كانكار الرسول وأديبارهم لانهم تولوا عما فيه رضا الله كالاقرار بالرسول وبيد الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا تضرب الملائكة وجهه وديره (فأحبط أعمالهم) أي فابطل الله حسناتهم يقال نزلت الآيات من قوله تعالى ان الذين ارتدوا على أديبارهم الى ههنا في شأن المنافقين الذين رجعوا من المدينة الى مكة مرتدين عن دينهم ويقال نزلت في شأن الحكمين أبي العاص المنافق وأصحابه الذين شاوروا فيما بينهم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة في أمر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقاوا ان ولينا أمر هذه الامة نفعل كذا وكذا ولا يستمعون الى خطبته صلى الله عليه وسلم حتى قالوا بعد ذلك لعبد الله بن مسعود ما ذا قال محمد الآن على المنبر استنزه منهم (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق (أن لن يخرج الله أضغانهم) أي أحسب المنافقون أنه لن يعلم الله أسرارهم أم حسبوا أنه لن يظهر الله أحقادهم على المؤمنين لرسوله وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة فقام استفهامية والمعنى ان ذلك الاظهار عما لا يكاد يدخل تحت الشك (ولو نشاء لاربناكم فلعرفتهم بسيماهم) أي ولو أردنا لعرفناكم تعريفا مع المعرفة فتعرفهم بعلامتهم القبيحة وعن أنس رضي الله عنه قال ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كفا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق (ولتعرفهم

في لحن القول) أي والله أنك يا محمد لتعرفن المنافقين في وجه خفي من القول فيفهمه النبي عليه السلام
 ولا يفهمه غيره. ولكن لم يظهره إلى أن أذن الله تعالى له في اظهار أمرهم وفي المنع من الصلاة على جنائزهم
 والقيام على قبورهم (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وبيان لكون
 حالهم على خلاف حال المنافقين فكان للمنافق قول بلا عمل وللمؤمن عمل ولا يقول به وكان المؤمن يعمل
 الصالحات ويتسكلم في السيئات مستغفرا وكان المنافق يتسكلم في الصالحات ويعمل السيئ والله تعالى يسمع
 الاقوال الفارغة من المفاقي ويعلم الاعمال الصالحة منكم ولا يضيع (وأنبلوا نكم) بالامر بالجهاد
 والتكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم) أي حتى نعلم المقدمين على الجهاد (والصابرين)
 على مشاق الجهاد أي الذين لا يولون الادبار (وأنبلوا أخباركم) أي ونظهر أخباركم من حسن أعمالكم
 وقبحها وقر أشعبة في الافعال الثلاثة بالياء التحتية مسند الضمير راجع إلى الله وقرئ ونبلو بسكون الواو
 على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا) من أهل الكتاب قريظة والنضير أو من كفار قريش
 (وصدوا عن سبيل الله) أي اعرضوا عن دين الله وصرفوا الناس عن طاعة الله (وشاقوا الرسول) أي
 خالفوه وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) وهونعت محمد في التوراة وما ظهر على يديه من المعجزات وما
 نزل عليه من الآيات (لن يضروا الله شيئا) تنزه الله تعالى عن أن يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق
 (وسيحبط أعمالهم) أي مكايدهم في القتال وفي ابطال دين الله تعالى فيكون النصر للمؤمنين (يا أيها
 الذين آمنوا) بحمد القرآن (أطيعوا الله) فيما أمركم من الفرائض والصدقة (وأطيعوا الرسول)
 فيما أمركم من الجهاد والسنة (ولا تبطلوا أعمالكم) بالكفر والنفاق والعجب والرياء والسمعة
 والمن والاذى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ما اتواهم كفار فلو يغفر الله لهم) أي ان الله
 لا يغفر الشرك ويغفر غيره ان شاء (فلا تهنوا ودعوا إلى السلم وأنتم الاعلون) أي اذا علمتم وجوب
 الجهاد فلا تضعفوا بالقتال مع العدو ولا تدعوا الكفار إلى الصلح وأنتم الاعلون أي الغالبون وهذه جملة
 حالية فتدعوا امام معطوف على المجزوم أو جواب النهي منصوب بأضمار أن وقرأ أحزمة وشعبة السلم بكسر
 السين (والله معكم) وهذا ارشاد يمنع المكاف من الاعجاب بنفسه وذلك لان الله تعالى لما قال وأنتم
 الاعلون كان ذلك سبب الافتخار فقال تعالى والله معكم أي ليس ذلك العلو على الكفار من أنفسكم بل
 من الله تعالى وأيضا لما كان المؤمنون يرون ضعف أنفسهم وقتلهم وشوكة الكفار وكثرتهم قال تعالى
 وأنتم الاعلون ولما كان الامر رعا يقع في نفس بعضهم أنهم كيف يكون لهم الغلبة فقال تعالى والله معكم
 أي والله ناصركم فلا يبقى لكم شك في ان الغلبة لكم (ولن يترككم أعمالكم) أي ولن يضيعها والمعنى
 ان الله ينصركم ومع ذلك لا ينقص من أعمالكم شيئا أي فكأن النصر جعلت بكم ومنكم فكأنكم
 مستقلون في ذلك النصر فيعطىكم أجوركم بالتمام (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي ان الاشتغال
 بالدنيا أعمال ضائعة ومشغلة عن طاعة الله تعالى (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أي يعطىكم
 ثواب إيمانكم وتقواكم وثواب كل أعمالكم (ولا يسألكم أموالكم) أي ولا يطلب منكم اخراج
 أموالكم كلها بحيث يخل الاخراج بعاشكم بل يطلب منكم انفاق القليل من الاموال في طاعته تعالى
 ليرجع ثوابه اليكم (ان يسألكموها فيحلفكم بجهنم يخرج أضغانكم) أي لو طلب الله جميع أموالكم
 وألح عليكم في الطلب لما تعطونها وأخرج الله أو الطلب أو الجمل أحقادكم كيف وأنتم تجهلون باليسير
 فكيف لا تجهلون بالكثير ومن نوزع في حبيبته ظهرت طويته التي كان يسرها وقرئ ويخرج بنون

العظمة وقرى ويخرج بالياء والتاء وفاعله أضغانكم أى ويخرج بسبب الجمل الضغائن فيفضى الى قتال الطالبين وهم النبي وأصحابه (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) أى أنتم الذين تطلبون لتنفقوا في طاعة الله من الزكاة ونفقة الغزو وغيرهما (فمنكم من يبخل) أى فذكركم ناس يبخلون ومنكم من يبخل (ومن يبخل) بالانفاق في طاعة الله (فانما يبخل عن نفسه) أى فانما يبخل الثواب عن نفسه فان من يبخل وهو مريض باجرة الطبيب ويمن الدواء فلا يبخل الا على نفسه (والله الغنى) فلا يحتاج الى مالكم (وأنتم الفقراء) فلا تقولوا نحن أغنياء عن القتال ودفع حاجة الفقراء فانهم لا غنى لهم عن ذلك لانهم لولا القتال لقتلهم الكفار ولولا دفع حاجة الفقراء لقصدهم بسوء وكيف لا يكونون فقراء وهم يوم القيامة موقوفون مسؤلون (وان تتولوا) أى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوما غيركم) أى يخلق الله قوما آخرين بدلكم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولى عن الايمان والتقوى بل يكونون راغبين فيهما روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقاموا يارسول الله من هؤلاء فضرب صلى الله عليه وسلم بيده على كتف سلمان الفارسي ثم قال هذا قومهم ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس وحكى عن أبي موسى الاشعري أنه لما نزلت هذه الآية فرح بهارسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب الى من الدنيا والله أعلم

﴿سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفاً﴾

وسبب نزول هذه السورة انه صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة خرج بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتكاف فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هدياً للحرم وساق القوم سبعمائة فلما وصلوا الحديبية وهي قرية بينا وبين مكة من رحلة منعه المشركون من دخول مكة وصالحوه على ان يأتى في العام القابل ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام فتحل هو وأصحابه هناك بالحلوق وذبح ما ساقوه من الهدى ثم رجعوا بخالطهم الحزن فأراد الله اذهاب الحزن عنهم فانزل الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم هذه السورة وهو سائر ليل في رجوعه وهو بكراع الغيم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة فبشر بفتح مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عند انصرافه من الحديبية وقال صلى الله عليه وسلم نزلت على آية هي أحب الى من الدنيا حمية ما فلما تلاها قال المسلمون هنية امرئ مثالك يارسول الله لقد بين الله لك ما يغفل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى يلغفوا عظيمها

(بسم الله الرحمن الرحيم أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) أى فلما هرا الأمر فارق بين الحق والباطل أى ان الله فتح مكة عنوة وصلحاً وفتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان فان أسفل مكة فتحها خالدة عنوة وأعلىها فتحه الزبير صلحاً ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من جهته رضى الله عنه فصار الحكم له صلى الله عليه وسلم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى لكي يغفر الله لك ما سلف من ترك الافضل قبل الوحى وما يكون بعد الوحى الى الموت (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى البهوة وباخلاص مكة عن معانديك وباستجابة دعائك في طلب الفتح وبقبول شفاعتك في الذنوب في الآخرة (ويهديك صراطاً مستقيماً) في تبليغ الرسالة واقامة علامات الرياسة فلا يبقى من يقدر على الاكراه على الكفر (وينصررك

الله نصر عزيزاً) أى نفيساً قليل النظير وهو أخذ بيت الله من الكفار المتمكنين فيه فان فتح مكة كان سبباً لتطهير بيت الله تعالى من رجس الآوثان وسبباً لتطهير العباد من العصيان وبالفتح يحصل الحج ثم بالحج يحصل الغفران وقال الشعبي المراد من هذا الفتح صلح الحديبية لقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة غير ها حيث يبيع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطعمه وانخل خبير وظهت الروم على فارس ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على الجوس وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي انه تزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمجها فيها قدرت بالماء حتى شرب جميع من مكان معه وشبع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية أعظم الفتوح (هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) أى الله وحده هو الذى أنزل الظمآن في يوم الحديبية وغيره في قلوب الراسخين في الايمان وهم أهل الحديبية بسبب ذكرهم الله تعالى تحقيقاً للنصر (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) أى ليزدادوا إيماناً بشرائع الدين مع إيمانهم بالله ورسوله وليزدادوا إيماناً بالغفران مع إيمانهم بالاصول فانهم آمنوا بأن محمد رسول الله وان الله واحد والحق كائن وآمنوا بأن كل ما أمر الله به واجب وبأن كل ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم صدق وهو الذى قد قال لهم لا بد من ان تدخلوا مكة وتطوفوا بالبيت (ولله جنود السموات والارض) من الملائكة أو الاسباب كالصاعقة والازل فكان تعالى قادراً على اهلاك عدوه بجنوده ولكن لم يفعل ذلك بل أنزل على المؤمنين ثبات قلوبهم وتيقينهم مع الله ورسوله ليكون اهلاك أعدائهم بأيديهم فيكون لهم الثواب (وكان الله عليماً) بجميع الامور (حكيماً) في تدبيره تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) لا يخرجون منها (ويكفر عنهم سيئاتهم) أى يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) أى المذكور من الادخال والتكفير (عند الله فوزاً عظيماً) والظرف حال من فوزا أى كائناً في علم الله تعالى لحاء عبد الله بن أبي بن سلول حين سمع بكرامة الله للمؤمنين فقال يا رسول الله والله ما نحن الا كهيئتهم فالنا عند الله فانزل الله تعالى قوله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أى ظن الامر السوء فانهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين خرجوا الى الحديبية لا يرجعون الى المدينة وان المشركين يستأصلونهم والتعذيب المذكور لكونه مقصوداً للمؤمنين كأن الله تعالى يقول بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم الله جنات في الآخرة ويعذب الكافرين والمنافقين بأيديكم في الدنيا ويكون تعذيبهم بايصال الله الهموم اليهم بسبب كلمة المسلمين وبتسليط النبي وأصحابه عليهم قتلاً وأسرًا واسترقاقاً (عليهم دائرة السوء) أى عليهم دائرة الفساد فيحيط بهم بحيث لا خروج لهم منه وقرأ ابن كثير وأبو عمر وبضم السين والباقون بالفتح (وغضب الله عليهم) وهذا الشارة الى ان الذى نزل بهم يكون على وجه التعذيب فان كان به بلاء قد يكون مصاباً على وجه الامتحان ليصير مثاباً وقد يكون مصاباً على وجه التعذيب (ولعنهم) أى طردهم من كل خير فان المغضوب عليه قد يفتح الغاضب بالعتب والشتم أو الضرب ولا يقتضى غضبه الى ابعاد المغضوب عليه من جنابه ولا الى طرده من بابه وقد يغضى غضبه الى ذلك لكون الغضب شديداً (وأعد لهم) فى الآخرة (جهنم وساءت) أى جهنم (مصيراً) أى مرجعاً (ولله جنود السموات والارض) فانزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب (وكان الله عزيزاً) أى شديداً بنعمة الكافرين والمنافقين (حكيماً) بكرامة المؤمنين المخلصين بإيمانهم (انا أرسلناك شاهداً) أى يشهد ان لا اله الا الله وأن دينه هو الحق

وأحق ان يتبع (ومبشرا) لمن وافقك في تلك الشهادة (ونذيرا) لمن يخالفك فيها (لتؤمنوا بالله ورسوله) لأن كون النبي مرسلًا من الله يستلزم ان يؤمن المكلف بالله وبالمرسل (وتعزروه) أي تنصروه بتقوية دينه ورسوله وقرى شاذات عززوه براين مع الفوقانية وقرى بضم التاء وسكون العين وبفتح التاء وضم الزاي وكسرها وهاتان مع الراء (وتوقروه) أي تعظموه لأن الله يعظمكم بالبشارة وقرى بسكون الواو (وقسجوه بكرة وأصملا) أي تنزهوه عن السوء في الدوام مخافة عقابه الشديد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالياء على الغيبة في الافعال الاربعة والباقيون بالتاء على الخطاب والكليات الثلاثة راجعة الى الله تعالى لتكون على وتيرة واحدة ويصح رجوعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ ان معنى يسبحونه ينزهونه صلى الله عليه وسلم عن كل وصية باخلاف وعده بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام وبخودك ويصح ان يكون أمرهم بالتنزيه في أوقات يذكرون فيها الفحشاء والمنكر (ان الذين يبايعونك اغايبا يعون الله) أي ان الذين يبايعون النبي الله على ان لا يفروا من قتال قريش تحت شجرة السهرة في الحديبية وهم مقدار ألف وخمسمائة رجل كانوا يبايعون الله والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقد مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما لأن من بايع النبي على ان لا يفروا من موضع القتال الى ان يقتل أو ان يفتح الله لهم وان كان يقصد بيعته رضا الرسول ظاهر لكن اغايبا يقصد بها حقيقة رضا الرحمن فان المقصود توثيق العهد برعاية أو أمره ونواهيته وهذا يسمى بيععة الرضوان لقول الله تعالى في شأن هذه البيعة لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك الآية وقرى اغايبا يعون الله أي لاجله (يد الله فوق أيديهم) أي نعمة الله عليهم في الهداية فوق احسانهم الى الله وهو ما صنعوا من البيعة أنصرة الله تعالى اياهم أعلى من نصرتهم اياه ويقال حفظ الله اياهم على البيعة أقوى من وضع يد ثالث على أيدي المتبائعين لحفظ أيديهم الى ان يتم العقد فان كل واحد من المتبائعين مديون الى صاحبه في البيع والشراء وبينهما ثالث متوسط يضع يده على أيديهما فيحفظ أيديهما الى ان يتم العقد (فمن تكاثر فاما ينكث على نفسه) أي فمن نقض عهده فاما يعود ضرر نقضه على نفسه لانه فوت على نفسه الاحسان الجزيل في مقابلة الجهل القليل فقد خسروا ويقال من يبايعك أيها النبي اذ انكث لا يكون نكثه عائدا اليك لأن البيعة مع الله ولا عائدا الى الله لانه لا يتضرر بشئ فضرره لا يعود الا اليه (ومن أوفى بعاها عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) أي ومن وفى بعهده بالله بالصدق فسوف يعطيه جنة فلم ينقض منهم أحد حتى ماتوا على بيععة الرضوان الارجل منهم يقال له جدين قيس وكان منافقا اختبأ يومئذ تحت ابط بعيره ولم يدخل في بيعتهم فأما الله على نفاقه وقرأ حفص بضم هاء عليه وتغنيمة والباقيون بالكسر والترقيق وقرأ أبو عمرو والكوفيون بالياء التحتية والباقيون بالنون (سيعول لك الخلفون) من غزوة الحديبية (من الاعراب) أي من بني غفار وأسلم وأشجع وديل وقوم من خزينة وجهينة فانهم امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم انه يرميهم فانهم قالوا أهل مكة يقاتلون في باب المدينة فكيف يذهب الى قوم قد غزوه في قعر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه في أحد وكيف يكون حالهم اذ دخل عدوهم بلادهم وأحاطوا بهم فأوحى الله اليه صلى الله عليه وسلم بأنهم سيقولون (شغلتنا أموالنا وأهلونا) أي النساء والذراير عن الخروج معك الى الحديبية وعن اجابتك في هذه العمرة فانالوتر كثاهم لضعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بعصا لهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال وعن التفريط في العيال (فاستغفر لنا) الله يا رسول الله بتأخرنا عنك الى غزوة الحديبية فكذبهم الله تعالى في الاعتذار والاستغفار بقوله (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل) لهم يا أكرم

الخلق عند اعتذارهم (فإن يلك لکم من الله شيئاً أراد بكم ضراً) أى فمن ينعكم من قضاء الله على شيء
 من النفع أن أراد بكم ما يضركم من هلاك الأهل والمال حتى تخلفوا عن الخروج إلى الحديبية لحفظهما
 وقرأ حمزة والكسائي بضم الصاد والباقون بفتحها (أو أراد بكم نفعاً) أى ومن ينعكم من مشيئة الله
 على شيء من الضر أن أراد بكم ما ينعكم من حفظ أموالكم وأهلكم فأى حاجة إلى التخليق عن
 الخروج لأجل حفظهما (بل كان الله بما تعملون خبيراً) أى ليس الأمر كما تقولون فأنكم أظهرتم أنكم
 تعتقدون أنهم بالتخلف مسيئون حتى أسه تغفرتهم بل كان الله عالماً بأن ما في قلوبكم ليس حاجة في
 ذلك الاستغفار لأنكم تعتقدون أنكم بالتخلف محسنون وليس تخلفكم لحوف ضياع المال والأهل
 (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً) بل ظننتم أن لا يرجع من الحديبية إلى المدينة
 أبداً حمزة وأصحابه لأن المشركين يستأصلهم بالمرّة فخشيتم أن خرجتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلاجل
 ذلك تخلفتم لما في قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين حتى حملكم ذلك على أنكم قلمت ما هم في
 قرين إلا أكلة رأس (وزين ذلك) أى الظن (في قلوبكم) فمن ذلك تخلفتم وقلمت ما لا ينبغي وقرى
 زين بالبنا للفاعل واسناده إلى الله تعالى أو إلى الشيطان أى فزين الشيطان ظنكم عندكم حتى
 قطعتم به (وظننتم ظن السوء) كظن أن لا ينصر الله نبيه وظن أن الرسول كاذب في قوله وإن الله يخلف
 وعده وإن محمداً غير رسول (وكنتم قوم ابورا) أى هلكت عند الله تعالى بهذا الظن (ومن لم يؤمن
 بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيراً) أى ومن لم يصدق بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا
 لهم ناراً شديدة في التوقد (ولله ملك السموات والأرض) وما فيهما يتصرف في الكل كيف ما يشاء من
 عظم ملكه يكون أجره في غاية العظم وعذابه في غاية الألم (يغفر لمن يشاء) أن يغفره من المبايعين بيعة
 الرضوان وغيرهم (ويعذب من يشاء) أن يعذبه من الظانين ظن السوء وغيرهم وفي هذا حسم
 لا طماعهم الفارغة في استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم (وكان الله غفوراً رحيماً) أى مبالغ المغفرة
 والرحمة لمن يشاء من المؤمنين (سيعول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها) أى سيقول المتأخرون
 عن غزوة الحديبية عند انطلاقتكم إلى مغانم خيبر لتغتنموها (ذرونا) أى اتركونا (نتبعكم) إلى
 خيبر وقد أوضح الله كذبهم بهذا حيث يقولون من تلقاء أنفسهم دعونا نشهد معكم قتال أهل خيبر فإذا
 كان أموالهم وأهلهم شغلهم يوم دعوتكم إياهم إلى أهل مكة فما بالهم لا يشتغلون بذلك يوم أخذ الغنمة
 (يريدون أن يبذلوا كلام الله) وقرأ حمزة والكسائي كلام الله بفتح الكاف وكسر اللام أى يريدون أن
 يغيروا وعد الله الذي وعده لأهل الحديبية فإن الله وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأن غنيمتهم لهم خاصة
 من غاب منهم ومن حضر ولم يغب عنهم غير جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كسهم من حضر فأنه تعالى جعل غنائم خيبر لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة حيث
 رجعوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئاً وقيل والمعنى يريدون أن يبذلوا
 كلام الله وهو قوله تعالى وغضب الله عليهم وذلك لأنهم لو أتبعوكم لكانوا في حكم بيعة أهل الرضوان
 الموعودين بالغنمة فيكونون من الذين رضى الله عنهم فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل
 كلام الله (قل) يا أشرف الخلق لهم اقنأطالهم (إن تتبعونا) أى لا تتبعونا في الخروج إلى خيبر
 (كذلككم) أى مثل هذا القول الصادر مني (قال الله من قبل) أى من قبل مرجعنا إليكم أى حكم
 الله عند انصرافنا من الحديبية بأن لا تتبعونا وبأن غنمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم منها نصيب

(فسيقولون) لاؤمنين عند سماع هذا النهي ليس ذلك النهي حكم الله (بل تحسدوننا) على ان
نشارككم في الغنائم فقلتم ان الله حكم بتخصيص أهل الحديبية بغنائم خيبر وبعننا منها (بل كانوا
لا يفقهون الا قليلا) أي لا يفقهون الا فهم اقليل لا وهو فظنتم - لم لا ورالد نيسار لا يفقهون من قولك
لا تخرجوا الى خيبر الا طاهر النهي ولم يفهموا من حكمه فعملوه على مرادهم وعللوه بالحسد فان حب الدنيا
ليس من شيمة العالم العاقل (قل) يا أشرف الرسل (للمخلفين من الاعراب) أي أهل غلظ الابدان
وأشجع وقوم من مزيته وجهينة (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) أي الى قتال قوم أصحاب سلاح
من آله الحديدي وقوة شديدة في القتال وهم بنو حنيفة هم تابعوا مسيئة الكذاب وغزاهم أبو بكر وقال رافع
ابن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دهانا أبو بكر الى قتال بني حنيفة فلما أنهم هم أو هم هو وزن
وثقيف غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا المخلفين عام الحديبية الى الحرب
فامتنعوا فقال ستدعون الى حرب قوم مسلمين محاربين فهم أكثر بأسا من يكون على خلاف ذلك
(تقاتلونهم - أو يسلمون) أي ان أحد الأمرين يقع اما المعاتلة أبدا أو الاسلام لا غير وقرى أو يسلموا
بالنصب باصهار ان على معنى تقاتلونهم - الى ان يسلموا (فان تطيعوا) أي توافقوا الداعي على القتال
(يؤتكم الله أجرا حسنا) أي يعطىكم الله الغنمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من
قبل) أي وان تعرضوا عن اجابة الدعوة الى قتال المرتدين كسيلة أو المشركين كهوازن كما عرضتم عن
غزوة الحديبية من قبل هذا الوقت بناء على الظن الفاسد (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمتكم
ثم جاء أهل الزمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد أوعد الله بعذاب أليم لمن يتخلف
عن الغزوة فكيف لنا ونحن لا نقدر على الخروج الى الغزوة فنزل الله فيهم قوله تعالى (ليس على الأهل
خرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أي ليس على من في عضوه أو قوته خلل مأثم في
التخلف عن العزوة وكذا فقير لا يمكن من استصحاب ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد واغنا قدم الأهل على
الأعرج لان عذره مستمر لا يمكن الانتفاع به في حراسة وغيرها ولا يعود بصيرا أما الأعرج فانه يمكن
الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقد يقدر على القتال بالرعي وغيره وقدم الأعرج على المريض لان عذره
أشد من عذر المريض لا يمكن زوال المرض عن قرب فالعذر في تحمل الآلة أتم من الآفة في القوة (ومن
يطعم الله ورسوله) في الأوامر والنواهي من المعذورين وغيرهم (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار)
فطاعة الله تعالى في طاعة رسوله وكلامه تعالى يسمع من رسوله (ومن يتول) عن الطاعة بقلبه
(يعذبه عذابا أليما) وقرآن فاع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التحية (لقد رضى
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روى انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث خراش بن
امية الخزاعي الى أهل مكة وحمله على جملة صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرافهم انه صلى الله عليه وسلم جاء
معتمر ولم يجي محارب فاعقر واجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فنعهم الاحابيش فخلوا سبيله
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى أبي
سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه صلى الله عليه وسلم لم يأت للحرب واغنا جاء زائر الهذال البيت معظما
لحرمة فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لا طوف قبل ان يطوف رسول الله
صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عند ما بلغ رسول الله والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال صلى الله عليه
وسلم لا تبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم - ودها الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على ان يقاتلوا

قريشا ولا يفرروا ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه فقال هذه بيعة عثمان وقد علم بنور النبوة
 ان عثمان لم يقتل حتى بايع عنه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكانوا
 ألفا وخمسة مائة وخمسة وعشرين ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين
 وكانوا عشرة دخلوا مكة بأذنه صلى الله عليه وسلم (فعلم) الله (ما في قلوبهم) من الاخلاص عند
 مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض وهذا معطوف على مبايعونك لان
 رضاه تعالى عنهم كان عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم لاعند المبايعة فقط (فأنزل السكينة
 عليهم) وهذا معطوف على رضى أى فأنزل الله عليهم سكون النفس بالربط على قلوبهم وقد جعل الله
 تعالى طاعة الله والرسول علامة لادخال الله تعالى الجنة وبين ان تلك الطاعة وجدت من أهل بيعة
 الرضوان وأشار الى طاعة الله بقوله لقد رضى الله عن المؤمنين والى طاعة الرسول بقوله اذ يبايعونك تحت
 الشجرة وأشار الى الموعد به وهو ادخال الجنة بقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين لان الرضا يكون معه
 ادخال الجنة (وأنا بهم فتحا قريبا) أى وجزاء لهم على الطاعة فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية في
 ذى الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقتية وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقتية المحرم سنة سبع
 وقال السدى هو فتح مكة وقرى وآثارهم بالمدى أعطاهم (ومغانم كثيرة) من خيبر وهى أرض ذات
 عقار وأموال (ياخذونها) وقرأ الاعمش وطهحة ونافع بالتاء على طريق الالتفات الى الخطاب
 لتشریفهم في مقام الامتنان (وكان الله عزيزا) أى غالبا غنيا عن اعانتكم اياه (حكيميا) حيث
 جعل هلاك أعدائه على أيديكم ليثيبكم عليه فإنه تعالى يدل من يشاء بعزته ويعزم من يشاء بحكمته
 (وعدكم الله مغانم كثيرة) من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر فيما يأتى الى يوم القيامة (تأخذونها)
 والخطاب لاهل الحديبية (فجعل لكم هذه) أى غنائم خيبر فليست كل الثواب بل الجزاء قد أمكم
 (وكف أيدي الناس عنكم) أى كف الله أيدي بنى أسد وغطفان وهم خلفاء أهل خيبر عنكم حيث جازا
 لنصرتهم فغذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا عن عيالككم لما خرجتم الى خيبر فان النبي صلى الله عليه
 وسلم لما قصد خيبر وحاصرها همت قبائل من بنى أسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذرائعهم
 بالمدينة فكف الله تعالى أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم فنكصوا وقال قتادة كف أيدي يهود خيبر عن
 المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية أما كف أيدي أهل مكة بالحديبية فذكر بقوله
 تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم الخ (ولتكون آية للمؤمنين) وهذا معطوف على مفهوم فجعل لكم
 هذه فاللام يدل على النفع كما أن على يدل على الضرر أى فجعل الله هذه الغنائم وفتح خيبر لتنفعكم ولتكون
 أمارة يعرف المؤمنون بهامدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية
 ما ذكر من المغانم وفتح مكة أى لتنفعكم في الظاهر وتنفعكم في الباطن حيث يزداد يقينكم اذا رأيتم صدق
 الرسول في اخباره عن الغيوب فيكمل اعتقادكم أى عجل الله فتح خيبر ليكون ذلك الفتح وهو هزيمة
 أهل خيبر وسلامتكم عبرة للمؤمنين لانكم كنتم ثمانية آلاف وان أهل خيبر كانوا سبعين ألفا
 وكف أيدي الناس عنكم وعن عيالككم ليكون ذلك الكف علامة للمؤمنين فيعلموا ان الله يحرسهم
 في مشهدهم ومغيبهم (ويهدىكم صراطا مستقيما) أى طريق التوكل عليه تعالى والثقة بفضله تعالى
 في كل ما تأتون وما تذرون (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) وقوله وأخرى اما مبتدأ ولم تقدروا
 صغته وقد أحاط الله خبره أى وغنية أخرى لم تقدروا عليها قد أعدها الله لكم فأنتم وان لم تقدروا عليها

في الحال فهي محبوسة عليكم لا تفوتكم وهي مغنايم هوازن في غزوة حنين وامام معطوف على مغنايم كثيرة
فكانه تعالى قال وعدوكم الله مغنايم تأخذونها ومغنايم لا تأخذونها أنتم ولا تقدرعون عليها واغيا يأخذها
من يجي بعدكم من المؤمنين قد حفظها الله لهم لا يجري عليها هلاك الى ان يأخذها المسلمون كحاطة
الحراس بالخراسان وهي غنايم فارس والروم (وكان الله على كل شيء قديرا) لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص
بشيء دون شيء (ولوقاتكم الذين كفروا لولا الادبار) أي ولو اجتمع بنو أسد وغطفان مع أهل خيبر
كلزعموا وقتلوكم لانهم زموا ولا ينصرون بل اغنا الغلبة واقعة للمسلمين فليس أمرهم أمر الاتفاق بل هو أمر
الهي محتوم (ثم) بعد انهم زامهم (لا يجدون وليا) ينفع باللطف (ولا نصيرا) يدفع بالعنف بل
الهلاك لاحق بهم بعد الان زام (سنة الله التي قد دخلت من قبل) أي سن الله غلبة أنبيائه سنة قدوة
فمن مضى من الامم حين خرجوا على الانبياء (ولن تجد) أي السامع (لسنة الله تبديلا) أي ان الله
فاعل مختار يفعل ما يشاء ويقدر على اهلاك أحبائه من الانبياء ولكن لا يغير عادته (وهو الذي
كف أيديهم) أي أيدي كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة) أي في داخل الحرم وهو الحديبية
غير ان كان فيهما رحى بالحجارة بين الفريقين (من بعد أن أظفركم عليهم) أي ان غلبكم عليهم وذلك
أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وروى الترمذي وثابت عن أنس بن مالك أن ثمانين
رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم ليقتلوه فأخذهم سلمان
فاستحياهم فنزلت هذه الآية (وكان الله عما تعملون بصيرا) وقرأ أبو هريرة بالياء التحمية أي بما يعمل
الكفار والباقون بالتاء الفوقية أي بما تعملون أنتم فان الله يرى فيما تعملون من المصلحة وان كنتم
لاترون ذلك (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أي عن وصولكم الى البيت الحرام عام
الحديبية (والهدى) أي وصدوا الهدى الذي ساقه النبي وأصحابه وقرأ أبو هريرة وفي رواية بالجر عطف على
المسجد بحذف المضاف أي وعن نحر الهدى وقرئ بالرفع بفعل مقدر مبني للجهول أي وصد الهدى وروى
عن أبي هريرة وعاصم وغيرهما كسر الدال وتشديد الياء (معكوفان أن يبلغ محله) فقوله أن يبلغ
اما في محل رفع على أنه نائب الفاعل أي ممنوعا بلوغ الهدى محل نحره المعتاد وهو منى واما في محل جر على
اسقاط الجار أي ممنوعا من أن يبلغ نحره فان الكفار لم يتركوا المسلمين أن يبلغوا الهدى محله التي يعتاده
الناس بوجه فيه (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم)
وقوله أن تطئوهم بدل من رجال ونساء وجواب لولا محذوف أي لولا اهلاك أناس مؤمنين في مكة كانوا ليد
وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وأبو جندل وغيرهم فبين لكم فأصابه انما اياكم من جهتهم من غير أن
تعلموا أنهم مؤمنون مانع لما كف الله أيديكم عن كفار مكة ولسلطكم عليهم بالقتل عام الحديبية فانكم
ان قتلتم المؤمنين لزمتمكم الكفارة وهو دليل الاثم بتقصيركم في عدم تمييز المسلم من الكافر ولزمكم
تعمير الكفار لكم بأنكم فعلتم باخوانكم ما فعلتم بأعدائكم (ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي هم
الذين كفروا الذين استحقوا التحجيل في اهلاكهم ولولا مؤمنون مختلطون بهم لمجلى الله بهم ولكن كف
الله أيديكم عنهم لكي يكرم الله المؤمنين بزيادة الخير والطاعة لله تعالى والمشركين بدخولهم في دين
الاسلام أي ليخرج المؤمنون من مكة ويهاجروا الى المدينة وليؤمن من المشركين من علم الله أنه يؤمن في
تلك السنة لانهم اذا شاهدوا رحمة الله في شأن طائفة من المؤمنين بأن منع الله من تعذيب أعداء الدين بعد

الظفر بهم لاجل اختلاطهم بهم رغبوا في مثل هذا الدين (لوتر يلو العذبة الذين كفر وامنهم عذابا
أليما) أي لوتغيز المؤمنون عن الكفرة وخرجوا من عندهم لعذبنا كفار مكة بتسليط المؤمنين عليهم
بقتلهم وبسبي ذراريهم (اذجعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) فاذظرف لعذبنا أي
لعذبناهم حين جعلوا في قلوبهم التكبر تكبرا للملة الجاهلية وهو منعه رسول الله وأصحابه عن البيت الذي
الناس فيه سواء وقالوا ان المسلمين قتلوا أبناءنا وخواننا ثم دخلوا علينا على أهانتهم أيانا واللات والعزى
لا يدخلون مكة فهذه تكبر الجاهلية التي دخلت في قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)
وهذا عطف على جعل والمراد تكبير حسن صنيع الرسول والمؤمنين وسوء صنيع الكفرة روى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو والقرشي وحويطب بن عبد
العزى ومكر بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه
ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام وعلى وضع الحرب عشرين سنين وقال البراء
صالحوهم على ثلاثة أشياء على أن من أتاهم من المشركين إلى المدينة مسلمارد وهم اليهم ومن أتاهم من
المسلمين إلى مكة لم يردوه إلى المدينة وعلى أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة من عام قابل ويقيم فيها
ثلاثة أيام وعلى أن لا يدخلها بسلاح فعال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن
الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما صالح عليه محمد
رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح
عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يبسطوا بهم
وكان في نفس المؤمنين أن لا يرجعوا إلا بأحد الثلاثة بالخروج أو بأحد أن لا يكتبوا محمد رسول الله
وبسم الله فأنزل الله السكينة عليهم فلما سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المؤمنون فلما فرغ من
قضية الكتاب قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فأنحروا ثم اخلقوا فاقام منهم أحد حتى قال ذلك
ثلاث مرات لما حصل لهم من الغم فقام صلى الله عليه وسلم ودخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس
من عدم امتثال أمره صلى الله عليه وسلم فقالت له يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدًا منهم حتى تنحرك
وتدعوا قلبك فيحلقك فخرج ففعل ذلك فلما رأى ذلك منه صلى الله عليه وسلم قاموا فنحروا وجعل بعضهم
يخلق بعضا (وألزمهم كلمة التقوى) أي ألهم الله المؤمنين كلمة الشهادة وهي لا اله الا الله حتى لا يلتفتوا
إلى ما سوى الله تعالى (وكانوا أحق بها) أي كانوا أحق بكلمة التوحيد في علم الله تعالى (وأهلها) أي
وكانوا متصفين بكلمة التقوى في الدنيا لان الله تعالى اختارهم لعجبة نبيه (وكان الله بكل شيء عليم)
فيسوق كل شيء إلى مستحقه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) أي لقد جعل الله رؤيا رسوله صادقة
وليجعلها أضغاث أحلام وقوله بالحق اما صدقة لم يدر محذوف أي صدق ما ملتبس بالحكمة البالغة
وهي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أي ملتبس بالصدق ليست من نوع
أضغاث الأحلام حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقت خروجه إلى الحديبية والله (لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله تعالى) آمنين من العدو فلا تخافون عدوكم من أن يخرجكم في المستقبل
(مخلصين رؤسكم ومقصرين) فتقوله تعالى لتدخلن إشارة إلى أداء الحج ومحلقين إشارة إلى تمام الحج
(لا تخافون) من العدو فيبقى أمنكم بعد خروجكم عن الأحرام لان الإنسان اذا خرج عن الأحرام بالحق
لا يحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم أي رأى عام الحديبية

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم قد دخلوا مكة في عامهم فلما تخرجوا معه صلى الله عليه وسلم وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن زبيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فعلم ما لم تعلموا أي فعلم الله ما لم تعلموا في الصلح في الحديبية من المصلحة المتجددة فان دخولكم في سنتكم سبب لهلاك المؤمنين والمؤمنات (لجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي لجعل الله من قبل ذلك الدخول في مكة أو جعل الله في المنع عن الوصول الى مكة أو جعل الله لاجل صلح الحديبية فتحا يسريعا وهو فتح خيبر فيقولونكم به فانه كان سبيلا لاسلام ناس كثيرة تقوى به - هم المسلمون فتكون تلك السبب سبيلا لهيمنة الكفار ولضعفهم من قتال المسلمين حين رجعوا الى مكة في العام القابل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي بالقرآن (ودين الحق) أي ودين الاسلام (ليظهره على الدين كله) أي ليعلى الله أو رسوله الدين الحق على كل الاديان بنسخ بعض الاحكام وبإظهار بطلان الباطل وبتسليط المسلمين على أهل الباطل (وكفى بالله شهيدا) على نبوة رسوله بإظهار المعجزات (محمد رسول الله) فمحمد خير مبتدا محذوف أي هو أي الرسول المرسل بذلك محمد ورسول الله عطف بيان أو هو مبتدا ورسول الله نعت له مفيد للروح والموصول بعده عطف عليه وخبره أشدها ورحمها وترأهم وعلى هذا فلا يحسن الوقف على رسول الله بل على بينهم بخلاف الاعراب الاول فالوقف على رسول الله حسن كما اذا جعل خبر الحمد (والذين معه) أي الذين قاموا معه يدعون الكفار الى دين الله (أشدها على الكفار رحمها بينهم) أي هم يظهررون الصلابة لمن خالف دينهم والرافة لمن وافقهم في الدين فانهم كانوا يتحززون من ثيابهم أن تمس ثياب الكفار ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ولا يرى مؤمن مؤمنا الا صالحة وعانقه وقرى أشدها ورحمها بالنصب على المدح أو على الحال فالخبر حينئذ قوله تعالى (ترأهم ركعا سجدا) أي تشهدهم أيها السامع حال كونهم راكعين ساجدين في الصلاة (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي يطلبون من الله ثوابا ورضا التمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وعن ركوع المرائين وسجودهم (سماهم في وجوههم من أثر السجود) أي علامة سهرهم كائنة في وجوههم كائنة من أثر كثرة السجود بالليل ففي وجوههم خبر ومن أثر حال وقرى سميائهم بالياء بعد الميم وبالمد وقرى من آثار السجود بعد الهمزة والثاء وقرى من أثر السجود بكسر الهمزة قال صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار أي وهذا الحق لمن يعقل ويفرق بين الساهر في الشرب واللعب والساهر في الذكر واستفادة العلم (ذلك مثلهم في التوراة) فذلك مبتدا ومثلهم خبره وفي التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة والوقف هنا تام أي ذلك المذكور ومن أنهم أشدها على الكفار الى آخره صفتهم في التوراة (ومثلهم في الانجيل كزرع) ومثلهم مبتدا وخبره كزرع فهذان مثلان كما ذهب اليه ابن عباس أي وصفتهم الكائنة في الانجيل كزرع (أخرج شطا فآزره) أي مثل زرع أخرج فراخه فقوى الفراخ بكافتها الزرع (فاستغلظ) أي فصار الزرع غليظا بعدما كان دقيقا (فاستوى على سوقه) أي فاستقام الزرع على قصبه (يحب الزرع) وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحابه صلى الله عليه وسلم في الانجيل أنهم كانوا في بدء الاسلام ثم كثروا ففرق أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس قيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالعرف وينهون عن المنكر (ليغيظهم الكفار) وقال بعضهم محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق

فانه أول من آمن به أشداه على الكفار عمر بن الخطاب رجلاه بينهما عثمان بن عفان ترأهم ركعاً سجداً على بن أبي طالب يبتغون فضلاً من الله ببقية المبشرين بالجنة طهارة والوزير سعد وسعيد وأبي عبيدة وعبد الرحمن سيماهم في وجوههم سلمان وبلال وصهيب وأصحابهم كزعر محمد آخر ج شطاء أبا بكر فأزروه عمر فاستغلظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه على بن أبي طالب أي استقام الاسلام بسيفه يحجب الزراء أي المؤمنين ليغيظ بهم الكفار أي يقول عمر لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سراً بعد اليوم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أرحم أمي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم على وأقربهم زيدا وأقرؤهم أبي وأعلمهم بالحرام والحلال معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ويقال نزلت الآية من قوله تعالى والذين معه إلى ههنا في مدح أهل بيعة الرضوان وبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المخلصين المطيعين لله وقوله تعالى ليغيظ تعليل لمخذوف دل عليه تشبيههم بالزرع كأنه قيل اغماقواهم الله تعالى وكثرهم ليغيظ بهم الكفار أو تعليل لوعده الله الذين آمنوا الخ لان الكفار إذا سمعوا بعزة المؤمنين في الدنيا وعاد الله لهم في الآخرة غاظهم ذلك أشد غيظ أو تعليل مخذوف دل عليه قوله تعالى أشداه على الكفار الخ أي جعلهم الله تعالى بهذه الصفات الجليلة ليغيظ بهم الكفار (وعاد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر عظيم) وضمير منهم راجع لأصحابه فمن لبيان الجنس لانهم كلهم بتلك النعوت الجليلة أول الكفار فمن للتبعيض

﴿سورة الحجرات مدنية - وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث

وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وقرأ العامة بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة أي لا تقدموا أنفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا تجعلوا لانفسكم تقدماً في الرأي عنده صلى الله عليه وسلم وذكر لفظ الله تعظيماً للرسول واشعاراً بأنه عند الله في منزلة عظيمة توجب اجلاله وقرأ ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح في الاحرف الثلاثة وقرئ لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال أي لا تقدموا على شيء من أمور الدين بغير إذن الله ورسوله (واتقوا الله) في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال (ان الله سميع) لا قوالكم (عليكم) بأفعالكم نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قتلوا رجلين من بني سليم في صلح النبي صلى الله عليه وسلم بغير أمره فنهاهم الله تعالى وقال لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تجروا على اتيان أمر من غير إذن من له الاذن واتقوا الله في مخالفة الحكم المنهي عنه ان الله سميع لقالة الرجلين عليهم بما اقترفا وكان قولهم لو كان هكذا لكان كذا (يا أيها الذين آمنوا) نزلت هذه الآيات في ثابت بن قيس بن شماس يرفع صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وفد بني تميم فنهاهم الله عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) فان رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي لا تجهروا له كالتجهر واليه كالتجهر ولا تكثروا الكلام عنده وقلوا غاية التقليل فلا تخاطبوه صلى الله عليه وسلم كما تخاطبون غيره (أن تحبط أعمالكم) أي خشية حبط أعمالكم فقوله تعالى لا ترفعوا الخ نهى عن زيادة صوتهم على صوت الرسول وقوله تعالى ولا تجهروا الخ نهى عن مساواة صوتهم لصوته (وأنتم لا تشعرون) بحبوط الاعمال

(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) أي يخفون عنده مراعاة للأدب (أو لئلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي الذين امتحن الله قلوبهم ليعلم منها التقوى فان من يعظم واحدا من أبناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيمه للرسول أعظم وخوفه منه أقوى فالاختيار بالحن والتكاليف الشاقة سبب لظهور التقوى ويقال أو لئلا الذين أخلص الله قلوبهم للتوحيد وصفها من المعصية (لهم مغفرة وأجر عظيم) قيل لما جرى الكلام بين أبي بكر وعمر في تأمير القعقاع بن معبد أو الأقرع بن حابس على وفد بني تميم نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية ولما رفع أصواتهم ما في تلك القضية نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية ولما خفوا أصواتهم ما بعد ذلك نزل ان الذين يغضون أصواتهم الآية ولما دخل أعراب بني تميم المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكنا سبعة من رجلا قدموا لقد أراى لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نام للقاء نزل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآيةتين وقال ابن عباس بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية الى قوم من بني عنبر جماعة من خراعة وأمر عليهم عيينة بن حصن الغزاري فسار اليهم فلما بلغهم انه خرج اليهم فروا وتركوا عيالهم وأموالهم فسبى ذرارهم وجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاؤا اليه فادارهم فدخلوا المدينة عند القيولة فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم يا محمد اخرج الينا وكان نائما حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم شبرمة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال شبرمة أنا لا أحكم وعمر وشاهدوه والاعور ابن بسامة فرضوا به فقال الاعور أرى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادي نصفهم وأعنت نصفهم ولو صبر والاعتق جميعهم بغير فداء فنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) أي ان الذين يدعونك من خلق حجرات نسائك كلهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على سوء الأدب فكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة ومناداتهم من خارج الحجرات اما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه صلى الله عليه وسلم من خارجها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد على حجرة (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خير لهم) أي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم الى الصلاة حتى تخرج اليهم لكان الصبر حسنا لهم وخيرا من استعجالهم ايقاظك في الهاجرة ومما لو قرعوا الباب بالاطافركما كان يفعل غيرهم من الصحابة ولو راعوا حسن الأدب وتعظيم الرسول زادهم في الفضل فأطلق ذرارهم ونساءهم كلهم بلا فداء (والله غفور رحيم) لهؤلاء ان تابوا وأصلحوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) نزلت هذه الآية في الوليد بن عتبة أخى عثمان لانه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليحيى بصدقاتهم وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما بعثوه تلقوه تعظيما لالامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخافوا من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب الرسول فأراد هو أن يغزوهم فنهأ الله عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فاصوبوا أو قروا فتبينوا أي قفوا حتى يتبين لكم ما جاء به من صدقه أو كذبه (أن تصيبوا قوما بجهالة) أي حذر أن تصيبوا قوما بالقتل والسبى ملتبسين بجهالة حالهم (فتصحبوا على ما فعلتم نادمين) أي فتصبروا وابتعدوا بظهور براءتهم عما نسب اليهم نادمين على ما فعلتم في حقهم في اصابتهم بالقتل وغيره (واعلموا أن فيكم رسول الله) هو

مرشد لكم فارجعوا اليه واعتمدوا على قوله (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) أي لو يتبعكم رسول الله في كثير من الحوادث لوقعتم في شدة وهلاك وقد يوافق الناس ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لغائده قوله تعالى وشاورهم في الامر (ولكن الله حبيب اليكم الايمان) أي بينه وقربه اليكم وأدخله في قلوبكم (وزينه في قلوبكم) بالبرهان اليقيني بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) وهذه الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل فانه يجمع التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فالكفر هو الكذب بالجنان والفسوق هو كذب اللسان كما قاله ابن عباس فقد قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فسمي من كذب فاسقا والعصيان هو ترك الامر (أولئك هم الراشدون) أي الموافقون للرشد يأخذون ما ياتهم الله وينتهون عما ينهاهم (فضلا من الله ونعمة) مفعول من أجله منصوب بحبيب وكره أو بالراشدون (والله عليم) بما في خرائر رحمته من الخير وكانت النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد (حكيم) ينزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة (وان طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فاصحوا بينهما) قيل نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وأصحابه وعبد الله بن رواحة المخلص وأصحابه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن أبي وكان من الخبز رجع فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه وقال اليك عني والله لقد أذاني تن حمارك وذلك قبل ان يسلم بالظاهر فقال ابن رواحة وكان من الاوس لبول حماره صلى الله عليه وسلم لم أطيب ربحا من مسكك فكان بين قومهما وهما الاوس والخزرج ضرب بالأيدي والنعال والسيوف وعن قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مامد ارة في حق فقال أحدهما لا آخر لا خذن حتى منك عنوة وطلب الآخر منه أن يحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدي قال كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شي فرقي بها الى عليته وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومهم واقتتلوا بالأيدي والنعال فنزلت هذه الآية أي وان تقاتل فرقتان من المؤمنين فأصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت احدهما) أي ظلمت (على الاخرى) بأن أبت الاجابة الى حكم كتاب الله تعالى (فقاتلوا التي تبغي) أي تظلم (حتى تفي الى أمر الله) أي حتى ترجع تلك الطائفة التي لم تقبل النصيحة الى الصلح وهو ما ورثه (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) أي فان رجعت الى الصلح حذر من قتالكم فاحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق ولا تكتفوا بمجرد متاركهما عسى أن يكون بينهما قتال في وقت آخر (وأقسطوا) أي وأعدلوا في كل أمر (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين في كل ما يأتون وما يذرون فيفضي الى أشرف درجة وارفع منزلة (انما المؤمنون اخوة) في الدين (فأصلحوا بين أخويكم) وان لم تكن الفتنة عامة وان لم يكن الامر عظيما كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف فاسعوا في اصلاح وقيس المراد بالأخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم وأخواتكم (واتقوا الله) بالصون عن التشاجر فان من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن من يأمن جاره بوائقه (عليكم ترحمون) على تقواكم (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أي رجال منكم (من قوم) آخرين منكم قال ابن عباس نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس حيث ذكر رجلا من الانصار بسوء ذكر أم رجل كانت في الجاهلية وقال الفصحاء نزلت في وفد عيم كانوا يستهزئون بفقره

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب وابن فهيرة وبلال وصهيب وسلمان وسالم ومولى ابن
حذيفة لما رأوا من رثالة حالهم ومعنى الآية لا تحقروا الإخوانكم ولا تستصغروهم (عسى أن يكونوا خيرا
منهم) تعليل للنهي عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساحرين (ولأنساء
من نساء) روى عن أنس أن هذه الآية نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن أم سلمة
بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب قالت لها بعض نساء
النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهودي فنهاهن الله عن ذلك وقال ولأنساء من نساء أى ولا
تسخرن نساء من المؤمنات من نساء منهن (عسى أن يكن) أى المسخور منهن (خير منهن) أى
من الساحرات عند الله وأفضل نصيبا (ولا تلزوا أنفسكم) أى ولا يعذب بعضكم بعضا بأشارة
أو نحوها فصرتم طائفتين من وجه معينين من وجه (ولا تنابروا باللقاب) أى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب
السوء (بش الاسم الفسوق بعد الإيمان) أى بش الذكركم المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد
دخولهم في الإيمان واشتهارهم به ويقال هذا عام للزجر ويصير التقدير بش الفسوق بعد الإيمان
وبش أن تسهوا بالفاسق بسبب السخر واللزو والتنازع بعد ما هميتموهم مؤمنين (ومن لم يتب فأولئك
هم الظالمون) أى ومن يجعل ذلك عادة ولم يتركه ولم يتب عما مضى فهو ظالم (يا أيها الذين آمنوا
اجتنبوا كثير من الظن) فيجب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى يعلم أنه من أى نوع فإن من الظن
ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وظن الخير في الله تعالى في الحديث القدسي أنا عند
ظن عبدى بنى فلا يظن بنى الآخر وظن الخير في المؤمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم ظنوا بالمؤمن خيرا
ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وظن السوء بالمؤمن ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية
(ان بعض الظن اثم) أى ذنب يستحق العقوبة (ولا تجسسوا) أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين
والمعنى ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معاييب الناس (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى
لا يذكروا بعضكم بعضا بالسوء في غيبته (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) وقرأنا نافع بتشديد
الياء وهو حال من اللهم أو من الاخ فالأغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله الا للمضطر بقدر
الحاجة فالمغتاب ان وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب في هذه الآية نهى عن اغتياب
المؤمن دون الكافر أما الفاسق فيجوز ان يذكروا فيه عند الحاجة فنقص مسلما أو ثلم عرضه فهو
كأكل لحمه حيا ومن اغتابه فهو كآكل لحمه ميتا لان الميتة لا يعلم بأكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبته من
اغتابه (فكرهتموه) أى الا كل فالاستفهام في قوله تعالى أيجب للأنكار فكانه تعالى قال لا يجب
أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذا قرئ كرهتموه بغير فاء أى جبلم على كراهته (واتقوا
الله) بترك ما أمرتم باجتنابه وبالندم على ما صدر عنكم من قبل (ان الله تواب رحيم) ذكر الله تعالى
في هذه الآية أمور ثلاثة مرتبة فكانه تعالى قال لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم
اذا سئلتم عن المظنون فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنهم قبل ذكرها ثم ان علمتم منها شيئا من
غير تجسس فلا تقولوه ولا نقشوه عنهم في الاول نهى عن تكلم ما لم يعلم ثم نهى عن طلب علم عيب الناس
ثم نهى عن ذكر ما علم منه روى اندرجين من الصحابة بعنا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب
منه طعاما فقال له انطلق الى أسامة بن زيد واطلب منه فضيل طعام وادام ان كان عنده فأتاه فقال
ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقال كان عند أسامة ولكن بخيل فبعنا سلمان الى بعض

العصابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لبعضنا سألنا الى بئر سحجة لفرماؤها فلما راها الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما في يومنا هذا فقال صلى الله
 عليه وسلم اغتبتما سألنا واسامة فنزلت هذه الآية ثم قال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر
 وأنثى) أي من آدم وحواء ومن أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب (وجعلناكم
 شعوبا وقبائل) وطبقات النسل التي عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ
 والفصيلة والشعيرة وكل واحد يدخل فيما قبله فالعشائر تحت الفصائل وهي تحت الانحاذ وهي تحت
 البطون وهي تحت العمائر وهي تحت القبائل وهي تحت الشعوب فخرية شعب وكثانة قبيلة وقريش
 هارة وقصى بطن وعبد مناف فخذوها ثم فصيلة والعباس عشيرة (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم
 بعضا بأصل الانسان فلا ينتسب أحدا الى غير آباءه لالتفافا خروا بالآباء والقبائل ولا لتدعوا التفاوت في
 الانساب (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس
 فليتق الله وعن ابن عباس قال كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى قال الرازي سمعت ابن بعض الشرفاء
 في بلاد خراسان كان في النسب أقرب الناس الى علي رضي الله عنه غير انه كان فاسقا وكان هناك مولى
 أسود تقدم بالعلم والعمل ومال الناس الى التبرك به فاتفق انه خرج يوما من بيته بقصد المسجد فاتبه
 خلق فلقبه الشريف سكران وكان الناس يطردون الشريف ويبعدونه عن طريقه فغلبهم وم تعلق
 اطراف الشيخ وقال له يا أسود الحوافر والشوافر يا كافر بن كافر انا ابن رسول الله أذل وتجبل وأذم وتكرم
 وأهان وتعان فهم الناس بضربه فقال الشيخ لا هذا محتمل منه لجده وضربه معدود بجده ولكن يا أيها
 الشريف بيضت باطنى وسودت باطنك فبى الناس بياض قلبي فوق سواد وجهي فحسنت وأخذت
 سيرة أبيك وأخذت سيرة أبي فرأى الخلق في سيرة أبيك ورأوا في سيرة أبي فظنوني ابن أبيك وظنوك
 ابن أبي فعملوا معك ما يعمل مع أبي وعملوا معي ما يعمل مع أبيك (ان الله عليم) بأنسابكم وبأعمالكم
 (خبير) ببواطن أحوالكم لا تخفى عليه أماراتكم فاجعلوا التقوى عملا لكم وزيدوا في التقوى قال
 الزهري نزلت هذه الآية في ابن هند خاصة قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة أن يزوجوا أبا
 هند امرأة منهم فقالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بنا تنام والينا فنزل الله تعالى هذه الآية قال ابن
 عباس لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن فقال
 عتاب بن أسيد بن أبي الغيث الحمد لله الذى قبض أبى حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ما وجد
 محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهل بن عمر وان يرد الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان أنا لا أقول
 شيئا أخاف ان يخبر به رب السهوات فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم
 عما قالوا فاقروا فنزل الله تعالى هذه الآية زجر الهم عن التفاخر بالانساب والتسكاث بالاموال والازدراء
 بالفقراء فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى (قالت الاعراب) أي أهل البادية
 (آمنا) نزلت هذه الآية في بني أسد أصابتهم سنة شديدة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاطهروا له الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السرطال بين الصدقة وفسدوا طرق المدينة بالعدوات راغلو
 أسعارها وكانوا يخذون ويرحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتلك العرب بانفسها على
 ظهور رواحلها ونحن قد جئناك بالاطفال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان أطعمنا
 وأكرمنا يا رسول الله فان صدقنا بجميع ما جئت به فنزل الله هذه الآية (قل) يا أشرف الخلق لهم (لم)

تؤمنوا) أى لم تصدق قلوبكم لانكم لم تؤمنتم لئلا على فلا تقولوا آمنا (ولكن) أسلمتم أى أظهرتم
 الانقياد واستسلمتم من السيف والسبي بل (قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واطهار
 الشهادة وهذا قد حصل أما الايمان وهو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب لم يحصل انكم والامنا
 منتم على ما ذكرتم (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) أى ولم يدخل حب الايمان في قلوبكم الى هذا
 الوقت فلا يعد اقرار اللسان ايمانا الا بما وافقه القلب (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك
 النفاق في السر كما أطمعتموهما في العلانية (لا يلبسكم من أعمالكم شيئا) أى لا ينقصكم من ثواب أعمالكم
 شيئا من النقص وقرأ الدوري عن أبي هريرة لا يأتلكم بمزرة ساكنة بعد الياء التحتية وأبدلها السومى
 ألفا وقرأ الباقر بن غيرهم زولا ألف (ان الله غفور) لكم ما قد سلف ان تبتم (رحيم) بما أتيتهم به
 من الطاعة بالتفضل عليكم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا في
 ايمانهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أى في طاعة الله على تسكر أنواعها من العبادات
 البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشملة عليها معا كالجihad والجهاد (أو لئلا هم الصادقون) أى أولئك
 الموصوفون بما ذكرهم الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم - هم روى انه لما نزلت هذه الآية جاؤا
 وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل) لهؤلاء الاعراب مبعثكم الله (أتعلمون
 الله دينكم) أى أتخبرون الله بدينكم بقولكم آمنا (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) فيعلم ما
 في قلوب أهلها والواللحال (والله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه شئ فالدين ينبغى ان يكون لله وأنتم
 أظهرتموه لنا الله فلا يقبل منكم ذلك (يعنون عليكم أن أسلوا) أى يعدون اسلامهم من غير قتال منه
 عليكم وهي النعمة التي لا يطلب معطيها ثوابا عن أنعم اليه (قل) في جواب قولهم - هذا (لا تمنوا على
 اسلامكم) أى لا تعدوا الاسلام الذي عندكم منة على فآله تعالى كذبهم في قولهم آمنا ولم يصدقهم في
 الاسلام فانهم انغادوا للحاجة وأخذوا الصدقة (بل الله عمن عليكم أن هذا لكم للايمان) أى بسبب ان هذا لكم
 للايمان حيث بين لكم الطريق المستقيم ودعاكم اليه فان ارسل الرسول بالآيات البينات هداية وقرئ
 ان هذا لكم بالكسر واذ هذا لكم أى في زعمكم (ان كنتم صادقين) في قولكم آمنا فآله هو المان عليكم
 (ان الله يعلم غيب السموات والارض) فلا يخفى عليه أعمال قلوبكم الخفية (والله بصير بما تعملون)
 من ظاهرا اسلامكم وقرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة نظر القول تعالى يعنون والباقر بالتاء على
 الخطاب نظرا الى قوله تعالى لا تمنوا على اسلامكم

*(سورة مكية وهي خمس وأربعون آية وثلاثمائة وخمس وتسعون كلمة
 وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هو جبل أخضر صديق بالدنيا وخضرة السماء منه وهو قسم
 أقسم الله به قال الرازي المنقول عن ابن عباس ان اسم جبل وأمان المراد في هذا الموضع به ذلك فلا
 (والقرآن المجيد) أى العظيم لان القرآن عظيم الفائدة وأولاه كلام الله تعالى أو كثير الكرم لان كل من
 طلب مقصوده من القرآن وجد فانه مغنى كل من لاذ به أو ذى الشرف فان من علم معانيه وعمل بما فيه
 شرف عند الله تعالى وعند الناس (بل عجبوا) وهذا ضرب عن جواب القسم المحذوف أى ما من كفا
 مكة بمحمد والقرآن بل جعلوا كلامهم معرضا للتعجب مع كونها أقرب شئ الى التلقى بالقبول وانما عجبوا

من ذلك لكون محمد من جنسهم لا من جنس الملائكة ولكون القرآن أخبر بالبعث بعد الموت وذلك قوله تعالى (أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم يخوفهم بالنار بعد البعث فقال كفار مكة منهم أبي وأمية ابنا خلف ومنبه ونبية ابنا الحجاج هذا أي كون المنذر منا وكون المنذره هو البعث بعد الموت أمر يتعجب منه (أنما متنا وكنا ترابا) أي أحيين غوت ونصير ترابا رميمًا نبعث (ذلك رجوع بعيد) أي ذلك الخبر بر جوعنا إلى ما كنا عليه بعد موتنا رجوع بعيد من الأوهام والأماكن وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بكسر ميم متنا والباقون بالضم قال الله تعالى رد الاستبعادهم (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي ما تاكل الأرض من لحومهم وعظامهم فلا تخفى علينا أجزاءهم بسبب تشتتها في الأرض أي أن الله تعالى عالم بجميع أجزاء كل واحد من الموتى لا يشبهه عليه جزء أحد على الآخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد وكما يعلم أجزاءهم يعلم أعمالهم فذلك قوله تعالى (وعندنا كتاب حفيظ) أي حافظ لأجزائهم وأعمالهم بحيث لا ننسى شيئا منها أي فالعلم عندي كما يكون في الكتاب أعلم جزأ جزأ وشيئا شيئا (بل كذبوا بالحق) أي بالنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة (لما جاءهم) أي حين جاءهم منذر هو محمد صلى الله عليه وسلم من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بكسر اللام على أن اللام للتوقيت أي وقت مجيئ المنذرايهم (فهم في أمر مريب) أي فهم في شأن المنذر في قول مختلف فانهم تارة يقولون أنه ساحر وأخرى شاعر وأخرى كاهن وأخرى مجنون قال الرازي نقول كان الواجب أن ينتقلوا من الشك إلى الظن بصدقه صلى الله عليه وسلم لعلمهم بآمنته واجتنابه الكذب طول عمره بينهم ومن الظن إلى القطع بصدقه لظهور المعجزات القاهرة على يديه ولسانه فلما غير والترتيب حصل عليه المرج ووقع الدرك مع المرج (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم) أي أعموأفلم يشاهدوا السماء كل وقت وهي ظاهرة فوق رؤوسهم غير غائبة عنهم (كيف بنيناها) أي رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالكواكب (ومالها من فروج) أي والحال ليس لها فتوق وهذا إشارة إلى وجه الدلالة فالإنسان له أساس وهي العظام التي هي كالعمامة وله قوى وأنوار كالسمع والبصر فبناها السماء أرفع من أساس البدن وزينة السماء أكل من زينة الإنسان بلهم وشحم وليس للسماء فروج وللإنسان مسام فتأليف السماء أشد ولاشك أن التأليف الأشد كالنسج الأصفي والتأليف الأضعف كالنسج الأملح والأول أصعب عند الناس وأعجب فكيف يستبعدون الآدون مع علمهم بوجود الأعلی من الله تعالى (والأرض مددناها) أي بسطناها على الماء (والقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت أو تادالها (وأنبثا فيها من كل زوج بيج) أي من كل لون حسن في المنظر وهذا إشارة إلى دليل آخر يدفع قولهم ذلك رجوع بعيد وهم قالوا الإنسان إذا مات وفارقتة القوى لا تعود إليه تلك القوى فنقول الأرض أشد جودا والله تعالى ينبت فيها أنواع النبات فكذلك الإنسان تعود إليه الحياة يذ كر الله في الأرض ثلاثة أمور كما ذكر في السماء ثلاثة أمور فكل واحد في مقابلة واحد فالمد في مقابلة البناء وثابت الرواسي في الأرض في مقابلة ركز الكواكب في السماء وشق الأرض بالانبات في مقابلة سد الفروج إذا علمت هذا ففي الإنسان أشياء موضوعة وأشياء مرفوعة وأشياء ثابتة كالأنف والأذن وأشياء متحركة كاللغة واللسان وأشياء مسدودة والفروج كدور الرأس وأشياء لها فروج كالنخا والصماخ والغم فإلقد ر على هذه الاضداد في السبع الشداد غير عاجز عن خلق نظيرها في هذه الأجساد (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أي خلقنا السماء والأرض تبصيرا وتذكيرا لكل عبد مقبل إلى الله راجع إلى التفكير في بدائع صنائعه فان فيها ما آيات مستمرة

منصوبة على مرور الزمان وآيات متجددة مذكرة عند التماسي ونصب الاممين على المفعول من أجله أو على الحال أي مبصرين ومذكرين وقرأ زيد بن علي تبصرة وذكري برفعهما أي هي تبصرة وذكري عبرة وعظة (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي افعا كثيرا الخير (فأنبئنا به) أي بذلك الماء (جنات) أي أشجار كثيرة طف ثمارها والاصول باقية (وحب الحصيد) أي حب زرع يحصل كل عام (والنخل) وهو جنس مختلط من الزرع والشجر لان الثمر فاكهة وقوت بخلاف غيره فان بعض الثمار فاكهة ولا قوت فيه وأكثر الزرع قوت وأيضا ان النباتات ما يبقى أصلها سنين ولا يحتاج الى عمل عامل وما لا يبقى أصلها ويحتاج كل سنة الى عمل عامل (باسقات) أي طوالا أو حوامل وهي حال مقدرة وقرى باسقات بالصاد لاجل القاف (لهما طلع نضيد) أي لتلك النخل كفى مجتمعة بعضها فوق بعض (رزقا للعباد) أي لنرزقهم وهذا علة لأنبتنا والحكمة في تعليل الانبات بالرزق بعد تعليل الانبات الاول بالتبصرة والتذكير اشارة الى ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بالنباتات من حيث الاستبصار والتذكير أقدم من تمتعه به من حيث الرزق والحكمة في اطلاق العباد في الرزق وفي تعييدهم بكونهم منيبين في التبصرة والتذكير لان الرزق حصل لكل أحد والتذكير لا تكون الا لكل منيب فهو يأكل ذاكر اشأ كرا لا لانعام ثم التبصرة بالخلق هو الاستدلال بان القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء والتذكير بالبقاء بالرزق بعد الاعادة هو الاستدلال بان البقاء في الدنيا يكون بالرزق وبان القادر على اخراج الارزاق من النجم والشجر قادر على أن يرزق العبد في الجنة وان يبقيه فيها (وأحيينا به) أي بذلك الماء (بلدة ميتا) أي أرضا جديدة لانعام فيها أصلا (كذلك الخروج) أي مثل خروج النبات من الارض بالماء خروجه من القبور يوم القيامة بالمطر الذي كفى الرجال ومثل تلك الحياة في النبات بالاخراج حياتهم بالبعث من القبور على ما كانوا عليه في الدنيا (كذبت قبلهم) أي قبل قومك (قوم نوح وأصحاب الرس) وهو يتردون اليماة وهم قوم شعيب وقيل هم قوم عيسى الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وقيل هم أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) وانما نص عليه لانه ليس في قادة قومه كافر غيره لانه استخف قومه فأطاعوه فجعل الاعتبار له خاصة (واخوان لوط) وانما قال ههنا ذلك لان لوطا كان مرسلنا الى طائفة من قوم ابراهيم معارف لوط (وأصحاب الايكة) أي الغيضة وهم قوم شعيب غير أهل مدين (وقوم تبع) وهو كان معتمدا بقومه (كل كذب الرسل) أي فالدكورون كانوا منكرين للحشر وكل واحد منهم كذب جميع الرسل (لحق وعيد) أي فثبت وعيدى من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم (أفيعينا بالخلق الاول) أي أقصدنا ايجاد الانسان وسائر الحيوان وايجاد السموات والارض فنجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة (بل هم في لبس من خلق جديد) أي انهم غير منكرين لقدرة تناعا على اختراع الخلق من العدم بل هم في شك في اعادة الخلق الى الحياة بعد الموت لما فيه من مخالفة العادة (ولقد خلقنا الانسان ونعالم ما توسوس به نفسه) أي ما يحضر بهاله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أي ونحن أقرب الى الانسان من العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن بعلمنا بحاله وبنفوذ قدرتنا فيه يجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) فاذ منصوب بأقرب أي فانه أقرب الى الانسان من عرقه المخالط له في وقت أخذ الملكين الحافظين منه قوله وفعله فلهم اعن اليمين مقاعد ودعن الشمال مقاعد وفي هذا اشارة الى ان المكلف غير متردد

سدى ويقال وقت ما يتلقاه المتلقيان يكون عن يمينه وعن شماله قعيدا فالتلقيان على هذا الوجه هما
 الملكان اللذان يأخذ روحه من ملك الموت أحدهما يأخذ أرواح الصالحين وينقلها إلى السرور وإلى يوم
 النشور والآخر يأخذ أرواح الطالحين وينقلها إلى الثبور وإلى يوم النشر من القبور أى فهذان الملكان
 ينزلان إلى الإنسان وعنده ملكان كاتبان لهما قاعدان عن يمينه وشماله فوق ثلثيها ما أياهما
 يسألانهم عن أى النوعين كان هذا الإنسان فإن كان من الصالحين يأخذ روحه ملك السرور ويرجع
 إلى الملك الآخر مسرورا وإن كان من الطالحين يأخذها ملك العذاب ويرجع إلى الآخر محزونا (ما يلفظ
 من قول) أى ما رعى الإنسان المكاف به من فيه من خير أو شر (اللايه رقيب عتيد) أى اللاديه ملك
 يحفظ قوله ويكتبه وملك يربى الكتابة ما أمر به من الخير أو الشر فكل من كتاب الحسنات وكتاب
 السيئات يقال له رقيب عتيد وقرى ما يلفظ على البناء للفعل (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى جاءت
 سدة الموت الداهية بالعقل بالموت كأن سدة الموت تحضر الموت كما قرى وجاءت سكرة الحق بالموت أو يقال
 والمراد من الحق هو الدين فالمعنى وأظهرت سكرة الموت الدين إذ ما من أحد في تلك الحالة إلا وهو يظهر
 الإيمان لكنه لا يقبل إلا من سبق منه ذلك (ذلك ما كنت منه تحيد) أى ذلك الموت ما كنت تفر منه
 أيها السامع (وتفخ في الصور) هي نفخة البعث فقوله تعالى وجاءت سكرة الموت إشارة إلى الامانة وقوله
 تعالى وتفخ في الصور إشارة إلى الاحياء والاعادة (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك الزمان يوم وقوع الوعيد
 وهو العذاب الموعود (وجاءت) في ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى ملك يسوق البر إلى الجنة
 والفاجر إلى النار (وشهيد) أى كاتب فإنه يشهد عليها بعملها ويقال (لقد كنت) أيها الشخص
 في الدنيا (في غفلة من هذا) أى اليوم فأمّن أحد الأوله غفلة فأمّن الآخرة وقرى كنت بكسر التاء باعتبار
 تأنيث النفس (فكسفة ناعنك غطاءك) أى أرنا ناعنك غفلة (فبصرك اليوم حديد) أى نافذ
 وكان من قبل كليلًا وقرى بكسر الكاف في المواضع الثلاثة (وقال قرينه هذا ما لى عتيد) أى قال
 الشيطان الذى زين له العصيان هذا العصيان هو الذى عندي معد لجهنم أو قال الملك الذى يكتب أعماله
 هذا الكتاب مكتوب عندي مهيا للعرض قال تعالى خطا بالسائق والشهيد (القيافي جهنم كل
 كفار) وقرأ الحسن ألقي بنون التوكيد خطاب لواحد من خزنة النار (عنيد مناع الخير معتد مريب)
 أى ألقى في جهنم كل كافر بالله معاند ياتى مانع الناس من اتباع رسول الله ومن الانفاق على من عنده
 ظالم بالايذاء وكثرة الهذاء شاك في اليوم الآخر فلا يظن ان الساعة قائمة فكل كافر هو موصوف بهذه
 الصفات (الذى جعل مع الله الهاء آخر فالقياء في العذاب الشديد) وقوله تعالى الذى مبتدأ يشبه الشرط
 في العموم ولذا دخلت القاء في خبره ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو الذى جعل ويكون فالقياء
 تأكيذا لالقياء الاول (قال قرينه ربنا ما أطغيته) أى ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا أطغاني
 شيطان فيقول الشيطان متبرا منه ربنا ما أضللتك (ولكن كان في ضلال بعيد) أى عن الحق وقال ابن
 عباس لما يقول الكافر يارب ان الملك زاد على في الكتابة فكاتب على ما لم أقول وما لم أفعل ومجلى بالكتابة
 حتى نسيت قال الملك الذى يكتب عليه سيئاته ربنا ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل وما عجلته
 بالكتابة ولكن كن في ضلال طويل لا يرجع عنه إلى الحق (قال) تعالى خطا بالكافرين وقرناهم
 (لا تتصموا لى) أى في موقف الحساب والجزاء (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى بالتهديد في دار
 الكسب في كتبى وعلى السنة رسلى حيث قلت لكم اذا اتبعتم الشيطان تدخلون النار وقد اتبعتموه

(ما يبدل القول لدى) أى ما يغير الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم في هذا الموقف (وما أنا بظلام للعبيد) أى وما أنا بعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم (يوم نقول لجهنم) وقرى يقول بالياء (هل امتلأت) أى قدامت لآت كما وعدت لك وهو استفهام تقرير والمراد الاخبار عن امتلاء جهنم (وتقول هل من مزيد) أى قدامت لآت فليس في مكان رجل واحد لم يمتلئ فهو استفهام انكار أى لما خاطب الله جهنم بصورة الاستفهام أجابته بصورة الاستفهام أيضا ومرارها الاقرار بامتلائها أو استفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى الامر أى زنى يارب (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) أى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي قر باحقية بحيث يشاهدونها من الموقف أو قربت تقريب حصول لانها آتال بكامة طيبة وحسنة (هذا) أى الجنة (ما توعدون) في الدنيا وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة (لكل أبواب) أى مقبل الى الله وهذا يدل كل من المتقين (حفيظ) أى حافظ لامر الله في الخسوات (من خشى الرحمن بالغيب) حال من المفعول أى غائب عن الخاشي ومن يدل من كل أو خبر مبتدأ ضمير أى هم من خشى الخ والخشية من عظمة الخشى والخوف من ضعف الخاشي (وجاء بقلب منيب) أى برى من الشرك يقول الله تعالى لهم (ادخلوها) أى الجنة (بسلام) أى بسلامة من عذاب الله تعالى أو بسلام على من فيها فلا تتركوها حسن عادتكم (ذلك يوم الخلود) أى ذلك الزمان يوم خلود أهل الجنة في الجنة (لهم ما يشاؤون فيها) من فنون المطالب (ولدينا مزيد) هو مالا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات وقيل ان السحابة تمر بأهل الجنة فتطهرهم الحور فتقول نحن المزيدي الذي قال تعالى ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قومك (من قرن هم أشد منهم) أى من قومك (بطشا) أى قوة (فانقبوا في البلاد) أى خروا فيها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت (هل من محيص) أى هل لهم مخاص من أمر الله تعالى (ان في ذلك) أى في اهلاكهم (لذكرى) أى لعظة (لمن كان له قلب) أى قلب واع سليم يتفكر في الامور كما ينبئ بذكائه (أو ألقى السمع) الى ما يتلى عليه من الوحي الدال على ما جرى عليهم (وهو شهيد) أى حاضر بظننته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (في ستة أيام) أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة (وما مننا من لغوب) أى وما أصابنا من تعب قيل هذه الآية نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم (فأصبر على ما يقولون) من حديث التعب بالاستلقاء قال الرازي والاقرب والظاهر ان المراد بهذه الآية الرد على المشرك في انكار البعث والاستمدلال بخلق السموات والارض وما بينهما ما في اثبات البعث وعلى هذا فالمعنى فأصبر على ما يقولون هذا شيء عجيب أى هذا الذي يقول محمد نبعث بعد الموت شيء عجيب (وسمع بجمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل ففسجهم وأدبار السجود) أى نزه الله تعالى عن الشرك وعن العجز عن الممكن الذي هو البعث وذكروهم بعظمة الله تعالى في وقت اجتماعهم وهو قبل الطلوع وقبل الغروب وأول الليل أى عقب سجودك نزه ربك بالبرهان عند اجتماع القوم ليحصل لك العبادة بالسجود والهداية اذ بار السجود ولا تسأم من تكذيبهم أياك وامتناعهم من استماع وعظك ويقال صل حامدا ربك الصلوات الخمس والنوافل بعد المكتوبات وشغل رسول الله أمران عبادة الله وهداية الخلق فاذا هداهم ولم يمتدوا قيل له أقبل على شغلك الآخر وهو

عبادة الله واجعل كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له وقرأ نافع وابن كثير وحزمة اديبار بكسر
 الهمزة والباقون بالفتح (واستمع) لما يوحى اليك من أحوال القيامة (يوم ينادى المناد من مكان قريب)
 بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء قيل يقف المنادى اسرافيل أو جبريل على صخرة بيت المقدس قال
 الشهاب والاصح ان المنادى جبريل والنافع اسرافيل فيقول المنادى أيتها العظام البالية واللحوم المتفرقة
 والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن عن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أى
 بالبعث فيوم بدل من يوم أول وبالحق اما حال من الواو أى يسمع الخلق كلهم نفخة البعث ملتبسين باليقين
 أحوال من الصيحة أى يسمعون النفخة الثانية ملتبسة بالخروج من القبور (ذلك) أى يوم النداء
 وسماع صيحة النفخ (يوم الخروج) من القبور (انفخن نفخي ونفخت) فى الدنيا من غير ان يشاركنا
 فى ذلك أحد (والينا المصير) أى الرجوع فى الآخرة للجزاء (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أى
 مسرعين فى خروجهم من الأرض وتشقق يكون عند الخروج منها فسرعا حال من الغهير فى عنهم ويوم
 بدل من يوم الاول أو ظرف للصير أو ظرف للخروج وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر تشقق بتشديد الشين
 والباقون بالتخفيف وقرى تشقق على البناء للفعول وقرى تنشق (ذلك حشر علينا يسير) أى ذلك
 الاخراج بشقيق الأرض أحياء وجمع هين علينا الحساب والجزاء فكيف ينكره منكر (نحن أعلم بما
 يقولون) من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة بثبوت البعث (وما أنت عليهم بحبار) أى بسلط
 ان تقصرهم على الاعيان وانما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وقرأ ورش باثبات الياء
 بعد الدال بالوصل وقوله تعالى نذكر إشارة الى ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مرسل مأمور بالتذكير
 وقوله تعالى بالقرآن إشارة الى أنه أنزل عليه القرآن وقوله تعالى وعيد إشارة الى اليوم الآخر وخير المتكلم
 فى قوله تعالى وعيد يدل على الوحدة أى انما يقبل عظمتك من يخاف عذابى فى الآخرة

(سورة الذاريات مكية ستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف

ومائتان وتسعة وثمانون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا) أى والرياح التى تذر والتراب وغيره وتهب فى منازل القوم
 (فالحماملات وقرا) أى فالسحب الحاملة للطر (فالجاريات يسرا) أى فالسفن الجارية فى البحر
 جريا ذائسرا (فالمقسمات أمرا) أى فاللائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها
 وهذا التفسير هو ما روى عن على رضى الله عنه وقال الرازى والاقرب الى هذه الامور الاربعة
 صفات أربع للرياح فالذاريات هى الرياح التى تنشى السحاب أولا والحماملات هى الرياح التى تحمل
 السحب التى هى بخار المياه التى اذا ماحت جرت السيول العظيمة وهى أوقار أثقل من جبال
 والجاريات هى الرياح التى تجرى بالسحب بعد حملها الماء والمقسمات هى الرياح التى تفرق
 الامطار على الاقطار (انما توعدون لصادق) أى ان وعدكم بالبعث والحساب لوعد صادق
 (وان الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) أى لحاصل الحساب يستوفى والعقاب يوفى (والسما
 ذات الحمل) أى ذات الحسن أو ذات الزينة أو ذات الطرائق وهى مسير الكواكب ومسلك النظار
 (انكم) يامعشر قريش (لنى قول مختلف) أى منعكس وانكم غير جازمين فى اعتقادكم فانهم قالوا للنبي
 صلى الله عليه وسلم انك تعلم انك غير صادق فى قولك وانما تجادل ونحن نهج عن الجد فكأنه تعالى قال

لنبيه انك صادق ولست معاند ابل هم جازمون بانك صادق وانما يظهر ان الجزم بأمر لشدة عنادهم فانعكس الأمر عليهم (يؤفك عنه من أفك) قيل هذا مدح للمؤمنين أى يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ورشد الى القول المستوى وقيل ان هذا مذم أى يصرف عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والحشر من قد صرف عن الهدى وهو الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وأبى بن خلف وأمية ابن خلف ومنبه ونبيه (قتل الخراصون) أى لعن الكذابين الذين لا يجزمون بأمرهم أصحاب القول المختلف وهذا دعاء عليهم وقضى قتل الخراصين بالبناء للفاعل أى قتل الله المقدرين ما لا يحصى (الذين هم في غمرة) أى في جهالة بأمر الآخرة (ساهون) أى ظافلون عما أمروا به (يسألون) أى بنو مخزوم بطريق الاستعجال استهزاء (أيان يوم الدين) أى متى يكون يوم الجزاء الذى نعذب فيه قال تعالى (يوم هم على النار يفتنون) أى يكون ذلك يوم هم يعرضون على النار ويحرقون بها ويجوز أن يكون يوم هم خبر المبتدأ محذوف وهو مبنى على الفتح لا ضافته الى مبنى ويؤيده انه قرى بالرفع أى هو يوم هم الخ وتقول لهم الزبانية (ذوقوا فتنتكم) أى حرقتكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) بالقول بطريق الاستهزاء أو بالفعل وهو الاصرار على العناد واظهار الفساد وقوله تعالى هذا الآية داخل تحت القول المضمر وهو اما مبتدأ أو بدل من فتنتكم (ان المتقين في جنات وعيون) جارية في خلال الجنات (آخذين ما آتاهم ربهم) أى قابلين لما أعطاهم ربهم راضين به من الجنات والعيون (انهم كانوا قبل ذلك) أى قبل اعطاء الله الجنات لهم (محسنين) فى الدنيا بالقول والفعل (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) فإزائده وهذا تفسير للاحسان أى كانوا ينامون فى جزء قليل من الليل وقيل ما مصدرية ويهجعون بدل اشتغال من الواو أى كان هجوعهم من الليل قليلا أو فاعل لقليل أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم وقيل ما نافية وقليل خبر كان وعلى هذا فالوقف عليه صالح كالوقف على يهجعون والمعنى كان عدد هم قليلا لا ينامون من الليل (وبالامحارهم يستغفرون) أى هم مع قلة نومهم وكثرة صلاتهم يداومون على الاستغفار فى الامحار ويعدون أنفسهم مذبذبين لوفور علمهم بالله تعالى (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) أى هم لا يجمعون الاموال الا ويجعلونها ظرفا للفقير وفى أموالهم حق الذى يسأل العطاء من الناس وللتعفف الذى يحسبه بعض الناس غنيا فلا يعطيه شيئا فهو الذى لا يسأل ولا يعطى أى هم أوجبوا على أنفسهم بقتضى الكرم ان يصلوا بأموالهم الارحام والفقراء والمساكين (وفى الارض آيات للوقنين) أى وفى جهة السفلى دلائل واضحة للوقنين على شؤنه تعالى فان الموقن لا يغفل عن الله تعالى فى حال ويرى فى كل شىء آيات دالة على قدرته تعالى ووحدةانيته اما الغافل فلا ينتبه الا بأمر وكثرة قبيكون الكل له كآية واحدة (وفى أنفسكم) أى وفى أنفسكم آيات دالة لكم على وحدةانية الله تعالى وقدرته اذ ليس فى العالم شىء الا وفى النفس له نظير (ان لا تبصرون) أى لا تنظرون الارض وما فيها والانفس وما فيها فلا تبصرون بعين البصيرة (وفى السماء رزقكم وما توعدون) أى رزقكم ووعدكم بالجنة والنار مكتوبة مقدرة فى السماء ويقال هذا الخطاب مع الكفار فكأنه تعالى قال وفى الارض آيات للوقنين كافية واما أنتم أيها الكافرون ففى أنفسكم آيات هى أظهر الآيات تكفرون بها لطلب الرياسة وحطام الدنيا وفى السماء الارزاق فلو تأملتم حق التأمل لما تركزتم الحق لاجل الرزق فانه واصل اليكم بكل طريق ولا اجتنبتم الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل من السماء فأسباب الرزق من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك من ما هيأ الله تعالى به لنا نافع العباد هى من جهة العلو (فارب السماء والارض انه

لحق مثل ما أنكم تنطقون) أى إن ما ذكر من أمر الرزق والوعد بالثواب والعقاب لحق مثل نطقكم فكلا لاشك لكم في أنكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تشكوا في حقيقة ذلك وقرأ حمزة والكسائي وشعبة مثل بالرفع والباقون بالنصب لضافته إلى مبني وهو أنكم وما مزيدة (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) أى ألم يأتك حديث ضيف إبراهيم الذين أكرمهم بخدمة لهم وبالعجل قال عثمان بن محصن كانوا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل أخرجه أبو نعيم (أدخلو عليه) أى إبراهيم ظرف للحديث أو لما في الضيف من معنى الفعل أو للكافرين أن فسر بذلك المذكور (فقالوا سلاما) أى نسلم سلاما أو نبلغك سلاما (قال) أى إبراهيم (سلام) أى سلام عليكم أو جوابه سلام أو أمرى سلام بمعنى مسالمة لا تعلق بيني وبينكم لاني لا أعرفكم أو قولكم سلام يدل على السلامة وقرئاً رفوعين وقرأ حمزة والكسائي سلماً بكسر السين وسكون اللام وبالنصب (قوم منكرون) قال إبراهيم ذلك في نفسه كما قاله ابن عباس والمعنى هؤلاء قوم غرباء لا أعرفهم وانما أنكرهم إبراهيم عليه السلام لأنهم ليسوا من عرف من الناس (فراخ إلى أهله) أى ذهب إبراهيم إلى أهله في سرعة على خفية من ضيفه (لجاء بعجل مهن) أى فذبح فتى من أولاد البقر فذبحه فحماه إلى أضيافه (فقر به إليهم) بأن وضعه عندهم ليأكلوا فلم يأكلوا (قال) أى إبراهيم (ألأنا كانوا) من الطعام (فأوجس منهم خيفة) أى فأضمر في نفسه خيفة منهم لظن أنهم لصوص فلما علموا خوف إبراهيم (قالوا لا تخف) منا يا إبراهيم إنا رسل ربك قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمر فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بسلام عليهم) أى بولد عليهم في صغره حلیم في كبره وهو محقق أوامعيل كما قاله مجاهد (فأقبلت امرأته في صرة) أى أقبلت سارة على أهلها صالحة لأنها كانت في خدمتهم فلما تكاملوا مع زوجها بولادتها استحييت وأعرضت عنهم (فصكت وجهها) أى لطمتهم من الحياء كما حوت عادة النساء عند الاستحياء أو التهجيب (وقالت عجوز عقيم) أى قالت سارة أنا عجوز عاقرة فكيف ألد (قالوا كذلك قال ربك) أى قالت الملائكة حكيم ربك في الازل مثل ذلك القول الذي أخبرناك به ياسارة فلا تهجين منه فكذلك منصوب بقال الثانية على المصدر (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقاً وفعله متقناً إذا الحكيم هو الذي فعله كما ينبغي لعلمه مع قصد ذلك (قال) أى إبراهيم (فما خطبكم) أى فما أمركم العظيم الذي لا جله أرسلتم سوى البشارة فلعظمتكم لا ترسلون إلا في عظيم (أيها المرسلون) أتى إبراهيم عليه السلام بما هو من آداب المضيف حيث يقول لضيفه إذا استجمل في الخروج ما هذه العجلة وما شغلك الذي يغنعنا من التشرف بالاجتماع بك ولا يسكت عند خروجهم لأن سكوتهم يوههم استئصالهم (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) أى كافرين من قوم لوط (لنرسل عليهم مائة من طين) أى لننزل عليهم من السماء حجارة من طين مطبوع كالآجر بعدما قلنا قراهم قال السدي ومقاتل كانوا مائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلع قراهم وكانت أربعة ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها بأن جعل عاليها سافلها ثم أرسل عليهم الحجارة فتبعت الحجارة مسافرينهم وشدادهم أى المنفردين عن الجماعة (مسومة عند ربك للمسرفين) أى مكتوباً على كل واحد من الحجارة اسم واحد من المجاوزين الحد في الفجور وذلك انما يعلمه الله تعالى (فأخرجنا من كان فيها) أى في قري قوم لوط (من المؤمنين) بلوط لاهلاك الكافرين فان القرية مادام فيها المؤمن لم تهلك فببركة المحسن ينجو المسمى (فما وجدنا فيها) أى في تلك القرى (غير بيت)

واحد (من المسلمين) قال مجاهد كان الناجون لوطا وابنته وقال قتادة كانوا أهل بيته وقال سعيد بن
 جببر كانوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أى وتركنا في قريات قوم لوط
 علامة للمنتقم بها قيل هى حجارة منصودة فى ديارهم وهى بين الشام والحجاز وقيل هى ماء اسود منتن خرج
 من أرضهم وقيل هى نفس القرى الحربة (وفى موسى) وهذا امام عطف على فيها والمعنى وتركنا فى
 قصة موسى آية أو يقال وجعلنا فى قصة قوم لوط عبرة للثاقين حلول العذاب فلا يقتدون بفعلهم وجعلنا فى
 قصة موسى آية وامام عطف على قوله تعالى هل آتاك حديث ضيف ابراهيم وتقديره وفى موسى حديث
 وهذا مناسب اذ جمع الله كثير ابيّن ذكر ابراهيم وذ كرموسى عليهم السلام (اذا أرسلناه الى فرعون
 بساطن ميين) أى ببرهان قاطع حاج به فرعون أو بمجزة فارقة بين سحر الساحر وأمر المرسلين كاليد
 والعصا (فتولى بركنه) أى فأعرض فرعون عن الايمان به مع جنوده أو فتقوى فرعون بأقوى جنده
 وهو هامان فانه كان وزيره (وقال) فى شأن موسى هذا (ساحر) تأتبه الجن بسحره باختياره (أو
 مجنون) تقصده الجن من غير اختياره كان فرعون نسب الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى أنها حصلت
 باختيار موسى أو بغيره (فأخذناه وجنوده) أخذ غضب وقهر (فنبذناهم فى اليم) أى فأغرقناهم فى البحر
 (وهو ملهم) أى والحال ان فرعون آت بما يلام عليه من الطغيان (وفى عاد) أى وفى قوم هود حديث
 (اذا أرسلناه عليهم الریح العقيم) أى المهلك وقاطع النسل وهى الدبور (مانذر من شئ أتت عليه الا جعلته
 كالريم) أى ما ترك هذه الریح شيأمرت عليه مقصودا وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم الا جعلته مثل التراب
 أو مثل الشئ الهالك (وفى ثمود) أى وفى قوم صالح حديث (اذ قيل لهم) وقرأ هشام والكسائي
 باشعاع القاف والباقون بكسرهما (تمتعوا حتى حين) أى عيشوا وانتفعوا بالزروع والابنية وبلبن الناقة
 الى أواخر آجالكم (فمتوا عن أمر ربهم) أى فجازوا الحدف الاستكبار عن الامثال بأمر الله تعالى فقتلوا
 ناقته وأرادوا قتل نبيه صالح عليه السلام (فأخذتهم الصاعقة) أى النار التى فيها الصوت الشديد التى
 حملتها الریح فأوصلتها الى مسامعهم وقرأ الكسائي الصعقة بأسكان العين بعد الصاد بدون ألف بينهما وهى
 المرة من الصيحة المهلكة (وهم ينظرون) أى وهم يعاينون النار التى تنزل من السماء فيها رعد شديد
 ولا يقدرّون على دفعها ويقال آتاهم العذاب بعد انذارهم بحبيشه بثلاثة أيام وهم ينتظرون مجيئه (فما
 استطاعوا من قيام) أى فهجروا عن فرار من العذاب (وما كانوا متصيرين) أى متنعين من العذاب
 بأبدانهم وبغيرهم (وقوم نوح من قبل) وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي بالجر عطف على وفى ثمود على
 معنى وفى قوم نوح عبرة لكم من قبل ثمود وعاد وغيرهم ويقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح والباقون
 بالنصب على تقدير وأهلكنا قوم نوح من قبل لان ما تقدم دل على الهلاك وقرأ أبو السهالك وابن مقسم
 وأبو عمرو فى رواية الاصحى بالرفع على الابتداء وخبر المبتدأ امام قدر أى أهلكناهم أو ما بعده وهو قوله
 تعالى (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الحدود فى الكفر والمعاصي (والسما بنيناها بأيد)
 أى بقوة (وانا لموسعون) أى لقادرون ويحتمل أن يقال ان هذا اشارة الى المقصود الآخر وهو البعث
 للموتى من القبور كأنه تعالى يقول بنينا السما وانا لقادرون على ان فخلق مثلها وقيل اننا لموسعون الرزق
 على الخلق (والارض فرشناها) أى بسطناها على الماء ليستقر عليها (فتم الماهدون) أى
 فتم الغارشون نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى وخلقنا من كل جنس نوعين من الجواهر متضادين
 كالذكر والانثى أو متشاكلين فان كل شئ له نظير كالعرش والكرسى واللوح والقلم (لعلكم تذكرون)

أى لى تتعظوا فيما خلقه الله فتعلمون ان خالق الأزواج فرد لا كثرة فيه فتعبدونه وانه لا يهجز عن حشر
الاجساد والارواح (ففروا الى الله) أى اذا علمتم ان الله تعالى فرد لا نظير له وان هذه كورة شؤونه
فاهربوا اليه بالطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بشوابه (ان لكم منه) أى من الله تعالى نذير
مبين) ففي الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول والمرسل اليه فقوله تعالى لكم اشارة الى المرسل اليهم
وقوله تعالى منه اشارة الى المرسل وقوله تعالى نذير بيان للرسول وقوله تعالى مبين اشارة الى ما تعرف به
الرسالة لان كل حادث له سبب فلا بد للرسول من علامة يعرف بها وهي اما البرهان أو المعجزة (ولا تجعلوا
مع الله الها آخر) بل وحدوا الله فان التوحيد بين التعطيل والتشريك فالمعطل يقول لا اله الا الله والمشرک
يقول ان في الوجود آلهة فقوله تعالى ففروا الى الله أثبت وجود الله وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر
نفي الاكثر من الواحد فصح التوحيد بالآيتين ولهذا قال الله تعالى مرتين (انى لكم منه نذير مبين) أى
لا أقول شيئا لا بدليل ظاهر فارسل نذير من الله في المقامين عند الامر بالطاعة وعند النهي عن الشرك
وذلك ليعلم ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يغوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) خبر مبتدا
محذوف وقد فسر هذا الابهام بما بعده أى الشأن مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو
مجنونا (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) أى ما أتى الامم الاولين رسول من رسل
الله الا وقد قالوا فى حقه هو ساحر أو مجنون (أتوا صوابه) وهذا استفهام للتجيب والتوبيخ والانكار
أى أتوا صابى هذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه كأن بعضهم قال لبعض لا تقولوا الا هذا القول أى
كيف اتفقوا على قول واحد كأنهم توافقوا عليه أى ما وقع منهم وصية بذلك لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد
(بل هم قوم طاغون) أى لم يكن ذلك عن التواطؤ وانما كان لعنى جامع هو ان الكل استغنوا بالاموال
ففسوا الله وجاوزوا الحد فى العصيان فكذبوا رسلهم (فتول عنهم) أى فاعرض يا أشرف الخلق عن
جدالهم بعدما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا العناد (فما أنت بالوم) أى لا تحزن فانك لست بعلوم بسبب
التقصير منك وانما هم المومنون بالاعراض والعناد (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى ولا تدع
العظة فانها تزيدهم المؤمنين قوة فى يقينهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى الا ليعبدوا بالعبودية
طوعا أو كرها كما قاله ابن عباس أى فان الكافرين يقرون للعبودية وهو اظهر التذلل بالخلة الدالة على
وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم عابدون بهذا الاعتبار أو
الا لآمرهم بالعبادة كما نقل عن علي بن أبى طالب وهي التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فان هذين
النوعين لم يخل شرع منهما واللام لام الحكمة والسبب شرعا وقال مجاهد الا ليعرفون أى لانه تعالى لولم
يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن ربه كنت كنزا مخفيا فأردت
ان أعرف خلقت الخلق لا أعرف اه وعبر بالعبادة عن المعرفة لانها وسيلة الى المعرفة أى ان الله خلق
الخلق مستعدين لمعرفة مع كونها مطلوبة منهم (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) أى لست
كالسادة فى طلب العبادة بل هم الرابحون فى عبادتهم والعبيد على قسمين قسم منهم يكون للعظمة كما ليلك
الملوك فالملك يطعمهم ويسقيهم ويعطيهم الاطراف من البلاد والطراف بعد التلاذد وقسم منهم لا ينتفع
بهم فى تحصيل الارزاق ولا صلاحها فليتفكروا فى أنفسهم فى كونهم مخلوقين للعبادة هل هم من نوع ان
يطلب منهم تحصيل رزق أو هم عن يطلب منهم اصلاح قوت كالطباخ والحوانى الذى يقرب الطعام وليسوا
من هذا القسم بل هم عبيد من القسم الاول فينبغى أن لا يتركوا التعظيم لأمر الله (ان الله هو الرزاق

ذوالقوة المتين) أى الثابت الذى لا يتزلزل فلا يطلب الرزق لغناه عمن عباد الله فانه يرزقهم ولا يطلب منهم ان يعينوه على الارزاق لانه تعالى قوى وقرئ انا الرزاق وقرأ ابن محيصن هو الرزاق كما قرأ وفى السماء رزقكم وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش المتين بالجر (فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم) بفتح الذال أى اذا عرفت حال الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان لهؤلاء المكذبين من كفار مكة نصيباً وافر من العذاب مثل نصيب نظرائهم من الامم السابقة (فلا يستجلبون) أى فلا يطلبوا منى ان أعجل فى المحي بالعذاب فلا يأتى الاجل ما لم يفرغ الرزق (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) أى فالسدة من العذاب لكفار مكة من أجل يومهم الذى يوعدون العذاب فيه وهو يوم بدر كما هو الاوفق لما تقدم أو يوم القيامة وهو الانسب بما فى أول السورة الآتية

﴿ سورة الطور مكية تسع وأربعون آية وثلاثمائة واثنان عشرة كلمة
وألف وخمسمائة حرف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والطور) أى طور سينين وهو جبل عدين مع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى واسم هذا بئر أقسم الله به (وكتاب مسطور فى رق منشور) أى كتاب مكتوب فى كاغذ مبسوط غير مطوى وغير مختوم عليه وهو القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف ويقرؤه الملائكة من الألواح المحفوظة أو هو التوراة المكتوبة فى الألواح التى أنزلت على موسى (والبيت المعمور) وهو اما الكعبة وهو بيت معمور بالناس الطائفين به العاكفين بعمرة الله كل سنة بستمائة ألف فان عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة أو الضراح وهو فى السماء بجبال الكعبة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبداً (والسقف المرفوع) فوق كل شئ وهو السماء وقيل العرش فانه سقف الجنة (والبحر المسجور) أى الممتلى وهو بحرف فوق السماء السابعة تحت عرش الرحمن يسمى بحر الحيوان يعطر العباد منه بعد النفخة الاولى أربعين صباحاً فينبئون فى قبورهم ويقال هو بحر حار يصير ناراً روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً يسبح بها نار جهنم (ان عذاب ربك لواقع) أى لنازل بشدة على مستحقه يوم القيامة (ماله) أى العذاب (من دافع) عنه (يوم تمور السماء مورا) أى يوم تخرج السماء عن مكانها وتدور بأهلها دورانا كدوران الراى وتخرج الخلائق بعضهم فى بعض من الهول فى يوم معمول لواقع أول دافع أى ليس له دافع يوم تمور السماء (وتسير الجبال سيرا) أى تزول الجبال عن وجه الارض وتطير فى الهواء ثم تقع على الارض مفتة كالرمل ثم تصير كالصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثوراً (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) أى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فشد عذاب اذا للمكذبين للرسائل الذين هم يلهون فى أباطيل فأفعالهم مثل أفعال الخائض فى الماء فهو لا يدري أين يضع رجله (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) ويوم اما ظرف لقول مقدر بعده أى يوم يدفعون اليها دفعاً عنيفاً يقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا وذلك ان خزنة جهنم يغلقون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون دفعاً على وجوههم وزجافى أفقيتهم ويقولون لهم تو بئنا هذه النار الخ زاما بديل من يومئذ والمعنى فويل يوم يقع العذاب للمكذبين وهو يوم يدعون أى المكذبون الى النار والعامية على فتح الدال وتشديد العين مضمومة وقرأ على والسلى وأبور جاء وزيد بن على بسكون الدال وفتح العين فيكون دعا

حالا من الواو أي يوم ينادون مدعوين بان يقال لهم هلموا الى نار جهنم فادخلوها وتقول لهم الحزنة هذه
 النار (أفسهروا هذا أم أنتم لا تبصرون) أي أفضدا العذاب الذي ترونه مكرها كنتم تقولون في الدنيا
 للأنبياء هم محررة أم أنتم هم عن الخبر عنه كما كنتم عيبا عن الخبر أي هل في المرقى شك أم هل في بصركم
 خلل فالذي ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق (اصلوها) أي ادخلوها النار وقاسوا شداؤها
 (فاصبروا ولا تصبروا) أي فافعلوا ما شئتم من الصبر على عذاب النار وعدمه (سواء عليكم) أي صبركم
 عليه وتركه سواء عليكم في عدم النفع (انما تجزون ما كنتم تعملون) فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع
 بحسب اوعدا كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع (ان المتقين في جنات ونعيم) دائم (فاكهن بما آتاهم
 ربه) أي متلذذين بما أعطاهم ربه وقرأ الحسن وغيره فكهين بغير ألف أي مهجين وقرئ فاكهون
 على انه خبر ان أي ذو وفا كهة كثيرة بسبب اعطاهم ربه ما آتاهم تلك (ووقاهم ربه عذاب الجحيم) عطف
 على ما آتاهم أي انهم ناعمون بامر الله بما آتاهم ربه وبأنه وقاهم أو عطف على في جنات فالعنى ان المتقين
 أدخلهم ربه جنات ونعيم ما وقاهم عذاب الجحيم فيقول الله لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أي بلا تعب في
 تحصيل الطعام والشراب وبلاداء في تناولها ما بلا خوف نفاد ولا اثم (بما كنتم تعملون) فلان
 عليكم في هذا اليوم وانما منى عليكم في الدنيا اذ هديتكم وفقتمكم للاعمال الصالحة لان هذا انجاز الوعد
 (متكئين على سرر مصفوفة) حال من الضهير المستكن في خبر ان أي كائنون في جنات حال كونهم متكئين
 على غارق على سرر موصولة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين) أي بنساء يبيض عظام الاعين
 فقوله تعالى وزوجناهم عطف على خبر ان وهو اشارة الى ان الزوج هو الله تعالى فهو تعالى يتولى الطرفين
 يزوج عبده بامائه ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العبيد والاماء فهو اشارة الى ان الحور العين
 في الجنات ما كانت تلك العين لا يملك المسكاح وانما عدى بالباء اشارة الى ان المنفعة في التزويج هنا للرجال
 فقط فانما زوجوا للذاتهم بالحور لا للذات الحور ربه م وأيضاً في التزويج معنى الا لصاق وفي الباء كذلك
 فكان المعنى جعلناهم ملصقين بحور من غير عقد منهم وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته
 وقرئ بعيس عين (والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان الحقناهم ذريتهم) والموصول مبتدأ
 خبره الحقناهم وقرأ أبو عمرو واتبعناهم ذريتهم بايمانهم ذريتهم بايمانهم ذريتهم بايمانهم ذريتهم
 والباقيون واتبعناهم باسناد الفعل الى الذرية و بهمة وصل وقرأ نافع ذريتهم بالافراد في الاولى والجمع في
 الثانية وقرأ ابن كثير والكوفيون بالافراد فيهما وأبو عمر بالجمع فيهما مع النصب بالكسرة وابن عامر
 بالجمع فيهما والرفع في الاولى والنصب بالكسرة في الثانية والذرية هنا محمولة على الآباء والابناء معا أي
 ان المؤمن اذا كان عمله أكثر الحق به من دونه في العمل ابنا كان أو أباً بسبب الايمان كما هو منقول عن ابن
 عباس وغيره والله تعالى اتبع الولد الوالد في الايمان ولم يتبعه أباه في الكفر بدليل ان من أسلم من
 الكفار حكمه باسلام أولاده الصغار ومن ارتد من المسلمين لا يحكم بكفر ولده كما روى ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فالأب
 داخلون في اسم الذرية ويحقق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كل من معها أخذ علم أو عمل
 كانت أجد رفته كون ذرية الافادة كذرية الولادة لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب (وما ألتناهم
 من عملهم من شيء) أي ومائة صنفاً شياً من درجة الاعلى لاجل الحاق الادنى به وهذا ازالة وهم المتوهم
 ان ثواب الاعلى يوزع على من دونه وقرأ ابن كثير ألتناهم بكسر اللام والباقيون بفتحها وقرأ ابن هريرة

آلتناهم بعد الهزيمة وقرى لتناهم بكسر اللام ولتناهم بالفتح (كل امرئ بما كسب رهين) أى كل امرئ
مرهون عند الله تعالى بعمله فان عمل صالحا فكل نفسه والا أهله كلها فالعمل بمنزلة الدين الثابت حيث ان
العبد مطالب بذكر العمل خيرا أو شرا ويقال كل امرئ بما كسب دأثم فان أحسن في الجنة مؤثما وان
أسوأ في النار مخلدا (وأمددناهم بغاكة ولحم عايشتهون) أى زدناهم على ما كان لهم وقتنا بعد وقت
بأنواع الفواكه وأنواع اللحمان عايشتهون فكل واحد من أهل الجنة يعطى في الجنة ما يشتهى وان لم
يطلبه (يتنازعون فيها كأسا) أى يتعاطون في الجنة خمرهم وجلساؤهم بكل الاشتهى أو يتجاذب
بعضهم اناه الخمر من بعض في شربها تتجاذب ملاعبسة لا تتجاذب محاصصة وهو المؤمن وزوجاته وخدمته
(لا لغوف فيها ولا تأثيم) أى لا كلمة لغو ولا اثم يسبب شربها أى بسبب زوال العقل ونهوض الغضب وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو بالبناء على الفتح في الاسمين والباقون بالرفع (ويطوف عليهم) بالكؤوس وغيرها
من التحف للخدمة (غلمان لهم) هؤلاء الغلمان يخلقهم الله في الجنة كالخوثر ولذلك لم يقل تعالى غلمانهم
وانما قال غلمان لهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيخاف كل من خدم أحدا في الدنيا
ان يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا (كأنهم) في بياضهم وشدة صفائهم (لؤلؤ مكنون)
مخزون مصون من الحر والبرد (وأقبل بعضهم على بعض) في الزيارة (يتساءلون) أى يسأل كل
بعض منهم بعضا آخر عن أمر الدنيا وعن نعيم الجنة (قالوا) أى قال كل منهم (انا كنا قبل
دخول الجنة (في أهلنا مشفقين) أى خائفين على قواف الدنيا والخر وج منها ومفارقة الاخوان
فأخطأنا في ذلك وقوله تعالى في أهلنا متعلق بمحذوف حال من الضمير في مشفقين أى حال كوننا بين أهلنا
في الدنيا وبين أهلنا قبل أى في وقت اجتماعنا مع أهلنا (فن الله علينا) بالمغفرة ودخول الجنة (ووقانا
عذاب السعير) أى عذاب النار وقال ثعلب السعير شدة الحر أو شدة البرد في النهار (انا كنا من قبل
أى من قبل هذه الرحمة أى في الدنيا (ندعوه) أى نسأله الحفظ من العذاب ونعبده (انه هو البر) أى
الصادق في وعده لنا المحسن اليانا (الرحيم) بعباده المؤمنين وقرأنا نافع والكسافى بفتح هـ زانه على تقدير
كون اللام ملفوظا بها والباقون بكسرها اسمة ثنافية على معنى التعليل (فذكر) أى عظم يا أشرف الخلق
رفعا أنت بنعمة ربك) بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) أى فلا تتغير ولا تتبع أهواءهم
لقولهم لك أنت كاهن تخبر عما في الغد ومجنون (أم يقولون) أى بل يقولون أى كفار مكة هو (شاعر)
يتقول الكلام من تلقاء نفسه (نتر بص به ريب المنون) أى ننتظر بذلك الشاعر تقلبات الزمان ونزول
الموت فانه ان كان شاعرا فصرف الزمان قد تضعف ذهنه فيتمين كساد شعره وقالوا أيضا نتر بص موته
فان أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كوت أبيه فلا نعارضه الآن مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وجملة
نتر بص به نعت لشاعر (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الكفار (تر بصوا) أى انتظروا موتى وهذا
أمر تهديد (فاني معكم من التريصين) أى فاني أتر بص هلاككم وقد أهلكوا في يوم بدر وفي غيره
من الايام ويقال ان معنى هذه الآية انى أخاف الموت ولا أتمناه لانفسى ولا لاحد وانما أنا نذير فتر بصوا
موتى وأنما تر بصوه ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تتمون بعدى (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم
طاغون) أى أم تأمرهم عقولهم بهذا المقال المتناقض فانهم قالوا في حق الرسول هو كاهن مجنون شاعر
فان الكاهن ذو دقة نظر في الامور والمجنون محتمل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق فكيف يحتمل
أوصاف هؤلاء في واحد بل أهم قوم مجاوزون الحدود في العناد لا يحومون حول السداد ولذلك يقولون

اكاذيب خارجة عن دائرة العقول وقرئ بل هم (أم يقولون تقوله) أى بلى يقولون كذب محمد في القرآن من عند نفسه وليس يشعروا كهانة ولا جنون (بل لا يؤمنون) بالقرآن استكباراً (فليأتوا بحديث مثله) أى لا يجيئوا بكلام مثل القرآن في البلاغة وحجة المعاني والاخبار بالمغيبات من تلقاء أنفسهم فأنهم مثل محمد في البشرية والعربية (ان كانوا صادقين) فيما قالوا فان صدقهم في ذلك يستلزم قدرتهم على الاتيان بمثله فغيهم الشعراء البلغاء والكهنة الاذكياء ومن يرتجل القصائد ويقص القصص (أم خلقوا من غير شيء) أى أوجدوا من غير خالق فلذلك ينكرون القول بالتوحيد لا انتفاء الايجاد وينكرون الحشر لا انتفاء الخلق الاول وقال ابن كيسان أم خلقوا غير شيء من عبادة وجزاء فخلقوا عبثاً وتركوها سدى فلا إعادة وقيل أى من غير أب وأم فهم كالجماد لا يعقلون ولا يقيم الله عليهم حجة أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة (أم هم الخالقون) لانفسهم فلا ياتعرون لامر الله ولا يعبدون الله وهم لا يقولون ذلك اذا أقروا انهم خالقوا غيرهم فالذي يمنعهم من الاقرار له بالعبادة ومن الاقرار بأنه قادر على البعث (أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون) فأم للاستفهام الانكارى بمعنى النفي أى ما خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون بأن الله واحد فاداسئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والامام اعرضوا عن عبادته أى لما ينشأ من ايقانهم بالله أثر وهو الاقبال على عبادته جعل ايقانهم كالعدم فنفى عنهم وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى انهم كما طعنوا فيك يا أئمة فخلق طعنوا في خالقهم (أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه) وأم استفهام انكارى أى أعندهم خزائن رحمة الله حتى يرزقوا النبوة من شاءوا أو أعندهم خزائن علم الله بالغيب حتى يختاروا النبوة من شاءوا أم هم الغالبون على الامور يدبرونها كيف شاءوا أم لهم مصعد الى السماء يستمعون ما يوحى الى الملائكة من علم الغيب حتى يعلموا ان محمد ليس برسول وان كلامه ليس برسل أى أنتم لستم بخزنة الله ولا بكتبة الخزانة المسلمين عليها ولا أنتم اجتمعتم بهم لانهم ملائكة ولا صعود لكم اليهم (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى اذا ادعوا الاستماع من الملائكة فليأت مدعى الاستماع بحجة واضحة تصدق دعواه (أم له البنات ولكم البنون) أى أنتم همون ان الله تعالى البنات ولكم البنون خاصة لتكونوا أقوى منه تعالى فتكذبوا رسوله وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه وضعفه وقوتكم (أم تسألهم أجراً) أى أجر الدنيا من مال أو غيره على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم لذلك الاجر من التزام غرامة يحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى هل عندهم علم ما غاب عنهم يكتبون ما غاب عنهم حتى يمكنهم منازعة محمد أى هل صاروا في درجة محمد حتى استغنوا عنه وأعرضوا (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون) والمعنى أهدىهم لوجه الله أم تسألهم أجر افتتنقلهم فيمتنعون عن الاتباع أم عندهم الغيب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عنك أم ليس لهم شيء من هذين الامرين بل يريدون العذاب بغتة من حيث لا يشعرون فالذين كفروا معذبون (أم لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون) أى عن الذين يشركون من الولا ومن مثل الآلهة لانهم كانوا يقولون البنات لله وكانوا يقولون هو تعالى مثل ما يعبدونه (وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحب مراكوم) أى لو عذبنا كفار مكة بنزول قطع من السماء عليهم لم يمتنعوا عن طغيانهم ولم يرجعوا عن عنادهم ولما وافى هذا النازل اغاظة لمحمد هذا سحب تراكب بعضه على على بعض عطرنا ولم يصدقوا أنه قطعة نازلة للعذاب (فذرهم) أى اذا تبين أنهم لا يرجعون عن الكفر

فأتركهم على شرأحوالهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أى يهلكون بالقتل يوم بدر وقرئ
يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء مبنيًا للأفعول وباقي السبعة بفتحها مبنيًا للفاعل وقرأ أبو
عبد الرحمن بضم الياء وكسر العين (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً) أى يوم لا يدفع عنهم مكرهم في
مناصبتهم يوم بدر شيئاً من الهلاك (ولاهم نصرون) أى ولا ينعون من القتل والأمير النازلين بهم في
ذلك اليوم (وان للذين ظلموا) أى ان لهؤلاء الظلمة بعبادتهم الاوثان (عذابا دون ذلك) أى قبل
ملاقوهم من القتل يوم بدر وهو القبط الذي أصابهم سبع سنين وقرئ دون ذلك قريباً (واكن أكثرهم
لا يعلمون) أن العذاب يلاقوه (واصبر لحكم ربك) بأبقتك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان (فانك
بأعيننا) أى بنظر منا وفي حقهظنا (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من موضعك أى حين تعزم على
القيام وقد ورد في الخبر ان من قال سبحان الله من قبل أن يقوم من مجلسه يكتب ذلك كفارة لما يكون قد
صدر منه من اللغو واللغو في ذلك المجلس (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه أشق على النفس وأبعد
عن الرياء (وادبار الجوم) أى وقت الصبح حين يذهب ضياؤها بضوء الشمس

* (سورة النجم مكية ثنتان وستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف
وأربعمائة وخمسة أحرف) *

(بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى) أى والقرآن اذا نزل وهذا استدلال بمجزة النبي صلى الله عليه
وسلم الدالة على صدقه أو والنجوم التي هي ثابتة في السماء لانه اذا سقطت الى أسفل وفائدة تقييد
القسم بالنجم بوقت هويته انه اذا كان في وسط السماء لا يمتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من المغرب
ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال (ماضل
صاحبكم) أى ما عدل سيدكم يا معشر قريش عن الطريق المستقيم أو ما جن مصاحبكم محمد (وما غوى)
أى وما اعتد باطلا قط بل هو رشيد مرشددال على الله تعالى (وما ينطق عن الهوى) أى لم يتكلم
بالقرآن عن هوى نفسه وعن رأيه أصلاً (ان هو الا وحى يوحى) أى ما القرآن الا وحى من الله يوحى أى
يجدد ايجازاً اليه صلى الله عليه وسلم وقتا بعد وقت ويقال في معنى هذه الآية ما جن محمد وما مسه الجن فليس
بكاهن وليس بينه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر وما قوله الا وحى وليس بقول كاهن ولا شاعر (علمه
شديد القوى) أى علم النبي الوحي ملك شديد القوة بالبدن وهو جبريل عليه السلام روى أنه جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما بعثت الى نبي قط أحب الى منك ألا أعلمك أسماء من أسماء الله عز
وجل هن أحب أسمائه أن يدهى من قل ياتو السهوات والارض يا جبار السماوات والارض يا حماد
السهوات والارض يا يسع السماوات والارض يا قيام السماوات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريح
المستصرخين يا غياث المستغيثين يا منتهى العابدين يا أرحم الراحمين فيزول بك كل حاجة
(ذومرة) أى قوة في العقل (فاستوى) والغاء للسببية أى فاستقام جبريل على صورته الحقيقية التي
خلقها الله تعالى عليها فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بجوار مقر مغشياً عليه دون الصورة التي كان
يتشمل بها كلما هبط الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي وذلك ان رسول الله أحب أن يراه في صورته
التي جبل عليها فان التشكل بشكله الذي فطر عليه يتسبب عن شدة قوته وقدرته على الخوارق (وهو
بالافق الاعلى) أى والحال أن جبريل في الجانب الشرق فسد المشرق لعظمته وقال الرازي والظاهر

أن المعنى ارتفع محمد بالمكان وهو بالمكان الاعلى رتبة في رفعة القدر للاحقية في الحصول في المكان فانه
صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية وصار نبيا وهو وصل الى الافق الاعلى الفارق بين المتزلتين (ثم دنا) أى
بعد ما مد جبريل جناحه وهو بالافق الاعلى عاد الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليه وقرب من النبي
صلى الله عليه وسلم (فتدلى) أى فتزل من الافق الاعلى الى النبي صلى الله عليه وسلم فضمه الى نفسه
وجعل يسمع الغبار عن وجهه حتى أفاق وسكن روعه صلى الله عليه وسلم ويقال دنى جبريل من النبي
فبقى متدليا من الهواء واقفا بين السماء والارض فان التدلى هو التعلق من الهواء (فكان قاب قوسين
وأدنى) أى فكان مقدار ما بين جبريل والنبي مقدار قوسين بل أقرب من ذلك بنصف قوس (فاوحى
الى عبده ما أوحى) أى فأوحى الله الى جبريل ما أوحى جبريل الى كل رسول فان جبريل أمين لم يخن في
شيء مما أوحى اليه (ما كذب الفؤاد ما رأى) أى صدق فؤاد محمد فيما رأى شيئا من صورة جبريل ومن
الله تعالى ليلة المعراج ومن الآيات البهيبة الالهية أى ان قلبه صلى الله عليه وسلم لم يقل ان الرقى خيال
لاحقية له ولم يقل انه جنى أو شيطان ويحتمل أن يقال لم يكذب جنس الفؤاد ما رأى صلى الله عليه وسلم
ببصره بأن يقول كيف يرى الله وهو ليس في مكان ولا جهة وليس على هيئة أو كيف يرى جبريل مع أنه
ألطف من الهواء والهواء لا يرى فرؤية الله تعالى ورؤية جبريل على ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم جازة
عند من له قلب فالفؤاد لا ينكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة تنكره وقرأ هشام ما كذب بالتشديد أى
ان ما رآه محمد بعينه صدقه بقلبه أى ما قال فؤاده لما رآه ببصره لم أعرفك وما فعل به موصولة والعائد
مخذوف وكذا قيل في قراءة التحفيف وقيل فيه على اسقاط الخاض أى فيما رآه (أفتمارونه على ما يرى)
أى أفتجادلونه يا معشر المشركين على ما قدر أى وقرأ الاخوان أفتمارونه بفتح التاء وسكون الميم أى
أفتنكرونه وقرأ عبد الله بن مسعود والشعبي بضم التاء وسكون الميم أى أفتجادلونه شا كافيما رأى (ولقد
رآه نزل آخرى عند سدرة المنتهى) أى وبالله لقد رأى محمد جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند
شجرة نبق في السماء السابعة عن عین العرش وهو موضع لا يتعداه ملك ولا روح من الارواح قال مقاتل
وهي شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها في الارض لاضاءت لاهلها
وهي شجرة طوبى (عند حاجنة المأرى) أى الجنة التي يأوى اليها المتقون وأرواح الشهداء (اذ يغشى
السدرة ما يغشى) واذ طرف لآه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما علاها ما علاها من فراش من ذهب أو من
ملائكة يأتونها كأنهم طيور أو من أنوار الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه
لها وظهرت الانوار (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما التفت محمد الى الجراد ولا الى غيره وما جاوز الى
ما سوى الله تعالى أو ما مال محمد عن الانوار وما طلب شيئا غيرها بل اشتغل بظالماتهم أن في ذلك العالم
الحجائب ما يحير الناظر (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى من عجائب الملك والملكوت
ما لا يحيط به العبارة (أفرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى) أى ومنات المتأخرة الذليلة أى
الوضيعة المقدار وذلك لان اللات كان وثنا على صورة آدمى وهو لثقيف بالطائف أولع ريش بخمالة
والعزى صورتهما صورة شجرة حمراء لغطان ومنات صورتهما صورة صخرة كانت لحراصة ولهذيل بقديد
فلا آدمى أشرف من النبات وهي أشرف من الجماد وهو متأخر فالتات في آخريات المراتب والمعنى الماذكر
الله تعالى عظمة آياته في ملكوته وهي أن رسول الله الى الرسل الذي يسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك
المدائن بقوته لا يمكنه أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته قال أفرايتم هذه الاصنام مع حقارتها

شركاء الله مع ما تقدم ويقال أفتمظنون أن عبادتكم الآلات والعزى الأخرى ومنات الثالثة في الدنيا
 تنفعكم في الآخرة (ألكم الذكرو له الانثى تلك اذا قسمه ضيزى) أى كيف جعلتم لله تعالى بنات وقد
 اعترفتم في أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون والله كامل العظمة فكيف جعلتموه ناقصا ونسبتم
 الى أنفسكم الكامل فنسبتمكم البنات الى الله تعالى قسمة جائرة على طريقتهنكم حيث نسبتم الى أنفسكم
 الاعظم من الثقلين وأبغضتم البنات ونسبتموهن الى الاعظم وهو الله تعالى وكان على عادتكم أن تجعلوا
 الاعظم للعتيم والانعص للعتير فاذا أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التي هي لكم (ان هي الأسماء
 سميتوها أنتم وآباؤكم) أى اهذه الاصنام المذكورات الأسماء خالية عن المسميات وضعتوها أنتم
 وآباؤكم فانكم قلتم انها آلهة وليست بآلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) أى ما أنزل الله بهذه الأسماء
 من حجة فوضع الاسم لا يجوز لا بدليل نقلى أو عقلى (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس) أى
 ما يتبع الكافرون في تسمية الاصنام آلهة الا قوههم أن ما هم عليه حق والامادونه مما تشتهيه أنفسهم
 الامارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان بالكذب المنزل والمرسل أن الاصنام ليست
 بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار (أم للانسان ما تمنى) أى للانسان ما اشتهاه من شفاععة
 الاصنام وغيرها وهل له أن يعبد بالاشتهاه فيعبد ما لا يستحق العبادة (فله الآخرة والاولى) أى ان
 اختار الانسان معبودا على ما اشتهاه فيعاقبه على فعله في الدنيا والافيعاقبه في الآخرة (وكم من ملك في
 السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) أى وكثير من الملائكة مع علو
 منزلتهم لا تنفع شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله في الشفاععة فمن يشاء ويرضى وهو العابد الشاكر
 لا المعاند الكافر فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاععة كما ذكر فكيف تقبل شفاععة الجمادات (ان الذين
 لا يؤمنون بالآخرة) أى بأحوال يوم القيامة (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) ومناسبة هذه الآية لما
 قبلها هي انهم لما بين لهم أن أعظم أجناس الخلق لا شفاععة لهم الا بالاذن قالوا نحن لا نعبد الاصنام لانها
 جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها على صورها ننصبها بين أيدينا ليدكرنا الشاهد الغائب فنعظم
 الملك الذي ثبت أنه مقرب عظيم الشأن فقال تعالى رداعليهم كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية الاناث
 حيث قلتم الملائكة بنات الله (وما لهم به من علم) وهذه الجملة حال من فاعل ليسمون أى ليسمون الملائكة
 بالبنات والحال أنه لا علم لهم بما كانوا يقولون أصلا وقرى بها أى بالتسمية أو بالملائكة (ان يتبعون الا
 الظن) في ان الملائكة اناث (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) أى لا ينفع شيئا من العلم بحقيقة الشيء
 والظن يتبع في الامور المصلحية والافعال العرفية أو الشرعية عند عدم الوصول الى اليقين ومدح من حاله
 لا يعلم فالظن فيه معتبر والاخذ بظاهر حال العاقل واجب وأما في الاعتقادات فلا يغنى الظن شيئا من الحق
 فان المكلف يحتاج الى يقين يميز الحق من الباطل ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير في الحق
 ينبغى ان يكون جازما والظن لا يكون جازما ويحتمل ان المراد من الحق هو الله تعالى والمعنى وان الظن
 لا يفيد شيئا من الله تعالى فان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم
 يرد الا الحياة الدنيا) أى اترك مجادلة من أعرض عن القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين
 المذكور لا مورا لآخرة قاصرا نظره الى الدنيا وهذه الآية غير منسوخة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان
 مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أمر بالجواب عنها بالمجادلة ثم لما لم ينفع أمر
 بالاعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالبرهان أى وأمر بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المقاتلة (ذلك

مبلغهم من العلم) أى ذلك الظن غاية ما يبلغون به من الإدراك المنتظم للظن الفاسد (إن ربك هو أعلم
 عن ضل عن سبيله وهو أعلم عن اهتدى) أى إن الله أعلم عن لم يرجع إلى الهدى أصلاً وعن يقبل
 الاهتداء في بعض الأحوال وقد علم الله أنه لا يؤمن بمجرد الدماء أحد من المكافين وأغايينهم فيهم أن يقع
 السيف والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال (ولله ما في السموات وما في الأرض) أى خلقا
 وملكا والوقف هنا تام عند أبي ماتم (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) أى بعقاب ما عملوا من الضلال
 (ويجزى الذين أحسنوا) أى اهتدوا (بالحسن) أى بالثبوت الحسنى التي هي الجنة وقوله تعالى
 ليجزى متعلق بقوله ضل واهتدى كأنه تعالى قال هو يعلم عن ضل واهتدى ليجزيهما أو متعلق بقوله تعالى
 فأعرض أى أعرض عنهم ليقع الجزاء (الذين يجتنبون كبائر الإثم) وهذا الموصول بدل من الموصول
 الثاني وقراءة الكسافي كبير الإثم (والفواحش) قيل الكبائر ما وعد الله عليه بالنار صريحا
 وظاهر الفواحش ما أوجب الله عليه حد في الدنيا (الإثم) وهو ما يقصده المؤمن ولا يحققه أو ما يأتي به
 المؤمن ويندم في الحال (إن ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وهذا تنبيه على
 أن إخراج الإثم عن حكم المؤاخذه به ليس لحالوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية (هو أعلم بكم
 إذا أنشأكم من تراب فإن كان أحد أصله من التراب فإنه يصير غذاء ثم يصير دما ثم يصير نطفة وحين
 صوركم في الأرحام وهذا تنبيه على كمال العلم والفطنة فإن بطن الأم في غاية الظلمة ومن علم بحال الجنين في
 بطن الأم لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) أى إذا كان الأمر
 كذلك فلا تغفروا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصي بالكفاية على سبيل الإعجاب أو الرياء ولا تقولوا نحن
 لا نعرف حقيقة ته أنا خير منكم ولا تقطعوا أيها المؤمنون بخلاصكم من العذاب فإن الله أعلم عن أطاع
 وأخلص العمل أماً على سبيل الاعتراف بالنعمة لجائز وذلك بأن اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة
 بتوفيق الله ولم يقصد بذلك الاعتراف المدح وهذا لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة
 وذكرها شكر (أفرأيت الذي تولى وأعطى قلية لا وكدى) أى أفرأيت الذي أدبر عن الإيمان وأعطى
 شيئا قليلا من المال المسمى وقطع العطاء قيل نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة كان يجلس عند
 النبي صلى الله عليه وسلم ومع وعظه وأثرت الحكمة فيه تأثيرا قويا فقال له رجل من المشركين لم تترك
 دين آبائك فقال أخشى عذاب الله فقال له لا تخف وأعطني كذا وأنا أتحمّل عنك العذاب فتولى الوليد عن
 الوعظ وسماح الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاء الوليد بعض المشروط وبخل بالباقي فلا يفي
 بالعهد ولا يحصل بذلك حمل الوزر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أى أعنده علم بالأمور الغيبة فهو يعلم
 أن صاحبه يتحمّل عنه ذنوبه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزورا
 وزرا أخرى) أى بل لم يخبر بالخبر الذي كان في التوراة وفي صحف إبراهيم الذي بانغ في الوفاء بما عاهد الله
 تعالى أنه لا يتحمّل نفس حمل نفس أخرى أى أنه لا يؤخذ أحد بدين غيره وعن ابن عباس قال كانوا قبل
 إبراهيم يأخذون الرجل بدين غيره فكان أهل القتل إذا ظفروا بأبي القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله
 قتلوه حتى نهاهم إبراهيم عن ذلك وبلغهم عن الله أن لا تزورا وزرا أخرى (وأن ليس للإنسان إلا
 ما سعى) أى وأنه ليس للإنسان يوم القيامة إلا ما عمل في الدنيا من خير وشر فإن حسنة الغير لا تفيد نفعاً
 وإن المسي لا يجذب بسبب حسنة الغير ثواباً ولا يتحمّل عنه أحد عقاباً (وأن سعيه) أى عمله من خير وشر

(سوف يرى) أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في ديوانه وميزانه (ثم يجزأه الجزأ الاول) أى
ثم يجزئ الانسان سبعه بالجزأ الاثم (وأن الى ربك المنتهى) أى المرجع بعد الموت وعند ذلك يجازى
الرب الشكور ويجزى الكفور والقراءة المشهورة فمخ المزمرة على العطف على ما فهذا فى العصف أيضا وهو
الحق فالمخاطب به موسى و ابراهيم على التوزيع وقرى بالكسر على الابتداء فالمخاطب بهذا امامام وهو
كل سامع فهو تهديد للمسى وحث للمحسن أو خاص وهو النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا تسلية لقلبه
كأنه تعالى قال لا تحزن فان المنتهى الى الله (وأنه هو أرحم وأبكى) فكل ما يعمله الانسان بخلقه
حتى الضحك واليكاف قيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء والقرديضحك ولا يبكى والابل
تبكى ولا تضحك (وأنه هو أمات وأحيى) أى خلق الموت والحياة فلا يقدر على الاماتة والاحياء غيره
تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكرو والانثى من نطفة اذاغنى) أى تهارق فى رحم الانثى (وأ عليه)
تعالى (النساء الاخرى) أى نفخ الروح كما قال تعالى هنالك أنشأناه خلقا آخر أى نفخ الروح بعد خلق
النطفة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والنشأة بفتح الشين وبعدها ألف معدودة قبل المزمرة (وأنه هو أغنى)
أى أغنى الناس بلبن الام وبنفقة الاب فى صغره (وأقنى) أى وأعطاه الاموال بالكسب بعد كبره
فكل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء وكل ما زاد عليه فهو اقناء (وأنه هو رب الشعرى) وهى نجم مضى
وتسمى الشعرى العبور وهى تطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وتسمى الشعرى اليمانية وكانت خزاعة
تعبدها وتعتقد تأثيرها فى العالم وهى المرادة فى هذه الآية دون الشعرى الشامية المسماة بالشعرى
الغميصاء وهى التى فى الذراع وهذا اشارة الى فساد قول قوم فان بعض الناس قال ان الفقر والغنى يكسب
الانسان واجتهاده فن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم قال ان ذلك بالجنح وذلك بالنجوم فردهم
الله تعالى بقوله هو تعالى محرك النجوم ورب معبودهم الشعرى العبور (وأنه أهلك عادا الاولى) وهى
قوم هود وهيت أولى لتقدمها فى الزمان على عاد الثانية التى هى عمود قوم صالح وقرأ نافع وأبو عمرو بإسقاط
نون التنوين لالتقاء الساكنين وبنقل حركة همزة أولى وحذفها الى اللام وقرأ قالون كذلك لكن يقلب
الواو همزة ساكنة وقرأ الباقر بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين ويسكون اللام وبعدها همزة
مضمومة (وعمود) عطف على عادا وقرأ عاصم وهمزة بغير تنوين للدال فى الوصل ويسكون الدال فى
الوقف والباقر بالتنوين فى الوصل وبالوقف على الالف (فما أبقي) أى فما أبقي من عاد وعمودا حدا
(رقوم نوح من قبل) أى أهلكهم من قبل الفريقين (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث
يبتدون بالكفر ويتجاوزون فى المعاصى فانهم كانوا يؤذون نوحا عليه السلام ويضربونه حتى يغشى
عليه وينفرون الناس عنه ويحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه والبادئ أظلم ومن سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها (والمؤتفة أهوى) أى أسقط قريبات لوط سددوم وصادوم وعمور وأصواتهم
الى الارض بعد ان رفعها الى السماء على جناح جبريل عليه السلام بأمر جبريل بذلك (فغشاها
ماغشى) أى فكساها الله تعالى أمرا عظيما من فنون العذاب (فبأى آلاء ربك تتماهى) أى فتشكك
فى أى أنعم ربك أيها الانسان أى لما عدا الله تعالى من أنواع النعم وهو الخلق من النطفة ونفخ الروح فيه
والاغناء والاقتناء وذكرا الكافرين أهلكهم قال فبأى آلاء ربك تتماهى فيصيبك مثل ما أصاب الذين
تتاروا من قبل (هذانذير من النذر الاولى) أى هذا النبي رسول كالرسل قبله يرسل اليكم كما أرسلوا
الى أقوامهم والله تعالى لما بين الوجدانية بقوله تعالى فبأى آلاء ربك تتماهى أشار الى اثبات رسالة سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى هذا نذير الخ ثم أشار إلى القيامة بقوله (أزفت الآزقة) أى قربت الساعة التى يزداد كل يوم قربها فهى كائنة قريبة وازدادت فى القرب (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس للساعة نفس قادرة على اظهار وقتها الا الله تعالى (أفمن هذا الحديث تهيجون) أى أتهيجون انكاراً من هذا القرآن أو من حديث حشر الاجساد بعد الفساد (وتضحكون) استهزاء من القرآن أو أضحكون وقد سمعتم ان القيامة قريب (ولا تبكون) مما فى القرآن من الزجر والتخويف وكان حقكم ان تبكوا منه (وأنتم سامدون) أى معرضون أو مستكبرون (فامجدوا الله واعبدوا) أى وإذا كان الامر كذلك فامجدوا الله الذى أنزل القرآن واعبدوه ولا تعبدوا غيره لان عبادة غيره تعالى ليست بعبادة

* (سورة القمر وتسمى سورة اقتربت مكية وهى خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة) أى دنا قيام الساعة بخروج محمد صلى الله عليه وسلم (وانشق القمر) نصفين فهو من علامات قرب الساعة روى أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرى لهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما (وان يروا آية) أى عظيمة (يعرضوا) عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستقر) أى هذا سحر دائم يأتي به محمد على مر الزمان أو قوى لا يمكن ازالته وقيل أى ما يزيل ولا يبقى وقيل أى شديد المراتة فلا تقدر ان تسيغه كما لا تسيغ المر وقرئ وان يروا على البناء للفعول (وكذبوا) بالآية بكونها دالة على صدق الرسول (واتبعوا أهواءهم) أى فقالوا انه سحر القمر أو سحر أعيننا (وكل أمر) من الخير والشر (مستقر) فكل حامل يرى فى الآخرة أثر عمله وقرئ مستقر بالجرف على الساعه أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه من دجر) أى وبالله لقد جاءهم فى القرآن كائن من أخبار الامم الماضية المهلكين ما فيه ازدياد جوار وقرئ من جرح بقلب تاه الافتعال زاياد عامها فيه وقرأ يزيد بن على من جرح بصيغة اسم الفاعل أى ذوزجر (حكمة بالغة) أى لا خلل فيها بديل من ما وقرئ بالنصب حالا منها (فما تغنى النذر) وما امانا فيه والمعنى ان الرسل لم يبعثوا ليجزوا قومهم الى الحق وانما أرسلوا مبلغين واما استغفامية والمعنى انك يا أشرف الرسل أثبتت بما عليك من الدعوى واظهار الآية عليها فكذبوك فأنذرتهم بما جرى على المكذبين فلم يفدوهم اندارك هذه حكمة بالغة فأى شئ من الامور النافعة غير هذا تحصله فلم يبق عليك شئ آخر (فتول عنهم) أى لا تناظرهم بالكلام وهذه الآية غير منسوخة (يوم يدع الداع الى شئ تنكر خشعاً) بصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر (ويوم منصوب بخروجون وخشعاً حال من فاعل يخرجون وكذا جملة كأنهم الخ وقرأ ابن كثير نكربسكون الكاف والباقون بالضم وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسافى خاشعاً بفتح الخاء وبالف بعدها والباقون بضم الخاء وفتح الشين مشددة وقرئ خاشعة بالثابت على الاصل وقرئ خشعاً بصارهم على الابتداء والخبر والجملة حال والمعنى يخرج الناس من القبور حال كونهم مثل جراد منتشر فى كثرتهم واجتماع بعضهم على بعض يوم يدعوا سرا فيل أو جبريل الى شئ فظيع تنكره النفوس وهو هول القيامة اذلة بصارهم من شدة الهول (مهطعين الى الداع) أى مسرعين اليه مادي أعناقهم اليه (يقول الكافرون) فى ذلك اليوم (هذا يوم عسر)

أى صعب شديد ثم شرع في ذكر بعض الانبياء الموجبة للآزدي جاز فقال (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة
 (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا نحن نون وازدجر) عطف على قالوا أى قالوا لنوح هو مجنون
 وزجره عن مقالته بأنواع الازدية (فدعاه به أنى مغلوب فانتصر) أى بأنى غلبنى قومي بالقوة فانتقم لي منهم
 والعام على فتحهمزة أنى وقرأ الاعمش وابن أبي اسحق بالكسر أى فقال نوح يا الهى ان نفسى غلبتني
 بحكم البشرية وقد أمرتني بالدعاء عليهم فأهلكهم (فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر) أى بطر من صب من
 السماء على الأرض أربعين يوما وقرأ ابن عامر بتشديد التاء لكثرة الابواب (وجفرت الأرض عيونا) أى
 جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أى فأرما الأرض بقوة حتى ارتفع
 والتقى بماء السماء على حال قد قدرها الله تعالى كما شاء وقرى الماء آن بالتثنية وتحقيق الهمزة والماء وان
 بقلب الهمزة واوا أى ماء السماء وماء الأرض (رحمنا على ذات ألواح ودسر) أى وحنلنا نوحا على سفينة
 ذات أخشاب عريضة ومسامير (جري بأعيننا) أى تسير السفينة محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان
 كفر) أى حملناه جزاء لنوح على صبره على كفرانهم لانه كان نعمة تكفر وهافان كل نى نعمة على أمته
 وقرى جزاء بكسر الجيم أى مجازاة وقرى كفر بالبناء على الفاعل أى أغرقنا الكفار جزاء لهم (ولقد تركناها
 آية) أى ولقد جعلنا السفينة أنه يعتبر بها من يقف على خبرها فهل من مذكر) أى فهل معتبر يعتبر
 بما صنع الله بقوم نوح موجود فيترك المعصية ويختار الطاعة (فكيف كان عذابي) الذى عذبهم به
 (ونذر) أى وكيف كان عاقبة انذارى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك
 بأمر نزلناه على لغتهم للاعتاظ (فهل من مذكر) أى فهل من طالب علم فيعان عليه (كذبت عاد)
 هودا فامموا (فكيف كان عذابي ونذر) أى انذار أتى لهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى
 باردة وهوريج الدبور (في يوم نحس) أى شديد القباحة (مستمر) أى الى نفاذ المراد وهو من يوم
 الاربعاء اثمان بنين من شوال الى غروب شمس الاربعاء آخره ومستمروا وصف ليوم مضاف الى نحس
 بسكون الحاء وقرى بتنوين يوم وكسر حاء نحس ومن جعل نحسا اسم معنى أوه صـ درا كان مستمرا وصفا
 لنحس أى مستمر النحوسة (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) أى تقلع قوم هود من أما كنهم
 فيلقون أمواتا وهم جثث عام طوال كأنهم نخل قطعت رؤسه منقلع عن مغارسه (فكيف كان عذابي
 ونذر) أى انظر كيف كان عذابي عليهم وكيف كان حال انذاراتي (واقديسنا القرآن للذكر) أى
 هيا ناه للتذكر (فهل من مذكر) أى فهل من متعظ يتعظ بما صنع بقوم هود فيترك المعصية (كذبت
 ثمود) قوم صالح (بالنذر) أى بالانذارات (فقالوا أبشرنا واحدنا تتبعه انا اذا فى ضلال وسعر) أى
 فقالوا أنت تبع آدميأ مثلنا واحدنا من آحادنا لا من أشرافنا فى دينه وأمره انا وقتئذ فى خطأ بين وتعب (ألقى
 الذر عليه من بيننا) أى ألقى الوحى على صالح وهـ لخص بالنبوة منفردا من بيننا وفيما من هو أكثر
 مالا وأحسن حالا (بل هو كذاب) فى قوله (أشر) أى متكبر مريح (سيعلمون غدا من الكذاب
 الاشر) وقرأ ابن عامر وحزرة بتاء الخطاب وهو حكاية عن قول صالح عليه السلام لقومه أى ستعلمون
 وقت نزول العذاب بكم فى الدنيا عن قريب من شديد الكذب المتكبر والباقون بيباء الغيبة وهو حكاية
 لقوله تعالى لصالح عليه السلام وعد الله ووعيد لقومه أى سيعلمون عن قريب وهو وقت نزول العذاب
 بهم فى الله نياما الذى حمله كذبه وبطوره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرى الاشر أى الابلغ فى
 الشرارة فقال الله لصالح (انا امرسلكوا الناقة) أى انا مخرجوا الناقة من الجبل المنبسط على الأرض

حسب ما سألوا (فتنة لهم) مفعول لاجله أى امتحاننا لهم ليتميز حال من يشاب عن يعذب فاخراج الناقة من الصخرة كان مهجزة لصالح لانها تصديق له وبعده يتميز المصدق عن المكذب وارسالها اليهم ودورانها فيما بينهم وقسمة الماء كان فتنة (فارتقيهم) أى انتظرهم بالعذاب وتبصر ما يصنعون (واضطرب) على أذيتهم أى فان كانوا يؤذونك فلا تستجمل لهم العذاب (ونبتهم أن الماء قسمة بينهم) أى اخبرهم بأن ماء بئرهم مقسوم بين قوم صالح والناقة فيوم لهم ويوم لها (كل شرب محتضر) أى كل نصيب من الماء يحضره صاحبه في نوبته فبقوا على ذلك مدة ثم سئموا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها (فنادوا صاحبهم) قدار بن ساف ويلقب بالاجر بعد ما رامها مصدع بن دهر بسهم (فتعاطى فعقر) أى تناول قدار السيف فقتل الناقة به موافقة لهم (فكيف كان عذابي ونذر) أى انذارى لهم بالعذاب قبل نزوله (انا أرسلنا عليهم صحيفة واحدة) صحيفة جبريل بالعذاب بعد ثلاثة أيام من قتلهم الناقة لانه كان في يوم الثلاثاء ونزل العذاب بالصيحة بهم كان يوم السبت (فكانوا كهشيم المحتظر) بكسر الظاء أى فصاروا كالشيء اليابس من الخطب والشوك لمن يعمل الخطيرة في اهلاكم وقرى بفتح الظاء أى فصاروا كالشيء الذى داسته الغنم في الخطيرة وهى زريبة الغنم تتخذ من دقاق الشجر وضعيف النبات تقيها عن الحر أو البرد (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى هو لنا القرآن للعة والحفظ والقراءة قال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرا أى بغير نظر الا القرآن وقال غيره ولم يكن هذا بنى اسرائيل ولم يكونوا يقرؤن التوراة الا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (فهل من مذكر) أى فهل من طالب لحفظه فيعان عليه (كذبت قوم لوط بالنذر) أى بالامور المخوفة لهم على لسانه (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أى عذابا بحجارة من سجيل عليها علامة كل واحد فالملأثة حركوا الريح فالريح رمت الحجارة عليهم (الا آل لوط) أى الاولاد وابنتيه زاعورا ودرينا (نجيناهم بسحر) أى فى آخر الليل وقيل عند السادس الاخير من الليل (نعمة من عندنا) مفعول له أى كان ذلك الانجاء فضلا منا كما ان ذلك الاهلاك كان عدلا منا (كذلك نجزي من شكر) أى كما أنعمنا على من آمن بالله تعالى وأطاعه بالانجاء نهم عليهم يوم الحساب وقيل أى مثل ذلك الانجاء نجى من آمن بالله من عذاب الدنيا ولا نملسه بالهلاك العاصم وعلى هذا فهو وعدا لمحمد المؤمنين (ولقد أنذرهم بطشتنا) أى ولقد خوفهم لوط عذابنا الا كبر يوم القيامة لئلا يكون مقصرا فى التبليغ (فتماروا بالنذر) أى شكوا فى الانذارات وكذبوا لوطا (ولقد راودوه عن ضيفه) أى طلبوا من لوط المرة بعد المرة أن يخلى بينهم وبين أضيافه من الملائكة التى فى صورة شبان مردل فاحشة (فطمسنا أعينهم) أى أذهبنا صورة أعينهم بالسكينة حتى صارت وجوههم كالصفحة المساء روى أنهم لما دخلوا داره عليه السلام عنوة صفقههم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يمتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابي ونذر) أى فقلنا لهم على أسنة الملائكة ذوقوا عذابي الذى هو طمس العين وغمرة اندارى وقال القرطبي والمراد من هذا الامر الخبر أى نأذقهم عذابي الذى أنذرهم به لوط عليه السلام (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أى ولقد أتاهم وقت الصبح أول جزء منه عذاب دائم فانهم لما أهلكوا انقلوا الى الجحيم فكان ما أتاهم عذاب لا يندفع بموتهم أى فقلع جبريل بلادهم فرفعها ثم قلبها وأمطر الله عليها حجارة من النار وخسفها وغمرها بالماء المثلث الذى لا يعيش به حيوان وقرى بكرة غير ممنون على أن المراد بها أول نهار مخصوص (فذوقوا عذابي ونذر)

ونذر) أى فقلنا لهم ذوقوا عذابى وفائدة تخويفى وهى فنون هذا العذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى هو القرآن للعفظ والكتابة (فهو من مذكر) أى فهل متعظ يتعظ بما صنع يقوم لوط فيترك المعصية (ولقد جاء آل فرعون النذر) أى ولقد جاء فرعون وهامان وقارون الانذار على لسان موسى وهرون (كذبوا بآياتنا كلها) السمعية والعقلية (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) أى أخذ غالب غير عاجز (أكفاركم خير من أولئكم) أى الذين يصرون على الكفر منكم يا أهل مكة خير فى القوة فلا تهلكون أم الذين أصر واعلبيهم من أولئكم المذكورين قوم نوح وعاد وحمود وقوم لوط وفرعون وآله وهم من يؤول اليهم خيرة وشره (أم لكم براءة فى الزبر) أى هل حصل لكم براءة من غوائل الكفر والمعاصى فى الكتب السماوية تأمنون العذاب بسببها فلذلك تصرون على ما أنتم عليه (أم يقولون نحن جميع منتصر) أى بل أية ولون نحن كثير متفنون على من خالفنا قويلون على من عادانا (سيهزم الجمع) أى يهزم جمعهم بآية من أمر يوعده لا خلف فيه (ويولون الدبر) قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها اه وقرئ سيهزم الجمع بالبناء للفاعل أى سيهزم الله تعالى الجمع (بل الساعة موعدهم) أى ليس ما وقع لهم فى بدر عام عقوبتهم بل الساعة موعدهم أصل عذابهم وهذا من مقدماته (والساعة أدهى وأمر) والساعة أشد من أنواع عذاب الدنيا وآلم وأدوم (ان المجرمين) من الاولين والآخرين (فى ضلال وسعر) فى ضلال وجنون لا يعقلون ولا يهتدون (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) أى يوم يجرون على وجوههم الى النار يقال لهم قاسوا حرجهم وألما (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى انا خلقنا كل شئ ملتبساً بقدر معين والمعنى أن الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم أنها تستقع فى أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله تعالى (وما أمرنا الا واحدة كما مع بالبصر) أى وما أمرنا فى كل شئ أردنا ايجادها الا كلمة واحدة وهى كن كطرف البصر فى السرعة (ولقد آهلكم أشباكم) أى أشباهكم فى الكفر من الامم الماضية فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (فهو من مذكر) أى متعظ يتعظ بما صنع بهم فيترك المعصية (وكل شئ فعلوه فى الزبر) أى وكل شئ فعله الاشياخ فى الشرك بالله من المعاصى والجفاء بالانبياء مكتوب عليهم فى ديوان الحفظه (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) أى مكتوب بتفاصيله فى اللوح المحفوظ (ان المتقين) من الكفر والمعاصى (فى جنات) أى رياض واسعة عظيمة الشأن (ونهر) أى عند أنهار وقرى نهريضم النون والهواء (فى مقعد صدق) أى فى مكان مرضى أو فى مجلس لا كذب فيه وقرى مقاعد (عند مليك مقتدر) أى مقرين عند من له ملك عظيم قادر لا يهزم شئ ولا شئ الا وهو تحت ملكوته والقربة من الملوك لذيدة كلما كان الملك أشد درة كان التقرب منه أشد التذاد والمراد من القرب قرب المنزلة والشأن لا قرب المعنى والمكان

* (سورة الرحمن وقسمى عروس القرآن مكية وهى سبع وسبعون آية وثلاثمائة واحد وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن) أى علم الانسان القرآن فان الله بعث جبريل بالقرآن الى محمد

صلى الله عليه وسلم وبعث محمدا الى أمته (خلق الانسان) أى أنشاء على ما هو عليه من القوى الظاهرة
 والباطنة (علمه الميان) أى النطق فيمتاز الانسان به عن غيره من سائر الحيوانات ولهم الله أسماء
 كل شئ وكل دابة تكون على وجه الارض (الشمس والقمر بحسبان) أى الشمس والقمر بحسبان
 بحساب مقدر في بروجهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول وتعلم السنون
 والاقوات (والنجم) وهو كل نبت لا يقوم على الساق (والشجر) وهو ما يقوم على الساق (يسجدان)
 أى يخضعان لله تعالى ويخرجان من الارض ويثبتان عليها باذن الله تعالى فشبه الثبات في المكان بالسجود
 لان الساجد يثبت (والسما رفعها) فوق كل شئ (ووضع الميزان) أى وضع آلة الوزن في الارض
 وبين العدل (أن لا تظغوا في الميزان) أى لئلا تتجاوزوا الانصاف في الوزن وفي اعطاء المستحقين
 حقوقهم وقرئ لا تظغوا بدون ان على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل (ولا تخسروا
 الميزان) أى ولا تنقصوا الموزون فالظغيان في الوز أخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط
 التوسط بين الطرفين (والارض وضعها للانام) أى بسطها على الماء لمنافع الانس والجن (فيها) أى
 الارض (فاكهة) أى أنواع كثيرة مما تطيب به النفس (والنخل ذات الاكمام) وهى أوعية الثمر
 وهى جمع كم بكسر الكاف أى كل ما يغطي من ليف وسعف وكفرى فإنه مما ينتفع به كالمكوم من
 ثمره وجماره وذوعه وهى جمع كم بضم الكاف (والحب ذو العصف والريحان) قرأ ابن عامر بنصب
 الثلاثة بخلق مضمرا أى وخلق جميع الحبوب كالحنطة والارز والاوراق وخلق الريحان المعروف
 الذى برزه ينفع في الادوية والمشهومات وقرأ حمزة والكساف برفع الحب وذو عطف على فاكهة وجرا الريحان
 عطف على العصف أى وفيها الحب ذو الساق وذو الوراق وقرأ الباقر برفع الثلاثة عطف على فاكهة
 أى وفيها الحب ذو الوراق الخارجة من جوانب الساق كأوراق السنبلة من أعلاها الى أسفلها وفيها
 مشهومات أو ريحان معروف ويجوز ان يراد عند رفع الريحان ونصبه حذف المضاف واقامة المضاف اليه
 مقامه والمعنى وذو السنبلة والتمر وأو خلق ذا الرزق وهو الثمر (فبأى آلاء ربك تكذبان) أى فبأى فرد
 من افراد نعم ربك أيها الجن والانس تنكرون ان الله أبتلك النعم المذكورة هنا أم بغيرها
 ويسن لسماع القارئ لهذه السورة ان يجيبه كلما قرأ هذه الآية وهى مكررة في أحد وثلاثين موضعا
 بان يقول ولا بشئ من نعم ربنا نكذب فلك الحمد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر الجن
 على ذلك الجواب (خلق الانسان) أى آدم (من صلصال) أى من طين من ذن يابس له صوت
 (كالغفار) أى كالخزف المشوى بالنار المجوف كالاناء فى ان كلامهما يسمع له صوت اذا تقر لي علم هل
 فيه عيب أولا (وخلق الجن) أى الجن نفسه (من مارج) أى من لهب صاف (من نار) لادخان
 لها وهو بيان لما رج (فبأى آلاء ربك تكذبان) أيها الجن والانس أجبنا أفاض عليكم فى حالات شتى
 نلقتها حتى صيركم خلاصة الكائنات أم بغيره (رب المشرقين ورب المغربين) أى الذى فعل ما ذكر
 رب مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما وقرأ ابن أبى عملة رب بالجر يبدل أو يبين ان ربك (فبأى آلاء ربك
 تكذبان) أى أجبنا فى ذلك من الفوائد العظيمة التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدث
 ما يناسب كل فصل فيه أم بغير ذلك (مرج البحرين) أى أرسل الرحمن البحر الملح والبحر العذب
 (يلتقيان) أى يتماسان ولا يمتزجان (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أى
 لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده الله تعالى ولا يغير كل واحد منهما طعم صاحبه (فبأى آلاء ربك تكذبان)

فهل اعتبرتم بأنواع الموجودات (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فاللؤلؤ الدر والمرجان الحجر الزاخر وقيل
اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره قيل ان اللؤلؤ يتولد في ملتقى الملح والعذب ثم يدخل الصدف في المالح
عند انعقاد الدر فيه فينقل هناك فلا يمكنه الدخول في العذب وقيل هما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع
فيه العذب (فبأي آلاء ربكم تكذبان) أبكثرة النعم من خلق المنافع في البحر وأخراج الحلي العجيبة أم
بغيرها (وله الجوار المنشآت في البحر كالإعلام) وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي وله تعالى السفن
الرافعات الشراعي في البحر كالجمال والباقون بالفتح أي المرفوعات القلع وقرأ ابن أبي عملة بتشديد الشين
وقرأ يعقوب الجوارى بإثبات الياء في الوقف وقرأ عبد الله والحسن الجوار برفع الراء ولا تثبت الياء في
الرسم (فبأي آلاء ربكم تكذبان) أي أبتلك النعم من خلق مواد السفن وأسباب لا يقدر على خلقها
غيره تعالى أم بغيرها (كل من عليها) أي على الأرض من الحيوانات والمركبات (فإن) أي هالك
لا تحالة (ويبقى وجه ربك) أيها السامع أي ذاته عز وجل (ذوالجلال) أي العظمة التي لا يسعها
عقل (والأكرام) أي الفضل التام فالجلال مرتب على فناء غير الله تعالى والأكرام مرتب على بقائه
تعالى وقال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والأكرام أي الزموا في الدعاء ذلك وروى أنه صلى الله
عليه وسلم من رجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والأكرام فقال قد استحييت لك والعامه على ذو بانوار
صفة لوجه وقرأ أبي عبد الله ذي بالياء صفة رب (فبأي آلاء ربكم تكذبان) أي أبتلك النعم من دفع
البلاء وابقا ما هو مخلوق إلى وقت فمائه أم بغيرها (يسأله من في السموات والأرض) فيسأله كل أحد
ما يحتاج اليه في دينه ودنياه فكل أحد عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه ويسأله كل أحد عن عاقبة أمره
وعما فيه صلاحه وفساده فكل أحد جاهل بما عند الله من المعلومات فالوجه الأول إشارة إلى كمال العدة
والوجه الثاني إشارة إلى كمال العلم (كل يوم هو في شأن) أي كل وقت من الاوقات هو تعالى في شأن
يغفر ذنبا ويرفع كرابا ويرفع من يشاء ويضع من يشاء كما هو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقال
يحتمل أن يكون هو عائدا إلى يوم وكل يوم ظرف ليسأله أي يقع سؤالهم في كل يوم هو في شأن يتعلق بهم
فيطلبون ما يحتاجون اليه أو يستخرجون أمره بما يفعلون فيه (فبأي آلاء ربكم تكذبان) مع
مشاهدتكم لاحسانه تعالى أبتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لاكم أيها الثقلان) أي سنقصده لحسابكم
وجزائكم أي الجن والانس أي سننذر لاكم أمر الآخرة من الأخذ في الجزاء وإيصال الثواب والعقاب
لكم بعد تدبيرنا بالامر الدنيا بالامر والنهي والامانة والاحياء والمنع والاعطاء وقرأ حمزة والكسائي سيفرغ
بالياء على الغيبة وقرى بالبناء للفعل وقرى سنفرغ اليكم وترسم أيه بغير ألف وقرأ أبو عمرو والكسائي
بالألف في الوقف والباقون بتسكين الهاء وقرأ ابن عاصم برفع الهاء في الوصل والباقون بالفتح (فبأي
آلاء ربكم تكذبان) أبتلك النعم من التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة التحذير مما يؤدي إلى سوء الحساب
أم بغيرها (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) أي
باجماع الجن والانس ان قدرتم أن تخرجوا من أطراف السموات والأرض وان تهربوا من قضائي وملكى
فأخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابي (لا تنفذون الا بسلطان) أي ما تنفذون الا ومعكم سلطان الله
أي فلا مهرب لاكم ولا مخرج عن ملك الله تعالى وأينما نوليتم فثم ملك الله وأينما تكونوا أنا كم حكم الله
(فبأي آلاء ربكم تكذبان) أبتلك النعم من دفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة أم بغيرها (يرسل
عليكم شواظ) أي لهب خالص لا دخان فيه (من نار ونحاس) أي دخان لالهب معه يسوقانكم إلى

صلى الله عليه وسلم وبعث محمدا الى أمته (خلق الانسان) أى أنشاء على ما هو عليه من القوى الظاهرة
 والباطنة (علمه البيان) أى النطق فمتاز الانسان به عن غيره من سائر الحيوانات ولهم الله أسماء
 كل شيء وكل دابة تكون على وجه الارض (الشمس والقمر بحسبان) أى الشمس والقمر يجريان
 بحساب مقدر في بروجهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول وتعلم السنون
 والاقوات (والنجم) وهو كل نبت لا يقوم على الساق (والشجر) وهو ما يقوم على الساق (يسجدان)
 أى يخضعان لله تعالى ويخرجان من الارض ويثبتان عليها باذن الله تعالى فشبه الثبات في المكان بالسجود
 لان الساجد يثبت (والسما رفعها) فوق كل شيء (ووضع الميزان) أى وضع آلة الوزن في الارض
 وبين العدل (أن لا تطغوا في الميزان) أى لا تتجاوزوا الانصاف في الوزن وفي اعطاء المستحقين
 حقوقهم وقرئ لا تطغوا بدون ان على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل (ولا تخسروا
 الميزان) أى ولا تنقصوا الموزون فالطغيان في الوزن أخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط
 التوسط بين الطرفين (والارض وضعها للانام) أى بسطها على الماء لمنافع الانس والجن (فيها) أى
 الارض (فاكهة) أى أنواع كثيرة مما تطيب به النفس (والنخل ذات الاكلم) وهى أوعية الثمر
 وهى جمع كم بكسر الكاف أى كل ما يغطى من ليف وسعف وكفرى فانهما ينتفع به كالمكوم من
 ثمره وجاروه جذوعه وهى جمع كم بضم الكاف (والحب ذو العصف والريحان) قرأ ابن عامر بنصب
 الثلاثة بخلق مضمرا أى وخلق جميع الحبوب كالحنطة والارز والاوراق وخلق الريحان المعروف
 الذى برزه ينفع في الادوية والمشهومات وقرأ حمزة والكسائي برفع الحب وذو عطف على فاكهة وجرا الريحان
 عطف على العصف أى وفيها الحب ذو الساق وذو الارواق وقرأ الباقون برفع الثلاثة عطف على فاكهة
 أى وفيها الحب ذو الارواق الخارجة من جوانب الساق كأوراق السنبلة من أعلاها الى أسفلها وفيها
 مشهومات أو ريحان معروف ويجوز ان يراد عند رفع الريحان ونصبه حذف المضاف واقامة المضاف اليه
 مقامه والمعنى وذو السنبلة والتمر وأو خلق ذا الرزق وهو الثمر (فبأى آلاء ربك تكذبان) أى فبأى فرد
 من افراد نعم ربك أيها الجن والانس تنكرون انما اليست من الله أبذلك النعم المذكورة هنا أم بغيرها
 ويسن لسامع القارئ لهذه السورة ان يجيبه كلما قرأ هذا الآية وهى مكررة في أحد وثلاثين موضعا
 بان يقول ولا بشئ من نعم ربنا نكذب فلك الحمد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر الجن
 على ذلك الجواب (خلق الانسان) أى آدم (من صلصال) أى من طين مننت يابس له صوت
 (كالغفار) أى كالخزف المشوى بالنار المجوف كاللانة فى ان كلامهما يسمع له صوت اذا نقر ليعلم هل
 فيه عيب أولا (وخلق الجن) أى الجن نفسه (من مارج) أى من لهب صاف (من نار) لادخان
 لها وهو بيان لمارج (فبأى آلاء ربك تكذبان) أيها الجن والانس أبعأ فاض عليكم في حالات شتى
 خلقتكم حتى صيركم خلاصة الكائنات أم بغيره (رب المشرقين ورب المغربين) أى الذى فعل ما ذكر
 رب مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما وقرأ ابن أب عملة رب الجريد لا أو ييانا ربك (فبأى آلاء ربك
 تكذبان) أى أبعأ في ذلك من القوائد العظيمة التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
 ما يناسب كل فصل فيه أم بغير ذلك (مرج البحرين) أى أرسل الرحمن البحر الملح والبحر العذب
 (يلتقيان) أى يتماسان ولا يعتزجان (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أى
 لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده الله تعالى ولا يغير كل واحد منهما ما طعم صاحبه (فبأى آلاء ربك تكذبان)

فهل اعتبرتم بأنواع الموجودات (يخرج منها اللاؤلؤ والمرجان) فالؤلؤ والدر والمرجان المحرز الا حرو قيل
الؤلؤ كجار الدر والمرجان صغاره قيل ان اللاؤلؤ يتولد في ملتقى الملح والعذب ثم يدخل الصدف في المالح
عند انعقاد الدر فيه فينقل هناك فلا يمكنه الدخول في العذب وقيل هما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع
فيه العذب (فبأى آلاء ربكم تكذبان) أبكثرة النعم من خلق المنافع في البحر واخراج الحلي العجيبة أم
بغيرها (وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام) وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أى وله تعالى السفن
الرافعات الشراع في البحر كالجبال والباقون بالفتح أى المرفوعات القلع وقرأ ابن أبي عملة بتشديد الشين
وقرأ يعقوب الجوارى بآثبات الياء في الوقف وقرأ عبد الله والحسن الجوار برفع الراء ولا تثبت الياء في
الرسم (فبأى آلاء ربكم تكذبان) أى ابتلك النعم من خلق مواد السفن وأسباب لا يقدر على خلقها
غيره تعالى أم بغيرها (كل من عليها) أى على الارض من الحيوانات والمركبات (فان) أى هالك
لا تحالة (ويبقى وجه ربك) أيها السامع أى ذاته عز وجل (ذوالجلال) أى العظمة التي لا يسعها
عقل (والاكرام) أى الفضل التام فالجلال مرتب على فناء غير الله تعالى والاكرام مرتب على بقاءه
تعالى وقال صلى الله عليه وسلم انظروا بيذا الجلال والاكرام أى الزموا في الدعاء ذلك وروى انه صلى الله
عليه وسلم من رجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك والعمامة على ذو بانوار
صفة لوجهه وقرأ أبي وعبد الله ذى بالياء صفة لرب (فبأى آلاء ربكم تكذبان) أى ابتلك النعم من دفع
البلاء وابقاها ما هو مخلوق الى وقت فناءه أم بغيرها (يسأله من في السموات والارض) فيسأله كل أحد
ما يحتاج اليه في دينه ودنياه فكل أحد عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه ويسأله كل أحد عن عاقبة أمره
وعما فيه صلاحه وفساده فكل أحد جاهل بما عند الله من المعلومات فالوجه الاول اشارة الى كمال العدة
والوجه الثاني اشارة الى كمال العلم (كل يوم هو في شأن) أى كل وقت من الاوقات هو تعالى في شأن
يعجز نباله ويرفع من يشاء ويضع من يشاء كما هو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقال
يحتمل أن يكون هو عائدا الى يوم وكل يوم ظرف ليسأله أى يقع سؤالهم في كل يوم هو في شأن يتعلق بهم
فيطلبون ما يحتاجون اليه أو يستخرجون أمره بما يفعلون فيه (فبأى آلاء ربكم تكذبان) مع
مشاهدتكم لاحسانه تعالى ابتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم أيها الثقلان) أى سنقصده لحسابكم
وجزائكم أيها الجن والانس أى سنسندبر لكم أمر الآخرة من الاخذ في الجزاء وايصال الثواب والعقاب
اليكم بعد تدبيرنا لأمور الدنيا بالامر والنهي والامانة والاحياء والمنع والاعطاء وقرأ حمزة والكسائي سيفرغ
بالياء على الغيبة وقرى بالبناء للفعل وقرى سنفرغ اليكم وترسم أيه بغير ألف وقرأ أبو عمرو والكسائي
بالالف في الوقف والباقون بتسكين الهاء وقرأ ابن عاصم برفع الهاء في الوصل والباقون بالفتح (فبأى
آلاء ربكم تكذبان) ابتلك النعم من التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة التحذير مما يؤدي الى سوء الحساب
أم بغيرها (يامعشر الجن والانس ان استعطيتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا) أى
يا جماعة الجن والانس ان قدرتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض وان تهربوا من قضائي وملكى
فأخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابي (لاتنفذون الا بسلطان) أى ما تنفذون الا بمعكم سلطان الله
أى فلا مهرب لكم ولا مخرج عن ملك الله تعالى وأينما توليت فثم ملك الله وأينما تكونوا أنا حكمكم الله
(فبأى آلاء ربكم تكذبان) ابتلك النعم من دفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة أم بغيرها (يرسل
عليكم شواظ) أى لهب خالص لا دخان فيه (من نار ونحاس) أى دخان لالهب معه يسوقانكم الى

المحشر قرأ ابن كثير بكسر شين شواظ وقرأ ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمر ويجزئ نحاس عطف على نار ولا بد في هذه القراءة من كسر الشين أو إمالة تارو على هذا فالشواظ مركب من نار ومن دخان وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر وقرئ نحاس بكسر النون وقرئ ترسل بنون العظمة ونصب شواظ أو نحاسا وقرئ نحس بضم نين جمع نحاس (فلا تنتصران) أي فلا ينتصر أحدكم بالآخر ولا أتقيا بغيركما (فبأي آلاء ربك تكذبان) أبتلك النعم من بيان عاقبة الكفر والمعاصي أم بغيرها (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) أي فإذا انصدعت السماء وخرت يوم القيامة فصارت حمراء كالاديم المغربي وهو ما فيه حمرة مع السواد يكون الامر عسيرا في غاية العسر أو يلقي المرء فعله ويحاسب حسابه (فبأي آلاء ربك تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان) أي فالذنب يومئذ تنشق السماء وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون إلى الموقف ذودا وذودا على اختلاف مراتبهم لا يستل عن ذنبه انسي ولا جني لانهم يعرفون بسميهم (فبأي آلاء ربك تكذبان) أبتلك النعم من الاخبار بما يرحم عن الشر أم بغيرها (يعرف المجرمون بسميهم) أي بسواد وجوههم وزرقة أعينهم (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) أي يجمع نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم فيطرحون في النار (فبأي آلاء ربك تكذبان) أي تجحدون وأوقف هنا تام (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) وهذه إشارة إلى قربها أي جهنم التي يكذب بها المشركون هذه قريبة غير بعيدة عنهم (يطوفون بينها وبين جهنم) أي يترددون بين النار وما حار قد انتهى حره فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم إلى الخيم ويظهر لهم شيء مائع هو صديدهم المغلي فيظنون أنه ماء فيسقون منه ويصب فوق رؤسهم فإذا استغاثوا منه يسعى بهم إلى النار وهكذا (فبأي آلاء ربك تكذبان) مما أشرنا إليه من أول السورة فتستحقان العذاب وتحرمان الثواب (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أي لمن خاف المقام الذي يقوم هو فيه بين يدي ربه وهو مقام عبادة والمقام الذي اطلع الله على عباده فأنتهى عن المعصية جنتان جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف بهذين النوعين وقيل هي جنة جزاء وجنة أخرى زيادة على الجزاء (فبأي آلاء ربك تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (ذواتا أفنان) أي صاحبتهما أغصان فان الجنة ذات أشجار والاشجار ذات أغصان والأغصان ذات أزهار وأثمار وهي لتتفرع الناظر وتنكسر أفنانا لتعجب أي على الأفنان أوراق عجيبية وثمار طيبة من غير سوق غلاظ فالجنة ذات فتن غير كائن على أصل وعرق بل هي واقفة في الجوى وأهلها تحتها (فبأي آلاء ربك تكذبان) أبتلك النعم من وصف الجنة أم بغيرها (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية كيف يشاء صاحبها في الأعلى والأسفل (فبأي آلاء ربك تكذبان) أبتلك النعم التي ذكرها أم بغيرها (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي في كل واحدة من الجنتين نوعان من الفواكه معروف وغريب أو رطب وياس وكل لهما ما حلوا يستلذه (فبأي آلاء ربك تكذبان) أي أبتلك النعم أم بغيرها (متكئين) حال من فاعل خاف الذي هو عامل للحال أو كان عامله وصاحبه ما تدل عليه فاكهة أي يتفكه المتفكهون حال كونهم جالسين جلوس المتمكن المتربع (على فرش بطائنها) أي التي تلي الأرض (من استبرق) أي ديباج فحين وكذا ظواهرها بخلاف أهل الدنيا فلا يجعلون البطائن كالظواهر لان غرضهم اظهار الزينة والبطائن لا تظهر أما في الآخرة فالامر مبني على الأكرام والتنعيم فتكون البطائن كالظواهر (وجنى الجنتين دان) أي ثمر

الجنة قريب يناله القاعد والقائم في وقت واحد ومكان واحد فان العجائب كلها من خواص الجنة فكان
 أشجارها دأثرة عليهم سائرة اليهم وهم ساكنون على خلاف ما كان في جنات الدنيا فان الانسان فيها
 متحرك ومطلوبه ساكن والولى قد تصير الدنيا له اغودا من الجنة فانه يكون ساكنا في بيته ويأتيه الرق
 متحركا اليه دائرا حواليه (قبأى آلا ربك تكذبان) أبقدرته على ثنى الاغصان وتقريب الفارام
 غيرها (فيهن قاصرات الطرف) أى في الجنات نساء ما نعت أعينهن من النظر الى غير بعلهن وللجنة
 اعتبارات ثلاثة فلا اتصال أشجارها وعدم الاراضى الغامرة كأنها جنة واحدة ولا شتما لها على النوعين
 ما في الدنيا وما ليس فيها وما يعرف وما لا يعرف وما يقدر على وصفه وما لا يقدر ولذات جسمانية ولذات
 روحانية كأنها جنتان ولست عتها وكثرة أما كنها وأشجارها وأنهارها كأنها جنتان كثيرة فالغدير هنا
 عائدا الى الجنة (لديطمثن انس قبلهم ولا جان) أى لم يجامع الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات
 أحد من الجن قبل أزواجهن والمشهور ان الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا وانما هن مخلوقات في
 الجنة فان أكثر نساء أهل الدنيا مطمونات (قبأى آلا ربك تكذبان) أى بأى نوع من أنواع هذا
 الاحسان تذكران (كأنهن الياقوت والمرجان) أى مشبهات بالياقوت في حمرة الوجنة وبالمرجان بمعنى
 صغار الدر في بياض البشرة وصفاتها فان صغار الدر أنصع بياضا من بكاره قيل ان الحوراء تلبس سبعين
 حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجه البيضاء (قبأى آلا ربك تكذبان)
 أى أعما جعله مثلا لوصفهن أم بغيره (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ما جزاء الاحسان في
 العمل الا الاحسان في الثواب جزاء كل من أحسن الى غيره ان يحسن هو اليه أيضا (قبأى آلا ربك
 تكذبان) أبشئ من هذه النعم الجليلة أم بغيرها (ومن دونهما جنتان) أى ومن دون تين الجنة
 الموعودتين للثائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهن من أصحاب اليمين (قبأى آلا ربك تكذبان)
 أبشئ مما تفضل به عليكم من الجنات أم بغيره (مدهامتان) أى سوداوان من شدة الحضرة من الرى
 وهذه صفة لجنتان (قبأى آلا ربك تكذبان) أبشئ من تلك النعم أم بغيرها (فيهما عينان
 نضاختان) أى فوارتان أى مأوئهما متحركا الى جهة فوق (قبأى آلا ربك تكذبان) أبتلك النعم أم
 بغيرها (فيهما فاكهة ونخل ورمان) وأفردهما بالذكور مع دخولهما في الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة
 النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فيحدث بأكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة كما قاله
 الشافعى وأكثر العلماء خلافا لابي حنيفة (قبأى آلا ربك تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (فيهن
 خيرات حسان) أى في الجنة نساء في باطنهن خير وفي ظاهرن حسن روى الحسن عن أمه عن أم
 سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان قال
 خيرات الاخلاق حسان الوجوه (قبأى آلا ربك تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (حور
 مقصورات) أى محبوسات على أزواجهن (في الخيام) أى في خيام الدر المجوف وهى فرسخ في
 فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب (قبأى آلا ربك تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (لم
 يطمثن انس قبلهم ولا جان) أى لم يصيبن بالجماع قبل أزواجهن أحد (قبأى آلا ربك تكذبان)
 أبتلك النعم أم بغيرها (متكئين) حال عماد عليهم لم يطمثن الخ فآزواجهن يطمثن حال كونهم
 متكئين (على رفوف) أى رياض أو بسط (خضر) فالأخضر حصل فيه الألوان الثلاثة الابيض
 والاسود والاحمر فالابيض يفترق البصر والاسود يجمع البصر كالاحمر فلما اجتمع في الأخضر الامور

الثلاثة دفع بعضها أذى بعض ولما كان ميل النفس في الدنيا إلى الاخضر أكثر ذكره الله تعالى (وعبقرى حسان) فالثياب المعمولة عمل جيد اسمونها عبقرىات مبالغة في حسنها كأنها ليست من عمل الانسان لأن العبقرى منسوب إلى عبقر وهو موضع من مواضع الجن (فبأى آلاء ربك تكذبان) أبشئ من هذه النعم أم يغيرها (تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) أى تعالى اسمه الجليل وارتفع عما يليق بشأنه قرأ ابن عامر ذو الجلال بالواو والباقون ذى بالياء صفة لرب وهذا إشارة إلى أن أتم النعم عند الله تعالى وأكل الذات ذكر الله تعالى

(سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية وثلاثمائة

وثمان وتسعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) أى اذا قامت القيامة يعترف بها كل أحد ويبطل عناد المعاندين ولا يتمكن أحد من انكارها والعامل في اذا ليس لوقعتها كاذبة فاللام بمعنى في أى ليس كاذبة توجد في وقت وقوعها أو بمعنى عند أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب في نفيها وانما سميت القيامة واقعة لشدة صوتها يسمع القريب والبعيد (خافضة رافعة) أى هي خافضة للكافرين في دركات النار والعذاب ورافعة للمؤمنين في درجات الجنة والنعيم وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة (اذا رجبت الأرض رجاً) أى اذا زلزلت الأرض زلزالاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل واذا متعلقة بخافضة رافعة أو بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) أى فتنت الجبال فتناً (فكانت هباء منبثاً) أى فصارت الجبال غباراً منتشراً (وكنتم أزواجاً ثلاثاً) أى وصرتهم في ذلك اليوم أيها الخلائق ثلاثة أصناف اثنان في الجنة وواحد في النار ثم بينهم الله تعالى بقوله (فأصحاب اليمين) أى أصحاب الجنة الذين يعطون كتابهم بيمينهم أى شئهم في حالهم فهم في غاية حسن الحال في الكرامة والسرور (وأصحاب المشأمة) أى وأهل النار الذين يعطون كتابهم بشمالهم أى شئهم في حالهم فهم في غاية سوء الحال وهم في الهوان والعذاب (والسابقون السابقون) أى والسابقون الذين لا حساب عليهم هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم فهم يسبقون الخلق إلى الجنة من غير حساب فالسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبي (أو لئلك) أى السابقون (المقربون) إلى الله تعالى (في جنات النعيم) في أعلا عليين فلهم قرب عند الله كما يكون الجلوس المولود فهم لا يكون بيدهم شغل ولا يرده عليهم أمر فيلتذون بالقرب ويتنعمون بالراحة بخلاف قرب الملائكة الذين هم لا شغل فهو قرب الخواص عند الملك فهم ليسوا في نعيم وان كانوا في لذة عظيمة ولا يزالون خائفين قائمين بباب الله يرده عليهم الأمر ولا يرتفع عنهم التكليف (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أى هم أى السابقون إلى الايمان بالانبياء عياناً المجتمعون عليهم جماعة كثيرة من الامم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليهم السلام وقليل من هذه الامة أى ان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية أكثر من عاين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهذا لا ينافي كون أمة محمد ثلاثي أهل الجنة (على سرر موضونة) أى موصولة بالذهب والفضة منسوجة بالدر والياقوت ويقال أرضها من الذهب الممدود وقوامها من الجواهر النفيسة (متكئين عليها) أى السرر (متقابلين) فلا ينظر بعضهم إلى قبايعهم وهذا وصف لهم بحسن العشرة والآداب وتهذيب الاخلاق ويقال السابقون هم الذين أجسامهم أرواح نورانية جميع

جهااتهم وجه (يطوف عليهم) أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون أبدا على شكل
الولدان لا يكبرون ولا يلتحمون (بأكواب) أى بكيزان وهى أوان مستديرة الاقواء بلا عرى ولا خراطيم
(وأباريق) وهى أوان لها عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى اناة خمر طاهرة تجرى من عيون
(لا يصدعون عنها) أى لا يصيبهم صداع بسبب شربها (ولا ينزفون) قرأ عصم وحمزة والكسائي
بكسر الزاى أى لا ينفذ شرابهم والباقون بفتحها أى لا يسكرون أى لا ينزف عقه ولحم (وفاكهة مما
يتخIRON) أى مما يختارونه ويأخذون أفضله (ولحم طير مما يشتهون) وقرى ولحم طير وعن أبى
الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة طير امثل أعناق البخت تصطف على يدولى الله
فيقول أحدها ياولى الله رعيت فى مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل منى فلا يران
يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخرب بين يديه على ألوان مختلفة فبأكل منها ما أراد
فأذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرمى فى الجنة حيث شاء فقال عمر يا نبي الله انها النعمة قال آكلها أنهم
منها (وحور عين) أى نساء شديداً بياض أجسادهن وشديداً سواد العيون مع سعتها وقرأ حمزة
والكسائي بالجر عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم طير ومصاحبة حور
والباقون بالرفع عطف على ولدان فلاهل الجنة حور مصورات فى حظائر معظمت ولهن جوار وخوادم
وحور تطوف مع الولدان السفاة وقرى وحور أعينا بالنصب أى ويعطون حور أعينا (كأمثال اللؤلؤ
المكنون) أى المصون الذى لم تقع عليه الشمس والهواء وهذا الشارة الى غاية صفاتهم (جزاء بما كانوا
يعملون) أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بما عملهم (لا يسمعون فيها) أى الجنة (لغوا) أى شياً لا ينفع
(ولا تأثيماً) أى شياً منسوب الى الأثم كالشتم (الاقبالا سلاما سلاما) أى لكن يقولون ويسمعون قولاً
سلاما سلاما أى يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم ويرسل الرب السلام اليهم وقرى سلام
سلام على الحكاية (راصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر) أى يتنعمون فى شجرتين (مخضود)
أى غير ذى شوك وموقر من الحمل حتى لا يبين ساقه والله تعالى جعل مكان كل شوك ثمرة فانها تنبت
ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر كما فى الحديث (وطلع منضود) أى وفى
موزمتر اكب أوراقه وثمره لا يرى له ساق من كثرة ثمره الذى أحلى من العسل وليس ثمر الجنة فى غلاف
كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كله مأكول ومشروب ومشوم منظور اليه واعلم ان الاشجار
يجمعها نوعان أوراق صغار وأوراق كبار فالسدر فى غاية الصغر وشجر الموز فى غاية الكبر فوقع الاشارة
الى الطرفين جامعة لجميع الاشجار فنظر الى أوراقها كما ذكر الله النخل والرمان عند ذكر النمار لان بينهما
غاية الخلاف فوقع الاشارة اليهما جامعة لجميع الاشجار فنظر الى ثمارها وكذلك النخل والاعناب فان
النخل من أعظم الاشجار المثمرة والسكر من أصغر الاشجار المثمرة وبينهما أشجار فوقع الاشارة اليهما
جامعة لسائر الاشجار فان البليغ يذكر طرفي أمرين يتضمن ذكرهما الاشارة الى جميع ما بينهما كما
يقال فلان ملك الشرق والغرب ويقوم منه انه ملك ما بينهما وما يقال فلان أرضى الصغير والكبير ويقوم
منه انه أرضى كل أحد (وظل محدود) أى منبسط لا ترتب له الشمس أبدا كظل ما بين الفجر وطلوع
الشمس (وما مسكوب) أى مصبوب من ساق العرش سائل يجرى على الارض فى غير أخذود ومثل
الله حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادي
اعلاما بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والجناس (لامقطوعة) فى وقت

من الاوقات (ولامنعوة) عن متنازليها وجه من الوجوه وقرى وفاكهة بالرفع أى وهناك فاكهة الى آخره (وفرش مرفوعة) على الامرة كما فله على أو نساء مرفوعات على الارائك ومرفوعات بالفصل والجمال ويدل على هذا التأويل قوله تعالى (انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) روى النحاس أن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا انشأناهن انشاء فقال هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شحطاع مشار مصاجلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء وعن المسيب بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى انا انشأناهن انشاء هن عجائز الدنيا انشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع (عربا) أى حسنا محسنة لكلامها تحببات الى أزواجهن (أترابا) أى مستويات في السن على مقدار ثلاثة وثلاثين سنة (لاصحاب اليمين) أى على سنهم وفي هذا اشارة الى الاتفاق لان أحد الزوجين اذا كان أكبر من الآخر فالشباب يعيره والجارو المجرو مرتبط بأتربا كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له في السن (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) أى هم أى أصحاب اليمين كثيرون من أوائل الامم قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن أواخر الامم وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم) أى في ريح متعفن ينحرك من جانب الى جانب فاذا شم الانسان منه يفسد قلبه بسبب العقوبة ويقتل الانسان (وحميم) أى ماء حار وهذا اشارة بالادنى الى الاعلى فالهواء والماء أنفع الاشياء في الدنيا فهو أدهم الذي يهب عليهم سموم وماء وهم الذي يستغيثون به حميم فاطنك بنارهم التي هي عندنا أحر وكيف حالهم مع أحر الاشياء (وظل من يحموم) أى من دخان جهنم أسود (لا بارد ولا كريم) أى لا بارد يطالب الظل لبرده ولاذى كرامه قد أعد للجالس فيه وحفظ عن القاذورات (انهم كانوا قبل ذلك) أى قبل سوء العذاب في الدنيا (مترفين) أى منعين بأنواع النعم ولم يشكروها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى كانوا في الدنيا يديعون على الذنب العظيم الذي هو الشرك (وكانوا يقولون) اذا كانوا في الدنيا (أنذامتنا وكنا) أى صرنا (ترابا وعظاما) أنذامنا لمبعوثون أو بأؤنا الاولون) وهذه الآيات الثلاثة اشارة الى الاصول الثلاثة فقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين يدل على ذمهم بانكار الرسل وعلى تكبرهم بغناهم وهم كانوا يقولون أبشرامنا واحدا تتبعه وقوله تعالى يصرون على الحنث العظيم اشارة الى الشرك ومخالفة التوحيد وقوله تعالى وكانوا يقولون أنذامتنا وكنا ترابا الخ اشارة الى انكار الحشر وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو والباقون بفتحها أى أنثا أو بأؤنا مبعوثون أو أوتبعث بأؤنا الاولون الذين قد فنيت عظامهم (قل) يا أشرف الخلق لمنكرى البعث (ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) أى انهم يساقون بعد البعث الى عرصة الحساب ويجمعون في وقت يوم معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة (ثم انكم أيها الضالون) عن سبيل الله وهو التوحيد (المكذبون) أى المنكرون الحشر (لآكلون من شجر من رقوم) أى لآكلون شجر اهو الرقوم (فالثون منها البطون) أى كل واحد منكم يلا بطنه من تلك الشجر (فساربون عليه) أى عقب ذلك الاكل بلاريت (من الحميم) أى الماء الحار (فساربون شرب الحميم) أى لا يكون شربكم منه شربا معتادا بل يكون مثل شرب الابل العطاش (هذا نزلهم يوم الدين) أى ليس هذا المذكور كل العذاب بل هذا أول ما يلقيه من العذاب وهو جزاء منه واذا كان هذا ما بعد لهم أول قدومهم فاطنك بما لهم بعد استقرارهم في النار (نحن خلقناكم فلولا تصدقون)

بالبعث (أفرايتم ما تمنون أأتم تخلفونه أم نحن الخالقون) أي هل تسكون في أن الله خلقكم
 أولا أم لا فان لم تشكوا في ذلك فهو لا تصدقون أيضا بخلقكم ثانيا فان من خلقكم أولا من لا شيء
 لا يجوز أن يخلقكم ثانيا من أجزاء معلومة عنده فاخبروني أي شيء هو تصيبون في أرحام النساء من المني ان
 كنتم تشكون وتقولون الخلق لا يكون الا من منى وبعد الموت لا منى أفهذا المني أنتم تخلفونه أم الله فان
 كنتم تعترفون بقدرة الله وإرادته وعلمه فذلك يلزمكم القول بجواز البعث وصحته (نحن قدرنا بينكم الموت)
 أي وقتنا موت كل أحد بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال أي سوينا بينكم بالموت فتموتون
 كلكم (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أي لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتي مكانكم
 أشباهكم من الخلق أي وما نحن عاجزين عن خلق أمثالكم وإعادة تسكم بعد تفرق أوصالكم (وننشئكم
 فيما لا تعلمون) أي انا قادرين على أن نخلقكم في صور لا تعلمونها في جنسكم ويقال أن نجعل أرواحكم
 يوم القيامة فيما لا تصدقون وهي النار وقال بعضهم أن نجعل أرواحكم في حواصل طير تكون ببرهوت
 كأنها الزراير كما أخرج ابن أبي حاتم (ولقد علمت النشأة الاولى) أي الخلق الاول في بطون الامهات
 وهو من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة (فلولا تذكرون) أي فهلا تتعظون بان من قدر على النشأة الاولى
 قدر على النشأة الاخرى حتما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويقع الشين في النشأة وبالف بعد هاء همزة وقرأ حمزة
 والكسائي وحفص بتخفيف الذال في تذكرون والباقيون بالتشديد وقرئ تذكرون من الثلاثي وفي
 الخبر عجبا كل العجب للكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للصدق بالنشأة الآخرة وهو
 يسعى لدار الغرور (أفرايتم ما تحرثون) أي اخبروني يا أهل مكة ما تبذرون من الحبوب (أنتم تزرعون
 أم نحن الزارعون) أي أنتم تنبتونه بل نحن المنبتون لأنتم (لونشاء لجعلنا حطاما) أي لجعلنا الزرع
 متكسرا يابساً بعد خضرته وقبل ظهور الحب أي ان قلتم نحن نلقى البذر في الارض وهو بنفسه يصير ذرعا
 لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا قال تعالى ولو سلم لكم هذا الباطل فساتقولون في سلامة الزرع عن الآفات
 فيفسد قبل اشتداد الحب فهل تدفعون الآفات عنه أو هذا الزرع بنفسه يدفعها عن نفسه كما تقولون انه
 بنفسه ينبت (فظلتم تفكهنون) أي فصرتم تعجبون من يبدعه بعد خضرته وقرئ فظللتم بكسر الظاء وفظلتم
 على الاصل بكسر اللام وقرئ تفكهنون أي تتقدمون على ما أنفقتم عليه قائلين (انا لغرمون) أي انا
 لمعذبون بالجوع ملاءك الزرع أو انا المكرهون بالغرامة وقرأ أشعيا أثناعلى الاستفهام (بل نحن محرومون)
 أي ممنوعون منفعة زرعنا (أفرايتم الماء الذي تشربون) عذبا فراأنا (أنتم) يا أهل مكة (أزلقوه)
 عليكم (من المزن) أي السحاب الثقيل بالماء (أم نحن المتزلون) أي بل نحن المتزلون عليكم لأنتم
 (لونشاء جعلناه) أي ذلك الماء (أجاجا) أي حارا أو مرارا من شدة الملوحة (فلولا تشكرون) أي
 فهلا تشكرون على هذه النعمة التامة فان النعمة لا تتم الا عند الاكل والشرب وذلك لان الانسان اذا
 كان في البرارى الذي لا يوجد فيه الماء لا يأكل شيئا يخافه العطش (أفرايتم النار التي توزون) أي
 تقدحونها عن كل عود غير العناب وهو الشجر الاحمر (أنتم أنشأتم شجرتها) أي الشجرة التي تصلح
 لايقاد النار (أم نحن المنشؤون) أي بل نحن المنشؤون لها بقدرتنا لأنتم (نحن جعلناها تذكرة
 للنار) فيجب على العاقل اذا رأى النار الموقدة أن يخشى عذاب الله أو تذكرة للصحة البعث لان من قدر على
 ايداع النار في الشجر الاخضر لا يجوز أن يبدع الحرارة الغريزية في بدن الميت (ومتساءل للفقير) أي
 منفعه للذين ينزلون القوي وهي القفر البعيدة من العمران وهم الذين أوقدوا النار لانهم أحوج الى النار

في الليل لتهرب السباع ويهتدى الضال (فسبح باسم ربك العظيم) ولا تقل لغير الله تعالى انه اله فان
 الاسم يتبع المعنى والحقيقة أي ان الكفار اعترفوا بان الامور من الله واذا طولوا بالوحدانية قالوا نحن
 لا نشرك في المعنى وانما نتخذ أصناما آلهة في الاسم ونسبها آلهة والله هو الذي خلقها فحق نزهة تعالى
 في الحقيقة فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم أي فكما أنت أيها العاقل اعترفت بعدم اشتراك الله مع غيره
 في الحقيقة اعترف بعدم اشتراكهما في الاسم (فلا أقسم) قيل لا ضريده مؤكدة وقيل الاصل فلانا
 أقسم لحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضد قراءة من قرأ فلا قسم بلام التأكيده وقيل ان لنافية
 رد لكلام يخالف المقسم عليه والقدرة والله لا صحة لقول الكفار أقسم (بمواقع النجوم) أي بمواضعها
 في السماء في منازلها وقرأ حمزة والكسائي بموقع النجوم بسكون الواو أي بموضع سقوطها عند غروبها (وانه)
 أي ان القسم بما القسم لو تعلمون عظيم) أي لو تعلمون عظمة القسم لعظمة تم هذا القسم لكنكم ما عظمتمونا
 لانكم لا تعلمون ولا وقف هنا لان القسم وقع على ما بعده (انه) أي ان الكلام الذي أنزل على محمد صلى
 الله عليه وسلم (لقرآن كريم) أي كثير النفع لا شئ ماله على اصلاح المعاش والمعاد (في كتاب مكنون)
 أي في كتاب محفوظ عن الباطل وهو المصحف الذي في أيدينا (لا يسه الا المطهرون) أي لا يس ذلك
 الكتاب الا المطهرون من الاحداث أي يحرم عليهم مسه بدون الطهارة وهذه الجملة صفة ثانية لكتاب الخبر
 بمعنى النسي ويؤيد هذا قراءة عبد الله بن مسعود ما عساه بما النافية وروى مالك وغيره ان كتاب عمر و بن
 حزم وهو من أهل الظاهر لا يس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن
 الا وأنت طاهر (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة لقرآن أي منزل من الله تعالى وفي ذلك رد على قول من
 قال ان القرآن شعر أو محر أو كهانة وفي هذا رد على الذين يقولون ان القرآن في كتاب ولا عساه الا
 المطهرون وهم الملائكة ورد على الروافض الذين يقولون ان جبريل أنزل على علي فنزل على محمد فقال تعالى
 هو من الله ليس باختيار الملك وقرئ تنزيلا بالنصب حال من قرآن (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) أي
 أفبهذا القرآن أنتم يا أهل مكة متهاونون به ويقال أفبهذا الكلام الذي تتحدثون به أنتم تليسونه لا يحاسبكم
 من شأن محمد والبعث والحساب والجنة والنار تعلمونهم خلافة (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أي
 تجعلون معاشكم تكذيب محمد لأنكم تخافون ان صدقتموه ومنعتم عنه كمن عن الكفر أن يفوت
 عليكم من كسبكم ما تربحونه بسببهم فتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الرسل وقرئ وتجعلون شكريكم
 أنكم تكذبون أي تجعلون شكريكم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به (قلوا اذا بلغت الحلقوم وأنتم
 حيث تنظرون) أي فلم لا تكذبون الرسل اذا بلغت الروح الحلقوم والحال انكم وقت النزاع تشاهدون
 الامور وتعلمونها وهذا إشارة الى أن كل أحد يؤمن عند الموت لكن لم يقبل ايمان من لم يؤمن قبله (ونحن
 أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) أي ونحن أقرب الى الميت من أهله الحاضرين عنده بعلمنا وقد رما
 ولكن لا تذكرون ذلك لجهلكم بشؤنا (قلوا ان كنتم غير مدبرين ترجعون ان كنتم راسخين) أي فلم
 لا تردون الروح الى الجسد عند بلوغها الحلقوم ان كنتم غير مجزيين وغير محاسنين ان كنتم راسخين في
 اعتقادكم أي انكم اذا كنتم لستم تحت قدرة أحد فلم لا ترجعون أنفسكم الى الدنيا مع أن ذلك شئ تهسي
 أنفسكم ومنى قلوبكم كما كنتم في الدنيا التي ليست دار جزاء (فأما ان كان من المقربين فرؤى) أي فاما
 ان كان المجزي من المقربين السابقين فله راحة وقرأ بعضهم بضم الراء أي فله حياة دائمة أو رحمة لانها
 كالحياة للرحوم (وريجان) أي رزق عظيم أو زهر فقد قيل ان ارواح أهل الجنة لا تخرج من الدنيا

الاولى وثى اليهم بريحان من الجنة يشمونه (وجنة نعيم) أى بستان ذات تنهم ليس فيها غيره (وأمان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى ان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى المقربين الذين هم فى عليين كأصحاب الجنة بالنسبة الى أهل عليين فكان الله تعالى قال هؤلاء الذين هم أهل الجنة وأن كانوا دون الاولين لكن لا تمقطع بينك يا أشرف الخلق وبينهم المكاملة والتسليم بل هم يرونك ويصلون اليك وصول جلس الملك الى الملك والغائب الى أهله وولده وأما المقربون فهم يلازمونك ولا يفارقونك وان كنت أعلى مرتبة منهم (وأمان كان من المكذبين الضالين فنزل من جحيم) أى وأما ان كان المجزى من المنكرين للبعث الضالين عن سبيل الله فله ضيافة من ماء حار يشربه بعد كل الزقوم (وتصلية جحيم) أى وادخال فى النار واحتراق بها (ان هذا) أى ما ذكر فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى نهاية اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) لما بين الله تعالى الحق وامتنع الكفار قال لنبيه صلى الله عليه وسلم هذا هو حق فان امتنعوا فسبح ربك فى نفسك وما عليك من قومك سواء صدقوك أو كذبوك

سورة الحديد مدنية أومكية تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم سبغ الله ما فى السموات والارض) أى أبعد الخلق ذات الله تعالى من أن يكون محلاً للإمكان وصفاته من أن تكون متغيرة وأفعاله من أن تكون موقوفة على مادة ومثال (وهو العزيز الحكيم) أى وهو القادر الغالب الذى يفعل أفعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أى له التصرف فيهما وفيما فيهما من الموجودات (يحى ويميت وهو على كل شىء قدير) أى هو قادر على خلق الحياة والموت ومنفرد بإيجادهما لا يمتنع تعالى عنهما مانع ولا يرد عنهما اراد (هو الاول) أى ليس قبله شىء (والآخر) أى ليس بعده شىء فهو الباقي بعد فناء سائر الموجودات (والظاهر) بحسب الدلائل (والباطن) أى المحتجب عن الابصار وعن الحواس وعن ادراك حقيقة ذاته فى الدنيا والآخرة (وهو بكل شىء عليم) لا يعزب عن علمه شىء من الظاهر والخبى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام الدنيا تعليم العباد فى التأنى للامور (ثم استوى على العرش) أى تصرف فى ملكه تصرفاتاً ما (يعلم ما يلج فى الارض) من المياه والكنوز والاموات (وما يخرج منها) من النبات والمياه والمعادن والاموات (وما ينزل من السماء) من الامطار والملائكة والمصابيح والحر والبرد (وما يعرج فيها) من الحفظة والاعمال (وهو معكم أينما كنتم) بسبب القدرة والايجاد والتكوين وبسبب العلم فهو كونه تعالى لما يظواهرنا وبواطننا لا بالمكان والجهة قال المحققون ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله وقال المتوسطون ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله معه وقال الظاهر يرون ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله بعده (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور) أى جميع الامور فى الآخرة حيث لا مالك سواه وقرأ الاخوان وابن عامر يفتح التاء وكسر الجيم (يولج الليل فى النهار) فيزيد النهار (ويولج النهار فى الليل) فيزيد الليل (وهو عليم بذات الصدور) أى بمكنونات القلوب من نياتهم (آمنوا بالله ورسوله) وهذا خطاب مع من عرف الله فالله صود من هذا الامر معرفة صفات الله أمام معرفة وجود الصانع خاصة للكل (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أى من الاموال التى فى أيديكم التى

جعلكم الله عنزلة الو كلا فيهما تحفظونهما من يأتون بعدكم فلا ينبغي لكم البخل بما قال صواب ان تصرفوها في الوجوه التي تنفعكم في المعاد (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) أموالهم في طاعة الله (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره (ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا ربكم وقد أخذ ميثاقكم) أي أي شيء حصل لكم غير مؤمنين بالله والحال أن الرسول يدعوكم للإيمان به والحال أن الرسول قد نصب الدلائل الموجبة لقبول دعوة الرسول في العقول فقد تطابقت دلائل النقل والعقل ومهيت الدلائل المستلزمة وجوب القبول ميثاقا لانها أو كد من الحلف (ان كنتم مؤمنين) أي ان كنتم تؤمنون بشيء لا جـل دليل فـالـكم لا تؤمنون الآن فانه قد تطابقت الدلائل العقلية والعقلية وبلغت مبلغا لا يمكن الزيادة عليها وقرأ أبو عمر وأخذ ميثاقكم بالبناء للمفعول ورفع ميثاقكم أي مكن عقولكم من النظر في الأدلة (هو الذي ينزل على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (آيات بينات) وهي القرآن (ليخرجكم) أي الله أو العبد بتلك الآيات (من الظلمات إلى النور) أي من الكفر إلى الإيمان (وان الله بكم لرؤوف رحيم) حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الأدلة العقلية (ومالكم أن لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) أي وأي شيء يحصل لكم يا معشر المؤمنين في أن لا تنفقوا فيما هو قربة إلى الله تعالى ما هو له في الحقيقة والحال أنه لا يبقى لكم شيء منها بل يبقى كله لله تعالى فانكم ستتموتون وتموتون أي وذلك لان المال لا بد من خروجه عن اليد اما بالموت واما بالانفاق في طاعة الله فان خرج عن اليد بغير الانفاق في طاعة الله استعقبه اللعن والعقاب وان خرج عنها بالانفاق في مرضاة الله استعقبه المدح والثواب (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي لا يستوى منكم يا معشر المؤمنين عند الله في الفضل من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل أعداء الله ومن أنفق وقاتل من بعد فتح مكة وقوة الاسلام وقرى قبل الفتح بغير من (أولئك) أي المنعوتون بدينك النعمتين الجميلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة عند الله (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه أول من آمن وأنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا شديدا أشرف به على الهلاك قال عمر كنت قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر عليه عشاء قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال مالي أرى أبا بكر عليه عشاء خللها في صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقربى عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأمحط على ربي اني عن ربي راض (وكلا وعد الله الحسنى) أي وكل واحد من الفريقين وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أي وكل وعد الله الحسنى (والله بما تعملون خبير) فيوصل الثواب اليكم بحسب استحقاقكم له (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) أي من ذا الذي ينفق ماله في طاعته تعالى بالصدق من قلبه رجاء أن يعوضه وقال بعض العلماء لا يكون القرض حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة الأول أن يكون القرض من الحلال والثاني أن يكون من أكرم ما تملكه دون أن تنفق الردي والثالث أن تتصدق بما تملكه وأنت تحتاج اليه بأن ترجوا الحياة والرابع أن تصرف صدقتك إلى الاحوج والخامس أن تكتم الصدقة ما أمكنك والسادس أن لا تتبعها منا ولا أذى والسابع أن تقصدها وجه الله ولا ترائي والثامن أن تستحقها تعطى وان كثر والتاسع أن يكون المعطى من أحب أموالك إليك والعاشر أن لا ترى عز نفسك وذل الفقير بل ترى نفسك تحت

دين الفقير وترى الفقير كان الله تعالى أحال عليكم رزقه الذي قبـ له منكم (فمضاعفه) أي فيعطيه الله
أجره أضـعافاً وقرأ عاصم بالالف والنصب ونافع وأبو عمرو وحزرة والكسائي بالالف والرفع وابن كثير
بالتشديد في العين والرفع وابن عامر بالنصب فالرفع على العطف على يقرض أو على الاستئناف على تقدير
مبتدأ أي فهو يضاعفـه والنصب على جواب الاستفهام بالغاء (وله أجر كريم) أي وللقرض ثواب
حسن في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وإن لم يضاف فكيف وقد ضعف اضـعافاً كثيرة إلى
أكثر من سبع مائة نزلت هذه الآية في أبي دحداح (يوم) ظرف لقوله تعالى فيضاعفه أو للاستقرار
العامل في وله أجر أي استقر له أجر يوم (ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم)
وهذا النور هو ما يكون سبباً للنجاة وانما قال تعالى بين أيديهم وبأيمانهم لأن السعداء يؤتون صفائف
أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونهما من شأئلهن ووراء ظهورهم فإذ امرؤ على الصراط
يسعى معهم نور الأيمان والأعمال المقبولة أمامهم ونور الانفاق في جهة أيمانهم لأن الانفاق يكون بالإيمان
ومراتب الأنوار مختلفة على قدر الأعمال فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن وصنعاء ومنهم من نوره مثل
الجبل ومنهم من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه وأدناهم نوراً من يكون نوره على إبهاميه ينطفيء مرة
ويتقد أخرى وهذا القول منقول عن ابن مسعود وقتادة وغيرهما وقرأ سهل بن شعيب وأبو حيوة
وبأيمانهم بكسر الهمزة أي وبسبب إيمانهم حصل سعى ذلك النور (بشراً لكم اليوم جنات) أي تقول لهم
الملائكة على الصراط بشارتكم العظيمة في هذا الوقت دخولكم جنات (تجربى من تحتها الأنهار
خالدين فيها) وهو حال من ضمير المخاطب المقدر (ذلك) أي ماتقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة
(هو الفوز العظيم) الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم بأسقاط كلمة هو (يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين آمنوا) لما رأوا وهم يسرع بهم إلى الجنة ويوم بدل من يوم ترى أو كان العامل فيه ذلك هو
الفوز العظيم (انظرونا) أي انظروا أينما أي لأنهم إذ انظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور
أمامهم فيستضيئون به وقرأ حمزة أنظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء أي انتظرونا لنمطق بكم (نقتبس من
نوركم) أي نستضيئ بنوركم (قيل) أي قال لهم المؤمنون قول تنديم وتوبيخ (ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نورا) أي ارجعوا إلى المرقف حيث أعطينا النور فاطلبوا نوراً هناك وقيل ارجعوا إلى دار الدنيا فالتمسوا
هذا النور هناك وقال أبو مسلم المراد من قول المؤمنين ارجعوا الخ منع المناقين عن الاستئناء لا أمر لهم
بالرجوع أي تخو أعنا فلا سميل لكم إلى وجدان هذا المطلوب البتة فرجعون في طلب النور (فضرب
بينهم) أي بينى بين الفريقين (بسور) الباء زائدة أي حاطب بين الجنة والنار كما قاله قتادة أو حجاب كما في
سورة الاعراف كما قاله مجاهد وقال من قال ارجعوا إلى دار الدنيا والمراد من ضرب السور هو امتناع العود
إلى الدنيا (له باب باطنه فيه الرحمة) أي لذلك السور باب في باطن ذلك السور الجنة التي فيها المؤمنون
(وظاهره من قبله العذاب) أي وخارج السور من جهته النار فالمؤمنون يدخلون الجنة من باب ذلك
السور والكافرون يبقون في العذاب (ينادونهم) أي ينادى المنافقون المؤمنين من وراء السور
(ألم نكن معكم) في الدنيا على الغزوات والعبادات (قالوا بلى) أي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في
الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموهما بكفر السر واستعملتموهما في المعاصي والشهوات
(وتربصتم) أي احتكرتم أنفسكم عن التوبة من النفاق وانتظرتهم موت رسول الله وحوادث السوء
على المؤمنين (وارتبتم) أي شكركتم في نبوة محمد وفي البعث وفي وعيد الله (وغرتكم الأمانى) أي

الا باطيل وهي ما كانوا يقيمون من نزول الحوادث بالموثمين ومن انتكاس امر الاسلام (حتى جاء امر الله)
 أى حتى جاءكم وعد الله بالموت على غير التوبة من النفاق أى حتى أماتكم الله والله اكبر في النار (وغيركم
 بالله الغرور) بفتح الغين أى الشيطان للاقائه اليكم ان لا خوف عليكم من محاسبة ومجازاة وقرأ سمعك
 ابن حرب بضم الغين والمعنى وغيركم عن طاعة الله سلامتكم من اباطيل الدنيا مع الاغترار بامتنعة الدنيا
 (فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) أى فالיום لا يقبل منكم يا معشر المنافقين فداء ولا
 من الذين أظهروا الكفر وقرأ ابن عامر تؤخذ بالتأنيث (ماواكم النار) أى منزل لكم النار (هى
 مولاكم) أى هى موضعكم الذى تصلون اليه (وبئس المصير) أى بئس المرجع هذه النار (ألم يأن للذين
 آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم بتخفيف
 الزاى والمعنى ألم يحى وقت أن تخشع قلوب المؤمنين لذكرهم الله ولما نزل من القرآن وينقادوا لأوامره
 ونواهيه انقياداً تاماً وقرأ الباقر وأبو بكر عن عاصم بتشديد الزاى أى ولما نزل الله من القرآن وعن أبى
 عمر ونزل مبنيًا للمفعول وقرأ الحسن البصرى ألم يثن بكسر الهمزة وسكون النون وقرأ الحسن المايان
 وعن الاعمش قال ان الصحابة لما قدموا المدينة أصابوا اليفافى العيش ورفاهية ففترعوا عن بعض ما كانوا
 عليه فعوتبوا بهذه الآية (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) أى هذا ما معطوف على تخشع
 فلا نافية أى وألم يأت وقت ان لا يكونوا كاليهود والنصارى من قبل ما نزل اليكم والمراد نهى المؤمنين عن
 عائلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين
 شهواتهم واذا هموا التوراة والانجيل خشعوا لله ورت قلوبهم واما جزم بلا المناهية ويدل على هذا
 الوجه قراءة من قرأ بالتاء على سبيل الالتفات (فطال عليهم الامد) أى طالت المدة بينهم وبين أنبيائهم
 وقيل أى طالت أعمالهم فى الغفلة وقيل طال عليهم الزمان بطول الامل وقال ابن عباس أى مالوا
 الى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله وروى عن ابن كثير الامد بتشديد الدال أى الوقت الاطول فزال
 عنهم الروعة التى كانت تأتيمهم من الكفاين (فقست قلوبهم) للوعاظ بسبب الطول (وكثير
 منهم فاسقون) أى خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكفاين من أجل فرط قسوتهم وهذه الإشارة الى
 أن عدم الخشوع فى أول الامر يقضى الى الفسق فى آخر الامر (اعلموا ان الله يحى الارض بعد موتها)
 أى ان الله يلين القلوب بالخشوع النائمى عن الذكر وتلاوة القرآن بعد موتها كما يحيى الله الارض
 بالغيث بعد يبوستها كذلك يحيى الله الموتى من القبور بالمطر (قد بينا لكم الآيات) الدالة على قدرتنا
 على احياء الموتى (لعلكم تعقلون) أى لئلا تكمل عقولكم فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ان
 المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم) وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية أبى بكر
 بتخفيف الصاد من التصديق أى ان الذين آمنوا من الرجال والنساء تصدقوا صدقة واجبة أو تطوعاً عن
 طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم الى ألف الى ما شاء الله من الاضعاف
 وقرأ الباقر وحفص عن عاصم بتشديد الصاد من التصديق وقرأ أبى ان المتصدقين والمتصدقات والمعنى
 ان الذين أعطوا الصدقة من الرجال والنساء وعملوا الصالحات الخ لان اقراض الله من الاعمال الصالحة
 وهو تقديم الحسنات وقرأ ابن كثير وابن عامر يضاعف لهم بتشديد العين والجار والمجرور نائب الفاعل
 (ولهم أجر كريم) أى ثواب حسن فى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك الصديقون) وهم الذين
 آمنوا بالرسول حين أتوهم ولم يكذبوهم ساعة قط مثل آل ياسين ومؤمن آل فرعون وأما فى أمة محمد فهم

ثمانية سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وحزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته كما قاله الضحاك ومقاتل
ويقال الصديق هو الذي يحمل الأمر على الشق ولا ينزل إلى الرخص ولا يميل إلى التأويلات
(والشهداء) وهذا ما معطوف على ما قبله ويجوز الوقف هنا وهم عدول الآخرة الذين تقبل شهادتهم
وقال الضحاك هم التسعة الذين مميّناهم رضى الله عنهم وقال مقاتل ومحمد بن جرير هم الذين استشهدوا
في سبيل الله وقال الفراء والزجاج هم الأنبياء فأرسل مبتدأ ثان وهم مبتدأ ثالث والصدّيقون خبرهم
وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول أى أوائل عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء بعلاوة الرتبة
ورفعة المحل وأما مبتدأ وخبره أما (عند ربهم) وأما (أجرهم ونورهم) وعلى هذا فالوقوف على
الصدّيقون تام والأظهر أن جملة لهم أجرهم من مبتدأ وخبر محلها رفع على أنه خبر ثان للوصول والضمير
الاول للوصول والاخبار للصدّيقين والشهداء وهذه الجملة بيان ثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال أى
للذين آمنوا مثل أجر الصديقين والشهداء ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المثال فالمعادلة بين تمام
مال الاول من الاصل والاضعاف وبين مال الآخرين من الاصل بدون الاضعاف وقد حذف أداة التشبيه
تنبيهها على قوة المعادلة وبلوغها حد الاتحاد ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين اتبعه بذكر حال الكافرين
فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا وقد رتبنا (أولئك) الموصوفون بتلك
الصفة الغبيضة (أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبدا ولما ذكر الله تعالى أحوال المؤمنين والكافرين
ذكر ما يدل على حقارة الدنيا وكل حال الآخرة (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) وهو فعل الصبيان الذين
يتعبون أنفسهم جدا ثم إن تلك المتاع تنقضى من غير فائدة (ولهو) وهو فعل الشبان فبعد انقضاءه
لا يبقى الا التخزن لا العاقل يرى المال ذاهبا والعمر ذاهبا (وزينة) وهو ذاب النسوان لان
المحبوب من الزينة تحسین العيب وتكميل النقص (وتفاجر بينكم) كتفاجر الاقران يفخر بعضهم
على بعض بالنسب أو بالقوة أو بالقدرة أو بالعسا كر وكلها ذاهبة (وتكثر) أى مغالبة في الكثرة
(في الاموال والاولاد) فالحياة الدنيا غير مضمومة وانما المذموم من صرف هذه الحياة الى طاعة الشيطان
ومتابعة الهوى لا الى طاعة الله تعالى والمعنى اعلموا أن شغل البال بالحياة الدنيا يثّر بين هذه الامور
الخمسة (كمثل غيث) أى صفة الدنيا في اعجابها كصفة مطر (أنجب الكفار بناته) أى أنجب
الزراع النبات الحاصل بالمطر وسمى الزارع كافرا لانه يغطي البذر بتراب الأرض (ثم يهيج) أى يحف
النبات (فقرء مصفرا) بعد ما رأيت ناضرا وقرى مصفرا (ثم يكون حطاما) أى ثم يصير النبات
متكسرا (وفي الآخرة عذاب شديد) لمن كانت حياته بهذه الصفة (ومغفرة من الله ورضوان)
لاوليائه وأهل طاعته والرضوان أعظم درجات الثواب (رما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لمن أقبل
عليها وأعرض بها عن طلب الآخرة قال سعيد بن جبیر الدنيا متاع الغرور وان المهلك عن طلب الآخرة فأنما
اذا عدت إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا الى مغفرة من ربكم)
أى سارعوا الى سائر ما كلفتم به فان المسارعة الى ذلك تؤدى الى مغفرة (وجنة عرضها كعرض السماء
والارض) أى لو جعلت السموات السبع والارضون السبع وألحق ببعضها بعض لكان عرض الجنة
في عرض جميعها (اعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) أى هيئت الجنة للمؤمنين من جميع الأمم (ذلك)
الموعود به من المغفرة والجنة (فضل الله) أى عطاؤه (يؤتيه من يشاء) ايتاءه اياه (والله ذو

الفضل العظيم) وهذا تنبيه على عظم حال الجنة (ما أصاب من مصيبة في الارض) هي لخطا المطر ووقلة
النبات ونقص الثمار وغلاء الاثمار وتتابع الجوع (ولا في أنفسكم) وهي الامراض والفقر وذهاب
الاولاد واقامة الحدود على الانفس (الاي كتاب) أي مكتوب في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها)
أي ان نخلق هذه المصائب والانفس والارض (ان ذلك) أي ان اثبات كل ذلك مع كثرة في الكتاب
(على الله يسير) وان كان عسير على العباد (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أي أخبرناكم بذلك لئلا
تحننوا حزنا زائدا على ما في أصل الجبلة على ما فاتكم من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي بما
أعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر لا يعظمه جزعه على ما فات ولا فرح به ما هوآت وقرأ
أبو عمر وأنا كم بقصر الهمة أي بما جاءكم من الله وقرى عما أوتيتكم والمراد في الحزن المانع عن التسليم
لأمر الله تعالى ونفي الفرح الموجب للبطل والاختيال (والله لا يحب كل مختال فخور) أي كل متكبر
بما أوتي فخور به عند الناس نظر الى ما في يده من الدنيا (الذين يبخلون) بأداء حق الله تعالى
(ويأمرون الناس بالحل) وذلك نتيجة فرحهم عند اصابة النعم والموصول صفة لكل مختال فخور وقيل
هو مستأنف لا تعلق له بما قبله وهو مبتدأ خبره محذوف وهو بيان لصفة اليهود والمعنى الذين يبخلون
ببيان صفة النبي التي في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب ما كلتهم ويأمرون الناس بالبخل به لهم
تهديد شديد (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) أي ومن يعرض عن الاتفاق فان الله غني عنه
فلا يعود عليه ضرر بخل البخيل حميد في ذلك الاعطاء مستحق للحمد حيث فتح أبواب نعمته وقرأنا نافع
وابن عامر فان الله الغني محذوف لفظ هو (لقد أرسلنا رسلا) أي الانبياء الى الأمم (بالبينات)
أي الدلائل القاهرة والمعجزات الظاهرة (وأرسلنا معهم الكتاب) أي أنزلنا اليهم الكتاب وهو الذي
يتوسل به الى فعل ما ينبغي من الافعال النفسانية لان به يتميز الحق من الباطل والحجة من الشبهة
(والميزان) هو الذي يتوسل به الى فعل ما ينبغي من الافعال البدنية وهو الذي يتميز به العدل
عن الظلم والزائد عن الناقص (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعاملوا فيما بينهم بالعدل (وأرسلنا الحديد
فيه بأس شديد) أي قوة شديدة وهو زاجر للخلف عما لا ينبغي والحاصل أن الكتاب اشارة الى القوة النظرية
والميزان اشارة الى القوة العملية والحديد اشارة الى دفع ما لا ينبغي (ومنافع للناس) أي لامتعتهم مثل
السكاكين والنفاس والمبرد وغير ذلك وما من صناعة الا والحديد آلتها (وليعلم الله من ينصره ورسوله
بالغيب) أي وليعلم الله من ينصر دينه ورسوله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة
أعداء الدين حال كونه تعالى غائبا عنهم أي ينصرونه تعالى ولا يصرونه (ان الله قوي) على الامور
قادر على اهلاك جميع أعدائه (عزيز) أي لا يمانع ولا يفتقر الى نصره أحد بل واغاليه صلوا بامثال
الامر في الجهاد الى الثواب (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) فجاء
بعدهما أحد بالنبوة الا وكان من اولادهم اوكانت الكتب الاربعة في ذرية ابراهيم وهو من ذرية نوح فانه
الاب الثاني لجميع البشر (فهم) أي الذرية (مهتد) الى الحق (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن
الطريق المستقيم (ثم قفينا على آثارهم) أي نوح وابراهيم ومن أرسلنا اليهم (برسلا) أي أرسلنا بعضهم
بعد بعض الى أن انتهى الى أيام عيسى عليه السلام (وقفينا بعيسى بن مريم) أي جعلناه متأخرا عنهم
في الزمان (وآتيناه الانجيل) أي أعطيناه الانجيل وقرأ الحسن بفتح همزة انجيل تنبيه على كونه
أعجيبا وانه لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) على دينه (رأفة) أي لنا

(ورحة) أى شقة أى وفقناهم للراحم والتعاطف بينهم وقرى رآفة على وزن فعالة (ورهبانية) وقرى
بضم الراء (ابتدعوها) أى أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها أى وفقناهم لاستحداث الرهبانية
ليخرجوا من فتنة بولس اليهود وروى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال يا ابن مسعود أما علمت أن بنى
اسرائيل تفرقوا سبعين فرقة كلها فى النار الا ثلاث فرق فرقة آمنى بعيسى عليه السلام وقاتلوا أعداء
الله فى نصرته حتى قتلوا وفرقة لم يكن لها طاقة بالقتال فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفرقة لم يكن لها
طاقة بالامر من قلبسوا العباء وخرجوا الى القفار والغياض (ما كتبناها عليهم) أى لم نرض الرهبانية
عليهم وهذه الجملة صفة ثانية للرهبانية (الا ابتغوا رضوان الله) أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله (فارعوها حق رعايتها) أى فاحفظوا الرهبانية حق حفظها لانهم أتوها لطلب الدنيا والرياء
والسعة (فأتينا الذين آمنوا) بمحمد (منهم) أى الرهبان (أجرهم) وهم الذين آمنوا بدين عيسى
ابن مريم وهم أربعون رجلا فى أهل اليمن جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ودخلوا فى
دينه أى لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق من الرهبان الا القليل انخطر رجل من صومعته وجاء
سائح من سياحته وصاحب دير من دير فآمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه (وكثير منهم) أى من
الرهبان (فاسقون) أى تاركوا تلك الطريقة ظاهرا وباطنا وهم الذين خافوا دين عيسى فقال الله تعالى
فى حق قوم عيسى (يا أيها الذين آمنوا) بعيسى وبالرسل المتقدمة (اتبعوا الله) فيمانها كم عنده
(وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) أى نصيبين (من رحمته) لا يمانكم
أولا بعيسى عليه السلام وثانيا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يبعدان يشاوبا على دينهم السابق وان كان
منسوخا ببركة الاسلام (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا نشون به) على الصراط وبين الناس (ويغفر
لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (والله غفور رحيم) أى مبالغ المغفرة والرحمة (لئلا يعلم أهل
الكتاب أن لا يقدر على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) لانه قادر مختار يفعل
بحسب الاختيار وازائدة كما يدل عليه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم وقوله تعالى وان الفضل على
أن لا يقدر على المعنى اغنا بالغنا فى هذا البيان وأطنبنا فى الوعد والوعيد ليعلم أهل الكتاب انهم
لا يقدر على تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة فى قوم مخصوصين وان
الفضل فى تصرف الله تعالى يعطيه من يشاء ولا اعتراض عليه فى ذلك أصلا والمقصود من هذه الآية أن
يزيل الله عن قلوب بنى اسرائيل اعتقادهم بان النبوة مختصة بهم وغبر حاصلة الا فى قومهم وقيل ان لفظة
لا غير زائدة والضمير فى قوله تعالى أن لا يقدر وعائد الى الرسول وأصحابه وقوله تعالى وان الفضل الخ
عطف على أن لا يعلم والمعنى انا فعلنا ذلك لئلا يعتقدا أهل الكتاب وهم بنو اسرائيل أنه لا يقدر النبي
والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذى هو سعادة الدارين ليعتقدوا أن الفضل فى ملكه تعالى على أن
عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فاتهم اذ لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه فقد
عوانهم يقدرون عليه (والله ذو الفضل العظيم) فان العظيم لا بد وأن يكون احسانه عظيما

(سورة المجادلة مدنية ثلثان وعشرون آية وأربع مائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبع مائة واثمان
وسبعون حرفا وهذه السورة أول النصف الثانى من القرآن باعتبار عدد السور فهى الثامنة
والخمسون منها وأول العشر الاخير من القرآن باعتبار عدد أجزاءه وليس فيها آية الا وفيها
ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا وحمل ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها) أي قد أجاب الله دعاء المرأة التي تخاضع
 أيها النفي في شأن زوجها وتلك المجادلة أنه صلى الله عليه وسلم كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر
 طلاقاً بان أنزل الله حكم الظهار على ما يوافق مطلوبها (وتشتكي إلى الله) بان قالت رافعة رأسها إلى
 السماء أشكو إلى الله فاقتي ووجدى وقالت إن لي صبية صغارا (والله يسمع تحاوركما) أي مراجعتهما
 في الكلام (إن الله مهيئ بصير) أي يسمع كلام من يناديه ويهصر من يتضرع إليه روى أن خولة بنت
 ثعلبة بن مالك بن الدخشم الأنصارية كانت تحت أوس بن الصامت الأنصاري رآها زوجها وهي ساجدة
 في الصلاة وكانت حسنة الجسم فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها فلما سلمت من الصلاة طلب وقاعها فأبى
 فغضب عليها وكان به لم أي توقان إلى النساء وقيل مس من الجن فأراد أن يأتيها على حال لا تؤتى عليها
 النساء فأبى عليه فغضب وقال إن خرجت من البيت قبل أن أفعل بك فأتت على كظهر أمي ثم قدم على
 ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
 الله إن أوساتر وجني وأنا شابة مرغوب في فلما كبر سنني وكثر ولدي جعلني كأمه وإن لي صبية صغارا إن
 ضممتهم إليهم ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله
 والله ما ذكر طلاقاً وأنه أبو ولدي وأحب الناس إلى فقال حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووجدى
 وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشككت إلى الله وجعلت ترفع رأسها إلى السماء
 وتقول اللهم اني أشكو إليك فانزل على لسان نبيك فرحى فيبين ما هي كذلك إذ ترفع وجه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فنزلت هذه الآية ثم أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى زوجها وقال ما حلك على ما صنعت فقال
 الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ عليه الآية وقل له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال
 هل تستطيع الصوم فقال لا والله لولا أن آكل في اليوم مرة أو مرتين لكل صرير ولظننت أني أموت
 فقال له هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً فقال لا والله يا رسول الله ألا أن تعينني منك بصدقة فأعانه
 رسول الله بخمسة عشر صاعاً وأخرج أوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكيناً (الذين يظاهرون
 منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم) أي الذين يجرمون نسائهم هم على أنفسهم كتحريم الله عليهم ظهور
 أمهاتهم ليست نسائهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب
 يظهرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء وقرأ ابن عامر وحزرة والسكسافي وخلف يظهرون بفتح الياء
 وتشديد الظاء وألف وقرأ أبو العالية وعاصم وحسين يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وألف وكسر
 الهاء وفي قراءة أبي يعقوب يظهرون وقرأ عاصم في رواية المفضل أمهاتهم بالرفع وقرئ بأمهاتهم وجملة ما هن
 أمهاتهم خبر المبتدأ الذي هو الموصول (إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم) أي ما أمهاتهم في الحرمة
 إلا اللاتي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم (وانهم) أي المظاهرين (ليقولون منكراً من القول) عند الشرع وعند العقل
 والطبع (وزورا) أي كذبا والظهار حرام اتفاقاً (وان الله لعفو غفور) إمام غير التوبة لمن
 شاء أو بعد التوبة إذ جعل الكفارة عليهم محصلة لهم من هذا القول المنكر (والذين يظاهرون من
 نسائهم ثم يعودون لما قالوا) أما بالسكوت عن الطلاق بعد الظهار زماناً يكتنه أن يطلقها فيه كما قاله
 الشافعي وأما باستباحة الوطء والملاسة والنظر إليها بالشهوة كما قاله أبو حنيفة وأما بالعزم على جماعها
 كما قاله مالك (فتحرير رقبة) أي فالواجب اعتناق رقبة مؤمنة فلا تجزى كافرة عند الشافعي وقال

أبو حنيفة تجزى أى رقبة كانت سواء كانت مؤمنة أو كافرة (من قبل أن يتماسا) أى إن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بشئ من جهات الاستمتاع فلا يباشر المظاهر امرأته ولا يتلذذ منها بشئ حتى يكفر فإن وطئها قبل أن يكفر استغفر الله وأمسك عنها حتى يكفر كفارة واحدة (ذلسم) أى التغليظ في الكفارة (توعظون به) أى تزجرون به عن اتيان ذلك المسكر كي تتركوه ولا تعاودوه (والله بما تعملون خبير) أى من التكفير وتركه (فمن لم يجد) أى رقبة (فصيام شهرين) أى فعلية صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا) بجميع ضرب الميس من لمس بيد وغيرها (فمن لم يستطع) أى الصيام (فإطعام ستين مسكينا) لكل مسكين مدمن طعام بلده الذى يقتات منه خنطة أو شعير أو رزأ أو تمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعتبر مدحدث بعد - وقال أبو حنيفة لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع واحد من تمر أو شعير ولا يجزئه دون ذلك (ذلك لثؤمنوا بالله ورسوله) أى ذلك البيان للأحكام لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه ولا تستمروا على أحكام الجاهلية من جعل الظهار أقوى أنواع الطلاق (وتلك) أى هذه الأحكام المذكورة (حدود الله) التى لا يجوز مجاوزتها (وللكافرين) أى لمن جحد هذه الأحكام وكذب بها (عذاب أليم) فإن عجز عن جميع خصال الكفارة لم تسقط عنه بل هى باقية فى ذمته الى أن يقدر على شئ منها ولا ينبغى للمرأة أن تدعه يقربها حتى يكفر فإن تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها وأجبره على التكفير وإن كان الاجبار بالضرب ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحس الا كفارة الظهار وحدها لا ترك التكفير اصرار بالمرأة واه يتناع من ايفاء حقها (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادونهم أو لك بالمحاربة مع أولياء الله أو بالصدع عن دين الله وتكذيبه (كتبوا) أى اذلوا (كما كتب الذين من قبلهم) أى كما أخزى كفارا الامم الماضية المعادين للرسول عليهم الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) أى والحال اننا قد أنزلنا آيات وافحات فى شأن من خالف الله ورسوله عن قبلهم من الامم من اهلاكمهم (وللكافرين) بتلك الآيات (عذاب مهين) أى يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله جميعا) أى مجتمعين فى حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) نخبرهم بالهم وتظهر الحالم الذى يتنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أى أحاط الله بجميع أحوال تلك الاعمال من الكمية والكيفية والزمان والمكان (ونسوه) أى والحال أنهم قد نسوا أعمالهم لانهم تهاونوا بها حيث فعلوها ولم يبالوا بها لجراهم على المعاصي (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه أمر من الامور قط (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى ألم تعلم علما يقيننا أنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) أى ما يوجد من متناجين ثلاثة الا الله رابعهم ولا متناجين خمسة الا الله سادسهم (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) أى من الاماكن ولو كانوا تحت الارض قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يؤموا يتخذون فقال أحدهم هل يعلم الله ما نقول وقال الثانى يعلم البعض دون البعض وقال الثالث ان كان يعلم البعض فيعلم الكل وفى مصحف عبد الله ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله رابعهم ولا أربعة الا الله خامهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا الله معهم اذا أخذوا فى التناجى أى فالتعالى عالم بكلامهم وضميرهم وسرهم وعلتهم فكانه تعالى حاضر معهم ومشاهد لهم قرأ ابن أبي عبيدة ثلاثة وثلاثة وخمسة بالنصف على الحال باضمار يتناجون وقرأ

الحسن والاعمش وابن أبي اسحق وأبو حيوه ويعقوب ولا أكثر بالرفع امامه طوف على محل نجوى أو هو مبتدأ لعطفه على مبتدأ وهو أدنى وجمله الأهو معهم خبره وقرئ ولا أكبر بالباء المنقطة من تحت (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) أي يحاسب على ذلك ويجازى على قدر الاستحقاق وقرأ بعضهم ينبئهم بسكون النون (إن الله بكل شيء عليم) وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات (المر) أي ألم تنظر يا أشرف الخلق (إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم) أي بما هو اثم في نفسه كالكذب (والعدوان) للمؤمنين (ومعصيت الرسول) أي مخالفته نزلت في اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يحزنهم فلما أكثروا ذلك شكى المؤمنون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ حمزة وحده لا يتنجون أي ويخص اليهود المنافقين بمناجاتهم وقرئ والعدوان بكسر العين قرئ ومعصيات الرسول (واذا جاؤك) يا أشرف الخلق (حيوك بما لم يحيك به الله) أي أنهم كانوا يجيئون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون في تحيتهم يا ك السام عليكم يا محمد وهم يوهمون أنهم يقولون السلام عليك فيرد النبي عليهم وعليكم والسام بلغتهم الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى (يا أيها الرسول ويا أيها النبي) ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي ويقولون فيما بينهم إذا خرجوا من عند رسول الله أن محمدًا لو كان رسولاً فلم لا يعذبنا الله بما نقول لنبيه على هذا الاستخفاف وقيل أنهم قالوا إن محمدًا يراد علينا يقول وعليكم السام فلو كان نبياً كما يزعم لمكان دعاءه علينا مستجاباً ولتناو هذا موضع تعجب منهم فأنهم كانوا أهل الكتاب يعلمون أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يغضبون فلا يعاجلون من يغضبهم بالعذاب فأنزل الله فيهم (حسبهم جهنم) عذاباً (يصلونها) أي يدخلونها (فبئس المصير) جهنم أي أن تقديم العذاب اغنياً يكون بحسب المشيئة والمصلحة فإذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب في الدنيا فعذاب جهنم يوم القيامة كافيههم في الردع عما هم عليه (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم) فيما بينكم (فلا تتناجوا بالاثم) وهو ما يقيم (والعدوان) وهو ما يؤدي إلى ظلم الغير (ومعصيت الرسول) وهو ما يكون خلافاً عليه وقرئ فلا تتنجوا ولا تتناجوا بحذف إحدى التاءين (وتناجوا بالبر) وهو الذي يضاد العدوان (والتقوى) وهو ما يتقرب به من النار من فعل الطاعات وترك المعاصي (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) أي اتقوا الله في أن تتناجوا دون المؤمنين الذي تجمعون بقهر إليه تعالى يوم القيامة أي إلى مكان المحاسبة والمجازاة (اغما النجوى من الشيطان يحزن الذين آمنوا) أي اغما النجوى السابقة وهي نجوى المنافقين مع اليهود معتدة من الشيطان أي أن الشيطان يأمرهم بأن يقدموا على تلك النجوى التي هي سبب لحزن المؤمنين وذلك لأن المؤمنين إذا رأوا هم متناجين قالوا ما تراهم إلا وقد بلغهم عن أقرائنا وأخواننا الذين خرجوا إلى الغزوات أنهم قتلوا وهزموا ويقع ذلك في قلوبهم ويحزنون له وقرأ نافع ليحزن بضم الياء وكسر الزاي فيمنئذ ففاعله ضمير يعود على الشيطان أي ليحزن الشيطان المؤمنين بتوهمهم أن النجوى في نكبة أسابتهم (وليس بضارهم شيئاً إلا بأذن الله) أي وليس مناجاة المنافقين بضار المؤمنين شيئاً من الضرر إلا بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فإن من توكل عليه لا يخيب أملة ولا يبطل سعيه (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) أي إذا قيل لكم ليتوسع بعضكم عن بعض فتوسعوا (يفسح الله لكم) في كل ما تريدون التوسع فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة وهذه الآية تدل على أن كل من وسع على عباد

الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة والمراد من هذا التوسيع اتصال الخير إلى المسلم وأدخال السرور في قلبه وقرأ الحسن وداود بن أبي هند تفامحوا وقرأ عاصم في المجلس بصيغة الجمع لأن لكل جالس موضع جلوس على حدة والباقون في المجلس بالتوحيد على أن المراد به الجنس وقرئ في المجلس يفتح اللام قيسل تزلت هذه الآية في نفر من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي جالساً في صفة صفيّة يوم الجمعة فلم يجدوا مكاناً يجلسون فيه فقاموا على رأس المجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يكن من أهل بدر يا فلان قم ويا فلان قم من مكانك ليجلس فيه من كان من أهل بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية لمن أقامه من المجلس فانزل الله فيهم هذه الآية يوم الجمعة وروى عن ابن عباس أنه قال تزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم بحالهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب منه صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام وذكروا للرسول بحجة القرب منه ليسمع منه وإن فلان لم يسمع له وأمر القوم بأن توسعوا ولا يقوم أحداً لحد فتزلت هذه الآية بمسئلة إذا أمر انسان انساناً أن يكر إلى الجامع فيما أخذه مكاناً يقدف فيه لا يكره فإذا جاء الأمر يقوم من الموضع أما إذا أرسل بحجادة لتغرش له في المسجد حتى يحضر هو فيجلس عليه فذلك حرام لما فيه من تحجير المسجد بلافاضة (وإذا قيل انشروا فانشروا) أي وادأقيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لآخوانكم فارتفعوا وقوموا إلى الموضع الذي تأمرون به وقرئ انشروا بكسر الشين وبضمها (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) أي يرفع الله المؤمنين منكم أيها المؤمنون بالتفسيق والعالمين منهم خاصة درجات بامتثال أوامره تعالى وأمر رسوله والموصول الثاني معطوف على الموصول الأول أمامن عطف الخاص على العام أو من عطف الصفات ودرجات مفعول ثان كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء درجات وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى منكم ويتصب الذين أو توابفعل مضمر أي ويخص الذين أو تواتوا العلم بدرجات أو ويرفعهم إلى درجات قال ابن مسعود مدح الله العلماء في هذه الآية والمعنى أن الله تعالى يرفع الذين أتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤثروا العلم درجات في دينهم إذا فعلوا بما أمر به (والله بما تعملون خبير) وهذا تهديد لمن يعتدل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحمية (يا أيها الذين آمنوا إذا أتاكم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي إذا أردتم مناجاة الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته صلى الله عليه وسلم فصدقوا قبل المناجاة وفائدة هذا التقديم تعظيم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الانسان إذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه وإن وجد به السهولة استحققه ونفع كثير من الفقهاء بتلك الصدقة المقدمة على المناجاة وتعيين محب الآخرة عن محب الدنيا بتلك الصدقة فإن المال محل الدواعي وقال أبو مسلم إن المنافقين كانوا يعتنعون من بدل الصدقات وأن قوماً من المنافقين تركوا النفاق وآمنوا بظاهره وأطمأنوا بحقيقته فأراد الله تعالى أن يعيرهم عن المنافقين فأمر بتقديم الصدقة على النجوى ليميز هؤلاء الذين آمنوا بالحق بغير نفاق على نفاقه الأصلي وهذا التكليف كان مقدراً بغاية مخصوصة فوجب انتهاء عند الانتهاء إلى الغاية المحصورة فلا يكون هذا منسوخاً وقيل تزلت هذه الآية في أهل المدينة فأنهم من كانوا يكثر من المشاجرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم دون الفقراء حتى تأذى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والفقراء فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالصدقة قبل أن

قوله تعالى والله على كل شيء قدير في بني النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن يكونوا عليه ولا له لما غزا بدر وأظهر على المشركين قالوا هو النبي المنعوت في التوراة بالنصر فلما غزا أحداهم المسلمون ارتابوا ونكثوا العهد فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود الى مكة وحالفوا أباسفيان وصحابه أربعين رجلاً عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري بقتل كعب ابن الأشرف فقتله غيلة ثم صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكثائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم أخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب فبعث اليهم خفيصة عمدة الله بن أبي المنافق وأصحابه وقالوا لا تأخذ رجوا من الحصن فان قاتلوكم فخنن معكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فحصبوا الأزقة فحاصروهم النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين ليلة فلما قدف الله الرعب في قلوبهم وآيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أيات على بعير ماشاءوا من متاعهم وللنبي ما بقي فجلوا الى الشام الى أريحا وأزرعوا الأهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حبي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) هم بنو النضير من اليهود (من ديارهم) أي مساكنهم بالمدينة (الاول الحشر) أي عند أول اخراج الجمع من مكان الى مكان وهم أول من أخرجوا من جزيرة العرب الى الشام لم يصيبهم هذا الذل قبل ذلك وأما آخر حشرهم فهو اجلاءهم من خيبر الى الشام (ما ظننتم) أيها المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل لعزتهم وقوتهم (وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله) أي من عذاب الله أي كانت حصونهم منيعة فظنوا انها تمنعهم من رسول الله وحصونهم امامه تبدأ وما نعتهم خبر مقدم والجملة خبران واما فاعل لما نعتهم وهي خبران (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي فأتى أمر الله اليهود بأذلالهم من حيث لم يخطر ببالهم وعوقل رئيسهم كعب بن الأشرف على يد أخيه غيلة وقرى فأتاهم الله بعد الهزيمة أي فأعطاهم الله الهلاك وقيل الضمير للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله من حيث لم ير جواؤه اخرج بني النضير من قرية يقال لها زهرة الى الشام وكان بين زهرة والمدينة ميلان (وقذف في قلوبهم الرعب) أي أثبت في قلوبهم اسم الخوف من محمد وأصحابه وكانوا قبل ذلك لا يخافون (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) أي يهدمون بعض بيوتهم بأيديهم من داخل الحصون ليسدوا بالحشب والججارة أفواه الأزقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتهم على النقل ويهدم المؤمنون بعض بيوت بني النضير من خارج توسيعاً لمجال القتال وفكاً ليداهم ومنعاً لتحصنهم بها وقرأ أبو عمرو وحده بخربون بفتح الخاء وتشديد الراء وقال الاخواب ترك الموضع خراباً والتخريب الهدم وبنو النضير خربوا وما أخرجوا (فاعتبروا يا أولي الابصار) أي فاعتظوا بحالهم ولا تعتمدوا على شيء غير الله تعالى كما اعتمد هؤلاء على حصونهم وعلى قوتهم وعلى المنافقين فليس للزاهد ان يعتمد على زهده فان زهده لا يكون أكثر من زهد بلعام وليس للعالم ان يعتمد على علمه انظر الى ابن الراوندي مع كثرة ممارسته كيف صار فلا ينبغي لاحد ان يعتمد الا على فضل الله ورحمته (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أي ولولا ان قضى الله على بني النضير الخروج عن أوطانهم على الوجه الفطيع (لعذبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل باخوانهم بني قريظة من اليهود (ولهم في الآخرة عذاب النار) وهذا استثناف غير متعلق بجواب لولا أي ولهم على كل حال سواء أجلوا أم لا عذاب النار في

الآخرة (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك المذكور من العذاب بسبب أنهم خالفوا الله ورسوله في الدين (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) أي ومن يخالف الله يعاقبه الله في الدنيا والآخرة فإن الله شديد العقاب وقرئ ومن يشاق الله كما في الأنفال روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وقد تحصنوا بمحصونهم أمر أصحابه بقطع نخيلهم وأحراقها قال بنو النضير يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتخريبها فكان في أنفس المؤمنين شيء من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله تعالى قوله (ما قطعتم من لينة) أي أي شيء قطعتم أيها المسلمون من نخلة (أو تركموها فائمة على أصولها) كما كانت (فبأذن الله) أي فذلك القطع والترك باباحة الله تعالى ليعز المؤمنون (وليخزي الفاسقين) أي انما جوز الله ذلك القطع ليسر المؤمنين ويزداد غيظ الكفار اليهود ويتضاعف تلذذهم بسبب نفاذ حكم أعدائهم في أعز أموالهم وقسرى قومهم على أصلها وقرئ أيضا فائمة على أصوله ذهابا إلى لفظ ما (وما أفاء الله على رسوله منهم) أي ما رده الله لرسوله من يهود بني النضير فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دونكم (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أي لانكم ما أخرجتم إلى تحصيل ذلك خيلا ولا ركابا (ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء) من أعدائهم وقد سلط الله النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء اليهود من غير أن تقاسوا أيها المسلمون شدة اند الحروب فلاحق لكم في أموالهم (والله على كل شيء قدير) فيفعل ما يشاء نزلت هذه الآية في بني النضير وقرأهم ريس للمسلمين ومثذ كثير خيل ولا ركاب وانما كانوا في زهرة على ميلين من المدينة فشنوا اليها مشيوا ولم يركب الا رسول الله وكان راكب جمل فلما كانت المقاتلة قليلة أجراه الله تعالى بحرى ما لم يحصل فيه المقاتلة أصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال ثم روى انه صلى الله عليه وسلم قسمها بين المهاجرين ولم يعط الا نصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت لهم حاجة وهم أبو دجانة سمك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرب بن العمة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق ومعنى الآية ان الصحابة طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفقى بينهم كما قسم الغنمة بينهم فذكر الله الفرق بينهم ما وهوان الغنمة ما تعبتهم أنفسكم في تحصيلها وأوجفتم عليها الخيل والركاب والفقى ما ليس في تحصيله تعبت فكان الامر فيه مفوضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) كقرية والنضير وفدك وخيبر وعرينة وينبع والصفراء (فله وللرسول ولذى القربى) وهم بنو هاشم وبنو المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قيل يصرف سهم الله الى عمارة الكعبة والمساجد ويصرف سهم رسول الله بعد وفاته وهو أربعة أسهم الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الالههم فالاهم أو الى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لانهم قائمون مقام رسول الله في رباط الثغور (كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) أي جعل الله الفقى لمن ذكر لاجل أن لا يكون الفقى شيئا يتداوله الاغنياء بينهم لا يخرجونه الى الفقة راء وقرأ هشام تكون بالتأنيث على خلاف عنه دولة بالرفع أي كيلا يقع دور في يد الاغنياء وقرأ عيسى بن أبي طالب والسلمى بفتح الدال فقبل الضم والفتح بمعنى وقيل الدولة بالفتح من الملك بضم الميم والدولة بالضم من الملك بكسر الميم (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فانه واجب الطاعة لانه لا ينطق عن الهوى وهذا واجب ان كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى وان كانت الآية خاصة في الفقى فجميع أو أمره صلى

الله عليه وسلم ونواحيه داخله فيها (واتقوا الله) في مخالفته صلى الله عليه وسلم (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للقراء) بدل من لدى القرن وما عطف عليه كأنه قيل أعني بأولئك الأربعة هؤلاء الفقراء (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث ان كفار مكة أخرجوهم الى الخروج منها وكانوا مائة رجل (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي يخرجوا منها طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومروضاة في الآخرة (وينصرون الله ورسوله) بأنفسهم وأموالهم فان خروجهم من بين الكفار مهاجرين الى المدينة نصرة (أولئك هم الصادقون) في دينهم لانهم هجروا لذات الدنيا وتحملوا شداها لاجل الدين وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم وأقسم لكم من الغنائم وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم وأقسم الغنيمة بين فقراء المهاجرين خاصة ودونكم فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ولا نشاركهم في الغنيمة فأثنى الله عليهم فقال (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) أي والذين هبوا والدار الهجرة والايمان وتمكنوا فيها ما أشد تمكن من قبل مجي المهاجرين اليهم (يحبون من هاجر اليهم) من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لمحبتهم الايمان (ولا يجدون في صدورهم) أي في قلوبهم (حاجة) أي حرازة وحسدا (عما أوتوا) أي عما أعطى المهاجرين من الفى وغيره دونهم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي ويقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شئ من أسباب المعاش ولو كان فيهم فقر وحاجة الى ما يقدمون به غيرهم حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احدهما ويرزحها واحدا منهم روى عن أبي هريرة أن رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نوحى الصبية واطفى السراج وقربى للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) أي ومن يوق بتوفيق الله تعالى حرص نفسه على المال حتى يخالفها في حب المال وبغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) أي الظافرون بما أرادوا وقال ابن زيد من لم يأخذ شيئا منها الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمر الله باعطائه فقد وقى شح نفسه وقرى يوق بالتشديد وشح بكسر الشين (والذين جاؤا من بعدهم) أي من بعد هجرة المهاجرين ومن بعد قوة ايمان الانصار (يقولون) أي يدعون لهم (ربنا اغفر لنا) ذنوبنا (ولاخواننا) في الدين (الذين سبقونا بالايمان) وهو جميع من تقدمهم من المسلمين لا خصوص المهاجرين والانصار (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي حقا وقرى غمرا (للذين آمنوا) أي كانوا (ربنا انك رؤوف رحيم) فينبغي للؤمن ان يذكر السابقين بالدعاء والرحمة فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء كان خارجا من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية (ألم تر الى الذين نافقوا) وهم عبد الله بن أبى وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد فانهم كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا في دينهم (يقولون) في السر (لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود من بني قريظة والنضير فهم مشتركون في الكفر وفي عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (لئن أخرجتم) من المدينة (لنخرجن معكم) ونذهبن في محبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم) أي في شأنكم (أحدا) يمنعنا من الخروج معكم (أبدا) أي وان طال الزمان وقيل لانعين عليكم أحدا من أهل المدينة (وان قوتلتم) من أي معاتل كان (لننصرنكم) على عدوكم (والله يشهد انهم لكاذبون) في تلك المقالات الثلاثة المؤكدة بالايمان الفاجرة (لئن أخرجوا) أي اليهود من المدينة (لا يخرجون) أي المنافقون (معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك وفي هذا دليل على صحة النبوة وعجازه

القرآن حيث أخبر عما سيقع فوق الامر كما أخبر (واثن نصر وهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) أى ولئن
خرج المنافقون لقصده نصر اليهود لينهزم من المنافقون ثم لمسكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم
أولئك المنافقون الى اليهود لنصرهم لينهزم من اليهود ثم لا ينفعهم نصره المنافقين (لانتهم أشد رهبة في
صدورهم من الله) أى ان خوف المنافقين واليهود في السر من المؤمنين أشد من خوفهم من الله الذى
يظهرونه للمؤمنين وكانوا يظهر ون لهم خوفا شديدا من الله والمعنى أنهم لا يقدر ون على مقابلتكم لانكم
أشد مروية في صدورهم وهم يظهر ون خوفهم من الله (ذلك) أى كون خوفهم من المخلوق أشد من
خوفهم من الخالق (بأنهم قوم لا يفقهون) أى بسبب أنهم قوم لا يعلمون عظمة الله فيخشوه حق خشيته
(لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر) أى لا يقدر اليهود والمنافقون على مقاتلتكم
مجتمعين في موطن الا اذا كانوا في قرى محصنة بالخنادق والدروب أو الا اذا كان بينكم وبينهم حائط
وذلك بسبب ان الله ألقى في قلوبهم الرعب وان نصره الله معكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وجدار بكسر الجيم
وقح الدال بالامالة في جدار كما هو قراءة ابن عمرو وبالصلة في بينهم بحيث يتولد منها أو كما هو قراءة ابن
كثير والباقون جدر بضم الجيم والدال (بأسهم بينهم شديد) أى قتالهم فيما بينهم شديدا اذا قاتلوا
قومهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تحسبهم في صورتهم مجتمعين على المحبة متفقين على أمر
واحد والحال أن قلوبهم مختلفة لان كل أحد منهم على مذهب آخر وبينهم عداوة شديدة (ذلك) أى
تشتت قلوبهم (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتت قلوبهم عما يوهن قواهم اذ لو عقلوا لاجتمعوا على الحق
ولم يتفرقوا في العقائد والمقاصد (كثل الذين من قبلهم قريبا اذا قوا بال أمرهم) أى صفة بنى قريظة
في نقض العهد كصفة الذين من قبلهم يستعينونهم بنوا النضير اذا قوا عقوبة أمرهم من نقض العهد
(ولهم) في الآخرة (عذاب أليم كثل الشيطان) أى ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال
وخذلانهم كثل اليبض مع برصيصا العابد فالايض هو صاحب الأنبياء والاولياء وهو الذى تصدى
للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فدفعه جبريل الى أقصى
أرض الهند (اذ قال) أى الشيطان الذى يقال له الايض (للانسان) أى العابد الذى يقال له
برصيصا (اكفر بالله) فلما كفر بالله خذله و(قال انى برى منك) أى ليس بينى وبينك محبة أصلا
وقرى أنابرى منك روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد في صومعة له
سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وان ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مرده
الشياطين فقال الايض لا بليس أنا كفيك أمره فانطلق فتزايروا الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى
صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفقل عن صلاته الا في كل عشرة أيام مرة ولا يفطر في كل عشرة
أيام الا مرة فأقبل الايض يصلى في أصل صومعة برصيصا فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما رأى
برصيصا شدة اجتهاده الايض في العبادة قال له ما حاجتك قال حاجتى ان تأذن لى ان أرتفع اليك فأذن له
فارتفع اليه في صومعته فأقام حولا يتعبد فلا يفطر الا في كل أربعين يوما مرة ولا ينفقل من صلاته الا كذلك
ولما حال الحول قال الايض لبرصيصا ان عندى دعوات أعلمكها تدعوبهن فهن خير مما أنت فيه يشفى
الله تعالى بها المريض ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انى أكره هذه المنزلة وانى أخاف ان يشغلنى
الناس عن عبادة ربى فلم ير له الايض حتى علمه الدعوات ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال والله قد
أهلكك الرجل فانطلق الايض فتعرض لرجل فجثته ثم جاءه في صورة رجل مطيب فقال لاهله ان

لصاحبكم جنونا فأعاجله قالوا نعم فقال اني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله تعالى
 فيعاقبه انطلقوا الى برصيصا فان عند اسم الذي اذاد عابه أجيب فانطلقوا به اليه فسألوه الدعاء فدعاه
 فذهب عنه الشيطان فكان الالبيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعوهم فيعافون ثم تعرض
 الالبيض ابنت ملك من ملوك بني اسرائيل وكان لها ثلاثة أخوة وكان ملك بني اسرائيل معهم حينئذ ثم جاء
 الالبيض اليهم في صورة رجل مطيب فقال أفأعاجلها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها ما رد لا يطاق ولكن
 سأرشدكم الى رجل تنقون به تتركونها عنده اذا جاءها شيطانها دعها لها حتى تعلموا انها قد عوفيت
 فتأخذونها منه هيحة قالوا ومن هو قال هو برصيصا فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة ألصقوها
 بصومعة برصيصا ووضعوا تلك البنت في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك ثم انصرفوا فلما
 انقفل برصيصا من صلاته عاين تلك البنت وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه فجاءها الشيطان فخنقها
 فكان تكشف عن نفسها وتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال ويحك واقعها فلم تجده مثلها واستتوب
 بعد ذلك فلم ير الشيطان به حتى واقعها فلم ير على ذلك حتى حملت البنت وظهر حملها فقال له الشيطان
 ويحك برصيصا فهل لك أن تقتلها وترب فقتلها فدفنها ليل الجبل فجاء الشيطان وقتئذ فأخذ بطرف
 ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخواته الذين يتعهدونها
 فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدمته وانصرفوا
 فلما أمسوا كرو بين جاء الشيطان الى أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا
 وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال في نفسه هذا حلم من عمل الشيطان فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر
 ففعل الشيطان بأوسطهم مثل ذلك فقال مثل قول أكبرهم ولم يخبر بذلك الحلم أحد ففعل بأصغرهم مثل
 ذلك فقال لأخويه والله لقد رأيته كذا وكذا فقال الاوسط اننا والله رأيت مثل ذلك وقال الاكبر اننا والله
 رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت بأختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد
 أنتم متموني فقالوا والله لا نهملك واستحيرامنه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انهم مدفونة في
 موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على مارأوا في النوم فذهبوا
 الى برصيصا ومعهم غلمانهم بافوس والمساح فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم أتوا به الى الملك
 فأقر على نفسه فأمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الالبيض فقال يا برصيصا أتعرفني قال
 لا قال أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستحيب لك فلم ير الالبيض يعيره قال برصيصا له فكيف أصنع
 قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيئك مما أنت فيه من العذاب وآخر جلك من مكانك قال وما هي قال
 تسجد لي قال أفعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي أردت منك قد صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت
 بربك اني برى منك (اني أخاف الله رب العالمين) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو اني بفتح الياء
 (فكان عاقبتهم) أي الشيطان والراغب (أنهم في النار خالدين فيها) وعاقبتهم بالنصب خبر كان
 مقدم وقرئ شاذ بالرفع وقرأ ابن مسعود خالدين فيها على انه خبر ان في النار لغو (وذلك) أي الخلود في
 النار (جزاء الظالمين) أي المشركين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في كل ما تأتون وما تذكرون
 (ولتنظر نفوس) برة أو فاجرة (ما قدمت لغد) أي ما تريد ان تحصله ليوم القيامة فتفعله (واتقوا الله)
 باداء الواجبات وترك المعاصي (ان الله خير بما تعملون) من الخير والشر فلا تعملون عملا الا كان
 جبراً منه تعالى ومسمع فاستحيوا منه تعالى (ولا تكونوا) يامعشر المؤمنين (كالذين نسوا الله) أي

نسوا حق الله كالمنافقين واليهود فان المنافقين تر كوا طاعة الله في السر واليهود تر كوا طاعة الله في
 السر والعلائية (فانسا هم أنفسهم) أى فجعلهم الله ناسين حق أنفسهم حتى لم يعملوا لانفسهم
 ما ينفعهم عنده تعالى (اولئك هم الفاسقون) أى الكاملون في الفسوق أى الخروج عن دائرة الطاعة
 (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله تعالى لافى الدنيا
 ولا فى الآخرة بوجه من الوجوه واحتج بهذه الآية أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالذمى (أصحاب الجنة هم
 الفائزون) بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
 متصدعا من خشية الله) أى لو جعلنا فى الجبل على قساوته عقلا كما جعلنا العقل فيكم ثم أنزلنا عليه هذا
 القرآن المنطوى على فنون القوارع لخشع وتشفق خشية من الله وخوفا أن لا يؤدى حقه فى تعظيم
 القرآن وأنتم أيها المعترفون بالعجز لا ترغبون فى وعده ولا ترهبون من وعيده (وتلك الامثال نضربها
 للناس) أى نبينها لهم فى القرآن (لعلهم يتفكرون) أى لكي يتأملوا مواضع القرآن فانه لا عذر
 فى ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانعادت لمواضعه ولرأيته
 ذليلة متشفقة من خشية الله (هو الله الذى لا اله الا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أى عالم
 ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقال ابن عباس عالم السر والعلائية وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا وقيل
 عالم ما غاب عن الوجود وهو المعدوم وعالم الوجود (هو الرحمن الرحيم) أى هو العاطف على العباد
 البر والفاجر بالرزق لهم المنهم على المؤمنين خاصة بالمغفرة ودخول الجنة (هو الله الذى لا اله الا هو) أى
 لا معبود بحق الا هو وحده (الملك) أى المتصرف بالامر والنهي فى جميع خلقه (القدوس) أى
 البليغ فى النزاهة فى الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء قال الحسن أى الذى كثرت بركاته
 (السلام) أى الذى لا يطرأ عليه شئ من العيوب فى الزمان المستقبل (المؤمن) أى واهب الامن
 (المهيمن) أى الحافظ لكل شئ (العزیز) أى الذى لا يوجد له نظير أو الغالب (الجبار) أى الملك
 العظيم كما قاله ابن عباس أو مصلح أحوال العباد أو الذى يقهرهم على ما أراد (المتكبر) ربو بيته كما
 قاله ابن عباس أو المتعظم عن كل سوء كما قاله قتادة أو الذى تعظم عن ظلم العباد (سبحان الله
 عما يشركون) أى تنزيهه تعالى عما يشركون به (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجد فوجد فيرجع الى
 تعلق الارادة بالتنجيز القديم (البارئ) أى المبرز للاعيان من العدم الى الوجود فيرجع لتأثير
 القدرة الحادث فى خصوص الاعيان (المصور) أى مصورا لاشياء على هيأت مختلفة عما يريد تعالى
 فالتصوير آخر التقدير أولا والبر بينهما وقرأ على بن أبى طالب والحسن يفتح الواو وبالنصب مفعول
 للبارئ (له الاسماء الحسنى) أى له تعالى الاسماء الدالة على معانى الصفات الحسنة (يسبح له ما فى
 السموات والارض) أى ينطق ما فيه مما ينتزه تعالى عن جميع النقائص تنزهها ظاهرا (وهو العزيز
 الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم

﴿سورة الممتحنة وتسمى سورة براءة المبعثرة والفاخحة مدنية ثلاث

عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف

وخمسمائة وعشرة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى) فى الدين (وعدمكم) فى القتل وهم كفار مكة

(أولياء تلقون إليهم بالمودة) أي تصلون المودة بينهم وبينهم روى أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة كتاباً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم ثم أرسله مع سارة مولاة أبي عمرو ابن صبيح فأتاها حاطب وأعطاه عشرة دنانير وكساه رداً واستحمله ذلك الكتاب إلى أهل مكة فخرجت سارة فاطلع الله رسوله على ذلك فبعث علياً وعماراً وطهته والزبير والمقداد وأباً مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلاً فإن فيها طعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها واتركوها فإن أبت فاضربوا عنقه فادركوها ثمانية وسألوا عن ذلك فأنكرت وحلفت ما معها كتاب فسل على سيفه وقال والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها فجاءوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال إن لي بركة أهلاً ومالاً فأردت أن أتقرب منهم وقد علمت أن الله تعالى ينزل بأسه عليهم وإن كتابي لا يغني عنهم شيئاً وإن الله ناصرٌ عليهم فصدقه وقبل عذره فقال عمر مدني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدراً وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى اطمع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينها عمرو وقال الله ورسوله أعلم فنزلت هذه الآية وروى أن سارة عاشت إلى خلافة عمر وأسلمت وحسن إسلامها (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أي رحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الدين الحق وقرئ لما جاءكم أي كفروا لاجل ما جاءكم من الرسول والقرآن أي جعلوا ما هو سبب الإيمان سبباً للكفر (يخرجون الرسول وأيائكم) من مكة إلى المدينة (أن تؤمنوا بالله ربكم) وهذا تعليل للإخراج أي يخرجونكم لإيمانكم بالله (أن كنتم خرجتم) من مكة إلى المدينة (جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي) وهذا أمر بتبطل بالاتخاذوا أي لا تتولوا أعدائي أن كنتم أوليائي (تسرون إليهم بالمودة) أي بالنصيحة وهذه الجملة بدل من تلقون إليهم بدل بعض لأن القاء المحبة يكون سرا وجهراً (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي والحال أني أعلم منكم بما أخفيتم في صدوركم وما أظهرتم بالسنتكم فأى فائدة لكم في أسرار النصيحة وقد علمتم أن الاخفاء والاعلان سيان في علمي (ومن يفعلهم منكم) فقد ضل سواء السبيل (أي ومن يفعل أسرار النصيحة للكفار فقد أخطأ طريق الصواب هذا كله معاتبه لحاطب وهذا يدل على فضله وصدق إيمانه فان المعاتبه لا تكون إلا من يحب الحبيب كما قال القائل من الوافر

إذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

(أن يتفقوكم بكونوا لكم أعداء) أي أن يغلب عليكم أهل مكة يظهر وأما في قلوبهم من غاية العداوة (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أي يدوا اليكم أيديهم بالضرب والقتل والسنتهم بالسب والشتم والطعن (وودوا لوتكفرون) أي وتغنوا كفركم بعد إيمانكم حينئذ لا ينفعكم القاء المودة إليهم (لن تنفعكم أرحامكم) أي قراباتكم (ولأولادكم) الذين تتقربون إلى المشركين لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) والظرف أن علق بي فصل فالوقف على أولادكم وقف ببيان أو وقف تام عند أبي حاتم والوقف على بينكم تام وإن علق بتنفعكم فالوقف على يوم القيامة وهو وقف صالح وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء وتشديد الصاد مع تحهوا ونائب الفاعل ظرف مبني على الفتح وحزة والكسائي كذلك إلا أنهم يكسران الصاد أي يفرق الله بينكم وبين أقاربكم وأولادكم فيدخل أهل الإيمان الجنة وأهل الكفر النار وعاصم يفتح الياء وتسكون الفاء وكسر الصاد والباقون وهم بافع

وابن كثير وأبو عمر وبضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد وروى أن ابن كثير قرأ أيضا بالبناء
 للفعل كعاصم وقرئ تفصل وتفصل بالنون (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولم يقل تعالى
 خبير مع أنه أبلغ في العلم لأن البصير أظهر من خبير في العلم لأنه تعالى يجعل عملهم كالحسوس بحس البصير
 (قد كانت لكم أسوة حسنة) أي قدوة حسنة (في إبراهيم) أي في جميع أحواله من قول وفعل
 (والذين معه) من أصحابه المؤمنين وقرأ عاصم أسوة بضم الهزة في الموضعين والباقيون بكسرها (اذ قالوا)
 بدل اشتمال من إبراهيم والذين معه (لقومهم) أي لقرايتهم الكفار مع أنهم أكثر من عدوكم وأقوى
 وقد كان من آمن بإبراهيم أقل منكم وأضعف (ان إبراهيم منكم) وعما تعبدون من دون الله) أي أنا
 متبرؤن من قرايتكم أيانا ومن معبودكم من الاوثان (كفرنا بكم) أي أنكروا دينكم فلا نعتمد
 بشأنكم وبأهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة) أي ظهر بيننا وبينكم العداوة وهي المباينة في
 الأفعال (والبغضاء) وهي المباينة بالقلوب (أبدا) أي على الدوام (حتى تؤمنوا بالله وحده)
 وتتركوا الشرك فتتقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة أمر الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن يقتدوا بسيدنا إبراهيم ومن معه من الانبياء والاولياء (الاقول إبراهيم لا يبيد ولا يستغفر
 لك) أي فليس لكم الاقتداء بإبراهيم في ذلك لأنه انما استغفر لبيده لاجل موعدة وعدها لانه ظن انه
 أسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه وأنتم لا تظنون اسلام الكفار الذين اتخذتموهم اولياء (وما أملك لك من
 الله من شيء) وهذا حال من فاعل لا يستغفر أي لا يستغفر لك والحال اني لا أدفع عنك شيئا من عذاب الله
 ان أشركت به أي وما على الا بذل الوسع في الاستغفار فوعده الاستغفار رجاء الاسلام وقال ابن عباس
 كان من دعا إبراهيم وأصحابه (ربنا عليك توكلنا) أي في جميع أمورنا (واليك أنبنا) أي رجعنا
 بالتوبة عن المعصية وأقبلنا الى طاعتك (واليك المصير) اذا المصير ليس الا الى حضرتك (ربنا
 لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي مغتوين بهم قال ابن عباس لا تسلط علينا أعداءنا فيظنوا انهم على
 الحق وقال مجاهد لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك
 (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أي أنت الذي يعلب في ملكك الحكيم في صنعك (لقد كان
 لكم) يا أمة محمد (فيهم) أي في إبراهيم والذين معه (أسوة حسنة) قال ابن عباس كانوا يبغيضون من
 خالف الله ويحبون من أحب الله وهذا هو الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه (لمن كان ير جوا الله واليوم
 الآخر) أي لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة وقوله لمن الخ بدل من لكم بدل بعض من كل (ومن
 يتول) أي يعرض عن الائتساء بهم ويعل الى مودة الكفار (فان الله هو الغني) عنه وعن سائر خلقه
 (الحميد) أي المحمود فيفعاله قال مقاتل لما أمر الله تعالى المؤمنين بعبادة الكفار شددوا في عداوة آبائهم
 وأبنائهم وجميع أقاربهم فانزل الله تعالى قوله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
 منهم) أي من كفار مكة (مودة) أي صلة بمخالطتهم مع أهل الاسلام (والله قدير) أي مبالغ في
 القدرة فيقدر على تسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) بهم اذا توبوا واسلموا ورجعوا الى حضرة الله
 تعالى فتزوج النبي صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة أم حبيبة بنت أبي سفيان فلانت عند ذلك عريكة
 أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت هي قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جهمش
 الى الحبشة فتنصر وراودها على النصرانية فأبى وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها ربيعة دينا وبلغ ذلك أباها فقال ذلك القهل

لا ينفذ اتفه والمراد بقوله تعالى الذين عاديتهم منهم نفر من قريش آمنوا بعد فتح مكة منهم أبو سفيان بن حرب وأبو سفيان بن الحرث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) أي لأجل دينكم (ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي تصلوهم وهو بدل من الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي تفضوا اليهم بالصلة وغيرها (إن الله يحب المقسطين) أي أهل البر والتواصل عن عبد الله بن الزبير أن هذه الآية نزلت في أسماء بنت أبي بكر فأن أمها قتيبة بنت عبد العزى وهي مشركة قدمت عليها بها دأيا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت هذه الآية فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل نزلت في خزاعة قوم هلال ابن عويم وخزيعو بنو مدية فأنهم صالحوا النبي قبل عام الحديبية على أن لا يقاتلوه ولا يخرجوهم من مكة ولا يعينوا أحدا على أخراجه وقيل نزلت في قوم من بني هاشم أخرجوا يوم بدر كرها وهذه الآية تدل على حوار الاحسان بين المشركين والمسلمين وإن كانت المناصرة منقطعة (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين) أي لأجل دينكم (وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة (وظاهروا على أخراجكم) أي طافوا عليه من سائر أهل مكة (أن تولوهم) أي أن تناصروهم وهذا يدل اشتغال من الذين قاتلوكم (ومن يتولهم) أي ومن يحبهم ويناصرهم (فأولئك هم الظالمون) لأنفسهم بأقبالها للعذاب لوضعهم المحبة في موضع العداوة (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات) أي المقررات بالله (مهاجرات) من مكة من بين الكفار (فامتحنوهن) أي فاختبروهن بما يغلب على ظنكم بالتحليف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة من أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الاحبال لله ورسوله (الله أعلم بما يعانين) أي بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما تفرد الله بعلمه (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار) أي فان ظنتموهن بعد الامتحان مؤمنات بالسلام فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لاهن حل لهن) أي ليست المؤمنات حلالا لأزواجهن الكفار وهذا بيان لامتناع النكاح الجديد (وأتوهم ما أنفقوا) أي وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وأن المهر في نظر أصل العشرة ودوامها وقد فوتها المهاجرة فلا يجمع على الرجل خسارتان الزوجية والمالية وذلك ان الصلح عام الحديبية كان على أن من جاءكم من أهل مكة يرد اليهم ومن أتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك العهد كتابا وختموه بخاتم سبيعة بنت الحرث الاسلمية مملوكة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافرا مخزومي فقال يا محمد أردد علي امرأتى فانك قد شرطت لنا شرطان ترد عليهما من أتاك منا وهذه طيبة الكتاب لم تحف فنزلت هذه الآية ايمان ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فأستخلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفت فأعطى زوجها ما أنفق ثم تزوجها هو رضى الله عنه وأخرج الطبراني عن عبد الله ان هذه الآية نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وعن الزهري كانت هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخوها عمارة والوليد فبسطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد أخوها وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب انها نزلت في أمية بنت بشر امرأة أبي حسان بن الدحاحة وعن مقاتل انها نزلت في سعيصة امرأة صيفي بن الوهاب (ولا جناح عليكم) يا معشر المؤمنين (ان تنكحوهن) بعد الاستبراء (إذا آتيتوهن أجورهن) أي إذا التزمت مهورهن فالمهر المدفوع للكفار لا يفوم مقام المهر الذي يجب على المسلم إذا

تزوجهن اذ المهر أجز البضع قال ابن عباس أيا امرأة أسلمت وزوجها كافراً فقد انقطع ما بينهما وبين
 زوجها من عصمة ولا عدة عليهما من زوجها الكافر وجاز لها ان تزوج اذا استبرأت (ولا تمسكوا
 بعصم الكوافر) أي لا تأخذوا بعهود الكافرات غير أهل الكتاب قال ابن عباس أيا امرأة كفرت بالله
 فقد انقطع ما بينهما وبين زوجها المؤمن من العصمة وقرئ في السبعة تمسكوا بضم التاء وسكون الميم ويفتح
 الميم وتشديد السين وقرئ تمسكوا بفتح التاء والميم وتشديد السين (واسألوا ما أنفقتم) أي اطلبوا أيها
 المؤمنون من أهل مكة ما أنفقتم على أزواجكم من مهرهن أن دخلن في دينهم (وليسألوا ما أنفقوا)
 أي وليطلبوا منكم ما أنفقوا على أزواجهم من المهور أن دخلن في دينكم (ذلكم حكم الله بحكم بينكم
 والله عليم حكيم) روى انه لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون مهر المومنات المهاجرات الى أزواجهن
 المشركين وأبي المشركون ان يؤدوا شيئاً من مهر الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى (وان
 فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتهن فأتوا الذين ذهبت أزواجهن مثل ما أنفقوا) أي وان انفلت
 منكم أحد من أزواجكم ورجعه الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد ففقهتم من العهود فاعطوا
 الذين ذهبت أزواجهم الى الكفار من الغنيمة قبل الخمس مثل ما أنفقوا عليهم من مهر المهاجرة التي
 تزوجتموها ولا تعطوهن زوجها الكافر (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) وجميع من أردت من نساء
 المؤمنين ست نسوة أخت أم سلمة فاطمة بنت أبي أمية وأم كلثوم بنت جرول وهما تحت عمر بن الخطاب أم
 الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عباد بن شداد العمري وبر وع بنت عقبة كانت تحت شمان بن
 عثمان من بني مخزوم وعبدية بنت عبد العزيز كانت تحت عمر بن عبدود وهند بنت أبي جهل كانت تحت
 هاشم بن العاص فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهر نسائهم من الغنيمة (يا أيها النبي اذا جاءك
 المومنات) أي نساء أهل مكة بعد فتح مكة (يبيعلنك) أي قاصداً للمشاركة (على ان لا يشركن
 بالله شيئاً) من الاشرار (ولا يسرقة ولا يرزقن ولا يقتلن اولادهن) وقرئ ولا يقتلن بتشديد التاء
 (ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود من الزنا فتقول له زوجها هو
 ولدي منك كني عن هذا بالهتان المفتري بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه
 بين رجليها (ولا يعصينك في معروف) أي فيما تأمرهن به من معروف وهو ما عرف حسنه من جهة
 الشرع وهذا تنبيه على نفي جواز طاعة مخلوق في معصية الخالق وذلك كترك النوح وجز الشعر ونتفه
 وحلق الرأس وخمس الوجه وشق الجيوب وتعزيق الثياب وان لا يخلون مع رجل غير محرم وان لا يسافرن
 مع غير ذي محرم (فبايعهن) أي فشارطن علي ذلك (واستغفر لهن الله) فيما سلف منهن في
 الجاهلية (ان الله غفور رحيم) أي مبالغ في المغفرة والرحمة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ
 من بيعة الرجال يوم فتح مكة جلس على الصفا ومعه عمر أسفل منه فجعل يبايع النساء وكانت جملتهن اذ
 ذلك أربع مائة وسبع وخمسين امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما يبايعهن بالكلام وقيل كالنبي صلى
 الله عليه وسلم اذا يبايع النساء دعا بقدر من ماء فغمس يده فيه فغمس أيديهن فيه وكانت هند بنت عتبة
 امرأة أبي سفيان متتعبة متسكرة مع النساء خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت
 بحمزة يوم أحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبايعكن على ان لا تشركن بالله شيئاً فرفعت هند رأسها
 وقالت لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمر امارأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على
 الاسلام والجهد فقط ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن قالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح

وإني أصبت من ماله هنة فما أدري أتخل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لم تدين بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فلما قال لا ترتين فعالت أو ترتني الحرة فلما قال ولا تقتلن أولادهن قالت ربي نأهم صغاراً وقتلتهم بكرا وكان ابنها خنظلة قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ولا يأتين بيهتان الخ قالت والله ان البيهتان لقبيح ومات أمرنا ألا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصينني في معروف فقالت والله ما جلستنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في شيء فافقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) أي لا تحبوا اليهود فإنهم قوم غضب الله عليهم روى ان جمعاً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين لحاجتهم اليهم من اصابة ثمارهم فنهوا عن ذلك بهذه الآية (قد ينسوا من الآخرة) أي قد حرموا من ثواب الآخرة (كما ينس الكفار من أصحاب القبور) أي كما حرم من ذلك الذين ماتوا منهم وقال أبو أمامة يحق ينس اليهود الذين عادوا النبي صلى الله عليه وسلم كما ينس الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث من موتاهم

* (سورة الصف مدنية أربعة عشرة آية مائتان واحد عشر وعشرون كلمة وتسعمائة وستة وعشرون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم سجد لله ما في السموات وما في الارض) أي شهد له تعالى بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات السنية جميع ما في السموات والارض (وهو العزيز) أي الذي يغلب على غيره (الحكيم) أي الذي يضع الأشياء في أنقن مواضعها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لعلمنا أحب الالحمال الى الله تعالى لبدلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت هذه الآية أي لم تعدون ما لا تفون وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذباً حيث كان الرجل يقول قتلته ولم يقتل وطعن ولم يطعن وهذا أي لم تتكلمون بما لا تعملون (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) قال الزجاج أي كبر قولكم ما لا تفعلون بغضاً عند الله (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) أي في طاعته تعالى (صفا) في القتال قرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقاتلون أي يصفون وصفا حال من فاعل يقاتلون أي صافين أنفسهم أو مصفوفين (كانهم بنيان مرصوص) أي مشيهد بنياناً ألصق بعضه على بعض حتى صار شيئاً واحداً (واذ قال موسى لقومه) أي واذ كر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا على أديباركم فتقتلوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره (يا قوم لم تؤذوني) أي بالمخالفة فيما أمرتكم به (وقد تعملون أني رسول الله اليكم) لا رشدكم الى خير الدنيا والآخرة وقضية علمكم بذلك موجبة للتعظيم والمسايرة الى الطاعة (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أي لما مالوا عن الحق وكذبوا موسى زاد الله زيغ قلوبهم حتى صرفها عن قبول الحق وقال مقاتل أي لما عدلوا عن الحق بأبدانهم أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء ما عملوا (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه تعالى انه خارج عن منهاج الحق مصر على الغواية (واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي) أي مصداقاً لما قبل (من التوراة) ومن كتب الله ومن أنبيائه جميعاً (ومبشر برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) قرأ

نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الياء على الأصل وهو الاختيار عند الخليل وسيبويه في كل موضع تذهب فيه الياء لا لتقاء ساكنين والباقيون بالسكون وهو حذف الياء من اللفظ لا لتقاء الساكنين وهما الياء والسين كما قاله المبرد وأبو علي (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبین) أي فلما جاء عيسى بنى إسرائيل بالمجرات الظاهرة قالوا هذا المأثني به سحر بين وقرأ حمزة والكسائي ساحر بفتح السين مع الالف ويقال فلما جاءهم أحمد بالتى تبين أن الذى أتى به إنما أتى به من عند الله قالوا هذا الآتى بالبينات ساحر بين (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدهى الى الاسلام) أي أى الناس أشد ظلما من يدعو ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله من نسبة الولد اليه ووصف أنبيائه بالسحرة (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يؤفقههم الله للطاعة عقوبة لهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أي يريدون رد رسالة الرسول ليضطلوا دين الله بقولهم ان الرسول ساحر وليضطلوا كتاب الله بقولهم انه سحر (والله متم نوره) بالاضافة وتركه أي والله مباح نوره الى غاية بتشره في الآفاق (ولو كره الكافرون) أي ولو كره المشركون واليهود والنصارى اتعام النور وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعة من يوم ما قال كعب بن الاشرف يا معشر اليهود أبشر وافقدوا طفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليمت أمره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحي بعدها (هو الذى أرسل رسوله) وقرئ نبيه أي محمد صلى الله عليه وسلم (بالهدى) أي بالقرآن (ودين الحق ليظهره على الدين كله) أي ليعليه على جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) اعلاء عليها (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وهي التجارة بين أهل الايمان وحضرة الله تعالى وقرأ ابن عامر بفتح الفون وتشديد الجيم قال مقاتل نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون وذلك ان قال رسول الله لو أذنت لي فطلعت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا تأثم الليل أبدا ولا أفطر نهارا أبدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام اغار رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وخصاء أمتي الصوم ولا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله لو ددت يا رسول الله ان أعلم أي التجارات أحب الى الله فأتجر فيها فنزلت (تؤمنون بالله ورسوله) وهذا استغناء كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تعالى تؤمنون أي تؤمنون على الايمان (وتجاهدون في سبيل الله) أي في طاعته (بأموالكم وأنفسكم) أي بنفقة أموالكم وبخروج أنفسكم والجهاد بعد هذين الوجهين ثلاثة جهاد فيما بينه وبين نفسه وهو قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو أن يتخذها زاد المعادة فيكون الجهاد على خمسة أوجه وقرئ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضهار لام الامر (ذلكم) أي الذى أمرتم به من الايمان والجهاد (خير لكم) من أن تتبعوا أهواءكم (ان كنتم تعلمون) أي ان كنتم تتفهمون بما علمتم فهو خير لكم (يغفر لكم ذنوبكم) وهذا جواب قوله تؤمنون الخ لما فيه معنى الامر وهو بمنزلة الثمن الذى يدفعه المشتري وقوله يغفر لكم الخ بمنزلة المبيع الذى يأخذه المشتري من البائع في مقابلة الثمن المدفوع له (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن) وهي قصبة الجنان والمساكن الطيبة قصر من أولوة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوته حمراء

في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سرير في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيغا وصيفة فيعطى الله تعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله (ذلك) أي الجزاء الذي هو المغفرة وادخال الجنات (الفوز العظيم) أي الذي لا فوز وراءه (وأخرى) وهو ما سرفوع أي ولكم تجارة أخرى في العاجل مع ثواب الآجل أو منصوب بفعل مظهر ما من نوع الاشتغال أي وتحبون خصلة أخرى في الدنيا مع ثواب الآخرة أو من نوع معطوف على الجوابين أي ويعطىكم نعمة أخرى أو مخفوض عطف على تجارة (تحبونها) أي تشتهون أن تكون لكم (نصر من الله) بمحمد على كفار قريش (وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة وقرى نصر من الله وفتح قريبا وقوله نصر من الله الخ مفسر لاخرى وهو ربح للتجارة (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه في معنى الامر كأنه قيل آمنوا واجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر المؤمنين يا رسول الله بذلك (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله) قرأنا فاع وابن كثير وأبو عمر وأنصارا منونا والله جارا ومجرورا والباقيون أنصار الله مضافا للجلالة وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصارا لله (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) والتشبيه باعتبار المعنى أي كوفوا أنصار دين الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله أي من أعواني مع الله على أعدائه أو المعنى قل لهم كونوا أنصار دين الله كما قال عيسى لأصفيائه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا (فأمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى بن مريم (وكفرت طائفة) وهم الذين أضلهم بواس أي لما رفع عيسى إلى السماء تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان عيسى الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبدا لله ورسوله فرفعه اليه فأقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الفرقة الكافرة فذلك قوله تعالى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) أي فأعنا الذين لم يخالفوا دين عيسى على الذين خالفوه (فأصبحوا ظاهرين) أي فصاروا غالبين على أهل الأديان بالحجة

* (سورة الجمعة مدنية إحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبع مائة

وثمانية وأربعون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم يسبحه) أي يذكر الله بالتنزيه (ما في السموات وما في الأرض) أي ما في جهة العلو والسفل من الخلق (الملك) فكلمهم تحت تصرفه وفي قبضة قدرته (القدوس) أي المنزه عما يخطر ببال أوليائه كناية عن الغزالي وقيل أي المبارك أو الطاهر بلا ولد ولا شريك (العزيز) أي الغالب في ملكه بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أي الذي يضع الأشياء مواضعها وقد قرئت هذه الصفات الأربع بالرفع على المدح (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) أي هو الذي أرسل إلى العرب رسولا من جملتهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فهو من جنسهم قال ابن عباس المراد بالأميين الذين ليس لهم كتاب ولا نبي بعث فيهم (يتلوا عليهم آياته) التي تبين رسالته وتظهر نبوته مع كونه أميا مثلهم لم يعتمد منه قراءة ولا تعلم وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي وتكون حاله مشابهة لحال أمته الذين بعث فيهم (وينصرونهم) أي يظهرهم من خبث الشرك وخبث

الاقوال والافعال (ويعلمهم الكتاب) أى آيات القرآن (والحكمة) أى وجه التمسك بها وقيل الكتاب هو الآيات نصا والحكمة ما أودع فيها من المعاني (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) أى والحال انهم كانوا من قبل محيى محمد اليهم بالقرآن لفي ضلال ظاهر لانهم كانوا عبيدة الاصنام (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) وآخرين معطوف على الاميين ولما يلحقوا صفة لآخرين أى وبعثه الى غير العرب من أى طائفة كانت لم يلحقوا بالعرب الاول وهم كل من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ويجوز ان يكون معطوفا على الضمير المنصوب في ويعلمهم أى ويعلم آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم وهم كل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله معلمهم بالقوة أى في المعنى والحكم لانه أصل الخير والفضل (وهو العزيز الحكيم) حيث جعل في كل واحد من البشر اثر الفقر اليه وجعل في كل مخلوق ما يشهد بوحدايته (ذلك) أى تفضيل رسول الله على غيره والحق أبناء العجم الذين آمنوا بقريش شاهدوا الرسول في درجة الفضل (فضل الله) وهو ما لم يكن مستحقا (بؤتيه من يشاء) وهم رسول الله والاميون والآخرون (والله ذو الفضل العظيم) على جميع خلقه في الدنيا بتعليم الكتاب والحكمة وفي الآخرة بتفخيم الجزاء على الاعمال (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) أى صفة الذين أمروا بان يعملوا بما في التوراة ثم لم يعملوا بما أمروا فيها كصفة الحمار يحمل كتباً كبارا في عدم انتفاعه بها وقال أهل المعاني هذا المثل مثل من يفهم معاني القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى بئس صفة القوم الذين كذبوا بالتوراة حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم بتكذيب الانبياء (قل يا أيها الذين هادوا) أى الذين تهودوا وقالوا نحن أبناء الله وأحببواؤه (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت) أى ان قلتم انكم أحباء لله من دون محمد وأصحابه فتمنوا من الله ان يبيتكم وينقلكم من يعامن دار البلية الى دار الكرامة التي أعدها الله لأحبابه وقوله تعالى فتمنوا الموت جواب الشرط والعامة بضم الواو وقرأ ابن السميع وابن يعمر وابن أبي اسحق بكسرها وقرأ ابن السميع أيضا بفتحها للتخفيف (ان كنتم صادقين) في زعمكم فتمنوا الموت فان من أيقن بانه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها وطريقها الموت (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أى ويأبون التمسك للموت بسبب ما هم لوان الكفر وتحريف الآيات الموجب لدخول النار (والله عليم بالظالمين) أى بظلم الظالمين من تحريف الآيات وعنادهم لها (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم) أى ان الموت الذي تخافون من ان تمنوه بلسانكم بسبب ما قدمتموه من تحريف الآيات وغيره ملاقيكم البتة والفاء في فانه لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرأ زيد بن علي انه بدون فاء في قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم من غير فانه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) فانه تعالى عالم يغيبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبما أمرتم في أنفسكم من تكذيبكم رسالته (فينبئكم بما كنتم تعملون) اما هي انا مقررنا بلعائكم يوم القيامة أو بالجزء ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (يا أيها الذين آمنوا اذنوا للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا الى ذكر الله) أى اذ انودى لوقت الصلاة من يوم الجمعة فاذهبوا الى الخطبة والصلاة (وذروا البيع) أى اتركوا المعاملة (ذلكم) أى الذهاب الى ذكر الله وترك المعاملة (خير لكم) في الآخرة من التمسك في ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم أهل العلم فانتم ترون ذلك خيرا (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا

من فضل الله) أي إذا أدت الصلاة فأخرجوا من المسجد أن شتم لأقامة مصالحكم واطلبوا الرزق أن شتم فهذا رخصة بعد النهي بقوله تعالى وذروا البيع وعن عزال بن مالح أنه كان إذا صلى الجمعة أنصرف فوقف على باب المسجد قال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فأرزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) على كل حال بالقلب واللسان قال مجاهد لا يكون من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أتيت السوق فقلوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فإن من قالها كتب الله له ألف ألف حسنة وخط عنه ألف ألف خطيئة ورفع له ألف ألف درجة (لعلكم تفلحون) أي كي تغوزوا بخير الدارين أي لما جعل يوم الجمعة يوم شكري واطهار سرور وتعظيم نعمة احتج فيه إلى الاجتماع الذي به تقع شهرته فجمعت الجماعات له واحتج فيه إلى الخطبة تدكيرا بالنعمة وهي ما أنعم الله تعالى به عليهم من نعمة الوجود والعقل وغير ذلك مما لا يحصى ولما كان مدار التعظيم انما هو على الصلاة جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة إلا في مسجد واحد ليكون ادعى إلى الاجتماع (واذا رأوا تجارة أولوها) وهو الطبل أي وإذا سمعوا صوتا يدل على قدوم التجارة (انفضوا اليها) أي تفرقوا إلى التجارة وقرئ اليهما (وتركوك قائما) على المنبر تخطب قال مقاتل إن دحية بن خليفة الكلبي قبل أن يسلم أقبل بتجارة من الشام وكان معه من أنواع التجارة وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والصفق وكان ذلك في يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج الناس إليه وترك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق إلا اثنا عشر رجلا أو أقل كثمانية أو أكثر كاربعة فقال صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء أسومت لهم التجارة ونزلت هذه الآية وكان من الذين معه أبو بكر وعمر قال قتادة فعلموا ذلك ثلاث مرات وقال مقاتل بن حبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما خرج الناس لقدوم دحية بتجارة وظنوا أنه ليس في ترك الخطبة شيء من الإثم أنزل الله تعالى هذه الآية فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة وآخر الصلاة (قل) يا أشرف الخلق للأومنين زجرهم عن العود لمثل ذلك الفعل (ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أي ما عند الله من ثواب الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم (والله خير الرازقين) أي أفضل المعطين فنه اطلبوا الرزق

﴿سورة المنافقون مدنية إحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبع مائة﴾

وستة وسبعون حرفا ﴿

(بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاءك المنافقون) أي إذا حضر مجلسك منافقوا أهل المدينة عبد الله ابن أبي ومعتب بن قشير وجند بن قيس وكانوا بنى عم (قالوا نشهد أنك لرسول الله) وقولهم نشهد نفي للنفاق عن أنفسهم روى زيد بن أرقم قال كنت مع عبي فسمعت عبد الله بن أبي بن سائل يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لمن رجعنا إلى المدينة ليخرجننا الأعز منها إلا ذل فذكرت ذلك لعبي فذكر ذلك عبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسولا إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فأصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله إلى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من

عند رسول الله حتى ينفذوا الى قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال ان الله قد صدقك (والله يعلم انك لرسوله) سواء أشهد المنافقون بذلك أم لا وهذه جملة معترضة بين
قولهم نشهد انك لرسول الله وبين قوله تعالى والله يشهد الخ لا ماطة توهم توجه التكذيب الى منطوق
كلامهم (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) في اخبارهم عن أنفسهم انهم يشهدون فان ضمير
قلوبهم على غير تلك الشهادة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) أى ستره مما خافوا على أنفسهم
من القتل وقرأ الحسن بكسر همزة أيمانهم (فصدروا عن سبيل الله) أى اعرضوا بأنفسهم عن طاعة
الله تعالى وطاعة رسوله وقيل منعوا الضعفة عن اتباع رسول الله في السروع عن الانفاق في سبيل الله
(انهم ساء ما كانوا يعملون) حيث آثروا الكفر على الايمان وأظهروا خلاف ما أضمرُوا (ذلك) أى
سوء أعمالهم (بأنهم آمنوا) في الظاهر وشابهوا المسلمين في نطق كلمة الشهادة وفي الافعال (ثم
كفروا) أى ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فمحن حير وبقولهم في غزوة تبوك
أيطمع هذا الرجل ان تفخ له قصور كسرى وقيصر هيئات (فطبع على قلوبهم) لسوء أفعالهم وقصد هم
الاعراض عن الحق وقرى على البناء للفاعل وقرى فطبع الله أى تركهم الله في أنفسهم الجاهلة
وأعوأثم الباطلة (فهم لا يفقهون) شيئا فلا يعيزون صوابا من خطأ ولا حقاً من باطل (واذا رأيتهم
تجهل أجسامهم) لضخامتها ولصباحة وجوههم فهم أشباح وقوال ليس وراءها الباب وحقائق
(وان يقولوا سمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وقرى سمع على البناء للمفعول
(كأنهم خشب مسندة) أى مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن
العلم والخير (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم والوقف هنا تام فقوله عليهم مفعول ثان قال
مقاتل اذا نادى منادى في العسكر أو انفلتت دابة أو نشدت ضالة مثلاً ظنوا انهم يرادون بذلك لما في قلوبهم
من الرعب وذلك لانهم على وجل من ان يهلك الله أستارهم ويكشف أسرارهم (هم العدو) أى هم
الكاملون في العداوة (فاحذرهم) ان تأمنهم على السرو لا تلتفت الى ظاهرهم فان أعدى الاعداء
العدو المكتم الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (قاتلهم الله) أى أهلكهم الله فان أصل المعنى
أحلبهم الله محمل من قاتله عدو قاهر يهلكه لان الله تعالى قاهر لكل معاند فاذا قاتلهم أهلكهم (أن
يؤفكوا) أى كيف يصرفون عن الحق الى الكفر والضلال (واذا قيل لهم تعالوا) الى رسول الله
وتوبوا من الكفر والنفاق (يستغفركم رسول الله لو وارؤسهم) أى حركوها اعراضاً وابعاداً روى انه
لما نزل القرآن في فضيحة المنافقين آثامهم عشرتهم من المؤمنين وقالوا لهم يلبكم افتضحتم بالنفاق
وأهلكتم أنفسكم فأنوار رسول الله وتوبوا اليه من النفاق وأسألوه ان يستغفركم فأبوا ذلك فنزلت هذه
الآية (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عن الاعتذار (وهم مستكبرون) عن استغفار الرسول لهم
(سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أى استغفارك لهم وعدمه سواء والسبعة بهمزة قطع
مفتوحة من غير مد وصلها قوم على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه وقرى شاذاً
أستغفرت بهمزة ثم ألف (لن يغفر الله لهم) لرسوخهم في الكفر (ان الله لا يهدي القوم الفاسقين)
أى الذين سبق ذكرهم وهم الكافرون والمنافقون والمستكبرون (هم الذين يقولون) والقائل عبد
الله بن أبي لهبابه المؤمنين الانصار في غزوة تبوك (لا تتفقوا على من عند رسول الله) وهم فقراء
المهاجرين (حتى ينفذوا) أى لاجل أن يتفرقوا عنه وقرى حتى ينفذوا بضم الياء وسكون النون أى

لاجل ان تغني أزوادهم (ولله خزائن السموات والارض) أي مفاتيح الرزق يعطي من يشاء ويعنم من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ان الله يرزقهم وان أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون (يقولون) في تبوك (لئن رجعنا) من غزوة بني المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) قال المفسرون اختلف أجير عمرو وهو وجه - جاء بن سعيد مع أجير عبد الله بن أبي وهوسنان الجهني في بعض الغزوات فأمس أجير عمر عبد الله بن أبي المكاروه واشتد عليه لسانه فغضب عبد الله وعنده رهط من قومه فقال أما والله لئن رجعنا من غزوتنا هذه الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وأراد عبد الله بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله والمؤمنين ثم أقبل على قومه فقال أمسكنم النفقة عن هؤلاء المهاجرين لا وشكوا ان يتحولوا عن دياركم وبلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفصوا من حول محمد فنزلت هذه الآية وسبب غزوة بني المصطلق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق وهم حى من هذيل يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فوقع القتال فهزم الله بني المصطلق وكان سبيهم سبع مائة فلما أخذ النبي جويرية من السبي لنفسه أعتقها وترزوها فقال المسلمون صار بنو المصطلق اصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبي اكراماً لرسول الله وله - ذاقا لعائشة رضي الله عنها وما أعظم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ولقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بني المصطلق اه واسند القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة) أي القوة (ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله قهره لا أعدائه وعزة رسوله انظار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) ان الله معز أوليائه ومذل أعداءه ولو علموه ما قالوا ما قالتهم روى ان عبد الله بن أبي لما أراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لا ضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بنة جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أي لا يشغلكم الاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن فرائض الله تعالى نحو الصلاة والزكاة والجمع (ومن يفعل ذلك) أي ومن الهام ماله وولده عن طاعة الله تعالى (فأولئك هم الخاسرون) أي في تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقي بالخسيس الفاني (وأنفقوا مما رزقناكم) أي بعض ما أعطيناكم (من قبل ان يأتي أحدكم الموت) أي مقدمات الموت (فيقول) عند تيقنه بحلول الموت (رب لولا آخرتني الى أجل قريب) أي هل لا أمهلتنى الى أمد قصير بقدر ما أسستدرك فيه ما فاتنى (فأصدق) من مالى بتشديد الصاد والدال وقرأ أبي فأتصدق على الأصل (وأكن من الصالحين) أي أكن من الحاجين عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغ حج بيت ربه أو يحب عليه فيه زكاة فلم يفعل الاسأل الله الرجعة عند الموت وقرأ أبو عمرو وأكون بالنصب عطف على لفظ جواب التمني والباقون وأكن بالجزم عطف على محله وقرى وأكون بالرفع أي وأنا أكون (ولن يؤخر الله نفسا) أي عن الموت (اذا جاء أجلها والله خير بما تعملون) فمجازلهم عليه وقرأ أشعبة بالياء التحتية

سورة التغابن مدنية أو مكية ثمانى عشرة آية ومائتان واحد وأربعون

كلمة وألف وسبعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض) أي ينزهه تعالى جميع ما فيه من
المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستقرا (له الملك) فهو متصرف في ملكه (وله الحمد)
على أهل السموات والارض (وهو على كل شيء) من أمر الدنيا والآخرة (قدير) لان نسبة الكل
الى قدرته تعالى سواء (هو الذي خلقكم فمنكم كافر) أي فبعضكم مختار للكفر كاسب له (ومنكم
مؤمن) أي وبعض منكم مختار للايمان كاسب له وقال عطاء والزجاج أي فنسبكم جاحدا بأنه تعالى
خلقه وهو من أهل الطبائع والاهوية ومنكم مصدق بأنه تعالى خلقه والمعنى انه تعالى تفضل عليكم
بأصل النعم التي هي الخلق فانظروا النظر الصحيح وكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم ذلك بل
تفرقتم فرقا فنسبكم كافر ومنكم مؤمن (والله بما تعملون بصير) من الكفر والايمان فيجازيكم على
ذلك (خلق السموات والارض بالحق) أي بالارادة القديعة على وفق الحكمة (وصوركم) في الارحام
(فأحسن صوركم) فن نظر في قدا الانسان ومناسبته بين أعضائه فقد علم ان صورته أحسن صورة وقد
وجد فيه القوى الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته دلالة مخصوصة لحسن هذه الصورة (واليه
المصير) أي المرجع (يعلم ما في السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية
والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور (والله
عليم بذات الصدور) أي بجميع المضمرة المستكنة في صدور الناس (ألم يأتكم) أيها الكفرة
(نبأ الذين كفروا من قبل) أي من قبلكم يقوم نوح ومن بعدهم (فذاقوا) من غير مهلة (وبال
أمرهم) أي شدة أمرهم في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم ذلك) أي العذاب في الدنيا
والآخرة (بأنه) أي الشأن (كانت) أي القصة (تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالجميع الظاهرات
فأنكروا ان يكون الرسول بشرا ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا (فقالوا أبشر يهودونا فكفروا)
بالرسل (وقولوا) أي عرضوا عن الايمان (واستغنى الله) أي اظهر الله تعالى غناه عن ايمانهم وطاعتهم
حيث أهلكهم ولم يلجئهم الى ذلك (والله غني) عن عبادتهم من الازل (حميد) أي مستحق للحمد بذاته وان لم
يحمد أحد (زعم الذين كفروا) من أهل مكة (أن لن يبعثوا) أي انهم لن يبعثوا بعد موتهم أبدا
(قل) يا أشرف الخلق لهم (بلى) تبعثون (وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أي لتحاسبن ولتجزون
على أعمالكم (وذلك) أي البعث والجزاء (على الله يسير) لثبوت قدرته التامة فلا يصرفه صارف
(فآمنوا بالله ورسوله) أي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
(والنور الذي أنزلنا) وهو القرآن فانه يهتدي به في الشبهات كما يهتدى بالنور في الظلمات وذلك لثبوت
ينزل بكم ما نزل بالكفار الماضية من العقوبة (والله بما تعملون خبير) فمبازل لكم عليه (يوم يجمعكم
ليوم الجسم) أي لاجل ما في يوم القيامة من الحساب والجزاء وهي بالجمع لان الله تعالى يجمع فيه
الاولين والآخرين من أهل السموات وأهل الارض ويوم ظرف للثبوت وقرى نجم معكم بنون العظمة (ذلك
يوم التغابن) أي يوم ظهور غيب كل كافر بترك الايمان وعين كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وفي
الحديث ما من عبد دخل الجنة الا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد دخل النار
الا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة (ومن يؤمن بالله) مع ما جاء به الرسل من الحشر والنشر
والجنة والنار وغير ذلك (ويعمل صالحا) الى أن يموت في ايمانه (يكفر) أي الله (عنه سيئاته ويدخله
جنت تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك) أي تكفير السيئات وادخال الجنت (الفوز العظيم)

الذى لا فوز وراءه وقرأ نافع وابن عامر نكفر عنه وندخله بالنون فيهما (والذين كفروا) بوحدة دانية
الله وبقدرته (وكذبوا بآياتنا) أى بالقرآن (أولئك أصحاب النار الذين فيها وبئس المصير) النار
(ما أصاب) أحدا (من مصيبة) دينية أو دنيوية فى بدن وأهل ومال (الاباذن الله) أى بتقديره
وارادته ومن مصيبة فاعل بز يادة من قيل وسبب نزول هذه الآية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون
حقا لصانهم الله تعالى عن المصائب فى الدنيا (ومن يؤمن بالله) بأن يرى المصيبة من الله (يهد قلبه)
عند المصيبة للتسليم لأمر الله فاسترجع وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على
نم سجع سفة نفسه وقرئ يهدأ بالهمزة على وزن يقطع ويخضع أى يسكن فيسلم لقضاء الله تعالى ويصبر على
المصيبة (والله بكل شئ عليم) فيعلم اطمئنان القلب عند المصيبة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى
هونوا المصائب على أنفسكم واتبعوا الاوامر الصادرة من الله تعالى ومن الرسول فيما دعاكم اليه (فان
توليتهم فاعلموا على رسولنا البلاغ المبين) أى فان أعرضتم عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فلا بأس عليه
اذ ما عليه الا التبليغ الظاهر وقد فعل ذلك (الله لا اله الا هو) أى الله المستحق للعبودية لا مستحقا
للعبودية يصح أن يوجد الا هو وحمله لا اله الا هو خبر لاسم الجلالة (وعلى الله فليمتوكل المؤمنون) فى كل
باب لانه لا مقصود الا هو فان المؤمن لا يعتمد الا عليه ولا يتقوى الا به (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم
وأولادكم عدو لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) قال عطاء بن يسار رثت
هذه الآية فى عوف بن مالك الاشجعي كان ذا أهل وولد فاراد أن يغزو فبكوا اليه ورقوه وقالوا له الى من
تدعنا فرق عليهم وأقام فى البلد وترك الغزو وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية فقال هؤلاء
رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة فنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا لهم صبرنا على
اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فلما هاجر وابتعد ذلك رأوا المهاجرين الاولين
قد تنفقوا فى الدين هموا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم وان لحقوا بهم فى دار الهجرة لم ينفعوا عليهم ولم
يصيبوهم بخير فنزل قوله تعالى وان تعفوا عن ذنوبهم وتصفحوا بترك التثريب والتعير وتغفروا باخفائها
بعد ما هاجر وامن مكة الى المدينة فان الله يعاملكم بمثل ما عملتم وهذه العداوة انما هى للكفر والنهي عن
الاسلام فانهم من الكفار أما أزواجهم وأولادهم المؤمنون فلا يكونون عدوا لهم (انما أموالكم وأولادكم
فتنة) أى بلاء وشغل عن الآخرة اذ منعوكم عن الهجرة والجهاد فلا تطيعوهم فى معصية الله تعالى
(والله عنده أرحم عظيم) لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد (فاتقوا الله
ما استطعتم) أى ابدلوا فى تقوى الله غاية طاقتكم وهذا مثل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه لا يراد
به الاتقاء فيما لا يستطيعونه فوق الطاقة (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وانفقوا) مما
رزقكم فى الوجوه التى أمركم (خيرا لانفسكم) أى واثروا خيرا لانفسكم (ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون) أى من يكفه الله بخل نفسه فيفعل فى ما به جميع ما أمر به مطمئنا اليه حتى ترتفع
عن قلبه الاخطار فأولئك هم الفائزون بكل مرام (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) أى ان
تنفقوا فى طاعة الله تعالى من حلال بطيب نفس متقربين اليه يجزكم بالضعف الى ألفى ألف الى ما شاء
الله من الاضعاف وقرئ يضعفه بتشديد العين (ويغفر لكم) ما فرط منكم من بعض الذنوب ببركة
الانفاق (والله شكور) يشكر اليسير ويجزى الجزيل من صدقاتكم (حليم) لا يجمل بالعقوبة
على من عن بصدقته أو يمتنع من التصديق (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه شئ من الحشية والمن

(العزير) أى الذى لا يعجزه شئ (الحكيم) أى الذى لا يلحقه الخطأ فى التدبير فالعزير يدل على القدرة والحكيم يدل على الحكمة

سورة الطلاق مدنية ثنتا عشر آية مائتان وتسع وأربعون كلمة وألف ومائة وسبعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) أى إذا أردتم تطليق النساء فطلقوهن مستقبلات زمان عدتهن وهو الظهر (وأحصوا العدة) أى احفظوا القرو للعدة لتعرفوا زمان الرجعة والنفقة والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة مثلاً ونحو ذلك من الفوائد (واتقوا الله ربكم) فى الأضرار بهن (لا تخرجوهن من بيوتهن) أى من مساكنهن عند الفراق إلى أن تنقضى عدتهن (ولا يخرجن) ولو بإذن منكم لأن فى العدة حق الله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (الأن يأتين بفاحشة مبينة) أى إلا فى حال كونهن آتيات برناظها أو مشهود عليه بأربعة شهود فيخرجن لأقامة الحد عليهن ثم يردون إلى منزلهن كما قاله ابن مسعود أو إلا فى حال أن يمدون على الأزواج أو على أهلهم فيحل لهم حينئذ إخراجهن لسوء خلقهن كما قاله ابن عباس ويؤيده قراءة الأأن يفحش عليكم وقال ابن عمر الفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة بفتح الياء التحتية والباقون بكسرهما (وتلك) أى الأحكام (حدود الله) وهى الموانع عن المجاوزة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) أى ومن يتجاوز الحدود فقد ضر نفسه لانه وضعها فى غير موضعها (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) أى فأنك لا تدرى أيها المتعدى عاقبة الأمر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك التعدى أمراً يقتضى الرجعة بأن يبذل الله ببغض المرأة محبة وبالأعراض عنها إقبالاً إليها فإن العدة إذا لم تكن مضبوطة أو انتقلت المرأة من منزل زوجها أشكل أمر الرجعة (فإذا بلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء أجل العدة فأنتم بالخيار (فأمسكوهن بمعروف) أى إن شئتم فراجعوهن بحسن معاشرة وانفاق لا تبق (أو فارقوهن بمعروف) أى وإن شئتم فارقوهن من غير مراجعة بإيفاء الحق واتقاء الضرر وهو أن يراجعها فى آخر العدة ثم يطلقها تطويلاً للعدة وتعذيباً لها (وأشهدوا) يا أيها الأزواج (ذوى عدل منكم) عند التطليق وعند الرجعة قطعاً للنزاع فهذا الشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة وهو عند الشافعى واجب فى الرجعة مندوب إليه فى الفرقة (وأقيموا الشهادة لله) أى أدوا الشهادة التى تحمليتموها عند الحكم بآيها الشهود لوجه الله تعالى (ذلكم) أى الشهاد وأقامة الشهادة (يوعظ به) أى يؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) يقال نزلت الآيات من أول السورة إلى ههنا فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم حين طلق حفصة وفى ستة نفر من أصحابه طلقوا نساءهم غير طواهر فنهاهم الله عن ذلك لانه لغير السنة (ومن يتق الله) أى يصبر على المصيبة (يجعل له مخرجاً) من الشدة وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة نزلت هذه الآية فى عوف ابن مالك الأشجعي أمر العدو بئاله يسمى سالماً فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أمر ابني وشكاليه الفاقة فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبروا أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل ذلك فبينما هو فى بيته إذا تأناه ابنه سالم ومعه مائة من الأبل غفل عنها العدو فاستاقها فذلك قوله تعالى (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى من وجه لا يخطر بباله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى ومن يثق بالله فيما تاله

فهو كافيه في جميع أموره (ان الله بالغ أمره) وقرأ حفص بالاضافة أى منفذاً أمره والباقون بالتنوين ونصب أمره أى يبلغ مراده في جميع خلقه وقرى برفع أمره أى نافذ تدبيره وقرأ المفضل بالغاً أمره على ان قوله قد جعل الله خبراً وبالغاحال من اسم الجلالة (قد جعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء (قدراً) أى أجلا ينتهى اليه وروى ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله قد عرفنا عدة التى تحيض فاعدة التى لم تحض فنزل (واللاتى يشن من الحيض من نسائكم) لكبرهن وقد دروه بستين سنة وبخمس وخسين (ان ارتبتم) أى ان أشكل عليكم حملهن في العدة أراهن جهلتم بمقدار عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) فقام رجل فقال يا رسول الله فاعدة الصغيرة التى لم تحض فنزل (واللاتى لم يحضن) لصغرهن هن بمنزلة الكبيرة التى قد يشن وهذه معطوفة على واللاتى يشن عطف المفردات فقام رجل آخر وقال وما عدة الحوامل يا رسول الله فنزل (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أى والحبالى منتهى عدتهن وأجل انقطاع ما بينهن وبين الأزواج وضع الحمل سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن لخبر سبيعة بنت الحارث انها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بخمسة عشر يوماً فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تزوج فإيا حة النكاح قبل مضي أربعة أشهر وعشر دليل على ان عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل في جميع الاحوال والحمل اسم لجميع ما في بطنهن فلا تنقضى العدة بوضع بعض حملهن وقرى أحملهن (ومن يتق الله) في شأن أحكامه (يجعل له من أمره يسرا) أى ييسر الله عليه في أمره ويوفقه للعمل الصالح وقال عطاء يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أى الذى ذكر من الاحكام (أمر الله) أى فرائضه (أنزله اليكم) أى بينه لكم في القرآن (ومن يتق الله) بطاعته ويعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (يكفر عنه سيئاته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة فان الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له أجرا) في الآخرة بالمضاعفة (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) أى أسكنوا المعتدات مسكناً من بعض مكان سكنكم على قدر طاقتكم ووجدكم بضم الواو باتفاق القراء السبعة وقرى بفتح الواو وكسرها (ولا تضاروهن) فى السكنى والنفقة (لتضيقوا عليهن) بهما حتى تلجئوهن الى الخروج من المسكن أو الى ان تقتدى الرجعية نفسها منكم (وان كن أولات حمل) أى وان كن المطلقات حبلى (فأنفقوا) أيها الأزواج (عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا بيان حكم المطلقة الباتنة أما الحوامل المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن وأما الرجعية فانها تستحق النفقة وان لم تكن حاملاً ومذهب مالك والشافعى انه ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها الا ان تكون حاملاً وعن الحسن وحامداً لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وأما عند الحنفية فلكل مطلقة حق النفقة والسكنى لان عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في شأن المطلقة لها النفقة والسكنى ولان ذلك جزاء الاحتباس وهو مشترك بين المبتوتة وغيرها ولو كان جزاء للعمل لوجب في ماله اذا كان له مال ولم يقولوا به ونحن معشر الشافعية نقول ان الحامل قديتوها من ان نفقة لها الطول مدة الحمل فأثبت لها النفقة ليعلم ان غيرها بطريق الاولى (فان أرضعن لكم) أولادكم منهن بعد انقضاء علقه النكاح (فأتوهن أجورهن) على ذلك الارضاع ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه للرجل استئجار امرأته للرضاع اذا كان الولد منها لم تبين ويجوز عند الشافعى مطلقاً وفي هذه الآية دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الأزواج في حق الأولاد وحق الامساك والتربية على الزوجات وفيها دليل على ان اللبن ملائ لها

(واشتمروا بينكم بعرف) أى تشاوروا بتراضى الاب والام ولا يكن من الاب عما كسبه ولا من الام
 معاشرة ولا من الرجل تقصير فى حق المرأة ونفقة ما ولا من المرأة فى حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم)
 كأن أبى الزوج ان يعطى المرأة أجرة رضاعها وأبى الام أن ترضع الولد مجاما (فسترضع له أخرى) أى
 فسترضع الولد لولد أمه امرأة أخرى فليس له اكرهاها على ارضاعه بل يستأجر الاب للصبي مرضعا غير
 امه (لينفق) على المرضعات المطلقات وعلى خلافتها (ذو سعة من سعته) أى ذو غنا على قدر غناه
 (ومن قدر عليه رزقه فلينفق عما آتاه الله) أى ومن ضيق عليه معيشته فلينفق على الزوجة والولد الصغير
 على قدر ما أعطاه الله من المال وان قل (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أى الابقه درما أعطاهما من
 الرزق جل أو قل فانه تعالى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى بعد
 ضيق سعة وبعد شدة رخاء عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أى وكما من
 أهل قرية أبوا عن قبول أمر ربهم وعن اجابة أمر رسله (لحاسبنا ما حسبا بشديدا) أى لحاسبناهم
 فى الآخرة على أعمالها بالمناقشة فى كل نقيروقطمير (وعذبنا ما عذابنا كرا) أى وعذبناهم عذابا
 عظيما وهو عذاب نار جهنم (فذاقت وبال أمرها) أى فذاقوا عقوبة كفرهم (وكان عاقبة أمرها
 خسرا) أى وكان عاقبة عنتوها هلاكا بعذاب الدنيا وعذاب النار (أعد الله لهم) فى الآخرة (عذابا
 شديدا) لوان بعدلون (فاتقوا الله) عن ان تكفروا به وبرسوله (يا أولى الاباب) أى يا ذوى العقول
 من الناس (الذين آمنوا) قد أنزل الله اليكم ذکر (الرسول) والوقف على ذكره تام ان نصب رسولا
 بالاغراء أى عليكم رسولا أو بفعل مقدراى وأرسل رسولا فحينئذ فالذکر هو القرآن والرسول هو النبي
 صلى الله عليه وسلم ولا وقف على ذكره ان جعل رسولا بدلا منه فحينئذ فالذکر الرسول هو جبريل عليه
 السلام مسمى بالذکر لانه مذکور فى السموات وفى الارض ولشرفه ويؤيده قراءة رسول بالرفع أى هو رسول
 (يتلوا عليكم آيات الله) أى القرآن (مبينات) وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائى بكسر الهمزة
 لان الآيات تبين الاحكام من الامور والنهى والحلال والحرام والباقون بالغ فتح لان الله تعالى أوضح
 الآيات وبين انها من عنده (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أى من ظلمة
 الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الشهادة الى نور المحبة ومن ظلمة الجهل الى نور العلم وقوله تعالى ليخرج
 اماما متعلق بأنزل والضمير فيه راجع الى اسم الجلالة أو يتلوا فالضمير فيه راجع للرسول (ومن يؤمن بالله
 ويعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (يدخله) فى الآخرة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
 أبدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد أحسن الله رزقا) قال الزجاج أى قدر رزقه الله الجنة
 التى لا ينقطع نعيمها وقيل قدر رزقه الله طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة وجملة قد أحسن الله الخ حال ثانية من
 مفعول يدخله (الله الذى خلق سبع سموات) بعضها فوق بعض مثل القبة (ومن الارض مثلهن)
 أى فى العدد لكنهن منبسطة والعامية بنصب مثلهن عطف على سبع سموات وقرأ عامر فى رواية برفعه على
 الابتداء وخبره من الارض روى البخارى وغيره ان كعبا حلف بالذى فلق البحر اوسى ان صهيبا حدثه ان
 النبي صلى الله عليه وسلم لم يرق قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن
 ورب الارضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أظللن والرياح وما أذر ين اننا نسألك خير هذه
 القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها (يتنزل الاسرى بينهن) أى ينفذ تصرفه
 فيهن ويجرى قضاؤه بينهن قال عطاء أى يتنزل الوحى الى الخلق فى كل أرض وفى كل سماء وقيل مقاتل

يتنزل الوحي من السماء العليا الى الارض السفلى وقال مجاهد يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وسلامته هذا وهلاك ذلك مثلا وقرئ ينزل الامر بينهن (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) أي لكي تعلموا اذا تفكرتم في خلق السموات والارض ان من بلغت قدرته هذا المبلغ الذي لا يمكن ان يكون غيره كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شيء عما أراد وقوله تعالى لتعلموا متعلق بخلق أو يتنزل وقرئ ليعلوا بالياء (وأن الله قد أحاط بكل شيء) من الكليات والجزئيات (علما) لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فتبارك الله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿سورة التحريم وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم مدنية ثنتا عشرة آية مائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) أي لم تمتنع عن الانتفاع بما أحل الله تعالى لك من ملك اليمين أو من العسل روى أنه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبأكرو وعمر عليك كان بعدى أمر أمي فأخبرت بذلك عائشة وكانت متصادقة فطلق حفصة واعتزل نساءه ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية وروى أن عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال له صلى الله عليه وسلم راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها من نسائك في الجنة وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة والشعبي ومسروق ورواية ثابت عن أنس ورواية البزار من حديث ابن عباس ورواية الطبراني من حديث أبي هريرة ورواية الضياء من حديث عمر والذي في الصحيحين أن الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه هو شرب العسل فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم شرب عسلاً في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له أنا نشم منك ريح المغافير وهو صنف حلوه رائحة كريهة فحرم العسل على نفسه فنزلت هذه الآية (تبتغي) أي تطلب بتحريم مارية أو العسل (مرضات أزواجك) عائشة وحفصة (والله غفور) قد غفر لك هذه الزلة (رحيم) قدر حلك في تلك اليمين وقد نقل جماعة من المفسرين أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف أن لا يطأ جاريته فذكر الله له ما أوجب من كفارة اليمين وأيضاً أن أبا حنيفة يرى تحريم الحلال يميناً في كل شيء فإذا حرم شخص طعاماً فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجه فعلى الأيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وإن نوى عدداً كان نوى ثنتين أو ثلاثاً فكان نوى وإن قال كل حلال على حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو إلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يميناً ولكنه سبباً في الكفارة في النساء فقط وإن نوى الطلاق فهو رجي عنده (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي أوجب الله عليكم كفارة كفارة أيمانكم أو قد بين الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة فإذا كفر الخائف صار كمن لم يحلق وقرئ كفارة أيمانكم (والله مولاكم) أي حافظكم وناصركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) أي المتقن في أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما تقتضيه الحكمة (وإذا أمر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) أي وإذا أمر النبي بحديثه في السر بكلام استسكته ما ذلك قال ابن عباس لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الغيرة في وجه حفصة أراد أن يرضها فامر إليها بشيئين تحريم مارية على نفسه والبشارة بأن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم في أبي بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه) قرأ

الجمهور بتشديد الرأى فلما أخبرت حفصة بسر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة ظننا منها أنه لا حرج عليها في ذلك وأطلع الله نبيه على ما أخبرت حفصة عائشة بين النبي لحفصة بعض ما قالت لعائشة من خلافة أبي بكر وعمر وعاتبها على ذلك خوفاً من أن ينشر في الناس فرعباً أن نار حسد بعض المنافقين وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ويلك ألم أقل لك لا تكتفى على قالت والذي بعثك بالحق نبياً ما ملكك نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله تعالى بها أبي وقرأ الكسائي بالتحفيف أى جازى على ذلك البعض بأن طلق حفصة مجازاة على بعض ما فعلت (وأعرض عن بعض) أى وسكت عن بعض من تحريم مارية القبطية على نفسه ولم يلم حفصة على ذلك حياء وحسن عشرة (فلما نبأها به) أى فلما أخبر النبي حفصة بما قالت لعائشة (قالت) أى حفصة (من أنباءك هذا) أى من أخبرك بأنى أقضيت السر لعائشة وقد نذرت أن عائشة هي التي أخبرته (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (نبأني العليم الخبير) بقولك لعائشة وبقولك لك (ان تتوباً) يا حفصة ويا عائشة من أيا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلى الله) تاب الله عليكما (فقد صغت قلوبكما) أى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة إذ قد مالت قلوبكما عن الحق وأحببت إلى ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم وهو اجتنابه جاريته وقرئ فقد رزغت (وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أى وان تتعاوننا أنتم معا على النبي صلى الله عليه وسلم بالأيذاء لم يضره ذلك التعاون منكما فان الله ناصرهم وجبريل رئيس الكرو وبين وأبو بكر وعمر كما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وبه قال عكرمة ومقاتل (والملائكة بعد ذلك) أى بعد نصر من ذكر (ظهير) أى أعوان له صلى الله عليه وسلم فقوله جبريل عطف على محل اسم ان قبل دخولها وكذا وصالح المؤمنين فولاه خبر عن الكل فيقدر بعد كل واحد منهما ويجوز أن يكون الكلام تم عند قوله تعالى مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع وقرأ الكوفيون تظاهرا بتخفيف الظاء واسقاط إحدى التاءين والباقيون بتشديد ها وقرئ على الأصل أى بالتاءين وقرئ تظهرا (عسى ربه ان يطلقكن أن يبده أزواجهن منكن) وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقيون وهم أهل الكوفة بسكونها وقال ابن عرفة وعسى هنا للتخويف لا للوجوب وجملة عسى واسمها وخبرها جواب الشرط أى ان يطلقكن فعسى ربه أن يبده (مسلمات) أى مقدرات باللسن (مؤمنات) أى مصدقات بالقلوب بتوحيد الله تعالى (قانتات) أى مطيعات لله ولا زواجهن وقيل قانتات بالليل للصلاة (تائبات) من الذنوب (عابدات) أى كثيرات العبادات متذلات لأمر الرسول عليه السلام (سائحات) أى صائحات كما قاله ابن عباس أو مهاجرات كما قاله الحسن وقرئ سيحات (ثيمات وأبكارا) فالثيب تعدج من جهة أنها أكثر تجر به وعقلا وأمرع حبلا غالبا والبكر تعدج من جهة أنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة غالباً ومهيت الثيب ثيباً لأنها ثابت أى رجعت إلى بيت أبيها ومهيت العذراء بكر الانها على أول حالتها التي خلقت بها (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أى علموا أنفسكم ونساءكم وأولادكم الخير وأدبواهم بأن تأمرهم وهم بالخير وتنهوهم عن الشر تقوهم بذلك نارا وقرئ وأهلواكم عطفاً على وأوقوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل أى قوا أنتم وأهلواكم أنفسكم نارا (وقودها الناس والحجارة) أى حطبها الكفار وحجارة الكبريت وقرئ وقودها بضم الواو (عليها) أى النار (ملائكة) تسعة عشر وهم الزبانية (غلاظ) أى غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحوا خلقوا من الغضب وحجب اليهم عذاب الخلق كما حجب ابني آدم

أكل الطعام والشراب (شداد) أى شداد الخلق أقويا على الأفعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) بدل اشتغال من الله أى لا يعصون أمره أو منصوب على نزاع الخافض أى فيما أمرهم به من عذاب أهل النار (ويفعلون ما يؤمرون) أى يؤدون ما يؤمرون به من غير توان ويقولون الكفار عند دخولهم النار (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) إذا الاعتذار هو التوبة وهى غير مقبولة بعد الدخول فى النار فلا ينفعكم الاعتذار (إنما تجزون ما كنتم تعملون) أى جزاء أعمالكم أى إنما أعمالكم السيئة أرمتمكم العذاب (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أى بالغة فى النصوح بأن يتوبوا عن القبائح نادمين عليها غاية الندامة لا يعودون إليها وقرأ أشعجة بضم النون وهو مصدر أى ذات نصوح أو تنصع نصوحا أو توبوا لينصع أنفسكم والباقون بفتح هاء فهو صفة مشبهة (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) أى أن يغفر لكم ذنوبكم بالتوبة (ويدخلكم) فى الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يحزى الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) أى صاحبوه فى وصف الإيمان والموصول امامعطوف على النبي وامامتدا خبره جملة قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم) عند المشى على الصراط (وبإيمانهم) أى ويسعى عن إيمانهم عند الحساب لأنهم يؤتون الكتاب بإيمانهم وفيه نور (يقولون) عند اطغاف نور المناقين خائفين من أن يطفأ نورهم (ربنا أتم لنا نورا) أى ابق لنا نورا (واغفر لنا نورا) وكل شئ قدير (وقيل الذين يعرفون على الصراط حبوا وزحفاهم الذين يقولون ربنا أتم لنا نورا) (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والسنان (والمناقين) بالحجة واللسان (واغلظ عليهم) أى واشدد على كلا الفريقين فيما تجاهداهما من القتال والحاجة (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أى جعل الله مثلا ل حال هؤلاء الكفار (امرأة نوح) والهة (امرأة لوط) والعة (كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) بالكفر كما قاله عكرمة والضحاك وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وعن ابن عباس كانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرته الجبارة من قومها وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أى فلم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عنه الله تعالى عن زوجتيهما الماعصتان عذاب الله شيئا وذلك تنبيه على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) أى وتقول لهما خرتا النار ادخلا النار مع الداخلين فى النار (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) أى جعل الله حالها مثلا ل حال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضر مع الإيمان واسمها آسية بنت مزاحم آمنت حين سمعت قصة القاموسى عصاه وتلقف العصا فعذبها فرعون عذابا شديدا بسبب الإيمان فانه أوتدها بأربعة أوتاد واستقبلها الشمس وألقى عليها صخرة عظيمة فقالت رب نجنى من فرعون فرقى بروحها إلى الجنة فالتقيت الصخرة على جسد لاروح فيه (اذ قالت) ظرف لمثلا (رب ابن لي عندك بيتا فى الجنة) أى رب ابن لي بيتا قريبا من رحمتك (ونجنى من فرعون) أى من نفسه الحيثة (وعمله) السيئ وهو شركه أو جماعه كما قاله ابن عباس (ونجنى من القوم الظالمين) أى من القبط التابعين له فى الظلم ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها) عن الفواحش فانها قد ذقت بالزنا (فنفخنا فيه) أى فى فرجها كما قاله البقاعى وقرى فيها أى فى مريم وقال الرازى وقوله تعالى فيه أى فى عيسى ومن قرأ فيها أى فى نفس عيسى (من روحنا) أى من روح خلقناه بلا توسط أصلا والمعنى أوصلنا إلى فرجها الریح الخارج من نفس جبريل لما نفخ فى جيب قبضتها فوصل

اليه فحملت بعيسى (وصدقت بكلمات ربها) أى بالصحف المنزلة على ادريس وغيره قال مقاتل أى بعيسى ويدل عليه قراءة الحسن بكلمة ربها بالافراد وقرى بكلمة الله (وكتبه) وقرأ أبو عمرو وحفص بصيغة الجمع أى بالكتب الاربعة والباقون وكتبه بالافراد أى وكتبه المنزل عليه وهو الانجيل وقوله تعالى وصدقت بالتخفيف والتشديد على ان مريم جعلت الكلمات والكتب صادقة بمعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (وكانت من القانتين) أى من القوم المطيعين لله فى الشدة والرخاء وقال عطاء من المصلين وهم رهطها لانهم أهل بيت صالحين لانهم من أعقاب هرون أخى موسى وضرب هذه الامثال مشتمل على فوائد منها التنبيه على الثواب العظيم والعذاب الاليم ومنها العلم بأن صلاح الغير لا ينفع المفسد وفساد الغير لا يضر المصلح ومنها ان الرجل وان كان فى غاية الصلاح فلا يأم من المرأة ولا يأم نفسه ومنها العلم بأن احسان المرأة مفيد غاية الافادة ومنها التنبيه على ان التضرع بالصدق فى حضرة الله تعالى وسيلة الى الخلاص من العقاب والى الثواب بغير حساب وان الرجوع الى الحضرة الازلية لازم فى كل باب

﴿سورة الملك وتسمى الواقية والمحيية لانها تقي قارئها من عذاب القبر وعن ابن عباس انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن قارئها فى القبر وتدعى فى التوراة المانعة مكية ثلاثون آية وثلاثمائة وخمس وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك) أى تنزه الذى فى قدرته سائر الكائنات عن ان يكون جسماً أو فى مكان أو غير ذلك من صفات الحوادث (وهو على كل شئ) من الاشياء (قدير) يتصرف فيه حسب ما تقتضيه مشيئته يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيى ويميت ويغنى ويفقر ويعطى وينزع (الذى خلق الموت والحياة) فالموت صفة وجودية مضادة للحياة والمراد به الموت الطارىء وبالحياة ما قبله وما بعده وروى الكلبي عن ابن عباس ان الله تعالى خلق الموت فى صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجدر ان تحت شئ الامات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا يجدر ان تحت شئ الاحيى اه وهذا كلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير (ليساوكم) وهو متعلق بخلق أى خلق موتكم وحياتكم ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم أحسن عملاً) أى أخلص عملاً وأصوبه كما قاله الفضيل بن عياض اه وقال قتادة أى أيكم أحسن عقلاً أى أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظروا قال الحسن أيكم أزهد فى الدنيا وأشد تر كلفها وقال السدي أيكم أكثر للوت ذكرا وأحسن استعدادا وأشد خوفاً وحذرا (وهو العزى) أى الغالب الذى لا يجزئه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الاساءة (الذى خلق سبع سموات طباقاً) أى مطابقة بعضها فوق بعض والسماء الدنيا محيطة بالارض احاطة قنر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالسماء الدنيا هكذا الى ان يكون العرش محيطاً بالكل (ما ترى) أيها المخاطب (فى خلق الرحمن) للسموات ولغيرها (من تفاوت) أى من عدم تناسب قراء حمزة والكسائى من تفاوت بتشديد الواو (فارجع البصر) أى رد بصرك الى السماء (هل ترى) فيها (من فطور) أى شقوق وعيون (ثم ارجع البصر كرتين) أى ارجع البصر الى السماء رجعة بعد رجعة وان كثرت

(ينقلب اليك البصر خاسئا) أى بعيدا من اصابة ما التمس من العيب (وهو حسير) أى كليل
للكثرة المراجعة (ولقد زيننا السماء الدنيا) أى القربى من الناس (بصايرج) أى بكواكب
مضيئة بالليل اضاءة السرج (وجعلنا هارجوما للشياطين) أى جعلنا الكواكب كدرجهم أعدائكم
بانفضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب اذا أرادوا استراق السمع (وأعدنا لهم) فى الآخرة
(عذاب السعير) بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب (وللذين كفروا برهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب
جهنم) وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير كما أن للذين عطف على لهم فهو عطف المفرد
على المفرد وعلى هذا فالوقوف على السعير جائز وقرئ عذاب جهنم بالرفع كما هو قراءة الجمهور فالوقوف
على السعير تام (وبئس المصير) جهنم (اذا ألفوا) أى الكفار (فيها سمعوا لها) أى لجهنم
(شهيقا) أى صوتا كصوت الحمار (وهى تغور) أى والحال ان جهنم تغلى بهم غليان الرجل بعافيه
(تكاد تغر من الغيظ) أى تقرب جهنم تتفرق من شدة الغضب على الكفار وقرئ شاذ اتميز على الاصل
(كلما ألقى فيها هوج) أى جماعة من الكفرة (سألهم خزنها) بطريق التوبيخ والتقريع (ألم
يأتكم نذر) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا (قالوا) اعترفوا منهم بعدل الله واقاروا
بأن الله أراح علمهم ببعثة الرسل (بلى قد جاءنا نذر فكذبنا) ذلك النذر فى كونه نذرا من جهة الله تعالى
(وقلنا) فى حق ما تلاه من الآيات (ما نزل الله) على أحد (من شئ) أى من كتاب (ان أنتم الا فى
ضلال كبير) أى ما أنتم أيها النذرى ادعاء الله تعالى نزل عليكم آيات الا فى ضلال كبير أى بعيد
عن الصواب ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الحزبة للكفار والمعنى ما أنتم أيها الكفار الا فى ضلال
كبير فى الدنيا وهو الشرك بالله وفى هلال عظيم فى العذاب (وقالوا) للحزبة (لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا فى أصحاب السعير) أى لو كنا نسمع الادار سماع من كان طالبا للحق أو نعقله عقل من كان متفكرا
لما كنا اليوم مع أهل الوقود فى النار (فاعترفوا بذنبهم) أى أقروا بتكذيبهم الرسل وبكفرهم بآيات
الله (فسحقنا أصحاب السعير) وهو منصوب اما على المفعول به أى أزمهم الله سحقا أى بعدا من رحمته
أعلى المصدر والتقدير سحقهم الله سحقا أى بعدا من رحمته مباعدا وقرأ الكسائى بضم الحاء
(ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى حال كونهم فى الخوفة حيث لا يراهم الناس (لهم مغفرة) لذنوبهم
(وأجر كبير) فى الجنة (وأمروا) أيها الناس (قولوا) وأجهروا به انه عليهم بذات الصدور) أى
علم بالقلوب وأحوالها فاحذروا من المعاصى سرا كما تحذرون عنها جهرافانه لا يتفاوت ذلك بالنسبة الى
علم الله تعالى قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم
لئلا يسمع الله محمد فانزل الله هذه الآية (ألا يعلم من خلق) أى ألا يعلم السر والجمهور من أوجد جميع الاشياء
فن خلق شيئا لا بد وأن يكون عالما بمخلوقه (وهو اللطيف الخبير) أى والحال انه تعالى الفاعل للاشياء
اللطيفة العالم ببواطن الامور (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) أى لينة يسهل عليكم السلوك فيها
(فامشوا فى مناكبها) أى فاسلكوا فى جوانبها (وكلوا من رزقه) أى كلوا مما خلقه الله رزقا لكم فى
الارض (واليسه النشور) أى الرجوع بعد البعث فما لغوا فى شكر نعمه (أم أنتم من فى السماء أن
يخسف بكم الارض) فان يخسف بدل اشتغال من من أى أتأمنون يا أهل مكة من قد أقررت به انه فى
السماء واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء وهو متعال عن المكان أن يغور بكم الارض بعدما جعلها لكم لينة
(فإذا هم) أى الارض (تمور) أى تضطرب وتتقلب (أم أنتم من فى السماء) أى بل أم أنتم أيها

المكذوبون من تزعمون انه في السماء وهو منزله عن المسكان (أب يرسل عليكم حاصيا) أي ربحا فيها حجارة
 (فستعلمون كيف نذير) أي فستعلمون عاقبة اذا رى اياكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من قبل
 كفار مكة من كفار الامم السالفة (فكيف كان تكبير) أي انكارى وتغيرى عليكم أليس وجدوا
 العذاب حقا (أولم يروا) أي أغفلوا ولم يظروا (الى الطير فوقهم صافات) أي باسطات أجنحتهن في
 الجو عند طيرانها (ويقبضن) أي يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حيننا نحننا (ما يسكنهن) في الجو
 عند البسط والقبض (الا الرحمن) أي الواسع رحمة كل شئ وهذه الجملة مستأنفة فالوقوف على قبض
 تام كالوقوف هنا (انه بكل شئ بصير) فيكون الله راثيا لنفسه ولجميع الموجودات (أمن هذا الذي
 هو جند لكم) أي بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم فأم بمعنى بل ومن اسم استفهام مبتدأ
 خبره اسم الإشارة وقرأ طلمة بتخفيف الميم هنا وتشديده ثم والمعنى أهذا الذي هو جند لكم أم الذي يرزقكم
 (ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور) أي ما الكافرون الا في غرور ومن الشيطان فهو
 يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم اعلم ان الكافرين كانوا يمتنعون عن الايمان ولا يلتفتون الى دعوة الرسول
 معتمدين على شيئين أحدهما قوتهم بعالمهم وجندهم وثانيهما اعتقادهم أن الاوثان توصل اليهم جميع
 الحيرات وتدفع عنهم جميع الآفات وقد أبطل الله عليهم الاول بقوله تعالى أم من هذا الذي هو جند لكم
 الآية ورد عليهم الثاني بقوله تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه) أي بل من الذي يرزقكم
 من آلهتكم ان أمسك الله الرزق عنكم بل لو كان الرزق موجودا سهل التناول فوضع الآكل لقمة في
 فيه فأمسك الله تعالى عنه قوة الازدراد لمحض أهل السموات والارض عن أن يسوغوا تلك اللقمة (بل لجوا
 في عتو ونفور) أي بل عمادوا في ابا عن الحق وشراد عن الايمان ثم ضرب الله مثلا للشرك والموحد
 فقال (أمن عيشى مكاء على وجهه أهدى أم من عيشى سويا على صراط مستقيم) أي أمن عيشى في
 مكان غير مستوفيعثر كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة أهدى الى المقصد أم من عيشى معتدلا على
 طريق مستولا عوج فيه ولا انحراف سالما من العنور والحزور (قل هو الذي أنشأكم) أي أوجدكم
 ايجادا بديعا (وجعل لكم السمع) لسمعوا بها الآيات القرآنية (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات
 التكوينية (والافئدة) لتتفكروا بها فيما سمعونه من الآيات التنزيلية وفيما تشاهدونه من الآيات
 التكوينية (قليل ماتشكرون) لان شكر نعمة الله تعالى هو أن يصرف تلك النعمة الى وجهه رضاه
 وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل الى غير طلب مرضاته فأنتم ما شكرتم نعمته البتة (قل هو الذي
 ذرأكم) أي خلقكم وكثركم (في الارض واليه تحشرون) في الآخرة للجزاء (ويقولون) أي كفار
 مكة من فرط عنادهم (متى هذا الوعد) أي الحشر الموعود (ان كنتم صادقين) أي ان كنتم صادقين
 بما تنبؤونه من مجي الساعة والحشر فينبوا وقته (قل اغنا العلم) بوقت مجيئه (عند الله) لا يطلع
 عليه غيره (وانما أنا نذير مبين) أنذركم وقوع الموعود فان العلم بالوقوع غير العلم بوقت الوقوع فالعلم
 الاول كاف في الانذار والعلم الثاني ليس الا الله (فلما رآوه) أي العذاب بعد الحشر (زلفة) أي ذا قرب
 (سيئت وجوه الذين كفروا) أي اسودت وجوههم وعلتها الكآبة وصارت كوجهه من يقاد الى القتل
 (وقيل) أي قال لهم الحزنة توبيخا (هذا الذي كنتم به تدعون) أي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه
 استهزاء أو هذا الذي كنتم تدعون انه باطل لا يأتيكم وقرأ الحسن وقتادة وأورجوا موالضحاك ويعقوب
 وأبو زيد وأبو بكر وابن أبي عملة ونافع في رواية الاصمعي بسكون الدال من الدعاء وهي مؤيدة للقول بان

تدعوننا مثقلة من الدعاء في قراءة العامة وقيل من الدعوى (قل أرايتم) أي أخبروني (إن أهلكني الله) أي
 إن أماتني الله (ومن معي) من المؤمنين (أورحمنا) بتأخير آجالنا فأى راحة لكم في ذلك وأي منفعة
 لكم فيه يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك حين
 خوفهم النبي بعذاب الله (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أي من الذي يجيركم من عذاب الله
 إذا نزل بكم أتظنون أن الأصنام تجيركم فإذا علمتم أن لا يجير لكم منه سوا الله متنا أو بقينا فها لا تمسكنم بما
 يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة والبعث (قل هو) أي الذي أدعوكم إلى عبادته
 (الرحمن) أي معطي النعم كلها (أمنابيه) ولم تكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) لا على غيره
 كما فعلتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم وهو لا يقبل دعاكم لأنكم أهل الكفر (فستعلمون)
 ههنا معاناة العذاب في الآخرة (من هو في ضلال مبين) أي ظاهراً نحن أم أنتم وقرأ الكسائي فسيعلمون
 بالياء التثنية (قل أرايتم) أي أخبروني (إن أصبح ماؤكم غورا) أي إن صار ماؤكم ذاهباً في
 الأرض بالسكبة أو بحيث لا تناله الدلاء (فمن يأتيكم بما معين) أي ظاهر سهل المأخذ تراه العيون فلا بد
 لهم وإن يقولوا لا يأتي نسابه إلا الله فقل لهم حينئذ فلم يجعلون من لا يقدر على شيء أصلاً شريكاً له في
 العبودية وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر معيون ويستحب أن يقول القاري عقب معين الله رب العالمين
 كما ورد في الحديث

﴿سورة القلم وتسمى سورة مكية اثنتان وخمسون آية وثلاثمائة

كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم ن) أقسم الله بالنون وهي السمكة التي تحمل الأرضين على ظهرها واسمها
 ليواس وهي في الماء تحت الأرض السفلى وتحتها الثور واسمها يموت وتحتها الصخرة وتحتها الثرى ولا
 يعلم مات تحتها إلا الله تعالى وهذا مروي عن ابن عباس وقيل أنه تعالى أقسم بالحوت الذي احتبس يونس عليه
 السلام في بطنه وقيل أنه تعالى أقسم بالحوت الذي لطخ سهم غر وذبذمه والقول الثاني وهو مروي أيضاً
 عن ابن عباس أن النون هو الدواة وعلى هذا أقسم الله تعالى بالدواة والقلم فإن المنفعة بهما عظيمة عن أبي
 هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون
 وهي الدواة (والقلم) أقسم الله بالقلم وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض (وما يسطرون) أي
 وما يكتب الملائكة في صحفهم يكتبون فيها المقادير التي تنفع في العالم فينسخون ذلك من اللوح المحفوظ
 (ما أنت) يا أكرم الخلق (بنعمة ربك بمجنون) أي أنت بريء من الجنون، لتبسبب نعمة الله التي هي
 النبوة والرئاسة العامة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة إلى
 حراء فطلبت فلم تجده فاذا به وجهه متغير فقالت له مالك فزكر تزول جبريل عليه السلام وأنه قال له اقرأ
 باسم ربك قال صلى الله عليه وسلم ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأت ثم توضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين
 وقال هكذا الصلاة يا محمد فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة ذهبت إلى ورقة بن نوفل وهو
 ابن عمها فسألته فقال أرسلني إلى محمد فأرسلته فأناها فقال هل أمر لك جبريل أن تدعوا إلى الله أحد فقال لا
 فقال والله لئن بقيت إلى دعوتك لا نصرنك نصر أعزيرنا ثم مات قبل دعا الرسول فلما دعا صلى الله عليه
 وسلم كفار قريش إلى الله قالوا إنا لمجنون فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون (وان لك) يا أكرم

الحلق على ما تحملت من أنفال الرسالة ومن ألوان الشدايد من جهة قومك (لأجرا غير ممنون) أي غير مقطوع (وانك لعل خلق عظيم) كانت نفسه صلى الله عليه وسلم شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة عن عائشة قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مادعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيلك وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين سنة في شئ ففعلته لم فعلت ولا في شئ لم أفعله هلا فعلت (فستبصر ويبصرون) أي فستعلم يا محمد ويعلم المشركون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل أو فسترى يا محمد ويرون في الدنيا انك تصير معظما في القلوب وانهم يصيرون ذليلا (بأيكم المقتون) والباء اما زائدة أي أيكم الذي قتل بالجنون أو بمعنى في أي في أي الفريقين الجنون أي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفار ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة في أيكم وقيل ان المقتون مصدر جاء على مفعول والتقدير بأيكم الفتون أي الجنون (ان ربك هو أعلم عن سبيله) أي هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله تعالى المؤدى الى سعادة الدارين (وهو أعلم بالمهتدين) أي وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون الى سبيله الفاترون بكل مطلوب الناجون عن كل محذور (فلا تطع المكذبين) وهم رؤساء أهل مكة الذين دعوه صلى الله عليه وسلم الى دين آبائهم (ودوا لوتدهن فيدهنون) أي تمنوا ان تترك بعض ما أنت عليه عما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك وان يتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك ولو مصدرية أي ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف في الحق والباطل (مهين) أي ضعيف في دين الله حقير في التدبير والتمييز (هماز) أي عياب طعان (مشاء بنميم) أي نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه الافساد بينهم (منايع للخير) أي بخيل بالمال أو مناع للناس من الدخول في دين الاسلام (معتد) أي ظلوم (أثيم) أي مبالغ في الاتم (عتل) أي شديد الخصومة أو واسع البطن (بعد ذلك) أي مع ذلك المنال (زني) أي دعي ملصق بالقوم وليس منهم والظرف متعلق بزني قيل هو الوليد ادعاه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من ولادته ونسبه لنفسه بعد ان كان لا يعرف له أب ولم تنزل هذه الآية قال لامة ان محمدا وصفني بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها فان لم تصدقني الخبر ضربت عنقك فقالت له ان أباك أي المغيرة عني فخفت على المال فكنت الراعي من نفسي وكان الوليد عشرة من البنين وكان يقول لهم ولا قاريه اثني تسع دين محمد أحد منكم لا أنفعه بشئ أذا فنعهم من الاسلام وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين ألفا ولا يعطى المسكين درهما واحدا وهذه الآية عند أكثر المفسرين نزلت في الوليد بن المغيرة وعند ابن عباس في أبي جهل وعند مجاهد في الاسود بن عبد يغوث وعند السدي في الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة (أن كان) أي لاجل ان كان هذا الموصوف (ذامال وبنين) وهذا ما متعلق بما قبله أي لا تطع كل خلاف الآية لكثرة ماله وأولاده أو عبادل عليه ما بعده أي انه كقربا ياتنلان كان ذامال وبنين وفي قراءة سبعة أن بنين مرتين مفتوحين أي لأن كان ذامال وبنين نطيعه أو لأن كان ذامال وبنين يكفرو ويستكبر وكان مال الوليد ابن المغيرة نحو تسعة آلاف مثقال من فضة وبنوه عشرة (اذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير الاولين) أي هي احاديث الاولين في كذبهم (سنسهم على الخرطوم) أي سنجعل له في الآخرة علامة على أنه يعرف بها أهل القيامة انه كان في عداوة الرسول وفي انكار الدين الحق كما قاله قتادة قال ابن عباس أي سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنه قاتل يوم بدر فخطم

بالسيف في القتال (انابولونا هم) أي أهل مكة بالقحط بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم عليهم بعد يوم بدر سبع سنين (كما بلونا أصحاب الجنة) أي أهل البساتين كانت بصروان روى ان واحدا من تقيف وكان مسلما كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيبا وافر للفقراء فلما مات ورثها منه بنوه وقالوا عيالنا كثير والمال قليل ولا يمكننا ان نعطي المساكين مثل ما كان يفعل أبونا فأحرق الله جنتهم وكانوا بعد عيسى بن مريم بزمان يسير (إذا قسموا اليصر منها مصحين) أي حين حلفوا بالله ليعطن غرنجيلهم في وقت الصباح (ولا يستثنون) أي لا يقولون ان شاء الله أو لا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهـم (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي فطرقها في الليل طارق من عذاب الله قال الكلبي أرسل الله عليها ناراً من السماء فاحترقت وهم نائمون (فأصبحت كالصريم) أي فصارت البساتين بالاحترق شبيهة بالبستان الذي صرمت شجاره بحيث لم يبق منها شيء أو صارت كالبلبل في اسودادها أو كأنها في ابيضاضها من فرط اليبس (فتنادوا مصحين أراغدا وعلى حرككم ان كنتم صارمين) أي فنادى بعضهم بعضا عند طلوع الفجر أي اذهبوا الى الثمار والزرع والاعناب فاصرموها ان كنتم قاصدين للصرم ولا تخبروا المساكين (فانطلقوا) الى البساتين (وهم يتخافتون) أي والحال أنهم يتسارون فيما بينهم كلاما خفيا (ان لا يدخلها اليوم عليكم مسكين) وان مفسدة أي لا تدخلوا مسكينا في البساتين وقرأ ابن مسعود بطرح أن على اضماع القول والمعنى يتخافتون يقولون لا تدخلوا المسكين من الدخول في البساتين حتى يدخل (وغدا على حرد قادرين) أي وصاروا قاصدين الى بساتينهم قادرين على صرامها ومنع منفعتها عن المساكين في ظنهم أو أرادوا أن يحرموا المساكين وهم قادرون على نفعهم (فلما رأوها قالوا ان الضالون بل نحن محرومون) أي لما رأوا جنتهم محترقة ظنوا أنهم قد أخطأوا الطريق فقالوا ان الضالون طريق بستاننا ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا السننا ضالين بل نحن محرومون من منفعة جنتنا بشؤم غرنا على البخل ومنع الفقراء ويحتمل أنهم لما رأوا جنتهم محترقة قالوا ان الضالون في الاعتقاد حيث كنا نعتقد دكونا قادرين على الانتفاع بها وحيث كنا عازمين على منع الفقراء بل الامر انقلب علينا فصرنا محرومين (قال أوسطهم) أي أفضلهم (ألم أقل لكم لو لا تسبحون) أي هلا تذكرون الله تعالى وتتنوبون اليه من خبث نيتكم حيث عزمتم على منع الزكاة (قالوا سبحان ربنا) عن أن يجري في ملكه ما لا يشاؤه (انا كظالمين) بالاقسام على جذا الجنة في الصباح ومنع المساكين وترك الاستثناء (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا يقول واحد منهم أنت أشرت علينا به هذا الرأي ويقول الآخر أنت الذي خوفتنا بالفقر ويقول الثالث أنت الذي رغبتني في جمع المال (قالوا يا ويلنا انا كظالمين) أي يا هلا كذا وقت منادمتك لنا انا كذا تجاوزنا حد الله بمنعنا المساكين (هسي ربنا أن يمد لنا خيرا منها) أي أن يعطينا خيرا من جنةنا بدل ما فيها من التوبة والاعتراف بالذنوب وقرأنا فاعفوا وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال (انا الى ربنا راغبون) أي طالبون منه الخير راجون عفو وروى أنهم قالوا ان أيد لنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فمضروا الى الله تعالى بالدعاء فأيدهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها فان الله امر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزرع من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأيد لهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا من كبره وقال

أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل الاسود القاتم (كذلك العذاب) أي مثل الذي بلونابه أهل مكة وأصحاب الجنة في صر وان عذاب الدنيا لمن منع حق الله من ماله (ولعذاب الآخرة) لمن لا يتوب (أكبر) من عذاب الله في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أنه أكبر لا حترزوا عما يؤذيهم اليه (ان للمتقين عند ربهم) أي في الآخرة (جنات النعيم) أي جنات ليس لهم فيها الا التمتع الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فصلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فاقصى أمركم أن تساوونا فاجاب الله عن هذا الكلام بقوله (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) أي أنخيف في الحكم نجعل المسلمين كالكافرين أي مساوين لهم في العطاء (مالكم كيف تحكمون) أي أي شيء يحصل لكم يا أهل مكة وأي حال يدعوكم الى هذا الحكم هل هو صادر عن اختلال فكر أو أوجاج رأي (أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخبرون) أي بل لكم كتاب نازل من السماء فيه تقررون ان لكم في ذلك الكتاب ما تشتهون في الآخرة وقرأ طه والضحك أن لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون الا أن في اسمها زيادة لام التأكيد (أم لكم أيمان علينا) أي أم لكم عهد ومؤكدة بالايان (بالغة الى يوم القيامة) والجار والمجرور امام متعلقة ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم واما بالمقدر أي ثابتة لكم الى يوم القيامة ويكون معنى بالغة مؤكدة وقرأ زيد بن علي والحسن بالغة بالنصب على الحال من أيمان أو من الضم في الظرف (ان لكم لما تحكمون) وهذا جواب القسم لان المعنى أقسمنا لكم ايماننا موثقة ان لكم ما تحكمون به لانفسكم في الآخرة وهو ان تساووا بين المسلمين والكافرين (سلمهم) يا أشرف الرسل (أيهم ذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أي قائم (أم لهم شركاء) أي أوهل لهم ناس يساعدونهم على صحة ذلك القول (فليأتوا بشركائهم) أي بمن يشاركونهم في ذلك القول ويكفلوه لهم بصحته (ان كانوا صادقين) في دعواهم ويقال المعنى أم لهم أشياء يعتقدون أنها شركاء الله يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب فليأتوا بالكهنتهم ان كانوا صادقين أن لهم ما قالوا (يوم يكشف عن ساق) أي يوم يشتد الامر قال أبو سعيد الضرر أي يوم يكشف عن أصل الامر أي تظهر يوم القيامة حقائق الاشياء وأصولها بحيث تصير عيانا وقرئ تكشف بالتاء الفوقية على البناء للفاعل أو المفعول والفعل للحال أو للساعة أي يوم تشتد الحال أو الساعة عن أمر وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين أي يوم تدخل الحال في الكشف عن أمر كانوا في عي منه في الدنيا وقرئ تكشف بالنون (ويدعون الى السجود) توبيحنا على تركهم اياه في الدنيا بعد ما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (فلا يستطيعون) السجود تبقى أصلاهم فقارة واحدة مثل حصون الحديد (خاشعة أبصارهم) حال من واو يدعون (ترهقهم ذلة) أي تلحقهم ذلة شديدة بسبب أنهم ما كانوا مواظبين على خدمة مولاهم (وقد كانوا يدعون الى السجود) أي الى الصلوات بالاذان والاقامة في الدنادةوة تكليف (وهم سالمون) أي أصحاء قادرين على الصلاة فلا يجيبون الداعي وفي هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يجب المؤذن الى اقامة الصلاة في الجماعة (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) أي خل يا أشرف الخلق بيني وبينهم فان أكفيل أمرهم (سنستدرجهم) أي سننزلهم الى العذاب درجة درجة (من حيث لا يعلمون) أي كلما أذنوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار (وأمل لهم) أي أمهلهم ليزدادوا اثما (ان كيدي متين) أي ان سترى لاسباب الهلاك عن أريدها لا كد قوي

لا يدفعه شيء ولا يطلع عليه أحد (أم تسألهم أجرا) أي أم تلتبس من أهل مكة أجراءنيو يا على الايمان (فهم من مغرم مثقلون) أي فهم لاجل ذلك مكلفو حملات قتلهم من غرامة مالية يعطونك كما في عرضون عندك (أم عندهم الغيب) أي أم عندهم علم ما غاب عنهم كأنه حاضر في عقولهم (فهم يكتبون) على الله أي يحكمون عليه بما شاؤوا (فأصبر لحكم ربك) في أمهاتهم وتأخير نصرته عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) أي ولا يكن حالك يا أشرف الخلق كحال يونس عليه السلام من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (اذنادى وهو مكظوم) اذ نادى في بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مملوء غما كما قاله ابن عباس ومجاهد أو كرا كما قاله عطاء وأبو مالك والفرق بين النغم والكرب أن النغم في القلب والكرب في الانفاس (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم) أي لولا هذه النعمة التي هي توفيقه للتوبة وقبولها منه لطرح بالارض الحالية من الاشجار مع وصف المذمومة رقرى رحمة من ربه وقرأ ابن هريرة والحسن تداركه بتشديد الدال وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركه (فاجتباه ربه) أي رد عليه الوحي بعد ان انقطع عنه وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون (لخعله من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روى أن هذه الآية نزلت في أحد حين حل برسول الله ما حل فإراد أن يدعو على الذين انهزموا رقييل حين أراد أن يدعو على ثقيف (واب يكاد الذين كفروا ليرزقونك بأبصارهم) أي انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شرا بما يحيط بكادون برزقون قدمك فيرمونك وقرى في السبعة ليرزقونك بضم الياء وفصحها وقرى ليرزقونك روى أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله فنزلت هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت معاهم بالقرآن (ويقولون) لغاية حيرتهم في أمر صلى الله عليه وسلم (انه) أي محمدا (المجنون) فاجابهم الله تعالى بقوله (وما هو الا ذكر للعالمين) أي وما هذا القرآن الذي يرنمون أنه دالة جنونه صلى الله عليه وسلم الاعظة للجن والانس

﴿سورة الحاقة مكية احدى وخمسون آية ومائتان وست وخمسون
كلمة وألف وأربعمائة وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة) أي أي شيء هي (وما أدراك) أي وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) أي انك لا تعلم لك يا أشرف الخلق بكنهها ومدى عظمها والحاقة هي الساعة الثابتة الوقوع الواجبة المجي " أو التي تحقق فيها الامور أي تعرف على الحقيقة (كذبت ثمود وها بالقرعة) أي بالحالة التي تفرع قلوب الناس بالافزاع وهي القيامة وقوارعها انقطاع السحاب وانشقاقها ودك الارض ونسف الجبال وطمس النجوم وانكدارها (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أي بالصيحة المجاوزة للحد في القوة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة (عاتية) أي مجاوزة للحد في شدة عصفها (صخرها) أي سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي متتابعة من صيحة أربعا لثمان بقين من شوال الى غروب الاربعاء الاخر فكان آخرها هو اليوم الاخير منه (فترى القوم) أي قوم هودان كنت حاضرا وقتئذ (فيها) أي في مهاب الريح (صرعى) أي موتى مجندلين على الارض (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أي كأنهم أصول نخل ساقطة بالية (فهل ترى لهم من باقية) قال قوم أي لم يبق من نسل أولئك القوم أحد وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في عقاب الله من الريح فلما أمسوا اليوم الثامن ماتوا

فاحتملهم الرجح فآلتهم في البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية (وجاء فرعون ومن قبله) قرأه أبو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء أي ومن عنده من أتباعه وجنوده ويؤيده قراءة ابن مسعود وأبى وأبي موسى ومن تلقاه وقرأ أبى أيضاً ومن معه والباقون بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الأمم (والموتفكات) أي أهل القرى الخمسة المنقلبات قوم لوط وهي صنعة وصعرة وعجرة ودوما وسذوم (بالخاطئة) أي بالخطأ كتكذيب البعث وكاللواط والصفع والضراط وغير ذلك من أنواع المعاصي (فقصوا رسول ربهم) موسى ولوطا وغيرهما (فأخذهم) أي الله تعالى (أخذة رابية) أي زائدة في السدة على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار (انما طغى الماء) أي ارتفع الماء وزاد على أعلا جبل خمسة عشر ذراعاً وذلك في زمن نوح (حملناكم) في أصلاب آبائكم (في الجارية) أي في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم تذكرة) أي لنجعل هذه القصة التي هي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة عظة لكم تتعظون بها (وتعيها أذن واعية) أي ليحفظ لها قلب حافظ ويقال تسمع هذا الأمر أذن سامعة فتسمع بآذانهم وقرأنا نافع بسكون الذال وقرأ العامة وتعيها بكسر العين وروى عن ابن كثير ساكنة العين وذلك مثل ويتقه في قراءة من سكن القاف (فإذا انفخ في الصور نفخة واحدة) وهي نفخة البعث وقرأ أبو السماك بنصب نفخة واحدة على المصدر وبإسناد الفعل إلى الجار والمجرور (وحملت الأرض والجبال) أي وبعد خروج الناس من قبورهم رفعت الأرض والجبال من أمامكنها ما بالزلزلة أو بريح أو بملك من الملائكة أو بقدره الله من غير سبب (فدكا ذكة واحدة) أي ضربت إحدى الجملةين بالأخرى ضربة واحدة ففتقت وصارت كتيها هيملا (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة الكبرى وهذا جواب إذا (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهي) أي السماء (يومئذ واهية) أي ساقطة القوة بعدما كانت محكمة شديدة (والملاك على أرجائها) أي والملائكة واقفون على أطراف السماء التي لم تسقط فهو لا من حملة المستثنى عن يموتون في الصعقة الأولى وقيل أنهم يموتون لحظة على أطراف السماء ثم يموتون (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي حال كون العرش فوق الملائكة الواقفين على جوانب السماء (يومئذ) أي يوم وقعت الواقعة (ثمانية) من الأملاك وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال إن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الأوعال أي تيموس الجبل وفي حديث آخر لكل ملك منهم وجه إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس قال بعضهم والله أحدهم وقيل ولبنه وقال ابن عباس هم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى (يومئذ) أي يوم قامت القيامة (تعرضون) على الله أي تسألون وتحاسبون وروى أن في يوم القيامة ثلاث عرضات للحساب والمعاذير وعرض للخصومات والقصاص وعرض لتطيار الكتب وقرأتها (لا تخفى منكم خافية) أي لا يخفى يوم القيامة ما كان مخفياً منكم في الدنيا فإنه تظهر أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال أهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وقصصهم وقرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء التحتية (فأما من أوتى كتابه يمينه) كتاب سلمة بن عبد الأسد (فيقول) لا صحابه تجمعوا وابتهاجا (هاؤم اقرؤا كتابيه) أي خذوا كتابي وانظروا ما فيه من الثواب والكرامة (اني ظننت أني ملاق حسابه) أي اني في الدنيا تيقنت أني ألقى حسابي في الآخرة ولم أنكر البعث وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل يؤتى به يوم القيامة ويؤتى كتابه فتكتب حسناته في ظهر كفه وتكتب

سياتي في بطن كفه فينظر الى سياتيه فيحزن فيقال له اقلب كفل فينظر فيه فيرى حسنة فيفرح ثم
 يقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت عند النظر الاولي اني ملاق حسابيه على سبيل الشدة واما الآن فقد
 فرج الله عني ذلك الغم (فهو في عيشة راضية) أي منسوبة الى الرضا (في جنة عالية) في المكاب والدرجة
 (قطوفها دانية) أي ثمارها قريبة يتناولها القاعد يقول الله لهم (كلوا) من الثمار (واشربوا) من
 الانهار (هنيئا) أي بلا تعب في تحصيل الاكل والشراب وبلاده في تناولها (بما أسلفتم في الايام
 الخالية) أي بمقابل ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الماضية وهي أيام الدنيا (وأما من أوتي
 كتابه بشماله) كالا سود بن عبد الاسد (فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) أي لم أعط كتابي هذا الذي
 ذكرني قبائح أفعالي حتى لا أقع في هذه الخجالة (ولم أدر ما حسابيه) أي أي شيء حسابي من ذكر العمل
 وذكرا الجزاء (يا ليتها كانت القاضية) أي ليت هذه الحانة كانت مودة انتهت اليها أوليت المودة التي
 مت بها في الدنيا كانت قاطعة لا مري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى (ما أغنى عني ماليه) وما امانا في
 وماليه كلمة واحدة أي ما دفع عني من عذاب الله مالي الذي جمعه في الدنيا واستفهامية وماليه كلمتان أي
 أي شيء نفعتني عما كان لي من المال والاتباع (هالك عني سلطانيه) أي ضلت عني حجتى التي كنت أحتج
 بها في الدنيا أو ذهب ملكي وتسلم على الناس وبقيت فقيرا ذليلا فيقول الله تعالى يومئذ الخزنة النار
 (خذوه) أي أيتها الزبانية (فغلووه) أي شدوه بالأغلال فيبتدر اليه مائة ألف ملك وتجمع يده الى عنقه
 ورجله الى ورائه فقاه الى ناصيته (ثم الجحيم) أي النار العظمى (صلوه) أي شؤوه (ثم في سلسلة
 ذرعها) أي قدرها بذراع الملك (سبعون ذراعا فاسلكوه) أي ادخلوه قال ابن عباس تدخل
 السلسلة من دبره وتخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته وقدميه ثم يجعل في عنقه سائرهما وقال نوف
 البكالى كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد عما بين مكة والكوفة (انه كان) في الدنيا (لا يؤمن
 بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) أي ولا يحس على بذل طعام المسكين وعن أبي الدرداء انه كان
 يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمن أفلا نخلع
 النصف الباقي (فليس له اليوم ههنا حميم) أي فليس له في ذلك الوقت في مجمع القيامة قريب يدفع
 عنه ويحزن عليه (ولا طعام الا من غسلين) قال الكلبي هو ما يسيل من أهل النار اذا عذبوا من
 القمع والدم والصيد (لا يأكله الا الخاطئون) أي المتعمدون للذنوب وهم المشركون وقرأ الزهري
 والعسكي وطهة والحسن الخاطيون بياهم مضمومة بدل الهمزة وقرأ نافع في رواية وشيبة بطاهم مضمومة
 بدون همز أي الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله (فلا أقسم بما تبصرون وما لا
 تبصرون) ولا مريدة أو أصلية رد لا نكارهم البعث أي أقسم بما تبصرون يا أهل مكة من شيء كالسماء
 والارض والشمس والقمر ومحمد صلى الله عليه وسلم وما لا تبصرون من شيء كالجنة والنار والعرش
 والكرمي وجبريل عليه السلام فالاشياء لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر فالاقسام ثم
 جميع الاشياء على الشمول (انه) أي القرآن (لقول رسول كريم) على الله وهو النبي محمد صلى
 الله عليه وسلم وانما نسب القرآن هنا لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه الذي اظهره للحلق
 ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته ونسب في سورة اذا الشمس كورت الى سيدنا جبريل عليه
 السلام لانه الذي أنزله من السموات الى الارض وهو كلام الله تعالى بمعنى انه تعالى هو الذي اظهره في اللوح
 المحفوظ وهو الذي رتبته ولذا قال ابن عباس في تفسير هذه الآية ان القرآن قول الله نزل به جبريل على

رسول كريم محمد عليه السلام (وما هو) أي القرآن (يقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا به قول كاهن قليلا
 ما تدكرون) أي ليس هذا القرآن قولاً من رجل شاعر لأنه مبين لصنوف الشعر إلا أنكم لا تقصدون
 الإيمان به فلذلك تعرضون عن التدبر ولو قصدتم الإيمان لعلمتم كذب قولكم أنه شعر وليس بقول رجل
 كاهن لأنه وارد بشت الشياطين إلا أنكم لا تتذكرون اشتغاله على سبب الشياطين فلذلك تقولون أنه من
 باب الكهانة وما ماضية لتأكيده معنى القلة وانتصب قليلاً على أنه نعت لمصدر محذوف أي تؤمنون
 إيماناً قليلاً وتدكرون تذكراً قليلاً فإنهم قديؤمنون في قلوبهم ويتذكرون بها إلا أنهم يرجعون عن
 ذلك سرية ولا يتقون الاستدلال كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله تعالى أنه فكر وقدر وقال في آخر الأمر إن
 هذا إلا محريئهم وإماناً فيمتنق إيمانهم وتدكرهم البتة أي لا يؤمنون أصلاً بأن القرآن من الله ولا
 يتذكرون أصلاً كيفية نظم القرآن قال مقاتل وسبب نزول هذه الآية أن الوليد بن المغيرة قال إن محمداً
 ساحر وقال أبو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بذلك وقرأ ابن كثير وكذا ابن عامر على
 خلاف عن ابن ذكوان بالياء التحميمة في يؤمنون ويذكرون وخفف ذال تدكرون حمزة والكسائي
 وحفص (تنزيل من رب العالمين) أي بل هو تنزيل من موجدهم على محمد وعلى وجه التمجيد وقرأ أبو
 السماك تنزيلاً أي نزل تنزيلاً (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)
 أي ولو نسب محمد إلينا قولاً لم نقله لاخذنا عينه ثم لضربنا رقبتيه فان الوتين هو عرق متصل بالرأس من
 القلب وهذا تمثيل بما يفعله الملوك بمن يتكذب عليهم والمراد أنه لو كذب علينا لا متناه ويقال لو نسب
 محمد إلينا قولاً لم نأذن له في قوله لسلبنا عنه القوة ثم لقطعنا نياط قلبه بضرب عنقه ويقال لو اقترى محمد علينا
 قولاً من الكذب لاخذناه بقوة منا وقال مقاتل لا نتقن منامنه بالحق فاليمين بمعنى الحق كقوله تعالى أنكم
 كنتم تأتوننا عن اليمين أي من قبل الحق وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول (فما منكم من أحد عنه
 حاجزين) أي فليس منكم أيها الناس أحد يمنعنا عن محمد أو عن عقابه (وانه) أي القرآن (لنذكر
 للثقلين) لأنهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم) أيها الناس (مكذبين) بالقرآن بسبب حب
 الدنيا فنجازيهم على تكذيبهم (وانه) أي القرآن (لحسرة) أي ندامة (على الكافرين) عند
 مشاهدتهم لثواب المؤمنين يوم القيامة وكذا في دار الدنيا إذا رأوا دولة المؤمنين قال مقاتل أي وإن
 تكذبهم بالقرآن لحسرة عليهم (وانه لحق اليقين) أي وإن القرآن لحق يقين أنه كلامي نزل به جبريل
 على رسول كريم ويقال وإن الحسرة على الكافرين يوم القيامة حق يقين (فسيح باسم ربك العظيم)
 أي إذ كررت جبريل العظيم تنزيهاً له عن الرضا بنسبة ما هو بري منه وشكراً على ما جعلك أهلاً
 لا يحاونه إليك

(سورة المعارج وتسمى سورة سائل مكية أربع وأربعون آية ومائتان
 وست عشرة كلمة وثمانمائة واحد وستون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعد ذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله) أي طلب طالب
 عذاباً هو واقع بالكافرين في الدنيا والآخرة ليس لذلك العذاب من يدفع عنهم من جهة الله تعالى لأنه إذا
 أوجبت الحكمة وقوعه امتنع أن لا يفعله الله قال ابن عباس هو النضر بن الحرث حيث قال أنكاراً
 واستهزاء اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقتل

يوم بدر صبراهو وعقبة بن أبي معيط وقال الربيع هو أبو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء
وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي
الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمدا حقا فاه طر علينا حجارة من السماء فالبث
حتى رماء الله تعالى بحجر فوق علي دماغه فخرج من دبره فبات من ساعته فترلت هذه الآية وقال الحسن
وقتادة لما بعث الله محمدا وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا من هذا
العذاب وعن يقع فآخبره الله عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع أي من عذاب فعلي هذا فقوله تعالى سأل
سائل حكاية لسؤالهم المعتادة على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا
الوعد قال أبو السعود ولعل هذا القول أقرب وقرأ نافع وابن عامر سأل بالالف محضنة وقرأ ابن عباس
سأل سيل بعذاب واقع للكافرين أي ادفع عليهم وادمن أودية جهنم بعذاب واقع وهذا قول زيد بن ثابت
وعبد الرحمن بن زيد وقرأ أبي على الكافرين (ذي المعارج) أي ذى السموات فهو خالقها كما قاله ابن
عباس وسُميت معارج لان الملائكة يعرجون فيها وقال قتادة أي ذى الفواضل والنعم وهي تصل الى
الناس على مراتب مختلفة وقيل أي ذى الدرجات التي يعطيها أولياءه في الجنة (تعرج الملائكة
والروح) وهو جبريل (اليه) أي الى انتهائه موضع كرامته تعالى وهو الموضع الذي لا يجري لاحد سواء تعالى
فيه حكم وقيل الى عرشه وقرأ الكسائي يعرج بالياء التهنية (في يوم) من أيامكم (كان مقداره
خمسین ألف سنة) من سني الدنيا أي يقطعون في يوم ما يقطعها الانسان في خمسین ألف سنة لو فرض ذلك
وقال وهب ما بين أسفل العالم الى أعلا شرفات العرش مسيرة خمسین ألف سنة ومن أعلى السماء الدنيا
الى الارض مسيرة ألف سنة لان عرض كل سما مسيرة خمس مائة سنة وما بين أسفل السماء الى قرار الارض
خمس مائة أخرى وقال محمد بن اسحق لو سار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسین ألف سنة وقوله
تعالى في يوم متعلق بتعرج كما عليه الاكثرون وقال مقاتل هو متعلق بواقع وقيل متعلق بسال بغير همزة
وهو الذي من السيلان وعلى هذا فالمراد بذلك اليوم يوم القيامة والمراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين
الناس خمسین ألف سنة من سني الدنيا ثم يستقر أهل النار في دركات النيران قال بعضهم وهذه المدة واقعة
في الآخرة لكن على سبيل التقدير والمعنى لو اشتغل بتلك الحكومة والمحاسبة أعقل الخلق وأذكاهم لبقى
فيه خمسین ألف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحساب في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا (فأصبر
صبرا جميلا) أي فأصبر صبرا بلا جزع على استهزاء النضر وأمثاله بك وعلى تكذيب الوحي وعلى تعنت
كفار مكة في السؤال عليك فهذا مضرب بقوله تعالى سأل ومن قرأ سأل بالالف محضنة فعناه جاء العذاب
لقرب وقوعه فأصبر فقد جاء وقت الانتقام (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أي ان الكفار يستبعدون اليوم
الذي كان مقداره خمسین ألف سنة من الامكان على جهة الاحالة ونعلمه قريبا من الامكان هينا في قدرتنا
غير متعذر علينا ويقال ان كفار مكة يعتقدون العذاب غير واقع يوم القيامة ونعلمه واقعا لا بد من وقوعه
وهذا تعليل الامر بالصبر (يوم تكون السماء كالمهل) أي تصير السماء كدردى الزيت وهذا الظرف
متعلق بليس له دافع أو بما في معناه كيقع أي يقع العذاب يوم تكون الخ أو متعلق بقريبا اذا كان الضمير
في نراه للعذاب (وتكون الجبال كالعهن) أي تصير الجبال كالصوف المصبوغ ألوانا وانما وقع التشبيه
به لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود فاذا بست وطيرت في الجواشبت العهن
المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) أي لا يسأل قريب قريب عن أحواله كيف حاله

ولا يكلمه لان لكل أحد ما يشغله عن هذا الكلام أو لا يسأل قريب قريباً شفاعته واحساناً اليه لعله أن ذلك مفقود وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ولا يستل بضم الياء أى لا يسأل حليم عن حليمه ليتعرف شأنه من جهته فلا يقال لحميم أين حميمك (ييمرونهم) أى يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه وقرى يبصرونهم أى يرونهم ولا يعرفونهم اشتغالا بانفسهم (بودا المجرم لو يقتدى من عذاب يومئذ يبنيه وصاحبه وأخيه وقصيلة التي تؤويه ومن في الارض جميعاً) أى يتقنى المشرك أن يفدى نفسه من عذاب يوم القيامة بأولاده وزوجته وأخيه وأقاربه الاقربين الذين فصل عنهم وينتهي اليهم التي تفهم في النسب وتحمية في النوائب ومن في الارض جميعاً من الخلائق وقرأ نافع والكسائي يومئذ يفتح الميم على البناء لأضافة يوم إلى مبنى والباقون بكسرها على الاعراب على الاصل في الاسماء وقرى من عذاب يومئذ يتنوين عذاب ونصب يومئذ بعذاب لانه في معنى تعذيب (ثم ينجيهم) معطوف على يقتدى أى يتقنى الكافر أن يفدى نفسه بهذه الاشياء ثم أن ينجيهم ذلك الاقتداء (كل) هذا هنا ما يعنى حقاً حينئذ كان الوقف على ينجيهم وهو وقى تام واما يعنى لا حينئذ كان الوقف على كلا وهو وقف تام وهذا أولى ولا يجمع بينهما في الوقف بل الوقف في أحد هما فقط أى لا ينفعه ذلك الاقتداء ولا ينجيهم من العذاب (انها لظي نزاعة للشوى) وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص أو على حال مؤكدة والكناية عائدة على النار لدلالة لفظ العذاب عليها وقرأ الباقون بالرفع فتجعل الكناية حرف عماد وظي اسم ان وزاعة خبرها كأنه قيل ان لظي نزاعة أو تجعل ضمير الفصحة وهو اسم ان وظي مبتدأ وزاعة خبرها والجملة خبر عن ان والتقدير ان الفصحة لظي نزاعة للشوى أى قلاعة للاعضاء التي في أطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا أبداً فلا تترك لحما ولا جلداً إلا حرقته (تدعون من أدبر) عن الطاعة (وتولى) عن الايمان (وجمع فأوحى) أى جمع المال فجعله في وعاء ولم يؤد حقوقه أى ان النار تدعوهم بلسان الحال أو ان الله تعالى يخلق الكلام في جرم النار حتى تقول صريحاً الى يا كافر الى يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الحب فقوله تعالى أدبر وتولى إشارة الى الاعراض عن معرفة الله تعالى وطاعته وقوله وجمع إشارة الى الحرص وقوله فأوحى إشارة الى طول الامل وهذه مجامع آفات الدين (ان الانسان خلق هلوعاً) أى جبل جبلة هو فيها قلة الصبر وشدة الحرص (اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً) أى اذا أصابه الفقر والمرض ونحوهما صار جازعاً شاكياً واذا أصابه السعة والصحة صار مانعاً المعروف شحيحاً مانعاً غير ملتفت الى الناس وانما ذم الله الانسان على ذلك لانه قاصر النظر على الاحوال الجسمانية المعاجلة فالواجب عليه أن يكون مشغولاً باحوال الآخرة فاذا وقع في مرض أو فقر كان راضياً به لعله انه فعل الله تعالى واذا وجد المال والصحة صرفهما الى طلب السعادات الآخروية (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) بان لا يتركوهما في وقت من الاوقات ولا يشغلهم عنها شاغل (والذين في أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقرباً الى الله تعالى واشغافاً على الناس (للسائل) أى الذى يسأل (والمحروم) أى الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنياً فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعاً في المثوبة الآخروية فيستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استعظاماً لجنابه تعالى واستقصاراً لاهمالهم الحسنة (ان عذاب ربهم غير مأمون) فلا ينبغي لاحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة (والذين هم لغر وجهم حافظون الاعلى

أزواجهم) أى الاربع (أو ما ملكت أيمانهم) من الولا ثم بغير عدد (فانهم غير ملومين) بالاستمتاع
 بهن (فمن ابتغى وراء ذلك) أى فمن طلب لنفسه وراء ما ذكر من الأزواج والمملوكات (فأولئك هم
 العادون) أى المجاوزون للحدود فدخل في هذا حرمة وطه الذكور والبهايم والزنا (والذين هم لاماناتهم)
 أى لما اتتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) فيما بينهم وبين ربهم أو فيما بينهم وبين الناس
 (راعون) أى حافظون بالوفاء وقرأ ابن كثير لامانهم بالافراد (والذين هم بشهاداتهم قانئون) وقرأ
 حفص بآلف بعد الدال على الجمع والباقون على التوحيد أى يقومون بالشهادات بالحق عند الحكم
 ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الامانات الا انه تعالى خصها من بينها اظهار الفضل لان في
 اقامتها احياء الحقوق وفي تركها تضيعها وروى عطاء عن ابن عباس قال والمراد الشهادة بان الله واحد
 لا شريك له (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى يهتمون بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه
 (أولئك) أى الموصوفون بتلك الصفات الثمانية (في جنات مكرمون) بالثواب والتخف (فقال الذين
 كفروا قبلك مهطعين) أى أى شئ ثبت لكفار مكة مسرعين جهة لك ما دى أعناقهم اليك مقبلين
 بأبصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى مجتمعين فهذه الاربعة أحوال من الموصول روى
 أن المشركين كانوا يجتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقة حلقة وقرأ قافراً يستهزؤن
 بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنا قبلهم فنزلت هذه الآية (أيطمع كل امرئ
 منهم أن يدخل جنه نعيم) كما يدخلها المسلمون (كلا) أى لا يكون ما طمعوا فيه أصلاً لان ذلك ممن فارغ
 (انا خلقناهم عمايعون) وهو النطفة المذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لنسدخلن الجنة
 قبلهم فكيف يليق دخولهم الجنة لو لم يتصفوا بالايمان والمعرفة (فلا أقسم) أى اذا كان الامر كما ذكر
 من انا خلقناهم عمايعون فأقسم (رب المشارق) أى مشارق الشتاء والصيف (والمغرب) أى
 مغرب الشتاء والصيف فمشرق الشتاء ومغرب الصيف مائة وعشرون منزلاً وكذلك للغربين (اننا قادرون على
 أن نبذل خيرا منهم) أى بطريق الاهلاك ولم يحصل ذلك وانما هداه الله تعالى القوم بهذا لكي يؤمنوا
 (وما نحن بمسبوقين) أى بعاجزين على أن نبذل خيراً منهم وليس تأخير عقابهم لهجز بل الحكمة داعية
 اليه (فذرهم) أى اتركهم فيما هم فيه من الباطيل (بخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم
 أو يهزؤا فى كفرهم (حتى يلاقوا يومهم الذين يعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية (يوم يخرجون
 من الاجداث) أى القبور بدل من يومهم بدل كل من كل وقرئ يخرجون على البناء للأفعول (سراعا)
 الى جهة صوت الداعي (كانهم الى نصب) وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وهى التى تنصب
 فتعبد من دون الله تعالى والباقون بفتح النون واسكان الصاد وهى راية وقرأ أبو عمران الجوفى ومجاهد
 بفتحيتين أى منصوب كالعلم وقرأ الحسن وقتادة بضمة فسكون وهو الصنم المنصوب للعبادة (يوفضون)
 أى يسرعون (خاشعة أبصارهم) فلا يرفعونها ولا يرون خيراً (ترهقهم ذلة) أى تغلبهم سواد
 الوجوه (ذلك) أى وقوع الاحوال الهائلة (اليوم الذى كانوا يعدون) فى الدنيا ان لهم فيه العذاب
 وهذا هو العذاب الذى سألو عنه

(سورة نوح عليه السلام مكية ثمان وعشرون آية ومائتان

وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم) انا أرسلنا نوحا الى قومه (وكانوا جميعا أهل الارض أهل عصره) (أن أنذر قومك) وان حرف مصدري والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة وقرأ ابن مسعود أنذر بغير ان على ارادة القول والتقدير انا أرسلناه وقلنا له أنذر (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة فلما جاءهم (قال يا قوم اني لكم نذير مبين) أي موضع الحقيقة الامر ببلغة تعلمونها (أن اعبدوا الله واتقوه) فالامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمنذوبات من أفعال القلوب وأفعال الجوارح والامر بالتقوى يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات (وأطيعون) فالامر بطاعة نوح يتناول أداء جميع المأمورات وترك جميع المنهيات (يغفر لكم من ذنوبكم) أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فالاسلام يجبه (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي الى أم يقدره الله تعالى لهم بشرط الايمان أي ان الله قضى على قوم نوح مثلال آمنوا عمرهم الله ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكتهم الله على رأس تسعمائة سنة (ان أجل الله) أي ان ما قدر الله لكم على تقدير بقاءكم على الكفر (اذا جاء) وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه (لو كنتم تعلمون) شيئا السار عتم الى ما أمرتكم به فلما آيس نوح منهم بعد ما دعاهم ألف سنة الاخسين ما فإلم يؤمنوا ولم يقبلوا نصيحته (قال) أي نوح (رب اني ادعوت قومي) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) أي دائما من غير فتور (فلم يزدتهم دعائي الا فرارا) مما دعوتهم اليه (واني كلما دعوتهم) الى الايمان والتوبة (لتغفلهم) بسببهما (جعلوا أصابعهم في آذانهم) أي سدوا مسامعهم لكي لا يسمعوادعوتي (واستغشوا ثيابهم) أي غطوا رؤسهم بثيابهم لكي لا يسمعوا صوتي ولا يروني (وأصروا) على الكفر والمعاصي (واستكبروا) عن الايمان والتوبة (استكبرا) عظيما بالغالى النهاية القصوى (ثم ان دعوتهم) الى التوحيد والتوبة (جهارا) أي بأعلى صوتي (ثم ان أعلنت لهم وأسرت لهم أسرارا) فزاد دعوة نوح عليه السلام ثلاثة فبدأ بالناصحة في السر فجازوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة وهي أشد من الاسرار ثم جمع بين الاعلان والاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد (فقلت) لهم (استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصي (انه كان غفارا) في حق كل من استغفره (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي مطردا غما (ويعددكم بأموال وبنين) أي يعطكم أموالا ابلا وبقرًا وغنما وبنين ذكورا واناثا (ويجعل لكم جنات) أي بساتين (ويجعل لكم أنهارا) تجري لمنافعكم قيل لما كذبوا نوحا عليه السلام حبس الله عنهم المطر أربعين سنة وقطع نسل دوابهم ونسألتهم أربعين سنة وأهلك جناتهم وأيبس أنهارهم قبل ذلك بأربعين سنة فوعدهم نوح انهم ان آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الحصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه (مالكم لا ترجون الله وقارا) أي أي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايان به والطاعة له (وقد خلقكم أطوارا) أي والحال ان الله خلقكم على حالات شتى نطفائهم علقا ثم مضغائهم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر وهو القاء الروح فيه ويقال والحال انه تعالى خلقكم أصنافا مختلفين يخالف بعضكم بعضا (الم تروا) أي الم تخبروا يا كفار مكة (كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي متوازية بعضها فوق بعض مثل القبة ملتفة أطرافها (وجعل القمر فيهن نورا) أي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته للكل مع أنه في السماء الدنيا لان كل واحدة من سبع سموات شافقة لا يحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة (وجعل الشمس سراجا) يزيل الظلمة ويبصر أهل الدنيا في

ضوءها وجه الارض كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره (والله أنبتكم من الارض نباتا) أى أنبتكم من الارض فنبت نباتا عجيبا والمعنى والله أنشأكم منها فنشأت من نشأة عجيبه فانه تعالى اغيا مخلقتنا من النطف وهي متولدة من الاغذية المتولدة من النباتات المتولدة من الارض (ثم يعيدكم فيها) بالدفن عندهم وتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لا ريب فيه (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم (لتسلكوا منها سبلا فحاجا) أى لتأخذوا فيها طرقا واسعة (قال نوح) مناجيا له تعالى (رب انهم عصوني) فيما أمرتهم به من التوحيد والتوبة (واتبعوا من لم يرده الله وولده الا خسارا) وهم رؤسائهم الذين يدعونهم الى الكفر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ولده بفتح الواو واللام والباءقون بضم الواو واسكان اللام (ومكروا مكرا كبارا) معطوف على صلة من أى واتبعوا من مكروا الخ أى كان الرؤساء قالوا لا تباعهم ان آلهتكم خير من اله نوح لان آلهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيئا لانه فقير في هذا المذكر صرفوهم عن طاعة نوح أو قالوا لا تباعهم هذه الاصنام آلهة لكم وكانت آلهة لا بآبائكم فلو قبلتم قول نوح لا عترفتم على أنفسكم بأنكم كنتم جاهلين ضالين وعلى آبائكم بأنهم كانوا كذلك وهذه الاشارة صارفة لهم عن الدين وقرأ العامة كآرا بضم الكاف وتشديد الباء وقرأ عيسى وأبو السمال وابن محيصن بالضم والتخفيف وقرأ زيد بن علي وابن محيصن أيضا بكسر الكاف وتخفيف الباء (وقالوا) أى الرؤساء للسفلة معطوف على الصلة أيضا أى واتبعوا من قالوا (لا تذرنا آلهتكم) أى لا تتركوا عبادتهم الى عبادة رب نوح (ولا تذرنا ودانا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أى ولا تترك عبادة هؤلاء وقرأ نافع ود بضم الواو والباءقون بفتح الواو وقرأ العامة يغوث ويعوق بغير تنوين للعلمية والوزن أو للعلمية والحجمة وقرأهما بالاحش مصروفين للتناسب أو على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا راعى هذه الامماء الخمسة أسماء أولاد آدم فلما ما نوا قال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم حتى بعث الله نوحا عليه السلام ولهذا السبب نهى الرسول عن زيارة القبور أولا ثم اذن فيها وقال كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فان في زيارتها تذكرة (وقد أضلوا كثيرا) معطوف على صلة من أى واتبعوا من قد أضلوا خلقا كثيرا وهم الرؤساء أو الاصنام أجرى مجرى الآدميين كموله تعالى ألهم أرجل (ولا تزد الظالمين) أى المشركين (الاصلا لا) أى عذابا أو ضلالا في أمر دينهم وهذا معطوف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائية عنه قالوا وليس من كلام نوح لثلاث عطف الانشاء على الاخبار لكن الظاهر ان المراد بالاخبار طلب للنصرة عليهم فيجوز أن يكون الواو من كلام نوح أى قال نوح رب انهم عصوني وقد عجزت وأيست عنهم فانصرني عليهم وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا (عما خطيأتم أغرقوا) وما صلة ومن تعليلية أى من أجل خطيأتم وبسببها أغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر وقرأ أبو عمر وخطاياهم وقرأ ابن مسعود من خطيأتم ما أغرقوا فأكبر كلمة ما فعلى هذه القراءة فسامع ما بعده في تقدير المصدر وقرى خطيأتم بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرى خطيأتم بالتوحيد على ارادة الجنس أو ارادة الكفر فقط والخطيأت والخطايا كلاهما جمع خطيئة الآن الاول جمع سلامة والثاني جمع تكسير (فأدخلوا ناراً) في القبر فان عذاب القبر عقب الاغراق وان كانوا في الماء لان الغاء يدل على ان ادغالهم في النار حصل عقب الاغراق فلا يمكن حمل النار على عذاب جهنم في الآخرة قال الضحاك انهم كانوا في حالة

واحدة يغرقون من جانب ويحرقون في الماء من جانب بقدره الله تعالى (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) وهذا تعريض بأنهم اغتوا وظبوا على عبادة الاصنام لتكون دافعة للآفات عنهم جالبة للنافع اليهم فلما جاءهم عذاب الله لم ينتفعوا بتلك الاصنام وما قدرت هي على دفع عذاب الله تعالى عنهم (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أى أحدا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) عن دينك من آمن بك ومن أراد أن يؤمن بك (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) أى الامن سيفجر ويكفر (رب اغفر لى ولوالدى) أى ابوى لك وشعطاء أنت أنوش فأنهما كأنهما مؤمنين وأخرج ابن أبي حاتم أن المراد والده وجدته فاسم أبيه ملك رأسه جده متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المضمومة بعدها واوسا كنهة وفتح الشين المعجمة واللام بعدها خاء معجمة وقرأ الحسن بن على رضى الله عنهما ويحيى بن يعمر والنخعي ولولدى أى ابنى ساما وحاما وقرأ ابن جبير والمجدي ولوالدى بكسر الدال أى أبى فيحتمل أن يريد عليه السلام أباه الاقرب الذى ولده وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده وكان بينه وبين آدم عشرة آباء ولم يكن منهم كافر كما قاله عطاء (ولن دخل بيتي) أى منزلى أو مسجدى أو سفينتى وقيل ولمن دخل فى ديني دخولا مع تصديق القلب (مؤمننا) خرجت بهذا القيد امرأته وابنه كنعان (وللؤمنين والمؤمنات) الذين يكونون من بعدى الى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين) أى الكافرين (الانبارا) أى الاهلا كما فاستجاب الله دعاءه عليه السلام فاهلكهم بالكلية

﴿سورة الجن وتسهي سورة قل أوحى مكية وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم قل) يا أشرف الخلق (أوحى الى) وقرأ أبو عمرو وفي رواية يونس وهرون وحى بضم الواو بغير ألف وقرئ أوحى بالهمزة من غير واوى أنزل الى جبريل فاخبرني (أنه استمع نغرا) من الجن) أى ان الشأن استمع القرآن تسعة نفر من جن نصيبين باليمن (فقالوا) بعدما آمنوا ورجعوا الى قومهم ياقومنا (ان ههنا قرآنا) أى كتابا مقروا (عجبا) أى خارجا عن عادة أمثاله من الكتب الالهية مبينا الكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى (يهدى الى الرشدا) أى الى الصواب وهو لا اله الا الله (فآمننا به) أى بذلك القرآن أو بالرشد الذى فى القرآن وهو التوحيد (ولن نشرك بربنا أحدا) أى ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشرار به وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (وأنه تعالى جدر بنا) أى وان الحديث ارتفع عظمة ربنا أى عظم سلطانه أو ارتفع غذاء أى وصفه بالاستغناء عن الزوجة والولد أو تعالى حقيقته عن جميع جهات التعلق بالغير وقرئ جدر بما يكسر الجيم أى تعالى صدق ربو بيته عن اتخاذ صاحبة والولد وقرئ جدار بنا بنصب جدار على التمييز (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها وبعضهم جعل ما مصدرية متعلقة بتعالى لجهة تمثلا تكون لازمة أى تعالى صفة ربنا من اتخاذ زوجة وولد كما نسب الكفار (وأنه) أى الحديث (كان يقول سفيهننا) أى جاهل منا وهو ابليس (على الله شططا) أى قولنا بحجوا زالحمد بعيدا عن الصدق وهو وصفه تعالى بانبات الشريك والصاحبة والولد (وأناظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا) أى كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى أحدا بدلا لذلك أتبعنا قوله وهذا اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيهننا ابليس (وأنه) أى الحديث (كان رجال من الانس) فى الجاهلية (يعوذون) أى يلتمحون

(رجال من الجن فزادوهم رهقا) أى ظلموا وذلك أنهم إذا سافروا وسفروا أو اصطادوا وصيدوا أو تزواوا واديا
خافوا من الجن لانهما تبعث بهم في بعض الأحيان فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاة قومه
فيأمنون بذلك ولا يرون الاخير فترى الجن الانس اضلالهم حتى استعاضوا بهم (وأنهم) أى الانس
(ظنوا كما ظننتم) أيها الجن (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت وأنه لن يبعث الله أحدا للرسالة
على ما هو مذهب البراهمة (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) وأنا قبل ان آمننا
طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها فصادفناها قد ملئت من جهة الحراس الاقوياء وهم الملائكة
الذين يمنعون من الاستماع ومن شعل منقضة من نار الكواكب (وأنا كنا) قبل مبعث محمد (نعد
منها) أى السماء (مقاعد) خالية من الحرس (للسمع) أى لأجل الاستماع (فنسمع الآن) أى
بعد مبعث محمد في مقعد من المقاعد (بجدله) أى لاجله (شهابا رصدا) أى شهابا قد اصدله ليرجم به
(وأنا لا ندري) أى لا ندري فى الارض أم أراد بهم ربهم (رشدنا) أى وأنا لا نعلم أى شرا يريد من فى الارض حين
منعنا عن الاستماع أم أراد بهم ربهم أم أراد بهم ربهم (خيرا) أى ولما سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم علموا
أنهم منعوا من صعود السماء حراسة للوحي (وأنا من الصالحون) أى المتقون (ومن نادون ذلك)
أى مناقوم غير صالحين (كما طرائق قددا) أى كنا قبل هذا ذوى مذاهب مختلفة قال السدى
الجن أمثالكم فيهم مرجحة وقدرية وروافض وخارج (وأنا ظننا ان لن نجوز الله فى الارض)
أى وأنا علمنا الآن ان الشأن لن نجوز الله أى ~~ما~~ كنا من أقطار الارض (ولن نجوز ههنا) أى
ههنا بين من الارض الى السماء فليس لنا مهرب الا فى قبضته (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن من
النبي صلى الله عليه وسلم (آمننا به) أى بالقرآن (فن يؤمن بربه فلا يخاف بخس أو لا رهقا)
أى فن يؤمن بربه فهو لا يخاف نقصا فى جزاء حسناته ولا ظمما بزيادة جزاء سيئاته وهذا دليل على ان من
حق من آمن بالله تعالى ان يجنب المنظام وقرأ الامش فلا يخف (وأنا من المسلمون ومن القاسطون) أى
وأنا بعد سماع القرآن مختلفون فثنا المخلصون فى صفة الاسلام ومننا المائلون عن طريق الحق (فن
أسلم) أى أخلص بالتوحيد (فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق صواب (وأما القاسطون)
أى المائلون عن سنن الاسلام (فكانوا للجهنم حطبا) والجن وان خلقوا من النار وقد نار جهنم ربهم كما
توقد بكفرة الانس فان النار القوية تأكل النار الضعيفة وقيل ههنا آخر كلام الجن (وأن لو استقاموا)
وان محففة من الثقليلة والجنه معطوفة على انه استمع والمعنى وأوحى الى ان الحديث لو استقام الجن والانس
(على الطريقة) أى على ملة الاسلام (سقيناهم ماء غرقا) أى لو سقينا عليهم الرزق وقرأ الامش
بضم واو وتشبيهها بواو الضمير (لنفقنهم فيه) أى فى ذلك الماء الذى هو كناية عن العيش الواسع فان من
آمن بالله فأنعم الله عليه كان ذلك الانعام اختبارا حتى يظهر انه هل يشغل بالشكر أم لا وهل ينفع تلك
النعم فى طلب مرضى الله أو فى مرضى الشيطان (ومن يعرض عن ذكر ربه) أى عن طاعته وعن كتاب
ربه القرآن (يسلكه عذابا بعدا) أى ندحله فى عذاب شديد. وقرأ ااصم وحزم والكسائى بالياء التحتية
لأعادة الضمير على الله والباقون بالنون روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان سعدا جبل فى جهنم
وهو صخرة ملساء أو نحاس فيكاف الكافر صعدا ثم يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بجماع
حتى يبلغ أعلاها فى أربعين سنة فإذا بلغ أعلاها جذب الى أسفلها ثم يكاف الصعود مرة أخرى فهذا دأبه
بدا (وأن المساجد لله) أى وأوحى الى أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) أى فلا تعبدوا مع الله أحدا

غيره والمراد بالمساجد البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة فيدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين
وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس فأمر الله المسلمين بالتوحيد والاختصاص
(وأنه) أي وأوحى إلى أن الحديث (لما قام عيسى عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له) أي لما قام النبي
يعبد الله للصلاة الفجر بيطن فخل كاد الجن يزدحمون عليه متراكمين تعجباهما رأوا من عبادة ومن اقتداء
أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وأعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا ومسمعا ما لم يسمعا
مثله وقرأ نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستثناف بناء على أن هذا من كلام الجن لا من جملة الموحى
والمعنى وأنه لما قام النبي يعبد الله وحده مخالفا للشركين في عبادتهم الأوثان كاد المشركون يزدحمون عليه
متراكمين ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطغشوا نور الله فأبى الله إلا أن ينصره على من عاداه وقرأ هشام لبدا
بضم اللام والباقون بكسرها واعلم أن أن المشددة في هذه السورة ستة عشر ثمان منها يجب فيها الفتح أنه
استمع وأن المساجد لله وواحدة يجب فيها الكسر أنا سمعنا وثلاثة عشر يجوز فيها الوجهان فالأثنتا عشرة
فتحتها الأخوان وابن عامر وحفص وكسرها الباقيون وهي وأنه تعالى جدر بنا وأنه كان يقول وأنا ظننا وأنه
كان رجال وأنهم ظنوا وأنا سمعنا السهاء وأنا كنا وأنا لا ندري وأنا من الصالحين وأنا ظننا وأنا أنا سمعنا وأنا
مننا المسلمون والواحدة كسرها ابن عامر وأبو بكر وفتحها الباقيون وهي وأنه لما قام عيسى عليه السلام (قل إنما
أدعوني) أي أعبدوه وادعوا الخلق إليه (ولا أشرك به أحدا) أي ولا أشرك بربي في العبادة أحدا
قرأ العامة قال على الغيبة وقرأ عاصم وحزمة قل ليكون نظير المابعد وسبب نزول هذه الآية أن كفار قريش
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك جئت بأمر عظيم وقد عادت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجبرك
فنزلت وهذا صيغة لعاصم وحزمة من قرأ قال حمل ذلك على أن القوم لما قالوا ذلك أجابهم النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله إنما أدعوا ربي فحكى الله ذلك عنه بقوله قال أو يكون ذلك من بقية حكاية الجن أحوال الرسول
لقومهم (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الذين خالفوك (إني لأملك لكم ضرا ولا رشدا) أي إني
لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا وكفرا ولا أسوق إليكم نفعاً ولا هدى وقيل الضر الموت والرشد الحياة ومعنى
الكلام أن النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله وإن أحدا من الخلق لا قدرة له عليه وقرأ أبو غياث ولا
رشدا (قل إني لن يجيرني من الله أحد) إن عصيته (ولن أجسد من دونه ملتحدا) أي ملجأ وموضع
الاختفاء إن أرادني بضر (الابلاغ من الله ورسالاته) وهذا استثناء من قوله لا أملك قوله ورسالاته
عطف على بلاغا ومن الله صفة لا صلة أي لا أملك لكم إلا تبليغا كأنما منه تعالى ورسالاته التي أرسلني
بها (ومن يعص الله ورسوله) في الأمر بالتوحيد (فإن له نارجهم) العامة على كسر همزة إن لأن
ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيمويه ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فامتعه ومن يؤمن بربه
فلا يخاف على أن المبتدأ فيها مضمهر وقرأ طه بفتحها على أنها مع ما في حيزها في تأويل مصدر واقع خيرا
لمبتدأ مضمهر تقديره جزاؤه إن له نارجهم أو فلكه إن له نارجهم كقوله تعالى فإن الله يفسد أي فلكه إن
له خمسة (خالدين فيها أبدا) بلانهاية (حتى إذا رآوا ما وعدون) من فنون العذاب في الآخرة
(فسيعلمون) حينئذ (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أي أعوانا فهناك يظهران القوة والعدد في جانب
المؤمنين أو في جانب الكفار (قل إن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا) أي أجلا بعيدا لما
سمع المشركون ذلك قال النصر بن الحرث إنكارا له واستهزاء به متى يكون ذلك الموعود فأنزل الله تعالى هذه
الآية قل لمن تعجلوا بالعذاب ما أدري فإن وقوعه متيقن أما وقت وقوعه فغير معلوم (عالم الغيب) خبر

مبتدأ محذوف أى هو عالم ينزل العذاب وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السدى علم الغيب بصيغة
 الماضى ونصب الغيب (فلا يظهر على غيبه أحدا) أى فلا يطلع الله على عيبه اطلاعا كاملا ينكشف
 به جليلة الحال أنكشافا تاما موجب العين اليقين أحدا من خلقه (الامن ارتضى من رسول) أى الارسولا
 ارتضاء لاطلاعه على بعض غيوبه المتعلقة برسالته وقرأ الحسن يظهر بفتح الياء والهاء وأحد فاعل به
 (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أى فان الله تعالى يجعل من جميع جوارب ذلك الرسول عند
 اطلاعه على غيبه حرسا من الملائكة يحفظونه من الجن لئلا يستمعوا قراءة جبريل فيلقوها الى الكهنة قبل
 الرسول حتى يبلغ جبريل ما أطلع الله عليه من بعض الغيوب وقال مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا
 أتاه بليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رشدا من الملائكة يحرسونه ويطردون
 الشياطين عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بأنه شيطان فيحذره فاذا جاءه ملك قالوا له هذا
 رسول ربك (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) واللام متعلق بيسلك وخبر أبلغوا اما للرصد فالمعنى
 انه تعالى يسلكهم من جميع جوارب المرتضى ليعلم الله ان الشان قد أبلغ الرصد رسالات ربهم رسالة عن
 الاختطاف والتخليط علما حاصل بالافعل واما ان ارتضى فالمعنى ليعلم انه قد أبلغ الرصد الرسل الموحى اليهم
 رسالات ربهم الى أمهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما أبلغها الرصد اليهم كذلك (وأحاط بما
 لديهم) حال من فاعل يسلك أى يسلكهم ليعلمهم على السلك علمه تعالى بما ذكره الحال انه تعالى قد
 أحاط بما عند الرصد أو عند الرسل من الاحوال جميعا (وأحصى كل شئ) عما كان وما سية يكون
 (عددا) أى فردا فردا وهو تعيين من قول من المفعول به وقرئ ليعلم بالبناء للمفعول

* (سورة المزمل مكية وهى عشرون آية ومائتان وخمس
 وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المزمل) خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان عليه من الحالة
 حيث كان صلى الله عليه وسلم متلفعا بطبيعة مستعد للنوم كما يفعله من لا يهجمه أمر فأمر بأن يترك
 انتمزلا الى التشمير للعبادة والهجود الى التمسجد وقرئ يا أيها المزمل (قم الليل) أى قم الى الصلاة الليل
 (الا قليلا نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا) أى أو انقص القيام من النصف نقصا قليلا الى نصف
 النصف (أو زد عليه) أى أو زد القيام على النصف الى الثلثين (ورتل القرآن ترتيلا) أى بين
 القرآن فى أثناء القيام تبيننا بأن يبين جميع الحروف ويوفى حقها (اناس نلقى علينا قولا ثقيلا) أى
 سنوحى اليك قرآنا منطويا على تكاليف شاقة على المكلفين (ان ناشئة الليل هى أشد وطأ) بفتح
 الواو وسكون الطاء عند الجهور وقرأ قتادة وشبيل بكسر الواو وسكون الطاء والمعنى ان قيام الليل
 بالصلاة هى أشد نشاطا وثبات قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء أى موافقة
 للخشوع والاخلاص (واقوم قيسلا) أى أصوب قراءة وأحسن لفظا من النهار لسكون الاصوات (ان
 لك) ياسيد الرسل (فى النهار سجاطويا) أى تقلب اطويا فى مهماتك فلا تتفرغ لخدمة الله الا بالليل
 وقرئ مسجنا بالحاء المنقطعة من فوق أى تفرق قلب بالشواغل ويقال المعنى ان فانك من الليل شئ فلك فى
 النهار فراغ فأصرفه اليه (واذكراهم ربك) أى دم على ذكراهم ربك ليل نهارا على أى
 وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد ودعاء وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وقال سهل أى قل

بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءة تلك توصلك ببركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه اه أي
سواء قرأت في الصلاة أو في خارجها وهذا اذا قرأت من أول سورة وأما اذا قرأت من اثنا عشر سورة فانه ان كان
في غير الصلاة سبب له ان يبطل وان كان فيها لم تسن له البسطة لان قراءة السورة بعد الفاتحة تعد قراءة
واحدة (وتبطل اليه بتبتيلا) أي انقطع الى الله تعالى عن الدنيا باخلاص العبادة (رب المشرق والمغرب) قرأ
ابن عامر وحمة والكسائي بالجر على البدل من ربك أو على القسم باضمار حرف القسم عند ابن عباس
لكن قراءته رب المشرق والمغرب والباقون بالرفع على المدح وهو خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو أو
على الابتداء وخبره جملة (لا اله الا هو فاتخذوه وكيفا) فالإنسان في مبدأ السير يكون طالبا للحصنة
فيكون تبطله الى الله تعالى بسبب كونه مبدأ للتكميل ثم في آخر السير يترقى عن طلب الحصنة فيكون تبطله
في هذه الحالة بسبب كونه كاملا فقول رب المشرق والمغرب إشارة الى الحالة الاولى التي هي أول درجات
المتبتلين وقوله لا اله الا هو إشارة الى الحالة الثانية التي هي منتهى درجات المتبتلين وقوله فاتخذوه وكيفا
إشارة الى مقام التفويض وهو ان يرفع الاختيار ويفوض الامر بالسكينة اليه تعالى فان اراد الله أن يجعله
متبتيلا رضى بالتبطل وان اراد له عدم التبطل رضى به لا من حيث ذلك بل من حيث ذلك مراد الله تعالى
وهي هنا آخر الدرجات (واصبر على ما يقولون) مما لا خيرة فيه فن اراد الخاطئة مع الخلق فلا بد له من الصبر
الكثير (واهجروهم هجرا جميلا) بأن يجانبهم بقلبه ويخالفهم في الافعال مع المداراة وترك المكافاة
وهذا هو الاخذ باذن الله فيما يكون ادعى الى القبول فلا يأتي النسخ بمثله (ذرني والمكذبين أولى النعمة)
أي اتركني وأرأب التمتع وكل أمرهم الى وهم صناديد قريش وهذا يفتح النون فهو بمعنى الترفه أما
بكسر هاء فهي بمعنى الانعام وأما بضم هاء فهي بمعنى المسرة (رمهلهم قليلا) أي زمانا قليلا أيام الحياة
الدنيا فقتلوا بيدر (ان لدينا أنسكالا) أي ان لهم عندنا في الآخرة أمورا مضادة لتنعيمهم قيودا تقيد بها
أرجلهم وأغلالا تغل بها إيمانهم الى أعناقهم وسلاسل توضع في أعناقهم (وجحима) أي نار عظيمة
يدخلونها (وطعاما ذا غصة) أي تمسك في الخلق وهو الذقوم والضريع (وعذابا أليما) وهو أنواع
العذاب (يوم ترجف الأرض والجبال) متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الدنيا أي استقرارهم عندنا
ما ذكر يوم تتزلزل الأرض وأوتادها وقرأ زيد بن علي ترجف مبنيًا للمفعول (وكانت الجبال كتيبا مهيلا)
أي وصارت الجبال ترابا متناثرا بعضه على بعضه لخاوته وسهي الكتيب كشي بالان ترابه دقاق (انا
أرسلنا اليكم) يا أهل مكة (رسولا) محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أي يشهد يوم
القيامة بما صدر عنكم من الكفر والتكذيب (كما أرسلنا الى فرعون) ملك مصر (رسولا) وهو
موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) الذي أرسلناه اليه (فأخذناه أخذوا بيلا) أي
فعاقبناه عقوبة شديدة وهي الغرق (فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) أي فكيف
تقون أنفسكم ان بقيتم على الكفر في الدنيا عذاب يوم يصير ذلك اليوم الولدان شيبا إذا هموا حيث يقول
الله لا آدم يا آدم ابعد بعثنا من ذريتك الى النار قال آدم يارب من كم قال الله تعالى من كل ألى تسعمائة
وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة وقرأ زيد بن علي يوم يجعل باضافة الظرف للجملة والفاعل ضمير
راجع الى الله تعالى أي فكيف لكم يا أهل مكة بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا (السماة
منفطر به) أي منشق بذلك اليوم لشدة هوله وهذه الجملة صفة ثانية ليوم ما قرئ متفطر أي متشقق
(كان وعده مفعولا) والمصدر اماماضى للمفعول أي كان وعد ذلك اليوم مفعولا أي كان الوعد المسند الى

ذلك اليوم واجب الوقوع لان حكمة الله تعالى وعلمه يقتضيان ايقاعه وامامضاف الى الفاعل أى كان وعد الله لحجى ذلك اليوم واقع لا محالة لانه تعالى منزعه عن الكذب (ان هذه) أى الآيات (تذكرة) أى وعظة مشتملة على أنواع الارشاد (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى فمن شاء النجاة اشتغل بالطاعة واحترز عن المعصية فان ذلك هو المنهاج الموصل الى مرضاته تعالى (ان ربك) يا أشرف الخلق (يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) قرأهما ابن كثير وعاصم وحزمة والكسافى بنصبهما معطوفين على أدنى أى انك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث والباقيون يجزئهما معطوفين على ثلثي الليل أى تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من النصف والثلث (وطائفة من الذين معك) معطوف على ضمير تقوم أى ويقوم معك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) فلا يعلم مقادير أجزاء الليل والنهار الا الله تعالى (علم أن لن تحصوه) أى علم الله ان الحديث لن تقدره على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا فالضهير عائد الى مصدر الفعل أى علم انه لا يمكنكم احصاء مقدار كل واحد من أجزاء الليل والنهار على الحقيقة ولا يمكنكم تحصيل تلك المقادير على سبيل الظن الامع المشقة التامة (فتاب عليكم) أى فرجع الله بكم الى ترخيص ترك القيام المقدر (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل ولوركتين والعجيج ان أول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء الى التوحيد التمسجد على التخيير المذكور أول السورة ففسر عليهم القيام به فنسخ عما تيسر من التمسجد ثم نسخ بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس (علم أن سيكون منكم مرضى) أى علم الله انه سيوجد منكم مرضى لا يستطيعون الصلاة بالليل (وآخرون يضربون في الارض ينتفون من فضل الله) أى وسيوجد آخرون يسافرون في الارض يطلبون رزق الله يشق عليهم صلاة الليل (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) أى وسيوجد آخرون يجاهدون في طاعة الله فلم يناموا في الليل لتوالي أسباب المشقة عليهم - لانهم مشغولون في النهار بالاعمال الشاقة (فاقرؤا ما تيسر منه) أى فصلوا ما تيسر لكم من التمسجد وهذا كيد لا أول فالأول مفرع على قوله تعالى علم ان لن تحصوه الخ وهذا مفرع على قوله علم ان سيكون الخ فكل واحد من المؤكد والمؤكد مفرع على حكمة (وأقيموا الصلاة) أى المفروضة (وأقوا الزكاة) أى اعطوا زكاة أموالكم (وأقروا الله قرضا حسنا) بأن تنفقوا سائر الانصافات في سبيل الخيرات عن طيب قلب (وما تعدموا لانفسكم من خير) أى خير كان من عبادات البدن والمال (تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجرا) من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت كما قاله ابن عباس وقرأ أبو السهمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) في كافة أحوالكم فان الانسمان لا يخلو من تغريط (ان الله عفور) لجميع الذنوب (رحيم) للؤمنين

*(سورة المدثر مكية ست وخمسون آية ومائتان وخمس

وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف)*

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر) أى يا من لبس اللثام وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد روى جابر بن عبد الله انه صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئا فنظرت فوقى فرأيت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض

خفت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا على ما بارد افترل جبريل عليه السلام فقال
 يا أيها المدثر وعن الزهري ان أول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم ثم انقطع الوحي لحزن رسول الله
 وجعل يعلو شواحق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني
 وصبوا على ما بارد افترل جبريل فقال يا أيها المدثر (قم فأنذر) أي قم من مضجعك فأنذر قومك من
 عذاب الله ان لم يؤمنوا (وربك فكبر) أي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك فطهر) عن
 النجاسات ويقال وثيابك فقصر لان العرب كانوا يطولون ثيابهم ويمجرون أذيالهم فكانت ثيابهم
 تتنجس ولان تطويل الذيل اغما يفعله للخيلاء والتكبر فنهى الرسول عن ذلك وقال أكثر المفسرين أي
 وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقال الحسن وخلقه لحسن (والجزء فاهجر) قرأ عاصم في رواية
 حفص بضم الراء في هذه السورة وقرأ الباقر وعاصم في رواية أبي بكر بالكسرة قال أبو العباس الرجز
 بضم الراء الصم وبالكسرة النخاسة والمعصية وقال ابن عباس أي المأثم فارك ولا تقرب منه أي دم على
 تركه (ولا تمنن تستكثر) مرفوع منصوب المحل على الحال أي ولا تعط طائلا لكثير (وربك
 فاصبر) روى ان الكفار لما اجتمعوا وبخشوا عن حال محمد صلى الله عليه وسلم قام الوليد ودخل داره فقال
 القوم ان الوليد قد صبا قد دخل عليه أبو جهل وقال ان قريشا جعوا لك ما لا حتى لا تترك دين آبائك فهو
 لاجل ذلك المال بقي على كفره فقبل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الوليد بقي على دينه الباطل لاجل المال
 وأما أنت فاصبر على دينك الحق لاجل رضا الحق لا لشيء غيره وهذا الامر كله تعريض بالمشركين كانه قيل
 لرسول الله وربك فكبر الاوثان وثيابك فطهر ولا تكن كالمشركين فهم نجس البدن والثياب والرجز
 فاهجر ولا تقربه كما تقربه الكفار ولا تمنن تستكثر كما أراد الكفار ان يعطوا الوليد قدرا من المال وكانوا
 يستكثرون ذلك القليل أي كانوا راغبين لما يعطونه كثير اول ربك فاصبر على هذه الطامعات لا للاغراض
 العاجلة من المال والجاه (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير) أي فاذا انفخ في الصور نفخة
 البعث فوق النقر يوم اذنقر يوم عسير على الكل من المؤمنين والكافرين كما روى ان الانبياء يومئذ
 يفزعون وان الولدان يشيرون الا انه يكون هول الكفار فيه أشد وذلك قوله تعالى (على الكافرين عسير)
 وعلى المؤمنين يسير (ذرت ومن خلقت وحيدا) منصوب على الذم والتقدير أعني وحيدا أو
 حال من العائد المحذوف أي اتركني ومن خلقت منفردا أي بلا أب فهو زعيم أو منفرد في الشرارة وهو
 الوليد بن المغيرة المخزومي لانه كان يزعم انه وحيد وقومه لم يأسسته ويساره وتقدمه في الدنيا وكان يلقب
 بالوحيد وكان يقول أنا لو حيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابن نظير (وجعلت له مالا عديدا)
 أي مبسوطا قال ابن عباس هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والبقر والغنم والخجور والجنان
 والعبيد والجواري وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (وبنين) ثلاثة
 عشر كما قاله أبو مالك وسعيد بن جبيرة أسلم منهم ثلاثة خالده هو وسيف الله وسيف رسول الله وهشام وعماره
 (شهودا) أي حضورا معه بمكة لا يفارقونه البتة لانهم كانوا أغنياء (ومهدت له تمهيدا) أي وبسطت
 له الجاه والرياسة في قومه حتى لقب برحمة قريش ووحيدا (ثم يطمع أن يزيد) على ما أوتيته قيل انه
 كان يقول ان كان محمد صادقا لما خلقت الجنة الا لي (كلا) أي لا تكون له زيادة على ذلك أصلا فيردع
 من هذا الطمع فلم يزل الوليد بعد قوله تعالى كلا في نقصان ماله حتى افتقر ومات فقيرا (انه) أي
 الوليد بن المغيرة (كان لا ياتنا) الدالة على التوحيد والقدرة والعدل وصحة النبوة وصحة البعث

(عنيدا) أى راد او هو يعرفها بقلبه وينكرها بالسانه وكفرا المعاند الخش أنواع الكفر (سأرقه صعدوا) أى سأ كلفه مشقة من العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكاف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يموى فيه كذلك أبدا (انه فكر و قدر) أى ان العنيد فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقد ر في نفسه ما يقوله (فقتل كيف قدر) أى فلعن في دنياه على أى كيفية أو وقع تقديره (ثم قتل كيف قدر) أى ثم لعن فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة على أى حال كان تقديره وهذا تعجب من قوة خاطره (ثم نظر) في ذلك المقدر في القرآن مرة بعد مرة (ثم عيس) أى قطب وجهه لما لم يجد فيه م طعنا ولم يدرك ماذا يقول (وبسر) أى قبض جبينه (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) أى تعظم عن اتباعه (فقال ان هذا الاسحر يؤثر) أى ما هذا الذى يقوله محمد الاسحر ينقل عن أدل بابل (ان هذا الا قول البشر) أى ما هذا الذى أتى به محمد الا قول البشر جبر ويسار روى ان الوليد مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فلما وصل الى قوله تعالى فان أعرضوا قل أنتذر تكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أنشده الوليد بالله وبالرحم ان يسكت فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال لهم والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له الحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلم ولا يعلم على عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا الوليد ولوصب بالتصبيات قريش كلها فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه ثم دخل عليه مخزونا فقال مالك يا ابن أخى فقال انك قد صويت لتصيب من طعام محمد وأصحابه وهذه قريش تجمع لك ما لا اله الا الله كونه ذلك عوضا عما تقدر ان تأخذ من أصحاب محمد فقال والله ما يشبعون فكيف أقدر ان آخذ منهم ولا ولا كنى تفكرت في أمره كثير افلا أجد شيئا يليق به الا انه ساحر ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم ترتمون ان محمد المجنون فهل رأيتموه يخنق قالوا اللهم لا قال ترتمون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن فقالوا اللهم لا قال ترتمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قاط قالوا اللهم لا قال ترتمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا ثم قالوا فما هو فقه كرف قال ما هو الا ساحر أمارأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الاسحر يأتوه عن أهل بابل فارحج النادى فرحا وتفرقوا محجين بقوله متحجين منه فلما أقرأ الوليد بذلك في أول الامر علمنا أن الذى قاله في الآخر من أن القرآن سحر وقول البشر اغماز كره على سبيل العناد لا على سبيل الاعتقاد فان السحر يتعلق بالجن (سأصلية سقر) أى سأدخله في الطبقة السادسة من جهنم المسماة بسقر (وما أدراك ما سقر) أى أى شئ أعلمك ماهى في وصفها (لا تبقى ولا تذر) أى لا تبقى من الدم واللحم والعظم شيئا الا أكلته فاذا أعيدوا خلقا جديدا فلا تذر ان تعاود احراقهم بأشد عما كانت وهكذا أبادوا هذه رواية عطاء عن ابن عباس (لواحة للبشر) أى ظاهرة للبشر من مسيرة خمسة مائة عام وقرأ الحسن وان أبى عبلة وزيد بن على وعطية لواحة بالنصب على الاختصاص أو على الحال المؤكدة أى مغيرة للبشر (عليها) أى النار (تسعة عشر) ملكا وحكى الواحدى عن المفسرين ان خزنة النار تسعة عشر ملكا ومعها ثمانية عشر اعينهم كالبرق وأنبياءهم كالصياصى وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهم النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر فرغت منه الرحمة والرفقة يأخذ أحدهم سبعين ألفاى كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم وحكمة هذا العدد ان أبواب جهنم سبعة

فستة منها للكفار وواحد للفاسق ثم ان الكفار يدخلون النار لا مودة ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار
 وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق فليس
 هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ولا بسبب ترك القول بل بسبب ترك العمل فقط فلا يكون على بابهم
 الا زبانية واحدة فالمجموع تسعة عشر ويقال ان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها مشغولة بالصلوات
 الخمس فيبقى منها تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فبقا صار عدد الزبانية تسعة عشر (وما جعلنا أصحاب
 النار) أي الفاعلين بتعذيب أهل النار (الاملائكة) فلا تقاس الاملائكة بالسجائين روى أنه لما
 نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال أبو جهل لعريش تكلمتكم أمهاتكم قال ابن أبي كبشة ان خزنة النار
 تسعة عشر وأنتم السجعات اقيحز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الاشدين أسيد بن
 كلدة الجمعى اناأ كفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم ائمين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أي
 ما جعلناهم رجالا من جنسكم فتغالبنوهم (وما جعلنا أعدتهم الا قتلة للذين كفروا) فانهم يقولون هذا
 العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ما خلق الله تعالى الى
 قيام القيامة (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان هذا العدد موجود في التوراة والانجيل فلما أخبر
 النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ذلك من غير سابقة تعلم علموا أن ذلك حصل بسبب الوحي من السماء
 فالذين آمنوا بمحمد استيقنوا أن ذلك العدد هو الصدق (ويرداد الذين آمنوا ايماناً) بما رأوا ومن
 تصديق أهل الكتاب ذلك وعلموا أن ما في كتابنا مثل ما في التوراة (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب)
 مثل عبد الله بن سلام وأصحابه اذ لم يكن العدد خلاف ما في كتابهم (والمؤمنون) لانضمام ايمانهم
 بذلك الى ايمانهم بما نزل (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك في صدق القرآن (والكافرون)
 القاطعون بكذبه (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي أي شيء أراد الله بهذا العدد القليل حال كونه عددا
 عجيبا (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء بهذا
 المثل اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية (وما يعلم جنود ربك الا هو) أي ان
 الخزنة تسعة عشر ولهم جنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقه والتعذيب أهل النار (وما هي)
 أي سقر (الا ذكر للبشر) أي الاعظة للخلق ليمتدذكروا كمال قدرة الله وأنه لا يحتاج الى أعوان
 (كلا) أي حقا وتنبهوا الى ما سيلقى اليكم (والقمر والليل اذا دبر) قرأنا فم وحفص وحزرة يسكون الذال
 المهملة والذال المهملة وبينهما همزة مفتوحة أي وقت ذهب والباقون بفتح الذال المهملة والذال المهملة
 بينهما ألف أي اذا جاء (والصبح اذا أسفر) أي أضاء وقرأ عيسى بن المفضل وابن السميقيع سفر
 ثلاثيا أي طرح الظلمة (انها لاحدى الكبر) أي ان سقر لاحدى دركات جهنم (تذير للبشر) تمييز
 من احدى أي انها لاحدى الدواهي انذار للبشر وفي قراءة أبي تقيز بالرفع (لمن شاء منكم أن يتقدم أو
 يتأخر) وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله تعالى للبشر أي تقيز لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيمديه
 الله تعالى أو يتأخر عن خير فيضله الله (كل نفس بما كسبت رهينة) أي كل نفس مرهونة عند الله
 بكسبها غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) فانهم فاكون رقابهم بأعمالهم الحسنة كما يخلص الرهن رهنه
 بأداء الحق (في جنات يتساءلون عن المجرمين) أي يسأل أصحاب اليمين حال كونهم في جنات الكافرين
 عن أحوالهم حال كونهم في النار قائلين (ما سلككم في سقر) أي أي شيء أدخلكم في هذه الدركة
 من النار (قالوا) مجيبين للسائلين (لمنك من المصلين) الصلوات الواجبة (ولم نك نظم المسكين)

أى لم نك نعطي المسكين ما يجب علينا عطاؤه كندرك وفارة وزكاة (وكما تخوض مع الخائضين) أى
 نشرع في الباطل مع الشارعين فيه (وكما نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء (حتى أننا اليقين)
 أى الموت أى اننا بقينا على انكار القيامة الى وقت الموت قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى
 لا تنالهم شفاعة الملائكة والانبياء والصالحين (فما لهم عن التذكرة معرضين) أى فأي شيء حصل
 لهم معرضين عن القرآن (كانهم حرم مستغفرة) قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء أى مذعورة ذعرها القناص
 والباقون بكسرها أى نافرة من صوت الناس أو من ظلمة الليل (فرت) أى الجر (من قسورة) أى
 أسدسها بذلك لانه يقهر السباع (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أى طرية لم تطوبان
 تأمينا وقت كتابتها فان أباجهه وجماعة من قريش قالوا يا محمد لدن تؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا
 بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمن به باتباعك وعن ابن عباس كانوا
 يقولون ان كان محمد صادقا لم يصعب عند رأس كل رجل مناصحة في هاربه من النار (كلا) أى لا
 يؤتون الصحف فلا تقترحو ذلك (بل لا يخافون الآخرة) في زمن من الأزمان فذلك يعرضون عن التذكرة
 (كلا) أى حقا (انه) أى القرآن (تذكرة) أى عظة عظيمة من الله توجب اتباعه (فمن شاء
 ذكره) أى فمن شاء أن يتعظ بالقرآن اتعظ به وجعله نصب عينيه (وما يذكرون الا أن يشاء الله)
 أى ولا يذكرون في حال من الأحوال الا حال ان يشاء الله ذلك وقرأ نافع بفتح الهمزة والخطاب وقرئ بالياء والهاء
 مشددا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو حقيق بأن يتقيه عباده ويطيعوه وحقيق بأن يغفر
 لهم ما سلف من كفرهم اذا آمنوا وأطاعوا

* (سورة القيامة مكية تسع وثلاثون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة
 وستمائة واثنان وخمسون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى النفوس الشريفة التي
 لا تزال تلوم نفسها في الدنيا والآخرة فاذا اجتهدت في الطاعة تلوم نفسها على عدم الزيادة واذا قصرت
 تلوم نفسها على التقصير والمعنى لا أقسم عليكم بذلك اليوم ولا بتلك النفس ولكني أسألكم بغيره قسم
 أحسب اننا لاجمع عظامك اذا تفرقت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم اننا قادرون على ان نفعل ذلك
 وذلك قوله تعالى (أحسب الانسان) أى المكذب بالبعث (أن ان نجتمع عظامه) أى ان الحديث لن
 نقدر على ان نجتمع عظامه بعد نفريتها وقرأ قتادة ان لن نجتمع عظامه على البناء للفعول روى ان عدى بن
 أبي ربيعة ختن الاخنس بن شريق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى
 يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن
 بك أو يجمع الله العظام بعد صيرورتها ترايا فترت هذه الآية وقال ابن عباس المراد بالانسان ههنا أبو
 جهل فإنه أنكر البعث بعد الموت قال تعالى في جوابه (بلى) فهذه الكلمة أثبتت ما بعد النفي وهو الجمع
 أى بلى فجمعها والوقف ههنا وقال أبو عمر وكاف (قادرين على أن نسوي بنانه) أى كئنا قادرين على
 أن نخلق أطراف أصابعه في الابتداء فوجب ان نقي قادرين على الاعادة في الانتهاء وقرأ ابن أبي عمير
 قادرين بالرفع أى ونحن قادرون (بلى) يريد انسان ليفجر أمامه) أى بلى يريد الانسان أن يكذب بيوم
 القيامة وهو امامه فن كذب حقا كان فاجرا (يسأل أيان يوم القيامة) أى يسأل الانسان سؤال متعنت

ومستبعد متى يوم القيامة (فاذا برق البصر) قرأنا فاع بفتح الراء أى شخص البصر عند معاينة أسباب الموت
 والملائكة والباقيون بالكسرى أى تحير البصر فزعافلم يطرق وقرأ أبو السمال بفتح السين انفتح (وخسف
 القمر) أى ذهب ضوءه وقرئ وخسف القمر على البناء للفعل أى ذهب بنفسه (وجمع الشمس والقمر)
 بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب (يقول الانسان) المنكر للقيامة (يومئذ) أى اذا عاين هذه الاحوال
 (أين المجر) أى أين الفرار من النار وقرئ بكسر الفاء أى أين موضع الفرار (كلا) أى حقا
 أولا تمن الفرار (لاوزر) أى لا ملجأ أى فلا جبل يواريه من النار (الى ربك يومئذ المستقر)
 أى موضع قرارهم يوم اذ كانت هذه الامور مفوضة الى مشيئته تعالى فانه تعالى يدخل من يشاء الجنة ومن
 يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وَاخَّر) أى يخبر كل امرئ عند وزن الاعمال بما عمل وبما ترك
 من عمل خيرا كان أو شرا (بل الانسان على نفسه بصيرة) أى بل هو يومئذ عالم بتهافتة فاصيل احواله شاهد
 على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك (ولو ألقى معاذره) أى ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن
 نفسه فانه لا ينفعه ذلك لانه شاهد على نفسه (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك) قبل فراغ جبريل
 من قراءته عليك (لتجمل به) أى لتأخذه على عجلة محانة ان تنساه (ان علينا جمعه) فى صدرك
 (وقرأه) أى اثبات قراءته فى لسانك (فاذا قرأناه) أى أتمنا قراءته عليك بلسان جبريل (فاتبع
 قرأه) أى فاقرا أنت بعد فراغنا من قراءته أى لا ينبغي أن تكون قراءته مقارنة لقراءة جبريل فاذا
 سكت جبريل فاشرع أنت فى القراءة (ثم ان علينا بيانها) أى بيان ما أشكل عليك من معانيه
 وأحكامه على سبيل التفضل (كلا) أى لا تجمل يا أشرف الخلق وكن على اناءة (بل) أنتم يا بني آدم
 لأنكم خلقت من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ ولذلك (تحبون العاجلة) أى الدنيا (وتذرون
 الآخرة) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عباس بيا الغيبة أى انهم يحبون العمل للدنيا ويتركون العمل
 لثواب الآخرة (وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة) فوجوه مبتدأ وناظرة نعت له ويومئذ منصوب
 بناظرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه الحسننة يوم القيامة وهى وجوه المؤمنين
 ناظرة الى الله تعالى لا يحبون عنه (وجوه يومئذ باسرة تظن ان بفعلها فاقرة) أى وجوه شديدة
 العبوس يوم القيامة وهى وجوه الكفرة توقن أن يفعل بها أنواع العذاب فى النار (كلا)
 أى تنبهوا لما أمامكم من الموت الذى ينقطع عنده المحبة بينكم وبين الدنيا (اذ بلغت التراقي وقيل
 من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق) أى اذ بلغت الروح أعالى
 الصدر وهى العظام المكتنفة لشجرة الخمر عن عين شهال وقال من حول المشرف على الموت على
 سبيل الطلب أو على سبيل الانكار من ينجيها مما هوفيه وهل من طبيب فيداويه أو قال ملك الموت
 للملائكة أيكم يرقى بروحه الى السماء وأيقن ذلك المحتضر ان ما رل به فراق الدنيا واتصلت شدة آخر الدنيا
 بشدة أول الآخرة فقد انقطعت عنه أحكام الدنيا ويساق فى ذلك اليوم الى حكم الله تعالى اذ اليه مرجع
 الخلائق (فلا صدق) وهو معطوف على قوله تعالى يسأل أيا ن يوم القيامة قال مجاهد وغيره نزلت هذه
 الآيات فى أب جهل أى فهو ما صدق بالدين (ولا صلى) أى ما صلى أبوجهل صلاة شرعية (ولكن
 كذب) ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن (وتولى) أى أعرض عن الطاعة (ثم ذهب الى أهله
 يتطى) أى يتعدد ويختال فى مشيئته لان المتبخر يد خطاه فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه
 فبهزه أو هزتين وقال له (أولى لك فأولى) أى ويل لك يا أبا جهل وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه (ثم

أولى لك فأولى) أى وعيد لك يا أبا جهل احذر يا أبا جهل فقد قرب منك ما لا قبل لك به من المكروه وقال
القاضى المعنى بعد لك بعد لك أى بعد فى أمر دنياك وبعد فى أمر آخرتك قال قتادة والكلى ومقاتل
أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو
جهل بأى شئ تهددنى يا محمد فوالله لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل أبى شئاً وأنى والله لا عزأه ل هذا
الوادى وأعز من مشى بين جبلتيها ثم انسل ذاهباً فأنزل الله تعالى مثل ذلك (أيحسب الإنسان أن يترك
سدى) أى هو ملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكاف فى الدنيا ولا يحاسب بعمله فى الآخرة (ألم يك) أى
الإنسان (نطفة) أى ماء قليل لا فى صلب الرجل ورتائب المرأة (من منى بمنى) أى يصب فى الرحم (ثم
كان علقة) أى ثم صار المنى دماغاً بطبيعة قدرة الله تعالى (نخلق فسوى) أى فننفخ الله فى ذلك الإنسان
الروح فكل أعضائه وهذا قول ابن عباس ومقاتل (لجعل منه الزوجين) أى لجعل الله من الإنسان
الصنفين (الذكر والانثى) يجتمعان تارة فى الرحم وينفرد كل منهما عن الآخر تارة وكان لأبى جهل ابن
اسمه عكرمة وبنت اسمها جويرية (أليس ذلك) الذى أنشأ هذه الأشياء (بقادر على أن يحيى الموتى)
للبعث فالعادة أهون من البدء فى قياس العقل روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه السورة قال
سبحانك اللهم بلى رواء أبو داود والحاكم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما من قرأ سبع اسم ربك
الأعلى إماماً كان أو غيره فليقل سبحانه ربى الأعلى ومن قرأ الأقسام بيوم القيامة إلى آخرها فليقل سبحانه
اللهم بلى إماماً كان أو غيره

﴿سورة الإنسان وتسمى سورة هل أتى وسورة الأمشاج وسورة الدهر مكية وهى إحدى
وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) أى قد أتى على بنى آدم
طائفة محدودة من الزمن الطويل غير مقدرة فى نفسه غير مذكورة بالإنسانية أصلاً وهى مدة الحمل وقيل قد
مرت على آدم أربعون سنة قبل أن تنفخ فيه الروح لم يكن شيئاً مذكوراً لا فى السماء ولا فى الأرض بل
كان جسداً مصوراً تراباً وطيناً لا يدرك ولا يعرف ولا يدرك ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار
مذكوراً (أنا خلقنا الإنسان) أى ولد آدم (من نطفة أمشاج) أى من نطفة قد امتزج فيها الماء
ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأهم ما علا كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فن
نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فن ماء المرأة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحراء ونطفة المرأة
خضراء وصفراء (نبئنيه) أى نخبره بالخبر والشكر كما قاله السكلى وقال الحسن أى نخبره بشكره فى السر
وصبره فى الضراء (لجعلناه) أى الإنسان (مهيأ بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة
آيات التكوينية (أنا هديناه السبيل) أى بيناه سبيل الهدى والضلال بالآيات ونصب الدلائل
(أما أشكروا وأما كفورا) أى ليكون الإنسان إماماً مؤمناً وأما كافراً ويقال أنا هديناه السبيل ثم جعلناه
تارة شاكراً وتارة كافراً وقرأ أبو السهال بفتح الهـ مزة فى أما على حذف الجواب أى أما شاكراً فبثوبتنا
وأما كفوراً فبسوء اختياره لا يجبرداً جباراً من غير اختيار من قبله (أنا اعتدنا للكافرين سلاسل
وأغلالاً وسعيراً) أى أنا هيأنا للكافرين سلاسل تشد بها أرجلهم ويقادون بها وأغلالاً تشد بها أيديهم
إلى رقابهم وناراً موقدة تبحر قون بها وقرأ نافع وهشام وشعبة والسكاكى سلاسل بالتنوين (إن الأبرار)

أى الصادقين فى إيمانهم المطيعين لربهم الموفين بنذرهم (يشربون من كأس) أى إناء فيه خمر
 (كان مزاجها كافورا) أى كانت تلك الخمر عذبة عذبة كافورا من الكافور اسم عين فى الجنة
 ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ويبدل من كافور قوله
 (عينا يشرب بها عباد الله) أى يشرب عباد الله عذبة تلك العين الخمر لكونها عذبة عذبة عذبة
 متعلقة بمحذوف حال من مفعول محذوف أى يشرب المؤمنون الخمر عذبة بتلك العين أو متعلقة بيشرب
 والضمير يعود على الكأس أى يشربون العين بذلك الكأس والباء للإصاق أو مزيدة ويدل له قراءة ابن
 أبى عبسة يشربها عباد الله (يقجزونها تفجيرا) أى يقودون العين حيث شاؤوا من منازلهم ويتبعهم
 فحيت مالو المالت معهم أى أن الرجل منهم يشى فى بيوته ويصعد إلى قصوره ويبدد قضيب يشرب به إلى الماء
 فيجربى معه حيثما دار فى منازل على مستوى الأرض فى غير أخذود ويتبعه حيثما صعد إلى أعلا قصوره
 (يوفون بالنذر) أى بما أوجبوه على أنفسهم لوجه الله تعالى فكيف بما أوجب به الله تعالى عليهم
 (ويخافون يوما كان شره) أى شدائده (مستطيرا) أى مريع الوصول إلى أهله من العصاة
 (ويطعمون الطعام على حبه) أى مع حاجتهم إلى الطعام وقال الفضيل بن عياض أى على حب الطعام
 الطعام أى بأن يكون ذلك مع طيب النفس (مسكينوا يتيما وأسيرا) أى مسجوناهم مسكينوا وهو قول
 مجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة قائلين بلسان الحال (اغناكم الله لوجه الله) أى لطلب ثواب الله
 (لا يزيد منكم جزاء) أى مكافأة (ولا شكورا) أى محمدة بقول أو بفعل روى أن عائشة كانت تبعث
 بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بعثته ليبقى ثواب الصدقة لها حالها
 عند الله تعالى (أنا نخاف من ربنا يوما عبوسا) أى تعبس فيه الوجوه (قطريرا) أى شديد اروى
 أن الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى شدائده
 بسبب خوفهم عنه (ولقاهم نضرة وممرورا) أى وأعطاهم بسبب طلب رضا الله حسنات وجوههم
 وفرحان قلوبهم (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) أى وجزاهم بصبرهم على الأيثار وما يؤدى إليه
 من الجوع والعري بستانا فيه ما كل هنى وحريرا فيه ملابس حسى (متكئين فيها على الأرائك) أى
 جالسين فى الجنة على السرر فى المجال (لا يرون فيها شمس ولا زمهريرا) أى لا يصيبهم فى الجنة حر محم
 ولا برد مؤذ لان هواها معتدل فى الحر والبرد يقال أن فى الجنة من الضياء ما لا يحتاجون معه إلى شمس ولا
 قمر فان الزمهرير هو القمر فى لغة طي ككرواه ثعلب ونورها من نور العرش (ودانية عليهم ظلالها)
 معطوف على محل لا يرون وهو فى محل نصب حال من الضياء المستكن فى متكئين أى بعداء عن الحر
 والبرد وقريبة ظلال شجرها منهم وقرى ودانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة فى موضع الحال والمعنى
 لا يرون فيها شمس ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم أى أن ظلال أشجار الجنة قريبة من
 الأبرار مظلة عليهم بمعنى أنه لو هناك شمس مؤذنة لكانت أشجارها مظلة عليهم (وذلات قطوفها تذليلا)
 أى أدنيت منهم عن اقيد ثمارها فهم يتناولون منها كيف شاؤوا (ويطاف عليهم بأنية من فضة) أى
 بهواف من فضة (وأكواب كانت قوارير اقوارير من فضة) أى وبكران تكونت جامعة بين صفاء
 الزجاج وشغوفه وبياض الفضة ولينها فنسبة قارورة الجنة إلى قارورة الدنيا كنسبة فضة الجنة إلى رمل
 الدنيا لان أصل القوارير فى الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو فضة شفافة وقرى قوارير الثانية بالرفع أى
 هى قوارير (قدروها تقديرا) أى قدروا القوارير فى أنفسهم وأرادوا أن تكون على أشكال معينة

موافقة لشهواتهم لحامت حسب ما قدر وهاو قيل الغمر للطافين بها أى قدر الطافون الشراب فيها على قدر اشتهاهم وقرى قدر وهاو بالبناء للفعول أى جعلوا قادرين لها كما شاؤوا (ويسقون فيها) أى الجنة (كاسا) أى خمر (كان مزاجها زنجيلا) أى ما يشبه الزنجبيل (عينا فيها) أى الجنة (تسمى) أى تلك العين (سلسيلا) قال مقاتل وابن حبان سميت سلسيلا لأنها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان ويقال معناها سلس الله سبيلا إليها وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل الله إليها سبيلا بالعمل الصالح وقرأ طه سلسيل بغير تنوين للعلمية والتأنيث (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى دائون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء وقيل أى محلون كما رواه نبطويه عن ابن الأعرابي أو مسورون كما رواه الفراء هم خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالخوارج ولم يخلقوا عن ولادة على الصحيح (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض وانتشارهم فى مجالسهم ومنازلهم (وإذا رأيت ثم) أى فى أى مكان كان فى الجنة (رأيت نعيما وملاكا كبيرا) وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه (عليهم ثياب سندس) وهو ما لطف من الديباج قرأ نافع وحزرة عليهم باسكان الياء مبتدأ وثياب خبره أى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس والباقيون بفتح الياء على أنه ظرف خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية لولدان أى يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب سندس الخ وقيل إن عاليهم حال من ضمير عليهم أى يطوف على الأبرار ولدان عاليي الطوف عليهم ثياب الخ أى فوق مجالسهم المضروبة عليهم ثياب سندس (خضر واستبرق) وهو ما نخب من الديباج قرأ نافع وعاصم كلاهما بالرفع وقرأ الكسائي وحزرة كلاهما بالخفض وقرأ ابن كثير خضر بالخفض واستبرق بالرفع وقرأ أبو عمرو وعبد الله بن طاهر خضر بالرفع واستبرق بالخفض (وحلوا أساور من فضة) وهذا معطوف على يطوف عليهم فان حل أى أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمارهم وأيضاً ان الطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب وقيل انما تكون الأسورة من الفضة للولدان الذين هم الخدم (وسقاهم درهم شرابا طهورا) أى يظهر شاربها عن دنس الميل إلى الملاذ الحسية والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا ببقائه باقيا ببقائه وهى غاية منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الأبرار وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها زرع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد وما كان فى جوفه من قذرو وأذى (ان هذا) أى الذى ذكر من الطعام والشراب واللباس (كان لكم جزاء) أى ثوابا من الله بمقابلته أعمالكم الحسنة وهذا الخبر من الله تعالى لعباده فى الدنيا فكأن الله تعالى بين ثواب أهل الجنة ان هذا كان فى حكمى جزاء لكم يا معاشر عبادى لكم خلقتها ولا جلتكم أعبدتها وقال ابن عباس المعنى أنه يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم لنعيمها الزداد سرورهم ان هذا كان لكم جزاء (وكان سعيكم مشكورا) أى مرضيا وكان الله راضيا عنهم بالقليل من الطاعات ومعطهم عليه ثوابا كثيرا ومنتهى درجة العبد أن يكون راضيا من ربه مرضيا لربه فقوله ان هذا كان لكم جزاء إشارة إلى الأمر الذى تصير النفس به راضية من ربه وقوله وكان سعيكم مشكورا إشارة إلى كون النفس مرضية لربه وهذا الحالة أعلى الدرجات وآخر المقامات ولذلك وقع الختم عليها فى ذكر مراتب أحوال الأبرار والصديقين (انما نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى متفرقا آية وآيتين وسورة وهذه الآية تثبت

الرسول وشرح صدره فيما نسب إليه من كهانة وسحر (فأصبر لحكم ربك) في تأخير الأذن في القتال أو في أداء الرسالة وتحمل المشاق الناشئة من ذلك (ولا تطع منهم آثما) أي مقعدا على المعاصي أي معصية كانت (أو كفورا) أي جاحدا للنعمة فالآثم هو الوليد بن المغيرة والكفور هو عتبة بن ربيعة كما قاله القفال وغيره واختاره الرازي يروي أن عتبة بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الأمر حتى أزوجه بنتي وأسوقها إليك من غير مهر فاني من أجمل قريش ولذا وقال الوليد أنا أعطيتك من المال حتى ترضى فاني من أكثرهم مالا وارجع عن هذا الأمر أي عن ذكر النبوة فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من أول حم المجيدة إلى قوله تعالى فان أعرضوا قل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرف عنه وقال أحدهما ظننت أن الكعبة ستقع على (واذ كر اسم ربك بكرة وصيلا) أي صل الفجر والظهر والعصر (ومن الليل فامجدله) أي وبعض الليل فصل ربك صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) أي صل له صلاة التهجد في جزء من ليل طويل قال بعضهم كان ذلك من الواجبات على الرسول ثم نسخ فالأمر للوجوب لا سيما إذا تكرر على سبيل المبالغة (ان هؤلاء) أي الكفرة من أهل مكة (يحبون العاجلة) وينهمكون في لذاتها الغانية (ويذرون وراءهم يومئا ثقيلا) أي ويتركون وراءهم مصالح يوم ثقیل أي شديده وله وعذابه (فخن خلقناهم وشددنا أسرهم) أي أحكمنا رباط مفاصلهم بالأعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي وإذا شئنا أهلكنا هؤلاء الكفرة وآتيناهم بأشباهم في الخلقة فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه تذكرة) أي ان هذه السورة عظة للخلق من الله (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي فمن شاء الخير لنفسه في الدنيا والآخرة تقرب إلى الله بالعمل بما في هذه السورة (وماتشاورن إلا أن يشاء الله) أي وماتقدرون على تحصيل اتخاذ السبيل إلى الله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئة الله تحصيله لكم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير وما يشاورن بالياء التحتية وقرأ ابن مسعود إلا ما يشاء الله (ان الله كان عليهما حكيمًا) أي انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته (يدخل من يشاء في رحمته) بأن يوقعه للإيمان المؤدى إلى دخول الجنة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيتهم إلى غير اتخاذ السبيل إلى الله (أعد لهم عذابا أليما) أي متناهيا في الإيلام وقرأ عبد الله بن الزبير والظالمون بالرفع على الابتداء

* (سورة المرسلات مكية خمسون آية ومائة واحد وثمانون كلمة
وثمانمائة وستة عشر حرفا) *

قال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى آوينا إلى غار مني فنزلت فيبيننا نحن نلتقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها فالتفها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شرها كما رقيت شركم (بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقا فرقا فالملقيات ذكرا) وهذا أقسام من الله تعالى بطوائف من الملائكة أرسلهم بأوامر متتابعين فهم عصفا في طيرانهم عصفا في الرياح ونشروا أجنتهم عند انحطاطهم إلى الأرض ففرقوا بين الحق والباطل فالقوا ذكرا إلى الانبياء ويقال أقسم الله بر يا ح عذاب أرسلها متتابعة كعرف الفرس فعصفن وبر يا ح رحمة تشرن السحاب في الجو ففرقن بعض أجزاءه عن

بعض فان العاقل اذا شاهد هبوب الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الجبال وترفع الامواج تمسك بذكر الله
والتمج الى اعانة الله فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والايمن والعبودية في القلب ويمكن حمل هذه
الكلمات الخمس على القرآن أى والآيات المرسلة على لسان جبريل الى محمد النازلة بكل عرف أى خير
فعصفت سائر الملل فقهرت سائر الاديان وجعلتها باطلة ونشرت تلك الآيات آثار الهداية في قلوب العالمين
شرفا وغربا ففرقت بين الحق والباطل (عذرا أو نذرا) وهذا ما يدل من ذكر أى فأقسم باللائكة
المنزلات وحيا أمرا أو نهيا ويقال وعدا أو عيدا أو ما مفعول لاجله أى ازالة اعذار الخلق ونحو يغالهم (انما
توعدون لواقع) أى ان الذى توعدون به من محيى يوم القيامة لكائن ثم انه تعالى ذكر علامات وقوع هذا
اليوم فقال (فاذا النجوم طمست) أى محقت ذواتها (واذا السماء فريجت) أى فتمتحت فكانت أبوابا
(واذا الجبال نسفت) أى قلعت بسرعة من أماكنها (واذا الرسل اقتت) وقرأ أبو عمر وبالواو على
الاصل أى حصل لهم الوقت وهو اما وقت يحضرون فيه للشهادة على أعينهم واما وقت يجتمعون فيه للفوز
بالثواب واما وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به وسؤال الامم عما أجابوهم (لاى يوم أجلت) أى يقال
لاى يوم أخرت الامور المتعلقة بهؤلاء الرسل وهذا القول المقدر اما جواب لاذا واما حال من مرفوع أقتت
أى مقولا فيهم لاى يوم أخرت اليه أمور الرسل وهو تعذيب الكفرة وتعظيم المؤمنين وظهور ما كانت
الرسل تذكرة من أحوال الآخرة وأهوالها وعلى هذا الجواب اذا مقدر وتقديره فاذا طمست النجوم الخ
وقع ما توعدون أو بان الامر (ليوم الفصل) يدل من لاى يوم وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق
ويجوز ان يؤخذ من هذا جواب اذا أى وقع الفصل بين الخلائق أو حينئذ تقع المجازاة بالاعمال وتقوم
القيامة (وما أدراك ما يوم الفصل) أى وما علمك يا أشرف الخلق بيوم الفصل وشدة فالاستفهام
الاول للاستبعاد والانسكار والاستفهام الثانى للتعظيم والتهويل والمعنى أنت الآن فى الدنيا لا تعلم ما يوم
الفصل أى لا تعلم عظمه وأهواله على سبيل التفصيل وان كنت تعلمها اجمالا (ويل يومئذ للكافرين)
أى واد فى جهنم من فجع ودم يوم اذ يفصل بين الخلائق للكافرين بذلك اليوم وبكل ما أخبر الانبياء عنه
وويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دما ونحوه سلام عليكم وفائدة العدول الى الرفع دلالة على دوام
الهلاك للدعوة عليهم (ألم نهلك الاولين) وهم جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم
والوقف هنا كاف ثم استأنف الله بقوله (ثم تتبعهم الآخرين) ممن كذبوا الحق من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم بالامانة بالتعذيب وقد وقع ذلك فى حق كفار قريش يوم يروا استعقبه اللعن فى الدنيا والعقوبة
الآخرة مرة ممدوا يد على هذا الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنبعهم بسين التنفيس أما قراءة الاعمش
والاعرج عن أبى عمرو ثم تتبعهم بتسكين العين فهو تسكين للتخفيف للجزم فهو مستأنف كالرفوع
لفظا (كذلك نفعل بالمجرمين) أى مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أشرك بالله فيما يستقبل اما
بالسيف واما بالهلاك فستناجارية على ذلك (ويل يومئذ للكافرين) أى هؤلاء وان أهل كوا وعذبوا
فى الدنيا فالمصيبة العظمى معدة لهم يوم القيامة وقيل هذا الويل لعذاب الدنيا فالمعنى شدة عذاب يوم اذ
أهلكناهم للكافرين بآيات الله وأنبيائه (ألم نخلقكم من ماء مهين) أى من نقطة قدرة منتنة (لجعلناه
فى قرار مكين) أى فى مكان حر يزرحم المرأة (الى قدر معلوم) لله تعالى أى الى وقت الولادة (فقد رنا
فثمم القادرون) أى قدرنا خلقه فى رحم المرأة تقدير افنم المقدرين له نحن فان ايقاع الخلق على هذا
التحديد نعمة من المحدث على الخلق أو فقد رنا على تصويره كيف شئنا فنم القادرون نحن حيث خلقنا

في أحسن الهيأت قرأ نافع أو الكسافي فقد رنا بتشديد الدال والباقون بالتخفيف وقال على كرم الله
 وجهه ولا يبعد أن يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحد لأن العرب تقول قدرو وقدرو عليه الموت أى
 فقدروا بالتخفيف يكون بمعنى قدرنا بالتشديد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال إذا غم عليكم
 فأقدروا له أى قدروا له السوء في المنازل (ويل يومئذ للكاذبين) بقدرتنا على البدء والاعادة بعد
 الموت (ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً) أى ألم نجعل الأرض موضعاً يضم أحياء كثيرة على ظهره
 وأمواتاً غير محصورة في بطنه فالأحياء يسكنون في منازلهم والأموات يدفنون في قبورهم ونقل القفال
 عن ربيعة أنه قال دلت هذه الآية على وجوب قطع النباش لأن الأرض كانت حرزاً للميت (وجعلنا
 فيها) أى على ظهر الأرض (رواسي) أى جبلاً ثوابت لا تزول (شامخات) أى عاليات
 (وأسقيناهم ماءً فراتاً) أى غاية في العذوبة (ويل يومئذ للكاذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة
 وتقول لهم الزبانية بعد الفراغ من الحساب (انطلقوا) يا معشر المكذبين (إلى ما كنتم) في الدنيا
 (به تكذبون) من العذاب روى أن الشمس تقرب يوم القيامة من رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ
 لباس ولا كنان فتلفهم الشمس وتأخذ بأنفاسهم ويعتد ذلك اليوم ثم ينجي الله برحمته من يشاء إلى ظل
 من ظله تعالى فهناك يقولون فن الله علينا ووقانا عذاب السهوم وتقول خزنة النار للكاذبين انطلقوا إلى
 ما كنتم به تكذبون من عقاب الله (انطلقوا إلى ظل) أى إلى دخان جهنم وقرأ يعقوب انطلقوا على لفظ
 الماضي أى فأنقادوا للامر لاجل أنهم لا يستطيعون امتناعاً عنه (ذى ثلاث شعب) أى فرق وهي
 كون النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطه بهم (لا ظليل) أى لا يمنع حر الشمس (ولا يغنى من
 اللهب) أى ولا يدفع من لهب النار شيئاً أو ولا يبعد من العطش كما قاله قطرب (إنها) أى النار (ترمى
 بشرر) وهو ما يتطاير من النار (كالقصر) من البناء في عظمه (كأنه جمالة) أى ابل (صفر)
 أى في الحركة واللون فإن الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وهذا تنبيه على أن في كل واحد من تلك
 الشرارات أنواعاً من البلاء والمحنة فكأنه قيل تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بأنواع المحنة والبلاء
 قرأ حمزة والكسافي وحفص جمالة بغير ألف بعد اللام والباقون بالالف (ويل يومئذ للكاذبين) بهذه
 الأمور (هذابوم لا ينطقون) فيه بحجة تنفعهم والسؤال قد انقضى قبل ذلك وقرأ الأعشى بنصب يوم
 أى هذا الذي قص عليكم واقع يوم لا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى أنهم لم يؤذوا في العذر
 وهم لم يعتذروا أيضاً لاجل عدم الأذن بل لاجل عدم العذر في نفسه (ويل يومئذ للكاذبين) بهذا
 اليوم (هذا) أى اليوم (يوم الفصل) أى فصل حكومات جميع المكلفين (جمعناكم) يا معشر
 المكذبين من جميع هذه الأمة (والأولين) من المكذبين (فإن كان لكم كيد فكيدون) أى فإن
 كان لكم حيلة في دفع الحقوق عن أنفسكم فافعلوها وغالبوا (ويل يومئذ للكاذبين) بالبعث (إن
 المتقين في ظلال) أى في ظلال شجرة (وعيون) أى ما ظهر جوار وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام
 وحفص بضم العين والباقون بكسرهما (وفوا كدما يشتهون) فتى اشتهاوا فأكهة وجدوها حاضرة
 فلم يستفأكهة الجنة مفيدة دون وقت كما في أنواع فأكهة الدنيا فيقول الله تعالى لهم (كلوا) من
 الثمار (واشربوا) من الأنهار (هنياً) أى سائغاً بلا داء ولا تعب (بما كنتم تعملون) في الدنيا
 من الخيرات ذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من النعم في مقابلة ثلاث شعب من النار كما قيل ظلال المكذبين
 ما كانت ظليلة وما كانت مغنية عن اللهب والعطش أما المتقون فظلالهم ظليلة حاضرة بينهم وبين اللهب

ومغنية لهم عن العطر ومعهم الفواكه التي يتمنونها في مقابلة شرار النار التي يخافها المكذبون ولما قال تعالى للكفار انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب قال للمؤمنين **كلوا واشربوا هنيئاً** (انا كذلك نجزي المحسنين) أي انا نجزي المحسنين في العقيدة مثل ذلك الجزاء (ويل يومئذ للكذابين) يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين (كلوا وتمتعوا قليلاً) أي كلوا يا معشر المكذابين وعيشوا يسيراً في الدنيا (انكم مجرمون) أي مشركون مصيركم النار في الآخرة وقال أبو السعود وهذا مقدر بقول هو حال من المكذابين أي الويل نابت لهم معقولا لهم ذلك تكبر لهم بما لهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إثارة المتاع الغاني عن قرب على النعيم الخالد على ذلك بأجرهم دلالة على ان كل مجرم مآله هذا (ويل يومئذ للكذابين) بما يجب تصديقه وهذا هو النوع التاسع من أنواع تخويف الكفار (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي واذا قيل للمجبرين في الدنيا خضعوا لله بالتوحيد وأطيعوه لا يقبلون ذلك ويقال زلت هذه الآية في ثقيف حيث قالوا لا نخني ظهورنا بالركوع والسجود ويقال هذا في الآخرة وذلك لما يقول الكفار والله ربنا ما كنا مشركين قال الله تعالى لهم اسجدوا ان كنتم صادقين بما تقولون فلم يقدر واعلى السجود وبقيت اصلاهم كالصياصي (ويل يومئذ للكذابين) بمن يرشدهم الى المصالح الجامعة بين خير ان الدنيا والآخرة وهذا هو النوع العاشر من أنواع تخويف الكفار (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي اذالم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع وضوحها فبأي كلام بعدها يؤمنون لان القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لها في أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لان ما في غيره موجود فيه فلا يمكن الايمان بغيره مع تكذيبه

(سورة النبأ وتسمى سورة النساؤل وسورة عم مكية وهي أربعون آية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وسبع مائة وسبعون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون) أي عن أي شيء يتساءل أهل مكة فيما بينهم انكاروا واستهزأوا (عن النبأ العظيم) قوله عم يتساءلون سؤال وقوله عن النبأ العظيم جواب فالسائل والمجيب هو الله تعالى ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (الذي هم فيه مختلفون) والخبر العظيم هو يوم القيامة فمنهم من جزم باستحالة فيقول ان هي الاحياء التي لا تباغث وتنجي وما يملك الا الدهر وما نحن جميعون ومنهم من شك في وقوعه فيقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظناً وما نحن بمستيقنين وقيل الخبر العظيم هو القرآن فان بعضهم جعله سحراً وبعضهم جعله شعراً وبعضهم قال انه أساطير الاولين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزأوا وقيل النبأ العظيم هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم عجبوا من ارسال الله محمدا اليهم قرأوا كرمة وعيسى بن مريم عليهما بالآلاف على الاصل وعن ابن كثير انه قرأهم بها السكت (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) أي ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون بحقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والشكال وسيعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه وقال القاضي سيعلمون نفس الخسر والحاسبة وسيعلمون نفس العذاب اذا شاهدوه وقال الضحاك أي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم وروى عن ابن عامر ستعلمون بالتاء المنقطة من فوق (ألم نجعل

الارض مهادا) أى فراشا وقرى مهدا أى مناما (والجبال أوتادا) للارض حتى لا تعبد بأهلها
 (وخلقناكم أزواجا) ذكورا وإناثا وقيما وحسنا وطويلا وقصيرا (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعنا
 للتعب أو نومنا منقطعاً فإن النوم يعقدار الحاجة من أنفع الاشياء أما دوامه فنأضر الاشياء (وجعلنا
 الليل لباسا) فإن ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون إذا أراد هربا من عدو أو أخفاها ما لا يحب
 الانسان اطلاع غيره عليه وأيضا بسبب ما يحصل فيه من النوم يندفع عنه أذى التعب الجسماني وأذى
 الافكار الموحشة النفسانية فإن المريض إذا نام بالليل وجد الحقة العظيمة (وجعلنا النهار معاشا) أى
 وقت معاش تتقلبون فيه فى مكاسبكم (وبنينا فوقكم سبع عاشدا) أى خلقنا فوق رؤسكم سبع
 سموات غلاظا قوية الخلق محكمة البناء لا تؤثر فيها مر الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) أى شمسا
 مضيئة لبني آدم (وأزلفنا من المعصرات) أى السحاب بالرياح (ماء ثجاجا) أى صبابا ويروى عن
 عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعكرمة أنهم قرؤا أو أنزلنا بالمعصرات أى بالرياح المشيرة للسحاب
 (لنخرج به) أى بذلك الماء (حبا) يقات كالحنطة والشعير والارز (ونباتا) لا يكون له كلم
 كالحنشيش (وجنات ألفافا) أى مجتمعة تداخل بعضها فى بعض (ان يوم الفصل كان ميقاتا) أى
 ان يوم فصل الله بين الخلائق كان فى تقدير الله تعالى ميعادا لاجتماع كل الخلائق فى قطع الحصومات
 وميقاتا لما وعد الله من الثواب والعقاب (يوم ينفع فى الصور) نفخة البعث أى تنفخ الارواح فى
 الاجساد (فتأتون أفواجا) أى فتمتعون من قبوركم فتأتون الى الموقف أمما كل أمة مع امامها حتى
 يتكامل اجتماعهم (وفتح السماء) لنزول الملائكة قرأعاصم وحمزة والكسائي خفيفة التاء
 والباقيون بتشديد ها (فكانت أبوابا) أى فصارت السماء ذات أبواب (وسيرت الجبال) فى الجو
 على هيأتها بعد قلعها من مقارها (فكانت سرايا) أى فصارت بعد تسييرها مثل السرايا إذ ترى على
 صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها التفتت أجزائها (ان جهنم كانت مرصدا) أى طريقا فخزنة الجنة
 يستقبلون المؤمنين عند جهنم وخزنة جهنم يرصدون الكفار (للاطاعين) أى للتكبرين على الله
 (مآبا) أى مرجعا (لابئين فيها أحقابا) أى حقا بعد حقب وقرأ حمزة لبئين بغير ألف (لا يذوقون
 فيها) أى الاحقاب (بردا) أى هوا باردا ولا ماء باردا وقال الاخفش والكسائي والفراء وقطرب
 والعتيبي أى نوماسمى بذلك لانه يقطع سورة العطش (ولا قرايا الاحيما) أى ماء حاراجدا (وغساقا)
 أى بارد امتتنا لا يطاق وهو المسمى بالمهربر قرأ حمزة والكسائي وعاصم من رواية حفص عنه بتشديد
 السين (جزاء وفاقا) أى جوزوا بذلك جزاء موافقا لأعمالهم (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أى
 كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم أو انهم كانوا غير مؤمنين وذلك لان المؤمن لا بد وان يرجو رحمة الله
 لانه قاطع بأن ثواب ايمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر (وكذبوا بآياتنا) أى بجميع
 دلائل الله تعالى فى التوحيد والنبوة والمعاد (كذابا) وقرئ بتخفيف الذال وقرئ كذابا بضم الكاف
 وتشديد الذال جمع كاذب أى كذبوا بالقرآن والشرائع كاذبين فكل من يكذب بالحق فهو كاذب (وكل
 شئ أحصيناه) أى ضبطناه (كتابا) أى حال كونه مكتوبا فى اللوح المحفوظ أو كل شئ من أعمال
 بني آدم حفظناه مكتوبا فى صفح الحفظة وقرأ أبو السمال وكل بالرفع على الابتداء (فذوقوا قلن نريدكم
 الاعذابا) أى فيقال لهم فى الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم قلن نريدكم الاعذابا أى
 كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غير هال بذوقوا العذاب وكلما خبت زنادهم سعيرا (ان للمتقين مغازا)

أى فوزا بالمطلوب (حداثق) أى بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة (وأعنايا) أى كروما (وكواعب) أى نساء فلكت ثديهن (أترابا) أى مستويات فى السن على ثلاثة وثلاثين سنة (وكأسادهاقا) أى ممتلئة (لا يسمعون فيها الغوا ولا كذايا) أى لا يجرى بين المتقين كلام باطل وتكذيب من واحد لغيره بسبب الكأس التى يشربون منها وقرأ الكسائى بالتخفيف (جزاء من ربك عطاء حسابا) أى جازى الله المتقين بغير جزاء كائنا منه تفضلا منه بقدر ما وجب له فيما وعده من الاضعاف لانه تعالى قدر الجزاء على ثلاثة أوجه وجه منها على عشرة أضعاف ووجه على سبعمئة ضعف ووجه على ما لا نهاية له والمعنى راعيت فى ثواب أعمالكم الحساب لتسليق فيه نقصان وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد بمعنى محسب (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورفع رب والرحمن وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر بجرهما وقرأ حمزة والكسائى بجرا الاول مع رفع الثانى (لا يلكون منه خطايا) أى لا يلك أهل السموات والارض أن يخاطبوه تعالى من تلقا أنفسهم خطايا ما شئنا والوقف هنا كافى (يوم يقوم الروح) قال الفحماك والشعبي هو جبريل وعن ابن مسعود أنه ملك أعظم من السموات والجبال وعن ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقا (والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن) منهم فى التكلم (وقال صوابا) أى وقا ذلك المأذون له بعد ورود الاذن قولاً صادقا حقاً وقيل المعنى لا يشفعون الا فى حق شخص أذن له الرحمن فى شفاعته وذلك الشخص كان عن قال صوابا وهو شهادة أن لا اله الا الله ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون (ذلك) أى يوم قيامهم على الوجه المذكور (اليوم الحق) أى الثابت من غير صارف (فن شاء اتخذنا ليه مآباً) أى فن شاء أن يتخذ مرجعاً الى ثواب ربه فعل ذلك بالايمن والطاعة (انا أنذرناكم) أى خوفناكم يا أهل مكة بالقوارع الواردة فى القرآن (عذابا قريماً) هو عذاب الآخرة وكل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) وما اما استفهامية أى يوم يبصر كل امرئ أى شئ قد مت يده مشتبهاً فى حقيقة خيرا كان أو شرا واما موصولة أى يوم ينظر كل امرئ الى الذى قدمته يده (ويقول الكافر) لما قطع بالعقاب (يا ليتنى كنت ترابا) أى ليتنى لم أبعث للحساب فى هذا اليوم وبقيت ترابا كما كنت أوليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف وقيل يقول الكافر عندما يقول الله للبهائم بعد محاسبته بينها كوفى ترابا يا ليتنى أصير ترابا مثل تلك البهائم لا تخلص من عذاب الله تعالى وقيل ويقول ابليس عاب آدم بأنه خلق من تراب واقتخر بأنه خلق من نار والقيامة ليتنى كنت مكان آدم وذلك لان ابليس عاب آدم بأنه خلق من تراب واقتخر بأنه خلق من نار وقال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فى أبى سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وقوله ويقول الكافر فى أخيه الاسد بن عبد الاسد

*(سورة النازعات مكية خمس وأربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة
وتسعمائة وثلاثة وخمسون حرفاً)*

(بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا) أى والملائكة الذين ينزعون روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين كما ينزع السفود الكثر الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء (والناشطات نشطا) أى والملائكة التى تحل نفس المؤمن حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وتنشط روح المؤمن بالخروج الى الجنة (والساجحات ساجها) أى

والملائكة الذين ينزعون نفس الصالح يسلمونها سالار فيقارو يد اثم يتركونها حتى تستريح ثم يستخرجونها
بعد ذلك برفق ولطافة لتلاصق اليه الموشدة (فالساقات سبقت) أي والملائكة الذين يسبقون بأرواح
المؤمنين الى الجنة وبأرواح الكافرين الى النار (فالمديرات أمرا) أي والملائكة الذين يدبرون أمور
العباد قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وملاك الموت
واسرافيل فأما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فهو موكل بالقطر والنبات وأما عزرائيل
فهو موكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وإيس في الملائكة أقرب
منه (يوم ترجف الراجفة) ويوم منصوب بجواب القسم المضمرة أي لتبعن يا كفار مكة يوم تتحرك
النفخة الاولى مع ظهور الصوت وسهيت النفخة بالراجفة لان الدنيا تنزل عند هاوتصوت ذان صوت تلك
النفخة هي الحركة لكل شيء (تتبعها الراجفة) أي النفخة الثانية والارادة رجفة أخرى تتبع الاولى
فتضطرب الارض لاهياء الموتى كما اضطربت في الاولى لموت الاحياء ويروي عن الرسول صلى الله
عليه وسلم ان بين النفختين أربعين عاما ويروي أن في هذه الاربعين يعطى الله الارض ويصير ذلك الماء
عليها كالنطف وان ذلك كالسبب للاحياء والله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (قلوب يومئذ
واجفة) أي قلوب كثيرة وهي قلوب الكفار يوم اذ يقع النفختان شديدة الاضطراب وهذه الجملة مبتدأ
وخبر (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحاب هذه القلوب ذليلة (يقولون) منكرين للبعث متعجبين
منه (أنما المرءودون) بعد موتنا (في الحافرة) أي في الحالة الاولى وقرأ أبو حية في الحفرة أي أنزل الى
ابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنار أنذا كذا عظما منقورة) أي متفتنة زردونبعث مع كون تلك العظام أبعد
شيء من الحياة وقرأ حمزة وعاصم ناخرة بألف أي فارغة تمر بها الرياح فيسمع لها صوت وقرأ نافع وابن عامر
والكسائي اذا على الخبير (قالوا تلك) أي الرجعة الى الحياة (إذا) أي ان ارددنا الى الحالة الاولى
وهو ذلك (كرة خامرة) أي رجعة ذات هلاك أي ان الرجعة انصحت فنحن انا خاسرون لتكذيبنا بها
وهذا استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله بل هي سهلة
هينة في قدرته لانها حاصلة بمجة واحدة من اسرافيل (فاذا هم بالساهرة) أي فاذا هم أحياء على وجه
الارض البيضاء المستوية من ارض الآخرة بعدما كانوا أمواتا في جوف ارض الدنيا (هل أتاك حديث
موسى) أي اليس قد أتاك يا أشرف الخلق حديث موسى هذا ان اعتبرنا يمانه قبل هذا الكلام والافالمعنى
هل أتاك يا أكرم الرسل حديثه أنا أخبرك به (اذناداه ربه بالواد المقدس) ظرف للحديث (طوى)
وهو اسم واد بالشام وهو عند الطور بين ايلة ومصر وانما سميت طوى لكثرة ما مشى عليه الانبياء قرأ
نافع وابن كثير وأبو عمرو وبضم الطاء غير منون وقرأ الباقر بضم الطاء منون وروى عن أبي عمرو وبكسر
الطاء (اذهب الى فرعون) عن الحسن قال كان فرعون علهام همدان وعنه أيضا كان من أصبهان
طوله أربعة أشبار وهو أول من اتخذ القيقاب ليمشي فيه خوفا من ان يعشى على لحيمته وقال مجاهد كان من
أهل اصطخر وقرأ عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول (انه طغى) أي تجاوز الحد على الخالق
وعلى الخلق فكفر بالله وتكبر على بني اسرائيل فاستعبدهم (فقل) بعدما أتته (هل لك الى أن ترى)
أي هل لك يا فرعون سبيلى الى ان تصلى فتوحى بالله وقرأ نافع وابن كثير بتثنية الزاى (وأهديك الى
ربك) أي وهل أدعوك الى معرفة ربك بالبرهان فتعرفه (فتخشى) فان الخشية لا تكون الا بالمعرفة
فمن خشى الله أتى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر (فأراه الآية الكبرى) أي فذهب موسى

الى فرعون فأراه قلب العصاحية (فكذب) فرعون موسى بالقلب واللسان وسمى مجهزته سحرا
(وعصى) الله تعالى بإظهار التمرد بعد ما علم صحة الامر حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين (ثم
أدبر) أى انصرف عن موسى وأعرض عن الايمان (يسعى) أى يجتهد فى مكايده موسى وفى معارضة
الآية (بخش) أى لجمع السحرة بالشرط للمعارضة (فنادى) فى المجمع بنفسه أو بواسطة المنادى
(فقال أنار بكم الاعلى) أى لارب فوقى (فأخذ الله نكال الآخرة والاولى) أى فعذه الله فى الآخرة
بالاحراق بالنار وفى الدنيا بالاغراق بالماء وقيل فعاقبه الله بكلمته الآخرة وهى قوله أنار بكم الاعلى
وبكلمته الاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وكان بينهما أربعون سنة فأنه تعالى يهمل ولا يهمل
(ان فى ذلك) أى فى قصة فرعون (لعبرة) أى لعظة (للمن يخشى) وذلك ان يدهى التمرد على
الله تعالى والتكذيب لانياته خوفا من ان ينزل به ما نزل لفرعون وهما بأن الله تعالى ينصر رسوله
فاعتبروا معاشر المكذبين لمحمد بما ذكركمنا (أأنتم أشد خلقا أم السماء) أى أنتم يا أهل مكة فى
خلقكم بعد موتكم أصعب فى تقديركم أم خلق السماء على عظمها والوقف هنا تام (بناها) وهذا
تفصيل لكيفية خلقها (رفع سمكها) أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض ومقدار ذهابها فى سمات العلو
مسافة خمسمائة عام واعلم ان امتداد الشئ اذا أخذ من أعلاه الى أسفله سمي عمقا واذا أخذ من أسفله
الى أعلاه سمي سمكا (فسواها) أى جعلها مستوية ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض ولا تفاوت
ولا فطور (وأغطش ليلها) أى جعل الليل مظلما (وأخرج فجهاها) أى وبرز زهارها وانما عبر عن
النهار بالضحى لانها أكل أجرا النهار فى الضوء (والارض بعد ذلك) بألف سنة (دحاها) أى بسطها
على الماء (أخرج منها) أى الارض (ماءها) أى عيونها المنفجرة بالماء وأنهارها الجارى ماؤها
(ومرعاها) أى نباتها من العشب والشجر والثمر والحب والعصف والخطب واللباس والدواء حتى النار
والملح فان النار من العيدان والملح من الماء واذا تأملت علمت ان جميع ما يتلذذ الناس به فى الدنيا أصله
الماء والنبات (والجبال أرساها) أى أثبتتها على وجه الارض لتسكن (متاعا لكم ولانعامكم) أى
انما خلقنا هذه الاشياء منفعة لكم ولانعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) أى الداهية العظمى أعنى
(يوم يتذكر الانسان ما سعى) أى يوم يتذكر كل أحد فيه ما عمله فى الدنيا من خير أو شر بأن يشاهده مدونا
فى صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد ويجوز ان يكون يوم بدلا من الطامة الكبرى
مبنيا على الفتح لضافته الى الفعل على رأى الكوفيين (وبرزت الجحيم) عطف على جاءت أى أظهرت
الجحيم اظهارا بينا (لمن يرى) فيراها كل ذى بصير من المؤمنين والكفار وقرأ أبو نهيك وبرزت
بالتخفيف وقرأ ابن مسعود لمن رأى فعلا ماضيا وقرأ زيد بن علي وهاشمة وعكرمة برزت مبنيا للفاعل مخففا
وترى بالتاء وهى امالة تأنيت فالضمير للجحيم واما الخطاب أى لمن ترى أنت يا محمد من الكفار الذين يؤذونك
وجواب اذا محذوف تقديره انقسم الناس قسمين (فأما من طغى) أى تعرد عن الطاعة وجاوز الحد فى
العصيان (وآثر الحياة الدنيا) أى انهم لم يستعد للحياة الآخرة بالطاعة (فان الجحيم هى المأوى)
له ويقال التقدير فان الجحيم هى المأوى اللائق بمن كان موصوفا بهذه الصفات قيل نزلت هذه الآية فى المنصر
وأبيه الحرث (وأما من خاف مقام ربه) أى مقام حضرة ربه (ونهى النفس عن الهوى) أى عن
الميل الى الحرام الذى يشتهيه (فان الجنة هى المأوى) له قيل نزلت الايتان فى أبي عزيز بن عمر
ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد وفى رسول الله بنفسه حتى استشهد رضى الله

عنه وروى الضعيف عن ابن عباس قال أمان طغى فهو أخو مصعب بن عمير أمر يوم بدر وأخذته الانصار فقالوا من أنت قال أنا أخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبحوا احدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو بأخ له شدوا أسيركم فإن أمه أكثر أهل البطحاء حلياً ومالاً فاقوتوه حتى تبعث أمه فداه وأمان خاف مقام ربه فصعب بن عمير وقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشخصاً في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله أحسن بك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وإن شراك نعله من ذهب (يسألونك) يا أشرف الخلق (عن الساعة) على سبيل الاستهزاء حين سمع المشركون وصفها بالأوصاف الهائلة مثل طامة وصاخة وقارعة (أيان مرساها) أي متى أقامت أي في أي وقت يوجهدها الله تعالى (فيم أنت من ذكراها) أي في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم (الربها منتهاها) أي إلى ربك يرجع منتهى علمها لم يوث أحد من خلقه (انما أنت منذر من يخشاها) أي إنما أنت مخوف من يخاف هو لحاف لا تذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر وطه وعمر بن يحيى من منذر بالتنوين وهو الأصل وحذف التنوين للتنوين وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي فلا يجوز إلا الإضافة (كانهم يوم يومهم يلبنوا) الأعرسية أو ضحاها) وهذا أماناً كيدهما يدل عليه الأذار من سرعة مجيئ المنذر به أي كأن كفار قريش يوم يعاينون الساعة لم يلبنوا بعد الأذار بها الأعرسية يوم واحد أو ضحاها وأما رد لما ادججوه في سؤالهم فأنهم كانوا يسألون عن الساعة بطريق الاستبطاء مستعجلين بها ويقولون متى هذا الوعد فالمعنى كأنهم يوم يومهم يلبنوا الساعة لم يلبنوا بعد الوعد بها الأعرسية هي من الزوال إلى الغروب أو ضحاها يومها اعتبار كون اللبث بعد الأذار أو بعد الوعد تحقيقاً للأذار ورد الاستبطاء لهم

﴿سورة عبس ونسبى سورة الأعمى وسورة السفرة مكية وهي إحدى وأربعون آية ومائة وثلاث وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم عبس) أي كلح النبي وجهه وقرئ بالتشديد للبالغة (وتولى) أي أعرض بوجهه - لاجل (أن جاءه الأعمى) اسمه عبد الله ابن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك الفهري وأم مكتوم كانت أم أبيه واسمها عاتكة بنت عامر المخزومي وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديماً بمكة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأميمة بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوه إلى الإسلام جاءه أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقربني وعلمني عما علمك الله وكر ذلك فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه - فنزلت هذه الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول أذار آه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة (وما يدريك لعله ينكح أو يذكر فتنتفعه الذكري) أي أي شيء يجعلك يا أشرف الخلق دار يا بحال هذا الأعمى حتى تعرض عنه لعله يتألم بما يقتبس منك من الألم أو يتعظ فتنتفعه موعظتك إن لم يبلغ درجته التطهر التام رقرأ عامم بنصب فتنتفعه على جواب لعل (أمان استغنى) عن الأيمان والقرآن بما له من المال (فأنت له تصبدي) أي تقبل عليه بوجهك وتقبل إلى كلامه وقرأنا فاع وابن كثير بتشديد الصاد وقرأ أبو جعفر بضم التاء أي فأنت يدعوك

دأع الى التصدي له من الحرص على اسلامه (وما عليك ألا يزكى) وما امانا فية والجملة حال من ضمير
 تصدى أى والحال انه ليس عليك بأس في عدم تطهره من الشرك بالاسلام واما استفهامية لانكار أى
 وأى شئ عليك في كونه لا يتطهر من دنس الكفر (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه يسرع في طلب
 الخير (وهو يخشى) من الله أى وهو مسلم (فأنت عنه تلهي) أى تتشاغل بصناديد قریش وقرأ طه بن
 مصرف تتلهي وقرأ أبو جعفر تلهي أى يلهي شأن الصناديد (كلأ) أى لا تفعل مثل ذلك أى وذلك
 محمول على ترك الأولى (انها تذكرة) أى ان القرآن موعظة (فن شاء ذكره) أى فن رغب في القرآن
 اتعظ به ومن لم يرد فلا حاجة الى الالهة ما أمره (في صحف) أى ذلك القرآن مثبت في صحف منتسخة
 من اللوح المحفوظ (مكرمة) عند الله تعالى (مرفوعة) في السماء السابعة (مطهرة) أى منزهة
 عن مساس أيدي الشياطين (بأيدي سفرة) أى ملائكة يكشفون الوحي بين الله ورسله أو يكتبون
 الكتب ناقلين من اللوح المحفوظ (كرام) أى عند الله تعالى (بررة) أى صادقين لله في أعمالهم
 وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة وقوله بأيدي
 متعلق بمطهرة قال القفال لما عيس المصحف الا للملائكة المطهرون أضيف التطهر اليها الطهارة من عيسها
 (قتل الانسان) أى لعن الكافر (ما كفره) أى أى شئ كفره وهو تعجب من افراطه في الكفران
 والتعجب بالنسبة للخلق والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرناه بعده هذا (من أى شئ خلقه)
 وهذا استفهام تقرير في التحقير أى فليتفكر الانسان في نفسه من أى شئ خلقه الله ثم بين الله له فقال
 (من نطفة) أى ما حقير (خلقته) فن كان أسله مثل هذا الشئ الحقير فالتكبر لا يكون لا ثقبه (فقدرو)
 أى فهموا لما يصلح له ويليق به من الاعضاء أوفقه قدره أطوارا نطفة ثم علقه الى ان تم خلقه (ثم السبيل
 يسره) أى ثم سهل الله خروجه من بطن أمه وكان رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجله من تحت
 فاذا جاء وقت الخروج انقلب خروجه حيا من ذلك المنفذ الضيق من أعجب العجائب أو ثم بين طريق الخير
 والشر التي تتعلق بالدين التي تتعلق بالدين (ثم أماته) بعد ذلك (فأقبره) أى جعله الله ذا قبر
 يوارى فيه تكريما له (ثم اذا شاء أنشروه) أى بعثه من القبر (كلأ) أى لا تتكبر ولا تصر على انكار
 التوحيد وعلى انكار البعث أو حقا يا محمد (لما يفض ما أمره) أى لم يعمل الانسان الكافر بما أمره
 الله به من التأمل في دلائل الله والتدبر في عجائب خلقه وبيانات حكمته (فليتنظر الانسان الى طعامه)
 الذي جعله الله سبيبا لحياته كيف دبر الله أمره (أنا صببنا الماء) أى الغيث على الارض (صبا) قرأ
 عاصم وحمزة والكسائي أنا بفتح الهمزة على أنه بدل اشتغال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو
 مشتمل عليه والباقون بالكسر على الاستئناف وقرئ انى بالامالة أى كيف صببنا الماء صبا عجيبا (ثم
 شققنا الارض) بالنبات (شفا) بدعي لا ثقبه (فأنبثنا فيها) أى الارض (حبا) وهو كل
 ما حصد من نخو الخنطة والشعير وغيرهما (وعنبا) وهو غداء من وجهه وفاكهة من وجهه (وقضبا)
 قيل هو كل ما يقطع من البقول وقال الحسن هو العلف للدواب وقال ابن عباس هو الرطب فإنه يقطع من
 النخل (وزيتونا) وفيه اصلاح المزاج (ونخلا وحدائق غلبا) أى بساتين ملتقة بالاشجار أو طول
 الاشجار (وفاكهة) وهى ماتا كلة الناس من ثمار الاشجار (وأيا) وهو ماتا كلة الدواب من الكلال
 (متأكلكم ولا نعامكم) أى فعل الله ذلك تغية لكم ولما وشيكم (فاذا جاءات الصاخة) أى صيحة
 النفخة الثانية التي تصم الآذان لشدها (يوم يفر المرء من أخيه) ويوم أمان من صوب بأعنى تفسير الصاخة

أو يدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأى الكوفيين أى يعرض عن أخيه (وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه) وفائدة هذا الترتيب كأنه قيل يوم يعرض المرء عن أخيه بل من أبويه اللذين هما أقرب من الأخ بل من الزوجة والولد اللذين تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالأبوين وجواب إذا محذوف تقديره اشتغل كل امرئ بحال نفسه ويدل عليه قوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ) أى يوم إذا تكون هذه الداهية (شأن يغنيه) أى شغل يكفيه فى الاهتمام به أو يحل يصرفه عن قرابته كما قاله ابن قتبية وقرى يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهمله أى يوقعه فى الهم (وجوه يومئذ مسفرة) أى مضيئة من صلاة الليل كما قاله ابن عباس أو من آثار الوضوء كما قاله الضحاك أو بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بالرحمة ومنازل الرضوان كما قاله الرازي (ضاحكة) أى مهيبة بكرامة الله أو مسرورة بالفراغ من الحساب (مستبشرة) أى فرحة بما تشاهد من النعيم الدائم والثواب الجسيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى كدورة (ترهتها) أى تدركها عن قرب (فترة) أى ساء كالدخان (أولئك) أى أصحاب هذه الوجوه (هم الكفرة العجزة) أى الجامعون بين الكفر بالله والكذب على الله

﴿سورة التكاوير مكية وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت) أى لفت أى صارت مخفية عن العين وقيل أى رميت عن الفلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها إدخالها فى العرش (وإذا النجوم انكدرت) أى تساقطت على وجه الأرض وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأيدى ملائكة من نور فإذامات من فى السموات ومن فى الأرض تساقطت من أيديهم (وإذا الجبال سيرت) عن وجه الأرض بالرجفة (وإذا العشار) أى النوق الحوامل التى هى أنفاس ما يكون عند أهلها (عطلت) أى تركت من غير راع لا اشتغال أربابها بأنفسهم وقيل أى وإذا السحاب تعطلت عن الماء وقرى عطلت بالتخفيف (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت من كل جانب لاللعث للقصاص وقيل بعثت للقصاص اظهار العدل قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينهاردت ترايا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم وانحجب بصورته كالطاوس ونحوه وقرى حشرت بالتشديد (وإذا البحار مرجت) أى ملئت من الماء فيفيض بعضها الى بعض فتصير شياً واحداً ثم تيبس البحار من الماء ثم تقلب ناراً وقرأ ابن كثير وأبو هريرة وتخفيف الجيم وهذه العلامات الستة يمكن وقوعها فى أول زمان تخريب الدنيا أما الستة الباقية فإنها مختصة بالقيامة وهى ما ذكر بقوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أى ردت الارواح الى أجسادها وقال ابن عباس زوجت نفوس المؤمنين بالحوار والعين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقال الزجاج قرنت النفوس بأعمالها (وإذا الموءودة سئلت) أى وإذا البنت المدفونة حية سئلت تبيكيتا لمن دفنها فى القبر وهى حية (بأى ذنب قتلت) أى هى وذلك كان قبيل للموءودة ان القتل لا يجوز الا لذنوب عظيم فإذ نبت أيتها البنت فكان جوابها أنى قتلت بغير ذنب فيفتضح القتال وقرى قتلت بكسر التاء للمخاطبة مع قراءة سئلت بقراءة الجوهري وقرى سألت بالبناء للفاعل أى خاصت أباها وأسألت الله تعالى وهذه القراءة مع قراءة قتلت بضم التاء للتكلم وبسكونها على التأنيت فالقراءة الشاذة ثلاثة (وإذا الصحف نشرت) أى وإذا الصحف الأعمال فرقت بين أصحابها

عند الحساب وتطارت في الاكف وقرأ افع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين والباقون بتشديد يدها
(واذا السماء كسطت) أى أزيلت عما فوقها وهى الجنة وعرش الله وقرأ ابن مسعود وكسطت (واذا الحميم
سعرت) أى أوقدت أيقاداً شديداً وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها
(واذا الجنة ازلفت) أى قربت من المتقين وقال عبد الله بن زيد أى زينت (علمت نفس ما أحضرت)
أى ما قدمت من خيراً وشرفان الأعمال لماعلمتها النفس فكانها أحضرتها فى الموقف (فلا أقسم بالخنس
الجوار الكنس) لازائدة أى فأقسم بالكواكب الزاجع من آخر الفلك الى أوله التى تجرى مع الشمس
والقمر التى تختفى تحت ضوء الشمس وهى هذه الانجم الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري
ليس فى الكواكب شئ يقطع المجرة غيرها كما أخرجه ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب (والليل اذا
عسعس) أى ذهب (والصبح اذا تنفس) أى أضاء (انه لقول رسول كريم) أى ان هذا الذى
أخبركم به محمد من أمر الساعة على ما ذكر فى هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال اغما هو قول
جبريل أتاه به وحياً من عند الله تعالى أو ان القرآن لقول جبريل نزل به الى محمد من جهة الله تعالى فهو
رسول الله الى الانبياء وهو كريم لانه يعطى أفضل العطايا وهو الهداية (ذى قوة) أى شدة روى أنه
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ذكرك الله قوتك فنادا بلغت قال رفعت قريات قوم لوط الاربع على قوادم
جناحي حتى اذا سمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الدجاج قلبتها وذكركم قاتل أن الالبيض وهو
شيطان قصد أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى أقصى الهند
(عند ذى العرش مكين) أى ذى جاه عند الله تعالى فانه يعطى ما يستل وهذه العندية عندية اكرام
وتشريف لا عندية مكان وجهة (مطاع ثم) أى فى السموات فتطيعه الملائكة فانهم يصعدون عن
أمره ويرجعون الى رأيه (آمين) على وحى الله ورسالة قد عصمه الله من الخيانة والزلل (وما صاحبكم)
أى نبيكم محمد يامعشر قريش (بمجنون) كما زعمتم والمقصود من عذفضائل جبريل واقتصار النبي صلى
الله عليه وسلم على نفي الجنون رد قول الكفرة فى حقه صلى الله عليه وسلم اغما يعلمه بشراف ترى على الله كذا
أم به جنسة لا الموازنة بينهما ولا تفضيل جبريل على النبي ثم انك اذا أمعنت النظر وقفت على أن اجراء
تلك الصفات على جبريل فى هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم
بلغ من علو المنزلة عند الله تعالى بجعل السفر بينه وبينه تعالى مثل هذا الملك المقرب فهذه الصفات التى
لجبريل رفع منزلة له صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالأفق المبين) أى وبالله لقد رأى رسول الله جبريل
عليهما الصلاة والسلام بمطلع الشمس الاعلى على صورته التى خلق عليها (وما هو على الغيب بضنين)
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالظاء المشاة أى وما محمد دعيتهم فى القرآن بل هو ثقة فيما يؤدى عن
الله تعالى وقرأ الباقون بالضاد أى وما محمد بخيل بالقرآن بل يخبر بما فى القرآن من أخبار الغيب
ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا (وما هو بقول شيطان رجيم) أى وما القرآن
بقول مسترق للسمع امره مى فيلقيه على محمد وهذا نفي لقول أهل مكة ان هذا القرآن يلقى به شيطان
فيلقيه على لسان محمد وأنه كهانة ومحرر (فأين تذهبون) أى فن أى طريق تسلكون فى انكاركم
القرآن أمن نسبته للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهذا الاستضلال لهم كما يقال لتارك الحادة
اعتسافاً أين تذهب (ان هو الاذ كر للعالمين) أى ما القرآن الا عظة للانس والجن (لمن شاء منكم أن
يستقيم) أى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب فان القرآن اغما ينتفع به من شاء

أن يستقيم (وماتشؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أى إلا أن يشاء الله أن يعطيه تلك المشيئة ففعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الارادة فافعال العباد في طرفي ثبوتها وانتقامها موقوفة على مشيئة الله

(سورة الانعام مكية تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت) أى انشقت لنزول الملائكة (واذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت متفرقة على وجه الارض (واذا البحار فجرت) أى فقع بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وصارت البحار ببحر واحد وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف أى تجاوز بعضها الى بعض وقرأ مجاهد أيضاً والربيع بن خيثم والزعفراني والثوري فجرت مبنياً للفعول ومخففاً أى غير بعضها ببعض لزوال البرزخ (واذا القبور بعثرت) أى قلب أسفلها أعلاها واخرج ما فيها من الموتى احياء (علمت نفس ما قدمت) أى أدت من طاعة (وأخرت) أى ضيعت وذلك عند نشر الصحف (يا أيها الانسان ما غرك ربك الكبريم) أى ما الذى خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات وقرأ أسعدي بن جبير والاعمش ما غرك ربك أى غررك ربك بما عفا فاحتمل أن تكون ما استغفها مية وأن تكون تهجية أى أى شئ جعلك آمناً من عقاب ربك أو شئ عظيم يتعجب منه أدخلك في غرة أى أمن من العذاب (الذى خلقك) نسمة من نطفة (فسؤال) أى جعلك سالم الأعضاء مهياً لمنافعها (فعدلك) وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بتخفيف الدال أى عدل بعض أعضاءك ببعض حتى اعتدلت كما قاله أبو علي الفارسي أو فصرفك الى أى صورة شاء وقرأ الباقر بالتشديد أى صيرك متناسب الأعضاء فلم يجعل احدي اليدين أطول ولا احدي العينين أوسع وقال عطاء عن ابن عباس أى جعلك معتدل القامة حسن الصورة لا كالبهيمة المتخنية (في أى صورة ما شاء ركبك) وما زائدة وشاء صفة لصورة وركبك بيان لقوله تعالى فعدلك أى وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وأنوثة (كلا) أى ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وانكم لا ترتدعون عن ذلك (ال تكذبون) يامعشر قريش (بالدين) أى بالجزاء على الاعمال (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون أى تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا الحافظين لاعمالكم (كراما) عندنا (كاتبين) لهذه الاعمال في الصحف كما تكتب الشهود منكم العهود ليقع الجزاء على غاية التقويم (يعلمون ما تفعلون) من الافعال قليلاً وكثيراً ويضبطونه نقيراً وقطيراً التجار وابدلك (اب الابرار) أى الصادقين في ايمانهم (لن نعيم) أى لنى الجنة دائم نعيمها (وان الفجار) أى الكافرين المكذبين بيوم الدين (لن جهنم) أى فى نار عظيمة (يصلونها) أى يدخلونها (يوم الدين) أى يوم الحساب (وما هم عنها بغائبين) طرفه عين حتى قبل الدحول فيها فانهم يجدون سمومها في قبورهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرة النيران (وما أدرألك ما يوم الدين ثم ما أدرألك ما يوم الدين) أى أى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة جعلك داراً ما يوم الدين وما الاستغفامية خبر ليوم الدين فان مدار الافادة هو الخبر (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً) قرأ ابن كثير وأبو عمر ورفيع يوم وقرأ أبو عمر وفى رواية يوم مرفوعاً منونا على جعل الجملة بعده نعتاله والعامد محذوف أى لا تملك فيه رقرأ الباقر يوم بالغتج وهو أما فتحة اعراب

بأضمار إذ كرا أو فتحة بناء وانما بنى لاضافته للفعل وان كان معربا على رأى الكوفيين ويكون خبر المبتدأ
مضمر وقال أبو علي ان اليوم لما جرى في أكثر الامر ظرفا تركه على حالة الأكثرية وما يقوى النصب قوله
تعالى وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله تعالى يسألون أيان يوم الدين يومهم على النار يفتنون
قال الواحدي والمعنى ان الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم أحدا شيئا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا
(والامر يومئذ) قال الواسطي قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا إشارة الى فناء غير الله تعالى وهناك
تذهب الرسالات والكلمات وقوله والامر يومئذ إشارة الى أن البقاء لله والامر كذلك في الازل وفي
اليوم وفي الآخرة ولم يتغير من حال الى حال فالتفاوت هاتئنا الى أحوال الناظر لا الى أحوال المنظور اليه
فالكاملون لا تتفاوت أحوالهم بحسب تفاوت الاوقات

﴿سورة التطهيف وتسمى سورة المطهفين نزلت بين مكة والمدينة في مهاجرة
صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاستتمت بالمدينة وهي ست وثلاثون
آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وسبع مائة وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين) أي شدة العذاب للناقصين في المكيال والميزان بالشئ القليل
على سبيل الخفية روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلا
فنزلات هذه الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفراء فهم أوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال قوم قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف بأب جهينة واسمه عمر وكان له صاعان يأخذوا احد
ويعطى بآخر فنزلت (الذين اذا اكلوا من الثمرات استوفون) أي اذا اكلوا من الثمرات استوفوا من الناس مكيلهم
بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيوا وافر حسب ما أرادوا بأي وجهه تيسر من وجوه الحيل وكلوا يفعلونه
بكيس المكيل وتحريك المكيال والاحتياال في ملئه (واذا كالوا هم أو وزنوا هم يخسرون) أي واذا
كالوا مكيلهم أو وزنوا هم للبيع ونحوه ينقصون في الكيل والوزن ويروى عن عيسى بن عمر وحمة
أنهما كانا يجعلان الضميرين توكيدا لما في كالوا وزنوا ويقان عندا راوين وقيفة يمينان بهما ما أرادوا
أي اذا كالوا هم لغيرهم أو وزنوا هم لغيرهم ينقصون واثبات الالف قبل هم لولم يكن معتادا في زمان
الصحابه لمنع من اثباتها في سائر الاعصار (ألا يظن أولئك) أي ألا يوقن أولئك المطففون بالكيل
والوزن (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) أي شديد هوله (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين)
أي لحكمهم روى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم أحدكم في رشفه الى أنصاف أذنيه
وقرى يوم بالنصب والجرف بالنصب منصوب بقوله تعالى مبعوثون أو بأضمار أعني والجرف بدل من يوم عظيم
أو هو حالة النصب مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين فهو مرفوع
المحل خبر المبتدأ مضمر أو مجرور والمحل بدلا من يوم عظيم ويؤيده القراءة بالرفع والجرف (كلا) أي ارتدعوا
عن التطهيف والغفلة عن ذكر البعث وعلى هذا المعنى يوقف على كلا أو كان بمعنى حقا فلا يوقف عليه
وكذا جميع ما يأتي من كلا في هذه السورة (ان كتاب الفجار في محجين) أي ان كتابة أعمال الكفار
لني محجين وهو موضع في الارض السابعة السفلى (وما أدراك ما محجين) وهذا تعظيم لامر محجين
(كتاب مرفوع) أي ان كتاب الفجار كتاب معلم فيعلم من رآه انه لا خير فيه (ويل يومئذ للكاذبين
الذين يكذبون بيوم الدين) أي الجزاء (وما يكذب به) أي بذلك اليوم (الكل معتد) أي متجاوز عن

المنهج الحق (أنهم) أي مبالغ في ارتكاب الانتم (إذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير
 الأولين) أي هذه أخبار الأولين فان محمداً أخذ عنهم لا من الله تعالى فيذكر النبوة (كلا) أي حقاً
 (بل رآن على قلوبهم) ما كانوا يكسبون) أي ليس الأمر كما يقوله الكافر من أن ذلك أساطير الأولين بل
 غطى على قلوبهم أفعالهم الماضية من الكفر والمعاصي قال صلى الله عليه وسلم إن العبد كلما أذنب ذنباً
 حصل في قلبه نسكنة سوداء حتى يسود قلبه (كلا) أي حقاً يا محمد (أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي
 أن المكذبين بيوم الدين لمذوعون يوم القيامة عن النظر إلى ربهم والمؤمنون لا يحجبون عن النظر إلى ربهم
 (ثم إنهم لصالوا بالحجم) أي لدخلوا النار العظيمة (ثم) إذا دخلوها (يقال) لهم من جهة الزبانية (هذا
 الذي كنتم به تكذبون) أي هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا والآن قد عاينتموه فذوقوه
 (كلا) أي لا تكذبوا البعث وكتاب الله أوحى (أن كتاب الأبرار لي عليين) أي أن كتابة أعمال
 الصادقين في أيانهم لي عليين (وما أدراك ما عليون) وهذا تنبيه له صلى الله عليه وسلم على أنه معلوم له
 (كتاب مرقوم) أي أن كتاب أعمالهم موضوع في عليين مكتوب في لوح من زبرجد أخضر معلق تحت عرش
 الرحمن (يشهده المقربون) أي يشهد الملائكة المقربون ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين كرامة للأبرار
 أو يشهدون بما فيه يوم القيامة لتعظيمه (أن الأبرار لي نعيم) أي في جنة دائمة نعيمها (على الأرائك)
 أي الأسرة في المجال (ينظرون) إلى ما شاؤا من أعيانهم اليه من أنواع النعيم والعذاب للكفار
 (تعرف) يا من يتأتى منك المعرفة (في وجوههم) منضرة النعيم) أي منحة التمتع وروقة من النور
 والضحك وقرأ أبو جعفر وابن أبي اسحق وشيبة وطهمة ويعقوب والزعفراني تعرف منبياً للأفعول ورفع
 نضرة وعلى بن زيد كذلك إلا أنه قرأ يعرف بالياء التحتية (يسقون من رحيق) أي شراب خالص
 (مختوم) أي يختتم رأس قارورة ذلك الرحيق أوله ختام أي عاقبة (ختامة مسك) أي الذي يختتم به
 رأس الأنا هو المسك أو عاقبته المسك أي يختتم به راحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء بعد الألف
 وروى عنه أيضاً كسر التاء والمعنى خاتم راحة ذلك الشراب مسك (وفي ذلك) أي الرحيق (فليه تنافس
 المتنافسون) أي فليمرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أي وما يمزج
 به ذلك الرحيق من ماء تسنيم سميت هذه العين بالتسنيم لأنها أرفع شراب في الجنة أو لأنها تأتيهم من فوق
 (عينا يشرب بها المقربون) وهم أفضل أهل الجنة كما أن التسنيم هو أفضل أنهار الجنة قال ابن عباس
 أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم لأنه يشربه المقربون صرفاً ويمزج لأصحاب اليمين (الذين
 أجزوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أي أن أكبر المشركين كذب جهل والوليد بن المغيرة والعاص
 ابن وائل السهمي كانوا يضحكون من أجل فقراء المؤمنين كعمار وصهيب وبلال وخباب (وإذا مروا
 أي فقراء المؤمنين يأنون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (هم) أي بالمشركين وهم في أدبيتهم
 (يتغاضون) أي يشيرون إليهم باللعين استهزاء ويعيبونهم ويقولون انظروا إلى هؤلاء يتعجبون
 أنفسهم ويحرمونها لذاتها ويخاطرون بأنفسهم في طلب ثواب لا يتيقونه قيل جاء علي بن أبي طالب في
 نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغاضوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الأصلح
 فضحكوا منه فنزلت هذه الآية قبل أن يصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإذا انقلبوا إلى
 أهلهم انقلبوا فكهين) أي وإذا رجع الكفار من مجالسهم إلى أهلهم رجعوا بكهين بسا هم عليه من
 الشرك والتهم بالدنيا أو ملتزين بذكر المسلمين بالسوء وقرأ عاصم في رواية حفص عنه فكهين بغير

ألف في هذا الموضع وحده والباقيون بالالف (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوهم عليهم حافطين) أى واذا رأى المجرمون المؤمنين أينما كانوا قالوا ان هؤلاء المؤمنين على ضلال في تركهم التمتع الحاضر بسبب طاب ثواب لا يدري هل له وجود أم لا والحال ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم أحوالهم بل اغماصوا باصلاح أنفسهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أى في يوم القيامة يضحك المؤمنون على الكفار حين يرؤهم مغلولين ذلاء (على الارائك ينظرون) وهذا حال من فاعل يضحك كون أى يضحك المؤمنون على الكفار ناظرين حال كونهم على سرر الحجال اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) وهذا على سبيل التهكم والمعنى كأنه تعالى يقول للمؤمنين هل جازينا الكفار على عملهم الذى كان من من جملته ضحككم بكم واستهزاؤهم بشريعتكم كما جازيناكم على أعمالكم الصالحة فيكون هذا القول زائدا في سرورهم

﴿سورة الانشقاق مكية خمس وعشرون آية ومائة وتسع

كلمات وسبع مائة وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت) من المجرة بالغمام والمجرة هي البياض المعترض في السماء (وأذنت لربها) أى انقادت لتأثير قدرته (وحقت) أى وهي حقيقة بأن تنقاد (واذا الارض مدت) مد الاديم العكاظمى وزيدت في سعتها (وألقت ما فيها) أى رمت بما في جوفها من الموتى والكنوز (وتخلت) أى وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شيء (وأذنت لربها) أى انقادت له في الالتقاء والتخلي (وحقت) أى وهي حقيقة بذلك وقوله تعالى وأذنت لربها يدل على نفوذ القدرة في شق السماء وبسط الارض واخلاها ما فيها من غير عانعة أصلا وجواب اذا محذوف تقديره علمت نفس عملها أوليذهب الوهم الى كل شيء وان جعلت غير شرطية فهو منصوب باذ كرمقدرا (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلاقه) أى يا ابن آدم انك متعب النفس في العمل في دنياك تعباً حتى ترجع به الى ربك في الآخرة فلاق ذلك العمل خيرا كان أو شرا في الكتاب الذى فيه بيانه (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا) أى فأما من أعطى كتاب عمله الذى كتبه الملائكة بيمينه من أمامه فسوف يحاسب حسابا هينا وهو العرض ويرجع الى عشيره المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابي (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا) أى وأما من أعطى كتاب عمله بشماله من وراء ظهره فسوف يتمنى الهلاك ويناديه بقوله يا ثبوراه تعال وهذا أو انك (ويصلي سعيرا) أى ويدخل ناراً وقوداً وقرأ أبو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتحفيف اللام وقيل قرأ عاصم وحزمة وأبو عمرو وبضم الياء وسكون الصاد والباقيون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام (انه كان في أهله) أى فيما بين عشيرته في الدنيا (مسرورا) بما هو عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك عن آمن بالله وصدق بالحساب وقدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا مجنون المؤمن وجنة الكافر (انه ظن أن لن يحور) أى انه ظن انه لن يرجع في الآخرة الى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتمتع (بلى) ان الله تعالى يبذل سروره بغير ما ينقطع وتنعمه ببدل لا يزول (ان ربه كان به بصيرا) أى ان ربه كان عالما بما يعمل من الكفر والمعاصي فلم يمهله بأن لا يعاقبه على سوء

أعماله وقيل نزلت هاتان الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود (فلا أقسم بالشفق) وهو حمرة المغرب بعد غروب الشمس وهي الأثر الباقي في الأفق من الشمس والغاء في جواب شرط مقدر ولا زائدة أونفي وهو رد لكلام قبل القسم أي إذا عرفت هذا فلا تظن عدم الرجوع إلى الله في الآخرة (والليل وما دسق) أي جمع فإذا ستر الليل بظلمته الجبال والبحار والأشجار والحيوانات فقد جمعها وحملها (والقمر إذا تسق) أي تكامل وذلك في ثلاث ليال ليلة ثلاثة عشر وليلة أربعة عشر وليلة خمسة عشر (لتركن طبقا عن طبق) أي لتحولن يا أيها الإنسان حالا بعد حال وذلك من حين خلقهم الله إلى أن يموتوا ومن حين موتهم إلى أن يدخلوا الجنة أو النار وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بفتح الباء الموحدة على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان والمعنى تكلم بالجنس في قراءة العامة أو على خطاب الرسول والمعنى لتصعدن يا أشرف الرسل طبقا يجاوز الطبق في ليلة المعراج أي من سماء إلى سماء أو لتركن حال ظفر وغلبة بعد حال خوف وشدة وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس أي لتركن أيها النفس طريقة أمة من الناس بعد أمة وقرئ ليركن بالياء على المغايبة وفتح الباء أي ليركن هذا المكذب بيوم الدين حالا بعد حال من حين يموت إلى أن يدخل النار (فألم لا يؤمنون) أي إذا كان حالهم كما ذكر فأى شيء ثبت لكفار مكة حال كونهم غير مؤمنين ويقال فأى شيء لبني عبد ياليل النقي يمنعهم من الإيمان وكانوا ثلاثة مسعود وجيب وربيعة فأسلم منهم بعد ذلك جيب وربيعة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أي لا يخضعون بأن يؤمنوا به ولا يسجدون لتلاوته عند آيات مخصوصة روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ذات يوم راعمجا واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقرئش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فزلات هذه الآية واحتج أبو حنيفة بهذه على وجوب السجدة وعن الحسن هي غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بأحوال القيامة ولذلك لا يخضعون عند تلاوته أما للسجد وأما لتقليد الأسلاف وأما لخوف فوت مناصب الدنيا ومنافعها (والله أعلم بما يعنون) أي بما يضمرون في قلوبهم من التكذيب فهو مجازيم عليهم في الدنيا والآخرة (فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي أخبر يا أشرف الخلق لمن لا يؤمن بعذاب مؤلم إلا لمن تاب منهم (ألم أجبر غيرهم) أي غير منقوص ولا مكدر ولا مقطوع ويقال غير منقوص حسنتهم بعد الهزم والموت

﴿سورة البروج مكية ثنتان وعشر ون آية ومائة وتسع كلمات﴾

وأربع مائة وثمانية وخمسون حرفا ﴿﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج) أي ذات المحال الاثني عشر والطرق التي تسير فيها الكواكب السبعة (واليوم الموعود) وهو يوم القيامة فإن الله تعالى وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه (وشاهد ومشهود) فالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب (قتل أصحاب الأخدود) وهذا دليل جواب قسم محذوف والتقدير أقسم بهذه الأشياء أن كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود وقيل إن الجواب قوله تعالى إن بطش ربك لشديد والأخدود شق مستطيل في الأرض كالنهر وذكر أن طوله أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وأصحاب الأخدود هم أناس كانوا يمدارع اليمن كما قاله قتادة عن علي أو هم الحبشة كما قاله الحسن عن علي أيضا (النار ذات الوقود) من النفط والزفت والخطب وقرئ بضم الواو بمعنى الاتقاد وقوله

النار بدل اشتعال من الاخذود ثم ان اصحاب الاخذود اما الجبابرة الذين قتلوا المؤمنين فحيث ان قوله تعالى قتل اصحاب الاخذود اما خبر فالمعنى ان اولئك القاتلين قتلوا بالنار على القول بان الجبابرة انما ارادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم فهم في تلك الحالة كانوا ملعونين فالمعنى انهم خسروا الدنيا والآخرة اودعاهم اعداءهم اي لعن اصحاب الاخذود واما المؤمنون المقتولون بالاحراق بالنار فيكون قوله تعالى لعن اصحاب الاخذود خبر الادعاء (اذهم عليها قعود) ظرف لقتل اي لعنوا حين كانوا جالسين على شفير النار يعذبون المؤمنين فان النار ارتفعت اليهم فهل كانوا او يقال لعنوا اذ المؤمنون مطروحون على النار (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) اي وهؤلاء الكفار ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق بالنار حضور لم تحصل في قلوبهم شفقة ولا رافة لغاية قسوة قلوبهم والوقف هنا تام ان جعل جواب القسم قتل اصحاب الاخذود بتقدير لقد وجاز لطول الكلام ان جعل جواب القسم ان بطش ربك لشديد روى مسلم عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان لملك ايمن قبلكم ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما ليعلمه وكان في ساولك طريقه راهب فسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر من بال راهب فقعده اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فمسي ذلك الى الراهب فعمل اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر ثم رأى الغلام في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فقوني على قتل هذه الحية بواسطة رمي الحجر اليها ثم رمى الحجر فقتلها ومضى الناس فاشتغل بطريقه الراهب ثم صار الى حيث يبرى الآكله والابرص ويدأوى الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك وكان قد عمى فأتاه بهذا يا كثرة فقال هذا لك ان شفيتني فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله تعالى فان آمنتم بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربى قال أولك رب غيرى قال رب وربك الله فغضب فلم يرل يعذبه حتى دل على الغلام فجى بالغلام فلم يرل يعذبه حتى دل على الراهب فاحضر الراهب فقال له ارجع عن دينك فأبى فقد بال منشار من مفرق رأسه حتى وقع شقاه ثم جى بجليس الملك فقال له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جى بالغلام فقال له ارجع عن دينك فأبى فقال لاصحابه اذهبوا به فاصعدوا به الجبل فاذا بلغت ذروته فاطرحوه ان لم يرجع عن دينه فذهبوا به وصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم عيا شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ونجا ومشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فقال لاصحابه اذهبوا به الى البحر فاحملوه في قرقورة فتوسطوا به البحر فاخذفوه ان لم يرجع عن دينه فذهبوا به فلججوا به ليمرقوه فقال اللهم اكفنيهم عيا شئت فانكفأت بهم السفينة فقرقوا ونجا ومشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهم من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به ففعل الملك ذلك فرماه بالسهم فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمناب هذا الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذره فأمر بأخايد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فن لم يرجع منهم عن دينه طرح فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتعاسست أن تقع فيها فقال الصبي يا أماء اصبرى فانك على الحق فاقحمت وعن ابن عباس قال كان بنجران بلدا يمين ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرجيل في

الفترة قبل أن يولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان
 أبوه سلمه إلى معلم يعلمه السحر فذكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يتردد إلى المعلم وكان في طريقه
 راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك ففقد إليه ومعه كلامه ذاهبا وراجعا فدعا الناس إلى دين عيسى عليه
 السلام فأجابوه فسار إليه ذونواس اليهودي بجنود من حمير فخبره بين النار واليهودية فأبى إلى أن قال
 الغلام للملك أنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول قال فكيف أقتلك قال تجمع أهل مملكته وأنت
 على سريرك فترميني بسهم على اسم الهى ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا اله عبد الله بن تامر لادين
 الا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وجعله أخدودا وملاء ناراً فمن رجع عن الاسلام
 تركه ومن قال ديني دين عبد الله بن تامر ألقاه في الاخدود وأحرقه وكان في مملكته امرأة فأسلمت ولها
 أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والالقيته وأولادك في النار فأبى فأخذ
 ابنها الأكبر فألقاه في النار ثم قال لها ارجعي فأبى فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهدمت المرأة بالرجوع
 فقال لها الصبي يا أماء لا ترجعي عن الاسلام فأنك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبي في النار وألقيت
 أمه عقبه وعن وهب بن منبه أحرق منهم اثني عشر ألفا في الاخدود ثم غلب ارباط على اليمن فخرج ذونواس
 هاربا واقتحم البحر بغرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر أن خربة احترقت في زمن عمر
 فوجدوا عبد الله بن تامر واضعاً يده على ضربة في رأسه إذا أميظت يده عنها أنبعث دما وإذا تركت
 رجعت إلى مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه
 وروى عن علي أنه قال حين اختلفوا في أحكام المجوس هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت
 الحمر قد أحلت لهم فقتلوا لها بعض ملوكهم فسكرو فوقع على أخته فلما صعدوا رطب المخرج فقالت له المخرج
 أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله تعالى قد أحل لكم نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول
 إن الله قد حرّمه فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت أبسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت أبسط فيهم
 السيف ففعل فلم يقبلوا فأمرته بالاخذ يدوا يقاد النيران بطرح من أبي فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى
 بقوله تعالى قتل أصحاب الاخدود (وما نعلموا منهم إلا أن يؤمنوا) أي وما عابوا من المؤمنين إلا إيمانهم
 (بالله العزيز) أي القادر الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يدفع (الحديد) أي الذي يستحق الثناء على
 ألسنة عباده المؤمنين (الذي له ملك السموات والارض) وخزائن المطر والنبات (والله على كل شيء
 شهيد) وهذا وعد عظيم للطيعين ووعيد شديد للعجمين (ان الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات) أي
 ان الذين أحرقوهم بالنار كما فاه ابن عباس ومقاتل أو ان الذين محنوه في دينهم بالاذية والتعذيب ليرجعوا
 عنه (ثم لم يتوبوا) عن كفرهم وقتلتهم (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) أي فلهم في الآخرة
 عذاب بسبب كفرهم وعذاب زائد على عذاب الكفر بسبب احراق المؤمنين بالنار أو عذاب برد وعذاب
 احراق (ولهم في الآخرة عذاب جهنم وفي الدنيا عذاب الحريق) حيث ارتفعت عليهم نار الاخدود فاحترقوا
 بها وكان هؤلاء قوم من نجران وقيل من أهل الموصل وكان ملكهم يسمى يوسف ويقال له ذو
 نواس (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب الايمان والعمل
 الصالح لهم (جنات تجري من تحتها الانهار) يتلذذون ببردها ويرزول عنهم برؤية ذلك مع رؤية
 الاشجار جميع الاضواء والمضار (ذلك) أي حيازتهم للجنات (الفوز الكبير) وهو رضا الله تعالى
 (ان يطمس ربك) أي ان اخذه بالعذاب لمن لا يؤمن به (لشديد انه هو يبدى ويعيد) أي انه

تعالى يخلق خلقه ثم يغنيهم ثم يعيدهم أحياء ليجازيهم في القيامة فذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل
الاهمال ومن كان قادرا على الابداع والاعادة كان بطشه في غاية الشدة (وهو الغفور) لمن تاب من
الكفر (الودود) أي المحب لمن أطاع (ذوالعرش) أي خالقه ومالكه وقرئ ذى العرش على أنه
صف لربك (المجيد) قرأ حمزة والكسائي بالجر على أنه صفة لا مرش أول ربك والباقون بالرفع على أنه خبر
بعد خبر قال العلماء ان مجد الله عظمت بحسب الوجود الذاتي وكمال القدرة والعلم والحكمة ومجد العرش
علوه في الجهة وعظمة مقداره وحسن صورته وتركيبه (فعال لما يريد) يدخل أولياء الجنة لا يمنعهم
منه مانع ويدخل أعداء النار لا ينصرهم منه ناصر ويعمل العصاة على ما يشاء الى أن يجازيهم ويعاجل
بعضهم بالعقوبة اذا شاء ويعذب منهم من شاء منهم في الدنيا وفي الآخرة يفعل من هذه الاشياء ومن غيرها
ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب قال الرازي فعال خبر مبتدأ محذوف وقال
الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لا عراب الغفور والودود (هل أتاك حديث الجنود
فرعون وثمود) أي قد أتاك يا أشرف الرسل خبر الجموع فرعون وثمود وعرفت ما فعلوا من الكفر
والضلال وما فعل بهم من العذاب والنكال فانذر قومك أن يصبهم مثل ما أصاب أمثالهم وفرعون وثمود
يدل من الجنود فذكر الله تعالى من المتقدمين ثمود ومن المتأخرين فرعون لأن ثمود كانوا في بلاد العرب
وقصتهم عندهم مشهورة وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم فدل بهما على أمثالهما
(بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط) أي ليست جنابة قومك مجرد عدم الاعتاظ عما سمعوا
من حديث أولئك بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك في أنه قرآن من عند الله تعالى
مع ظهور حاله بالبينات الباهرة والحال أن الله تعالى قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على
تكذيبهم بالقرآن والنبوة وهم في قبضته تعالى كالحائط اذا احيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد
مهربا (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) أي ليس الامر كما قالوا بل هذا القرآن الذي يقرؤه محمد كتاب
شريف على الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى مكتوب في لوح محفوظ من وصول الشياطين
اليه ومن التحريف وقرآن نافع محفوظ بالرفع على أنه نعت لقرآن والباقون بالجر على أنه نعت للوح وقرئ
قرآن مجيد بالاضافة أي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر وابن السميقيع في لوح بضم اللام وهو الهواء
الذي فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح بفتح اللام وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا اله الا الله
وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسوله أدخله الجنة وكونه
محفوظا أما محفوظ عن أن يمسه الا المطهرون أو عن اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين أو عن
أن يجري عليه تغيير وتبديل فلما حكم فيه بسعادة قوم وشقاوة قوم وبتأذي قوم من قوم امتنع تغييره
وتبدله فوجب الرضا به

﴿سورة الطارق مكية سبع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة﴾

ومائتان واحد وسبعون حرفا ﴿﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق) أي الظاهر في الليل (وما أدراك ما الطارق) أي وأي
شيء أعلمك يا أشرف الرسل ما الطارق قال سفيان ابن عيينة كل شيء في القرآن ما أدراك فقد أخبر الله
الرسول به وكل شيء فيه وما يدريك لم يخبر به (النجم الثاقب) خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع

جوابا عن استفهام أى هو النجم المضيئ في الغاية كانه يشق الافلاك بضوئه وينفذ فيها قسيل هو النجم الذي يقال له كوكب الصبح وهو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر ويوقف به على أوقات الامطار أو هو جنس الشهب الذي يرجم بها ووصف النجم بكونه طارقا لانه يبدو بالليل أولانه يطرق الجنى أى يصكه وقال محمد بن الحسين والفراء انه زحل لانه يشق بنوره هلك سبع سموات وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس هو الجدى وقال علي هو نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وقال آخرون انه الشهاب التي يرجم بها الشياطين لقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب وروى أن أبا طالب أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبروا به فبينما هو جالس يأكل اذا منحن نجم فامتلات الارض نو رافزع أبو طالب وقال أى شئ هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فحجب أبو طالب فنزلت هذه السورة (ان كل نفس لما عليها حافظ) وهذا جواب للقسم وان نافية ولما عني الا أى ما كل نفس الا عليها رقيب وهو الله تعالى وهذا بالتشديد على قراءة عاصم وحزرة وابن عامر والنخعي أما على قراءة ابن كثير وأبي عمر ونافع والكسائي وهي بتخفيف الميم فان محفظة من الثقيلة واللام في لما محصلة من ان النافية وما صلة أى ان الشان كل نفس برة أو فاجرة لعلها من يحصى عليها ما تكسب من خير وشر وهم الملائكة (فلينظر الانسان) أبو طالب وغيره (مخلق) أى من أى شئ خلق نفسه (خلق من ماء دافق) وهو استثناف وقع جوابا عن استفهام أى خلق الانسان من ماء ذى سيلان بسرعة في رحم المرأة (يخرج من بين الصلب والترائب) أى من صلب ماء الرجل ومن عظام صدر المرأة وقال الحسن يخرج من صلب الرجل وترائبه ومن صلب المرأة وترائبها وحكى القرطبي أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع في الانثيين (انه على رجعه لقادر) أى ان الذى خلق الانسان ابتداء قادر على رده حيا بعد موته (يوم تبلى السرائر) أى يوم تظهر ما أخفى من الاعمار وما أمر في القلوب من العقائد والنيات وهو يوم القيامة قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه هذا ان أريد برجعه نشر الانسان يوم القيامة فيوم ظرف لرجعه فلا يوقف على قوله تعالى لغادروا ان ريد برجعه رد الماء الى الاحليل كما قاله بجاهد أو الى الصلب كما قاله عكرمة والضحاك أو رد الانسان ماء كما كان قبل كما قاله الضحاك أيضا فيوم منصوب بغير أى واذا كر يوم فالوقف على لغادر كاف كالوقف على السرائر الا اذا جاز يناء على قول الرازي ان يوم منصوب بقوله فانه من قوة فلا وقف على السرائر (فانه من قوة ولا ناصر) أى فاللانسان شئ من قوة يدفع به عن نفسه ما جاء من عذاب الله ولا أحد من الانتصار ينصره في دفعه (والسماء ذات الرجوع) أى ذات المطر بعد المطر حيننا بعد حين (والارض ذات الصدع) أى ذات النبات لان الارض تنصدع بالنبات كما قاله الليث (انه لقول فصل) أى ان ما أخبرتكم به من قدرتي على احياائكم في اليوم الذى تبلى سرائر كم فيه لقول حق (وما هو بالهزل) أى ليس ذلك الخبر بالباطل وهذا كما قاله القفال لكن أكثر المفسرين قالوا أى ان القرآن الذى أخبركم به سد أحوال الانسان ومعاد له لقول مبين حق وقاطع شر وليس في شئ منه لعب بل كله جد محض فن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة (انهم يكيدون كيدا) أى ان أهل مكة يكررون في ابطال أمر القرآن واطفائه نوره (وأكيد كيدا) أى أقابلهم بكيد قوى لا يمكن رده حيث أمهلهم على كفرهم حتى أخذهم على غرة (فهل الكافرين) أى

لا تستجمل يا أشرف الخلق بالدعاء عليهم باهلاكم (أمهلهم وريدا) أي أمهلهم على مهلة قريبة إلى يوم القيامة أو أمهلهم أمهالا قليلا إلى يوم يبدفرو يدا أم مصدره مؤكدا معنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف

﴿سورة الاعلى مكية تسع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة
وامثان وأربعة وعشرون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه ربك الاعلى) أي نزه اسم الله تعالى عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائفة وعن إطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه فلا يجوز تفسير أسمائه تعالى بما لا يصح ثبوته في حقه تعالى نحو أن يفسر الاعلى بالعلو في المكارة والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار والاستواء بالاستيلاء ولا يجوز أن يذكر العبد ربه إلا بالأسماء التي ورد الالذ بها من الشرع قال الواحدى معنى سبحانه اسم ربك أي نزه الاسم من السوء ومعنى سبحانه اسم ربك نزه الله تعالى بذكر اسمه الدال على تنزيهه تعالى وعلوه عما يقول المبطلون ومعنى الاعلى أن جلال كبريائه أعلى من معارفنا وأدراكنا وأصناف آلائه ونعمائه أعلا من حمدنا وشكرنا وأنواع حقوقه أعلى من طاعاتنا وأعمالنا قرأ على وابن عمر سبحانه ربك الاعلى (الذى خلق فسوى) أى الذى خلق كل ذى روح فكمّل خلقه باليسدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (والذى قدر) قرأ الجمهور رمسدا أى أوقع تقديره فى كل شىء فقدر خلقه حسنا أو دميما طويلا أو قصيرا وقدر أرزاقهم وأجالتهم وقرأ الكسافى على التخفيف أى تصرف فى خلقه كيف أراد (فهدى) أى لمنافع الخلق ومصالحه فألهم كيف يأتى الذكر الاثنى ويروى أن الأفعى إذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن تحس عيناها ورق الرأز يأنج فيرد الله إليها بصرها ويروى أن التمساح لا يكون له دبر وإنما يخرج فضلات ما يأكله من فيه حيث قبض الله له طائرا قدر غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فيه ويدخله الطائر فيأكل كل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فيه (والذى أخرج المرى) أى أنبت النبات والزروع وقال ابن عباس أى الكلاء الأخضر (لعله) بعد خضرته (غشاء أحوى) أى درينا أسود بأن ألصق السيل أجزاءه كدورة به فيسود (سنقرئك فلا تنسى) أى نجعلك قارئا للقرآن فتقرؤه فلا تنسا أى أنا شرح صدرك وتقوى خاطر كحتى تحفظ القرآن حفظا لا تنسا قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن أكثر تحريرا لسانه مخافة أن ينسى وكان جبريل لا يقرغ من آخر الوحي فقال تعالى سنقرئك فلا تنسى أى سنعلمك هذا القرآن حتى تحفظه (الا ماشاء الله) أن ينسى النبي شيئا من القرآن وهذا الاستثناء بيان أنه تعالى لو أراد أن يصير النبي ناسيا لذلك لقد ر عليه وبالحيلة ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرفه قدرة الله حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله لا من قوته صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج أى الا ماشاء الله أن ينسى فإنه ينسى ثم يتذكر بعد ذلك فلا ينسى نسيانا كليدا دائما وقال مقاتل الا ماشاء الله أن ينسياه فيكون المعنى الا ماشاء الله أن تنسا على الاوقات كلها فيأمر ك أن لا تقرأ ولا تصلى به فيصير ذلك سببا للنسيان وزواله من الصدور (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى انه تعالى عالم بجهرك فى القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام وعالم بالسرا الذى فى قلبك وهوانك تخاف النسيان فلا تخف فأنأ كفيك ما تخافه (ونيسرك ليسرى) أى توفقك للطريقة اليسرى فى كل باب من باب الدين علما وتعلما واهتداء وهداية (فذكر ان نفعك الذكرى) أى

عظ يا اشرف الرسل الناس بالقرآن واهداهم الى ما فيه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله ان نفعت
الموعظة فالتذكير العام واجب في اول الامر فاما التكرير فاجب عند رجا حصول المقصود فلهذا
المعنى قيد التذكير بهذا الشرط وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين (سيد كر
من يحشى) وهو من قطع بصحة المعاد ومن جوز وجوده بخلاف من اصر على انكاره وقطع بأنه لا يكون
قيل نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وقيل نزلت في ابن أم مكتوم (ويتجنبها الاشقي) أى ويتبعه
عن الموعظة بالقرآن الاشقي وهو المعاند الذى لا يلتفت الى الدعوة ولا يصغي اليها فالفرق ثلاثة العارف
بصحة المعاد والمتوقف فيه والمعاند فالعارف هو السعيد والمتوقف له بعض الشقاء والمعاند هو الاشقي
قيل نزلت هذه الآية في الوليد وعتبة وأبي (الذى يصلى النار الكبرى) أى الذى يدخل الطبقة
السفلى من طبقات النار (ثم) بعد دخوله النار (لا يوت فيها) حتى يستريح (ولا يحشى)
حياة تنفعه (قد أفلح من ترك) أى تطهر من دنس الشرك كما قال ابن عباس أى من قال لا اله
الا الله وقال الزجاج أى من تكلم من التقوى (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصل) فتاب
أعمال المكلف ثلاثة ازالة العقائد الفاسدة عن القلب واستحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته
وأسمائه والاشتغال بخدمته وقال بعضهم أى قد فاز من تصدق بصدقة الفطر قبل خروجه الى
المصلى وكبر الله تعالى ثم صلى صلاة العيدين مع الايمان فأثنى الله من فعل ذلك وان لم يكن في مكة عيدين
ولازكاة فطر لان ذلك في علم الله سيكون (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أى أنتم يا كفار مكة لا تفعلون
ذلك بل أنتم ترضون للذات القانية وتطمثون بها وتعرضون عن الآخرة بالكلية أو أنتم أيها المسلمون
لا تكثرون من التقوى بل تستكثرون من الدنيا الدنية على الاستكثار من الثواب وقرأ أبو عمرو
يؤثرون بالياء أى الانشعقون (والآخرة خير وأبقى) أى والحال ان الآخرة خير في نفسها وأدوم لانها
مستملة على السعادة الجسمانية والروحانية ولذا تمناها الصلة عن الغائلة (ان هذا) أى قوله تعالى قد أفلح
(لنصف الاول) أى لثابت معناه فيها (نصف ابراهيم وموسى)

﴿سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية واثنتان وتسعون

كلمة وثلاثمائة واحد وثمانون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم هل أتاك حديث الغاشية) أى خبر القيامة التى تغشى الناس جميعاً من الاولين
والآخرين بشدائدها هل استفهام أى يديه التعجب عما فى ذلك الحديث والتشويق الى استماعه (وجوه
يومئذ) أى يوم اذ غشيت (خاشعة) أى ذليلة بالعذاب (عاملة) أى ناصبة (أي ذات
تعب فيها) وهى جر السلاسل والاغلال وخوضهم فى النار خوض الابل فى الوحل وصعودهم فى تلال النار
وهبوطهم فى وادها وهم الرهبان وأصحاب اصوام كما قاله ابن عباس أو هم الخوارج كما قاله على (تصلى
ناراً حامية) أى تدخل ناراً متناهية فى الحر وقرأ أبو عمرو وطاعهم بضم التاء الفوقية وقوله تعالى وجوه
مبتدأ وخاشعة وما بعده خبره وقيل خبره تصلى وما قبله صفات لوجوه ولا يوقف قبل الخبر وقرئ عاملة
ناصبية على الشتم (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) وهو
ما يبس من الشبرق وهونبت يكون فى طريق مكة اذا كان رطباً تاكل منه الابل واذا يبس صار كظفار
الهره وهو سم قاتل وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين الآخرين (لا يسمعون ولا يغنى من جوع)

أى غير مسموع وغير مشيع لانه ليس من جنس ضريع الدنيا روى ان كفار قريش قالت ان الضريع
 اتسمن عليه ابلنا فزلت هذه الآية (وجوه يومئذ ناهية) أى ذات حسن وجمال (لسعها راضية) أى
 لثواب عملها الذى عملته فى الدنيا راضية حين رأت ذلك الثواب حتى لا تريد أكثر منه (فى الجنة عالية)
 مكاناً ومنقبة (لا تسمع فيها لاغية) قرأ عاصم وحزمة والكسافى وحفص بفتح التاء ونصب لاغية أى
 لا تسمع أنت يا كرم الرسل أو يا مخاطب أو لا تسمع الوجوه فى الجنة كلمات لغو فانما يتكلمون
 بالحكمة وحمد الله على النعم وقرأ نافع بضم التاء الفوقية ورفع لاغية وقرأ ابن كثير وأبو عمر وبضم الياء
 التحتية ورفع لاغية وقرأ الفضل والمخدري بفتح الياء التحتية ونصب لاغية أى لا يسمع فيها أحد عينا
 لابرة ولا فجرة (فيها عين جارية) أى فى الجنة عين شراب جارية على وجه الأرض فى غير أخذود
 وتجري لهم كما أرادوا (فيها سرر مرفوعة) فى الهواء لا جل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جمع ما أعطاه ربه
 فى الجنة من النعيم والملك قال ابن عباس هى سرر أولوا حها من ذهب متكلمة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة
 فى السماء (وأكواب) أى كيزان (موضوعة) بين أيديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب أو فضة
 أو من جوهر وتلذذهم بالشراب منها (ونعارق) أى وسائد (مصقوفة) بعضها الى جانب بعض أينما
 أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند الى أخرى (وزرابى) أى بسط فآخرة (مبثوثة) أى منشورة
 مفرقة فى المجالس فلما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال كفار مكة اثنتا بآية بأن الله أرسلك اليها
 رسولا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) أى أينسرك كفار مكة البعث ويستبعدون
 وقوعه من قدرة الله فلا ينظرون الى الابل نظراً اعتبار كيف خلقت بشدة قوتها وعجيب هيئتها وصبرها على
 الجوع والعطش واحتمال المداومة على السير (والى السماء كيف رفعت) فوق الأرض بلا عمد ولا
 امساك (والى الجبال كيف نصبت) نصبا رضيعا على الأرض لا يتزلزل (والى الأرض كيف سطحت)
 أى بسطت على الماء وقرئ سطحت مشدداً وقرأ على رضى الله عنه وكرم وجهه خلقت ورفعت ونصبت
 وسطحت على البناء للفاعل وبتاء المتكلم (فذكر) أى فاقصر على التذكير والحمل على النظر
 فى هذه الأدلة (انما أنت مذكر) فلا بأس عليك فى أن لا ينظر وبالاعتبار ولا يتذكر وبالافتكار
 انما عليك البلاغ (لست عليهم بصيطر) أى لست يا أشرف الملق بعتسلط عليهم بان تجبرهم على
 الايمان وقرأ هشام بالسین وحزمة بأشهام الصاد كالزاي والباقون بالصاد الخالصة وقرئ بفتح الطاء (الا
 من تولى وكفر) وفى هذا الاستثناء قولان أحدهما انه استثناء حقيقى وفى هذا احتمالان اما أن يكون
 مستثنى من المفعول أى فذكر عبادى الامن أعرض عن الايمان وكفر بالقرآن فاستحق العذاب الا كبر
 واما أن يكون مستثنى من الضمير فى عليهم أى لست عليهم بصيطر الا على من انقطع طمعك من ايمانه
 وتولى عنك وكفر بالله فان الله القهر وسيأمرك بقتالهم فان جهاد الكفار وقتلهم تسليط فكانه تعالى
 أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وبالعذاب النار فى الآخرة وثانيهما ان هذا الاستثناء منقطع عما قبله والتقدير
 لست بمستول عليهم لكون من تولى منهم فان الله تعالى يعذبه العذاب الا كبر الذى هو عذاب جهنم وعلامة
 كون الاستثناء منقطعاً حسن دخول أن فى المستثنى به واذا كان الاستثناء متصلاً لم يحسن ذلك ألا ترى
 أنك تقول عندى مائتان الادرهما فلا يحسن عليه دخول ان وهيهنا يحسن دخول ان فأنك تقول الا أن
 من تولى وكفر (فيعذبه الله العذاب الا كبر) وسعى العذاب بالا كبر لانه قد بلغ حد عذاب الكفر فان
 ما عدا من عذاب الفسق دونه وقرئ الامن تولى بفتح الهمزة على التنبيه وهذا ما يقوى القول بان

الاستثناء منقطع وفي قراءة ابن مسعود فإنه يعذبه الله (ان الينا يا بهم) أى رجوعهم بالموت والبعث
لا الى أحد سواناقرأ أبو جعفر المدي بتشديد الياء (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر على النقيض والعظيم
لاعلى غيرنا والحساب واجب عليه تعالى بحكم الوعد الذى يتنعم الحلف فيه وفى الحكمة فإنه تعالى لو لم
يتنعم للظالم من الظالم لكان ذلك شبيهاً بكونه تعالى راضياً بذلك الظلم تعالى الله تعالى عنه وذكر تعالى هذه
الآية ليزيل بها عن قلب النبي صلى الله عليه وسلم حزنه على كفرهم

(سورة الفجر مكية تسع وعشرون آية ومائة وتسع
وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم والفجر) وهو صبح النهار أقسم الله به لحصول انتشار الناس وسائر الحيوانات به
فى طلب الرزق فهو مشأ كل لنشور الموتى من قبورهم وفيه عبرة لمن تأمل (وليل عشرين) من أول ذى
الحجة وفى الخبر ما من أيام العمل الصالح فيه أفضل من أيام العشر وذلك لأنها أيام الاشتغال بالجمع فى الجملة
وقرى ولىال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) فالشفع يوم النحر والوتر يوم
عرفة وقدر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بيوم النحر ويوم عرفة وقال أبو بكر الوراق الشفع
صفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والجز والبصر والعمى والحياة والموت والوتر صفات الله تعالى وهى
وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل وقال مقاتل الشفع هو الليل والايام
والوتر هو اليوم الذى لا ليل بعده وهو يوم القيامة وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها
والكسر قراءة الحسن والاعمش وابن عباس وهى لغة تميم والفتح قراءة أهل المدينة وهى لغة حجازية
(والليل اذا يسر) أى يذهب وهى ليلة المزدلفة فإنه يذهب ويحجى فيه الناس وقال مقاتل أى اذا يسر
فى ذلك الليل وهى ليلة المزدلفة وقرأ نافع وأبو عمر ويحذف ياء يسر وقرأوا بآياتها وصلوا وأثبتها ابن كثير فى
الحالين وحذفها الباقر فى الحالين لسقوطها فى خط المصحف الكريم وقرى يسر بالتنوين كما قرى به
والفجر والوتر وهما التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق (هل فى ذلك قسم لذي حجر) أى هل فى
هذه الاشياء المذكورة مقسم به لذي عقل والمراد من هذا الاستفهام التأكيده والتحقيق والمعنى أن من
كان ذالبا علم أن ما أقسم الله تعالى بهذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق
بان يقسم به لدلائله على خالفه وجواب القسم محذوف لدلالة المعنى عليه أى لنجازين كل أحد بما عمل
بدليل تعدد ما فعل بالفرون الحالية فالوقف هنا تام كما قاله أبو حاتم وغيره وقال ابن الانبارى جواب القسم
قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد أى وانما أجازوا الوقف هنا طول الكلام لكن ينبغى حينئذ أن يقال
وقف صالح أو نحوه لا تام الفصل بين القسم وجوابه (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) أى ألم تعلم يا أشرف
الخلق علمائنا كيف أهلك الله قوم هود عند التكذيب (ارم) عطف بيان ابعاد للاعلام بأنهم عاد
الاولى القديعة انا جعلنا ارم اسما للقبيلة بتقدير مضاف أى سبط ارم فارد عاد فان عاد اهاو ابن عوص بن
ارم بن سام بن نوح عليه السلام وان جعلناه اسم البلدة كان التقدير بعاد أهل ارم ويدل عليه قراءة ابن
الزبير بعاد ارم على الاضافة وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين (ذات العماد) أى ذات الاساطين من
ذهب وفضة أى ذات القدود الطوال (التي لم يخلق مثلها) أى مثل تلك المدينة فى الحسن والجمال أو
مثل عاد فى عظم الجثة وشدة القوة (فى البلاد) أى فى جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير ولم يخلق مثلها

بالبناء للفاعل أى لم يخلق الله مثل ارم مدينة شداد روى انه كان لعماد ابناء شداد وشديد قلبا بعده
 وقهر البلادوا لعماد ثم مات شديد وخلص الملك لشداد فلك الدنيا ودانت له الدنيا وكان يحب قراءة الكتب
 القديمة فسمع بذكر الجنة وصفها ودعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله تعالى فبنى مدينة ارم في بعض
 صحارى عدن في ثلاثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد
 والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابه انه خرج
 في طلب ابل له شردت فبينما هو يسير في صحارى عدن اذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن
 وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن
 دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرمعا بالياقوت الاحمر
 فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحدا مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف
 وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأشجار اللؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع
 باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وينادى المسك والزعفران فلما عين ذلك ولم ير
 أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة أشجار مشمرة وتحت تلك الاشجار أنهار تجري ماؤها في
 قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع
 الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بمارأى فبلغ ذلك معاوية فإرسلىه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص
 عليه ما رأى فأرسل معاوية الى كعب الاخبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب
 وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها
 أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض أن يدعوهم بما فى بلادهم
 من الجواهر فخرجت القهارة يسرون فى الارض ليجدوا أرضا موقعة فوققوا على صخرة نقية من التلال
 واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى أمر الملك أن يبنى فيها فوضعوا أساسها من الخزع
 الى ما فى وأقاموا فى بنائها ثلاثمائة سنة وكان عمر شداد تسع مائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا
 فأجعلوا حصنا أى سوراوا جعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من
 وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءهم ألف وزيران يتهموا اللقطة الى ارم ذات العماد وكان الملك وأهله فى
 جهازهم عشرينين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان
 معه صحيفة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيد دخلها رجل من المسلمين فى
 زمانك أحمرا شقرق صير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن
 قلابه فقال هذا والله هو ذلك الرجل (وثمود) أى وكيف أهلك الله قوم صالح ووثود قبيلة مشهورة سميت بأسم
 جد هم ثمود أخ جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا يسكنون الحجر بين الحجاز
 وتبوك يعبدون الاصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أى الذين تبعوا هضرا الجبال فاتخذوا فيها
 بيوتا بوادى القرى وهو موضع بقرب المدينة قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وبنوا ألفا
 وسمعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون ذى الاوتاد) مهى بذلك لانه كان يعذب الناس بهشدهم
 باربعة أوتاد مبطوحين على الارض الى أن يموتوا وقيل لكثرة جنوده وخيامهم التى ينصبونها فى منازلهم
 وقال ابن عباس أى ذى الجنود والعساكر التى تشد ملكه (الذين طغوا فى البلاد) والموصول منصوب
 على الذم أو مرفوع كذلك أى الذين تجبر كل واحد من عاد ووثود وفرعون فى بلادهم على أنبياء الله

والمؤمنين (فأكثر وأفيها الفساد) بالقتل وعبادة الاوثان وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي فأنزل الله أنزالاً شديداً عقب طغيانهم وفسادهم على كل طائفة من أولئك الطوائف جزء عذاب فأهلك عاداً بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق وذكراً لسوط إشارة إلى أن ما أنزله الله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به (إن ربك) يا أشرف الخلق (لبالمرصاد) أي لفي الطريق عليه تعالى عرساثر الخلق كما قاله ابن عباس أي أن إليه المصير كما قاله الغراء وهذا عام للمؤمنين والكافرين (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) أي إذا امتحنه ربه بالنعمة (فأكرمه) بالمال والجاه والولد (ونعمه) أي وسع عليه معيشته (فيعول ربك) أي أكرم من (أي فضلي بما أعطاني) (وأما إذا ابتلاه) أي وأما هو إذا اختبره ربه بالفقر (فقد رعبه) أي فضيق عليه معيشته (فيعول ربك أهان) قوله تعالى فأما الإنسان متصل من حيث المعنى بقوله تعالى إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة التي تنفعه في الآخرة فإنه يراقب أحواله ويجازيه بأعماله خيراً أو شراً في الآخرة فأما الإنسان فلا يريد إلا الدنيا ولذا اتهاقها وجد الراحة في الدنيا يقول ربك أكرمني وإن لم يجدها يقول ربك أهان وأما هنا المجرد التأكيد لا التفصيل المجمل مع التأكيد والإنسان مبتدأ خبره فيقول والظرف وهو إذا منصوب بالخبر لأن الظرف في نية التأخير ودخول الغاء في الخبر لما في أمان من معنى الشرط ومازائدة والفاء في قوله تعالى فأكرمته تفسيرية والوقف في أكرم من مفهوم وفي أهان حسن وقال أبو عمرو والوقف فيهما كاف وقيل تام وقال السكبي إن المراد من الإنسان أبي بن خلف وقال مقاتل وابن جرير نزلت هذه الآية في أمية بن خلف وروى عن ابن عباس أن المراد بالإنسان عتبة بن ربيعة وأبو حذيفة بن المغيرة وقيل أنه كافر جاحد ليوم الجزاء وقرأ نافع أكرم وأهان بآثبات الياء فيهما وصلوا وحذفها وقفوا وقرأهما البرزعي عن ابن كثير بآثباتها في الحالين وعن أبي عمر وإن الحذف في الوصل أعدل والباقيون بالحذف في الحالين وقرأ ابن عامر فقد رعبه رزقه بتشديد الدال أي جعله على مقدار البلغة (كلاً) رد على من ظن ذلك المذكور والمعنى ليس أكرمي بالمال والغنى وأهانني بالفقر وقلة المال ولكن أكرمي بالمعرفة والتوفيق وأهانني بالنسكة والحذلان والوقف هنا حسن وهو أحسن من الوقف على أهان (بل لا تكرمون اليتيم) أي قل يا محمد لهم بل لكم أحوال أشد شراً من ذلك القول وهو أن الله تعالى يكرمكم بكثرة المال فلا تؤذون ما يلزمكم فيه فإنكم لا تحسنون إلى اليتيم ولا تعرفون حقه (ولا تحاضون على طعام المسكين) بحذف إحدى التاءين وهو قراءه الكوفيين أي لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المسكين وقسري ولا تحضو أي لا تأمرون بإطعامه وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء أي لا يحض كل واحد منكم صاحبه وهذا إشارة إلى ترك اليتيم (وتأكلون التراث كلاً) أي وتأكلون تراث اليتيم كلاً جامعاً فإنكم تجتمعون نصيبهم إلى نصيبكم وهذا إشارة إلى دفع اليتيم عن حقه الثابت له في الميراث وأكل ماله (وتحبون المال حباً جماً) أي كثيراً وهذا إشارة إلى أخذ مال اليتيم منه وقرأ أبو عمرو ويكرمون وما بعده بالياء التحتية (كلاً) أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا في الحرص على الدنيا حتى (إذا أنكرت كل شيء على وجه الأرض من جبل أو شجر أو بناء حين زلزلت فلم يبق على ظهوره شيء حتى صارت ملساً) (وجاء ربك) أي جاء ظهوره وقهره أي حصل تجليه تعالى على الخلائق أي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك وظاهر سلطان قهره (والمالك صفاصفاً) أي وتنزل ملائكة كل سماء فيصطفون

صفا بعد صف بحسب مراتبهم محرقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وحي يومئذ يجهم) من مومته بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجبرونهم الى المحشر ويكشف عنها حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها (يومئذ) بدل من اذا دكت (يتذكر الانسان) ما فرط فيه ويتعظ الكافر فيقول يا ليتنا زد ولا نكذب بآيات ربنا وهذا جواب اذا (وأني له الذكري) أي ومن أين له العظة وقد فاته أو أنها (يقول) أي الانسان الكافر (يا ليتني قدمت لحياي) فيا للتعزية أي ليتني قدمت عملا يوجب نجاتي من النار حتى أكون من الاحياء (فيؤمئذ) أي يوم اذ يقول الانسان ذلك (لا يعذب عذابه أحد) أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل تعذيب الكافر (ولا يوثق وثاقه أحد) أي ولا يوثق أحد من الزبانية بالسلاسل والاغلال مثل ايثاق الكافر لتناهيه في كفره وفساده وقرأ الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح الذا والهاء أي لا يعذب أحد مثل عذاب الكافر ولا يوثق أحد بالسلاسل والاغلال مثل وثاق الكافر (يا أيها النفس المطمئنة) ذكر الله وطاعته وقرأ ابن كعب يا أيها النفس الآمنة المطمئنة وهي التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهذه الخاصة قد تحصل عند الموت عند سماع البشارة من الملائكة وتحصل عند البعث وعند دخول الجنة بلا شك أي يقول الله للمؤمن اكرامه أو على لسان ملك يا أيها النفس المطمئنة (ارجعي الى ربك) أي الى ثواب ربك (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (راضية) عند الله عز وجل في الاعمال التي عملتها في الدنيا (فادخلي في عبادي) أي في زمرة عبادي الصالحين المحمدين (وادخلي جنتي) معهم وقرئ فادخلي في عبادي وقرئ في جسد عبدي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث قيل نزلت هذه الآية في حمزة بن عبد المطلب وروى الضحاك انه نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة وقيل نزلت في خبيب بن عبد المطلب الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فعلى الله ان كان لي عندك خير لحول وجهي نحو قبلك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد ان يحونه والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

﴿سورة البلد مكية وهي عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة﴾

وثلاثمائة وعشرون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم لا) قال الاخفش هي مزيدة (أقسم بهذا البلد) وهو مكة (وأنت حل بهذا البلد) أي أنت نازل في هذا البلد وأنت في حل مما صنعت في هذا البلد فان الله فتح مكة عليه صلى الله عليه وسلم وما فتحت على أحد قبله ولا احلت له فأحل صلى الله عليه وسلم فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومفيس بن صبابه وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعرض شجرها ولا يتلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تنحل لقطمها الا لئلا يد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه ليسونا وبقوا زنا ويوتا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر (ووالد وما ولد) فالوالد آدم وما ولد بنوه وقيل كل والد وولده (لقد خلقنا الانسان في كبد) أي في اعتدال القامة أو في تعب فانه لا يزال يقاسى قنونا الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزاعها وما وراءه وليس في هذه الدنيا لذة البتة والذي يظن الانسان أنه لذة فهو خلاص عن الالم وما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص عن ألم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو خلاص عن ألم الحر والبرد فليس

للا نسان الأ لم أو خلاص عن ألم فاذا لا يد بعد هذه الدار من دار أخرى لتكون تلك الدار دار اللذات
والسعادات والكرامات (أي حسب أن لن يقدر عليه أحد) أي أي حسب الانسان بقوته أنه لن يقدر على
بعنه ومجازاته أو على تغيير أحواله أحد وهو الله تعالى (يقول) أي الانسان كدنه بن أسيد أو الوليد بن
المغيرة (أهلك ما لا لبدا) أي أنفقت ما لا كثير في عداوة محمد عليه السلام فلم ينفعني ذلك شيئا وقرأ
أبو جعفر بتشديد الباء مفتوحة وقرأ مجاهد وحيد بضم الباء واللام مخنفا والباقون بضم اللام وكسرهما
وفتح الباء مخففا (أي حسب أن لم يره أحد) أي أي حسب هذا الانسان أنه لم يره أحد وهو الله تعالى حين
كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عن انفاقه ولا يجازيه عليه (ألم يجعل له عينين) ينظر بهما (واسأنا)
بنطق به (وشفتين) يستتر بهما فاه (وهديناه النجدين) أي بيناه الطريقين طريق الخير والشر
أودلناه على الشدين لانهم كالطريقين لحياة الولد ورزقه فان الله تعالى هدى الطفل الصغير الى الشدين
حتى ارتضعهما (فلا أقحم العقبة) أي فهل اتلبس من أنفق ماله بعبادة النفس والهوى والشيطان في
أعمال البر أو فلم يشكر تلك النعم الجليلة بتحصيل الأعمال الصالحة (وما أدراك ما العقبة) أي أي
شيء أعلمك ما الدخول في صعب الطريق (فك رقبة) أي هي اعتاق رقبة أو اعطاء مكاتب ما يصرفه
الى جهة فكلك نفسه أو تخليص شخص من قودا وغرم أو فك المرء رقبة نفسه باجتنا ب المعاصي وفعل
الطاعات التي يصير بها الى الجنة ويتخلص بها من النار فهذه هي الحرية الكبرى (أو اطعام في يوم ذي
مسغبة) أي جماعة (يتيما ذا مقربة) أي ذا قرابة (أو مسكينا ذا مربة) أي ذا افتقار كأنه لصق
بالتراب من ضره فليس فوقه ما يستتره ولا تحته ما يفرشه قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة بصيغة المصدر في
فك أو اطعام وهو خبر مبتدأ محذوف والباقون بصيغة الفعل فيهما على الابدال من أقحم المنقح بلا كأنه
قيل فلا فك رقبة ولا أطم فلا مكررة في المعنى فلا يقال ان لا تدخل على الماضي الامكررة (ثم كان) أي
مكتسب الطاعات داخل الامور الصعاب (من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) أي أوصى بعضهم بعضا
بالصبر على اداء الطاعات وعلى المرازي (وتواصوا بالرحمة) أي بالرحمة على عباده فقوله وتواصوا بالصبر
اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله ومدار أمر الطاعات
ليس الاعلى هذين الاصلين فان الاصل في التصوف أمران صدق مع الحق وخلق مع الخلق (أولئك)
أي الموصوفون بتلك الصفة (أصحاب الميمنة) أي الجانب الذي فيه البركة والنجاة من كل هلكة
(والذين كفروا بآياتنا) أي عبا نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة (هم أصحاب المشأمة) أي
الحصيلة المكتسبة للحرمان (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة فلا يخرجون منها أبدا قرأ أبو عمرو وحفص
وحزمة بالهمز والباقون بواو ساكنة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون

كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها) أي ضوءها اذا ارتفعت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها)
أي تبع الشمس بان طلع بعد غروبها وذلك في النصف الاول من الشهر (والنهار اذا جلاها) أي اذا
أظهر الشمس فانها تنكشف عند انسلط النهار فكانه أظهرها مع أنها هي التي تبط (والليل اذا
يغشاها) أي يغطي ضوء الشمس بنظمته (والسما وما بناها) أي والذي خلقها وهو الله تعالى أقسم

بنفسه (والارض وماطعاها) أى بسطها على الماء (ونفس وماسواها) أى وجسد كثير والذي
 أنشأها متناسبة الاعضاء أو قوة مدبرة والذي أعطاها قوى كثيرة كالقوة السامعة والباصرة والمفكرة
 والمذكرة (فألهمها الجورها وتقواها) أى أفهمها حالها من الحسن والقبح وقيل ألهم الله الكافر
 لجورها وألهم المؤمن التقواها (قد أفلح من زكاها) أى قد أدرك من طهر نفسه من الذنوب مطلوبه
 بفعل الطاعة ومجانبة المعصية (وقد خاب من دساها) أى وقد خسرها من أخفى نفسه في المعاصي حتى
 انغمس فيها (كذبت عمود بطغواها) أى فعلت عمود تكذيب الرسول بسبب مجاوزتها الحد في العصيان
 أو كذبت عمود بعدائها أى لم يصدقوا رسولهم فيما أنذرهم به العذاب فالتطغى على هذا اسم للعذاب الذي
 أهلكوا به (إذا نبعت أشقاها) أى حين قام أشقا عمود وهو قد ارابن سالف ومصدع بن دهل وعقر الناقة
 برضاهم (فقال لهم) أى لعمود (رسول الله) صالح لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقر الناقة (ناقة
 الله وسقيها) أى ذروا عقر الناقة التي هي آية الله الدالة على توحيد الله وعلى نبوتى واحذروا شربها
 فلا تغنوها عنه في نوبتها (فكذبوه) أى رسول الله صالحا حتى وعيده بالعذاب (فعمروها) قال
 الفراء عقر الناقة اثنان وقال قتادة ذكر لنا أن قدارا بنى أن يعمرها حتى يبيعها صغيرهم وكبيرهم ذكرهم
 وأنثاهم (قدمم عليهم رهم) أى أهلكهم رهم (بذنبهم) أى بسبب قتلهم الناقة وتكذيبهم صالحا
 عليه السلام (فسواها) أى سوى هذه الطائفة في ائزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم ووضعهم
 وشریفهم وذكورهم وأنثاهم وقرأ ابن الزبير فدهم بها بين الدالين (ولا يخاف عقباها) أى ولا يخاف
 الله عاقبة هذه الفعلة كما يخاف الملوك عاقبة ما تفعله وهذه إشارة إلى أنهم إذا لا عند الله تعالى رقيق لا يخاف
 رسول الله صالح عقبي هذه العقوبة ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم وقيل قام الاشقي لعقر الناقة
 والحال أنه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء أى فهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه ففعل مع
 هذا الخوف الشديد فعل من لا يخاف البتة فنسب في ذلك إلى الحق وقرأ نافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء
 والباقون بالواو وهى للحال أولا لاستئناف الاخبارى وقرئ ولم يخف وهو مروي عن النبي صلى الله
 عليه وسلم

﴿سورة الليل مكية وهى احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة

وعشرون حرفا قال القفال رحمه الله نزلت هذه السورة في أبي بكر

وانفاقه على المسلمين وفي أمية بن خلف وبخلة وكفرة بالله

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى) أى حين يغشى الشمس (والنهار اذا تجلى) أى ظهر
 بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكور والانثى) أى والذي خلق صنفى الذكور والانثى من كل ماله
 نواله القرآن صلى الله عليه وسلم والذكور والانثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكور والانثى وعن
 الكسائي وما خلق الذكور بالجر والمعنى وما خلقه الله تعالى أى ومخلوق الله ثم يجعل الذكور بلامنه أى
 ومخلوق الله الذكور والانثى (ان سعيكم لشتى) أى ان عملكم لمختلف في الجزاء لان بعضه ضلال
 يوجب النيران وبعضه هدى يوجب الجنان (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)
 أى فأما من أعطى من ماله في سبيل الله واجتنب المحارم وصدق بالشرائع فسنيسره للفصل التي تؤدي الى

راحة كدخول الجنة (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسينسره للعسرى) أى وأما من بخل بماله فلم يبدله في سبيل الخير واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بعدة الله من الخلف الحسن فسنيته للفصلة المؤدية الى الشدة كدخول النار (وما يغني عنه ماله اذا تردى) أى ولا ينفعه ماله الذى جمعه في الدنيا اذا مات أو أى شئ ينفعه ماله الذى بخل به ولم يصحبه منه الى آخرته اذا سقط في حفرة قبر أو فى جهنم (ان علينا الهدى) أى ان الذى يجب علينا فى الحكمة اذا خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا فى الحكمة (وان لنا الآخرة والاولى) أى ان لنا ملك الدارين نعطي من نشاء ما نشاء فنطلب ما من غيرنا فقد أخطأ الطريق فليطب سعادتهما منا (فأندرتكم) أى خوفةكم يا أهل مكة (نارا تلظى) أى تتوقد وقرئ شاذا بالياء من (لا يصلاها الا الاشقي الذى كذب وتولى) أى لا يدخلها دخولا لازما وبدا الا الكافر الذى هوشقى لانه كذب بآيات الله وأعرض عن طاعة الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى أمية بن خلف وأمثاله الذين كذبوا محمد او الانبياء قبله (وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتركى) أى وسيمنع عنها البالغ فى اتقاء المعاصي الذى يعطى ماله ويصرفه فى وجوه المحسبات طالبا ان يكون ناميا عند الله تعالى لا ير يدب ذلك رياء ولا سمعة وروى الضحاك عن ابن عباس عذب المشركون بلال بن رباح واسم أمه حمامة وبلال يقول أحدهم أحدهم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحديهم بركم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بركيا يا بركيا ان بلالا يعذب فى الله فعرف أبو بكر ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشترته فأعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله تعالى قوله (وما لاحد عنده) أى الاتقى (من نعمة تجزى الابتغاء وجهه ربه الاعلى) أى لم يفعل أبو بكر ذلك مجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه الله تعالى وقرأ يحيى بن وثاب برفع الابتغاء على البدل من محل نعمة فانه رفع اما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجهه لانه لا مكافأة نعمة (ولسوف يرضى) أى ما أنفق أبو بكر الا لطلب رضوان الله وبالله لسوف يرضى الله عنه ولم يكن للنبي ولا غيره عليه نعمة دينوية بل كان أبو بكر هو الذى ينفق على رسول الله وانما كان للنبي عليه نعمة الهداية الى الدين الا ان هذه نعمة لا يجزى الانسان بها قال ابن الزبير كان أبو بكر يشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال له أبو يابني لو كنت تشتري من يمنع ظهرك فقال منع ظهري أريد أنزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وقرئ يرضى مبنيا للمفعول

سورة الضحى مكية وهى احدى عشر آية وأربعون

كلمة ومائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم والضحى) وهو أول النهار حين ترفع الشمس وتلقى شعاعها وتخصيه بالاقسام به لانه الساعة التى كلم الله فيها موسى وألقى السحرة فيها هبدا (والليل اذا محجى) أى أظلم واسود ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقيل انما ذكر ساعة من النهار وذكر الليل بكلمته لان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو إشارة الى ان هموم الدنيا أدوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل

ساهات (ماودعك ربك) أي ما قطعك ربك قطع المودع والمفارق وقرأه روة بن الزبير وابنه هشام
 وابن أبي عميلة بتخفيف الدال أي ما تركك ربك يا أشرف الرسل منذ أوحى إليك ترك كما تحصل به فرقة
 كفرقة المودع (وما قل) أي ما أبغضك ربك منذ أجبك روى البخاري عن جندب بن سفیان قال
 اشترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين أو ثلاث فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب فقالت يا محمد
 اني لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أراه قريبك منذ ليلتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية وروى ان خولة
 كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فبات فبكث النبي
 صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل
 عليه السلام لا يأتيه قال خولة فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جروا ميت فأخذته
 فالتقيته خلف الجدار فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم لم تر عد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة
 فقال يا خولة دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه
 وسلم عن التأخر فقال اما علمت اني الانا دخل بيتي فافيه كلب ولا صورة وروى ان الوحي تأخر عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أياما لجره سائلا لها فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وروى ان
 سبب احتباس جبريل عليه السلام لانه كان فيهم من لا يعلم الاظفار (وللاخرة خير لك من الاولى)
 أي وللاحوال الآتية خير لك من الماضية كأنه تعالى وعده بأنه سيزيد كل يوم عز الى عز ومنصب الى منصب
 فيقول لا تظن اني قليتك بل اني أزيدك منصبا وجاه لا لاثم ان هذا التشريف وان كان عظيما الا أن
 مالك عند الله في الآخرة خير وأعظم أو وللاخرة خير لك من الدنيا لان الكفة في الدنيا يطعنون فيك أما في
 الآخرة فاجعل أمتك شهداء على الامم واجعلك شهيدا على الانبياء ثم اجعل ذاتي شهيدا لك كما قال تعالى
 وكفى بالله شهيدا امجد رسول الله (ولسوف يعطيك ربك) من خيرات الدنيا والآخرة (فقرضى) روى
 عن علي بن أبي طالب وابن عباس ان هذا هو الشفاعة في الامة كما روى انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت
 هذه الآية قال اذا لا أرضي وواحد من أمتي في النار وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال رضي جدي
 ان لا يدخل النار موحدا وهذا أيضا وعده تعالى رسوله على أحوال الدنيا فها هو إشارة الى ما أعطاه الله تعالى
 من الظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول المارس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير
 وأجلائهم وبث عساكره في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الارض من المدائن وما هدم
 بأيديهم من عمالك الجبابرة وما وهبهم من كنوز لا كاسرة وما قذف في أهل الشرق والغرب من الرعب
 وتهيب الاسلام وفشو الدعوة (ألم يجدك يتيما فآرى) بعد الهمزة أي ضمك الى من يكفلك وقرأ أبو
 الاشهب فأوى ثلاثيا أي فرحمك روى ان عبد الله بن عبد المطلب توفي وهو صلى الله عليه وسلم جنين قد أتت
 عليه ستة أشهر ثم ولد رسول الله فكان مع عبد المطلب ومع أمه آمنة فماتت وهو ابن ست سنين فكان مع
 جده ثم مات بعد آمنة بستين ورسول الله ابن ثمان سنين وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب به فكان هو
 الذي يكفل رسول الله بعد جده الى أن بعثه الله للنبوّة فقام بنصرته صلى الله عليه وسلم ثم توفي أبو طالب
 فذكره الله هذه النعمة روى أن أبا طالب قال يوما لاخته العباس ألا أخبرك عن محمد عاريت منه فقال
 بلى فقال اني ضمته الى فكنيت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار ولا أئتمن عليه أحدا حتى اني كنت أنومه في
 فراشي فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معي فرأيت الكراهة في وجهه لكنه كره أن يخالفني وقال يا عمار
 اصرف بوجهك عني حتى أخلع ثيابي اذ لا ينبغي لاحد أن ينظر الى جسدي فتعجبت من قوله وصرفت

بصرى حتى دخل الفراش فلما دخلت معه في الفراش اذ بيني وبينه ثوب في غاية اللين وطيب الرائحة كما ه
 خمس في المسك فجهدت لا أنظر الى جسده فلما كنت أرى شيئا وكنت اقنعه من فراشي مرارا فأذاقت لا طلبه
 ناداني ها أنا يا عم فارجع ولقد كنت أجمع منه مرارا كلاما يعجبني وذلك عند مضي بعض الليل وكان يقول
 في أول الطعام بسم الله الا حد فاذا فرغ من طعامه قال الحمد لله فتهجبت منه ثم لم أرمه كذبة ولا فصحكا ولا
 جاهلية ولا وقف مع بيان يلعبون (ووجدك ضالافهدى) أى وجدك خاليا من الشريعة فهذه
 بانزالها اليك وقيل وجدك ضالا عن عبد المطلب فردك اليه كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ضللت عن
 جدى عبد المطلب وأنا صبي ضائع كاد الجوع يقتلنى فهادنى الله وروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله
 عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي فتعلق عبد المطلب باستار الكعبة وقال

يا رب ردولدى محمدا * أردده رب واصطنع عندى يدا

فما زال يردد هذا عند البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقه ومحمد بين يديه وهو يقول لا تدري ماذا ترى من
 ابنك فقال عبد المطلب ولم قال انى أنخت الناقة وأركبته من خلف فأبنت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامى
 قامت الناقة وكانت تقول يا أحمق هو الامام فكيف يقوم خلف المقتدى وقال ابن عباس رده الله الى جده
 بيده يده كما فعل موسى حين حفظه على يده يده (ووجدك عائلا) أى فقيرا كما روى ان فى مصحف
 عبد الله ووجدك عديما وقرأ اليماني عميلا بكسر اليااء المشددة كسيد (فأغنى) أى أغناك بالغناعة
 فصرت بحال يستوى عندك الحجر والذهب لا تجد في قلبك سوى ربك وقيل أغناك بحال أبي بكر وبهيمة
 عمر روى أن عمر قال حين أسلم والاصحاب كانوا يعبدون الله سرا يارسول الله ابرزنا نعبدنك الثلاث جهرا
 ونعبد الله سرا فقال صلى الله عليه وسلم حتى تكثروا اصحاب فقال حسبك الله وأنفق قال تعالى حسبك
 الله ومن اتبعك من المؤمنين وقيل أغناه الله تعالى بتربية أبي طالب ولما اختلت أحوال أبي طالب أغناه
 بحال خديجة ولما اختل ذلك أغناه بحال أبي بكر ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه باعانة الانصار
 ثم أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم ثم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رحمتي (فأما اليتيم فلا تقهر)
 أى لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما كما قاله مجاهد أو فلا تغلبه على ماله وقوى فلا تكهر أى فلا تعبس وجهك
 اليه وروى ان هذه الآية نزلت حين صاح النبي صلى الله عليه وسلم على ولد خديجة واذا كان هذا العتاب
 بمجرد الصياح أو العبوسة في الوجه فكيف اذا أذل اليتيم أو أكل ماله وروى أن موسى
 عليه السلام قال الهى بما نلت ما نلت قال الله تعالى أتذكر حين هربت منك السخلة فلما قدرت عليها قلت
 أتعبت نفسك ثم حملتها فلما هذا السبب جعلتك وليما على الخلق فلما نال موسى عليه السلام النبوة
 بالاحسان الى الشاة فكيف بالاحسان الى اليتيم (وأما السائل فلا تنهر) أى لا تغلظ له القول بل رده
 رد الينابرق والمراد من السائل مطلق السائل روى انه صلى الله عليه وسلم كان جالسا فجاء عثمان بن عفان
 فوضعه بين يديه فأراد ان يأكل فوقف سائل فقال رحم الله عبدا رجا فافأمر يدفعه الى السائل
 فكره عثمان ذلك وأراد أن يأكله النبي صلى الله عليه وسلم فخرج واشترأ من السائل ثم رجع السائل
 وكان النبي يعطيه ففعل ذلك ثلاث مرات فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسائل أنت أم بائع فنزل وأما
 السائل فلا تنهر واختار الحسن ان المراد من السائل من يسأل العلم وروى الزمخشري ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال اذا رددت السائل ثلاثا فليعلم يرجع فلا عليك أن تربره (وأما بمنعمه ربك فحدث) قال
 مجاهد تلك النعمة هي القرآن فالتحديث به ان يقرأه ويقرئ غيره وروى عنه أيضا ان تلك النعمة هي

النبوة أى بلغ ما أنزل إليك من ربك وروى عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه قال إذا حملت خيرا
فحدث به أخوانك لية تدوا بك إلا أن هذا الغاي حسن إذا لم يتضمّن رياء وظن أن غيره يقتدى به وروى أن
شخصا كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له صلى الله عليه وسلم ألك مال
قال نعم فقال له صلى الله عليه وسلم إذا أتاك الله مالا فليأثره عليك وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده

• (سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف) •

(بسم الله الرحمن الرحيم) يروى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز كأنهما يقولان هذه السورة وسورة
والضحى سورة واحدة وكانا يقرأنهما في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما بيسم الله الرحمن الرحيم
قال الجبل ولما ذكر الله تعالى بعض النعم عليه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما ودعك ربك الخ اتبعه بما
هو كالتمتله وهو شرح الصدر وقال (ألم نشرح لك صدرك) قال في نور المقياس وهذا معطوف على قوله
تعالى ووجدك عاقلا فأغنى أى ألم نشرح لك يا أشرف الرسل قلبك للإسلام ويقال ألم توسع قلبك
للنبوة وقال الرازي استفهم الله عن انتفاء الشرح على وجهه الإنكار فإثبات الشرح فكانه قيل
شرحنا لك صدرك أى بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق روى أن جبريل عليه السلام
أتاه وهو عند مرضعته حليلة وهو ابن أربع سنين فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه ثم ملأه علما وإيمانا
ثم رده في صدره وشق أيضا عند بلوغه عشرين سنة وعند البعثة وليلة الأسراء قرأت الشق أربع على الصحيح
وانما ذكر الصدر لأنه محل الوسوسة قال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده
الشیطان فالشیطان يجيى إلى الصدر الذي هو حصن القلب فإذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث
فيه الهموم والغموم والحرص فيضيّق القلب حينئذ ولا يجد لطاعة لذة ولا لاسلام خلاوة وإذا طرد العدو
في الابتداء حتى لم يجد مسلكا حصل الأمن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام بأداء
العبودية وانما قال الله تعالى ألم نشرح لك تنبيهها على أن منافع الرسالة عائدة إليه صلى الله عليه وسلم كأنه
تعالى قال انما نشرحنا صدرك لاجلك لا لاجلى (ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك) أى خففنا عنك
أعياء النبوة التى تشغل ظهرك من القيام بأمرها والمحافظة على حقوقها بأن يسرها الله عليه صلى الله عليه
وسلم حتى تيسر له وقيل عنك عن الوزر الذى يشغل ظهرك وقيل لئن كان نزول السورة بعدموت أبى
طالب وخديجة فلقد كان فراقهما عليه صلى الله عليه وسلم وزرا عظيما فوضع عنه الوزر برفعه إلى السماء
حتى لقيه كل ملك وحياه فارتفع له الذكرك فلذلك قال تعالى (ورفعنا لك ذكرك) أى رفع ذكره حيث
قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو
وسلائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسعى رسول الله ونبي الله ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة
والنار وكل شئ ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشئ وكان كافرا (فان مع العسر يسرا) مع العسر
يسرا) قال في العسر الاول للعهد الحضورى وفي الثانى للعهد الذكرى فالعسر واحد وهو العسر الذى
كانوا فيه فهو هو وتنكير يسر للتفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيم ما ويسرا كما لا تقتناول يسر الدارين
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو كان العسر في حجر ضب لاتبعه اليسر حتى يخرج منه لن
يغلب عسر يسرين فقوله تعالى ان مع العسر يسرا تكرير للأكيد وأعدة مستأثقة بأن العسر مشقوع

يسرا خروفي مصنف ابن مسعود جملة واحدة مرة واحدة قال الرازي والمراد من اليسرين في قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين يسر الدنيا ويسر الآخرة وهما السهولة وتفتح البلاد وثواب الجنة وهذه الآية تثبت لما قبلها وعد كريم بتيسير كل عسر له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكان على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا (فاذا فرغت فانصب) أى فاذا فرغت من عبادة فاتبعها بعبادة أخرى بان تواصل بين بعض العبادات وبعض وان لا تخل رقة من أوقاتك منها قال قتادة والضحاك ومقاتل اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فاتعب في الدعا وارغب الى ربك في المسئلة يعطلك وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لذنبيك وآخرتك وقال مجاهد اذا فرغت من أمر دنياك فاتعب وصل وقال عبد الله بن مسعود اذا فرغت من الفرائض فاتعب في قيام الليل وقال ابن حبان عن الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فاتعب واسـ متغفر لذنبيك وللمؤمنين وقال علي بن أبي طلحة اذا كنت محيا فاجعل فراغك تعباً في العبادة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني أكره أن أرى أحداً كم فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (والربك فارغب) أى الربك فارفع حوائجك واجعل رغبتك اليه خصوصاً ولا تسأل الا فضله متوكلاً عليه وقرئ فرغب أى رغب الناس الى طلب ما عنده تعالى

(سورة التين مكية وهي ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون) هـ شاعران معلومان أقسم الله بهـ ما لم يفهما من المصالح والمنافع فان التين فاكهة طيبة لا يحجم له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال ويقطع البواسير والزيتون فاكهة وادام دواء وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب أهل الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد فوح المبنى على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى وعن الربيع هـ اجبلان بين هذان وحلوان وقال كعب التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقال شهر بن حوشب التين الكوفة والزيتون الشام (وطور سينين) وهو جبل ثبير وهو جبل عدين الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الامين) وهو مكة فهو أمين من ان يهاج فيه على من دخل فيه (نقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) أى كائناتى أحسن ما يكون من تعديل صورة ومعنى فانه تعالى خلقه مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفاً بكل عقل وفهم وعلم وأدب اذا تكامل شبابه (ثم ردناه أسفل سافلين) أى حال كونه أسفل سافلين أى حيث لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً للضعف بدنه وسمع وبصره وعقله فلا يكتب له وقتئذ حسنة أو وردناه مكاناً أسفل سافلين وهو النار وقرأ عبد الله أسفل السافلين معرفاً والسافلون هم الضعفاء والزمنى والصغار فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعاً (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) وهذا الاستثناء على القول الأول منقطع والمعنى ثم ردناه أسفل عن سفلى بعد ذلك التحسين فى أحسن الصورة حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره وضعف بصره وسمع ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمي فلهم ثواب دائماً ولهم أجر غير ممنون به عليهم أمان على القول الثانى فهو متصل من ضمير ردناه فانه فى معنى الجمع والمعنى ثم ردناه أسفل عن سفلى أى أقبح من كل قببح صورة وأسفل من كل سافل من أهل

الدركات وهم أهل النار إلا الذين كانوا صالحين فلا نرد لهم أسفل سافلين (فإن كذبك بعد بالدين) وما اسم استفهام على وجه الإنكار والتعجيب والخطاب للإنسان على طريقة الالتفات أى فما الذى يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالبعث بعد ظهور هذه الدلالة الناطقة بالجزاء أى فإن خلق الإنسان من النطفة وتقويمه بشراسو يا وتحويله من حال الى حال كما لا ونقصاناً من أوضاع الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فمن شاهد تلك الحالة ثم بقي مصر على إنكار الحشر فلا شئ أعجب منه وقيل الخطاب للرسول وما اما اسم استفهام أو بمعنى من أى فإى شئ يجعلك كاذباً بسبب إنكار الكافر الحساب بعد هذه الدلائل أو فمن يكذب بالحساب يا أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل (أليس الله بأحكم الحاكمين) يحكمهم على الكفار بما يستحقونه من العذاب أو أليس الذى فعل ما ذكره بأقن الحاكمين صنعاً فى كل ما خلق حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء فإن عدم إمكانهما يقدر فى القدرة وعدم وقوعهما يقدر فى الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا وفى الحديث من قرأ والتين الى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أى سواء كان فى الصلاة أو خارجها

* (سورة العلق وتسمى سورة القلم وسورة اقرأ مكية وهى تسع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك أى اقرأ القرآن مقتحماً باسم ربك أى قل باسم الله ثم اقرأ القرآن (الذى خلق) كل شئ (خلق الإنسان من علق) أى من دم جامد (اقرأ وربك الأكرم) أى امض لما أمرت به وبالحال إن ربك الذى أمرك بالقراءة هو الأكرم (الذى علم بالقلم) أى علم الإنسان الخط بالقلم وعلم ينصب مفعولين وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش روى عبد الله بن عمر قال قلت يا رسول الله أأكتب ما أسمع منك من الحديث قال نعم فأكتب فإن الله تعالى علم بالقلم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرق ولا تعلموهن الكتابة أى حذرنا من تطلعهن الى الرجال وحذرنا الفتنة لانهن قد يكتبن لمن يهوين (علم الإنسان ما لم يعلم) أى علمه بالقلم وبدونه من الامور الجلية والخفية ما لم يخطر بباله (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) أى حقاً يا محمد إن الكافر يتكبر على ربه لأن رأى نفسه مستغنياً عن الله بالمال زلت الآيات من ههنا الى آخر السورة فى أبى جهل روى أن أباجهـل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أترعمن من استغنى طغى فأجعل لنا جبال مكة فضة وذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى فنعد ديننا وتتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ببقاء عليهم (ان الى ربك الرجعى) أى ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث فسترى حينئذ عاقبة تمردك (أرأيت الذى ينهى عبداً اذا صلى) وأرأيت للحمـل المخاطب وهو النبي على التعجب وهى تتعدى الى مفعولين لانها بمعنى اخبرنى بالمفعول الاول الذى والمفعول الثانى محذوف وهو جملة استفهامية كالجملـة الواقعة بعد أرأيت الثالثة أى اخبرنى يا محمد الناهى عن صلى ألم يعلم ان الله يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل روى مسلم عن أبى هريرة قال قال أبوجهل فى ملا من طغاة قريش هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم فقالوا نعم قال اللات والعزى لئن رأيتـه يفعل ذلك لا طأن على رقبته ولا عفرت وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

يصلى ليطأ على رقبته فنكص على عقبيه وهو يتقي بيديه فقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال ان بيني وبينه
لخندق من نار وهو لا وأجنحة فانزل الله هذه الآية (أرأيت ان كان على الهدى وأمر بالتقوى) ومفعولا
أرأيت محذوفان حذف الاول لدلالة المفعول الاول من أرأيت الاول عليه وحذف الثاني لدلالة مفعول
أرأيت الثالثة عليه وأو بمعنى الوار والمعنى اخبرني يا محمد ذلك الناهي ان صار على الهدى وأمر بالتقوى أما
كان ذلك خيرا له من الكفر بالله والنهي عن خدمته كأنه تعالى يقول تلهف يا مخاطب عليه كيف فوت
على نفسه المراتب العالية وقنع بالمراتب الدنياوية وهو رجل عاقل ذو ثروة لا يليق به ذلك (أرأيت ان كذب
وتولى ألم يعلم بأن الله يرى) والجملة الاستفهامية تكون في موضع المفعول الثاني لأرأيت ومفعولها الاول
محذوف وهو ضهير يعود الى الموصول أو اسم إشارة يشار به اليه أي أرأيت يا محمد ان كذب هذا الكافر بتلك
الدلائل الواضحة وأعرض عن خدمة خالقه ألم يعلم بعقله ان الله يرى منه هذه الاعمال القبيحة أفلا ينزع عنها
(كلا) أي لن يصل أبوجهل الى ما يقول انه قتل محمدا أو يبط أعنقه بل تليذ بمحمد هو الذي يقتله ويطأ صدره
وهو عبد الله بن مسعود (اثن لم ينته) أي والله اثن لم ينته أبوجهل عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم (لنسفعا
بالنافية) أي لناخذن النافية ولنخرجن بها الى النار في الآخرة أولنقبضن على النافية في الدنيا روى
أن أباجهل لما قال ان رأيت يصل لاطأ أعنقه فانزل الله تعالى هذه السورة وأمره جبريل عليه السلام
بأن يقرأها على أبي جهل ويخرقه ساجدا في آخرها ففعل فعدا اليه أبوجهل ليطأ أعنقه فلما دان منه نكص
على عقبيه راجعا فقبل له مالك قال ان بيني وبينه خلافا غرافاه لومشيت اليه لا لتقمي وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لو دنا مني لا ختطفته الملائكة عضوا عضوا وروى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال صلى
الله عليه وسلم لا صحابه من يقرؤها منكم على رؤساء قريش فقام ابن مسعود وقال انا يا رسول الله ثم انه وصل
اليهم فقرأهم مجتمعين حول الكعبة فاقتح قراءة السورة فقام أبوجهل فلطمه فشق اذنه وأدماه فانصرف
وعينه تدمع فلما رأى الناس صلى الله عليه وسلم رق قلبه وأطرق رأسه مغمو ما فاذا جبريل عليه السلام
يحيي صا حكا مستبشرا فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل تضحك وابن مسعود يبكي فقال يستعلم فلما ظفر
المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم له خذ رحلك والتمس في
الجرح من كان به رمق فاقتله فائت ثواب المجاهدين فأخذ بطنه القتل فاذا أبوجهل مصروع يخور
فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه فلما عرف عجزه ارتقى الى صدره بمحيلة
فلما رآه أبوجهل قال يارويي الغم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلم ولا يعلم عليه فقال
له أبوجهل بلغ صاحبك انه لم يكن أحد أبغض الى منه في حياته ولا أحد أبغض الى منه في حال عيائه ثم قال
لابن مسعود اقطع رأسي بسيفي هذا لانه أحد فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فلما لم يطعمه بشق اذنه وجعل
الحيط فيه وجعل يحجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد أذن بأذن
لكن الرأس ههنا مع الاذن وقرئ لنسفعن بالنون المشددة فالفاعل لهذا الفعل هو الله والملائكة وقرأ
ابن مسعود لا سفعن أي يقول الله يا محمد انا الذي أتولى اهانة أبي جهل (ناصية كاذبة) في قولها (خاططة)
في فعلها لان صاحبها تمرد على الله تعالى ولانه كان كاذبا على الله تعالى في قوله انه تعالى لم يرسل محمدا
وكاذبا على رسوله في قوله ان محمدا ساجر أو كذاب أو ليس بيني وناصية بدل من الناصية وقرئ ناصية بالرفع
والتقدير هي ناصية وقرئ ناصية بالنصب وكلاهما على الشتم (فليدع ناديه) أي أهل مجلسه الذين يجتمعون
فيه للتشاور وأولاه مجلس العطاء والجود (سندع الزبانية) هم الملائكة الغلات الشداد كما قاله

الزجاج قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فزبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل والله انك لتعلم بأنى أكثر أهل الوادى نادى يا فأتزل الله تعالى فليسدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس لودع ناديه لا خذته زبانية الله فكانه تعالى لما عرفه أنه مخلوق من خلق فلا يليق به التكبر فهو عند ذلك ازداد تعززا بعاله ورياسته في مكة ويروى أنه قال ليس بمكة أكرم منى وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناسية قال أبو جهل أنا أدعو قومي حتى ينعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية لما ذكر الزبانية رجوع فرعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددنى بالزبانية فلا أدري الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه وقيل كان جبريل وميكائيل عليهما السلام على كتفيه صلى الله عليه وسلم في صورة الاسد قال ابن عباس رضى الله عنهما والله لودع ناديه لا خذته ملائكة العذاب من ساعته معانية وقرئ تسدهى الزبانية على المجهول أى ليجروه الى النار (كلا) أى لن يصل أبو جهل الى ما يتصلف به من أنه يدعو قومه (لا تطعه) أى أباجهل فيما يأمرك به من ترك الصلاة بل دم على ما أنت عليه من مخالفته (واسجد) أى صل وتوقر على عبادة الله تعالى فعلا وبلاغا وقل فذكرك في هذا العدو فان الله مقولك وناصرك (واقرب) أى ابتغ بسجودك قرب المنزلة من ربك

* (سورة القدر مدنية قال الواحدي انها أول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة وأحد وعشرون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم انا أنزلناه في ليلة القدر) أى انا أنزلنا القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ على كتبة ملائكة سما الدنيا الى بيت العزة منها ثم نجمته السفرة على جبريل فكان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة اليه ومعنى القدر التقدير وسميت ليلة القدر بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والاحل والرزق وغير ذلك ويسلمه الى مدبرات الامور وهم أربعة من الملائكة اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام والجمهور على أنها مختصة برمضان واختلقوا في تعيينها وقال بعضهم انها ليلة السابع والعشرين لان فيها أمارات ضعيفة منها ما روى أن عمر سأل الصحابة عن ليلة القدر ثم قال لابن عباس غص يا غواص فقال زيد بن ثابت أحضرت أولاد المهاجرين وما أحضرت أولادنا فقال عمر لعلك تقول ان هذا غلام ولدك عنده ما ليس عندكم فقال ابن عباس أحب الاعداد الى الله تعالى الوتر وأحب الوتر اليه السبعة فذكر السموات السبع والارضين السبع والاسبوع ودركات النار وعدد الطواف والاعضاء السبعة فدل ذلك العدد على أنها السابعة والعشرون ومنها قول ابن عباس ان هذه السورة ثلاثون كلمة وقوله تعالى هي هو سابع وعشرون ومنها ما نقل عن ابن عباس أنه قال ليلة القدر تسعة أحرف وهو مذكور ثلاث مرات فتكون الجملة سبعة وعشرين ومنها ما روى أنه كان لعثمان بن أبي العاص عبد فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون (وما أدراك ما ليلة القدر) أى ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين الله فضلها من ثلاثة أوجه أو أربعة بقوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وهي ثلاث وثلاثون سنة وأربعة أشهر أى ان العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر قال مجاهد كان في

بنى اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك ألف شهر فتعجب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك فأُنزل الله هذه الآية أي ليلة القدر لامتك خير من ألف شهر
 لذلك الاسرائيلي الذي حمل السلاح ألف شهر وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين
 خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وقال الحسن بن علي رضي
 الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه ان بنى أمية يطؤون منبره صلى الله عليه وسلم واحدا
 بعد واحد وفي رواية ينزون على منبره ثم والقردة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله هذه السورة
 ثم قال القاسم بن فضال لحسينا ملك بنى أمية فاذا هو ألف شهر فكان الله تعالى يقول أعطيتك يا أشرف
 الخلق ليلة هي في السعادات الدينية أفضل من السعادات الدنيوية في أيام ملك بنى أمية ومن المعلوم ان
 الطاعة في ألف شهر أشق من الطاعة في ليلة واحدة لكن الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن
 والقبح بسبب اختلاف الوجوه ألا ترى ان صلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة
 مع ان صلاة الجماعة قد تنقص صورة فان المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة وأيضا فأنت اذا قلت لمن يرحم
 بالزنا هذا زان فلا بأس ولو قلته للنصراني فهو قذفي يوجب التعزير ولو قلته للمحصن فهو قذفي يوجب الحد
 ولو قلته في حق عائشة كان ذلك القول كفرا ثم القائل بقوله هذا زان قد ظن ان هذه اللفظة سهلة مع انها
 أقبل من الجبال فثبت بهذا ان الافعال تختلف آثارها في الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها فلا يبعد
 ان تكون الطاعة القليلة في الصورة مساوية في الثواب للطاعات الكثيرة (تنزل الملائكة والروح فيها
 باذن ربهم من كل أمر) روى انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل
 ومعه أربعة أولوية فينصب لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر
 المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع بيتا فيه مؤمن أو مؤمنة الا دخله وسلم عليه يقول يا مؤمن
 أو يا مؤمنة السلام يقرئك السلام الاعلى مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وقوله باذن ربهم
 متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي متلبسين بأمر ربهم فانهم لا يتصرفون تصرفا لما لأمره
 وقوله من كل أمر متعلق بتنزل أي تنزل أولئك في تلك الليلة من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة
 الى عام قابل فكل واحد منهم نزل لأمر آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقدر المقادير في ليلة
 البراءة أي وهو نصف شعبان فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى أربابها وقرئ من كل امرئ أي من أجل
 كل انسان فان الملائكة يرون في الارض أنواع الطاعات التي لم يروها في عالم السموات (سلام هي حتى
 مطلع الفجر) فسلام خبر مقدم وهي مبتدأ مؤخر أي تلك الليلة سالمة عن الرياح والاذى والصواعق ومن
 كل آفة كما قاله أبو مسلم وابن عباس وحتى متعلق بتنزل أي ان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل
 الى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة سلامهم على أهل الصوم والصلاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم
 تلك الليلة وقيل ان حتى متعلق بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار
 والمجرور أي ان ليلة القدر سلام الى طلوع الفجر أي تسلم الملائكة على المطيعين ويقال أي ان ليلة القدر
 من أولها الى طلوع الفجر سالمة من التفاوت والنقصان فان العبادة في كل جزء من أجزائها أوقات خيرة من
 ألف شهر فليست ليلة القدر كسائر الليالي في انه يستحب للغرض الثلث الاول وللتطوع النصف وللدعاء
 السحر بل هي متساوية الاوقات وقيل ان الوقف عند قوله تعالى سلام فقوله تعالى من كل أمر متعلق به
 وقوله سلام خبر بعد خبر كقوله تنزل وقوله تعالى هي مبتدأ وخبره ما بعده والمعنى كما قاله ابن عباس

ليسلة القدر سلامة من كل أمر مخوف ومن كل شرور وفضلها مستمر الى طلوع الفجر وقرأ السكاسي
مطلع بكسر اللام

* (سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة القيمة وسورة البرية وسورة منفكين
مدينة ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (والمشركين)
أى عبدة الاصنام (منفكين) عن كفرهم (حتى تأتيتهم البينة) وهى الرسول وهى بالبينة لأن
مجموع الاخلاق الحاصلة فيه كان بالغالى حد كمال العجز أى ان الكفار من الفريقين كانوا يقولون
قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفل عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود
الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد عليه السلام فحكى الله تعالى ما كانوا يعدون اجتماع
الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما أقرهم على الكفر الانجى الرسول وقيل ان تقدير الآية
لم يكن الذين كفروا ومنفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة أى التى كانت ذاتها بينة على نبوته وقيل المعنى
لم يكن الذين كفروا ومنفكين عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل حتى أتتهم ببيان ما سبق ذكره فى التوراة
والانجيل على لسان موسى وعيسى من صفات محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والمشركون عطفًا على
الموصول (رسول من الله) بالرفع بدل كل من كل من البينة وقرأ عبد الله رسولاً بالنصب حالاً من البينة
(يتلو صحفاً) أى كتباً (مطهرة) أى منزهة عن الباطل (فيها كتب قيمة) أى فى تلك الكتب
أحكام مستقيمة تبين الحق من الباطل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعدما جاءتهم البينة) أى
وما اختلفوا فى وقت من الاوقات الا من بعدما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الموعود فى كتابهم دلالة جليلة (وما أمروا الا لعبدوا الله مخلصين له الدين) والواو للحال واللام
بمعنى الباء أى والحال ان هؤلاء الكفار ما أمروا فى التوراة والانجيل الا بأن يعبدوا الله جاعين عبادتهم
خالصة له تعالى لا يريدون رياء ولا سهوة وقرأ عبد الله الا ان يعبدوا الله بابدال اللام بان (حنفاء) أى
ماثلين عن جميع العقائد الزائفة الى الاسلام (ويهموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أى
وذلك المذكور من عبادة الله بالاخلاص واقام الصلاة واعطاء الزكاة دين المستقيم والهاء ههنا قافية
السورة وقرئ الدين القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى ذرجهنم خالدين فيها)
وبدأ الله بأهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون فى نبوته صلى الله عليه وسلم بخنايتهم أعظم لانهم أنكروا
مع العلم به وأيضاً صلى الله عليه وسلم كان يقدم حق الله على حق نفسه فكأنه تعالى قال له كما قدمت
حقى على حقل فأنأ أقدم حقل على حق نفسى فمن ترك الصلاة طول عمره لا يكفر ومن طعن فى شعرة من
شعر أهلك يكفر فأهل الكتاب طعنوا فى الرسول والمشركون طعنوا فى الله (ولئك هم شر البرية) أى
الخليقة فهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق
لانهم قطعوا طريق الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان العلم يكون كفر عندنا فيه يكون
أقبح (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قرأ نافع وابن ذكوان البرية بالهمزة فى
الموضعين والباقون بياء مشددة (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) معدن النعيم والمقربين (تجرى
من تحتها الانهار) أى الاربعة وهى الحمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها أبداً) وخالدين حال من

مقدر فعامله محذوف أى دخلوها ولا يجوز أن يكون حال من هم في جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وقوله عند ربهم -م حال من جزاؤهم أو ظرف له وأبداء منصوب ببالدين * (لطيفة) * قال بعض الفقهاء لوقال لفلان على كذا فهو اقرار بالدين ولو قال لاشئى على فلان فهذا يختص بالديون وله أن يدعى الوديعة ولو قال لاشئى على عند فلان انصرف الى الوديعة دون الدين ولو قال لاشئى على قبل فلان انصرف الى الدين والوديعة معا اذا عرفت هذا فقول عند ربهم يفيدانه وديعة والوديعة عين وهو أشرف من الدين (رضى الله عنهم) بأن يعظمهم ويعدوهم فان الرضاعن العامل غير الرضا بعمله (ورضوا عنه) أى فرحوا بما جازاهم من الثواب وبما أعطاهم من أنواع الكرامات (ذلك) أى المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) وصاحب الخشية هو العالم بشؤون الله تعالى فان الخشية منسطة لجميع الكليات العملية والعملية المستتعبة للسعادة الدينية والدنيوية

* (سورة الزلزلة مدنية وهي تسع آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها) أى اذا تحركت الارض حركة شديدة فانكسر ما عليها من الشجر والجبال والبنيان (وأخرجت الارض أبقالها) أى أحمالها من الاموال والاموات ثم ان كان المراد من هذه الزلزلة الاولى فالمعنى أخرجت الارض الكنوز في زمن بعد عيسى أو عند النفخة الاولى فتمتلى ظهر الارض ذهباً ولا يلتفت أحد اليه فكأن الذهب يصح ويقول اما كنت تخرب دينك ودينك لأجلى وان كان المراد منها الزلزلة الثانية عند النفخة الثانية فالمعنى أخرجت الارض الموتى أحياء كالخروج من الامم وقت الولادة أو لفظتهم ميتين كما دفنوا ثم يحييهم الله تعالى وذلك على الخلاف بين العلماء (وقال الانسان) أى الكافر بطريق التعجب والمؤمن بطريق الاستعظام (مالها) أى أى شئى قبت للارض ترزلت بهذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها (يومئذ) أى يوم اذ كان ما ذكر وهو بدل من اذا (تحدث أخبارها) جواب اذا وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وقرأ سعيد بن جبير تنبئ بسكون النون بان يجعل الله الارض اقلاناطة او يعرفها جميع ما عمل أهلها حينئذ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى (بان ربك أوحى لها) والباء اما سببية متعلق بتحدث أى تحدث الارض أخبارها بسبب أمره تعالى اياها بالتحدث بأخبارها واما تعدية فتكون هذه الجملة بدلا من أخبارها فالمعنى تحدث الارض بأخبارها بان ربك أذن لها فى الكلام (يومئذ) منصوب بيصدر رأى يوم اذ يقع ما ذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب (أشستانا) أى فرقاً فرقاً فريق يذهب الى الموقف راكباً مع الثياب الحسننة أبيض الوجه والمادى بين يديه ينادى هذا الى الله وفريق يذهب اليه حافياً عارياً مع السلاسل والاغلال أسود الوجه والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله (ليرى أعمالهم) يضم الياء أى ليرى -م الله تعالى أعمالهم مكتوبة فى الصحف وهى توضع بين أيديهم والمرئى هو الكتاب وقرئ ليرى وافتح الياء وهو مرئى عن النبي صلى الله عليه وسلم (فمن يعمل مثقال ذرة) أى وزن غلة صغيرة (خيرا يره) قال أحمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك فى الدنيا حتى يلقي الآخرة وليس له فيها شئى ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر وهذا مرئى

عن ابن عباس أيضا (ومن يعمل مثقال ذرة) أي ميزان أصغر النمل (شريره) قال ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا إلا أراه الله إياه فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ويشيئه بحسناته وأما الكافر فتزد حسناته ويعذب بسيئاته ووقوله تعالى خيرا وشرا منصوبان على التمييز من مثقال أو على البدل من مثقال ويرد جواب الشرط مجذوم بحذف الالف وقرأ ابن عباس والحسين بن علي وزيد بن علي وكذا عاصم في رواية يره مبنيا للفعول وقرأ عكرمة يراه بالالف

* (سورة العاديات مكية إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضحبا) * أي والخييل الجارية بشدة في الغزو تصوت أنفاسهن من الجري والضحج صوت يسمع من صدور الخييل عند شدة الجري وليس بصهيل ولا جمجمة بل هو صوت نفس وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه أي وأبل الحاج الجارية من عرقة إلى مزدة لفة ومن مزدة لفة إلى منى تعد أعضائها في سيرها وضجها حال بعني اسم الفاعل (فالموريات قدحا) أي فالخييل التي تطأ الحصى صاكات بجوافرها ما يخرج النار كنار حياح وبهور جل من العرب أبخل الناس الذي في العساكر لا يوقد ناراً حتى ينام الناس ثم يوقدها فإذا انتبه أحد أطفاها ثلاثا ينتفع بها أحد فشبهت هذه النار التي تنقذ من حوافر الخييل بتلك النار التي لم يكن فيها نفع أو يقال فالجماعة الذين يركبون الأبل وهم الجميع الموقدين نيرانهم بالمزدة لفة (فالمغيرات ضحبا) أي فالجماعة الذين يركبون الخييل الذين يجمعون على الأعداء للتهب أو للقتل في وقت صبح ليرواما يأتون وما يذرون أو فالجماعة الذين يندفعون من جمع إلى منى ركبانا بأمرام السير صبيحة يوم النحر (فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا) أي فهيجن في وقت الصبح أو بالجري غبارا أو فهيجن في المغارصيا حافتو وسطن في ذلك الوقت أو بالغبار جمعا من جموع الأعداء وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد أي أظهرن بجرهين غبارا وقرئ فوسطن بالتشديد أي جعلن جمع الأعداء في ذلك الوقت أو في ذلك المكان أو يجرهين أو بالغبار في الوسط أو قطعن جمع الأعداء نصفين روى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خيلا لفضي شهر لم يأتهم منهم خبر فنزلت هذه الآيات وعن محمد بن كعب قال النقع ما بين مزدة لفة ومنى والجمع مزدة لفة فالمعنى فتحركن وقت الصبح أو بالجري في وادي محسر فصرن بجرهين وسط مزدة لفة أو يكون المعنى فظهرن في ذلك الوقت أو في جريهين صياحا بالتلبية فجعلن مزدة لفة بجرهين في الوسط ويتأكد حمل الآيات على الأبل أو مع خيول الحجاج بما روى أبي في فضل هذه السورة مرفوعا من قرأها أعطى من الأجر بعدد من بات بالمزدة لفة وشهد جمعا (إن الإنسان لربه لكنود) أي إن طمع جنس الإنسان لكفور بنعمة ربه كما قاله ابن عباس وغيره وهذا بلسان ربيعة ومضر أول ربه لوام فيعد المصائب والمحن وينسى النعم والراحات كما قاله الحسن ويقال عاص بر به بلسان حضرموت ويقال بخييل بلسان بني مالك بن كنانة وقيل المراد بالإنسان الكافر كما قال ابن عباس إن هذه الآية نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي وقيل في أبي حياح أي وهما كافران (وأنه على ذلك لشهيد) أي وإن الرب تعالى على ذلك الصنع لشهيد حافظ (وأنه) أي الإنسان (لحب الخير) أي المال (لشديد) أي قوى ولطلبه مطيق وإن الإنسان وهو قرط أو أبو حياح لاجل حب المال لخييل عسل (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور) أي أفلا يعلم الإنسان قرط أو أبو حياح في الدنيا أنه تعالى يجازيه إذا أخرج ما في القبور من الأموات والعامل في إذا ما دل عليه قوله تعالى إن ربه هم يومئذ خير ومعنى علم الله بهم يوم القيامة

بجازاته لهم وأتى بآلان غير المكلفين الذي في الأرض أكثر (وحصل ما في الصدور) أي بين ما في القلوب من الكفر والايمن والنجل والسخاوة وقرئ حصل مبنياً للفعل ومخففاً أي ظهر ما في القلوب من الاسرار الخفية (ان ربهم) أي الانسان (بهم يومئذ نجيب) وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بنجيب وجمع الضمير العائد الى الانسان اعتباراً بعنايه لانه اسم جنس أي أفلا يعلم الانسان ان: بهم عالم بهم يجازيهم في يوم البعث فلا كما يرى وحكمه ولا عالم تروج فتواه يومئذ الا هو وقرأ أبو السمال ان ربهم بهم يومئذ نجيب بفتح همزة ان واسقاط اللام من نجيب

(سورة القارعة مكية عشرة آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخسون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم القارعة) أي الصيحة التي تفزع القلوب (ما القارعة) أي أي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة (وما أدراك ما القارعة) أي وأي شيء أعلمك يا أشرف الرسل ما شأن القارعة (يوم يكون الناس) ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لضافته الى الفعل وان كان مضارعاً كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه (كالفراس المبثوث) أي المفرق فأن الله تعالى شبه الناس في وقت البعث بالفراس المنثور في الكثرة والتطير الى الداعي لانهم لمابعثوا يوج بعضهم في بعض كالفراس وهو الحيوان الذي يتهاقت في النار (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي وتصير الجبال كالصوف الذي ينفش باليد في تفرق اجزائها وتطيرها في الجو (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية) أي فن تر بحت مقادير حسناته فهو في عيشة ذات رضاها صاحبها أي فهو في الجنة بغير حساب أما من استوت حسناته وسيئاته فيحاسب حساباً يسيراً (وأما من خفت موازينه فأما هاهوية) أي وأما من طاشت حسناته فتر بحت السيئات على الحسنات فأمرأسه نازلة في النار أي في هوى النار على هامته ثم ان كان مؤمناً فاما أن يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة واما أن يشفع فيه وان كان كافراً فيخلد في النار (وما أدراك ماهية) أي وأي شيء أعلمك يا أكرم الرسل ماهاربه والهاء للسكت وقرأ حمزة في الوصل بغير هاء ووقف به او الباقون بأثباتها وصلوا وقلالانها نابتة في المصحف (نار حامية) أي هي نار متناهية حرها فساثر النيران بالنسبة اليها كأنها ليست حارة نعوذ بالله منها ومن جميع أنواع العذاب

(سورة التكاثر مكية ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم ألها كم التكاثر) أي شغلكم التغالب بالمناقب وبكثرة المال وعدد الرجال والتباهي بذلك عن التدبير في أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت روى أن بنى عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدياً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البني أفنانا في الجاهلية فعدوا أحياءاً وناو أحياءاً كم وأمواتنا وأمواتكم ففعلوا فكثرهم بنو سهم فنزلت فيهم هذه السورة وروى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ألها كم وقال ابن آدم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنت أو لبست فألبيت أو صدقت فأمضيت وقرئ ألها كم على الاستفهام التقرير (حتى زرتم المقابر) أي حتى آتاكم الموت فصرت في المقابر زوارات سير ون عنها الى مكان الحساب يقال لمن مات

قد زار قبره وانما يقال ذلك لانه لا بد له من انتقال عنه الى منزله من الجنة أو نار (كلا سوف تعلمون) أى
 حقا سوف تعلمون عند الموت حين يقال لكم لا بشرى وفي وقت سؤال القبر (ثم كلا سوف تعلمون)
 عند النشور حين ينادى المنادى فلان شقي شقاوة لاسعادة بعدها أبدأ وحين يقال وامتنوا اليوم (كلا
 لو تعلمون علم اليقين) وحواب لو محذوف أى حقا وعلمت لآى أمر خلقتم لآشته غلتم به وما تفاخرتم في الدنيا
 ويقال ان المعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقي الانسان معه وبعده في القبر وفي الآخرة لم يلهكم التفاخر عن
 ذكر الله (لترون الجحيم) وهذا جواب قسم محذوف أى والله لترون عذاب الجحيم فانها رايها المؤمنون
 أيضا فكان الوعيد في رؤية عذابها لا في رؤية نفسها وقرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء أى انهم
 يحشرون الى الجحيم فيرونها (ثم لترونها عين اليقين) أى ثم لترون نفس الجحيم بعين اليقين فانهم في
 المرة الاولى رأوا الهبالا غير وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات
 المؤذية ولا شك ان هذه الرؤية أجلى والحكمة في النقل من العلم الاخفى الى الاجلى التقرير على ترك
 النظر لانهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة (ثم لتستلن يومئذ) أى يوم رؤية الجحيم
 (عن النعيم) في الدنيا فسؤال المؤمن سؤال تشريف وتشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة لانه
 شكر النعم وسؤال الكافر سؤال توبيخ وتقرير لانه ترك الشكر حيث قابل نعيم الدنيا بالكفر
 والعصيان وروى الحاكم في الحديث ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن
 يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أو ما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألفها كم التكاثر

* (سورة والعصر مكية ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم والعصر) أى الدهر أقسم الله به لانه مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه
 السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر بل فيه ما هو أعجب من كل عجيب أو هو العشى أقسم تعالى
 بالعصر كما أقسم بالضحى فان كل عشية تشبه تخريب الدنيا بالموت وكل بكرة تشبه القيامة بخروج من
 القبور وتصير الاموات أحياء وقال الحسن انما أقسم الله بهذا الوقت تنبيه على أن الاسواق قد دنا
 رقت انتهائها وقرب وقت انتهاء التجارة فيها أو هو صلاة العصر أقسم الله به الفضلها روى أن امرأة كانت
 تصبح في سلك المدينة وتقول دلوني على النبي صلى الله عليه وسلم فرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فسألها ما ذا حدث فيك قالت يا رسول الله ان زوجي غاب عني فزيت لجأ في ولد من الزنا فألقيت الولد
 في دن من الخسل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة فقال صلى الله عليه وسلم أما الزنا فعليك الرجم
 وأما قتل الولد فجزاؤه جهنم وأما بيع الخل فقد ارتكبت كبير السكن ظننت أنك تركت صلاة العصر ففي
 هذا الحديث إشارة الى تفخيم أمر هذه الصلاة (ان الانسان لفي خسر) أى لفي غبن في مسايعهم وصرف
 أعمارهم في مباحيهم أو في نقصان عمله بعد الهرم والموت (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم في
 تجارة لن تبور حيث استبدلوا الباقيات الصالحات بالضاديات الراسخات (وتواصوا بالحق) أى تحاثوا
 بكل ما حكم الشرع بصحته من علم وعمل (وتواصوا بالصبر) أى تحاثوا بالصبر على أداء فرائض الله
 واجتناب معاصيه وعلى المرازي

* (سورة الهمزة مكية تسع آيات وأربع وثمانون كلمة ومائة واحد وستون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم ويل) أى شدة عذاب أو واد في جهنم من قيح ودم (لكل همزة) أى معتاب للناس

من خلفهم (لمزة) أى طعان في وجوههم نزلت هذه الآية في أخنس بن شريق فإنه كان يلزم الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاله عطاء والسكبي والسدي وأوفى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه كما قاله مقاتل وجرير أوفى ابن بن خلف كما قاله عثمان بن عمر أوفى أمية بن خلف كما قاله محمد بن اسحق أوفى جميل بن فلان كما قاله مجاهد (الذي جمع مالا وعدده) أى أحصاه وقال الاخفش أى جعله ذخيرة لحوادث الدهر وقال الضحاك أى أعد ماله لمن يرثه من أولاده وقيل أى فاخر بكثرة عدد وقرأ حمزة والسكبي وابن عامر جمع بتشديد الميم على التكثير وقرأ الحسن والسكبي وعدده بتخفيف الدال وهو معطوف على مالا أى وجمع المال وعدده كذلك المال أو وجمع عدد نفسه من أقاربه وعشيرته الذين ينصرونه وقيل هو فعل ماض بفك الادغام (يحسب أن ماله أدخله) أى يظن الكافر أن ماله جعله خالدا في الدنيا لا يموت لطول أماله وانفرط غفلته ويعتقد أنه ان نقص ماله يموت أبخله قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبهه بشك لا يقين فيه كالموت وقيل يظن أن المال يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفي الآخرة في النعيم المقيم وهذا تعريض بالعمل الصالح (كلا) أى ليس الأمر كما يظن أن المال يخلده بل العلم والصلاح وعلى هذا يجوز الوقف هنا أو بمعنى حقا (لينبذن في الحطمة) أى والله ليطرحن في النار التي تحطم كل من وقع فيها أى تكسره وقرئ لينبذان بالمشي أى هو وماه وقرئ لينبذن بضم الذال أى هو وأنصاره وذلك لأن شأنه كسر أعراض الناس فإن الجزاء من جنس العمل (وما أدراك ما الحطمة) التي هي جزاء الهمزة للمزة (نار الله الموقدة) أى التي لا تخمد أبدا بقدرته تعالى (التي تطلع على الأفئدة) أى التي تعلوا وسط القلوب فانها محل العقائد الرائجة ومنشأ الاهمال السيئة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة أو مغلقة (في عدد عدده) أى حال كونهم موثقين في عدد عدده مثل المقاطر التي تقطر فيها الاصوص اللهم أحرنا منها يا أكرم الأكرمين والعمود كل مستطيل من خشب أو حديد وقرأ حمزة والسكبي وشعبة عهد بضمه جمع عمود أو عماد وروى عن أبي عمر والضم والسكون وقرأ الباقر بفتح تين وهو على القرائتين جمع كثرة لعمود

* (سورة الفيل مكية خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر) أى ألم تخبر يا أشرف الخلق أو ألم تعلم علمنا بضيقنا باسقام الاخبار المتواترة ومعاناة الآثام الظاهرة (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال قتادة أن قائد الجيش اسمه أبرهة الأشرم من الحبشة فقال سعيد بن جبير هو أبو السكيتوم (ألم يجعل كيدهم في تضليل) والهمزة للتقرير أى قد جعل ربك كيدهم في تخريب الكعبة في إبطال بأن دمرهم أشنع تدمير (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أى طوائف روى ابن سيرين عن ابن عباس قال كانت تلك الطير طير الهاخرا طير تكرا طير الفيل وأكف كالف الكلاب وروى عطاء عنه قال طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا وقيل كانت بلقاء كالخطاطيف كما قالت عائشة وقال سعيد بن جبير كانت طير من السماء لم يرقبها ولا بعدها مثلها وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ (ترميهم بحجارة من سجيل) أى طين متحجر مصنوع للعذاب وقيل بحجارة من جهنم فان سجيل اسم من أسماء جهنم فايدلت النون باللام (لجعلهم كعصف

ما كول) أى كورق زرع أكلته الدود روى ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أم حمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج من بني كنانة رجل وتغوط فيها ليلا فأغضبه ذلك فخاف ليهدم من الكنيسة فخرج مع جيشه ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وأثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ قريبا من مكة وهو المغمس وهو في أرض الحسل قريب من عرفة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل محمودا فكانوا كلما وجهوه الى جهة الحرم برك ولم يبرحوا اذا وجهوه الى غير هاهنا من الجهات هرول ثم رجع عبد المطلب وأتى البيت وأخذ بحلقته وهو يقول

لا هم ان المرأى منع حمله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آل لك
لا يغلبن صليبهم • ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك
ويقول أيضا

يارب لا أرجو لهم سواك * يارب فامنع عنهم حماك
ان عدوا البيت من عاداك * امنعهم ان يخربوا قراكا

فالتفت وهو يدعوه فاذا هو بطير من فحول اليمن فقال والله انها لطير غريبة ليست بنجديقة ولا تهامية وكان مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحصاة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فغروا فاهلكوا ودوى ابرهة فتساقطت أنامله وأعضاؤه ومات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر وخر ميتا بين يديه وهذه القصة وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(سورة قريش مكية أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم لا يلاف قريش) واللام امام متعلقة بالسورة التي قبل هذه السورة وامام متعلقة بالآية التي بعدها هذه اللام وامام متعلقة بحذوق فعلى الاول فان التقدير لجعلهم كعصف ما كول لحب قريش الخ أى أهلك الله أصحاب الغيل لتبقى قريش وما قد ألغوا من رحلة الشتاء والصيف روى ان عمر رضى الله عنه قرأ في صلاة المغرب في الركعة الاولى والتين وفي الثانية ألم تر ولا يلاف قريش معان غير فصل بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وان أبى بن كعب جعلهما في مصحفه سورة واحدة وعلى الثاني فالتقدير فليعدوا رب هذا البيت الذى قصده أصحاب الغيل ثم ان رب البيت دفعهم عن مقصودهم لاجل ايلاف قريش ونفعهم أى يجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة وعلى الثالث فان هذه اللام لام التعجب فكان المعنى اعجبوا لا يلاف قريش وذلك لانهم كل يوم يزادون غياوا نغماسا في عبادة الاوثان والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع آفات عنهم وينظم أسباب معاشهم وذلك لاشئ انه في غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه (ايلافهم) يدن من ايلاف الاول لان البدل منه مطلق والبدل مقيد بالفعل به أو تو كيد لفظي فرحلة مفعول لا يلاف الاول وقرأ ابن عامر لا لاف قريش بغير ياء بعد الهمزة والباقون بياء بعدها

وأجمع الكل على اثبات الياء في الثاني أي لمؤالفتهم قال ابن خادول ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطأ واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطأ فهذا أدل دليل على ان القراء متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط وقرأ أبو جعفر لالف قريش الفهم بكسر الهمزة وسكون اللام برثة حمل وعن ابن عامر الالفهم برثة كتابهم كما روى عن ابن كثير أيضا وروى عن ابن عامر أيضا كما روى عن عكرمة نيلاف قريش بياء ساكنة بعد اللام وقرأ عكرمة ليألف قريش فعلا مضارطا وعنه أيضا ليألف على الامر (رحلة الشتاء والصيف) أي انتقلنا أي كانت لقريش رحلتان رحلة بالشتاء الى اليمن لانها ادفأ وبالصيف الى الشام فكانت اشراق أهل مكة يرتحلون للتجارة هاتين الرحلتين ويأتون لاهل بلدهم ما يحتاجون اليه من الاطعمة والنياب وانما كانوا يرجعون في أسفارهم لان ملوك النواحي كانوا يعظمون أهل مكة ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاء الكعبة حتى انهم كانوا يسهون أهل مكة أهل الله فلو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العزول بطلت تلك المزايا من التعظيم والاحترام ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يتخطفون من كل جانب ويتعرض لهم في نفوسهم وأموالهم فلما أهلك الله أصحاب الغنم ازداد قيمة أهل مكة في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلهذا قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الغنم لا يلاف قريش رحلتى الشتاء والصيف هذا وتعلق أول هذه السورة بما قبلها من قوله تعالى فعل ربك أو من قوله تعالى فجعلهم كعصف ليس بحجة على انهم سورة واحدة لان القرآن كله كالسورة الواحدة وكآية الواحدة يصدق بعضها ببعضها وبين بعضها معنى بعض الا ترى ان قوله تعالى انا أنزلناه متعلق بما قبله من ذكر القرآن وأما قراءة سيدنا محمد رضي الله عنه فانها لا تدل على انها سورة واحدة لان الامام قد يقرأ سورتين في ركعة واحدة وقيل ان المراد رحلة الناس الى أهل مكة فرحلة الشتاء والصيف عمره رجب ورجز الحجة لانه كان أحدهما شتاء والآخر صيفا وموسم منافع مكة يكون بهما ولو كان يتم لأصحاب الغنم ما أرادوا لتعطلت هذه المنفعة وقرئ رحلة بضم الراء وهي الجهة التي يرحل اليها (فليعبدوا رب هذا البيت) قال الخليل وسيميويه ان اللام في لا يلاف متعلقة بقوله فليعبدوا ودخول الغاء فيه لما في الكلام من معنى الشرط وذلك لان نعم الله عليهم لا تحصى فكانت قيل ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وهي ايلافهم رحلتى الشتاء والصيف والمعنى لجعلهم محبين إلهامهم مستر زقين بهم التيسير هم عليهم فليعبدوه تعالى (الذي أطعمهم من جوع) أي من بعد جوع يحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر بواسطة كونهم جيران البيت (وآمنهم من خوف) أي من خوف دخول العدو عليهم ومن خوف زحمة أصحاب الغنم أو خوف التخطف في بلدهم ومسائرهم وقال الخليل والربيع أي آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدتهم جذام وقيل آمنهم من خوف الضلال بالاسلام فقد كانوا في الكفر يتفكرون في علمون ان الدين الذين هم عليه ليس بشيء الا انهم ما كانوا يعرفون الدين الذي يجب على العاقل ان يتسل به فكانت نعمة الامانة دينية فلا تحصل الا لمن كان تقيا أما نعمة الدنيا فهي تصل الى البر والفاجر والصالح والطالح

* (سورة الماعون وتسمى سورة الدين وسورة أرايت مكية ومدينة

سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت الذي يكذب بالدين) فرأى ابا بصريّة قال معني أ أبصرت المكذب بالجزء أو بالاسلام أو هل عرفته واما معني أخبرني الذي يكذب بالحساب من هو ويدل على هذا قراءة عبد الله ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والكاف لا تطلق البصريّة وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش ابد الهمزة ألفا وأسقطها الكسائي ولم يصح عن العرب ريت ولكن لما كان حرف الاستفهام في أول الكلام سهل حذف الهمزة (فذلك الذي يدع اليتيم) والفاء جواب شرط محذوف أي ان أردت ان تعرف المكذب بالحساب فذلك الذي يدفع اليتيم بعنف عن حقه وقرئ يدع اليتيم أي يتركه ولا يدعو أي يدعو جميع الاجانب ويترك اليتيم أي يترك المواساة معه وان لم تكن المواساة واجبة وقد يذم المرء بتركه النوافل وقرئ يدعو اليتيم أي يدعو رياء ثم لا يطعمه وانما يدعو استخدما أو قهرا (ولا يحض على طعام المسكين) أي ولا يحض أهله وغيرهم من المومنين على صدقة المساكين قال ابن جريح نزلت هذه الآية في أبي سفيان كان ينحز جزورين في كل أسبوع فأنا يتيما فسأله لما قرعه بعصاه وقال مقاتل نزلت في العاص بن وائل السهمي وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاثيان بالافعال القبيحة وحكي الماوردي انها نزلت في أبي جهل روى أنه كان وصيا ليتيم فجاهده وهو عريان يسأله شيئا من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبي فقال له أ كابر قريش قل الحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاهد الى النبي صلى الله عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو صلى الله عليه وسلم ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى أبي جهل فرحب به وبذل المال لليتيم فغيره قريش فقالوا صابوت فقال لا والله ما صبت لكن رأيت عن عيینه وعن يساره حربة خفت ان لم أجبه يطعنني وقال السدي نزلت في الوليد ابن المغيرة أو قال الضحاک نزلت في عمرو بن طائفة الخزرجي وقال عطاء عن ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين (قويل للصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون) والنسيان عن الصلاة هو أن يبقى الانسان ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا عن المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة اما المسلم الذي يعتقد ان فيها فائدة دينية يمتنع ان لا يتذكر أمر الدين والثواب والعقاب في شيء من أجزاء الصلاة بلي قد يحصل له السهو في الصلاة بمعنى انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة فتثبت ان السهو في الصلاة من أفعال المؤمن والسهو عن الصلاة من أفعال الكافر (الذين هم يراؤون) بصلاتهم فاذا فاتتهم مع الناس تركوها بالرة والمرأى من يظهر الاعمال عند الناس مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليعتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بعرا (ويمنعون الماعون) أي ويمنعون الناس الزكاة أو يمنعون الطالبين منافع البيت كالغاس والقدر والابرة والقدر والقصة والمغرفة والمقدحة والغربال والدلو والمخ والماء والنار

﴿سورة السكوتر وتسمى سورة النحر مكية وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك) وقرئ أنطيناك يا أشرف الخلق (السكوتر) أي الحسير المغرط في الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين فان كتاب محمد هو الكتاب المهيمن على كتاب آدم ومحمد ابراهيم وموسى وتحديه بالقرآن وذلك أعلا كما تحدى آدم بالاسماء وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن أبي جهل فقال لئن كنت صادقا فدع ذلك الحجر الذي هو في الجانب

الآخر فليسمع ولا يفرق فأشار الرسول إليه فأنقلع الحجر الذي أشار إليه من مكانه وطام حتى صار بين يدي
 الرسول وسلم عليه وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيلك هذا قال حتى يرجع إلى مكانه
 فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فرجع إلى مكانه وهذا أعظم من أمساك سفينة نوح على الماء وعن محمد
 ابن حاطب قال كنت طفلا فأنصب القدر على من النار فاحترق جلدي كله فقبلتني أمي إلى الرسول صلى
 الله عليه وسلم وقالت هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلدي ومسح
 بيده على المحترق منه وقال أذهب اليباس رب الناس فصرت كصبي لا بأس بي وذلك أعظم من جعل النار
 بردا وسلاما على إبراهيم وأكرم الله محمد أفلق له القمر فوق السماء وجعله أصابعه عيوننا وكان الغمام
 يظلمه وأعطاه الله القرآن الذي وصل نوره إلى الشرق والغرب ولما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على
 كتفيه ثعبانين فأنصرف مرعوبا كما أكرم الله موسى ففلق له البحر في الأرض وفجر له الماء من الحجر
 وظلل عليه الغمام وأكرمه باليد البيضاء وقلب عصا موسى ثعبانا وسجنت الأحجار في يد الرسول وأصحابه
 وكان هو لما مسح الشاة الجرباء درت وأكرمه الله بالبراق كما سجت الجبال مع داود وإذا مسح الحديد دلا
 وأكرمه الله بالطير المشورة وأضاف الرسول اليهود بالشاة المشهومة فلما وضع اللقمة في فيه أخبرته
 وروى أن امرأة معاذ بن عفراء أتته وكانت برصا وشكت ذلك إلى الرسول فمسح عليها رسول الله بغصن
 فأذهب الله عنها البرص وحين سقطت حذفة الرجل يوم أحد فرفعها وجاء بها إلى الرسول فمسح على مكانها
 وعرف ما أخفاه عنه مع أم الفضل فأخبره فأسلم العباس لذلك كما أكرم الله عيسى عليه السلام بأخيه
 الموتى وإبراهيم الأكمه والابرص ومعرفة ما يخفيه الناس في بيوتهم وحين نام رسول الله ورأسه في حجر علي
 فأنتمسه وقد غربت الشمس فردها وصلى ورد هامة أخرى على فصلي العصر في وقته وروى أن طير الجمع
 بولده لجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجمع هذه بولدها فقال رجل إننا قال أر داليها
 ولدها وأكرمه الله بالمسير إلى بيت المقدس في ساعة وكان يرسل حمارة يعفورا إلى من يريد به يجي به
 وأرسل معاذ إلى بعض النواحي فلما وصل إلى المغارة فإذا أسد جاء ثم فها له ذلك ولم يستجر أن يرجع فتقدم
 وقال أين رسول الله وانا قد أجد الجن له صلى الله عليه وسلم وحين جاء الأعرابي بالضرب وقال لا أؤمن بك
 حتى يؤمن بك هذا الضرب فتكلم صبا معترفا برسالته وحين كفل الظبية حين أرسلها الأعرابي رجعت
 تعدو حتى أخرجته من الكفالة كإرداء الله لسليمان الشمس مرة وعلم منطق الطير وأكرم الله عيسى
 غدوة مسيرة وانقاد الجن له فلما كانت رسالته صلى الله عليه وسلم كذلك جازان يسميها الله تعالى
 كثر أقال أنا أعطيناك الكوثر قال أعطاه الكوثر حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف
 والمستفيض عند السلف والخلف أنه نهر في الجنة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الكوثر نهر في الجنة حافناه من ذهب ومجره على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من
 العسل وأبيض من الثلج وفي رواية أنس أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور خضر لها أعناق
 كالأعناق البخت من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان وعن أنس قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل وحافناه خيام الدر
 فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا الثرى مسك أذفر فقلت لجبريل ما هذا قال الكوثر الذي أعطاك الله
 تعالى (فصل لربك) أي قدم على الصلاة خالصا لوجه ربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة خلاف
 الساهين عنها المرائين فيها أداء الحقوق شكرها فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانظر) أي

استقبل القبلة بخرك كما قاله ابن عباس والفراء والكلبي وأبو الأحوص كأنه تعالى يقول الكعبة بيتي وهي قبلة صلاتك وقبلك قبلة رحمتي ونظر عنايتي فلتكن القبلة من مناهرتين أي متقابلتين (أر شأنتك هو الأبر) أي ان مبغضك هو المنقطع عن كل خير وهو أبو جهل كما قاله ابن عباس روى أن أبا جهل اتخذ ضيافة لقوم ثم انه وصف رسول الله بالأبر ثم قال قوموا حتى تذهب إلى محمد وأصارعه وأجعله ذليلاً حقيراً فلما وصلوا إلى دار خديجة وتوافقوا على ذلك أخرجت خديجة بساطاً فلما تصارعا جعل أبو جهل يجتهد في أن يصرعه وبقي صلى الله عليه وسلم واقفاً كالجبل ثم بعد ذلك رماه النبي صلى الله عليه وسلم على أقبج وجهه فلما رجع أخذه باليد اليسرى فصرعه على الأرض مرة أخرى ووضع قدمه على صدره أو هو أبو لهب كما قاله عطاء فإنه صلى الله عليه وسلم لما شافهه بقوله تبارك كان أبو لهب يقول في غيبته انه صلى الله عليه وسلم أبر فتركت هذه الآية أو هو العاص بن وائل السهمي كما قاله عكرمة روى ان العاص بن وائل كان يقول ان محمداً أبر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه وكن قدما ابنه عبد الله من خديجة وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وطامة أهل التفسير أو هو عقبة بن أبي معيط كما قاله شهر ابن عطية فإنه هو الذي كان يقول ذلك ووصف الله تعالى العدو بكونه شائناً إشارة إلى وعده تعالى لرسوله بفقر العدو فكانه تعالى يقول هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى انه يبغضك فيحترق قلبه غيظاً وحرارة

* (سورة الكافرون وتسمى أيضاً سورة المنازعة أو المعابدة وسورة الاخلاص أي اخلاص العبادة وسورة المعشقة أي المبرئة من النفاق وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم قل) يا أيها الكافرون روى ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد هل حتى نعبد الهك مدة ونعبد آلهتنا مدة فيحصل الصلح بيننا وبينك وترزول العداوة من بيننا فان كان أمرك رشيداً أخذنا منه حظاً وان كان أمرنا رشيداً أخذت منه حظاً فنزلت هذه السورة فلما نزلت وقرأها على رؤسهم شتموه وأيسوا منه (لا أعبد ما تعبدون) أي لا أعبد الذين تعبدونه في المستقبل والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم من دون الله من الأوثان (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم عابدون في المستقبل عبادتي أي مثل عبادتي أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل عبادتي أي ولا أنتم فافعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة الهى وهو الله الواحد (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي وما كنت قط عابداً فيما مضى الذين عبدتم فيه أي لم اعتد من عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت من الاوقات مثل عبادتي وانما أخبر صلى الله عليه وسلم أولاً عن الاستقبال فلانه هو الذي دعوه اليه فهو الا هم فبدأ به أما حكايتهم صلى الله عليه وسلم عن نفسه فلهذا لا يتوهم الجاهل انه صلى الله عليه وسلم لم يعبد الاوثان من اخوفانها أو طمعاً اليها أو أماناً فيه صلى الله عليه وسلم عبادتهم فلان فعل الكافر ليس بعبادة أصلاً وان كان يعبد الله في بعض الاحوال وانما قال ما أعبد في الرابعة ولم يقل ما عبدتم ليوافق ما عبدتم في الثالثة لان عبادته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة لم تظهر لا حجباً لها بعد ما عباد الكافر بعد البعثة وبعدها ظاهرة عند الناس (لكم دينكم) وهذا نصيب لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون

ولقوله تعالى ولا أنا بما عبادتم (ولى دين) وهذا تقرير لقونه تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشرار مقصور لىكم وان دينى الذى هو التوحيد مقصور لى كونه صلى الله عليه وسلم يقول انى مبعوث اليكم لا ادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فاتركونى ولا تدعونى الى الشرك وقيل معنى الآية لىكم حسابكم ولى حسابى ولا يرجع الى كل واحد منكم عمل صاحبه اثر البتة وقيل لىكم العقوبة من ربى ولى العقوبة من أصنامكم لكن أصنامكم جمادات فان لا أخشى عقوبة الاصنام وقيل لىكم عادىكم المأخوذة من اسلافكم والسياطين حتى تلقوا الشياطين والنار ولى عادىكم المأخوذة من الملائكة والوحى حتى ألقى الملائكة والجنة وقرأ نافع وهشام وحفص بفتح ياء ولى وحذف ياء الاضافة من دين وبقا وصل السبعة وجهه والقرء وأثبتها فى الحالين سلام ويعقوب

* (سورة النصر وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا وهى آخر سورة نزلت قاله ابن عباس مدنية وهى ثلاث آيات وثلاث وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله) ان كان نزول هذه السورة قبل فتح مكة فاذا ظرف مستقبل جوابه فسيح فان كان النزول بعد الفتح فاذا بعنى اذا التى للماضى فهى على هذا متعلقة بمقدراين أكل الله الامر وأنتم النعمة اذ حصل اعانة الله تعالى على عدوك (والفتح) أى فتح مكة وهو الفتح الذى يقال له فتح الفتوح وكان لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان فقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب الى ان نزل بمر الظهران وقدم العباس وأبوسفين اليه فاستأذنا فاذن لعه خاصة فقال أبوسفين امان تأذن لى والا اذهب بولدى الى المغارة فيموت جوعا وعطشا فرق قلبه فاذن له وقال له ألم يأن ان تسلم وتوحد فقال أظن انه واحد ولو كان هيهنا غير الله لنصرنا فقال ألم يأن أن تعرف الى رسوله فقال ان لى شكافى ذلك فقال العباس اسلم قبل ان يقتلك عمر فقال وماذا أصنع بالعزى فقال عمر لولا انك بين يدى رسول الله لضربت عنقك فقال يا محمد أليس الاول ان تترك هؤلاء الاوباش وتصلح قومك وعشيرتك فسكان مكة عشيرة راقار بك وتعرضهم للشن والغارة فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء نصرورى وأطاعونى وذبوا عن حريمى وأهل مكة آخر جوفى وظلمونى فانهم أمر وافبسوه ضيعهم وأمر العباس بان يذهب به ويوقفه على المرصاد ليطالع العسكر ثم تقدم أبوسفين ودخل مكة وقال ان محمدا جاء بعسكر لا يطعمه أحد ولما مع أبوسفين أذان القوم للفتح وكانوا عشرة آلاف فرزع لذلك فزاحشدا ووسأل العباس فأخبره بأمر الصلاة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة على راحلته ولحيته على قربوس مزرجه كالساجد تواضعا وشكرا ثم التمس أبوسفين الامان فقال من دخل دار أبى سفين فهو آمن فقال ومن تسعد ادى فقال ومن دخل المسجد فهو آمن فقال ومن يسع المسجد فقال من ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون انى فاعل بكم فقالوا اخيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فأعنتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فياً فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام وأقام صلى الله عليه وسلم فى مكة خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وقرى فتح الله

والنصر (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أي وأبصرت الناس يدخلون في ملة الاسلام جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وقرى يدخلون على البناء للفعول (فسمي بحمد ربك) أي فقل سبحان الله حامدا له (واستغفره) أي واطلب غفرانه هضم النفس واستقصار العمل واستعظام الحقوق الله واستدارا كالماء فرط منك من ترك الاولى وكأنه تعالى يقول اذا جاء نصر الله واثبت المؤمنين والفتح ودخول الناس في دينك فاشتغل أنت بالتسبيح والحمد والاستغفار (انه كان توابا) أي انه تعالى يكثر قبول التوبة لكثير من التائبين والتوبة اسم للرجوع والندم والناس قد يقولون استغفر الله وليس بتائب فيكون كاذبا وكان تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفي هذا تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان يكون بالتوبة والاستغفار وكذا خواتيم الاحار وروى انه صلى الله عليه وسلم لم يجلس مجلسا الا ختمه بالاستغفار وعن عائشة كان نبي الله في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله انك تكثرون قول سبحان الله وبحمده قال اني أمرت بها وقرأ اذا جاء نصر الله وعن ابن مسعود لما نزلت هذه السورة كان عليه السلام يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك أنت التواب الغفور قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعت اليل نفسك أي أخبرت بموتك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما روى فيها ضاحكا مستبشرا وعن ابن عمر نزلت هذه السورة يعني في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فعاث النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلاله فعاث بعدها خمسين يوما ثم نزل لقدي جاءكم رسول من أنفسكم فعاث بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاث بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدى عشر يوما وقيل سبعة أيام والله أعلم وتوفي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول لاثني عشر خلت منه من هجرته الى المدينة والهجرة كانت لاثني عشر خلت من ربيع الاول كما كان مولده كذلك على المشهور

* (سورة أبي لهب وتسمى سورة تبت مكية خمس آيات وثلاث وعشرون

كلمة وسبعة وسبعون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم تبت) أي هلك (يدا أبي لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب (وتبت) أي هلك هو فالاولى مشت تشية الدعاء عليه والثانية أخرجت مخرج الخبر أي وقد حصل الهلاك عليه فهذه الجملة على هذا على تقدير قدويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تبت بالتحريح بقدر وقيل كل واحد من الجملتين اخبار ولكن أريد بالجملة الاولى هلاك محله والثانية هلاك نفسه فان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه وعمله فأخبر الله تعالى أنه محروم من الامرين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الصفا ذات يوم وقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك قال أرايتم ان أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال عند ذلك أبو لهب تبالك ألهذا دعوتنا فنزلت هذه السورة وروى أنه قال غالى ان أسلمت فقال ما للمسلمين فقال أفلا أفضل عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بماذا اتفضل فقال تبال هذا الدين يستوى فيه أنا وغيري وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما

دعاه نهاراً فأبى فلما جن الليل ذهب الى داره مستناباً سنة نوح ليدعوه ليلاً كما دعا نهاراً فلما دخل عليه قال له جئتني معذراً فجلس النبي صلى الله عليه وسلم أمامه كالاحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال ان كان يمنعك العار فأجبتني في هذا الوقت واسكت فقال لا أو من بك حتى يؤمن بك هذا الجدي فقال صلى الله عليه وسلم للجدي من أنا فقال رسول الله وأطلق لسانه يثنى عليه صلى الله عليه وسلم فاستولى الجسد على أبي لهب فأخذ بيدى الجدي ومزقه وقال تبالك أترفيك السحر فقال الجدي بل تبالك فترلت هذه السورة على وفق ذلك ثبت يد أبي لهب لتزيقه يدى الجدي وقد حصل له وجود الاعتقاد الباطل والقول الباطل والعمل الباطل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أى أى تأثير كان لماله وكسبه في دفع البلاء عنه فانه لا أحداً كثر ماله من قارون فهل دفع الموت عنه ولا أعظم ملكاً من سليمان فهل دفع الموت عنه أولاً ينفع أيا لهب ماله وكسبه عن ذلك فاقى ما أغنى للنبي أولاً استغفهام وما فى ما كسب امام صدرية أو موصولية حذف ماؤها أو استغفامية أى أى شئ كسب فينفعه روى أن أبا لهب كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقاً فأنا أقتدى منه نفسي بمالى وولدى فأستخلص منه وقد خاب مر جاء وما حصل مائة فافترس أسد ولده عتيبة بالتصغير في طريق الشام فأرسل الله تعالى هذه الآية والكسب هو ارباح ماله وقيل نتاج ماشيته وقال ابن عباس وما كسب هو ولده والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال والعدسة ثمرة تخرج بالبدن فتقتل (سبيلى ناراً ذات لهب) أى سيدخل أبو لهب في الآخرة ناراً عظيمة ذات اشتعال وقرئ بضم الياء وفتح اللام مخففاً ومشدداً (وامرأته) معه أم جميل العوراء بنت حرب أخت أبي سفيان صحخرين حرب وامرأته العوراء وقيل اسمها أروى وقرئ ومريثته بالتصغير للتخفيف (حمالة الخطب) وماتت مخنوقة بجبلها وكانت لشدة عداوتها للنبي صلى الله عليه وسلم تحمل بنفسها التشوك والخطب فتنتثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يبطؤه كما يبطؤون الحرير وقرأ عاصم بالنصب على الشتم أو على الحال اذا أريد بحمل الخطب في مطلق الزمن وقرأ الباقر بالرفع على أنه نعت لامرأته اذا أريد به المضى وقرئ حمالة للخطب بالتنوين نصباً ورفعاً فالرفع على الخبر لامرأته والنصب على الشتم أو على الحال من امرأته ان جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير المستتر فإنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الخطب في الدنيا لا ذية الرسول وحينئذ الجملة في جيدها في موضع الحال من امرأته وان جعلناها مرفوعة بالابتداء فجملة في جيدها الخ هو الخبر (في جيدها جبل من مسد) أى من حديد في الآخرة فقد قال ابن عباس هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما ويقال أى في عنقها رسن من ليف المقل وهو شجر الدوم الذى اختنت به وماتت قال قتادة والضحالة ان العوراء كانت تعبر رسول الله بالفقر فعيرها الله بأنها كانت تحتطب في جبل من ليف تجعله في جيدها فخنقها الله تعالى به فأهلكها

* (سورة الاخلاص وتسمى سورة المعرفة وسورة الجمال وسورة التوحيد وسورة النجاة وسورة النور وسورة المعوذة وسورة المانعة لانها تمنع فتنة القبر ولنجاة النار وسورة البراءة لانها براءة من الشرك مكية أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد) ان هذه السورة نزلت بسبب سؤال المشركين قال الضحّاك ان المشركين أرسلوا عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا سببت آلهتنا وخالفنا دين آبائنا فان كنت فقيراً أغنيّاك وان كنت مجنوناً أدريّاك وان هويت امرأة زوجنا كها فقال صلى الله عليه وسلم لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة أنا رسول الله أدعوكم من عبادة الاصنام الى عبادته فأرسلوه ثانية وقالوا قل له بين لنا جنس معبودك أمن ذهب أو فضة فأرسل الله هذه السورة فقالوا له ثلاثمائة وستون صنماً لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصفات الى قوله تعالى ان الحكم لواحد فأرسلوه أخرى وقالوا بين لنا أفعاله فنزل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عامر بن طفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعنا يا محمد فقال الى الله تعالى قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله تعالى أربداً بالصاعقة وها من الطفيل بالطاعون وقيل نزلت بسبب سؤال النصاري روى عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك أمن زبرجده أم ياقوت أم ذهب أو فضة فقال ان ربى ليس من شيء لانه خالق الاشياء فنزل قل هو الله أحد قالوا هو واحد وأنت واحد فقال ليس كمثل شيء قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد الذي يهمد اليه الخلق في الحوائج فقالوا زدنا فنزل لم يلد ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفواً أحد أى ليس له نظير من خلقه وقال الضحّاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من أخبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعنناؤم من بك فان الله تعالى أنزل صفته في التوراة فأخبرنا من أى شيء هو وهل يأكل ويشرب ومن ورث ومن رثه فنزلت هذه السورة وصفات الله تعالى اما أن تكون اضافية وأن تكون سلبية أما الاضافية فكقولنا عالم قادر مر يد خلاق وأما السلبية فكقولنا ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعرض وقولنا الله يدل على مجامع الصفات الاضافية وقولنا أحد يدل على مجامع الصفات السلبية وذلك لان الله تعالى هو الذى يستحق العبادة واستحقاق العبادة ليس الا لمن يستبد بالايجاد فالاستبداد بالايجاد لا يحصل الا لمن كان موصوفاً بالقدرة التامة والارادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات والمراد من الاحدية كون تلك الحقيقية في نفسها مفردة منزّهة عن انحاء التراكيب (الله الصمد) أى السيد المصود اليه في الحوائج وقال ابن مسعود والضحّاك الصمد هو السيد الذى قد انتهى سودده وقيل الصمد هو الذى ليس فوقه أحد فلا يخاف من فوقه ولا يرجو من تحته ترفع الحوائج اليه وقال قتادة الصمد الباقى بعد فناء خلقه والذى لا يأكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطمع وقال أبى بن كعب هو الذى لا يموت ولا يورث وله ميراث السموات والارض وقال ابن كيسان هو الذى لا يوصف بصفة أحد قال مقاتل بن حبان هو الذى لا عيب فيه (لم يلد) أى لم يصدر عنه ولد لانه لم يجانس شيئاً (لم يولد) أى لم يصدر عن شيء لا مستحالة نسبة العدم اليه تعالى سابقة ولا حقاً يقال لم يلد أى ليس له ولد فريث ملكه ولم يولد أى ليس له والد فريث عنه الملك فلم يرث ولم يورث (ولم يكن له كفواً أحد) أى لم يشاكله أحد من صاحبه وغيرها فيمتنع أن يكون شيء من الموجودات مساوياً له تعالى في شيء من صفات الجلال والعظمة ثم الآية الاولى تبطل مذهب الثنوية القائلة بالنور والظلمة والنصارى في التثليث والصائبين في الاقلاك والنجوم والآية الثانية تبطل مذهب من أثبت خالقاً سوى الله لانه لو وجد خالق آخر لما كان الحق موهوداً اليه في طلب جميع الحاجات والآية الثالثة تبطل مذهب اليهود في عزيز والنصارى في المسيح والمشركين في أن

الملائكة بنات الله والآية الرابعة تبطل مذهب المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء له تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء نوراً ونور القرآن قل هو الله أحد وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فسمع رجلاً يدعو ويقول أسألك يا الله يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال غفر لك غفر لك ثلاث مرات وعن سهل بن سعد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه أحد وان لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك واقرا قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل فأدركه الله عليه رزقا حتى أقاض على جيرانه وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لم قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الارض يومئذ اذا اتقى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأ كفها حتى تميزه من الصراط الى الجنة

* (سورة الفلق مدنية خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفاً) *

(بسم الله الرحمن الرحيم) قيل ان الله تعالى أنزل المعوذتين عليه صلى الله عليه وسلم ليكونا رقيصة من العين وروى ان جبريل عليه السلام أتاه وقال ان غفريتاً من الجن يكيدك فقال اذا أويت الى فراشك قل أعوذ برب السورتين وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الاوجاع كلها والحجى هذا الدعاء بسم الله الكريم أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حمار النار (قل أعوذ برب الفلق) أى الصبح فانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذى يفرج فيه عن كل مهموم ولانه أعوذ من يوم القيامة لان الخلق كالأموال والدور كالقبور ثم منهم من يخرج عن داره فليساعر ياناو منهم من كان مديوناً فيجبر الى الحبس ومنهم من كان ملكاً مطاعاً فتنضم اليه المراكب ويقوم الناس بين يديه وكذا في يوم القيامة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى فيجبر الى الملك الجبار وبعضهم كان مطيعاً لربه في الدنيا فصار ملكاً مطاعاً في العقبى يقدم اليه البراق وقيل الفلق وادى جهنم أو جب فيها روى عن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دوراً أهل الذمة وما هم فيه من خصب العيش فقال لا بألى أليس من وراءهم الفلق فقيس وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره وانما خصه الله بالذكرو ههنا لانه القادر على مثل هذا التعذيب وقد ثبت ان رحمته تعالى أعظم من عذابه فكأنه يقول يا صاحب العذاب الشديد أعوذ برب حمتك التى هى أعظم وأقدم من عذابك وقال الرازى وأقرب التأويلات ان الفلق هو كل ما يغلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والارحام عن الاولاد والبيض عن الفرج والقلوب عن المعارف فكأن الله تعالى هو الذى فلق بحار ظلمات العدم بأنوار الایجاد وكأنه تعالى قال قل أعوذ برب جميع المسكنات ويمكن المحدثات فيكون التعظيم فيه أعظم ويكون الصبح وجب النار أحد الامور الداخلة في هذا المعنى (من شر ما خلق) أى من شر كل ذى شر خلقه الرب من ابليس ومن جهنم ومن أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والموام وغيرهما (ومن شر غاسق اذا وقب) أى ومن شر قرأ اذا طلع كما أخرجه الترمذى من حديث عائشة قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار الى القمر فقال نعوذ بالله من شره هذا فانه الغاسق اذا وقب ومعنى غسوق القمر امتلاكه فوقه بدخوله في الخسوف أو

من شر شمس اذا غربت كما قاله ابن شهاب وانما سميت فاسقا لانها في الفلك تسبح فسمي جريانها بالغسق ووقوبها دخولها تحت الارض او من شرثر يا اذا سقت لان الاسقام تسكثر عند سقوطها وترتفع عند طلوعها كما قاله عبد الرحمن بن زيد وعلى هذا انتهى الثر يا فاسقا لانصيبا به عند وقوعه في المغرب ووقوبه دخوله تحت الارض وغيبوبته عن الاعين او من شرحية اذا الدغت (ومن شر النفاثات في العقد) أي ومن شر النساء اللاتي يبطلن عزائم الرجال بالحيل كما اختاره أبو مسلم فعنى الآية ان النساء لاجل كثرة حيلهن في قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأى الى رأى ومن عزيمة الى عزيمة فامر الله رسوله بالتعوذ من شرهن (ومن شر حاسدا اذا حسد) أي اذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه كتهبته مبادى الاضرار بالمحسود قولا أو فعلا

(سورة الناس مدنية ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم قل) يا أشرف المرسلين (أعوذ برب الناس) أي ألتجى بمصلح الناس والقائم بتدبيره وذكر الله انه رب الناس على التخصيص مع انه رب جميع المحدثات لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم وهو معبودهم وقرئ في السورتين بحذف الهمة ونقل حركاتها الى اللام (ملك الناس) عطف بيان جي به لبيان ان تربيته تعالى اياهم بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى لا بطريق تربية سائر الملائكة لئلا يكسبهم ولا يجوز ههنا ملك الناس باثبات الالف بخلاف ما ملك يوم الدين في سورة الفاتحة والفرق ان قوله رب الناس أفاد كونه مالكا لهم فلا بد وأن يكون المذكور عقبه هذا الملك ليفيد انه تعالى مالك وملك معافان قيل أليس قال تعالى في سورة الفاتحة رب العالمين ثم قال مالك يوم الدين فيلزم وقوع التكرار ههنا قلنا اللفظ دل على انه رب العالمين وهي الاشياء الموجودة في الحال وعلى انه مالك ليوم الدين فهناك الرب مضاف الى شيء موجود الآن والمالك مضاف الى شيء يوجد في الآخرة فلم يلزم التكرار فظهر الفرق وأيضا فان جواز القراءات يتبع النزول لا القياس (اله الناس) عطف بيان جي به لبيان ان ملكه تعالى بطريق المعبودية المؤسسة على الالهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء وامواته وایجادا واعداما فوصف الله أولا بأنه رب الناس ثم الرب قد يكون ملكا وقد لا فبين بقوله ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا فبين بقوله اله الناس لان الاله خاص بالله تعالى لا يشركه فيه غيره وأيضا ان أول ما يعرف العبد من معبوده كونه معطيا لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة وهذا هو الرب ثم ينتقل من معرفة هذه الصفة الى معرفة استغنائه عن الخلق فيحصل العلم بكونه ملكا لانه هو الذى يفتقر اليه غيره ويستغنى عن غيره ثم عرف العبد انه هو الذى ولت العقول في عزته وعظمته فيعرف انه اله حقيقة (من شر الوسواس) بفتح الواو وهو بمعنى الوسوس وهو الشيطان (الخناس) أي الذى يتأخر عند ذكر الانسان دبه والوقوف هنا كاف لمن رفع ما بعده أو نصبه على الشتم ولا وقف هنا لمن جعل ما بعده نعتا للوسواس (الذى يوسوس في صدور الناس) أي في قلوب الغافل عن ذكر الله وسقوط الياء عن الناس كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع (من الجنة والناس) بيان للناسى عن ذكر الله فانهما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى وعلى هذا لا يحتاج الى تكلف بعض العلماء من جعل قوله من الجنة بيان للوسواس وجعل قوله والناس عطفًا عليه فكأنه قيل من شر الوسواس الذى يوسوس وهو الجن ومن شر الناس ا هـ ومن

جعل قوله تعالى من الجنة والناس عطفها على الوسواس بتقدير حرف العطف فالمعنى أعوذ برب الناس من
الوسواس الخناس ومن الجنة والناس كأنه استعاذ بربه من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاذ بربه من جميع
الجنة والناس وفي هذين السورتين لطيفة وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة
وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد أما في هذه
السورة المستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة
والفرق بين الموضعين ان الثناء يجب ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس
والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت أعظم من مضار
الدنيا وان عظمت والله أعلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد انتهت مامن الله به علينا من المعاني
الميسرة والالفاظ المسهلة في خامس ربيع الآخر ليلة الاربعاء عام ١٣٠٥ سنة ألف وثلاثمائة
وخمسة على يد الفقير الى الله تعالى محمد بن وى غفر الله له ولوالديه ولمساخه ولاخوانه المسلمين وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين آمين

الحمد لله الذي قدر الوجود في القدم وأنزل الفرقان دليلا على وحدانيته فهو الذي يحيي الرمم والصلاة
والسلام على سيدنا محمد الذي أرسل بالدين القويم الذي لا هوج فيه وعلى آله وأصحابه وخلفائه الذين
حفظوا القرآن وحازوا معانيه (وبعد) فقد تم طبع هذا التفسير النفيس الذي تغني مطالعته عما سواه
بدون تلبيس المسمى طبقا لمعناه بجراح ليبد في تفسير معنى قرآن مجيد وقد احتوى على معان وقصص
منيفة بظن لها ذو والاذهان الشريفة فن طالع هذا التفسير وأمعن النظر فيه فقد نال
الشرق الوافر الذي لا شئ فيه وبألجملة فيما رزته فيها الخير العميم لانه محتو على تفسير
كلام مولانا القديم فما استقر في بيت الاحفظ من البلايا وحفت به البركات من
رب البرايا سيما وقد ذكر فيه بعض قراآت للقرآن الذين اقتبسوا نور الهداية
فجزاهم الله خيرا وذلك بالمطبعة العامرة العثمانية التي محل
ادارتها مصر حارة الفراخ بخط باب الشعريه ادارة مديرها
ومنشئها المام الفائق حضرة الشيخ عثمان عبد
الرازق كان الله معه وبلغه أمله ولا حدر
تمامه وفاج مسك ختامه في أواسط
شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٥
هجريه على صاحبها
أفضل صلاة
وتحية

﴿فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن المجيد المسمى بمراح لبید للشيخ محمد نوری﴾

صفحة	صفحة
سورة ق ٣١٩	سورة مريم ٢
سورة الذاريات ٣٢٤	سورة طه ١٤
سورة الطور ٣٢٩	سورة الانبيا ٣١
سورة النجم ٣٣٣	سورة الحج ٤٦
سورة القمر ٣٣٨	سورة المؤمنون ٦٠
سورة الرحمن ٣٤١	سورة النور ٧١
سورة الواقعة ٣٤٦	سورة الفرقان ٩٠
سورة الحديد ٣٥١	سورة الشعرا ١٠٢
سورة المجادلة ٣٥٧	سورة النمل ١١٩
سورة الحشر ٣٦٣	سورة القصص ١٣٥
سورة الممتحنة ٣٦٩	سورة العنكبوت ١٥٢
سورة الصف ٣٧٤	سورة الروم ١٦٢
سورة الجمعة ٣٧٦	سورة لقمان ١٦٩
سورة المناقون ٣٧٨	سورة السجدة ١٧٤
سورة التغابن ٣٨٠	سورة الاحزاب ١٧٧
سورة الطلاق ٣٨٣	سورة سبأ ١٩١
سورة التحريم ٣٨٦	سورة فاطر ١٩٩
سورة الملك ٣٨٩	سورة يس ٢٠٥
سورة ن ٣٩٢	سورة الصافات ٢١٥
سورة الحاقة ٣٩٦	سورة ص ٢٢٥
سورة المعارج ٣٩٩	سورة الزمر ٢٣٤
سورة نوح ٤٠٢	سورة المؤمن ٢٤٧
سورة الجن ٤٠٥	سورة فصلت ٢٥٨
سورة المزمل ٤٠٨	سورة شوري ٢٦٧
سورة المدثر ٤١٠	سورة الزخرف ٢٧٤
سورة القيامة ٤١٤	سورة الدخان ٢٨٢
سورة الانسان ٤١٦	سورة الجاثية ٢٨٧
سورة المرسلات ٤١٩	سورة الاحقاف ٢٩٢
سورة النبأ ٤٢٢	سورة القتال ٢٩٨
سورة النازعات ٤٢٤	سورة الفتح ٣٠٥
سورة عبس ٤٢٧	سورة الحجرات ٣١٤

صفحة	صفحة
سورة التكمين ٤٥٨	سورة التكمين ٤٢٩
سورة الزلزلة ٤٥٩	سورة الانفطار ٤٣١
سورة العاديات ٤٦٠	سورة المطففين ٤٣٢
سورة القارعة ٤٦١	سورة الانشقاق ٤٣٤
سورة التكاثر ٤٦١	سورة البروج ٤٣٥
سورة العصر ٤٦٢	سورة الطارق ٤٣٧
سورة الهمزة ٤٦٢	سورة الأعلى ٤٤٠
سورة الفيل ٤٦٣	سورة الغاشية ٤٤١
سورة قريش ٤٦٤	سورة الفجر ٤٤٣
سورة الماعون ٤٦٥	سورة البلد ٤٤٦
سورة الكوثر ٤٦٦	سورة واثمس وشمهاها ٤٤٧
سورة الكافرون ٤٦٨	سورة الليل ٤٤٨
سورة النصر ٤٦٩	سورة الضحى ٤٤٩
سورة أبي لهب ٤٧٠	سورة الانشراح ٤٥٢
سورة الاخلاص ٤٧١	سورة التين ٤٥٣
سورة الفلق ٤٧٣	سورة العلق ٤٥٤
سورة الناس ٤٧٤	سورة القدر ٤٥٦

تم فهرست الجزء الثاني

To: www.al-mostafa.com